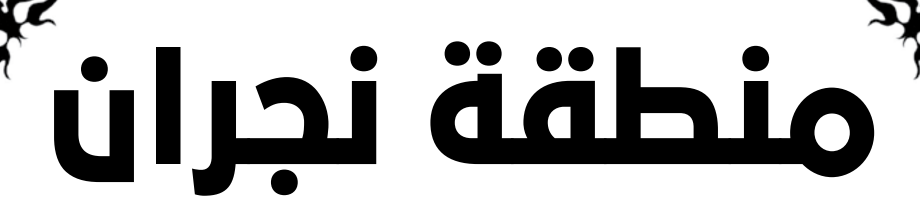


دراسات، وإضافات، وتعليقات

(من قبل الإسلام – ق١٥هـ / ق١ - ق٢١م)

الجزء الثاني

أ . د . غيثان بن علي بن جريس

أستاذ التاريخ - جامعة الملك خالد

الطبعة الأولى

(١٤٤٤هـ / ٢٠٢٢م)

ح غيثان بن علي بن جريس، ١٤٤٣هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

جريس، غيثان بن علي بن عبد عبد الله

منطقة نجران (دراسات واضافات وتعليقات) (من قبل الاسلام - ق١٥هـ / ق١ - ق٢١)

(الجزء الثاني) ./ غيثان بن علي بن عبد الله جريس - ط١ -. الرياض، ١٤٤٣هـ .

٥٨٨ ص ؛ ١٧ × ٢٤ سم

ردمك: ٧- ١٩٩٣ - ٠٤ - ٦٠٣ - ٩٧٨

١- نجران (السعودية) - تاريخ ٢-السعودية - تاريخ أ-العنوان

ديوي ٩٥٣,١٥٣ ١٤٤٣/١٢٣٣٠

رقم الإيداع ١٤٤٣/١٢٣٣٠

ردمك: ٧- ١٩٩٣ - ٠٤-٦٠٣ - ٩٧٨

الطبعة الأولى

١٤٤٤هـ / ٢٠٢٢م

يوجد الكتاب كاملاً على الرابط الآتي : prof-ghithan.com

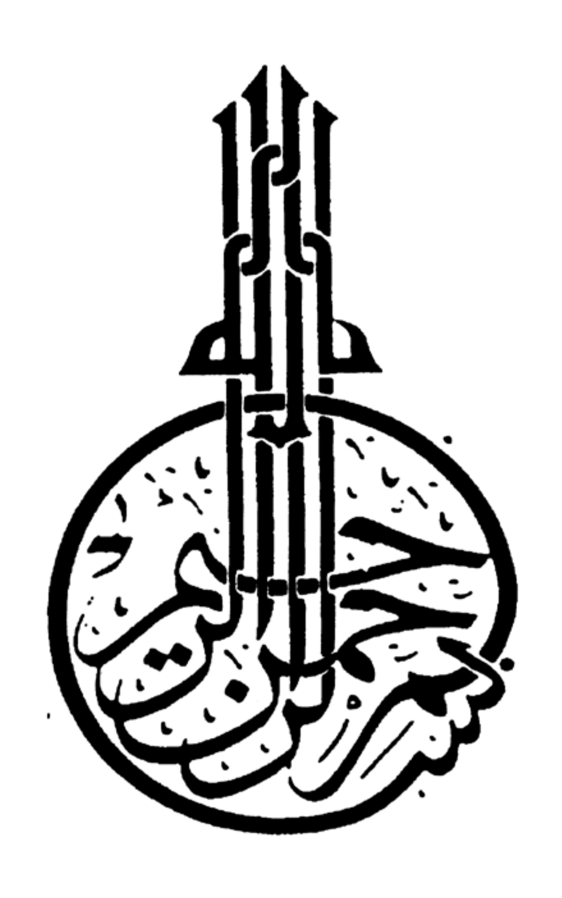
يوجد الكتاب على قناة التليقرام

(مكتبة التاريخ العامة) و (جامع الكتب المصورة)

الرياض: مطابع الحميضي

Email:ghithanjris@gmail.com

(أبها - المملكة العربية السعودية- ص.ب: ٩٠٥٠)



الفهرست العام لمحتويات الكتاب

أولاً : المقدمـــــة

الحمـد لله الواحد الأحد الفـرد الصمد. الحمد لله العزيز الكريم الرحيم الغفور، الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين ، ولا عدوان إلا على الظالمين . الحمد لله الذي أرسـل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره علـى الدين كله. وصلى الله وسلم على سيدنا ونبينـا محمد القـدوة المثلى في الاجتهاد والاهتداء، صلى الله عليـه وعلى آله وأصحابه ومن على سنته اقتفى .

وبعـد : فأوطان شبـه الجزيرة العربيـة ذات أصول وعراقة قديمـة تعود إلى آلاف السنـين قبل الإسلام. ومدنها وحواضرها وقراها وبواديها تتفاوت في كثافة الاستيطان البشري، وما عُرف أو وثق من تاريخها وحضارتها عبر عصور التاريخ [١] . وبلاد نجران مـن الديار التـي لها تاريخ قـديم وكبير وعريق، لكن هـذا التاريخ والحضـارة مازالت مفقـودة ، ولا نجد إلا إشارات وشذرات قليلة موثقـة في المصادر الكلاسيكية القديمة ، وفي بعض كتـب التراث الإسلامي ، بالإضافة إلى ما عُـثر عليه من تنقيبات أثرية قليلة ومحدودة في أعمالها ونتائجها[٢] .

إن الذي أقوم به وغيري من الباحثين لحفظ صفحات أو جزئيات من تاريخ وحضارة حواضـر أو بلدان محدودة في شبه الجزيرة العربية ليس إلا جهوداً ضئيلة وفردية قليلة وناقصـة. والـذي نطمح فيه ونتطلع إليـه أن يكون هنـاك مؤسسـات علمية بحثية كبيرة

---

(١) خرجـت بهذا القـول بعد أن سحت في أرجاء شبه الجزيرة العربية أكثر مـن أربعة عقود ، أقرأ ، وأشاهد، وأوثق شيئاً من تاريخ هذه البلاد التي هي مخزن تاريخي كبير، لما جرى على أرضها من أحداث ، وما عاش فيها من أمم وأقوام. وبعض المدن الكبيرة مثل حواضر اليمن والحجاز وبلاد البحرين نالها بعض الرعاية والخدمة العلمية والبحثية . أما البلدان الصغيرة والمنعزلة في أمكنة كثيرة من الجزيرة العربية فلم تحظ برعايـة بحثية إطلاقاً ، وبخاصة ما يتعلـق بتاريخها وتراثها وحضارتها قبل الإسلام ، والقرون الإسلامية العشرة الأولى (ق١ـ ق١٠هـ/ق٧ ــ ق١٦م) . أرجو من جامعات هذه البلاد ومراكزها البحثية أن تضاعف الجهود لدراسة تاريخ وتراث وآثار هذه الأوطان العربية القديمة . (ابن جريس) .

(٢) أقـرأ وأبحـث في تاريخ وحضارة نجران منـذ عشرين عاماً، كما زرتها مرات عديـدة وتنقلت في بعض قراها ، وجبالهـا ، وأوديتها، ووهادهـا، وشاهدت الكثير من تاريخها وتراثها وآثارهـا ونقوشها ورسوماتها الصخرية. واطلعت على الكثير من الدراسات التي صدرت عنها، وبعضها قديمة ، وأخرى إسلامية مبكرة ووسيطة وحديثة. وكل مـا درس وطبع ونشر عن هذه الديار مازال قليلا ومحـدودا وأحيانا ناقصا أو سطحيا. ونتطلع من جامعة نجـران أن تستشعـر أهمية هذه البـلاد وعراقتها التاريخيـة والحضارية ، ثم تؤسس بعض الأقسام والمراكز البحثيـة القويـة في كوادرها البشرية المتخصصة ، وفي إمكاناتها الماديـة حتى تعكف على البحث والتنقيب عن تاريخ وتراث وآثار هذه البلاد ، وأؤكد على الآثار السطحية والمدفونة فهي من أهم وأفضل المصادر التي سوف تكشف لنا الشيء الكثير عن موروث هذه الأوطان منذ عصور ما قبل الإسلام. (ابن جريس) .

تتـولى الإدارة والإشـراف والدعم والتوجيـه لإنجاز أعمال علمية كبـيرة يتشارك فيها لفيف مـن المتخصصين والباحثين الجادين. وإذا تحقق ذلـك ضمن فرق علمية بحثية مدعومة إدارياً ومالياً وأكاديمياً فقد نحصل على نتائج علمية جيدة ومثمرة، وحتى هذه اللحظـة لا أرى نشاطـاً أو حراكاً في هـذا الاتجاه، آمل أن نراه قريبـاً يتحقق على أرض الواقع [١] .

سبـق أن درست وطبعت ونشرت عدداً من الدراسـات والكتب عن نجران ، وبذلت قصارى جهدي فيما تم إنجازه، ولا أدعي الوفاء أو الكمال في تلك البحوث التي صدرت، لكـن حسبـي أنني اجتهدت ، وأرجـو أن يأتي بعدي من يستكمل مـا لم أستطع عمله ، أو يصحـح ما وقعت فيه من قصور وأخطاء. ونجران ميـدان رحب لإنجاز مئات البحوث في شتـى الأبواب، والتاريـخ والتراث والحضارة والآثار من المجـالات البشرية الجديرة بالخدمة العلمية التوثيقية التحليلية .

هـذا الكتاب الـذي سميته : **منطقة نجران : دراسـات ، وإضـافات، وتعليقات (مـن قبل الإسـلام - ق١٥هـ/ق١ - ق٢١م) (الجزء الثـاني)**، هو تكملة للجزء الأول، والعنـوان نفسـه الذي صدر عام (١٤٤١هــ/٢٠١٩م) [٢] . ونشر في ذلك المجلد (١٤) دراسـة امتـد تاريخها من قبل الإسلام إلى وقتنا الحاضـر . وهذا الجزء الثاني احتوى علـى (١٢) دراسـة معظمها عن جزئيـات تاريخية وحضارية متفرقـة عن نجران قبل الإسـلام ، وبعضهـا في العصور الإسلاميـة المبكرة والوسيطة والحديثـة . وجميع هذه البحـوث مطبوعـة ومنشـورة في كتابي الموسوعي : **القـول المكتوب في تاريـخ الجنوب : موسوعـة تاريخية حضاريـة**[٣] ، والأسباب التي جعلتني أجمع هـذه الدراسات في كتاب مستقل عن نجران تتلخص في النقاط الآتية:

---

(١) كوني معاصراً للتطور العلمي والتعليمي في جنوب المملكة العربية السعودية خلال الخمسين عاماً الماضية. فالواقع أن التطور المعرفي بدأ منذ خمسينيات القرن الهجري الماضي ، ثم ازداد في الأربعين عاماً الماضية (١٤٠٠-١٤٤٣هـ/١٩٨٠-٢٠٢٢م) ، وصـار في هـذه البـلاد الكثـير مـن المدارس ، والمعاهـد ، والكليات والجامعـات ، وتخـرج فيها آلاف الطالبات والطـلاب . وهذه تطورات جيدة وإيجابيـة وندعو إلى رعايتها وتشجيعهـا ، لكن الجانـب العلمي البحثي التوثيقـي التحليلي مازلنا متأخرين فيه كثـيراً ، وكل المقومات ، والحمـد لله، موجودة لكنها تحتاج إلى من يخطط لها ويدعمها ويوجهها نحو الأهداف الإيجابية الكبيرة ، والبحث العلمي القوي والرصين واحد من التطلعات والأهداف التي نرجو تحقيقها . (ابن جريس) .

(٢) يقـع هـذا الجـزء في (٥٩٠) صفحة مـن مطبوعات مطابـع الحميضـي بالرياض (١٤٤١هــ/٢٠١٩م). انظـر الكتـاب ورقيـاً وانظـره رقمياً علـى أكثر مـن قنـاة ومواقـع إلكترونيـة منهـا موقعـي الشخصي (Prof-ghithan.com). (ابن جريس) .

(٣) صـدر مـن هذا الكتاب الموسوعي حتى الآن (١٤٤٤هـ/٢٠٢٢م) (٢٧مجلـداً) ، أي حوالي (١٦٠٠٠) ست عشرة ألف صفحة ، آمل أن استمر في إصدار هذه السلسلة حتى الثلاثين مجلداً . (والله أعلم) .

١- ليسـت المرة الأولى التي أقوم بهذا العمل، وهذه المنهجية ، فقد أصدرت الجزء الأول عن نجران بالطريقة نفسها ، وجزءاً آخر عن منطقة الباحة[١] ، وجزئين عـن منطقة جازان[٢] ٠ والهـدف هو التسهيل على طـلاب العلم والباحثين في سرعـة الاستـدلال إلى بحـوث كل منطقة (نجـران ، وجـازان، والباحة) في كتب مستقلة ، والرجوع إليها في الموسوعة ربما يقابل الباحث بعض العقبات أو الصعوبات في الوصول إليها .

٢- أشـرت إلى رقـم الجـزء الأول في الجـزء الـذي سبـق طباعتـه ونشـره عام (١٤٤١هـ/٢٠١٩م) ، ورأيت أنه من الواجب علـيّ أن أخرج جزءاً ثانياً بنفس العنوان، وأرجو أن يكون هناك جزء ثالث في قادم الأيام[٣]٠

٣- بذلـت قصـارى جهـدي في استكتاب بعضـ الأساتذة المتخصصـين الجيدين للكتابة في موضوعات تاريخية نوعية عن منطقة نجران، وقد وفقت، فكتب لنا الأسـتـاذ الدكتور عبدالعزيز رمضان خمس دراسات ، بعضها ترجمات وأخرى بحوث علمية عن بعض الأحداث في نجران قبل الإسلام . ورصد الدكتور عوض ابـن ناحي ثلاث دراسات عـن جزئيات تاريخية في نجـران قبيل الإسلام وفي صـدره . وباحثون آخرون مشكـورون زودوني ببحوث تاريخية حضارية متفرقة عن بلاد نجران في العصر الإسلامي المبكر والوسيط والحديث . وأشكر جميع الباحثـين الذيـن تعاونوا معي وساهموا في حفظ صفحـات من تاريخ وحضارة هذه البلاد العربية الماجدة[٤] ٠

هنـاك مئـات الوثائق التاريخيـة الحديثة عن نجران ، وقد نشـرت الكثير منها في مؤلفاتـي المطبوعة والمنشورة . وتم اختيـار بعضها وإعادة نشرها في هذا المجلد. والمادة التـي تحتـوي عليها هـذه الوثائق جديـدة في مادتها العلميـة ، ومعظمها خـلال القرن (١٤هـ/٢٠م) ، وتستحق أن تدرس وتحلل تاريخياً ولغويـاً ومعرفياً. ومن أراد الاطلاع

---

(١) (الرياض : مطابع الحميضي ، ١٤٤٠هـ/٢٠١٩م) (٥٣٤صفحة) ٠

(٢) (الرياض : مطابع الحميضي ، ١٤٤٢هـ/٢٠٢١م) (مجلدان) (١١٠٤صفحة) ٠

(٣) الحمـد لله أننـي أصـدرت الجزئين الخاصـين بمنطقة جازان في وقت واحد عام (١٤٤٢هـ/٢٠٢١م) . وأصدرت الجزء الأول عن منطقة الباحة عام (١٤٤٠هـ/٢٠١٩م) ، أرجو أن يمد الله في العمر حتى أصدر الجزء الثاني عن بلاد الباحة ٠

(٤) عندمـا أقـول ماجـدة ، فإننـي أعنـي ذلـك فأرضـ نجـران عاصـرت وعرفـت أحـداث تاريخيـة وحضاريـة متنوعـة مـن العصـر القـديم ، وخـلال القـرون الإسلاميـة المختلفـة . ومازالت هـذه البلاد فقـيرة في ميـدان البحـث والتوثيـق التاريخـي ، مـع أنهـا تحتـوي علـى مـوروث كبـير يستحـق التنقيب عنه وبحثه ودراسته وتحليله . (ابن جريس) ٠

علـى وثائق أكثر عن منطقــة نجران فمازال بعضها منشوراً في ملاحق موسوعة (القول المكتـوب في تاريخ الجنوب)[١] ، وفي نهاية الكتاب مجموعة من الصور الفوتوغرافية عن معـالم عديدة في بـلاد نجران ، وقد تعـاون معي في جمعها عدد مـن الباحثين وطلاب العلم الفضلاء[٢] .

وأخيراً أشكر الله (عز وجل) أن أعانني على استكمال هذا السفر، كما أشكر الإخوة الزمـلاء الذين ساهموا معي ببحوثهم وجهودهـم العلمية ، وأسأل الله العلي القدير أن يسخرنـا لفعل الخـير، وأن يرزقنا التوفيق والثبات، وأن يخلص لنـا الأقوال والأعمال ، وأن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم ، وأن يكون حجة لنا لا حجة علينا يوم نلقى ربنا سبحانه . وصلى الله وسلم على رسوله الأمين .

جـمـع وتــدويــن الـعـبـد الــذي يـتـوسـل مـولاه (عـز وجـل) الرحمة والمغفرة والعتق من الـنـار/ غيثان ابـن علـي بـن عـبـدالله بـن جـريـس الـثـوابـي الجـبـيري الـشـهري الحـجـري الـهـنـوئـي الأزدي في مـديـنـة نجـران (في منتصف شهر شوال/١٤٤٣هـ الموافق ١٦ / مايو/٢٠٢٢م)

(١) أكرر القول عن قلة الدراسات التاريخية الحضارية عن منطقة نجران عبر عصور التاريخ. وهناك أحداث وتواريـخ كثيرة وكبـيرة عن هذه البلاد ، وصلاتها مـع البلدان من حولها مثل جـازان ، وعسير، وسروات وتهامـة اليمـن، حبذا أن نرى باحثين جادين منصفين فيعكفون علـى توثيق تاريخ هذه البلاد منذ العصر القديم إلى وقتنا الحاضر . (ابن جريس) .

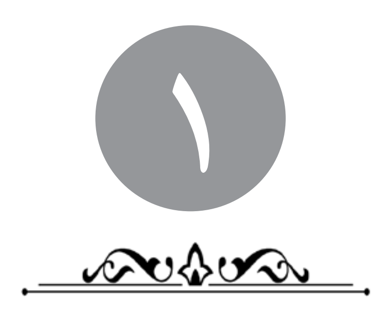
(٢) وهـم : (١) د. عوض بـن عبـد الله بـن ناحـي العسـيري ، (٢) أ. محمـد حسـين آل مستـنـير ، (٣) أ. مانع ناجي آل سعد، (٤) أ. محمد هادي آل هتيلة، (٥) أ. حسن آل هتيلة، (٦) أ. حمد صالح حبصان حفول، (٧) أ. حمـد جمهـور ، (٨) أ. عبد الالـه مبخوت الصيعري ، (٩) أ. عبـد المحسن صالح حبصان حفول ، (١٠) أ. عائض علي محمد آل عمر .



منطقــة نجــــــران

دراسات، وإضافات، وتعليقات

(من قبل الإسلام - ق١٥هـ / ق ١ - ق ٢١ م)



الدراسة الأولى

دخول المسيحية إلى نجران في روايات المصادر البيزنطية والمسيحية الشرقية

بقلم . أ.د. عبدالعزيز بن محمد رمضان



الدراسة الأولى

دخول المسيحية إلى نجران في روايات المصادر البيزنطية والمسيحية الشرقية

أ. د. عبدالعزيز بن محمد رمضان [1]

(١) حصل الدكتور عبد العزيز رمضان على بكالوريوس الآداب من قسم التاريخ بجامعة عين شمس عام ١٩٩٤م، وبكالوريوس الدراسات اليونانية واللاتينية من ذات الجامعة عام ١٩٩٩م، وواصل دراساته العليا وما بعد الدكتوراه في جامعات عين شمس وروما وبرلين. تدرج في السلك الأكاديمي منذ حصوله على الدكتوراه عام ٢٠٠٣م، حتى صار أستاذا لتاريخ العصور الوسطى ورئيسا لقسم التاريخ بآداب جامعة عين شمس خلال الفترة (٢٠١٥-٢٠١٨م)، وتقلد عدداً من الأعمال الإدارية والأكاديمية والشرفية في ذات الجامعة. كما عمل أستاذا زائرا بجامعة السلطان قابوس. ويعمل الآن في قسم التاريخ بجامعة الملك خالد بالمملكة العربية السعودية. وهو عضو في عدد من الجمعيات واللجان والمجالس العربية والغربية. تولى رئاسة تحرير وإدارة عدد من المجلات العلمية في مصر والمملكة العربية السعودية. شارك في عدٍ من المؤتمرات والندوات واللقاءات العلمية في العديد من الدول العربية والأوروبية، ونشر دراسات وبحوثاً علمية عديدة بالعربية والإنجليزية في مجلات وكتب علمية عربية وغربية. (ابن جريس) .

أولاً: مقدمة:

رغـم اتفـاق الباحثـين المحدثين علـى أن المسيحية وجـدت لها طريقـا إلى جنوب الجزيـرة العربيـة قبل الإسـلام، إلا أن الظروف التـي هيأت لها ذلـك لم تنل اهتماما كبـيرا في دراساتهم، وربما يعود هـذا –كما يشير أثناسيوس باباثناسيو Athanassios Papathanassiou– إلى الغموض الذي يكتنف الاحتكاكات الأولى لجنوب شبه الجزيرة العربيـة مع المسيحية.(١) إذ أن الغالبية العظمى مـن الدراسات الغربية الحديثة ركزت على مجتمع مسيحيي نجران في بداية القرن السادس، وما تعرض له من اضطهاد على يـد الملك اليهودي يوسـف ذي نواس،(٢) لكونه الحادث الأكثر شهـرة في تاريخ مسيحية جنـوب الجزيرة العربية، ولورود أخباره بالتفصيـل في المصادر التاريخية.(٣) وفي ثنايا

(1) Papathanassiou, A.N., “Christian Missions in Pre-Islamic South Arabia”, *Theologia (Athēnai)* 65/1(1994), pp.133-140, esp.135.

(٢) مـن هذه الدراسـات على سبيل المثـال، Deramey, J., “Les martyrs de Nedjran au pays des Homérites en Arabie (522-525)”, Revue de l’histoire des religions 14/2 (1893), pp.14-42; Beeston, A.F.L., “The Realm of King Yusuf (Dhu Nuwas)”, Bulletin of the School of Oriental and African Studies 38/1 (1975), pp. 124-126; Shahid, I., “The Martyrs of Najrān: Miscellaneous Reflections”, Le Muséon 93/1-2 (1980), pp. 149-161; Idem, “The Martyrs of Najrân: Further Reflections”, Le Muséon 103/1-2 (1990), pp. 151-153; Idem, “On the Chronology of the South Arabian Martyrdoms”, Arabian Archaeology and Epigraphy 5/1 (1994), pp. 66-69; Idem, “The Martyresses of Najrān”, in: Aegyptus christiana. Mélanges d’hagiographie égyptienne et orientale dédiés à la mémoire du P. Paul Devos bollandiste, ed. U. Zanetti and E. Lucchesi, Cahiers d’Orientalisme 25. Genève: Patrick Cramer, 2004, pp.123-133; De Blois, F., “The Date of the “Martyrs of Nagrān”, Arabian Archaeology and Epigraphy 1/2-3 (1990), pp. 110-128; Shitomi, Y., “De la chronologie de la persécution de Nağrān”, Orient: Reports of the Society for Near Eastern Studies in Japan 26 (1990), pp. 27-42; Idem, “Une note sur la chronologie de la persécution de Nağrān”, in: Humana condicio. La condition humaine, ed. A. Théodoridès, P. Naster and A. van Tongerloo, Acta Orientalia Belgica 6, Bruxelles/ Louvain-la-Neuve /Leuven: Société Belge d’Études Orientales, 1991, pp. 355-361; Tardy, R., Najrân: Chrétiens d’Arabie avant l’Islam. Recherches publiées sous la direction de l’Institut de Lettres Orientales de Beyrouth, Nouvelle serie: B. Orient chretién 8, Beyrouth: Dar el-Machreq, 1999

(٣) عـن مصادر هذا الاضطهـاد، انظـر، Halévy, J., “Examen critique des sources relatives à la persécution des chrétiens de Nedjran par le roi juif des Himyarites”, Revue des études juives 18/35-36 (1889), pp.16-42, 161-178; Pereira, E., & Francisco, M., (eds.), Historia dos martyres de Nagran: versão Ethiopica, Lisboa: Imprensa Nacional, 1899; van Rompay, L., “The Martyrs of Najran: Some Remarks on the Nature of the Sources”, in: Studia Paulo Naster oblata II: Orientalia Antiqua, ed. J. Quaegebeur, Orientalia Lovaniensia Analecta 13, Leuven: Departement

هــذه الدراسات نادرا مــا يُشار إلى الروايــات المصدرية المتعلقة بدخــول المسيحية إلى المنطقــة، وإن حــدث ذلك فغالبا ما تكــون إشارة عرضية إلى اختــلاف هذه الروايات؛ فدراســة باباثناسيو ذاتها، رغم ما يوحي به عنوانها من تناول لـ "الإرساليات المسيحية في جنــوب الجزيرة العربية قبــل الإسلام"، اكتفت بسرد موجز -لا يتجاوز الصفحتين- لأهم روايات المصادر عن ظروف دخول المسيحية إلى المنطقة،[١] بينما ركزت اهتمامها في إظهــار أوضــاع المجتمع المسيحي الجنوبي عقب اضطهــاد ذي نواس.[٢] إلا أن أهمية هذه الدراسة -في رأيي- تكمن في كونها أبرزت إشكالية غموض هذه الروايات؛ فطبقا لها: "هنــاك العديد من الروايات التي تحمــل كلاً من أدلة المصداقية التاريخية والإضافات الأسطورية، ويمكن لكل منها، إذا تمت دراستها بشكل صحيح، أن تزودنا بمعلومات ذات أهمية كبيرة للتاريخ وأساليب التبشير".[٣] وانطلاقا من هذه التوصية، تهدف الدراسة الحاليــة إلى مناقشة هذه الروايات المصــادر البيزنطية والمسيحية الشرقية المختلفة في محاولــة لاستخراج مــا يمكن أن تشي به مــن دلالات حول ظروف دخــول المسيحية إلى جنوب الجزيرة العربية.

ثانياً: الروايــة الأولى. برثولوميــوس Bartholomew وبانطاينوس Pantaenus (ق. ١-٢م):-

ثمــة مصــادر أدبيــة بيزنطية مبكــرة تشــير إلى أن التبشير بالمسيحيــة في جنوب الجزيــرة العربية بدأ منذ فترة مبكرة للغاية ترجع إلى القرن الأول الميلادي. ونصادف أولى هذه الروايات عند المؤرخ الكنسي يوسيبيوس القيصري Eusebius of Caesarea (٢٦٣-٣٣٩م)، وجــاء فيها: "يُقال أن بانطاينوس Pantaenus (الفيلسوف السكندري المتــوفي حــوالي ٢١١م) ذهب إلى الهنود، ووجــد نسخة من الإنجيــل برواية متّى وسط بعضــ ممن يعرف المسيح؛ ذلك لأن برثولوميوس Bartholomew،[٤] أحد الرسل، كان

Oriëntalistiek/ Peeters, 1982, pp. 301-309.

(1) Papathanassiou, “Christian Missions”, pp.135-136.

(2) Papathanassiou, “Christian Missions”, pp.137-140.

(3) Papathanassiou, “Christian Missions”, p.136.

الجديــر بالذكــر أن باباثناسيو لم يناقش هذه الروايات في محاولــة لتفسير اختلافها بشأن ظروف دخول المسيحيــة إلى جنوب الجزيــرة العربية، وبدلا منذ ذلك اقترح في عبارة موجــزة ما يمكن وصفه بالمواءمة بــين هذه الروايات، إذ يقــول: "نحن قانعون بافتراض أن كل رواية من هــذه الروايات تردد صدى محاولة تبشيرية معينة. وربما كان لأكثرها، خصوصا المبكرة منها، نتائج سريعة الزوال". Ibid, p.136.

(٤) أحد حواريي المسيح الاثنى عشر، واسمه برثولوميوس هو اللفظ اليوناني لاسمه الآرامي الأصل "بَرْتَلْماي" أي ابن تلماي. يُذكر اسمه دوما مقترنا باسم الرسول فيلبس عند كل من متى ومرقس ولوقا.

قــد بشر بينهم وتــرك لهم كتاب متّى باللغة العبرية، وهــو الكتاب الذي ظل بينهم حتى الوقت المذكور". (١)

وإذا كان يوسيبيوس لم يحـدد في روايتـه هوية الهنـود الذين بشـر بينهم كل من برثولوميوس وبانطاينوس، فإن مكمل تاريخـه الكنسي، روفينوس الأكويلي Rufinus of Aquileia (المتـوفي حـوالي ٤١٠م)، كان أكثر تحديدا بتمييـزه بين "الهند القريبة" India citerior التي ذهب إليها برثولوميوس ثم بانطاينوس، والأخرى "البعيدة" India ulterior التـي لم يبدأ التبشير فيها إلا على يد الفيلسوف ميترودوروس Metrodorus في عهد الإمبراطور قسطنطين (٣٢٤-٣٣٧م). (٢)

وأخـيرا جـاء تأكيد المراد بمسمـى "الهنـود" في مؤلف جـيروم Jerome (٣٤٧-٤٢٠م) المعنـون "عـن الرجـال المشهوريـن" De Viris Illustribus، وورد فيـه أن بانطاينوس: "أرسل إلى الهند مـن قبل أسقف الإسكندريـة ديمتريوس Demetrius، حيث وجد أن برثولوميوس، أحد الرسل الاثنى عشر، قد بشر بالمسيح وفقا لإنجيل متّى بين الهنود المعروفـين بالسعداء (بلاد العرب السعيـدة) Ινδοῖς τοῖς καλουμένοις' Εὐδαίμοσιν، ووجـد تلاميـذا له هناك. وقد أحضـر (بانطاينوس) معه هذا الإنجيل مكتوبا بالحروف العبرية". (٣)

ومــن المرجـح أن إشارة هذه الروايـات إلى نسخة الإنجيل العبريـة التي استخدمها برثولوميوس في التبشير داخل جنـوب الجزيرة العربية أوائل القـرن الأول الميلادي، ثم وجدهـا بانطاينوس خلال رحلته التبشيرية هناك أواخر القـرن الثاني الميلادي، تكشف عـن وجود مبكر لليهود في هـذه المنطقة، كما تلمح إلى أن هـذا النشاط التبشيري المبكر كان موجهـا إليهـم بالأسـاس. ورغم أن هـذه الروايات لم تشر صراحـة إلى مدى نجاح

(1) Eusebius, *Kirchengeschichte*, ed. E. Schwartz, Leipzig 1903, pp.450-452; Eusebius, *The Ecclesiastical History*, ed. & trans. K. Lake, The Loeb Classical Library 39, London, New York, 1926, vol.1, pp.462-463.

(2) Rufinus of Aquileia, *History of the Church*, trans. Ph. R. Amidon, The Catholic University of America Press, Washington, D.C., 2016, pp.207 and n.53, 39.
وعن دخول المسيحية المتأخر إلى الهند، انظر،
Mingana , A., “The Early Spread of Christianity in India”, *Bengal Journal of Religion and Literature* 10(1926), pp.453ff; Neill, S., *A History of Christianity in India*, Cambridge, 1984, pp.26ff.

(3) Hieronymus, *De Viris Illustribus, Liber ad Dextrum*, *PL* 23, cols. 683-686; Eng. trans. E.C. Richardson, in: Nicene and Post-Nicene Fathers, ed. Ph. Scaff, vol.3, New York, 1893, ch. xxxvi.

برثولوميوس في مهمته التبشيرية، فإن إشارتها إلى تعرف بانطاينوس على عدد من المسيحيين هناك خلال الربع الأخير من القرن الثاني الميلادي تلمح إلى أن المسيحية وجدت طريقها بين قطاع من سكان جنوب الجزيرة العربية طوال القرنين الأولين للميلاد.

ثالثاً : الرواية الثانية. سفارة ثيوفيلوس الهندي Theophilus Indos (عام ٣٥٦م) :-

في سياق تناول النسخة اليونانية من قصة "استشهاد الحارث" Martyrium Arethae لأحداث اضطهاد مسيحيي نجران على يد الملك اليهودي يوسف ذي نواس، أشار مؤلفها المجهول إلى جذور المسيحية في نجران[1] بقوله: "هناك مدينة مشهورة تابعة للحميريين، تُعرف بنجران، كانت قد اهتدت منذ زمن بعيد إلى الحقيقة وقبلت الإيمان (المسيحي). حدث هذا عندما أرسل قنسطنطيوس Constantius ، ابن قسطنطين العظيم Constantine the Great، سفارة إلى أهل سبأ. القوم الذين نعرفهم اليوم بالحميريين.. وقد أرسل على رأسها ثيوفيلوس.. الذي نجح في استمالة الحاكم بالهدايا وشيد كنائس.. وكان اليهود قد عارضوا (السفارة) وسعوا إلى إقناع الحاكم (الحميري) بعدم السماح باستقبال هذا (المبعوث) الغريب في مملكته".[2]

ونجد القصة الكاملة لهذه السفارة في كتاب "تاريخ الكنيسة" للمؤرخ البيزنطي فيلوستورجيوس Philostorgius، المتوفى حوالي عام ٤٤٠م. ووفقا لها كلف الإمبراطور البيزنطي قنسطنطيوس (٣٣٧-٣٦١م) أحد رجاله الأريوسيين، وهو المدعو ثيوفيلوس الهندي Theophilos Indos، بسفارة دبلوماسية إلى موطنه (حوالي عام ٣٥٦م) لإعداد تقرير مفصل عن عقائد أهل موطنه الأصلي، الذين دعاهم "هذا الجنس من

---

(١) وصلتنا هذه القصة في ثلاث نسخ باليونانية والعربية والحبشية. وقد ناقش (عرفان شهيد) النسخ الثلاث، واقترح أن النسخة اليونانية هي "الأقدم والأكثر صحة". ويميل إسبرويك إلى الاعتقاد بأن النسخة اليونانية ليست الأصل لكونها تحتوي على أجزاء متباينة لكل منها سماته الخاصة، وأن تأليفها تم في الفترة من ٥٣٥م إلى ٥٤٠م. ويرى فان رومباي بأنه "لا يمكن الجزم بأن اليونانية كانت لغة المؤلف الأصلي، خصوصا أنه ليس من المعروف لها أي نسخ سريانية أو قبطية".

Shahid, I., *The Martyrs of Najran. New Documents*, Brussels, 1971, p.200; Van Esbroeck, M., «L' Éthiopie à l'époque de Justinien: S. Arethas de Neğran et S. Athanase de Clysma», Congresso Internazionale di Studi Etiopice, Rome, 1979, pp. 116193-, esp. 126130-, 135; Van Rompay, L., «The Martyrs of Najran: Some Remarks on the Nature of the Sources», in: ***Studia P. Naster Oblata, II: Orientalia Antiqua***, ed. J. Quagebeur, Leuven, 1982, pp.301309-, esp.302.

(2) Detoraki, M., *Le martyre de saint Aréthas et de ses compagnons (BHG 166)*, trad. J. Beaucamp, Paris, 2007.

الهنود"، و"الذي عُرف قديما بأهل سبأ، نسبة إلى عاصمته سبأ، بينما صار الآن يُعرف بالحميريـين Homeritae".[١] وجاء في التقرير الذي قدمه ثيوفيلوس إلى الإمبراطور: "ينحـدر هذا الشعب من نسل إبراهيم عبر (زوجته) قطورة Keturah، وتُعرف بلادهم بجزيـرة العرب الكبرى Arabia Magna، أو ببلاد العرب السعيدة Arabia Felix، كما أطلـق عليها الإغريق. يحدها المحيط الخارجـي. عاصمتها سبأ حيث انطلقت الملكة في رحلتهـا إلى سليمان. وفيها يمارس الناس عادة الختان في اليوم الثامن (بعد الولادة). ويقدمـون القرابـين للشمس والقمر والأرواح المحلية. وهناك عـدد غير قليل من اليهود يعيشون بينهم".[٢]

وإذا كانـت هذه الرواية رددت ما شـاع في المصادر البيزنطية المبكرة من خلط بين الهنـود وعرب جنوب الجزيرة العربية،[٣] فـإن أهميتها تكمن في كونها تشير إلى وجود ما وصفه عرفان شهيد Irfan Shahid بـ"الجالية اليهودية الكبيرة"،[٤] وفي كونها ـ وفقا لجـوردون نيوبـاي Gordon Newby المتخصـص في تاريخ اليهود العـرب ـ أول شاهد مصـدري أدبي على تواجد اليهـود في جنوب الجزيرة العربية،[٥] ومـن ثم فإنها تدعم

(1) Philostorgius, *Church History*, trans. Ph. R. Amidon, Brill: Leiden, Boston, 2007, pp.22,40.

(2) Phiostorgius, *Kirchengeschichte. Mit dem Leben des Lucian von Antiochien und den Fragmenten eines arianischen Historiographen*, ed. J. Bidez, rev. F. Winkelmann, Leipzig, 1913, pp.32-33; Eng. trans. Philostorgius, *Church History*, p.40.

(٣) عـن الخلـط المألوف في المصـادر البيزنطية المبكـرة بين الهنـود والأحباش وعرب جنـوب شبه الجزيرة العربية، انظر،

Mayerson, Ph., "A Confusion of Indias: Asian India and African India in the Byzantine Sources», *Journal of the American Oriental Society* 1132/(Apr.-Jun., 1993), pp.169174-; Schneider ,P., *L'Éthiopie et l'Inde: Interférences et confusions aux extrémités du monde antique (VIIIe siècle avant J.-C.–VIe siècle après J.-C.)*, École française de Rome, 2004..

ومن المرجح أن هذا الخلط ورثه البيزنطيون عن المصادر الكلاسيكية، إذ خلطت منذ هوميروس وهيرودوت فصاعدا بين الحبشة والهند، انظر الدراسات المتخصصة:

Nadeau, J.Y., «Ethiopians», *Classical Quarterly* 20(1970), pp.339349-; Dihle, A, «The Conception of India in Hellenistic and Roman Literature», *Proceedings of the Cambridge Philological Society* 190= new ser. 10(1964), pp.1523-.

(4) Shahid, I., *Byzantium and the Arabs in the Fourth Century*, Washington, D.C., 1984), p.87.

(5) Newby, G.D., *A History of the Jews of Arabia from Ancient Times to their Eclipse under Islam*, Columbia: University of South Carolina, 1988, p.131 n.34.

الرأي القائل بتأثير يهودي مبكر على التوحيدية الحميرية –التي سنعرض لها لاحقا–، بينما تلمح إلى غياب أي تأثير للمسيحية حتى وقت سفارة ثيوفيلوس.

وتطرح هذه الرواية إشكالية تفسير غياب الإشارة إلى المسيحيين في تقرير ثيوفيلوس، في ظل إشارته الصريحة إلى اليهود، ورغم كونه تقريراً صدر عن سفارة وفدت خصيصًا لاستكشاف الوضع الديني في جنوب الجزيرة العربية. وهي الإشكالية التي دفعت عرفان شهيد إلى الحكم بأن المسيحية لم تدخل المنطقة إلا عندما بلغها ثيوفيلوس، والقول بأن: "هذا يدل على أن مهمة بانطاينوس قبل قرن ونصف لم تسفر عن أية نتائج ملموسة أو دائمة للمسيحية".[١]

ورغم أن الفترة الفاصلة بين زيارة كل من بانطاينوس وثيوفيلوس الهندي إلى جنوب الجزيرة العربية تزيد على قرن ونصف، وهي فترة ليست بالقصيرة وكفيلة بوقوع الكثير من التغيرات، إلا أنه من الصعب توقع حدوث شيء ما –لم تسجله المصادر الأدبية أو النقوش– أدى إلى اختفاء المسيحيين بشكل كامل، خصوصا أن كتابات مؤرخي الكنيسة لم تترك فرصة إلا وتناولت بالتفصيل أحداث الاضطهاد الذي تعرض له المسيحيون داخل وخارج الإمبراطورية خلال القرون الثلاثة الأول للميلاد. كذلك يمكن تفسير غياب الإشارة للمسيحيين في تقرير ثيوفيلوس في ضوء طبيعة مهمته التي اصطبغت بطابع دبلوماسي رسمي في المقام الأول، عكس جهود برثولوميوس وبانطاينوس التبشيرية ذات الطابع الشعبي، ولذا من المحتمل أن ثيوفيلوس لم يلاحظ سوى الوثنيين واليهود الأكثر عددا والأقرب للسلطة الحاكمة. ولعل إشارة فيلوستورجيوس الصريحة إلى وثنية البلاط الحميري، والمعارضة الشديدة التي صادفتها مهمة ثيوفيلوس من اليهود المتواجدين فيه، تمثل شاهدا إضافيا على التركيبة الدينية داخل هذا البلاط، فضلا عن احتوائه على جماعة ضغط يهودية حالت دون الظهور المسيحي على المستوى الرسمي.[٢]

وأيا كان الأمر؛ فإن رواية فيلوستورجيوس عن سفارة ثيوفيلوس الهندي تمثل أول الشواهد المدونة عن اهتمام بيزنطي مباشر بنشر المسيحية في جنوب الجزيرة العربية. ورغم أنها الرواية الوحيدة عن هذه السفارة ومهمتها، إلا أن لدينا شاهداً مصدرياً آخر ربما يتعلق بها، وهو مرسوم أصدره الإمبراطور قنسطنطيوس إلى الوالي البرايتوري موسونيانوس Musonianus في عام (٣٥٦م) أو عام (٣٥٧م) بشأن مبعوثيه في

(1) Shahid, *Byzantium and the Arabs*, p.87.
(2) Philostorgius*, Church History*, pp.41-42.

الإسكندريـة المتوجهين إلى الأحباش والحميريين؛ جاء فيـه "لا يجوز لأي شخص تلقى تعليمات بالذهـاب إلى سلالة الأكسوميين والحميريين ad gentem axumitarum et homeritarum ، مـن الآن فصاعـداً، أن يظل في الإسكندرية عامـا واحدا بعد انتهاء المهلة المحددة، وبعد ذلك لن يحصل على بدل إقامة."(١)

لقـد كان هـدف الإمبراطـور قنسطنطيوس مـن هـذه السفـارة، طبقـا لروايـة فيلوستورجيوس، هو تحويل أهل جنوب الجزيرة العربية إلى المسيحية، إذ "كان يخطط لكسـب زعيم الشعب هناك بروعة وكـثرة هداياه، في محاولة لإيجاد فرصة لغرس بذور الإيمـان فيه، فضلا عن طلـب السماح ببناء كنيسة للرومان المسافرين إلى هناك، ولأي شخـص مـن السكان المحليين قـد يعتنق الإيمان. ولـذا أرسل مع السفـارة مبلغًا هائلا من المال لتغطية تكلفة البناء".(٢) ويستأنف فيلوستورجيوس الحديث عن ظروف التقاء ثيوفيلوس بالحاكم الحميري بقوله: "عند وصـول ثيوفيلوس إلى أهل سبأ، حاول إقناع حاكمهـم باتباع المسيح ونبذ الخطأ الوثنـي. عندئذ سعى اليهود بطريقتهم المعتادة إلى معارضته، غير أن ثيوفيلوس عندما أظهر بالمعجزات الرائعة (التي جرت على يديه) في أكثر من مناسبة إلى أي مدى لا يمكن التغلب على الإيمان بالمسيحية، خفتت المعارضة، بغض النظر عن حنقها، والتزمت الصمت".(٣)

وروايـة بهذه الصيغة تشـي بوضوح بأنه رغم وثنية الحاكـم وأهل الجنوب، إلا أن اليهـود حظوا بنفوذ قـوي وشكلوا جماعة ضغط داخل البلاط، إلى حد تدخلهم المباشر لعرقلـة مهمـة ثيوفيلوس. ولعـل فيلوستورجيوس أراد تفسير سبب اتخـاذ اليهود هذا الموقـف –دون الوثنيـين- بإشارتـه المبطنـة إلى عدائهـم التقليـدي للمسيحية. كذلك يُفهـم مـن الرواية أن ثمة مناظـرة دينية دارت بـين ثيوفيلوس ومعارضيـه من اليهود، وإن لم يشـر إلى ذلـك صراحـة، وأن الأول نجـح بفضل قدراته الخاصـة كأسقف –أو كمـا أشـار النص، بـ"المعجزات"- في الانتصار للمسيحية وتأكيد علو كعبها. والواقع أن هـذا الطابع الدعائي، بمضامينه الإعجازية، كان نمطـا مألوفا في الروايات البيزنطية المتعلقـة بالتبشـير،(٤) أو على حد وصف عرفـان شهيد: "كان المبشـر المتحمس المسلح

---

(1) The Theodosian Code and Novels and the Sirmondian Constitutions, trans. C. Pharr, New York, 1969, p.380.)… nullus ad gentem axumitarum et homeritarum ire praeceptus ultra annui temporis spatia debet alexandriae de ceter demorari nec post annum percipere alimonias annonarias.(.

(2) Philostorgius, Church History, p.40.

(3) Philostorgius, Church History, p.41.

(٤) نفس النمـط تم توظيفـه في الروايات المتعلقـة بالتنصير بين عرب شمـال شبه الجزيـرة العربية؛ إذ رُد تنصير كثير من العرب هناك خلال القرن الخامس الميلادي إلى المعجزات العلاجية التي قام بها كل من

بموهبة الإتيان بالمعجزات على نحو خاص أداة فعالة للتنصير بين البرابرة".[١]

وإذا كان الهدف الأصلي للإمبراطور قنسطنطيوس من السفارة يكمن في محاولة تنصير حاكم الجنوب وبناء كنيسة للمسافرين الرومان ولمن قد يعتنق المسيحية من السكان المحليين، فإن ما حققه ثيوفيلوس فاق ذلك بكثير. وفي ذلك يقول فيلوستورجيوس:

> "كانت سفارته ناجحة؛ حيث تحول حاكم الأمة إلى الإيمان (المسيحي) بكل إخلاص، ولم يقم ببناء كنيسة واحدة فقط في بلاده، بل ثلاث كنائس. ولم يفعل ذلك من الأموال الإمبراطورية التي أتت بها السفارة، بل تبرع بلهفة من ماله الخاص. ذلك لأن أعمال ثيوفيلوس أدهشته لدرجة حرص معها على منافسة حماسته (للمسيحية)؛ فخصص إحدى الكنائس لسائر الشعب في العاصمة ذاتها، المعروفة بظفار Tapharon. وشيد أخرى فيما كان مركز السوق الروماني، المطل على المحيط الخارجي، المعروف بعدن Adana، وهو المكان الذي اعتاد المسافرون من الأراضي الرومانية الإقامة فيه. وكانت الكنيسة الثالثة في الجانب الآخر من البلاد، حيث يوجد هناك مركز لسوق فارسي Περσικόνέμπόριον معروف عند مدخل الخليج الفارسي".[٢]

رابعاً: الرواية الثالثة. قصة الراهبة الأسيرة ثيوجونوستا Theognosta (بعد عام ٣٥٠م):-

هناك رواية أخرى تسجلها النسخة الحبشية لحولية يوحنا أسقف نقيوس[٣] عن

القديسين يوثيميوس Euthymius وشمعون العمودي Simeon the Stylite. Shahid, Byzantium and the Arabs, p.89 n.55. وعن دور المعجزات في تنصير الملكة العربية ماوية Mavia، انظر، Sozomen, History of the Church, trans. E. Walford، London، 1855, pp.307-310. وعن توظيف المعجزات كآلية للتنصير في العصر البيزنطي المبكر، خصوصا بين الحكام الأجانب، انظر، Angelov, Conversion and Empire, pp.10, 64, 100,125، 131, 133.

(1) Shahid, ***Byzantium and the Arabs***, p.89.

(2) Philostorgius, *Church History*, p.41.

(٣) يُعتقد أنه عاش في النصف الثاني من القرن السابع الميلادي؛ إذ ورد في تاريخ البطاركة لساويرس بن المقفع أنه كان مشرفا عاما على أديرة الدلتا خلال الفترة (٦٩٣-٧٠٠م). وقد وصلتنا حوليته باللغة الحبشية، التي يُعتقد أنها ترجمة عن نسخة عربية مفقودة. وهناك من يذهب إلى أن لغة الحولية الأصلية كانت اليونانية أو القبطية. نُشرت النسخة الحبشية لأول مرة مع ترجمة فرنسية على يد هيرمان زوتنبرج Hermann Zotenberg في عام ١٨٨٣م، انظر، Zotenberg, H., Chronique de Jean, Évêque de Nikiou, Paris, 1883. وللحولية عدد من الترجمات العربية، منها ترجمة كامل صالح نخلة في "مجلة صهيون"، العددين ٧-٨، القاهرة، يوليو وأغسطس ١٩٤٨، ويوليو وأغسطس ١٩٤٩. وعمر صابر عبد الجليل، تاريخ مصر ليوحنا النقيوسي: رؤية قبطية للفتح الإسلامي، القاهرة، ٢٠٠٠م.

دخـول المسيحية إلى جنوب الجزيـرة العربية. ورغم أن هـذه الرواية تبدو في ظاهرها مختلفـة مع روايـة فيلستورجيوس عن سفـارة ثيوفيلوس الهنـدي في تحديدها الظرف الذي أدى إلى ذلك، إلا أنها في جوهرها تحمل مضامين يمكن توظيفها في دعم الرواية الأخـيرة، خصوصا فيما يتعلق بتوقيت دخول المسيحية. ففي سياق تناول حنا النقيوسي لأوضاع الإمبراطورية البيزنطية في عهد خلفاء الإمبراطور قسطنطين الكبير، وتحديدا بعد وفاة ابنه قنسطانز الأول Constans I في عام ٣٥٠م، يذكر ما يلي:

"بعد وفاته (قنسطانز) تلقى شعب اليمن معرفة الله (...) من خلال امرأة مقدسـة تُدعى ثيوجونوستا Theognosta. وهي عذراء مسيحية تم أسرها من دير على حدود الإمبراطورية الرومانية (البيزنطية)، وتم نقلها إلى ملـك اليمن وتقديمها له كهدية. وأصبحت هـذه المرأة المسيحية ثرية جـداً بنعمـة الله، وعلى يديها تم الشفاء لكثيريـن. وجلبت ملك الهند إلى الإيمـان؛ فصار مسيحيًا هو وشعبه بفضلهـا. ثم طلب ملك الهند ورعاياه من الإمبراطـور المحب لله، هونوريوس Honorius، أن يعين لهم أسقفا. ففـرح (هونوريوس) فرحـا عظيما لكونهم احتضنـوا الإيمان واتجهوا إلى الله، وعـين لهم أسقفًا مقدسًا، يدعـى ثيونيوس Theonius. (...) وهكذا كان الحـال أيضًا في الهند، أي الهند الكبرى. وكان رجال ذلك البلد سبق لهـم أن استقبلوا رجـلاً يُدعى أفروديـت Afrudit (فرومينتيوس)، الذي يحظـى بنبالة المولـد في بلد الهند، وجعلـوه أسقفا عليهم، بعـد أن رسمه بطريرك الإسكندرية أثناسيوس الرسولي".[1]

ورغم المسحة الهجيوجرافية الظاهرة في هذه الرواية، شأنها في ذلك شأن كثير من روايات التنصير التي ترده إلى معجزات جرت على يد المبشر، إلا أنها تتماهى مع رواية فيلوستورجيوس من عدة أوجه؛ فأحداثها تدور في ذات عهد الإمبراطور (قسطنطيوس الأول)، كمـا أنهـا تشـير إلى تأثير بيزنطـي واضح في دخول المسيحيـة إلى جنوب شبه الجزيرة العربيـة، وإن استبدلت شخصية السفير ثيوفيلوس بالراهبة الأسيرة. والأهم مـن هذا وذاك أن الروايتين تشيران إلى اعتناق الملك الحميري للمسيحية وتأسيس دور للعبادة. صحيح أن رواية فيلوستورجيوس كانت أكثر تحديدا بإشارتها إلى تأسيس ثلاث كنائس في عدن وظفار ومدخل الخليج الفارسي، إلا أن ضرورة وجود تنظيم كنسي وهيئة كهنوتيـة في هذه الكنائس تنسجم مع رواية حنا النقيوسي بشأن طلب ملك الجنوب من

(1) *The Chronicle of John, Bishop of Nikiu Translated From Zotenbserg's Ethiopic Text*, trans. R.H. Charles, Oxford, 1916, pp.69-70.

الإمبراطـور (البيزنطي؟) إرسال أسقف ليشرف على هـذه المؤسسة الكنسية البازغة، علـى الأرجح من كنيسـة العاصمة بظفار. ويبـدو أن الأمر اختلط علـى حنا النقيوسي فنسـب هذا الأمـر إلى الإمبراطـور هونوريوس Honorius، الذي حكم مـن عاصمته رافنـا Ravenna الشطر الغربي من الإمبراطوريـة خلال الفترة (٣٩٥-٤٢٣م). وهذا الفارق الزمني (نحو نصف قرن) والبعد المكاني (بين العاصمتين ظفار ورافنا) يشيان بارتباك ما في تحديد شخوص رواية حنا النقيوسي.

ومما يرجح كـون الإمبراطور المقصـود في رواية حنا النقيوسي هـو قسطنطيوس الأول وليس هونوريوس، أن النقيوسي أشار في خاتمتها إلى حدث ماض -سجلته مصادر معاصـرة أخـرى- بقوله: "كان رجال ذلـك البلد (الحبشة) قد سبق لهـم أن استقبلوا رجـلاً يُدعى أفروديـت Afrudit (فرومينتيوس)...وجعلوه أسقفا عليهم، بعد أن رسمه بطريـرك الإسكندريـة أثناسيوس الرسولي (حوالي عـام ٣٢٨م)".[١] ويبدو أن إشارة النقيوسي غير المتوقعة إلى فرومينتيوس Frumentius في سياق تناوله لدخول المسيحية جنـوب الجزيرة العربية تتصل اتصـالا وثيقا بإحدى المهام التي عهـد بها الإمبراطور قسطنطيوس الأول إلى سفـارة ثيوفيلوس الهندي، وهي تسليم رسالة إلى ملك الحبشة إيزانـا Ezana تطلب استبدال فرومينتيوس (النيقي) بالأسقف (الأريوسي) ثيوفيلوس الهنـدي نفسه، وإرساله إلى الإسكندرية لإعـادة تأهيل إيمانه وفقا للمذهب الأريوسي، وهو الطلب الذي رفضه الملك الحبشي.[٢]

وهنـا قد يكون من الأفضل مناقشة رواية حنا النقيوسي في سياق الصراع المذهبي بـين الأريوسية ممثلة في السلطـة الإمبراطورية والنيقية ممثلـة في كنيسة الإسكندرية وحليفتهـا في الحبشة؛ فمن المحتمل أن النقيوسـي -كأسقف ينتمي للكنيسة المصرية- رغـب في إبعـاد فضل تنصـير ملك الجنـوب وشعبه عـن إمبراطور أريوسـي ورده إلى شخصيـة أخـرى، ويبـدو أنه تأثـر في نسجـه لملامح هـذه الشخصية بنمـوذج أسقف الحبشـة فرومينتيوس. فوفقا لمؤرخي الكنيسة في القرنـين الرابع والخامس الميلاديين، كان فرومينتيوس -مثل الراهبة ثيوجونوستا- أسيرا بيزنطيا من مدينة صور Tyre، تم

(1) Rufinus of Aquileia, *History of the Church*,pp.394-396; Sozomen, *History of the Church*, pp.85-88; Socrates, *History of the Church*, London, 1853, pp.51-52.

(٢) ورد نص هـذه الرسالة في مؤلف أثناسيوس المعنون "دفاع إلى الإمبراطـور قسطنطيوس". Apologia ad Imperatorem Constantium, PG 25, cols. 593f. ويبـدو أن فشـل مهمـة ثيوفيلوس في الحبشـة دفعـت فيلوستورجيوس إلى تجاهـل توضيح طبيعة مهمتـه هناك -كما فعل فيمـا يتعلق بجنوب الجزيـرة العربية-، واكتفى بالقـول: "وصل ثيوفيلوس إلى الأكسوميين، واعتنى بالأمور هناك، ثم عاد إلى الإمبراطورية الرومانية". Philostorgius, Church History, p.43.

اقتيـاده إلى ملـك الحبشة، وسرعان ما حظى بثقته، ونجـح بالمعجزات التي جرت على يديه في جذب الملك الشاب، إيزانا Ezana، وشعبه إلى المسيحية.(١)

خامساً: الرواية الرابعة. التاجر النجراني حَنّان Ḥnāna/حيان Ḥayyān (حوالي ٤٠٠-٤٥٠م):-

هناك رواية أخرى يسجلها كتاب "تاريخ النساطرة" المعروف بـ "حولية سعرت" Chronicle of Se'ert، المدون باللغة السريانية في محيط مسيحي نسطوري في تاريخ غَير محدد بين عامي (٨٦٤-١٠٢٠م)، والذي لم يصلنا إلا في نسخته العربية(٢) ووفقا لهذه النسخة:

> "كان في أرض نجـران باليمن في أيام يزدجـرد تاجر معروف اسمه حنـان Hanān. خرج إلى القسطنطينية في تجارة. وعاد إلى بلده. ثم أراد قصد بلد فارس. واجتاز الحـيرة وألف النصارى وعرف مقالتهم. فتعمد

(١) وفقـا لبقية الرواية، استخدم فرومينتيوس نفوذه في نشر المسيحية، فشجع التجار الأجانب المسيحيين على ممارسـة شعائرهـم علنا، ونجح في تنصير عدد مـن السكان المحليين، ثم ارتحـل إلى الإسكندرية وطلب مـن أسقفهـا أثناسيوس إرسال أسقف وبعض القساوسة كمبشرين إلى الحبشة، لكـن أثناسيوس رأى أن فرومينتيوس ذاتـه هو الأنسب لهذه الوظيفـة، فرسمه أسقفا. وعاد فرومينتيوس إلى الحبشة، ونجح في تنصير الملك إيزانا وسائر شعبه.

Rufinus of Aquileia, History of the Church,pp.394396-; Sozomen, History of the Church, pp.8588-; Socrates, History of the Church, pp.51.52-

وعن تأثير هذه الروايات في نظائرها الحبشية فيما يتعلق بظروف تنصر إيزانا، انظر،

Vila, M., "Frumentius in the Ethiopic Sources: Mythopoeia and Text-Critical Considerations", Rassegna di Studi Etiopici -3rd Serie 1 (2017), pp.87.111-

وعن تحليل لقصة تنصر إيزانا، انظر،

Kaplan, S., "Ezana's Conversion Reconsidered", Journal of Religion in Africa 132/ (1982), 101109-; Munro-Hay, S.C., "The Dating of Ezana and Frumentius", Rassagna di Studi Etiopici 32 (1988), pp.111–127;Haas, Ch., "Mountain Constantines: The Christianization of Aksum and Iberia", Journal of Late Antiquity 11/ (2008), pp. 101–126, esp.107108-, 112.

(2) Nautin, P., "L'auteur de la 'Chronique de Séert': Isho'denah of Basra", Revue de l'histoire des religions 186(1974), pp. 113ff; Robin, Ch.J., "Najrān vers l'époque du massacre: notes sur l'histoire politique, économique et institutionnelle et sur l'introduction du Christianisme", in: Le massacre de Najrān II: juifs et chrétiens en Arabie aux Ve et Vie *siècles regards croisés sur les sources*, ed. J. Beaucamp *et al*., Centre de Recherche d'Histoire et Civilisation de Byzance, Monographies 32; Le massacre de Najrân 2. Paris: Association des amis du Centre d'histoire et civilisation de Byzance, Paris, 2010, pp.64-106, esp.66.

بها وأقام فيها مدة. ثم عاد إلى بلده. ودعا الناس إلى ما دخل فيه، ونصر أهل بيته وجماعة من أهل البلد وتلك الناحية. واتصل به قوم عاونوه على نقل أهل بلد حمير ونواحيه المقاربة لبلد الحبشة إلى النصرانية".[١]

ويؤرخ بعض الباحثين هذا الحدث بمنتصف القرن الخامس الميلادي على اعتبار أن الملك الفارسي الوارد في الرواية هو –في أغلب الظن– يزدجرد الثاني Yazdgrid II الذي حكم خلال الفترة (٤٣٨–٤٥٧م)،[٢] ورغم أن كريستيان روبين لا يستبعد احتمالية كونه يزدجرد الأول Yazdgrid I (٣٩٩–٤٢٠م)، إلا أنه يرجح يزدجرد الثاني بزعم أن تنظيم الهيراركية الكنسية في منطقة الخليج العربي لم يحدث إلا في منتصف القرن الخامس الميلادي.[٣] إلا أنه قد لا تبدو هناك صلة قوية بين اعتناق شخص ما المسيحية أو دخولها نجران ومسألة التنظيم الكنسي هذه، ومن ثم تظل احتمالية حدوث هذا في عهد يزدجرد الأول قائمة، خصوصا أن الإشارة إلى "يزدجرد" دون تمييز قد ترجح كونه يزدجرد الأول، وقد توحي أيضا بأن أصل هذه القصة قد سُجل في عهده، ولسبب ما لم يصلنا وسجلته حولية سِعِرت النسطورية.

ويعقد الباحثون الحديثون صلة بين هذا التاجر النجراني وشخص آخر يُدعى حيان Hayyān ارتبط اسمه بظهور المسيحية في نجران طبقا لمصدر القرن السادس الميلادي السرياني المعروف بـ "كتاب الحميريين"[٤]. إذ يتضمن هذا الكتاب قصة امرأة نبيلة

(1) *Histoire nestorienne: (chronique de Séert*), ed. A. Scher, *Patrologia Orientalis* 5 (1910), pp.219-340, esp.330-331.

(2) Hirschberg, J.W., “Nestorian Sources of North-Arabian Traditions on the Establishment and Persecution of Christianity in Yemen”, Rocznik Orientalistyczny 15 (1939-1949) , pp.321-338, esp.332-333; Robin, “Najrān vers l’époque du massacre”, p.66; Idem, “Arabia and Ethiopia”, in: The Oxford Handbook of Late Antiquity, ed. S.F. Johnson, Oxford, 2012, 296; Forness, Ph.M., Preaching Christology in the Roman Near East: A Study of Jacob of Serugh, Oxford, 2018, p. 122.

(3) Robin, “Najrān vers l’époque du massacre”, p.66.

(٤) كتاب الحميريين، أو الشذرات المتبقية منه، مخطوطة سريانية مجهولة المؤلف، نُسخت في يوم ١٠ أبريل ٩٣٢م، وحملت عنوان "تاريخ أو استشهاد الحميريين المباركين"
The History or Martyrdom of the Blessed Himyarites.
وقد وُجد بالمصادفة بين دفتي غلاف مخطوطة سريانية من القرن الخامس عشر تحتوي على نصوص طقسية للكنيسة اليعقوبية. وكان المخطوط ملكاً لزوجين سويديين ، السيد والسيدة E. G. Wirén، اللذان قدماها إلى Axel Moberg أستاذ اللغات السامية بجامعة لوند Lund، وقام الأخير بدوره بنشر النص مع ترجمة باللغة الإنجليزية في عام ١٩٢٤. ويتناول الكتاب أحداث اضطهاد المسيحيين على يد الملك اليهودي يوسف ذي نواس وحملة ملك أكسوم "كالب" Kaleb ضده. ولسوء الحظ، ما تبقى من هذا الكتاب لا يتضمن

تُدعــى حَبصة Habsa، كانت إحدى ضحايا اضطهــاد المسيحين على يد الملك اليهودي يوســف ذي نواســ. وما يهمنا من القصة أنها تنسب هــذه السيدة إلى جد أعلى أطلقت عليه "حيان الكبير". ووفقا لما جاء فيها:

"في نجــران، كان من بين النساء المؤمنــات النبيلات، اللائي لم يلق اليهود القبض عليهــن لإجبارهــن على إنــكار المسيحية، امــرأة نبيلة اسمها حَبصة ، مــن عائلة حيان Hayyān، ابــن حيــان الكبير، الذي كُتــب عنه قبلا في بداية هذا الكتــاب أنه من خلال رعايته غُرست المسيحية في مدينة نجران، وفي بلد الحميريين". [١]

كمــا تسجل القصة حــوارا دار بين يوسف ذي نواس –المسمى مسروق Masrūq في كتاب الحميريين– وحَبصة، بعد أن تم إلقاء القبض عليها، جاء فيه:

"قال لها مسروق المدنس: من تكون الفتاة؟، فأجابت حَبصة: أنا ابنة حيــان، مــن قبيلة حيان الكبــير، الذي من خلاله غرس ربنــا المسيحية في أرضنا. أما حيان والدي، فهو الذي أحرق عبر الوقت معابدك". [٢]

أية تواريخ مطلقا. ومع ذلك، تكمن أهميته في قائمة محتوياته التي توفر تسلسلًا دقيقًا نسبيًا للأحداث.

Moberg, A., (ed.) The Book of the Himyarites: Fragments of a Hitherto Unknown Syriac Work, Acta Regiae Societatis Humaniorum Litterarum Lundensis 7. Lund, 1924..

وانظر أيضا،

Shahid, I., "The Book of the Himyarites: Authorship and Authenticity", Le Muséon 76 (1963), pp. 349- 362.

(1) Book of the Himyarites, p.123.

(2) Book of the Himyarites, p.123.

يعتقــد جــورج هاتكي George Hatke صلة بين حيان الجد وحيــان الأب في قصة حَبصة وعدداً آخر من الأشخاصــ حملــوا نفس الاسم أو اسماً مشابهاً، وورد ذكرهم في المصــادر المسيحية الشرقية والعربية. إذ أن الفصل السادس من "كتاب الحميريين"، كما جاء في قائمة محتوياته، يتحدث عن غزو حبشي لنجران قبل اندلاع اضطهاد يوسف ذي نواس للمسيحيين، ويحمل عنوان "رواية مجيء حيون Ḥywn والأحباش".

Hatke,G., Africans in Arabia Felix: Aksumite Relations with Himyar in the Sixth Century C.E., PhD. dissertation, Princeton University, 2011, 146f .

وهذا الأمر أكده نقش للنجاشي كاليب، جاء فيه: "قد أشن حربًا على حامير Ḥəmēr (حمير). إذ أرسلت (قبلا) حيان بن زاسمير Zayyān Ibn za-Samīr مع قواتي، فأقام محرابا في حمير".

RIEth 191/34-37: ed. & trans. in: J. Beaucamp, F. Briquel-Chatonnet, Ch.S. Robin, " La persecution de chrétiene de Nagrān et la chronologie Ḥimyarite", Aram 11-12(1999-2000), pp.15-83, esp.39-40 .

وعنــد الطــبري نجد شخصا نجرانيا أفلت من اضطهاد ذي نواس اسمــه "حيان بن فيض". وفي النسخة العربيــة من "استشهاد الحارث" يظهر اسم "حيار بن الفيضــ"؛ هذه المرة كرفيق لنجل الشهيد الحارث في مهمــة لــه إلى الحبشة. حــارث ابراهيــم، "رواية استشهاد القديس الحارث بن كعــب النجراني باللغة العربية"،

وقصة بهذه الصيغة تشير إلى وجود شخصين باسم حيان، أحدهما هو الجد الأعلى لحَبصة، والأخر والدها، وأن المسيحية دخلت نجران على يد الأول ربما منذ عقود مضت. وهي بذلك تبدو متناسبة زمنيا مع قصة التاجر النجراني حَنّان في حولية سعرت النسطورية؛ خصوصا مع تشابه الاسمين. وكما لاحظ كريستيان روبين: "في اللغة السَريانية، كما هو الحال في اللغة العربية، ليس من غير المألوف قراءة حيان بدلاً من حَنّان، والعكس بالعكس، لأن الاسمين لهما رسم بياني متشابه للغاية. لكن النقاط غالبًا ما يتم حذفها. ولذلك فمن المحتمل أن حيان في كتاب الحميريين هو نفس شخصية التاجر حَنّان في حولية سِعِرت؛ التسلسل الزمني نفسه لا يتعارض مع ذلك."(١)

سادساً: الرواية الخامسة. القس الحبشي أزقيرAzqīr (٤٥٥-٤٧٥م):-

إذا كانت الروايات السابقة تنسب ظهور المسيحية في نجران إلى أصل بيزنطي أو محلي، كما يظهر في رواية المؤرخ البيزنطي فيلوستورجيوس عن سفارة ثيوفيلوس الهندي وقصة التاجر النجراني حَنّان/حيان الواردتين في المصدرين السريانيين "حولية سعِرت" و"كتاب الحميريين"، فإن ثمة مصدر عربي مسيحي مفقود وصلنا في نسخته الحَبشية القديمة (الجعزية)، وهو المعروف بـ "جادلا أزقير" Gadla Azqir، أو "استشهاد أزقير"، يرجع أصل المسيحية في نجران إلى قس حبشي يُدعى "أزقير"(٢)

Parole de l'Orient: revue semestrielle des études syriaques et arabes chrétiennes : recherches orientales: revue d'études et de recherches sur les églises de langue syriaque, vol. 30 (2005)،

ص ٢١١-٢٢٧، خصوصا ص٢٢٠. ومن الصعب تحديد ما إذا كانت ثمة علاقة بين أولئك الأشخاص وعائلة حيان الكبير الوارد ذكره في كتاب الحميريين، وإن يظل هذا احتمالا قائما.

(1) Robin, "Najrān vers l'époque du massacre", pp.66-67.

(٢) وفقا لأحدث تحقيق لهذا المؤلف، هناك أكثر من عشرين مخطوطاً له، جميعها باللغة الحبشية القديمة (الجعزية). وهو مؤلف من النوع الهجيوجرافي Hagiography الذي يخلد "أعمال الشهداء". نشره وترجمه لأول مرة الإيطالي كارلو كونتي روسيني Carlo Conti Rossini في عام ١٩١٠ معتمدا على مخطوطتين فقط. وأحدث نشر له –فضلا عن ترجمة إلى الإيطالية– تم على يد الإيطالي إليساندرو باوسي Alessandro Bausi في عام ٢٠١٧م، واعتمد فيه على اثنين وعشرين مخطوطاً أمكنه الوصول إليهم. ويعتقد باوسي أن أحداثه على الأرجح تعود إلى السنوات من ٤٧٠م إلى ٤٧٥م.

Rossini, K. C., "Un Documento sul Cristianesimo nello Iemen ai Tempi del Re Sharahbil Yakuf", Tipografia della R. Accademia dei Lincei, Roma, 1911, pp.705749-; Bausi, A., "Il Gadla Azqir", Adamantius Rivista del Gruppo Italiano di Ricerca su «Origene e la tradizione alessandrina», 23 (2017), pp.341380-, esp.341.

وعن هذا المصدر وأهميته في دراسة الصراع الديني بين اليهودية والمسيحية في جنوب شبه الجزيرة العربية خلال القرن الخامس، انظر،

Beeston, A.F.L., "Martyrdom of Azqir", Proceedings of the Seminar for Arabian

وهو على خلاف قصة حَنّان/حيان، التي لم يحدد مصدراها تاريخ حدوثها بدقة، حدد زمـن أحداثـه بعهد الملـك شرحبيل يانكـف Sarahbi'il Yakkuf، الـذي يتفق الباحثون الحديثون على التأريخ له بالسنوات من ٤٥٥م إلى ٤٧٥م. حيث أن كاتب النص، استهل مؤلفه بالاحتفاء بأزقير قائلاً:

"كفاح واستشهاد الشهيد المقدس آزقير، قس نجران، الذي عَرّف نجران المسيحية لأول مـرة، والـذي نشـر المسيحية في وقـت شرحبيل ينكف، ملك حمـير، ونصب خيمة الصليب للخطابة والوعظ". (١)

وخلاصـة قصـة أزقير أنه سعـى إلى التبشـير في نجران، مما أغضـب نبلاءها، فمزقـوا خيمتـه وكسـروا صليبهـا واقتـادوه إلى ظلمة السجـن، إلا أن المعجـزات التي جرت علـى يديه أذهلت السجنـاء وسجانيهم ودفعتهم إلى اعتنـاق المسيحية. وعندما سمـع الملك شرحبيل ينكـف بذلك، أمر باقتيـاده إلى العاصمة ظفـار للمثول أمامه في القصـر الملكي. وعـبر طريقه إلى ظفار نجحت معجزات أخـرى في اجتذاب عدد كبير إلى المسيحية. وعندما بلغ القصر الملكي، لم يلق التحية على الملك، مما أغضب الأخير، فخاطبـه قائـلاً: "أي عقيدة جديدة تلك التـي أتيت بها إلى أرضـي؟". وبعد أن خاض أزقـير مناظـرة مع كبار رجـال القصر من اليهـود حول المسيحية، هـب أحد أحبارهم واقفـا وأشار على الملك بضـرورة إعادته إلى نجران وإحراقه حياً أمام أهلها اليهود. (٢) وفي نجـران، أعدم معه "مطارنة، وقساوسة، وشمامسة ورهبان، رجالاً ونساءً، والعديد من الأشخاص الأخرين". (٣)

وإذا كان نص بهذه الصيغة يشير بوضوح إلى أن المسيحية دخلت نجران لأول مرة على يد القس الحبشي أزقير خلال الربع الثالث من القرن الخامس، وهي فترة متقاربة نسبيـا مع تلك التـي حددتها "حولية سعـرت" -سواء أكانت الأخـيرة تقصد يزدجرد الأول أم سميـه الثاني-، إلا أن ثمة روايَـة سريانية تشير إلى توجه بعض المسيحيين من

Studies 40 (2005), pp.113118-; Rubin, Z., " 'The Martyrdom of Azqir' and the Struggle between Judaism and Christianity in South Arabia during the 5th Century C.E.", in: Dor Le-Dor: From the End of Biblical Times Up to the Redaction of the Talmud, ed. A. Kasher and A. Oppenheimer, Jerusalem: The Bialik Institute/ Tel-Aviv University, 1995, pp.251- 284.

(1) Bausi, "Il Gadla Azqir", p.353.

(2) Bausi, "Il Gadla Azqir", pp.353-373.

(3) Bausi, "Il Gadla Azqir", p.379.

عرب الجنوب إلى المناطق الحدودية بين سوريا وقليقية لزيارة للزاهد المسيحي شمعون العمـودي Simeon Stylites (المتوفـى عـام ٤٥٩م)، الأمر الذي يقـترح وجود جماعة مسيحيـة في جنوب الجزيرة العربية، لاسيما نجـران، قبل قدوم أزقير إلى الأخيرة.[١] والواقـع أن إشارة "جـادلا أزقير" الصريحة إلى وجود رجال ديـن أخرين كـ "مطارنة وقساوسة وشمامسة" تؤكد وجود هذه الجماعة داخل نجران، كما تقترح بوضوح وجود نـوع من التنظيم الكنسي في نجران قبل أزقـير. وهذا من ناحية يضعف من زعم رواية "جـادلا أزقـير" ، ويطرح مـن ناحية أخرى تسـاؤلات حول مدى موثوقيـة رواية كل من "حوليـة سعـرت" و"كتاب الحميريين" عـن دخول المسيحية على يـد التاجر النجراني حَنّان/حيَان.

وفي هذا السياق، قد يكون من المهم ملاحظة أن المدى الزمني الفاصل بين الأحداث الـواردة في الروايتـين، خصوصا إن كانت رواية "حولية سعرت" تشير إلى عهد يزدجرد الثـاني، لا يسمح بوجود هذا التنظيم الكنسي الذي يبدو مَستقرا، خصوصا إذا وُضع في الاعتبار موقف السلطة في ظفار من المسيحية، خصوصا يهود القصر الملكي، وهو الموقف الـذي تطور من المعارضة زمن سفـارة ثيوفيلوس الهندي (عـام ٣٥٦م) إلى الاضطهاد زمـن أزقير. وهذا يقود - على الأرجح - إلى الفرضية الأكثر ملائمة؛ وهي احتمالية وجود نوع من الاستمرارية في التنظيم الكنسي الذي تأسس بسفارة ثيوفيلوس الهندي مع إنشاء ثـلاث كنائس، إحداهمـا في العاصمة ظفار، وأن الأخيرة - طبقـا لرواية حنا النقيوسي - كانت مقـرا لأسقف طلبه حاكم الجنوب من الإمبراطور قسطنطيوس، خصوصا في ظل غيـاب أية إشارة مصدريـة أخرى عن تأسيس كنائس أخـرى في مملكة حمير منذ ذلك الحين. ولعل النسخة اليونانية لـ "استشهاد الحارث" تدعم - كما أسلفنا - هذه الاحتمالية بإشارتهـا الواضحة إلى مسيحيي فـترة اضطهاد يوسف ذي نواس أوائل القرن السادس بوصفهم استمرار للجماعة المسيحية التي ظهرت وقت سفارة ثيوفيلوس الهندي.

سـابعاً: الرواية السادسـة. الإمبراطور البيزنطي أناستاسيوس الأول Anastasios I (٤٩١-٥١٨م):-

ترد الرواية السادسة والأخيرة عن تنصر جنوب الجزيرة العربية في شذرات كتاب "التاريـخ الكنسي" لمؤلفـه حنـا دياكرينومينوس[٢] John Diacrinomenos (أواخر

(1) Lent, F., "The Life of St. Simeon Stylites: A Translation of the Syriac Text in Bedjan's Acta Martyrum et Sanctorum, Vol. IV", *Journal of the American Oriental Society* 35 (1915), pp.103-198, esp. 136, 172.

(٢) وُلـد حنـا دياكرينومينوس في الشـام أواخـر القرن الخامس الميلادي. كتـب مؤلفه "التاريـخ الكنسي"

القــرن الخامس الميلادي) ، ويذكر فيها : "إن سيلفانوســ Silvanus أسقف الحميريين Σιλουανὸς ἐπίσκοπος τῶν ʿΟμηρηνῶν ، خــال حنــا مــن جهــة أمــه، حثه على كتابــة مؤلــف في التاريخ...". "كان الحميريون (ذلك الشعب الذي كان يدفع الإتاوة في ظـل حكم الفرس، ويقطن المناطق القاصيــة في الجنوب) يدينون باليهودية في الماضي؛ منــذ وقــت أن جاءت ملكة الجنــوب إلى سليمان. لكن بعد أن صــاروا مسيحيين في عهد أناستاسيوس Anastasios تلقوا أسقفا كانوا قد طلبوه ".(١)

يمكــن مقاربة هــذه الرواية أيضــا في سياق الأثــر البيزنطي المستمــر منذ سفارة ثيوفيلوســ الهنــدي؛ وأن إرسال الإمبراطور أناستاسيوســ لسيلفانوس كأسقف لكنيسة جنــوب الجزيرة العربيــة يمثل امتــدادا لسياسة بيزنطيــة بدأت منــذ منتصف القرن الرابــع، كما يُفهم من روايتي فيلوستورجيوس وحنا النقيوسي سالفتي الذكر. وقد اتجه بعضــ الباحثــين إلى تفسير قصد حنــا دياكرينومينوســ على أن الحميريــين "بعد أن صــاروا مسيحيين في عهــد أناستاسيوس تلقوا أسقفا كانوا قد طلبــوه"،(٢) إلا أن صيغة النصــ اليونــاني الأصلي تحتمل التأويــل على الجانبين، بمعنى أنــه يمكن ترجمته على أن الحميريــين "بعــد أن صاروا مسيحيين تلقــوا في عهد أناستاسيوســ أسقفا كانوا قد طلبــوه"؛ خصوصا أن ثمة شواهد مصدرية تتجه عكس احتمالية حدوث تنصر جماعي أو رسمي في هذا العهد.

وقد يكون من الأفضل البــدء بالشواهد البيزنطية والمسيحية الشرقية؛ فمن ناحية لم يكــن دياكرينومينوســ نفسه. على حد قول جورج هاتكــي George Hatke. "ليفوت فرصــة الحديث عن تنصر الملك الحمــيري إن كان مثل هذا الحدث الجدير بالملاحظة

Historia eccleaiastica في عشــرة كتــب تغطي الفترة من عهد ثيودوسيوســ الثاني Theodosios II (عــام ٤٢٩م) إلى عهــد أناستاسيوس الأول. لم يتبــق من مؤلفه سوى شذرات جمعهــا مجهول عند بداية القرن السابع. ذكره فوتيوس Photios في مكتبته.

Blaudeau, H., «Mémoire monophysite et besoins chalcédoniens. Quelques réfexions sur les vestiges de l'Histoire ecclésiastique de Jean Diacrinoménos», *Adamantius* 7 (2001), pp.7697-.

(1) John Diacrinoomenos, ***Ecclesiastical History***, in: Günther, CH.H. (ed.), ***Theodoros Anagnostes Kirchengeschichte***, 2nd ed., Berlin, 1995, pp.152, 157.

(2) Papathanassiou, "Christian Missions", p.136; Forness, ***Preaching Christology***, p.123; Hatke, G., ***Africans in Arabia Felix: Aksumite Relations with Himyar in the Sixth Century C.E.***, PhD. dissertation., Princeton University, 2011, p.96.

قد وقع بالفعل"،(١) كما أن أول ملك مسيحي تسميه المصادر المسيحية الشرقية في جنوب الجزيرة العربية هو معدي كرب يعفر Ma'dīkarib Ya'fur، وتؤرخ لوصوله إلى الحكم بالفترة التي أعقبت مباشرة الغزو الحبشي لحمير في عام ٥١٨م، وكنتيجة له.(٢) ومن ناحية أخرى، لم تذكر المصادر البيزنطية شيئا عن تنصر الحاكم أو الشعب في وقت شهد اتصالا وثيقا بين بيزنطة وجنوب الجزيرة العربية؛ فوفقا لرواية بيزنطية معاصرة سجلها البطريرك فوتيوس Photios في مكتبته the Bibliotheca عن كتاب "التاريخ" المفقود للمدعو نونوسوس Nonnosos، اضطلعت أسرة الأخير بعدد من السفارات البيزنطية الوافدة على وسط وجنوب الجزيرة العربية منذ عهد الإمبراطور أناستاسيوس فصاعدا.(٣) وهذا الشاهد قد يدفع المرء إلى أن الاقتراح بأن نونوسوس -في ظل اتصال أسرته الوثيق بالدبلوماسية مع العرب، فضلا عن اضطلاعه هو نفسه بسفارة إلى الحميريين في عام ٥٣١م(٤) ما كان ليتجاهل ذكر حادث مهم كتنصر الحميريين إن كان قد وقع بالفعل في عهد أناستاسيوس.(٥)

---

(1) Hatke, *Africans in Arabia Felix*, p.96.

(2) *Book of the Himyarites*, p.133.

انظر أيضا،

Robin, “Najrān vers l’époque du massacre”, p.pp.72-73.

(٣) عن دور هذه الأسرة -ذات الأصل العربي- في العلاقات الدبلوماسية بين بيزنطة والعرب، انظر، عبد العزيز رمضان، "معايير اختيار المبعوثين الدبلوماسيين في العصر البيزنطي الباكر"، حوليات مركز البحوث والدراسات التاريخية، كلية الآداب، جامعة القاهرة، أبريل ٢٠١٦م، ص٥٩-٦٠؛

Shahid, I., “Byzantium and Kinda”, Byzantinische Zeitschrift 53/1 (1960), pp.57-73.

(٤) سجل مؤرخو القرن السادس البيزنطيون خبر سفارة أخرى خرج بها الماجستيريانوس جوليانوس Magistrianus Julianus إلى الأحباش والحميريين في ذات السنة.

John Malalas, *The Chronicle of John Malalas*, trans. E. Jeffreys, M. Jeffreys and R. Scott, Melbourne, 1986, p.268 and n.56; Procopius, *History of Wars*, 5 vols., ed. & trans. H.B. Dewing, The Loeb Classical Library, Cambridge Mass., London, I, p.193.

كذلك سجل ماركللينوس كوميس Marcellinus Comes خبر اتصالات دبلوماسية بين الإمبراطور أناستاسيوس و"الهند" -أغلب الظن الحميريين والأحباش- في عام ٤٩٦م، حيث تلقى الإمبراطور هدايا دبلوماسية، كان من بينها فيل وزرافتان. "أرسلت الهند فيلا... وزرافتين كهدية إلى الإمبراطور أناستاسيوس".

Marcellinus Comes, The Chronicle of Marcellinus, ed. & trans. B. Croke, Sydney, 1995, p.30. (***India Anastasio principi elephantum... duasque camelopardalas pro munere misit***.).

(٥) جاء نص رواية فوتيوس كالتالي: "قرأت تاريخ نونوسوس الذي يتضمن وصفا لسفارته إلى الأحباش والحميريين والسراقنة [العرب]، الذين كانوا وقتذاك أمة بالغة القوة... في ذلك الوقت كان جستنيان

ويمكن مناقشة هذه الإشكالية من زاوية أخرى مختلفة ربما تدعم فرضية كون المسيحية دخلت جنوب الجزيرة العربية، ولا سيما نجران، قبل عهد أناستاسيوس، وأن قصد دياكرينومينوس من روايته ببساطة أن بعض الحميريين -المسيحيين بالفعل- طلبوا من الإمبراطور أن يرسل أسقفا لهم. فرغم إمكانية توظيف الشواهد المصدرية البيزنطية والمسيحية الشرقية السابقة كدليل على أن عهد أناستاسيوس لم يشهد تنصرا رسميا في جنوب الجزيرة العربية، إلا أن هذه الشواهد لا تنفي حدوث ذلك. وبالمنطق ذاته؛ لا يمكن اعتبار عدم وجود إشارات في المصادر المسيحية الشرقية إلى أي ملك مسيحي حكم جنوب الجزيرة العربية قبل عام (٥١٨م) دليلا قاطعا على عدم وجود هذا الملك؛ على الأقل في منتصف القرن الرابع كما تصرح روايتي فيلستورجيوس وحنا النقيوسي.

وهنا قد يكون من الأفضل الانتقال إلى الرواية العربية التي سجلها وهب بن منبه في كتابه "التيجان في ملوك حمير"؛ ففي سياق حديثه عن الملك الذي أسماه "عبد كلال بن ينوف" ذكر أنه "كان مؤمنا على دين عيسى وستر إيمانه".[(١)] ويؤرخ ابن منبه لفترة حكم هذا الملك بأربع وستين سنة، وجعله الملك السادس قبل عهد يوسف ذي نواس الذي حكم في عشرينيات القرن السادس الميلادي، بفاصل زمني يزيد على قرنين ونصف، مما يعني أن "عبد كلال" حكم في منتصف القرن الثالث تقريبا.[(٢)] ورغم الصبغة الأسطورية العامة التي تغلب على "كتاب التيجان" ومبالغته الواضحة في التأريخ لفترات حكم ملوك حمير، إلا أن مثل هذه الرواية لا تخلو من دلالة؛ إذ قد

إمبراطورا للرومان [البيزنطيين]، وكان قيس Kaïsos زعيما للسراقنة. إن قيس هذا حفيد الحارث Arethas، الزعيم الذي أُرسل إليه جد نونوسوس كسفير في عهد أناستاسيوس لعقد معاهدة سلام. وبنفس الطريقة تم إرسال ابراهيم Abrames والد نونوسوس على رأس سفارة إلى المنذر... وكان قيس، الذي أُرسل نونوسوس إليه، زعيما لأشهر قبيلتين عربيتين؛ وهما كندة *Chindenes* ومعد *Maadenes*... وبعد ذلك، عُهد لنونوسوس بسفارة إلى قيس، لحثه على زيارة الإمبراطور [جستنيان] إن أمكن، وإلى ملك الأكسوميين...، وإلى الحميريين.

"*The Library of Photius, trans. J.H. Freese, vol.I, New York, 1920, pp.1718-; Photius, The Bibliotheca, trans. N.G. Wilson, London, 1994, pp.27 -28.*

(١) وهب بن منبه، كتاب التيجان في ملوك حمير، نشر مركز الدراسات والأبحاث اليمنية، صنعاء، ١٣٤٧هـ، ص٣١٠.

(٢) ذكر ابن منبه خمسة حكام بين عبد كلال وذي نواس، هم: "تبع بن حسان" بفترة حكم ٧٨ سنة؛ "ربيعة بن مرثد" ٣٧ سنة؛ "حسان بن عمرو" ٣٥ سنة؛ "أبرهة بن الصباح" ٧٣ سنة؛ "لخيعة بن ينوف" ٢٧ سنة. وهب بن منبه، كتاب التيجان، ص٣١٠-٣١٢.

تتقاطع مع روايتي فيلستورجيوس وحنا النقيوسي عن وجود ملك مسيحي في جنوب الجزيرة العربية في منتصف القرن الرابع الميلادي، أو ربما تشير - إن صحت - إلى ملك مسيحي لاحق "ستر إيمانه".

قد يقودنا تعبير "ستر إيمانه"، الذي استخدمه ابن وهب لوصف حالة الملك "عبد كلال"، إلى توظيف مفهوم الاستتار أو "السرية" المسيحي في سياقه الأوسع لتفسير الاختلاف والتعارض الظاهر في روايات المصادر البيزنطية والمسيحية الشرقية بشأن ظروف دخول المسيحية إلى جنوب الجزيرة العربية. إذ أنه من المعروف للمتخصصين أن الاضطهاد الذي تعرض له المسيحيون طوال القرون الثلاث الأولى للميلاد على يد السلطة الرومانية الوثنية[١] منذ عهد الإمبراطور نيرون[٢] Nero في عام ٦٩م دفعهم إلى اللجوء لآلية الجماعة أو الحركة السرية،[٣] إلى أن جاء اعتراف الإمبراطور قسطنطين

(١) يصعب حصر الدراسات التي صدرت عن الاضطهاد الروماني للمسيحيين، ولذا يمكن الاكتفاء بالإشارة إلى الدراسات التالية:

Sherwin-White, A.N., «The Early Persecutions and Roman Law Again», ***Journal of Theological Studies*** 3 (1952), pp.199213-; Idem, «Why were the Early Christians Persecuted?: An Amendment», ***Past and Present*** 27 (1964), pp.2327-; De Ste Croix, G.E.M., «Why were the Early Christians Persecuted?», ***Past and Present*** 26 (1963), pp.638-. (Reprinted in :***Studies in Early Christianity***, Vol. 7: ***Church and Stale in the Early Church***, ed. E. Ferguson, New York, 1993, pp. 1648-; Idem, «Why were the Early Christians Persecuted? A Rejoinder», ***Past and Present*** 27 (1964), pp.2833-; Gutennan, S.L., ***Religious Toleration and Persecution in Ancient Rome***, London, 1951; Frend, W.H.C., ***Martyrdom and Persecution in the Early Church***, New York, 1967; Plescia, J., «On the Persecution of the Christians in the Roman Empire», ***Latomus***, 30 (1971), pp.120·132; Janssen, L. F., «'Superstitio' and the Persecution of the Christians», ***Vigiliae Christianae*** 33 (1979), pp.131-159; Workman, H., ***Persecution in the Early Church***, Oxford, 1980; Keresztes, P., ***Imperial Rome and the Christians: from Herod the Great to about 202 A.D***, Vol. I, New York, 1989, Idem***, Imperial Rome and the Christians: from the Severi to Constantine the Great***, Vol. II, New York, 1989.

(٢) عن اضطهاد نيرون للمسيحيين، انظر،

Clayton, F. W., «Tacitus and Nero's persecution of the Christians», ***The Classical Quarterly*** 40 (1947), pp.8185-; De Ste Croix, G.E.M. «Aspects of the «Great» Persecution», ***The Harvard Theological Review*** 472/ (1954), pp.5113-.

(٣) عن أسلوب العمل السري عند المسيحيين الأوائل، انظر،

Rives, J.B., «The Persecution of Christians and Ideas of Community in the Roman Empire», ***Politiche Religiose nel Mondo Antico e Tradoantico***, ed. G. A. Cecconi and C. Gabrielli, Bari, 2011, pp.199216-.

بالمسيحية كديانة شرعية في الإمبراطورية عام ٣١٣م، ليتيح الفرصة للمسيحيين للخروج بإيمانهم من إطار العمل السري إلى التبشير الصريح. ومن المعروف أيضا أن اليهود طوال هذه القرون الثلاثة كانوا أكثر تشددا من الرومان في معارضة وكراهة انتشار المسيحية رغم كونهم شكلوا أقليات في ولايات الإمبراطورية الرومانية.(١)

وتشي الشواهد المصدرية إلى أن ثمة وضع مشابه –إلى حد ما– كان كائنا في جنوب الجزيرة العربية، خصوصا في القرنين الخامس والسادس الميلاديين؛ فمنذ وقت مبكر –كما تشير رواية فيلوستورجيوس– شكل اليهود جماعة ضغط في البلاط الحميري عارضت سفارة ثيوفيلوس الهندي التبشيرية، وربما يمكن اتخاذ وجود جماعة الضغط هذه كمفسر لغياب الإشارة إلى أي وجود مسيحي في تقرير السفارة. ويبدو أن هذا الرفض اليهودي لم يظل قاصرا على المعارضة اللفظية، بل يبدو أنه تطور حتى بلغ ذروته في شكل العنف الجسدي عندما تهيأ لهم ملك يهودي على العرش؛ وأعني هنا اضطهاد الملك اليهودي يوسف ذو نواس لمسيحيي نجران في عام٥٢٣م.

إلا أن هذا التحول من المعارضة اللفظية إلى العنف الجسدي لم يكن مفاجئا. صحيح أن اضطهاد يوسف ذو نواس هو الأكثر شهرة نظرا لورود أخباره بالتفصيل في النقوش والمصادر التاريخية ولاستئثاره بنصيب وافر من الدراسات الحديثة، إلا أنه فيما يبدو لم يكن الأول أو الوحيد، بل سبقته حالات اضطهاد جزئية ومحدودة سجلتها لنا المصادر المعاصرة. إذ تظهر "جادلا أزقير" بوضوح وجود نخبة يهودية من العلمانيين والأحبار في قصر شرحبيل ينكف ضغطت في اتجاه اضطهاد مسيحيي نجران، وهو الاضطهاد الذي تم بمباركة من الملك ومشاركة حصرية –كما تشير الرواية في أكثر من موضع– من يهود نجران.(٢) كذلك تضم قائمة محتويات "كتاب الحميريين" فصلين يلمحان إلى وجود اضطهاد غير محدد التاريخ، لكنه سابق على عهد يوسف ذو نواس؛ إذ حمل الفصل الرابع –المفقود– عنوان: "سرد يقص كيف أن

---

(١) عن موقف اليهود من المسيحية في الإمبراطورية الرومانية، انظر
،Hare, D., *The Theme of Jewish Persecution of the Christians in the Gospel According to St. Matthew*, Cambridge, 1967; Momigliano, A., *On Pagans, Jews and Christians*, Middletown, 1987; Dunn, J.D.G., *The Parting of the Ways between Christianity and Judaism and their Significance for the Character of Christianity*, London, 1991; Setzer, C., *Jewish Responses to Early Christians: History and Polemics*, 30- 150 C.E, Minneapolis, 1994; Hopkins, K., *A World Full of Gods: Pagans, Jews and Christians in the Roman Empire*, London, 1999.

(2) Bausi, “Il Gadla Azqir”, p.369-377.

الأسقف توماس ذهب إلى الأحباش وأخبرهم أن الحميريين يضطهدون المسيحيين"،[١] بينما جاء عنوان الفصل الثامن: "سرد يقص بداية اضطهاد مسروق (يوسف ذو نواس)، وحرق الكنيسة في مدينة ظفار، ومذبحة الأحباش فيها".[٢] وإذا صح كون شمعون الأرشمي Symeon of Beth Arsham تُوفي عام ٥٢١م -كما يرجح بعض الباحثين-[٣] فإن رسالتيه "عن الشهداء الحميريين"[٤] و"تاريخ أو استشهاد الحميريين المباركين"[٥] يتعلقان باضطهاد سابق على عهد يوسف ذي نواس. وحتى إن كان

---

(1) *Book of the Himyarites*, p.3.

(2) *Book of the Himyarites*, p.4.

(٣) يقترح هاتكي أن هناك اضطهاداً مبكراً حدث ربما عام ٥١٨م

.Robin, “Najrān vers l’époque du massacre”, p.68; Forness, ***Preaching Christology,*** p.119; Hatke, ***Africans in Arabia Felix***, p.95.

بينما يرى باحثون أخرون أن خطاب شمعون الأرشمي- الذي ألقاه في مؤتمر الرملة- مؤرخ بعام ٥٢٤م، انظر،

Shahid, I., «Byzantino-Arabica: The Conference of Ramla, A.D. 524», ***Journal of Near Eastern Studies*** 232/ (1964), pp.11531-.

(٤) نشر جوزيف أسيماني Joseph S. Assemani الرسالة الأولى في بداية القرن الثامن عشر الميلادي، ثم أعاد نشرها إيجانزو جويدي Iganzo Guidi وترجمها إلى الإيطالية في عام ١٨٨١م. وترجمها آرثر جيفري Arthur Jeffery إلى الإنجليزية.

Assemani, J.S., in: ***Bibliotheca Orientalis***, 1: 36479-; Guidi, I., «La lettera di Simeone vescovo di Bêth-Arśâm sopra i martiri omeriti», ***Atti della Reale Accademia Nazionale dei Lincei, Serie Terza: Memorie della Classe di Scienze morali, storiche e filologiche*** 7 (1881), pp.471515-; Jeffery, A., «Three Documents on the History of Christianity in South Arabia», ***Anglican Theological Review*** 273/ (1945), pp.195205-; Idem, «Christianity in South Arabia», ***The Muslim World*** 363/ (1946), pp.204206-..

انظر أيضا،

Shitomi, Y., “Réexamen des deux lettres attribuées à Siméon de Bēth-Aršām, relatives à la persécution de Nağrān”, in: ***Études sud-arabes. Recueil offert à Jacques Ryckmans***, Louvain la Neuve, 1991, pp. 207-225; Briquel-Chatonent, F., “Recherches sur la tradition textuelle et manuscrite de la letter de Siméeon de Bet Arsham”, in: ***Le massacre de Najrān II: juifs et chrétiens en Arabie aux Ve et Vie siècles regards croisés sur les sources***, ed. J. Beaucamp et al., Centre de Recherche d’Histoire et Civilisation de Byzance, Monographies 32; Le massacre de Najrân 2. Paris: Association des amis du Centre d’histoire et civilisation de Byzance, Paris, 2010, pp.123-141. وانظر أيضا، .Halévy, J., “Un dernier mot sur la lettre de Siméon de Beit-Arscham”, ***Revue sémitique d’épigraphie et d’histoire ancienne*** 8 (1900), pp.88-95.

(٥) أما الخطاب الثاني فقد نشره عرفان شهيد .Shahid, The Martyrs of Najran. النص السرياني في الصفحات من iii إلى xxxii، أما الترجمة الإنجليزية والملاحظات ففي الصفحات (٤٣-١١١). انظر أيضا

الخطـاب الأول -الــذي ألقاه في اجتمــاع رملة -Ramlah يعود إلى عــام (٥٢٤م)، كما يقــترح عرفان شهيــد، فإن ما تضمنه يشــي بأن الاضطهاد اليهــودي لم يكن وليد عهد ذي نواســ، إذ جــاء فيه: "إن يهود طبرية يرسلــون أحبارهم سنة بعد أخرى، ومن وقت لأخر، لإثارة الاضطرابات ضد مسيحيي حمير".[١]

ويبــدو أن موقــف اليهود المعادي للمسيحية كان لــه تأثير ما على ظهورها في جنوب الجزيــرة العربية، ولا سيما نجــران، حتى عشرينيات القــرن السادس الميلادي. وربما يمكــن عقــد صلة بين هذا التأثير ومــا اتفق عليه الباحثون الحديثــون بشأن كون جنوب شبــه الجزيرة العربية بــدأ يهجر الوثنية ويتعرف على نوع مــن العقيدة التوحيدية منذ منتصــف القــرن الرابع الميلادي، ويستنــدون في ذلك إلى أن هــذا التوقيت شهد ظهور نقوش كُرست لإله سُمى "رحمن" Rahman، ووُصف بأنه "رب السماء" و"رب السماء والأرضــ".[٢] ورغم أن الغالبية العظمى من هذه النقوشــ لا تتضمن سوى هذا المسمى

Devos, P., «Quelques aspects de la nouvelle lettre, récemment découverte, de Siméon de Beth-Arsham sur les martyrs himyarites», *IV Congresso internazionale di studi etiopici*. Problemi attuali di scienza e di cultura 191, Roma: Accademia Nazionale dei Lincei, 1974, pp.107116-; Shitomi, Y., «Réexamen des deux lettres attribuées à Siméon de Bêth Aršâm, relatives à la persécution des chrétiens de Nagrân», in: *Études sud-arabes. Recueil offert à Jacques Ryckmans*. Publications de l'Institut Orientaliste de Louvain 39, Louvain-la-Neuve: Université Catholique de Louvain, Institut orientaliste, 1991, pp. 207 -224; Taylor, D.G.K., «A Stylistic Comparison of the Syriac Ḥimyarite Martyr Texts Attributed to Simeon of Beth Arsham», in: *Juifs et Chrétiens en Arabie aux Ve et VIe siècles. Regards croisés sur les sources*, ed. J. Beaucamp, *et al*.. Centre de Recherche d'Histoire et Civilisation de Byzance, Monographies 32; Le massacre de Najrân 2. Paris: Association des amis du Centre d'histoire et civilisation de Byzance, 2010, pp. 143- 176.

(1) Guidi, *La lettera di Simeone*, pp.478, 494.

(٢) سجل كريستيان روبن نقشا مكتشفا حديثا ومؤرخا بعام ٣٥٥م يتضمن مثل هذه الصيغ التوحيدية.
Robin, Ch., «Himyar et Israël», *Comptes rendus des séances de l'Académie des inscriptions et Belles-Lettres* 1482/ (2004), pp.831908-, esp.837 n.35..
بينمــا تعــود أولى النقوشــ التوحيديــة الملكيــة إلى عــام ٣٨٤م في عهــد ملــوك حمــير: ملكي كــرب يهأمن Malkīkarib Yuha'min وولديه ذرع أمر أيمن Dhara' 'amar Ayman وأبو كرب أسعد
Abīkarib As'ad.Müller, W.W., «Religion und Kult im antiken Südarabien», in: *Polytheismus und Monotheismus in den Religionen des Vorderen Orients*, ed. M. Krebernik and J. Oorschot, Münster, 2002, pp.175194-, esp.190191-..
وأنظر أيضا جدول النقوش التوحيدية منذ منتصف القرن الرابع عند
Gajda, I., «Les débuts du monothéisme en Arabie du Sud», *Journal asiatique* 290 (2002), pp.61130-, esp.6258-..

والنعـوت العامة التي لا تشير صراحة إلى تأثير أي من الديانتين التوحيديتين الكبيرتين آنـذاك، اليهودية والمسيحية،[١] فـإن بعض الباحثين يميلون إلى الاعتقاد في كونه تأثيراً مبكراً لليهودية، ويعتمدون في ذلك على نقش (من ظفار) مؤرخ بالربع الأخير من القرن الرابـع، ويسجـل قيام شخص يدعى يهـودا ياكـوف Yahūdā Yakkūf بتشييد منزل له بمساعدة "رب السمـاء والأرض" وبـ "صلاة شعب إسرائيل" (B-ṢLT Š'B YŚR'L).[٢] فضـلا عن نقش آخر ورد فيـه "شعب إسرائيل" مؤرخ بأبريـل ٤٧٠م في عهد شرحبيل ينكف، الوارد اسمه في "جادلا أزقير".[٣]

ويتجه أنصار هذه الفرضية إلى التأكيد على أن اليهودية وجدت طريقها إلى جنوب الجزيـرة العربية في وقت مبكر؛ فعلى حد قولهـم أن اليهودية دخلت المنطقة في حوالي القـرن الأول الميـلادي - إن لم يكـن قبـل ذلك - ، ثـم اعتنقها ملوك حمـير بين القرنين الرابـع والسادس الميلاديـين، وإن لم يعتنقها جميع السكان.[٤] كما يعلق فرانسوا بركيل Francoise Briquel على تهود الملك يوسف ذو نواس بقوله: "تعود أدلة انتشار اليهودية في الجزيرة العربية إلى ما قبل القرن السادس بكثير. ونمتلك بشأن جنوبها شواهد عن تأثـير اليهودية تعـود إلى ما قبل عهد نواس...وعلى ذلك لم يكـن تهود ذي نواس حدثا ذي خصوصية جديدة.[٥] أما كريستيان روبن فقد ذهب إلى أبعد من ذلك باقتراحه أن

---

(١) عن هذه النقوش ذات الدلالة الغامضة، انظر
Gajda, I., «Les débuts», p. 619, n.18, 19; Robin, «Himyar et Israël», pp.443844-, 882890-; Robin, «Judaisme», pp. 170172-.

(2) Müller, "Religion und Kult", p.190; Robin, "Himyar et Israël", p.848; Idem,"La diffusion des relligions monothélists en Arabie du sud avant l' Islam", ***Revue du Monde Musulman at de la Méditerranée*** 61 (1991-2), pp.144-150; Nebes, N., "The Martyrs of Najran and the End of the Himyar: On the Political History of South Arabia in the Early Sixth Century", in: ***The Qur'an in Context. Historical and Literary Investigations into the Qur'anic Milieu***, ed. A. Neuwirth, N. Sinai and Marx, Leiden, 2010, pp.27-59, esp.63-39.

(3) Hatke, ***Africans in Arabia Felix***, pp.91-92.

(4) Papathanassiou, "Christian Missions", p.135; Ryckmans, J., ***La persécution des chrétiens Himyarites au sixième siècle***, Uitgaven Nederlands hist.-arch. Instituut te Istambul 1. Istambul: Nederlands Historisch-Archaeologisch Instituut te Istanbul, 1956, p.12; Smith, S., "Events in Arabia in the 6th century AD", ***Bulletin of the Schoo1 of Oriental and African Studies*** 16 (1954), p.462; Beeston, A. F. L., "The Religions of Pre-Islamic Yemen", in: ***L' Arabie du Sud***, ed. J. Chelhod, I (1984), pp.259-269, esp.276-277.

(5) Briquel, F., "The Syriac sources relating to the persecution of Christians of Najran in South Arabia", The Harp 8-9 (July 1995-1996), pp.41-51.

ملـوك حمير التزموا اليهودية، وإن ميز بـين درجتين من هذا الالتزام، بقوله: "الدرجة الأولى هي التقيد بقيم ومعتقدات اليهود، مع المشاركة في طقوسهم وأعيادهم، ولكن دون الانفصـال عن طريقة الحياة والتقليد. أما الدرجة الثانية فتتمثل في التحول الحقيقي، مـع تغيير الهوية والانخراط في المجتمـع اليهودي.[١] ويرى روبن أن الملوك من أبي كرب أسعـد (حوالي ٤٠٠-٤٤٠م) إلى نهاية القرن الخامس تمسكوا بيهودية الدرجة الأولى، حتـى جاء يوسـف ذو نواس وتبنى يهودية الدرجة الثانيـة.[٢] وهو الرأي الذي علق عليه هاتكـي بقولـه: "حتى إن كان ملوك حمير في القرن الخامـس أتباعا اسميين لدين ربما لم يعرفوا عنه إلا القليل، فلا يمكن أن نشك في كون رعاياهم اليهود قد استفادوا كثيرًا مـن الدعم الرسمي الذي، كما توضح جادلا أزقير، جـاء على حساب المجتمع المسيحي في حمير".[٣]

برغـم التسليم بالوجود اليهودي الواضح في جنوب الجزيرة العربية، والذي تؤكده أكـثر روايات المصادر المسيحيـة الشرقية المستخدمة في هذا البحـث، إلا أن ثمة سؤال لم تجـب عنه الفرضية آنفة الذكر يتعلق بكيفيـة تبرير تواصل استخدام نفس العبارات التوحيديـة الغامضـة طوال القـرن الخامس؛ هل كـان ملوك حمير بحاجـة إلى إخفاء ولائهـم - أو علـى الأقل ميلهـم - لليهودية؟ أو بعبارة أخرى أكـثر مباشرة: لماذا لم تظهر مفـردات تشي بيهوديتهم على أي من نقوشهم؟. وبأية حال فإن أصحاب هذه الفرضية لم يتمكنـوا من التدليل على كون هذه العبارات التوحيدية تشير إلى اليهودية، خصوصا أن توظيـف نقوش لمواطنين يهود بهدف المقاربة أو الإسقـاط على الملوك أمر قد تشوبه الدقـة؛ فلا خلاف حول وجـود جماعة يهودية في جنوب الجزيـرة العربية تبوأت مكانا بارزا في قصور بعض ملوك حمير، إلا أن ذلك لا يعني بالضرورة اعتناق أو موالاة جميع ملوك حمير لليهودية في القرن الخامس الميلادي.

لقـد لمح عدد من الباحثـين الحديثين، في ظل غياب نقوش صريحة تدل على ولاء أولئك الملوك لليهودية، إلى وجود قصور ما في الفرضية التي تبنوها؛ فناشرا نقش الملك شرحبيل ينكف في معسال Ma›sal، والمؤرخ بعام ٤٧٤م، وجدا صعوبة في تفسير إصرار الملـك على تكريس نقشه للإله "رحمن"، رغم أن اليهودية –وفقا لطرحهما- كانت قد ترسخـت في جنوب الجزيرة العربية وقتذاك، وفي الوقت الذي اقترحا أن "اليوم لم يعد ثمـة شك في أن اليهودية كانـت ديانة الدولة لمملكة حمير"، وجـدا نفسيهما مضطرين

(1) Robin, Ch., “Le judaïsme de Ḥimyar”, ***Arabia*** 1(2003), pp.97-172, esp. 148.
(2) Robin, “Le judaïsme de Ḥimyar”, p.148.
(3) Hatke, *Africans in Arabia Felix*, p.94.

إلى الإقـرار بأنــه "مع ذلــك؛ تظل النقوش الملكيــة أكثر غموضــا في مفرداتها الدينية، الأمــر الذي يشــي بأنه كان لدى حكام حمــير، باستثناء الملك يوسف أســأر يثأر، بعض الممانعــة تجاه التصريح بولائهم لليهودية". [١] كذلك، لاحظ الباحثون أن فترة حكم كل من مرثدئيــل ينــوف Marthad'īl Yanūf العرش (حــوالي ٥٠٤-٥١٨م) ومعدي كرب يعفر (حــوالي ٥١٨-٥٢٣م)، وحتى اعتلاء يوسف السلطة عام(٥٢٢م) شهدت اختفاءً لنقوش المواطنين اليهود في جنــوب شبه الجزيرة العربية، [٢] وهو مــا فسره كريستيان روبــن بكون مرثدئيل ينــوف ومعد كرب يعفر نبــلاء مسيحيين ساعدتهــم أكسوم لبلوغ السلطــة. [٣] ولعل هــذه الشواهد تضعف من فرضية أن كافة ملــوك حمير أيدوا علانية اليهوديــة، بل يظل استخدامهم لعبارات دينية غامضة في نقوشهم أمرا يحتمل تأويلات مختلفــة، أحدهم أن نفــوذ النخبة اليهودية في حمير حالــت دون ظهور مسيحي صريح على المستويين الشعبي والرسمي، وأن عداء هذه النخبة المعلن للمسيحية لم يمكن ملوك حمير من إعلان ولاءهم الديني على نحو صريح، ربما لأن بعضهم حرص على استقرار الأوضــاع في مملكته دون توترات دينية. وبأية حال فإن الشواهد المصدرية، سواء كانت النقوشــ أم الأدبيــة، لا تعارضــ فكرة وجود ملــك مسيحي - أو علــى الأقل متعاطف مع المسيحيــين- خلال القرنين الرابع والخامســ الميلاديين، لكنه كما أشار بن وهب - رغم أسطورية رواياته - "ستر إيمانه".

---

(1) Prioletta, A., & Arbach, M., "Ḥimyar en Arabie déserte auVe siècle de l'ère chrétienne: une nouvelle inscription historique du site de Maʾsal (Arabie Saoudite)", *Académie des inscriptions & belles-lettres* (2016), II, pp.917-957, esp.948-950..

مــن الملاحــظ أن كريستيان روبن، وهو مــن أكثر الباحثين المؤيدين لفكــرة أن "المسيحية نفذت إلى جنوب الجزيــرة العربيــة في وقت متأخــر، وهذا يرجــع إلى الاختيــار الاستراتيجي لزعماء حمــير الذين دعموا اليهودية"، لم يجد ما يدعم رأيه، فافترض ما أسماه "الدعم السري"

.Robin, «Najrān vers l'époque du massacre», p.64.

(2) Robin, "Himyar et Israèl", pp.871-872; Shitomi, Y., "A New Interpretation of the Monumentum Adulitanum", *Memoirs of the Research Department of the Toyo Bunko* 55 (1997), pp.81-102; Hatke, *Africans in Arabia Felix*, pp.94-96.

(3) Robin, "Himyar et Israèl", pp.871-872..

يسجــل كتــاب الحميريين قصــة امرأة مسيحيــة تُدعى روم Rūm ابنــة Azma اقرضت الملــك معد كرب (معد كرم) مبلغا من المال. Book of Himyarites, p.83

ثامناً: الخاتمة :

يمكـن القول بأن الروايـات المصدرية عن أحداث اضطهاد الملـك اليهودي يوسف ذي نواس لمسيحيي نجران تظهـر - في حد ذاتها - بوضوح وجود جماعة مسيحية تحظى بمؤسسـة كنسيـة،[١] وهـي بذلك تدعـم روايـات المصـادر المسيحية الشرقيـة سالفة الذكـر، وتؤكد استمرارية وجود أساقفة آخريـن في نجران منذ منتصف القرن الرابع؛ فبالإضافة إلى ثيونيوس المذكور في رواية حنا النقيوسي كأسقف - ربما في ظفار - وقتذاك، وسيلفانوس أسقف ظفار أواخر القرن الخامس، يشير "كتاب الحميريين" إلى أسقفين لمدينـة نجـران، كلاهما حمـل اسم "بولـس"، ورُسما علـى التوالي بيـد فيلوكسينوس Philoxenos أسقف مابوج Mabug.[٢]

---

(١) يقدر شمعون الأرشمي في خطابه الثاني عدد ضحايا هذا الاضطهاد بألفي مسيحي
Shahid, Martyrs of Najran, vii, 11/47; xxxii, 15/64.

وهناك أرقام أخرى يسجلها كل من
Müller, "Himyar." p.314; Fiaccadori, "Homerites", p.78.

وتشـير النسخـة اليونانية لاستشهاد الحـارث أن الاضطهاد طال المسيحيين من الحميريـين والفرس والأحباش والرومان.
Robin, «Najrān vers l'époque du massacre», p.72

(٢) جـاء في هـذه الإشارة مـا نصه: "لقد جمعـوا [يوسـف وأعوانه] عظام الشهـداء، وعظـام الأسقف مار بولـس، الـذي كان قد رُسم كأول أسقف لمدينة نجران على يد المقدس مـار إكسينايا، المعروف أيضا باسم فيلوكسينوس. ... الآن جمعـوا أيضا وأحرقوا عظامه مع المقدس مار بولس، وهـو أسقف آخر رُسم كثاني أسقف لمدينة نجران على يد نفس [الشخص] مار إكسينايا، أسقف مابوج".
Book of Himyarites, vi-vii, 46.

تاسعاً: المصادر والمراجع :

أ. المصادر الأجنبية :-

1- Athanasius of Alexandria, *Apologia ad Imperatorem Constantium*, *PG* 25, cols. 593f.

2- Bausi, A., (ed. & trans.) "Il Gadla Azqir", *Adamantius Rivista del Gruppo Italiano di Ricerca su "Origene e la tradizione alessandrina"*, 23 (2017), pp.341-380.

3- Detoraki, M., (ed.), *Le martyre de saint Aréthas et de ses compagnons (BHG 166)*, trad. J. Beaucamp, Paris, 2007.

4- Eusebius, *Kirchengeschichte*, ed. E. Schwartz, Leipzig 1903, pp.450-452; Eusebius, *The Ecclesiastical History*, ed. & trans. K. Lake, The Loeb Classical Library 39, London, New York, 1926, vol.1.

5- Guidi, I., (ed.& trans.) "La lettera di Simeone vescovo di Bêth-Arśâm sopra i martiri omeriti", *Atti della Reale Accademia Nazionale dei Lincei, Serie Terza: Memorie della Classe di Scienze morali, storiche e filologiche* 7 (1881), pp.471- 515.

6- Hieronymus, *De Viris Illustribus, Liber ad Dextrum*, *PL* 23, cols. 683-686; Eng. trans. E.C. Richardson, in: Nicene and Post-Nicene Fathers, ed. Ph. Scaff, vol.3, New York, 1893.

7- Jeffery, A., (trans.) "Three Documents on the History of Christianity in South Arabia", *Anglican Theological Review* 27/3 (1945), pp.195-205.

8- John Diacrinoomenos, *Ecclesiastical History*, in: Günther, CH.H. (ed.), *Theodoros Anagnostes Kirchengeschichte*, 2nd ed., Berlin, 1995.

9- John Malalas, *The Chronicle of John Malalas*, trans. E. Jeffreys, M. Jeffreys and R. Scott, Melbourne, 1986.

10- John of Nikiu, *Chronique de Jean, Évêque de Nikiou*, ed. H. Zotenberg, Paris, 1883. English Translation: *The Chronicle of John, Bishop of Nikiu Translated From Zotenbserg's Ethiopic Text*, trans. R.H. Charles, Oxford, 1916.

11- Lent, F., (trans.) "The Life of St. Simeon Stylites: A Translation of the Syriac Text in Bedjan's Acta Martyrum et Sanctorum, Vol. IV",

Journal of the American Oriental Society 35 (1915), pp.103-198.

12- Marcellinus Comes, *The Chronicle of Marcellinus*, ed. & trans. B. Croke, Sydney, 1995.

13- Moberg, A., (ed.) *The Book of the Himyarites: Fragments of a Hitherto Unknown Syriac Work*, Acta Regiae Societatis Humaniorum Litterarum Lundensis 7. Lund, 1924.

14- Phiostorgius, *Kirchengeschichte. Mit dem Leben des Lucian von Antiochien und den Fragmenten eines arianischen Historiographen*, ed. J. Bidez, rev. F. Winkelmann, Leipzig, 1913. English Translation: *Church History*, trans. Ph. R. Amidon, Brill: Leiden, Boston, 2007.

15- Photius, *The Library of Photius*, trans. J.H. Freese, vol.I, New York, 1920.

16- Photius, *The Bibliotheca*, trans. N.G. Wilson, London, 1994.

17- Procopius, *History of Wars*, 5 vols., ed. & trans. H.B. Dewing, The Loeb Classical Library, Cambridge Mass., London, 1914-1928.

18- Rossini, K. C., (ed.) "Un Documento sul Cristianesimo nello Iemen ai Tempi del Re Sharahbil Yakuf", *Tipografia della R. Accademia dei Lincei*, Roma, 1911, pp.705-749.

19- Rufinus of Aquileia, *History of the Church*, trans. Ph. R. Amidon, The Catholic University of America Press, Washington, D.C., 2016.

20- Scher, A., (ed.) *Histoire nestorienne: (chronique de Séert*), *Patrologia Orientalis* 5 (1910), pp.219-340ز

21- Shahid, I., (ed.& trans.), *The Martyrs of Najran. New Documents*, Brussels, 1971.

22- Sozomen, *History of the Church*, trans. E. Walford, London, 1855.

23- Theodosius II, *The Theodosian Code and Novels and the Sirmondian Constitutions*, trans. C. Pharr, New York, 1969.

ب. المراجع الأجنبية :-

24- Beaucamp, F. Briquel-Chatonnet, Ch.S. Robin, " La persecution de chrétiene de Nagrān et la chronologie Ḥimyarite", Aram 11-12(1999-2000), pp.15-83.

25- Beeston, A.F.L., "The Realm of King Yusuf (Dhu Nuwas)", Bulletin of the School of Oriental and African Studies 38/1 (1975), pp. 124-126.

26- Beeston, A. F. L., "The Religions of Pre-Islamic Yemen", in: L' Arabie du Sud, ed. J. Chelhod, I (1984), pp.259-269.

27- Beeston, A.F.L., "Martyrdom of Azqir", Proceedings of the Seminar for Arabian Studies 40 (2005), pp.113-118.

28- Blaudeau, H., "Mémoire monophysite et besoins chalcédoniens. Quelques réfexions sur les vestiges de l'Histoire ecclésiastique de Jean Diacrinoménos", Adamantius 7 (2001), pp.76-97.

29- Briquel-Chatonent, F., "The Syriac sources relating to the persecution of Christians of Najran in South Arabia", The Harp 8-9 (July 1995-1996), pp.41-51.

30- Briquel-Chatonent, F., "Recherches sur la tradition textuelle et manuscrite de la letter de Siméeon de Bet Arsham", in: Le massacre de Najrān II: juifs et chrétiens en Arabie aux Ve et Vie siècles regards croisés sur les sources, ed. J. Beaucamp et al., Centre de Recherche d'Histoire et Civilisation de Byzance, Monographies 32; Le massacre de Najrân 2. Paris: Association des amis du Centre d'histoire et civilisation de Byzance, Paris, 2010, pp.123-141.

31- De Blois, F., "The Date of the "Martyrs of Nagrān", Arabian Archaeology and Epigraphy 1/2-3 (1990), pp. 110-128.

32- Deramey, J., "Les martyrs de Nedjran au pays des Homérites en Arabie (522-525)", Revue de l'histoire des religions 14/2 (1893), pp.14-42.

33- Devos, P., "Quelques aspects de la nouvelle lettre, récemment découverte, de Siméon de Beth-Arsham sur les martyrs himyarites", IV Congresso internazionale di studi etiopici. Problemi attuali di scienza e di cultura 191, Roma: Accademia Nazionale dei Lincei, 1974, pp.107-116.

34- Dihle, A, "The Conception of India in Hellenistic and Roman Lit-

erature", Proceedings of the Cambridge Philological Society 190= new ser. 10(1964), pp.15-23.

35- Forness, Ph.M., Preaching Christology in the Roman Near East: A Study of Jacob of Serugh, Oxford, 2018.

36- Gajda, I., "Les débuts du monothéisme en Arabie du Sud", Journal asiatique 290 (2002), pp.611-30.

37- Halévy, J., "Examen critique des sources relatives à la persécution des chrétiens de Nedjran par le roi juif des Himyarites", Revue des études juives 181889) 36-35/), pp.16178-161 ,42-.

38- Halévy, J., "Un dernier mot sur la lettre de Siméon de Beit-Arscham", Revue sémitique d'épigraphie et d'histoire ancienne 8 (1900), pp.8895-.

39- Haas, Ch., "Mountain Constantines: The Christianization of Aksum and Iberia", Journal of Late Antiquity 1/1 (2008), pp. 101–126.

40- Hatke,G., Africans in Arabia Felix: Aksumite Relations with Himyar in the Sixth Century C.E., PhD. dissertation, Princeton University, 2011.

41- Hirschberg, J.W., "Nestorian Sources of North-Arabian Traditions on the Establishment and Persecution of Christianity in Yemen", Rocznik Orientalistyczny 15 (1939-1949) , pp.321-338.

42- Jeffery, A., "Christianity in South Arabia", The Muslim World 36/3 (1946).

43- Kaplan, S., "Ezana's Conversion Reconsidered", Journal of Religion in Africa 13/2 (1982), 101-109.

44- Mayerson, Ph., "A Confusion of Indias: Asian India and African India in the Byzantine Sources", Journal of the American Oriental Society 113/2 (Apr.-Jun., 1993), pp.169-174.

45- Mingana, A., "The Early Spread of Christianity in India", Bengal Journal of Religion and Literature 10(1926).

46- Müller, W.W., "Religion und Kult im antiken Südarabien", in: Polytheismus und Monotheismus in den Religionen des Vorderen Orients, ed. M. Krebernik and J. Oorschot, Münster, 2002, pp.175-194.

47- Munro-Hay, S.C., "The Dating of Ezana and Frumentius", Rassagna di Studi Etiopici 32 (1988), pp.111–127.

48- Nadeau, J.Y., "Ethiopians", Classical Quarterly 20(1970), pp.339-349.

49- Nautin, P., "L'auteur de la 'Chronique de Séert': Isho'denah of Basra", Revue de l'histoire des religions 186(1974).

50- Nebes, N., "The Martyrs of Najran and the End of the Himyar: On the Political History of South Arabia in the Early Sixth Century", in: The Qur'an in Context. Historical and Literary Investigations into the Qur'anic Milieu, ed. A. Neuwirth, N. Sinai and Marx, Leiden, 2010, pp.27-59.

51- Neill, S., A History of Christianity in India, Cambridge, 1984.

52- Newby, G.D., A History of the Jews of Arabia from Ancient Times to their Eclipse under Islam, Columbia: University of South Carolina, 1988.

53- Papathanassiou, A.N., "Christian Missions in Pre-Islamic South Arabia", Theologia (Athēnai) 65/1(1994), pp.133-140.

54- Pereira, E., & Francisco, M., (eds.), Historia dos martyres de Nagran: versão Ethiopica, Lisbona: Imprensa Nacional, 1899.

55- Prioletta, A., & Arbach, M., "Ḥimyar en Arabie déserte auVe siècle de l'ère chrétienne: une nouvelle inscription historique du site de Maʾsal (Arabie Saoudite)", Académie des inscriptions & belles-lettres (2016), II, pp.917-957.

56- Robin, Ch., "La diffusion des relligions monothélists en Arabie du sud avant l' Islam", Revue du Monde Musulman at de la Méditerranée 61 (1991-2), pp.144-150.

57- Robin, Ch., "Le judaïsme de Ḥimyar", Arabia 1(2003), pp.97-172.

58- Robin, Ch., "Himyar et Israèl", Comptes rendus des séances de l'Académie des inscriptions et Belles-Lettres 148/2 (2004), pp.831-908.

59- Robin, Ch.J., "Najrān vers l'époque du massacre: notes sur l'histoire politique, économique et institutionnelle et sur l'introduction du Christianisme", in: Le massacre de Najrān II: juifs et chrétiens en Arabie aux Ve et Vie siècles regards croisés sur les sources, ed. J. Beaucamp et al., Centre de Recherche d'Histoire et Civilisation de Byzance, Monographies 32; Le massacre de Najrân 2. Paris: Association des amis du Centre d'histoire et civilisation de Byzance,

Paris, 2010, pp.64-106.

60- Robin, Ch.J., "Arabia and Ethiopia", in: The Oxford Handbook of Late Antiquity, ed. S.F. Johnson, Oxford, 2012.

61- Rubin, Z., " 'The Martyrdom of Azqir' and the Struggle between Judaism and Christianity in South Arabia during the 5th Century C.E.", in: Dor Le-Dor: From the End of Biblical Times Up to the Redaction of the Talmud, ed. A. Kasher and A. Oppenheimer, Jerusalem: The Bialik Institute/ Tel-Aviv University, 1995, pp.251-284.

62- Ryckmans, J., La persécution des chrétiens Himyarites au sixième siècle, Uitgaven Nederlands hist.-arch. Instituut te Istambul 1. Istambul: Nederlands Historisch-Archaeologisch Instituut te Istanbul, 1956.

63- Schneider ,P., L'Éthiopie et l'Inde: Interférences et confusions aux extrémités du monde antique (VIIIe siècle avant J.-C.–VIe siècle après J.-C.), École française de Rome, 2004.

64- Shahid, I., "Byzantium and Kinda", Byzantinische Zeitschrift 53/1 (1960), pp.57-73.

65- Shahid, I., "The Book of the Himyarites: Authorship and Authenticity", Le Muséon 76 (1963), pp. 349 -362.

66- Shahid, I., "Byzantino-Arabica: The Conference of Ramla, A.D. 524", Journal of Near Eastern Studies 23/2 (1964), pp.115-31.

67- Shahid, I., "The Martyrs of Najrān: Miscellaneous Reflections", Le Muséon 931980) 2-1/), pp. 149 -161.

68- Shahid, I., Byzantium and the Arabs in the Fourth Century, Washington, D.C., 1984.

69- Shahid, I., "The Martyrs of Najrân: Further Reflections", Le Muséon 1031990) 2-1/), pp. 151 -153.

70- Shahid, I., "On the Chronology of the South Arabian Martyrdoms", Arabian Archaeology and Epigraphy 5/1 (1994), pp. 66-69.

71- Shahid, I., "The Martyresses of Najrān", in: Aegyptus christiana. Mélanges d'hagiographie égyptienne et orientale dédiés à la mémoire du P. Paul Devos bollandiste, ed. U. Zanetti and E. Lucchesi, Cahiers d'Orientalisme 25. Genève: Patrick Cramer, 2004, pp.123-133.

72- Shitomi, Y., “De la chronologie de la persécution de Nağrān”, Orient: Reports of the Society for Near Eastern Studies in Japan 26 (1990), pp. 27-42.

73- Shitomi, Y., “Une note sur la chronologie de la persécution de Nağrān”, in: Humana condicio. La condition humaine, ed. A. Théodoridès, P. Naster and A. van Tongerloo, Acta Orientalia Belgica 6, Bruxelles/ Louvain-la-Neuve /Leuven: Société Belge d’Études Orientales, 1991, pp. 355-361.

74- Shitomi, Y., “Réexamen des deux lettres attribuées à Siméon de Bêth Aršâm, relatives à la persécution des chrétiens de Nagrân”, in: Études sud-arabes. Recueil offert à Jacques Ryckmans. Publications de l’Institut Orientaliste de Louvain 39, Louvain-la-Neuve: Université Catholique de Louvain, Institut orientaliste, 1991, pp. 207-225.

75- Shitomi, Y., “A New Interpretation of the Monumentum Adulitanum”, Memoirs of the Research Department of the Toyo Bunko 55 (1997), pp.81-102.

76- Smith, S., “Events in Arabia in the 6th century AD”, Bulletin of the Schoo1 of Oriental and African Studies 16 (1954).

77- Tardy, R., Najrân: Chrétiens d’Arabie avant l’Islam. Recherches publiées sous la direction de l’Institut de Lettres Orientales de Beyrouth, Nouvelle serie: B. Orient chretién 8, Beyrouth: Dar el-Machreq, 1999.

78- Taylor, D.G.K., “A Stylistic Comparison of the Syriac Ḥimyarite Martyr Texts Attributed to Simeon of Beth Arsham”, in: Juifs et Chrétiens en Arabie aux Ve et VIe siècles. Regards croisés sur les sources, ed. J. Beaucamp, et al.. Centre de Recherche d’Histoire et Civilisation de Byzance, Monographies 32; Le massacre de Najrân 2. Paris: Association des amis du Centre d’histoire et civilisation de Byzance, 2010, pp. 143-176.

79- Van Esbroeck, M., “L’ Éthiopie à l’époque de Justinien: S. Arethas de Neğran et S. Athanase de Clysma”, Congresso Internazionale di Studi Etiopice, Rome, 1979, pp. 116-193.

80- Van Rompay, L., “The Martyrs of Najran: Some Remarks on the Nature of the Sources”, in: Studia Paulo Naster oblata II: Orientalia Antiqua, ed. J. Quaegebeur, Orientalia Lovaniensia Analecta

13, Leuven: Departement Oriëntalistiek/ Peeters, 1982, pp. 301-309.

81- Vila, M., “Frumentius in the Ethiopic Sources: Mythopoeia and Text-Critical Considerations”, Rassegna di Studi Etiopici -3rd Serie 1 (2017), pp.87-111.

جـ. المصادر العربية والمعربة :-.

٨٢- حارث ابراهيم، "روايةاستشهادالقديسالحارثبنكعبالنجرانيباللغةالعربية"، *Parole de l’Orient: revue semestrielle des études syriaques et arabes chrétiennes : recherches orientales: revue d’études et de recherches sur les églises de langue syriaque,* vol. 30 (2005)، ص ٢١١-٢٢٧.

٨٣- حنا النقيوسي، ترجمة كامل صالح نخلة، "مجلة صهيون"، العددين ٧-٨، القاهرة، يوليو وأغسطس ١٩٤٨، ويوليو وأغسطس ١٩٤٩؛ وترجمة عمر صابر عبد الجليل، تاريخ مصر ليوحنا النقيوسي: رؤية قبطية للفتح الإسلامي، القاهرة، ٢٠٠٠م.

٨٤- وهب بن منبه، كتاب التيجان في ملوك حمير، نشر مركز الدراسات والأبحاث اليمنية، صنعاء، ١٣٤٧هـ .



الدراسـة الثانية

النصرانية في جنوب شبه الجزيرة العربية في ضوء رؤية المؤرخ البيزنطي فيلوستورجيوس (حوالي ٣٦٨ـ٤٣٠ / ٤٤٠م)

بقلم . أ.د. عبدالعزيز بن محمد رمضان



الدراسة الثانية

النصرانية في جنوب شبه الجزيرة العربية في ضوء رؤية المؤرخ البيزنطي فيلوستورجيوس (حوالي ٣٦٨ - ٤٣٠/ ٤٤٠م)

أ. د. عبدالعزيز بن محمد رمضان [1]

أولا. المقدمة :-

يتفق الباحثون الحديثون على أن جنوب الجزيرة العربية بدأ يهجر الوثنية ويتعرف على نوع من العقيدة التوحيدية منذ منتصف القرن الرابع الميلادي، ويستندون في ذلك إلى أن هذا التوقيت شهد ظهور نقوش كُرست لإله سُمي "رحمن" Raḥman، ووُصف بأنه "رب السماء" و"رب السماء والأرض".[2] ورغم أن الغالبية العظمى من

---

(١) للمزيد عن سيرة الدكتور عبد العزيز انظر الدراسة الأولى في هذا الكتاب .

(٢) سجل كريستيان روبن نقشا مكتشفا حديثا ومؤرخا بعام ٣٥٥م يتضمن مثل هذه الصيغ التوحيدية. Robin, Ch., "Himyar et Israël", *Comptes rendus des séances de l'Académie des inscriptions et Belles-Lettres* 148/2 (2004), pp.831-908, esp.837 n.35.. بينما تعود أولى النقوش التوحيدية الملكية إلى عام ٣٨٤م في عهد ملوك حمير: ملكي كرب يهأمن Malkīkarib Yuha'min وولديه ذرع أمر أيمن Dhara' 'amar Ayman وأبو كرب أسعد Abīkarib As'ad. Müller، W.W.، "Religion und Kult im antiken Südarabien"، in: *Polytheismus und Monotheismus in den Religionen des Vorderen Orients*، ed. M. Krebernik and J. Oorschot, Münster, 2002, pp.175-194، esp.190-191.. وأنظر أيضا جدول النقوش التوحيدية منذ منتصف القرن الرابع عند Gajda، I., "Les débuts du monothéisme en Arabie du Sud", *Journal asiatique* 290

هــذه النقوشـ لا تتضمن سـوى هذا المسمى والنعـوت العامة التي لا تشـير صراحة إلى تأثير أي مـن الديانتين التوحيديتين آنذاك، اليهودية والمسيحية،[١] فإن بعض الباحثين يميلـون إلى الاعتقاد في أنـه تأثير مبكر لليهودية؛[٢] ويعتمـدون في ذلك على نقش عُثر عليه في ظفار، مؤرخ بالربع الأخير من القرن الرابع، ويسجل قيام شخص يدعى يهودا ياكوف Yahūdā Yakkūf بتشييد منزل له بمساعدة "رب السماء والأرض" وبـ "صلاة شعـب إسرائيـل" [B-ṢLT Š'B YŚR'L] . هذا فضلا عن نقش أخـر ورد فيه "شعب إسرائيل" [Š'B YŚR'L] مؤرخ بأبريل ٤٧٠م في عهد شرحبيل يانكف.[٣]

ويتجه أنصار هذه الفرضية إلى التأكيد على أن اليهودية وجدت طريقها إلى جنوب الجزيـرة العربية في وقت مبكر؛ فعلى حد قولهـم أن اليهودية دخلت المنطقة في حوالي القـرن الأول الميـلادي –إن لم يكـن قبل ذلك–، ثـم اعتنقها ملوك حمـير بين القرنين الرابـع والسادس الميلاديين، وإن لم يعتنقها جميع السكـان.[٤] إذ يعلق فرانسوا بركيل Francoise Briquel علـى تهـود الملـك يوسـف ذو نواس، ملك حمـير في أوائل القرن

..(2002), pp.611-30, esp.625-8.

(١) عـن هـذه النقوشـ ذات الدلالـة الغامضـة، انظـر، Gajda, I., "Les débuts", p. 619, n.18, 19; Robin, "Himyar et Israèl", pp.443-844, 882-890; Robin, Ch., "Le judaïsme de Ḥimyar", *Arabia* 1(2003), pp.97-172, esp.170-172.

(2) Müller, "Religion und Kult", p.190; Robin, "Himyar et Israèl", p.848; Idem,"La diffusion des relligions monothélists en Arabie du sud avant l' Islam", ***Revue du Monde Musulman at de la Méditerranée*** 61 (1991-2), pp.144-150; Nebes, N., "The Martyrs of Najran and the End of the Himyar: On the Political History of South Arabia in the Early Sixth Century", in: ***The Qur'an in Context. Historical and Literary Investigations into the Qur'anic Milieu,*** ed. A. Neuwirth, N. Sinai and Marx, Leiden, 2010, pp.27-59, esp.63-39.

وانظـر باللغـة العربية، ذكرى عبـد الملك المطهر، الصـراع الديني في جنوب الجزيـرة العربية من القرن الرابـع حتى القرن السادسـ، رسالة ماجستير، كليـة الآداب، جامعة صنعـاء، ٢٠٠٣م، ص١٦–٣٧؛ كوثر محمد سعيد محمد علي، حادثة الأخدود بين المصادر العربية والمصادر القديمة: دراسة تاريخية حضارية، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، ٢٠١٥م، ص١١١–١٢٠.

(3) Hatke, ***Africans in Arabia Felix***, pp.91-92.

(4) Papathanassiou, A.N., "Christian Missions in Pre-Islamic South Arabia", ***Theologia (Athēnai)*** 65/1(1994), pp.133-140, esp.135; Ryckmans, J., ***La persécution des chrétiens Himyarites au sixième siècle***, Uitgaven Nederlands hist.-arch. Instituut te Istambul 1. Istambul: Nederlands Historisch-Archaeologisch Instituut te Istanbul, 1956, p.12; Smith, S., "Events in Arabia in the 6th century AD", ***Bulletin of the Schoo1 of Oriental and African Studies*** 16 (1954), p.462; Beeston, A. F. L., "The Religions of Pre-Islamic Yemen", in: ***L' Arabie du Sud***, ed. J. Chelhod, I (1984), pp.259-269, esp.276-277..

السادس الميلادي، بقوله: "تعود أدلة انتشار اليهودية في الجزيرة العربية إلى ما قبل القرن السادس بكثير. ونمتلك بشأن جنوبها شواهد عن تأثير اليهودية تعود إلى ما قبل عهد ذونواس...وعلى ذلك لم يكن تهود ذو نواس حدثا ذي خصوصية جديدة"(١) أما كريستيان روبن فقد ذهب إلى أبعد من ذلك باقتراحه أن ملوك حمير التزموا اليهودية، وإن ميز بين درجتين من هذا الالتزام، بقوله: "الدرجة الأولى هي التقيد بقيم ومعتقدات اليهود، مع المشاركة في طقوسهم وأعيادهم، ولكن دون الانفصال عن طريقة الحياة والتقليد. أما الدرجة الثانية فتتمثل في التحول الحقيقي، مع تغيير الهوية والانخراط في المجتمع اليهودي. ويرى روبن أن الملوك من أبو كرب أسعد (حوالي ٤٠٠-٤٤٠م) إلى نهاية القرن الخامس تمسكوا بيهودية الدرجة الأولى، حتى جاء يوسف ذو نواس وتبنى يهودية الدرجة الثانية.(٢) وهو الرأي الذي علق عليه هاتكي بقوله: "حتى لو كان ملوك حمير في القرن الخامس أتباعاً اسميين لدين ربما لم يعرفوا عنه إلا القليل، فلا يمكن أن نشك في كون رعاياهم اليهود قد استفادوا كثيرًا من الدعم الرسمي الذي جاء على حساب المجتمع المسيحي في حمير".(٣)

وبرغم التسليم بالوجود اليهودي الواضح في جنوب الجزيرة العربية، إلا أن ثمة سؤال لم تجب عنه الفرضية آنفة الذكر يتعلق بكيفية تبرير تواصل استخدام نفس العبارات التوحيدية الغامضة طوال القرن الخامس. وقد لمح عدد من الباحثين الحديثين، في ظل غياب نقوش صريحة تدل على ولاء أولئك الملوك لليهودية، إلى وجود قصور ما في الفرضية التي تبنوها؛ فناشرا نقش الملك شرحبيل يانكف في معسال Ma›sal، والمؤرخ بعام ٤٧٤م، وجدا صعوبة في تفسير إصرار الملك على تكريس نقشه للإله "رحمن"، رغم أن اليهودية -وفقا لطرحهما- كانت قد ترسخت في جنوب الجزيرة العربية وقتذاك، وفي الوقت الذي اقترحا أن "اليوم لم يعد ثمة شك في أن اليهودية كانت ديانة الدولة لمملكة حمير"، وجدا نفسيهما مضطرين إلى الإقرار بأنه "مع ذلك؛ تظل النقوش الملكية أكثر غموضا في مفرداتها الدينية، الأمر الذي يشي بأنه كان لدى حكام حمير، باستثناء الملك يوسف أسأر يثأر، بعض الممانعة تجاه التصريح بولائهم لليهودية".(٤) كذلك من الملاحظ أن كريستيان روبن، وهو من أكثر الباحثين

(1) Briquel, F., "The Syriac sources relating to the persecution of Christians of Najran in South Arabia", *The Harp* 8-9 (July 1995-1996), pp.41-51.

(2) Robin, "Le judaïsme", p. 148.

(3) Hatke,G., *Africans in Arabia Felix: Aksumite Relations with Himyar in the Sixth Century C.E.*, PhD. dissertation, Princeton University, 2011, p.94.

(4) Prioletta, A., & Arbach, M., "Ḥimyar en Arabie déserte auVe siècle de l’ère

المؤيديـن لفكرة أن "المسيحية نفـذت إلى جنوب الجزيرة العربية في وقت متأخر، وهذا يرجـع إلى الاختيـار الاستراتيجي لزعماء حمـير الذين دعموا اليهوديـة"، لم يجد ما يدعم رأيه، فافترض ما أسماه "الدعم السري" لليهودية.[١]

وفي الوقـت الـذي يبدو هذا الطـرح لا يجيب على تساؤلات مهمـة، أهمها: هل كان ملـوك حمـير بحاجـة إلى إخفاء ولائهـم –أو على الأقل ميلهـم- لليهوديـة؟ أو بعبارة أخـرى أكـثر مباشرة: لماذا لم تظهر مفـردات تشي بيهوديتهم علـى أي من نقوشهم؟، فـإن أصحابه لم يتمكنوا أيضًـا من التدليل على كون هذه العبارات التوحيدية تشير إلى اليهوديـة، خصوصا أن توظيف نقوشـ لمواطنين يهود بهدف المقاربـة أو الإسقاط على الملـوك أمر قـد تشوبه الدقة؛ فلا خلاف حول وجود جماعـة يهودية في جنوب الجزيرة العربيـة تبوأت مكانا بارزا في قصور بعض ملوك حمـير، إلا أن ذلك لا يعني بالضرورة اعتناق أو موالاة جميع ملوك حمير لليهودية في القرن الخامس الميلادي.

علـى الجانب الآخر ناقش عرفان شهيد Irfan Shahid القضية من زاوية مختلفة؛ وذلـك في سيـاق مناقشته لرواية المـؤرخ الكنسي فيلوستورجيوس Philostorgius[٢]- المتـوفى حوالي عـام ٣٦٤م- بشأن إرسـال الإمبراطور البيزنطـي قنسطنطيوس الثاني (٣٣٧-٣٦١م) Constantius II لأحـد رجالـه الأريوسيـين[٣]، وهو المدعـو ثيوفيلوس

chrétienne: une nouvelle inscription historique du site de Maʾsal (Arabie Saoudite)", *Académie des inscriptions & belles-lettres* (2016), II, pp.917-957, esp.948-950.

(١) Robin, "Najrān vers l'époque du massacre", p.64 . كذلـك، لاحـظ الباحثـون أن فترة حكم كل مـن مارثدئيـل ينـوف Marthad'īl Yanūf العرش (حوالي ٥٠٤-٥١٨م) ومعـد كرب يعفور (حوالي ٥١٨-٥٢٣م)، وحتـى اعتلاء يوسف السلطة عام ٥٢٢م شهـدت اختفاءً لنقوش المواطنين اليهود في جنوب الجزيـرة العربيـة، وهو ما فسره كريستيـان روبن بكون مارثدئيل ينوف ومعد كـرب يعفر نبلاء مسيحيين ساعدتهـم أكسـوم لبلـوغ السلطـة. Robin, "Himyar et Israël", pp.871-872; Shitomi, Y., "A New Interpretation of the Monumentum Adulitanum", *Memoirs of the Research Department of the Toyo Bunko* 55 (1997), pp.81-102; Hatke, *Africans in Arabia Felix*, pp.94-96.

(٢) مـؤرخ كنسـي عاشـ في القرنين الرابـع والخامس الميلاديـين. لا نعرف عنه سـوى أنه وُلـد في بوريسوس بقبادوقيـا، ربما من عائلـة أريوسية. انتقل للعيش في القسطنطينية وهـو في العشرين من عمره. وقد فُقد أصـل كتابـه، إلا أن فوتيوسـ، مؤرخ القـرن التاسع، ضمنهـا في عمله "المكتبة". كذلك نقـل عنه مؤرخون لاحقـون، الأمـر الـذي مكّن الباحثـين من إعادة بنـاء مؤلفه. لمزيد مـن التفاصيل انظـر، Lankina, A, *Reassessing Historiography in Late Antiquity: Philostorgius on Religion and Empire*, PhD Dissertation, University of Florida, 2014, p.11ff.

(٣) الأريوسيـة مذهـب مسيحـي منسـوب إلى القسـ السكنـدري أريوسـ (حـوالي ٢٥٠-٣٣٦م)، ومـؤداه أن المسيـح مخلـوق وغـير مسـاوي للآب، وهـو الرأي الـذي شجبه مجمـع نيقية عـام ٣٢٥م واعتـبره هرطقة. Wiles, M., *Archetypal heresy: Arianism through the Centuries*. Oxford: Clarendon Press, 1996, p.5.

الهنـدي، في مهمة تنصيرية إلى مملكة حمير في جنـوب الجزيرة العربية (حوالي عام ٣٥٦م). إذ فنـد مقاربة بعض الباحثين التي تتخذ من غياب الإشارة للمسيحية في هذه النقوشـ دليلا على فشل سفارة ثيوفيلوس في تحقيـق هدفها، مقترحا أن الاعتماد على النقوش وحدها قد يكون مضللا بشكل كامل، بل ربما يمكن تفسيرها في غير صالح ذات المقاربة. ويرى شهيد بعدم وجود مبرر للتشكيك في رواية فيلوستورجيوس لكونها شاهداً أدبيـاً لم يجد ما يدعمه من النقوشـ، مدافعا عنها بقوله أن معرفتنا بأحداث اضطهاد مسيحيـي نجـران على يد الملك اليهـودي يوسف ذي نواس أوائل القـرن السادس بدأت بالمصادر الأدبية قبل اكتشاف النقوش التي أكدت صحتها[١].

وبوجـه عامٍ، دافع شهيد عـن رواية فيلوستورجيوس بقولـه: "عندما يكون المصدر الأدبـي موثوقـاً به ينبغـي أن نتخـذه شاهدا على إشكاليـة دخول المسيحيـة إلى جنوب الجزيـرة العربيـة في القرن الرابع؛ وهذا هو حـال رواية فيلوستورجيوسـ، فهي ليست مجـرد عبارة قصيرة أو غامضة بحيث يمكن احتمال إساءة تفسيرها أو فهمها، بل هي روايـة جديرة بالثقـة سجلها شخص عاش لفترة طويلة بعد سفـارة ثيوفيلوس الهندي، كما أنها تمتلئ بالتفاصيل التي تحمل طابع الأصالة. ومن ثم ينبغي أن تكون هذه الرواية دليلا على الوجود المسيحي في جنوب الجزيرة العربية في القرن الرابع، حتى وإن لم يتم العثور على نقوش مسيحية مؤكدة تدعمها".[٢]

وبعيـدا عن فرضية شهيد، انساق عدد مـن الباحثين العرب -في إشاراتهم العابرة لسفـارة ثيوفيلوس- وراء فرضية دخول المسيحيـة المتأخر إلى جنوب الجزيرة العربية، واستبعـدوا، شأن أنصار هـذه الفرضية، أن تكون هذه السفـارة قد حققت أهدافها في إدخال عدد كبير من السكان المحليين في المسيحية.[٣] بينما اتجه البعض الأخر -بشكل

(1) Shahid, I., *Byzantium and the Arabs in the Fourth Century*, Washington, D.C., 1984, pp.100-103.

(2) Shahid, *Byzantium and the Arabs*, p.103.

(٣) يفترض هؤلاء الباحثين وجود أهداف تجاريـة وسياسية للسفارة، وحدد بعضهم تاريخ السفارة خطأً بعام ٣٤١م أو ٣٤٥م. انظـر، عائشة سعيد أبو الجدايل، ديانة شهداء نجـران: قراءة جديدة للمصادر الأولية، حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية، الرسالة ٢٢٢، الحولية ٢٥، ٢٠٠٤م، ص١٧-١٨؛ نورة عبد الله النعيم، الحالـة الدينية في نجـران قبل الإسلام، أدوماتـو، ع٩٢، يناير ٢٠٠٤م، صـ٥١-٦٠، خاصة ص٥٧؛ كوثر محمـد سعيد محمد علـي، حادثة الأخدود، صـ١٣٥-١٣٦؛ ذكرى عبد الملك المطهـر، الصراع الديني في جنـوب الجزيرة العربية، ص٤٣. ذكر جواد علي تاريخين للسفـارة، هما ٣٥٤م و٣٥٦م، واقترح أن هدفها سياسـي لضـم حمير والحبشـة إلى معسكر البيزنطيين. انظـر، جواد علي، المفصـل في تاريخ العرب قبل الإسـلام، ج٦، ط٢، بغـداد، ١٩٩٣م، ص٦١٢-٦١٣. أما جورج قنواتي فأشـار بإيجاز -في ثلاثة أسطر- ودون مناقشـة إلى صعوبـة قبول رواية فيلوستورجيوس متأثرا بالـرأي القائل بدخول المسيحية المتأخر إلى

عابــر وفي سطــر واحد- إلى الجــزم بأن السفــارة نجحت في نشــر المسيحية في جنوب الجزيرة العربية دون تقديم المبررات التي استندوا إليها في هذا الجزم.(١)

ولأن معاصــرة هــذه السفارة بأهدافها التنصيرية لظهــور نقوش توحيدية لا تحدد ماهيــة هــذا الدين التوحيــدي أمر يمكن تفســيره في صالح فرضيــة تواجد مسيحي في جنــوب الجزيــرة العربية منتصف القــرن الرابع الميــلادي، فإن هــذه الدراسة تهدف إلى إعــادة مناقشــة القضيــة من خلال روايــة المــؤرخ البيزنطــي فيلوستورجيوس عن تاريــخ وظروف دخول المسيحية إلى جنــوب الجزيرة العربية، وبمعزل عن مشكلة غياب الإشارات الصريحة إليها في نقوش القرنين الرابع والخامس الميلاديين، وذلك بمقاربة هــذه الروايــة ببعض شواهد المصــادر الأدبية الأخرى، ســواء البيزنطيــة أو المسيحية الشرقية التي لم يُلتفت إليها من قبل الباحثين الحديثين.

ثانيًا. رواية فيلوسـتورجيوس وإشـكالية دخول المسـيحية إلى جنوب الجزيرة العربية:

ووفقــا لرواية فيلوستورجيوس، اضطلع ثيوفيلوس الهنــدي بتكليف من الإمبراطور قسطنطيوس الثاني بسفارة دبلوماسية "إلى موطنه" لإعداد تقرير مفصل عن عقائد أهلــه، الذيــن دعاهــم "هــذا الجنس من الهنــود"، و"الــذي عُرف قديمــا بالسبئيين، نسبــة إلى عاصمتــه سبأ، بينما صــار الآن يُعرف بالحميريــين *Homeritae*".(٢) وجاء في التقريــر الــذي قدمــه ثيوفيلوس إلى الإمبراطــور: "ينحــدر هذا الشعــب من نسل إبراهيــم عبر [زوجته] قطــورة(٣) Keturah، وتُعرف بلادهــم بجزيرة العرب الكبرى *Arabia Magna*، أو ببــلاد العرب السعيدة *Arabia Felix*، كما أطلق عليها الإغريق. يحدهــا المحيط الخارجــي. عاصمتها سبأ حيث انطلقت الملكــة في رحلتها إلى سليمان. وفيهــا يمارســ الناس عادة الختان في اليوم الثامن [بعد الــولادة] . ويقدمون القرابين

جنــوب الجزيرة العربيــة. انظر، جورج شحاتــة قنواتي، المسيحيــة والحضارة العربية، بــيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٨٥م، ص٦١.

(١) انظــر، محمد آل هتيلة، نجران والنصرانيــة الأولى، بيروت: الدار العربية للعلــوم ناشرون، ٢٠١٥م، ص٦٧. وهنــاك دراسات أخرى لم ترد بها أية إشــارة عن السفارة. انظر، فاضل الربيعي، المسيح العربي: النصرانية في الجزيرة العربية والصراع البيزنطي الفارسي، بيروت: ضياء الريس للكتب والنشر، ٢٠٠٩م، ص٩٧-١٠١.

(2) Philostorgius, *Church History*, trans. Ph. R. Amidon, Brill: Leiden, Boston, 2007, pp.22,40.

(٣) وفقــا للتوراة هي الزوجــة الرابعة لإبراهيم عليه السلام. ولدت له ستــة أولاد هم: زمران ويقشان ومدين وميبــان وشبباق وشوحــا . Singer, "Keturah", *The Jewish Encyclopedia*, New York: Funk & Wagnalls, 1907.؛ انظر كذلك حاشية ٢٠.

للشمس والقمر والأرواح المحلية. وهناك عدد غير قليل من اليهود يعيشون بينهم".[١]

وإذا كانت هذه الرواية تكشف عن منظور توراتي برد أصل الحميريين إلى ابراهيم وقطورة،[٢] كما أنها رددت ما شاع في المصادر البيزنطية المبكرة من خلط بين الهنود وعرب جنوب الجزيرة العربية،[٣] فإن أهميتها تكمن في كونها تشير إلى وجود ما وصفه عرفان شهيد Irfan Shahid بـ "الجالية اليهودية الكبيرة"،[٤] وفي كونها –وفقا لجوردون نيوباي Gordon Newby المتخصص في تاريخ اليهود العرب– أول شاهد في المصادر الأدبية على تواجد اليهود في جنوب الجزيرة العربية،[٥] ومن ثم فإنها تدعم الرأي القائل بتأثير يهودي مبكر على التوحيدية الحميرية، بينما تلمح إلى غياب أي تأثير للمسيحية حتى وقت سفارة ثيوفيلوس. ومع ذلك؛ ثمة مصادر أدبية أخرى مبكرة تشير إلى أن

---

(1) Phiostorgius, ***Kirchengeschichte. Mit dem Leben des Lucian von Antiochien und den Fragmenten eines arianischen Historiographen***, ed. J. Bidez, rev. F. Winkelmann, Leipzig, 1913, pp.32-33; Eng. trans. Philostorgius, ***Church History***, p.40. [Ὅτι Κονστάντιόν φησι διαπρεσβεύσασθαι πρὸς τοὺς πάλαι μὲν Σαβαίους, νῦν δὲ Ὁμηρίτας καλουμένους. ἔστι δὲ τὸ ἔθνος τῶν ἐκ Χεττούρας τῷ Ἀβραὰμ γεομένων. τὴν δὲ χώραν μεγάλην τε Ἀρβίαν καλεῖσθαι καῖ εὐδαίμονα πρὸς τῶν Ἑλλήνων. καθήκειν δὲ ἐπὶ τὸν ἐξωτάτω Ὠκεανόν ἧς μητρόπολις ἡ Σαβά ἐξ ἧς καὶ ἡ βασιλὶς ὡς τὸν Σολομῶντα παργεγόνει. ἐμπερίτομον δὲ τὸ ἔθνος κατὰ τὴν ὀγδόην περιτεμνόμενον ἡμέραν. καὶ θύουσιν ἡλίῳ καὶ σελήνῃ καὶ δαίμοσιν ἐπιχωρίοις. οὐκ ὀλίγον δὲ πλῆθος καὶ Ἰουδαίων αὐτοῖς ἀναπέφυρται.].

(٢) يذكر العهد القديم عدة أولاد لإبراهيم غير إسماعيل وإسحق، ففي سنوات إبراهيم الأخيرة تزوج من قطورة، "فولدت له زمران ويقشان ومدان ومدين ويشباق وشوحا؛ وولد يقشان شبا (سبأ) وددان وبنو ددان اشوريم ولطوشيم ولوميم: وبنو مدين عيفة وعفر وحنوك وابيداع والداعة، وكل هؤلاء أولاد قطورة". التكوين ٢٥: ٢-٤.

(٣) عن الخلط المألوف في المصادر البيزنطية المبكرة بين الهنود والأحباش وعرب جنوب الجزيرة العربية، انظر، Mayerson, Ph., "A Confusion of Indias: Asian India and African India in the Byzantine Sources", ***Journal of the American Oriental Society*** 113/2(Apr.-Jun., 1993), pp.169-174; Schneider ,P., ***L'Éthiopie et l'Inde: Interférences et confusions aux extrémités du monde antique (VIIIe siècle avant J.-C.–VIe siècle après J.-C.),*** École française de Rome, 2004. ومن المرجح أن هذا الخلط ورثه البيزنطيون عن المصادر الكلاسيكية، إذ خلطت منذ هوميروس وهيرودوت فصاعدا بين الحبشة والهند، انظر الدراسات المتخصصة: Nadeau, J.Y., "Ethiopians", ***Classical Quarterly*** 20(1970), pp.339-349; Dihle, A, "The Conception of India in Hellenistic and Roman Literature", ***Proceedings of the Cambridge Philological Society*** 190= new ser. 10(1964), pp.15-23.

(4) Shahid, ***Byzantium and the Arabs***, p.87.

(5) Newby, G.D., ***A History of the Jews of Arabia from Ancient Times to their Eclipse under Islam***, Columbia: University of South Carolina, 1988, p.131 n.34.

التبشير بالمسيحية في جنوب الجزيرة العربية بدأ منذ فترة مبكرة للغاية ترجع إلى القرن الأول الميلادي.

ونصادف أولى هذه الروايات عند المـؤرخ الكنسي يوسيبيوس القيصري Eusebius (٢٦٣-٣٣٩م)، وجـاء فيهـا: "يُقال أن Pantaenus بانطاينوس [الفيلسوف السكندري المتـوفي حوالي ٢١١م] ذهب إلى الهنود، ووجـد نسخة من الإنجيل برواية متى بين بعض ممن يعرف المسيح؛ ذلك لأن برثولوميوس Bartholomew،[١] أحد الرسل، كان قد بشر بينهم وترك لهم كتابة متى باللغة العبرية، وهي التي بقيت بينهم حتى الوقت المذكور".[٢]

وإذا كـان يوسيبيوس لم يحـدد في روايته هوية الهنـود الذين بشـر بينهم كل من برثولوميوس وبانطاينوس، فإن مكمـل تاريخه الكنسي، روفينوس الأكويلي Rufinus of Aquileia (المتـوفي حوالي ٤١٠م)، كان أكثر تحديـدا بتمييزه بين "الهند القريبة" *India citerior* التي ذهب إليها برثولوميوس ثم بانطاينوس، والأخرى "البعيدة" *India ulterior* التي لم يبـدأ التبشير فيها إلا على يد الفيلسوف ميترودوروس Metrodorus في عهد الإمبراطور قسطنطين (٣٢٤-٣٣٧م).[٣]

وأخـيرا جـاء تأكيد المراد بمسمـى "الهنـود" في مؤلف جـيروم Jerome (٣٤٧-٤٢٠م) المعنـون "عـن الرجـال المشهوريـن" *De Viris Illustribus*، وورد فيـه أن بانطاينـوس: "أُرسل إلى الهند من قبل ديمتريوس[٤] Demetrius أسقف الإسكندرية، حيث وجد أن برثولوميوس، أحد الرسل الإثنى عشر، قد بشر بالمسيح وفقا لإنجيل متى بـين الهنود المعروفين بالسعداء [بلاد العـرب السعيدة] Ινδοῖς τοῖς καλουμένοις' Εὐδαίμοσιν، ووجـد تلاميذا له هناك. وقد أحضـر [بانطاينوس] معه هذا الإنجيل مكتوبا بالحروف العبرية".[٥]

---

(١) أحد حواري المسيح الاثنى عشر، واسمه برثولوميوس هو اللفظ اليوناني لاسمه الآرامي الأصل "بَرْتَلْماي" أي ابن تلماي. يُذكر اسمه دوما مقترنا باسم الرسول فيلبس عند كل من متى ومرقس ولوقا.

(2) Eusebius, *The Ecclesiastical History*, ed. & trans. K. Lake, The Loeb Classical Library 39, London, New York, 1926, vol.1, pp.462-463.

(3) Rufinus of Aquileia, *History of the Church*, trans. Ph. R. Amidon, The Catholic University of America Press, Washington, D.C., 2016, pp.207 and n.53, 393-394

عـن دخـول المسيحية المتأخـر إلى الهنـد، انظـر، Mingana, A., "The Early Spread of Christianity in India", *Bengal Journal of Religion and Literature* 10(1926), pp.453ff; Neill, S., *A History of Christianity in India*, Cambridge, 1984, pp.26ff.

(٤) أول أسقف يصلنا أسمه لكنيسة الإسكندرية، تولى الأسقفية خلال الفترة من ١٨٩م إلى ٢٣٢م.

(5) Hieronymus, *De Viris Illustribus, Liber ad Dextrum, PL* 23, cols. 683-686; Eng. trans. E.C. Richardson, in: Nicene and Post-Nicene Fathers, ed. Ph. Scaff, vol.3, New York,

ومـن المرجـح أن إشارة هذه الروايات عن نسخة الإنجيـل العبرية التي استخدمها برثولوميوسـ في التبشير داخل جنـوب الجزيرة العربية أوائل القرن الأول الميلادي، ثم وجدهـا بانطاينوس خلال رحلته التبشيرية هناك أواخر القرن الثاني الميلادي، تكشف عـن وجود مبكر لليهود في هذه المنطقـة، كما تلمح إلى أن هذا النشاط التبشيري المبكر كـان موجهـا إليهم بالأساس. ورغـم أن هذه الروايات لم تشـر صراحة إلى مدى نجاح برثولوميوسـ في مهمته التبشيرية، فـإن إشارتها إلى تعـرف بانطاينوس على عدد من المسيحيـين هنـاك خلال الربع الأخير من القرن الثاني الميـلادي تلمح إلى أن المسيحية وجدت طريقها بين قطاع من أهل جنوب الجزيرة العربية طوال القرنين الأولين للميلاد.

وهذه الفرضية يمكن تعزيزها برواية أخرى لفيلوستورجيوس، جاء فيها: "إن كافة هنـود الداخل عرفوا توقير المسيح من خلال تعاليم برثولوميوس الرسول".[١] ورغم أن فيليب أميدون Philip Amidon -مترجم نص فيلوستورجيوس إلى الإنجليزية- يذهب إلى أن مسمى "هنود الداخل" يشير إلى سكان شبه القارة الهندية وليس إلى عرب جنوب الجزيرة العربية،[٢] إلا أن رواية فيلوستورجيوس ذاتها تكشف عن الربط بين الطرفين؛ حيث تدرج بوضوح عرب الجنوب ضمن "هنود الداخل" τοὺς ἐνδοτάτω ᾽Ινδούς، وتذكر "أن هـذا الجنس من الهنود كان معروفا بالسبئيين το δὲ τῶν ᾽Ινδῶν ἔθνος τοῦτο Σάπας ... لكنـه يُعرف الآن بالحميريـين τὰ νῦν δὲ ῾Ομερίας καλεῖσθαι".[٣] وعلى حد تحليل ناثانيل أندرادي Nathanael J. Andrade، أن فيلوستورجيوس هنا "كان يشير بوضوح إلى عـرب جنوب الجزيرة العربية بوصفهـم هنود الداخل، ويحدد هوية الحميريين باعتبارهم أحد أجناس هندية عديدة سكنت عالم المحيط الهندي".[٤]

وإذا كانت الروايات السابقة ترجع أول اتصال للمبشرين المسيحيين بجنوب الجزيرة العربيـة إلى وقت مبكر يعـود إلى فترة برثولوميوس في القـرن الأول الميلادي، وأن الأخير نجح في مهمتـه التبشيرية، بدرجة جعلت بانطاينوس يصادف عددا من المسيحيين هناك

1893, ch. xxxvi.

(1) Phiostorgius, ***Kirchengeschichte***, p.18; Eng. trans. Philostorgius, Church History, p.22. [῞Οτι τοὺς ένδοτάτω ᾽Ινδούς, ὅσοι Χριστὸν ἔμαθον τιμᾶν έκ τῆς Βαρθολομαίου τοῦ άποστόλου διδασκαλίας.].

(2) Philostorgius, ***Church History***, p.22 n.18.

(3) Phiostorgius, ***Kirchengeschichte***, p.18; Eng. trans. Philostorgius, ***Church History***, p.22.

(4) Andrade, N.J., ***The Journey of Christianity to India in Late Antiquity: Networks and the Movement of Culture***, Cambridge, 2018, pp.74-75.

خــلال الربع الأخير مــن القرن الثاني الميلادي، فــإن ذلك يفرض إشكاليــة تفسير غياب الإشــارة إلى المسيحيــين في تقرير ثيوفيلوس، في ظل إشارتــه الصريحة إلى اليهود، ورغم كونه تقرير صدر عن سفارة وفدت خصيصًا لاستكشاف الوضع الديني في جنوب الجزيرة العربيــة. وهو الغيــاب الذي دفع عرفان شهيــد إلى الحكم بأن المسيحيــة لم تدخل جنوب الجزيــرة العربيــة إلا عندما بلغهــا ثيوفيلوس، وإلى القــول أن: "هذا يدل علــى أن مهمة بانطاينوس قبل قرن ونصف لم تسفر عن أية نتائج ملموسة أو دائمة للمسيحية".[١]

ورغــم أن الفــترة الفاصلــة بين زيارة كل مــن بانطاينوس وثيوفيلوســ الهندي إلى جنــوب الجزيــرة العربية تزيد على قرن ونصــف، وهي فترة ليســت بالقصيرة وكفيلة بوقوع الكثير من التغيرات، إلا أنه من الصعب توقع حدوث شيء ما -لم تسجله المصادر الأدبيــة أو النقوشــ- أدى إلى اختفــاء المسيحيــين بشــكل كامل، خصوصــا أن كتابات مؤرخي الكنيسة لم تترك فرصة إلا وتناولت بالتفصيل أحداث الاضطهاد الذي تعرض لــه المسيحيون داخل وخــارج الإمبراطورية خلال القرون الثلاثــة الأول للميلاد. كذلك يمكــن تفسير غياب الإشارة للمسيحيين في تقرير ثيوفيلوس في ضوء طبيعة مهمته التي اصطبغت بطابع دبلوماسي رسمي في المقام الأول، عكس جهود برثولوميوس وبانطاينوس التبشيرية ذات الطابع الشعبي، ولذا من المحتمل أن ثيوفيلوس لم يلاحظ سوى الوثنيين واليهــود الأكثر عددا والأقرب للسلطة الحاكمة. ولعل إشارة فيلوستورجيوس الصريحة إلى وثنيــة البــلاط الحميري، والمعارضة الشديــدة التي صادفتها مهمــة ثيوفيلوس من اليهــود المتواجدين فيه، تمثل شاهدا إضافيا علــى التركيبة الدينية داخل هذا البلاط، فضــلا عن احتوائه على جماعة ضغط يهودية حالت دون الظهور المسيحي على المستوى الرسمي.[٢] ومن المهم أيضا ملاحظة أن مهمة ثيوفيلوس جاءت بعد نحو أربعة عقود من انقسام كنيسة الإمبراطورية إلى معسكريــن متعارضين، السكندري النيقي والبيزنطي الأريوســي، ولعل قرب مسيحيي جنوب الجزيرة العربية مــن الحبشة ومصر المتأثرتين بالنيقيــة[٣] جعلهم أكثر موالاة للمعسكر المناوئ للإمبراطور قنسطنطيوس –الأريوسي المتعصــب-، وربما كان ذلك أيضا سببًا كافيــا لفيلوستورجيوس أو ثيوفيلوس، وكلاهما

(1) Shahid, *Byzantium and the Arabs*, p.87.

(2) Philostorgius, *Church History*, pp.41-42.

(٣) هــي العقيدة التي أقرها مجمع نيقية عام ٣٢٥م الذي عُقــد لمناقشة آراء القس السكندري أريوس القائلة بخلق المسيح، حيث خرج المجمع بما عُرف بقانون الإيمان النيقي أو الأرثوزوكسي، ومؤداه أن المسيح مولود غــير مخلــوق ومساوي للآب في الجوهــر. Leith, J.H., *The Creeds of the Churche: A Reader in Christian Doctrine from the Bible to the Present*, 3rd. edition, Louisville: Westminster John Knox Press, 1982, pp. 30-31

أريوسيان، لتجنب الإشارة إليهم. وأيا كان الأمر؛ فإن رواية فيلوستورجيوس عن سفارة ثيوفيلوس الهندي تمثل أول الشواهد المدونة عن اهتمام بيزنطي مباشر بنشر المسيحية في جنوب الجزيرة العربية. ورغم أنها الرواية الوحيدة عن هذه السفارة ومهمتها، إلا أن لدينا شاهد مصدري أخر ربما يتعلق بها، وهو عبارة عن مرسوم أصدره الإمبراطور قنسطنطيوس إلى الوالي البرايتوري موسونيانوس Musonianus في عام ٣٥٦م أو عام ٣٥٧م بشأن مبعوثيه في الإسكندرية المتوجهين إلى الأحباش والحميريين.(١)

ثالثاً. هوية المبعوث البيزنطي ثيوفيلوس الهندي:-

وقد يثير نعت "الهندي" Ἰνδός ὁ التساؤل حول الموطن الأصلي للمبعوث الذي وقع عليه اختيار الإمبراطور قنسطنطيوس للقيام بهذه المهمة، خصوصا أنها شملت جنوب الجزيرة العربية والحبشة والهند، وجميعها مناطق أشارت إليها المصادر البيزنطية المبكرة في بعض الأحيان –كما تعكس الروايات سالفة الذكر- بمسمى "الهند" دون تمييز، وأحيانا أخرى بالتفرقة بين الهند "الداخلية" و"الخارجية" أوالهند "القريبة" و"البعيدة". ورغم أن فيلوستورجيوس أشار بوضوح إلى أن ثيوفيلوس "أرسل منذ فترة طويلة، وهو صغير، في عهد الإمبراطور الراحل قسطنطين، إلى الرومان كرهينة من قبل الشعب المعروف بالديفيين Divaeans ، والذي يقطن جزيرة ديفوس Divus [Διβοῦς]، ويندرج ضمن أولئك المعروفين بالهنود"،(٢) إلا أنه لم يحدد موقع هذه الجزيرة.

وثمة اقتراحات من الباحثين الحديثين بأن هذه الجزيرة قد تكون المالديف(٣)

---

(١) جاء في هذا المرسوم: "لا يجوز لأي شخص تلقى تعليمات بالذهاب إلى قبيلة الأكسوميين والحميريين، من الآن فصاعداً، أن يظل في الإسكندرية بعد انتهاء المهلة المحددة بفترة عام واحد ، وبعد ذلك لن يحصل على بدل إقامة.". *The Theodosian Code and Novels and the Sirmondian Constitutions*, trans. C. Pharr, New York, 1969, p.380. [… *nullus ad gentem axumitarum et homeritarum ire praeceptus ultra annui temporis spatia debet alexandriae de ceter demorari nec post annum percipere alimonias annonarias*.]

(٢) Philostorgius, Church History, p.40.. وردت "ديفوس" في إشارة لمؤرخ القرن الرابع أميانوس ماركيللينوس، لكنها لم تضف جديدا يساعد في تحديد موقعها، إذ جاء فيها: "تنافست أمم الهند البعيدة كالديفيين والسيرينديفيين إحداها مع الأخرى في إرسال زعمائها محملين بالهدايا". *[inde nationibus Indicis certatim cum donis optimates mittentibus ante tempus ab usque Divis et Serendivis.]*. Ammianus Marcellinus, Res Gestae, trans. J.C. Rolfe, vol. II, [Loeb Classical Library], London, 2000. pp.212-213.

(٣) تقع في المحيط الهندي جنوب غرب سريلانكا والهند. وهي عبارة عن سلسلة من ست وعشرين جزيرة من الجزر المرجانية. عن اقتراح المالديف، انظر، Philostorgius, Church History, p.40; Fiaccadori, G., "Teofilo Indiano," *Studi Classici e Orientali* 33(1984), pp. 295–331, esp.315f.

Maldive أو سقطـرى[١] Socatra، أو سيــلان[٢] Ceylon أو جزيــرة أخرى في البحر الأحمر.[٣] غير أن لآنا لانكينا Anna Lankina رأي أخر ابتعدت به عن هذه الاقتراحات، مؤداه أن ثيوفيلوس لم يُعرف بـ "الهندي" إلا لكون فيلوستورجيوس أشار إليه كذلك، وأن هــذا النعــت ربما ظهر نتيجة ربط ثيوفيلوس بالمناطق التي وفـد إليها كمبشر.[٤] وربما كــان من الممكن أن يصير لــرأي لانكينا مشروعيته لــو أن فيلوستورجيوس هو مصدرنا الوحيـد عــن موطــن ثيوفيلوس؛ إذ أن ثمة إشــارة أوردهــا رجل اللاهــوت القبادوقي جريجــوري أسقف نيســا Gregory of Nyssa (٣٣٥-٣٩٤م) في مؤلفه الجدلي "ضد يونوموس"[٥] *Contra Eunomium*، تنعت ثيوفيلوس بالبليمي Βλέμμυς، وتنسبه إلى قبيلة البليميين Blemmyes البدوية.[٦] ولما كانت هذه القبيلة قد استقرت خلال الفترة مــا بــين القرنين الرابــع والسادس الميلاديــين في وادي النيل جنوب مصــر، في المنطقة

---

(١) أرخبيل يمني مكـون مــن ست جزر على المحيـط الهندي قبالة سواحل القــرن الأفريقي بالقرب من خليج عــدن، علــى بعد ٣٥٠ كــم جنوب الجزيرة العربية. وعــن سقطرى، انظــر، Klein, R., *Constantius II und die christliche Kirch*, Darmstadt, 1977, p.270; Lightfool, C.S., *The Eastern Frontier of the Roman Empire with Special Reference to the Reign of Constantius II*, PhD dissertation, St. John's College, Oxford, 1981, p.35 n.105; Trimingham, J.S., *Christianity among the Arabs in Pre-Islamic Times*, London, New York, 1979, p.291.. وعن اقتراح أي من المالديف أو سقطرى، انظر، Dihle, A., "L'ambassade de Théophile l'Indien ré-examinée," in: *L'Arabie préislamique et son environment historique et culturel: Actes du Colloque de Strasbourg 24–27 Juin 1987*, ed. T. Fahd, Leiden: Brill, 1989, p.461; Fernandez, G., "The Evangelizing Mission of Theophilus 'the Indian' and the Ecclesiastical Policy of Constantius II," *Klio* 71 (1989), pp.361-366, esp.361; Shahid, *Byzantium and the Arabs*, p.98.

(٢) سريلانكا أو سيلان قديماً تقع في الشمال من المحيط الهندي إلى الجنوب من شبه القارة الهندية. ترتبط سريلانكــا بحــدود بحريّة مع الهند من الجهــة الشمالية؛ حيث تبعد عنها حوالي واحـد وثلاثين كيلو متراً تقريبــاً، كمــا ترتبـط مع جزر المالديف من الجهة الجنوبيــة الشرقية. يقترح عرفان شهيـد أنها قد تكون جزيرة سيلان أو إحدى جزر البحر الأحمر Shahid, *Byzantium and the Arabs*, p.97.

(٣) الجديــر بالذكــر أن بعض الباحثين وجد تشابها في مسمى جزيرة ديفوس وضبا على ساحل البحر الأحمر شمــال غرب المملكة العربية السعوديــة. إلا أنه من الصعب تصور كون ثيوفيلوس أبحر من جنوب الجزيرة العربيــة إلى شمالهــا ثم عاد ثانيــة للعبور إلى الحبشــة. أنظر المناقشــة المستفيضة عنـد: Fiaccadori, "Teofilo Indiano", (1984), pp.300f.

(4) Lankina, A., *Reclaiming the Non-Nicene Past: Theophilos the Indian and Ulfila the Goth as Missionary Heroes*, MA Thesis, The Graduate School of the University of Florida, 2011, p.10 n.8.

(٥) يونوموس أسقف كيزيكوس Eunomius of Cyzicus، المتوفى حوالي ٣٩٣م، أحد زعماء طائفة الأريوسية المتشددة المعروفة بـ "اليونومايين" Eunomians. انظر، Vaggione, R.P., (ed.), *Eunomius, The Extant Works*, New York, 1987.

(6) Gregory of Nyssa, *Contra Eunomium I*, ed. M. Brugarolas, Brill: Leiden, Boston, 2018, p.81.[=PG 82, col. 1072].

الواقعة بين الجندلين الأول والخامس، وانتشرت شرقا عبر الصحراء الشرقية المجاورة لهـذه المنطقة حتى ساحل البحر الأحمر،[١] فـإن رواية جريجوري أسقف نيسا قد تمثل شاهدا إضافيا على ارتباط ثيوفيلوس بجزيرة أو منطقة ما على ساحل هذا البحر.[٢]

وإذا أُضيـف إلى ذلـك رواية فيلوستورجيوس التي تشـير إلى أن ثيوفيلوس "بعدما انتهـى مـن تسوية أمور متنوعة مـع الحميريـين ... أبحر إلى مسقـط رأسه في جزيرة ديفوس. ومن هنـاك ذهب إلى بقية بلاد الهند".[٣] فضلا عـن إشارته إلى أن المحطة التاليـة في مهمـة ثيوفيلوس، بعد مغادرته "بـلاد العرب الكـبرى" *Arabia Magna*، كانـت "أرض الأحباش المعروفين باسم الأكسوميـين Aksumites، الذين يعيشون عبر الشواطـئ الأقـرب للبحر الأحمـر"،[٤] لأمكن القـول بقدر من الاطمئنـان أن "جزيرة

(١) ذُكـر البليميـون في المصـادر الرومانيـة (بلينوس الأكـبر واسترابون)، كمـا ذكرهم المبعـوث المصري أوليمبيودوروس Olympiodorus الذي زار النوبة حوالي عـام ٤٢٠م. وفي القرن السادس يصف المؤرخ البيزنطـي بروكوبيوس Procopius انسحاب الإمبراطور دقلديانوس (٢٨٤-٣٠٥م) من هذه المنطقة إلى أسوان حوالي عام ٢٩٨م وطلبه من النوبيين *Nobatai* الارتحال من الواحة (ربما الخارجة) إلى المناطق الصحراويـة المحيطـة بوادي النيل في هذه المنطقة لصد هجمات البليميين، ثـم عقد اتفاقية مع القبيلتين تقضي بوقف هجماتهما ضد الأراضي الرومانية لقاء إتاوة سنوية. إلا أن الاتفاقية تم خرقها من القبيلتين، اللتـان –وفقا لبروكوبيوس– ظلتا غير محل ثقة الإمبراطور جستنيان الأول Justinian I (٥٢٧-٥٦٥م). لمزيـد من التفاصيـل، انظـر، Christides, V., "Ethnic Movements in Southern Egypt and Northern Sudan: Blemmyes-Beja in Late Antique and Early Arab Egypt until 707 A.D", *Listy Filologiké* 103/3(1980), pp.129-143; Barnard, H., "Additional Remarks on Blemmyes, Beja and Eastern Desert Ware", *Egypt and the Levant: International Journal for Egyptian Archaeology and Related Disciplines* 17(2007), pp.23-31.

(٢) عـن سيطرة البليميـين على أجزاء من ساحل الصحـراء الشرقية على البحر الأحمـر منذ القرن الثالث الميـلادي، انظـر، Thomas, R.I., "Port Communities and the Erythraean Sea Trade", *British Museum Studies in Ancient Egypt and Sudan* 18(2012), pp.169-199, esp. 171.. يقترح فرانك سنودين Frank M. Snowden أن إشارة جريجوري النيسي تشير إلى أصل ثيوفيلوس الحبشـي. Snowden, F.M., *Blacks in Antiquity: Ethiopians in Greco-Roman Experience, Harvard University Press*, 1970, p.208.. بينمـا يرى جيانفرانكو فياكشادوري Gianfranco Fiaccadori أن نعـت جريجـوري النيسي لثيوفيلوس بالـ "بليمي"، كان لكونه أريوسيا يتبع يونوموس، ولأن جريجـوري كرس مؤلفه خصيصا للنيل من هذه الطائفة، فقـد كان طبيعيا أن يسعى إلى الحـط من شأن ثيوفيلوس وربطه بالبليميين الوثنيين الذين اشتهروا وقتـذاك باللصوصية وقطع الطرق؛ أي أن هـدف جريجوري هو الوصف في حد ذاته وليس الانتمـاء.: Fiaccadori, G., "Teofilo Indiano: Parte II. Il Viaggio", *Studi Classici e Orientali* 34(1985), pp.271-307, esp. 289-290.

(3) Philostorgius, *Church History*, p.42.

(4) Phiostorgius, *Kirchengeschichte*, p.35; Eng. trans. Philostorgius, *Church History*, p.43.]Ἐκ δὲ ταύτης τῆς μεγάλης Ἀραβίας είς τοὺς Αὐξουμίτας καλουμένους ἀπαίρει Αἰθίοπας, οἳ κατὰ τὰς πρώτας ὄχθας κατῳκηνται τῆς Ἐρυθρᾶς θαλάσσης.].

ديفوســ" عند فيلوستورجيوس هي إحدى جزر البحر الأحمر الواقعة بين، أو على الأقل القريبة من، ساحل جنوب الجزيرة العربية والساحل الأفريقي المقابل.(١)

وممــا يدعم هذه الفرضية أن ثيوفيلوســ في أغلب الظن سلك نفس الطريق المعتاد للتجار الرومان؛ فطبقا لمـؤرخ القرن السادس يوحنا مالالاس(٢) John Malalas: "تقع مملكــة الحميريين *Homerites* بالقرب من مصر. وكان التجار الرومان يسافرون عبر أراضي الحميريين إلى أكســوم [الحبشة] وإلى الممالك الداخلية للهنود". فإذا أضفنا إلى هــذه الروايــة مــا ورد في مرسوم الإمبراطــور قنسطنطيوس –سالــف الذكر- عن الإسكندريــة كمحطة انطلاق لمبعوثيــه إلى الأحباش والحميريــين،(٣) لأمكن تخيل بدء خط سير سفارة ثيوفيلوس من مصر فجنوب الجزيرة العربية، ثم أحد الموانئ أو الجزر المقابلة له على الساحل الأفريقي، ومنها إلى الحبشة ثم شبه القارة الهندية.

وبوجــه عــام؛ تشي الشواهــد المصدرية بأن توظيــف الأصل العرقــي للمبعوثين من قبل السلطــة الإمبراطورية لإنجاح مهامهم كان قاعدة مألوفة في إدارة العمل الدبلوماسي عامة، وشقــه التبشــيري خاصة، خــلال العصر البيزنطــي المبكر.(٤) وقــد يكون مــن المناسب هنا

---

(1) Joannes Malalas. *Chronographia*, ed. L. Dindorf, *CSHB*, Bonn, 1831, p. 433.]ὁ δὲ τῶν Ὁμηριτῶν πλησίον ἐστὶ τῆς Αἰγύπτου. οἱ δὲ πραγματευταὶ Ῥωμαίων διὰ τῶν Ὁμηριτῶν εἰσέρχονται εἰς τὴν Αὐξούμην καὶ ἐπὶ τὰ ἐνδότερα βασίλεια τῶν Ἰνδῶν.].

(٢) تلقــى مالالاســ تعليمه في أنطاكية، وربما كــان رجل قانون هناك، انتقــل إلى القسطنطينية في مرحلة ما مــن عهد الإمبراطــور جستنيان الأول (٥٢٧-٥٦٩م). كتب حوليته من ثمــاني عشرة كتابا تستعرض فترة جستنيان وخلفاءه المباشرين.
Baldwin, B., "Malalas, John", in: *The Oxford Dictionary of Byzantium*, ed. A. Kazhdan, Oxford and New York: Oxford University Press, 1991, p. 1275.

(3) Theodosian Code, p.380.

(٤) عــن توظيــف الأصل العرقي للمبعوثــين الدبلوماسيين خلال العصر البيزنطي المبكــر، انظر، عبد العزيز رمضان، "معايير اختيار المبعوثين الدبلوماسيين في العصر البيزنطي الباكر"، حوليات مجلة وقائع تاريخية، مركــز البحــوث والدراسات التاريخيــة، آداب القاهرة، عدد ٢٤، يناير ٢٠١٦م، صــ٢٣ حاشية ٣٠. وفيما يتعلــق بالمجال التبشيري، يعد أولفيلاس القوطي، الــذي أرسل في عهد ذات الإمبراطور –قنسطنطيوس- للتبشير بين قومه القوط الغربيين حوالي عام ٣٤١م، هو النموذج الأكثر تماثلا مع ثيوفيلوس؛ فكلاهما نشأ في القسطنطينيــة وتشرب بثقافتها، ثم رُســم أسقفا وأرسل من قبل الإمبراطور قنسطنطيوس إلى موطنه الأصلي للتبشير بالمسيحية بين قومه. Thompson, E.A., The Visigoths in the Time of Ulfila, Oxford, 1966, pp. xiv-xviii, 96-7.. وعــن مناقشــة لأوجــه التشابه العديدة بــين مهمتي ثيوفيلوس وأولفيلاس في سياق سياسة قنسطنطيوس التبشيرية، انظر، Dihle, A., "Die Sendung des Inders Theophilos", Palingenesia 4(1969), pp.330-336; Patoura, S., "Η διάδοση τοῦ Χριστιανισμοῦ στὰ πλαίσια τῆς ἐξωτερικῆς πολιτικῆς τοῦ βυζαντινοῦ κράτους (4ος-5ος αἰ.)", Byzantina Symmeikta 7(1987), pp.215-236, esp.219.

اقتباس تعليق ألكسندر أنجيلوف Alexander Angelov -في دراسته عن السياسة التبشيرية للإمبراطورية- على العامل الحاسم في إنجاح مهمة ثيوفيلوس: "بالنظر إلى أن المهمة هنا تتعلق بتنصير الحاكم، فعلينا ملاحظة أن قنسطنطيوس على الأرجح عين ثيوفيلوس رئيسًا للسفارة نظرًا لتوقع إلمامه بالثقافة واللغات المحلية. وعلى ذلك لم يكن دور المعجزات العديدة [التي نسبها فيلوستورجيوس لثيوفيلوس كما سنعرض لاحقا] في التحول النهائي للمسيحية إلا وسيلة من جانب فيلوستورجيوس لإضفاء الطابع المسيحي على القصة".(١)

رابعًا. الغرض التنصيري من السفارة:-

كان هدف الإمبراطور قنسطنطيوس من هذه السفارة، طبقا لرواية فيلوستورجيوس، هو تحويل أهل جنوب الجزيرة العربية إلى المسيحية، إذ "كان يخطط لكسب زعيم الشعب هناك بروعة وكثرة هداياه، في محاولة لإيجاد فرصة لغرس بذور الإيمان فيه، فضلا عن طلب السماح ببناء كنيسة للرومان المسافرين إلى هناك ولأي شخص من السكان المحليين قد يعتنق الإيمان. ولذا أرسل مع السفارة مبلغًا هائلًا من المال لتغطية تكلفة البناء".(٢)

ويبدو أن فيلوستورجيوس وجد أنه ليس كافيا مجرد الإشارة إلى هدايا الإمبراطور البيزنطي لجذب حاكم الجنوب نحو المسيحية، فعمد في إشارة تالية إلى التفصيل لهذه الهدايا،(٣) ربما في محاولة منه لإظهار مدى اهتمام الإمبراطور البيزنطي بتحقيق هدفه من السفارة، أو كدعاية له بوصفه "المبشر" الذي لا يبخل بما هو غال ونفيس

(1) Angelov, A.B., ***Conversion and Empire: Byzantine Missionaries, Foreign Rulers, and Christian Narratives (ca. 300-900),*** PhD. Dissertation, The University of Michigan, 2011, p.213.

(2) Philostorgius, ***Church History***, p.40.

(٣) طبقا لفيلوستورجيوس: "قام قنسطنطيوس بتجهيز السفارة على نحو رائع وبأقصى درجات البهاء والفخامة، حيث أرسل معها مائتين من أفضل أنواع الخيول من قبادوقيا Cappadocia، تم نقلها على متن سفن صُممت لنقل الفرسان، بالإضافة إلى العديد من الهدايا الأخرى المختارة بعناية لإثارة الإعجاب من فرط فخامتها". Philostorgius, ***Church History***, pp.40-41.. ويعلق عرفان شهيد على نوعية هذه الهدايا بالقول: "كان مائتان من الخيول القبادوقية هدية خيالية ومناسبة لشعب يقدر الحصان". ويقترح الباحثون وجود صلة قوية بين هذه الهدايا وحصان برونزي يحمل نقوشا سبئية ومحفوظ ضمن مجموعة مؤسسة الدومبارتون أوكس Dumbarton Oaks بواشنطن، انظر، Jamme, A., "Inscriptions of the Sabaean Bronze Horse of the Dumbarton Oaks Collection", ***Dumbarton Oaks Papers*** 8(1954), pp.315-330; Ryckmans, J., "The Pre-Islamic South Arabian Bronze Horse in the Dumbarton Oaks Collection", ***Dumbarton Oaks Papers*** 29(1975), pp.275-303; Shahid, ***Byzantium and the Arabs***, p.88 n.7.

في سبيــل نشر المسيحية،[١] أو ربما كتمهيــد لغاية سعى فيلوستورجيوس إلى التلميح لها لاحقا، ومؤداها أن هــذه الهدايا بفخامتها وكثرتها -مقارنة بعوامل جذب أخرى كامنة في المسيحية ذاتها- لم تكن العامل الفاعل في جذب حاكم الجنوب إلى المسيحية.

وحتى يمهد فيلوستورجيوس لدعايتــه الدينية اللاحقة في تمجيد الأثر المسيحي – متجســدا في شخص الأسقف ثيوفيلوس- في تنصر حاكم الجنوب، نجده يتوقف بفقرة اعتراضيــة يتحــول فيها إلى الحديث عــن أصل ثيوفيلوس وتدينه وإخلاصــه للمعتقد المسيحــي، وكيف أنــه اختار حياة التنسك وتدرج في السلــك الكهنوتي حتى رُسم أسقفا وقت تكليفه بهذه السفارة.[٢]

ويستأنف فيلوستورجيوس الحديث عن ظروف التقاء ثيوفيلوس بالحاكم الحميري بقولــه: "عند وصول ثيوفيلوس إلى شعب سبأ، حــاول إقناع حاكمهم باتباع المسيح ونبذ الخطــأ الوثني. عندئذ سعى اليهود بطريقتهم المعتادة إلى معارضته، غير أن ثيوفيلوس عندمــا أظهر بالمعجزات الرائعة التــي جرت على يديه في أكثر من مناسبة إلى أي مدى لا يمكــن التغلــب على الإيمــان بالمسيحية، خفتــت المعارضة، بغض النظــر عن حنقها، والتزمت الصمت".[٣]

وروايــة بهــذه الصيغة تشي بوضوح بأنــه رغم وثنية الحاكم وأهــل الجنوب، إلا أن اليهــود حظوا بنفوذ قــوي وشكلوا جماعة ضغط داخل البلاط، إلى حد تدخلهم المباشر لعرقلــة مهمــة ثيوفيلوس. ولعــل فيلوستورجيوســ أراد تفسير سبب اتخــاذ اليهود هذا الموقــف –دون الوثنيــين- بإشارتــه المبطنــة إلى عدائهــم التقليــدي للمسيحية. كذلك يُفهــم مــن الرواية أن ثمة مناظــرة دينية دارت بــين ثيوفيلوس ومعارضيــه من اليهود، وإن لم يشــر إلى ذلــك صراحــة، وأن الأول نجــح بفضل قدراته الخاصــة كأسقف –أو كمــا أشــار النص، بـ"المعجزات"- في الانتصار للمسيحية وتأكيد علو كعبها. والواقع أن هــذا الطابع الدعائي، بمضامينه الإعجازية، كان نمطــا مألوفا في الروايات البيزنطية المتعلقــة بالتبشــير،[٤] أو على حد وصف عرفــان شهيد: "كان المبشــر المتحمس المسلح

(١) عن مهمة الإمبراطور البيزنطي كمبشر، انظر بوجه عام، Christou, P., "The Missionary Task of the Byzantine Emperor", *Byzantina* 3(1971), pp.279-286.

(2) Philostorgius, *Church History*, p.40.

(3) Philostorgius, *Church History*, p.41.

(٤) ذات النمط تم توظيفه في الروايات المتعلقة بالتنصير بين عرب شمال شبه الجزيرة العربية؛ إذ رُد تنصير كثير من العرب هناك خلال القرن الخامس الميلادي إلى المعجزات العلاجية التي قام بها كل من القديسين يوثيميوس Euthymius وشمعون العمودي Simeon the Stylite. Shahid, *Byzantium and the*

بموهبة الإتيان بالمعجزات على نحو خاص أداة فعالة للتنصير بين البرابرة".(١)

وإذا كان الهدف الأصلي للإمبراطور قنسطنطيوس من السفارة يكمن في محاولة تنصير حاكم الجنوب وبناء كنيسة للمسافرين الرومان ولمن قد يعتنق المسيحية من السكان المحليين، فإن ما حققه ثيوفيلوس فاق ذلك بكثير. وفي هذا السياق قد يكون من المناسب اقتباس رواية فيلوستورجيوس لما تحمله من مضامين مهمة أثارت نقاشا بين الباحثين الحديثين، إذ جاء فيها: "لقد كانت سفارته ناجحة؛ حيث تحول حاكم الأمة إلى الإيمان [المسيحي] بكل إخلاص، ولم يقم ببناء كنيسة واحدة فقط في بلاده، بل ثلاث كنائس. ولم يفعل ذلك من الأموال الإمبراطورية التي أتت بها السفارة، بل تبرع بلهفة من ماله الخاص. ذلك لأن أعمال ثيوفيلوس أدهشته لدرجة حرص معها على منافسة حماسته [للمسيحية]؛ فخصص إحدى الكنائس لسائر الشعب في العاصمة ذاتها، المعروفة بظفار Tapharon. وشيد أخرى فيما كان مركز السوق الروماني، على المحيط الخارجي، المعروف بعدن Adana، وهو المكان الذي اعتاد المسافرون من الأراضي الرومانية الإقامة فيه. وكانت الكنيسة الثالثة في الجانب الآخر من البلاد، حيث يوجد هناك مركز لسوق فارسي Περσικόν ἐμπόριον معروف عند مدخل الخليج الفارسي".(٢)

لقد ناقش الباحثون الحديثون هدف هذه السفارة في سياق مصالح الإمبراطورية الاقتصادية والسياسية؛ فوليم فريند William Frend يفترض وجود صدام بين التجار البيزنطيين والفرس في موانئ جنوب الجزيرة العربية، وأن هدف السفارة منذ البداية كان "البحث عن امتيازات تجارية".(٣)

ويرى عرفان شهيد أن اختيار موقع الكنيستين الأخيرتين يعكس أهمية المصالح الإمبراطورية في المنطقة وقتذاك؛ فعدن بحكم موقعها الاستراتيجي كمحطة مركزية بين البحر الأحمر والمحيط الهندي كانت بالغة الأهمية كمركز للتجار البيزنطيين

Arabs, p.89 n.55. . وعن دور المعجزات في تنصير الملكة العربية ماوية Mavia، انظر، Sozomen, *History of the Church*, trans. E. Walford, London, 1855, pp.307-310.. وعن توظيف المعجزات كآلية للتنصير في العصر البيزنطي المبكر، خصوصا بين الحكام الأجانب، انظر، Angelov, *Conversion and Empire*, pp.10, 64, 100,125, 131, 133,135-136.

(1) Shahid, *Byzantium and the Arabs*, p.89.

(2) Philostorgius, *Church History*, p.41.

(3) Frend, W.H.C., "The Church in the Reign of Constantius II (337-361): Mission-Monasticism- Worship", *Entretiens sur l'Antiquité classique* 34(1989), pp.73-111, esp.81-82.

ونشاطهــم التجاري مع الشرق،[١] أما مدخل الخليج الفارسي فكان الموقع الأكثر أهمية لكــون السيطرة عليه –على حد قول عرفان شهيد– تمكن بيزنطة من حماية مصالحها التجاريــة مع الهند من جهة، ومن غلق الخليــج وحصر الأسطول الفارسي فيه وبالتالي إبعاده عن البحر الأحمر من جهة أخرى.[٢]

أما كارلو كونتي روزيني Carlo Conti Rossini فقد ذهب إلى حد القول بضرورة النظر إلى هذه السفارة "بمعزل كامل عن الباعث الديني"، مقترحا أن الهدف النهائي منهــا هــو تحييد أي تدخــل فارسي في جنوب الجزيــرة العربية، ومدلــلا بذلك على أن مهمــة ثيوفيلوس تزامنت مع المرحلــة الأولى من العداء بين سابــور الثاني[٣] Sapor II وقنسطنطيوس.[٤]

ورغــم أن رأي كونتــي روزينــي وجــد استحسانــا عنــد جيانفرانكــو فياكشــادوري Gianfranco Fiaccadori، وعقــب عليه بأن "التسهيلات التي حصل عليها ثيوفيلوس في شئــون العبــادة تدل على أنه حقق أهدافه"، إلا أنه وجد صعوبة في الربط بين الهدف الديني الصرف للسفارة ومسألة "تحييد التدخل الفارسي"، فأردف بقوله: "مع ذلك؛ من المؤكد أن الدعاية الدينية كانت الأداة الأساسية لدبلوماسية القسطنطينية".[٥]

ورغم وجاهة الطروح التي ناقشت هدف سفارة ثيوفيلوس في سياق تطور العلاقات البيزنطية–الساسانيــة وقتــذاك، إلا أن ثمــة عــدة إشكاليات تعترضهــا؛ فطرح كونتي روزينــي تعترضه حقيقــة أن الفترة (٣٥٣–٣٥٩م) شهدت هدنــة في الحرب البيزنطية الفارسيــة المستمــرة خلال عهد قنسطنطيــوس، وهي الحرب التي كــان ميدانها الرئيسي نقاط التماس على الحدود البيزنطية الفارسية في الجزيرة الفراتية وبلاد الشام. ولا توفر

(1) Shahid, ***Byzantium and the Arabs***, pp.89, 94; Patoura, "Η διάδοση τοῦ Χριστιανισμοῦ", p.219.

(2) Shahid, ***Byzantium and the Arabs***, p.89.

(٣) هــو عاشــر ملوك الأسرة الساسانية وأطــول ملوك فارس حكمًا، إذ بلغ عهده نحــو سبعين سنة من ٣٠٩م إلى ٣٧٩م. خلــف أبيــه هرمــز الثــاني Hormizd II (٣٠٢–٣٠٩م). Shayegan, M. R., "On the Rationale behind the Roman Wars of Šābuhr II the Great", ***Bulletin of the Asia Institute*** 18 (2004), pp.111–133

(4) Rossini, C.K., "Un Documento sul Cristianesimo nello Iemen ai Tempi del Re Sharahbil Yakuf", ***Tipografia della R. Accademia dei Lincei***, Roma, 1911, pp.705-749, esp.710.

(5) Fiaccadori, "Teofilo Indiano. Part.II", pp.292, 293.

المصادر المعاصرة أية إشارة تشي بأن هذا الميدان امتد إلى جنوب الجزيرة العربية.[١]

كذلك من المستبعد تخيل سفارة ثيوفيلوس بوصفها محاولة من قنسطنطيوس لنقل ميدان الحرب أو على الأقل فتح جبهة لها في جنوب الجزيرة العربية، خصوصا مع بعدها الجغرافي عن بيزنطة -بعكس الفرس-، فضلا عن صعوبة توقع أن تنجح مجرد سفارة في توريط حاكم الجنوب في تحالف قد يقود إلى حرب محتملة مع قوة عظمى مثل الفرس. ولعل حالة السلم الكائنة بين بيزنطة وفارس وقت وصول السفارة في عام ٣٥٦م هي التي هيأت الظروف الملائمة لاستقبالها في البلاط الحميري.

أما مقاربة عرفان شهيد فتعترضها صعوبة إيجاد صلة بين بناء دور عبادة للمسيحيين وبين فرضية السيطرة على مدخل الخليج الفارسي، سواء أكانت سيطرة بيزنطية مباشرة أم عن طريق تحالفها مع حاكم الجنوب الذي يلقبه فيلوستورجيوس بالإثنارخ [ἐθνάρχης] . صحيح أن تنصر هذا الحاكم -كما يشير عرفان شهيد- قد يسهم على المدى البعيد في "استيعاب جنوب الجزيرة العربية في دائرة النفوذ البيزنطي"،[٢] فضلا عن إمكانية الإفادة من ذلك في حالة نشوب الحرب بين البيزنطيين والفرس، إلا أن إقرار شهيد نفسه بوجود قوة بحرية فارسية ضاربة[٣] -هي الأكثر قربا وجاهزية للتحرك- يفرض صعوبة في توقع أن يؤدي مجرد بناء كنيسة عند مدخل الخليج إلى السيطرة عليه وقت السلم أو الحرب.

وعمليا؛ ليس هناك ما يشير إلى توظيف بيزنطة لوجودها أو وجود حلفائها المفترض عند مدخل الخليج الفارسي عندما تجدد الصراع البيزنطي الفارسي بعد سنوات قليلة من سفارة ثيوفيلوس (تحديدا عام ٣٥٩م)، والذي تمخض عنه انتصار سابور الثاني Sapor II ومقتل الإمبراطور جوليان Julian (٣٦١-٣٦٣م) في عام ٣٦٣م. وهذه

(١) عن النصوص المصدرية المتعلقة بالحرب البيزنطية الفارسية خلال عهد قنسطنطيوس، انظر، Dodgeon, M.H., and Lieu, S.N.C. (eds.), ***The Roman Eastern Frontier and the Persian Wars AD 226-363: A Documentary History***, London-New York, 1994, pp.185f.

(2) Shahid, ***Byzantium and the Arabs***, p.90.

(٣) على حد قول عرفان شهيد: "من المحتمل أن مهمة ثيوفيلوس كانت لها آثار سياسية وعسكرية في سياق الصراع البيزنطي الساساني، وينطبق هذا بشكل خاص على جنوب الجزيرة العربية الممتد إلى الخليج الفارسي ذاته، فهو من بين جميع السواحل المطلة على المحيط الهندي الموقع الأكثر استراتيجية في حالة الحرب مع بلاد فارس ... وقد أدرك [قنسطنطيوس] أن سابور أبدى اهتماما استثنائيا بتطوير قوته البحرية الفارسية، ولابد أنه امتلك أسطولا قويا استخدمه لاحقا في نقل قواته عبر الخليج الفارسي خلال حملته العربية. إن إيجاد موقع بيزنطي، كنسي كما كان، عند مدخل الخليج الفارسي ربما يعكس محاولة جريئة وذكية من جانب قنسطنطيوس لمشاهدة العدو من الفناء الخلفي الخاص به" Shahid, ***Byzantium and the Arabs***, p.95.

النتيجــة تحديــدا هي التي دفعت ألبرخت دايهــل Albrecht Dihle إلى القول بصعوبة تحديــد مدى إسهــام مهمة ثيوفيلوس في تغييــر الوضع السياســي والكنسي على ساحل البحر الأحمر.[1]

خامسًا. الأثر الديني للسفارة في ضوء روايات المصادر المسيحية الشرقية:

لأن روايــة فيلوستورجيوس ذاتهــا لم تشر من قريــب أو بعيــد إلى مسألة الصراع البيزنطــي الفارسي، قد يكــون من الأفضل مناقشة سفــارة ثيوفيلوس في سياق الهدف التبشــيري المعلــن لهــا منــذ البدايــة، خصوصــا في ظل وجــود اختلاف بــين الباحثين الحديثــين حول مــدى التغيير الديني الــذي أحدثته في جنوب الجزيــرة العربية. إذ أن أكثر الباحثين الغربيين الحديثين ذهبوا إلى كون هذه الكنائس الثلاث خُصصت للتجار والمقيمــين الأجانــب في المقــام الأول وليس للسكــان المحليين؛ فأميــدون –مترجم نص فيلوستورجيوس من اليونانية إلى الإنجليزية- يقترح "أن الكنائس الثلاث كانت تقع في العاصمة وفي مركزين ساحليين، حيثما يعيش المقيمون الأجانب".[2]

ويذهــب كريستيان روبــين Christian Robin إلى أن الهــدف الواضح من تشييد هــذه الكنائــس هو "أن تكــون مقصدا للأجانــب العابرين".[3] ويزيــد كل من ألبرخت دايهل وفرانســوا شاتونيه Françoise B. Chatonnet على ذلــك بالتلميح إلى شكهما في روايــة فيلوستورجيوس لكونها لم تصلنا عــبر أي مصدر أخــر،[4] ويواصل شاتونيه بقولــه: "حتى إذا اعــترف المرء بأساس حقيقــي لهذه القصة، فــإن دور العبادة المشار إليها كانت فيما يبدو تخص التجار الأجانب المسيحيين أكثر من كونها لتلبية احتياجات سكان محليين".[5]

---

(1) Dihle, "L’ambassade de Théophile", p.467.

(2) Philostorgius, *Church History*, p.41 n.10.

(3) Robin, Ch.J., "Najrān vers l’époque du massacre: notes sur l’histoire politique, économique et institutionnelle et sur l’introduction du Christianisme", in: *Le massacre de Najrān II: juifs et chrétiens en Arabie aux Ve et Vie siècles regards croisés sur les sources*, ed. J. Beaucamp et al., Paris, 2010, pp.64-106, esp.64; Idem, "Le judaïsme de Ḥimyar", pp.103-104.

(4) Dihle, "L’ambassade de Théophile", p.467; Chatonnet, F.B., "L’expansion du christianisme en Arabie: l’apport des sources syriaques", *Semitica et Classica* 3(2010), pp.177-187, esp.183.

(5) Chatonnet, "L’expansion du christianisme", p.183.

وقد يبدو هذا الرأي منطقيا فيما يتعلق بكنيستي عدن وهرمز، وهما ميناءان قد تفرض طبيعتهما التجارية صعوبة في تلمس درجة تغير الوضع الديني فيهما، هذا مع الوضع في الاعتبار أن كنيستيهما خُصصتا لتجار أجانب يدينون بالمسيحية في الأساس، غير أن وجود كنيسة ثالثة في العاصمة الحميرية ظفار، كُرست –وفقا لرواية فيلوستورجيوس– للحاكم المتنصر حديثا وشعبه، يدفع إلى التساؤل عن الأثر الديني لسفارة ثيوفيلوس في الداخل الحميري.

وعند محاولة الإجابة عن هذا التساؤل قد يكون من الأفضل الأخذ في الاعتبار طرح عرفان شهيد –سالف الذكر– بشأن أهمية المصادر الأدبية كشاهد أساسي عن التاريخ المبكر للمسيحية في جنوب الجزيرة العربية، ومخاطرة الاعتماد الحصري على النقوش للقطع بعدم موثوقية رواية فيلوستورجيوس، خصوصا أن هذا الطرح ينسجم مع فرضية كون هذه النقوش قد لا تعكس الموقف الديني الرسمي، ومع وجود شواهد أخرى أدبية –لم يلتفت إليها شهيد– يمكن توظيفها لصالح هذه الرواية.

ويمكن البدء بتناول الرواية التي تسجلها النسخة الحبشية لحولية يوحنا أسقف نقيوس[1] عن دخول المسيحية إلى جنوب الجزيرة العربية؛ فرغم أن هذه الرواية تبدو في ظاهرها مختلفة مع رواية فيلستورجيوس عن سفارة ثيوفيلوس الهندي في تحديدها الظرف الذي أدى إلى ذلك، إلا أنها في جوهرها تحمل مضامين يمكن توظيفها في دعم الرواية الأخيرة، خصوصا فيما يتعلق بتوقيت دخول المسيحية.

ففي سياق تناول يوحنا النقيوسي لأوضاع الإمبراطورية البيزنطية في عهد خلفاء الإمبراطور قسطنطين الكبير، وتحديدا بعد وفاة ابنه قنسطانز الأول Constans I في عام ٣٥٠م، يذكر ما يلي: "بعد وفاته [قنسطانز] تلقى شعب اليمن معرفة الله [...] من خلال امرأة مقدسة تُدعى ثيوجونوستا Theognosta. وهي عذراء مسيحية تم أسرها من دير على حدود الإمبراطورية الرومانية [البيزنطية]، وتم نقلها إلى ملك اليمن وتقديمها له كهدية. وأصبحت هذه المرأة المسيحية ثرية جداً بنعمة الله، وعلى يديها

---

(١) يُعتقد أنه عاش في النصف الثاني من القرن السابع الميلادي؛ إذ ورد في تاريخ البطاركة لساويرس بن المقفع أنه كان مشرفا عاما على أديرة الدلتا خلال الفترة (٦٩٣–٧٠٠م). وقد وصلتنا حوليته باللغة الحبشية، التي يُعتقد أنها تُرجمة عن نسخة عربية مفقودة. وهناك من يذهب إلى أن لغة الحولية الأصلية كانت اليونانية أو القبطية. نُشرت النسخة الحبشية لأول مرة مع ترجمة فرنسية على يد هيرمان زوتنبرج Hermann Zotenberg في عام ١٨٨٣م، انظر، *Zotenberg, H., Chronique de Jean, Évêque de Nikiou*, Paris, 1883. وللحولية عدد من الترجمات العربية، منها ترجمة كامل صالح نخلة في "مجلة صهيون"، العددين ٧–٨، القاهرة، يوليو وأغسطس ١٩٤٨، ويوليو وأغسطس ١٩٤٩. وعمر صابر عبد الجليل، تاريخ مصر ليوحنا النقيوسي: رؤية قبطية للفتح الإسلامي، القاهرة، ٢٠٠٠م.

تم الشفاء لكثيرين. وجلبت ملك الهند إلى الإيمان؛ فصار مسيحيًا هو وشعبه بفضلها. ثم طلب ملك الهند ورعاياه من الإمبراطور المحب لله، هونوريوس Honorius، أن يعين لهم أسقفا. ففرح [هونوريوس] فرحا عظيما لكونهم احتضنوا الإيمان واتجهوا إلى الله، وعين لهم أسقفًا مقدسًا، يدعى ثيونيوس Theonius. [...] وهكذا كان الحال أيضًا في الهند، أي الهند الكبرى. وكان رجال ذلك البلد سبق لهم أن استقبلوا رجلاً يُدعى أفروديت Afrudit [فرومينتيوس]، الذي يحظى بنبالة المولد في بلد الهند، وجعلوه أسقفا عليهم، بعد أن رسمه بطريرك الإسكندرية أثناسيوس الرسولي". [1]

ورغم المسحة الهجيوجرافية الظاهرة في هذه الرواية، شأنها في ذلك شأن كثير من روايات التنصير التي ترده إلى معجزات جرت على يد المبشر، إلا أنها تتماهى مع رواية فيلوستورجيوس من عدة أوجه؛ فأحداثها تدور في ذات عهد الإمبراطور (قسطنطيوس الأول)، كما أنها تشير إلى تأثير بيزنطي واضح في دخول المسيحية إلى جنوب الجزيرة العربية، وإن استبدلت شخصية السفير ثيوفيلوس بالراهبة الأسيرة.

والأهم من هذا وذاك أن الروايتين تشيران إلى اعتناق الملك الحميري للمسيحية وتأسيس دور للعبادة. صحيح أن رواية فيلوستورجيوس كانت أكثر تحديدا بإشارتها إلى تأسيس ثلاث كنائس في عدن وظفار ومدخل الخليج الفارسي، إلا أن ضرورة وجود تنظيم كنسي وهيئة كهنوتية في هذه الكنائس تنسجم مع رواية يوحنا النقيوسي بشأن طلب ملك الجنوب من الإمبراطور [البيزنطي؟] إرسال أسقف ليشرف على هذه المؤسسة الكنسية البازغة، على الأرجح من كنيسة العاصمة بظفار. ويبدو أن الأمر اختلط على يوحنا النقيوسي فنسب هذا الأمر إلى الإمبراطور هونوريوس Honorius، الذي حكم من عاصمته رافنا Ravenna الشطر الغربي من الإمبراطورية خلال الفترة (٣٩٥-٤٢٣م). وهذا الفارق الزمني (نحو نصف قرن) والبعد المكاني (بين العاصمتين ظفار ورافنا) يشيان بارتباك ما في تحديد شخوص رواية يوحنا النقيوسي.

ومما يرجح كون الإمبراطور المقصود في رواية يوحنا النقيوسي هو قسطنطيوس الأول وليس هونوريوس، أن النقيوسي أشار في خاتمتها إلى حدث ماض -سجلته مصادر معاصرة أخرى- بقوله: "كان رجال ذلك البلد [الحبشة] قد سبق لهم أن استقبلوا رجلاً يُدعى أفروديت Afrudit [فرومينتيوس]...وجعلوه أسقفا عليهم، بعد أن رسمه

(1) *The Chronicle of John, Bishop of Nikiu Translated From Zotenbserg's Ethiopic Text*, trans. R.H. Charles, Oxford, 1916, pp.69-70.

بطريرك الإسكندرية أثناسيوس الرسولي [حوالي عام ٣٢٨م]".(١)

ويبدو أن إشارة النقيوسي غير المتوقعة إلى فرومينتيوس Frumentius في سياق تناوله لدخول المسيحية جنوب الجزيرة العربية تتصل اتصالا وثيقا بإحدى المهام التي عهد بها الإمبراطور قسطنطيوس الأول إلى سفارة ثيوفيلوس الهندي -كما يسجل فيلوستورجيوس-، وهي تسليم رسالة إلى ملك الحبشة إيزانا Ezana تطلب استبدال فرومينتيوس (النيقي) بالأسقف (الأريوسي) ثيوفيلوس الهندي نفسه، وإرساله إلى الإسكندرية لإعادة تأهيل إيمانه وفقا للمذهب الأريوسي، وهو الطلب الذي رفضه الملك الحبشي.(٢)

وهنا قد يكون من الأفضل مناقشة رواية يوحنا النقيوسي في سياق الصراع المذهبي بين الأريوسية ممثلة في السلطة الإمبراطورية والنيقية ممثلة في كنيسة الإسكندرية وحليفتها في الحبشة؛ فمن المحتمل أن النقيوسي -كأسقف ينتمي للكنيسة المصرية- رغب في إبعاد فضل تنصير ملك الجنوب وشعبه عن إمبراطور أريوسي ورده إلى شخصية أخرى، ويبدو أنه تأثر في نسجه لملامح هذه الشخصية بنموذج أسقف الحبشة فرومينيوس. فوفقا لمؤرخي الكنيسة في القرنين الرابع والخامس الميلاديين، كان فرومينتيوس -مثل الراهبة ثيوجونوستا- أسيرا بيزنطيا من مدينة صور Tyre، تم اقتياده إلى ملك الحبشة، وسرعان ما حظى بثقته، ونجح بالمعجزات التي جرت على يديه في جذب الملك الشاب، إيزانا Ezana، وشعبه إلى المسيحية.(٣)

---

(1) Rufinus of Aquileia, *History of the Church*,pp.394-396; Sozomen, *History of the Church*, pp.85-88; Socrates, *History of the Church*, London, 1853, pp.51-52.

(٢) ورد نص هذه الرسالة في مؤلف أثناسيوس المعنون "دفاع إلى الإمبراطور قسطنطيوس". *Apologia ad Imperatorem Constantium, PG* 25, cols. 593f.. ويبدو أن فشل مهمة ثيوفيلوس في الحبشة دفعت فيلوستورجيوس إلى تجاهل توضيح طبيعة مهمته هناك -كما فعل فيما يتعلق بجنوب الجزيرة العربية-، واكتفى بالقول: "وصل ثيوفيلوس إلى الأكسوميين، واعتنى بالأمور هناك، ثم عاد إلى الإمبراطورية الرومانية". Philostorgius, *Church History*, p.43.

(٣) وفقا لبقية الرواية، استخدم فرومينتيوس نفوذه في نشر المسيحية، فشجع التجار الأجانب المسيحيين على ممارسة شعائرهم علنا، ونجح في تنصير عدد من السكان المحليين، ثم ارتحل إلى الإسكندرية وطلب من أسقفها أثناسيوس إرسال أسقف وبعض القساوسة كمبشرين إلى الحبشة، لكن أثناسيوس رأى فرومينتيوس ذاته هو الأنسب لهذه الوظيفة، فرسمه أسقفا. وعاد فرومينتيوس إلى الحبشة، ونجح في تنصير الملك إيزانا وسائر شعبه. Rufinus of Aquileia, *History of the Church*,pp.394-396; Sozomen, *History of the Church*, pp.85-88; Socrates, *History of the Church*, pp.51-52. وعن تأثير هذه الروايات في نظائرها الحبشية فيما يتعلق بظروف تنصر إيزانا، انظر، Vila, M., "Frumentius in the Ethiopic Sources: Mythopoeia and Text-Critical Considerations", *Rassegna di Studi* Etiopici -3rd Serie 1 (2017), pp.87-111. وعن تحليل لقصة تنصر إيزانا، انظر، Kaplan, S., "Ezana's Conversion Reconsidered", *Journal of Religion in Africa* 13/2 (1982), 101-109; Munro-Hay, S.C., "The Dating of Ezana

أخيرا قد يكون من الأفضل الانتقال إلى الرواية العربية التي سجلها وهب بن منبه في كتابه "التيجان في ملوك حمير"؛ ففي سياق حديثه عن الملك الذي أسماه "عبد كاليل بن ينوف" ذكر أنه "كان مؤمنا على دين عيسى وستر إيمانه".[١] ويؤرخ ابن منبه لفترة حكم هذا الملك بأربع وستين سنة، وجعله الملك السادس قبل عهد يوسف ذو نواس الذي حكم في عشرينيات القرن السادس الميلادي، بفاصل زمني يزيد على قرنين ونصف، مما يعني أن "عبد كاليل" حكم في منتصف القرن الثالث تقريبا.[٢]

ورغم الصبغة الأسطورية العامة التي تغلب على "كتاب التيجان" ومبالغته الواضحة في التأريخ لفترات حكم ملوك حمير، إلا أن مثل هذه الرواية لا تخلو من دلالة؛ إذ قد تتقاطع مع روايتي فيلوستورجيوس ويوحنا النقيوسي عن وجود ملك مسيحي في جنوب الجزيرة العربية في منتصف القرن الرابع الميلادي، أو ربما تشير –إن صحت– إلى ملك مسيحي لاحق "ستر إيمانه".

وقد يقودنا تعبير "ستر إيمانه"، الذي استخدمه ابن وهب لوصف حالة الملك "عبد كاليل"، إلى توظيف مفهوم الاستتار أو "السرية" المسيحي في سياقه الأوسع لتفسير غموض الولاءات الدينية في النقوش الحميرية الرسمية. إذ أنه من المعروف للمتخصصين أن الاضطهاد الذي تعرض له المسيحيون طوال القرون الثلاث الأولى للميلاد على يد السلطة الرومانية الوثنية[٣] دفعهم إلى اللجوء للعمل السري،[٤] إلى

---

and Frumentius", *Rassagna di Studi Etiopici* 32 (1988), pp.111–127;Haas, Ch., "Mountain Constantines: The Christianization of Aksum and Iberia", *Journal of Late Antiquity* 1/1 (2008), pp. 101–126, esp.107-108, 112.

(١) وهب بن منبه، كتاب التيجان في ملوك حمير، تحقيق ونشر مركز الدراسات والأبحاث اليمنية، صنعاء، ١٣٤٧هـ، ص٣١٠.

(٢) ذكر ابن منبه خمسة حكام بين كاليل وذو نواس، هم: "تبع بن حسان" بفترة حكم ٧٨ سنة؛ "ربيعة بن مرثد" ٣٧ سنة؛ "حسان بن عمرو" ٣٥ سنة؛ "أبرهة بن الصباح" ٧٣ سنة؛ "لخيعة بن ينوف" ٢٧ سنة. وهب بن منبه، كتاب التيجان، ص٣١٠-٣١٢.

(٣) يصعب حصر الدراسات التي صدرت عن الاضطهاد الروماني للمسيحيين، ولذا يمكن الاكتفاء بالإشارة إلى الدراسات التالية: Gutennan, S.L., *Religious Toleration and Persecution in Ancient Rome, London*, 1951; Frend, W.H.C., *Martyrdom and Persecution in the Early Church*, New York, 1967; Workman, H., *Persecution in the Early Church*, Oxford, 1980; Keresztes, P., *Imperial Rome and the Christians: from Herod the Great to about 202 A.D*, Vol. I, New York, 1989, Idem, *Imperial Rome and the Christians: from the Severi to Constantine the Great*, Vol. II, New York, 1989.

(٤) عن اسلوب العمل السري عند المسيحيين الأوائل، انظر، Rives, J.B., "The Persecution of Christians and Ideas of Community in the Roman Empire", *Politiche Religiose nel Mondo Antico e Tradoantico*, ed. G. A. Cecconi and C. Gabrielli, Bari, 2011, pp.199-216.

أن جاء اعتراف الإمبراطور قسطنطين بالمسيحية كديانة شرعية في الإمبراطورية عام ٣١٣م، ليتيح الفرصة للمسيحيين للخروج بإيمانهم من إطار العمل السري إلى التبشير الصريح. ومن المعروف أيضا أن اليهود طوال هذه القرون الثلاثة كانوا أكثر تشددا من الرومان في معارضة وكراهة انتشار المسيحية رغم كونهم شكلوا أقليات في ولايات الإمبراطورية الرومانية.(١)

وتشي الشواهد المصدرية إلى أن ثمة وضع مشابه –إلى حد ما- كان كائنا في جنوب الجزيرة العربية، خصوصا في القرنين الخامس والسادس الميلاديين؛ فمنذ وقت مبكر –كما تشير رواية فيلوستورجيوس- شكل اليهود جماعة ضغط في البلاط الحميري عارضت سفارة ثيوفيلوس الهندي التبشيرية، وربما يمكن اتخاذ وجود جماعة الضغط هذه كمفسر لغياب الإشارة إلى أي وجود مسيحي في تقرير السفارة.

ويبدو أن هذا الرفض اليهودي لم يظل قاصرا على المعارضة اللفظية، بل يبدو أنه تطور حتى بلغ ذروته في شكل العنف الجسدي عندما تهيأ لهم ملك يهودي على العرش؛ وأعني هنا اضطهاد الملك اليهودي يوسف ذو نواس لمسيحيي نجران في عام٥٢٣م. إلا أن هذا التحول من المعارضة اللفظية إلى العنف الجسدي لم يكن مفاجئا. صحيح أن اضطهاد يوسف ذو نواس هو الأكثر شهرة نظرا لورود أخباره بالتفصيل في النقوش والمصادر التاريخية ولاستئثاره بنصيب وافر من الدراسات الحديثة، إلا أنه فيما يبدو لم يكن الأول أو الوحيد، بل سبقته حالات اضطهاد جزئية ومحدودة سجلتها لنا المصادر المعاصرة.

إذ يظهر المصدر الحبشي "جادلا أزقير"(٢) بوضوح وجود نخبة يهودية من العلمانيين

(١) عن موقف اليهود من المسيحية في الإمبراطورية الرومانية، انظر، Hare, D., *The Theme of Jewish Persecution of the Christians in the Gospel According to St. Matthew*, Cambridge, 1967; Momigliano, A., *On Pagans, Jews and Christians*, Middletown, 1987; Dunn, J.D.G., *The Parting of the Ways between Christianity and Judaism and their Significance for the Character of Christianity*, London, 1991; Setzer, C., *Jewish Responses to Early Christians: History and Polemics*, 30- 150 C.E, Minneapolis, 1994; Hopkins, K., *A World Full of Gods: Pagans, Jews and Christians in the Roman Empire*, London, 1999.

(٢) مصدر عربي مسيحي مفقود وصلنا في نسخته الحبشية القديمة (الجعزية)، وهو المعروف بـ "جادلا أزقير" *Gadla Azqir*، أو "استشهاد أزقير"، يرجع أصل المسيحية في نجران إلى قس حبشي يُدعى "أزقير". وقد حدد المصدر زمن أحداثه بعهد الملك شرحبيل يانكف Sarahbi'il Yakkuf، الذي يتفق الباحثون الحديثون على التأريخ له بالسنوات من ٤٥٥م إلى ٤٧٥م. ووفقا لأحدث تحقيق لهذا المؤلف، هناك أكثر من عشرين مخطوط له، جميعهم باللغة الحبشية القديمة (الجعزية). وهو مؤلف من النوع الهجيوجرافي Hagiography الذي يخلد "أعمال الشهداء". نشره وترجمه لأول مرة الإيطالي كارلو كونتي روسيني Carlo Conti Rossini في عام ١٩١٠ معتمدا على مخطوطتين فقط. وأحدث نشر له –فضلا

والأحبـار في قصر شرحبيـل يانكف ضغطت في اتجاه اضطهــاد مسيحيي نجران، وهو الاضطهاد الذي تم بمباركة من الملك ومشاركة حصرية –كما تشير الرواية في أكثر من موضع- من يهود نجران.(١) كذلك تضم قائمة محتويات "كتاب الحميريين"(٢) فصلين يلمحان إلى وجود اضطهاد غير محدد التاريخ، لكنه سابق على عهد يوسف ذو نواس؛ إذ حمل الفصل الرابع –المفقود- عنوان: "سرد يقص كيف أن الأسقف توماس ذهب إلى الأحباش وأخبرهم أن الحميريين يضطهدون المسيحيين"(٣) ، بينما جاء عنوان الفصل الثامـن: "سـرد يقص بداية اضطهاد مسـروق [يوسف ذو نواس]، وحـرق الكنيسة في مدينـة ظفـار، ومذبحة الأحباش فيهـا".(٤) وإذا صح كون شمعـون الأرشمي Symeon of Beth Arsham تُـوفي عـام ٥٢١م -كما يرجح بعض الباحثين-(٥) فإن رسالتيه "عن

عـن ترجمة إلى الإيطالية- تم على يد الإيطالي إليساندرو باوسي Alessandro Bausi في عام ٢٠١٧م، واعتمـد فيه على اثنـين وعشرين مخطوط أمكنه الوصـول إليهم. ويعتقد باوسـي أن أحداثه على الأرجح تعـود إلى السنـوات مـن ٤٧٠م إلى ٤٧٥م. Rossini, K. C., "Un Documento sul Cristianesimo nello Iemen ai Tempi del Re Sharahbil Yakuf", *Tipografia della R. Accademia dei Lincei*, Roma, 1911, pp.705-749; Bausi, A., "Il Gadla Azqir", *Adamantius Rivista del Gruppo Italiano di Ricerca su "Origene e la tradizione alessandrina"*, 23 (2017), pp.341-380, esp.341.

(1) Bausi, "Il Gadla Azqir", p.369-377.

(٢) كتـاب الحميريـين، أو الشـذرات المتبقيـة منه، عبارة عـن مخطوطـة سريانية مجهولة المؤلـف، نُسخت في يـوم ١٠ أبريـل ٩٣٢م، وحملـت عنـوان "تاريخ أو استشهـاد الحميريين المباركـين" *The History or Martyrdom of the Blessed Himyarites*. وقـد وُجـد بالمصادفـة بـين دفتـي غـلاف مخطوطة سريانيـة من القرن الخامس عشر تحتـوي على نصوص طقسية للكنيسة اليعقوبيـة. وكان المخطوط ملكاً لزوجـين سويديـين ، السيد والسيـدة E. G. Wirén، اللذان قدماهـا إلى Axel Moberg أستاذ اللغات الساميـة بجامعة لوند Lund، وقام الأخير بدوره بنشر النص مع ترجمة باللغة الإنجليزية في عام ١٩٢٤. ويتنـاول الكتـاب أحداث اضطهاد المسيحيين علـى يد الملك اليهودي يوسف ذي نواس وحملة ملك أكسوم "كالب" Kaleb ضده. ولسوء الحظ، ما تبقى من هذا الكتاب لا يتضمن أية تواريخ مطلقا. ومع ذلك، تكمن أهميتـه في قائمـة محتوياته التي توفر تسلسلاً دقيقًا نسبيًا للأحداث. Moberg, A., (ed.) *The Book of the Himyarites: Fragments of a Hitherto Unknown Syriac Work*, Acta Regiae Societatis Humaniorum Litterarum Lundensis 7. Lund, 1924.. وانظـر أيضا، Shahid, I., "The Book of the Himyarites: Authorship and Authenticity", *Le Muséon* 76 (1963), pp. 349-362.

(3) *Book of the Himyarites*, p.3.

(4) *Book of the Himyarites*, p.4.

(٥) يقـترح البعض أن هناك اضطهاد مبكر حدث ربمـا عـام ٥١٨م. Robin, "Najrān vers l'époque du massacre", p.68; Forness, *Preaching Christology*, p.119. بينمـا يـرى باحثون أخرون أن خطـاب شمعـون الأرشمـي –الـذي ألقاه في مؤتمـر الرملة- مؤرخ بعـام ٥٢٤م، انظـر ، Shahid, I., "Byzantino-Arabica: The Conference of Ramla, A.D. 524", *Journal of Near Eastern Studies* 23/2 (1964), pp.115-31.

الشهداء الحميريين"[١] و"تاريخ أو استشهاد الحميريين المباركين"[٢] يتعلقان باضطهاد سابق على عهد يوسف ذو نواس. وحتى إن كان الخطاب الأول -الذي ألقاه في اجتماع رملة -Ramlah يعود إلى عام ٥٢٤م، كما يقترح عرفان شهيد، فإن ما تضمنه يشي بأن الاضطهاد اليهودي لم يكن وليد عهد ذو نواس، إذ جاء فيه: "إن يهود طبرية يرسلون أحبارهم سنة بعد أخرى، ومن وقت لأخر، لإثارة الاضطرابات ضد مسيحيي حمير".[٣]

ولعل الشواهد سالفة الذكر تدعم فرضية كون نفوذ النخبة اليهودية في حمير حال دون ظهور مسيحي صريح على المستويين الشعبي والرسمي، وأن عداء هذه النخبة المعلن للمسيحية لم يمكن ملوك حمير من إعلان ولاءهم الديني على نحو صريح، ربما لأن بعضهم حرص على استقرار الأوضاع في مملكته دون توترات دينية. وبأية حال فإن النقوش لا تعارض فكرة وجود ملك مسيحي -أو على الأقل متعاطف مع المسيحيين- في منتصف القرن الرابع، في وقت تجد رواية فيلوستورجيوس ما يدعمها من شواهد المصادر الأدبية على نحو صريح.

سادسًا. الخاتمة :-

تعد رواية فيلوستورجيوس عن إرسال الإمبراطور قنسطنطيوس الثاني لثيوفيلوس الهندي في مهمة تنصيرية إلى مملكة حمير في جنوب الجزيرة العربية (حوالي عام ٣٥٦م)، أول شاهد أدبي عن دخول المسيحية إلى جنوب الجزيرة العربية في القرن الرابع؛ ورغم أنها الرواية الوحيدة عن هذه السفارة ومهمتها، إلا أنه يمكن دعمها بالمرسوم الذي أصدره الإمبراطور قنسطنطيوس إلى الوالي البرايتوري موسونيانوس عام ٣٥٦م أو عام ٣٥٧م، والذي يشير إلى مبعوثيه في الإسكندرية المتوجهين إلى الأحباش والحميريين.

كذلك، يبدو أن معاصرة هذه السفارة بأهدافها التنصيرية لظهور نقوش توحيدية لا تحدد ماهية هذا الدين التوحيدي أمر يمكن تفسيره في صالح فرضية تواجد مسيحي

---

(١) نشر جوزيف أسيماني Joseph S. Assemani الرسالة الأولى في بداية القرن الثامن عشر الميلادي، ثم أعاد نشرها إيجانزو جويدي Iganzo Guidi وترجمها إلى الإيطالية في عام ١٨٨١م. Assemani, J.S., in: *Bibliotheca Orientalis*, 1: 364-79; Guidi, I., "La lettera di Simeone vescovo di Bêth-Arśâm sopra i martiri omeriti", *Atti della Reale Accademia Nazionale dei Lincei, Serie Terza: Memorie della Classe di Scienze morali, storiche e filologiche* 7 (1881), pp.471-515.

(٢) أما الخطاب الثاني فقد نشره عرفان شهيد. Shahid, I., (ed.& trans.), *The Martyrs of Najran*. *New Documents*, Brussels, 1971، النص السرياني في الصفحات من iii إلى xxxii، أما الترجمة الإنجليزية والملاحظات ففي الصفحات (٤٣-١١١).

(3) Guidi, *La lettera di Simeone*, pp.478, 494.

في جنوب الجزيرة العربية وقتذاك. خصوصًا مع وجود مصادر أدبية أخرى مبكرة، كروايات مؤرخي الكنيسة يوسيبيوس القيصري وروفينوس الأكويلي وجيروم، تشير إلى نجاح إرساليات تبشيرية في جنوب الجزيرة العربية في فترة مبكرة ترجع إلى القرن الأول الميلادي.

لقد اعتمد عدد من الباحثين الحديثين على غياب نقوش مسيحية صريحة عن التواجد المسيحي في جنوب الجزيرة العربية للتشكيك في حدوث سفارة ثيوفيلوس الهندي، أو على أقل تقدير في تأثيرها الديني، رغم مرسوم الإمبراطور قسطنطيوس سالف الذكر. إلا أن ثمة مصادر أدبية أخرى لم يلتفت إليها أولئك الباحثون تدعم حدوث هذه السفارة؛ فحولية يوحنا النقيوسي تسجل رواية تتفق مع رواية فيلوستورجيوس من عدة أوجه؛ فأحداثها تدور في ذات عهد الإمبراطور (قسطنطيوس الأول)، كما أنها تشير إلى تأثير بيزنطي واضح في دخول المسيحية إلى جنوب الجزيرة العربية. والأهم من هذا وذاك أن الروايتين تشيران إلى اعتناق الملك الحميري للمسيحية وتأسيس دور للعبادة.

كما أن الرواية العربية التي سجلها وهب بن منبه في كتابه "التيجان في ملوك حمير تتقاطع مع روايتي فيلوستورجيوس ويوحنا النقيوسي عن وجود ملك مسيحي في جنوب الجزيرة العربية في منتصف القرن الرابع الميلادي.

ورغم غياب الإشارة إلى تواجد للمسيحيين في تقرير ثيوفيلوس، إلا أن ذلك يمكن تفسيره في ضوء طبيعة مهمته التي اصطبغت بطابع دبلوماسي رسمي في المقام الأول، ولذا من المحتمل أنه لم يلاحظ سوى الوثنيين واليهود الأكثر عددا والأقرب للسلطة الحاكمة. كما أن إشارة فيلوستورجيوس الصريحة إلى وثنية البلاط الحميري، والمعارضة الشديدة التي صادفتها مهمة ثيوفيلوس من اليهود المتواجدين فيه، تمثل شاهدا إضافيا على التركيبة الدينية داخل هذا البلاط، فضلا عن احتوائه على جماعة ضغط يهودية حالت دون الظهور المسيحي على المستوى الرسمي.

ويبدو أن هذا الرفض اليهودي لم يقتصر على المعارضة اللفظية، بل يبدو أنه تطور حتى بلغ ذروته في شكل العنف الجسدي عندما تهيأ لهم ملك يهودي على العرش. إلا أن هذا التحول من المعارضة اللفظية إلى العنف الجسدي لم يكن مفاجئا. صحيح أن اضطهاد يوسف ذو نواس هو الأكثر شهرة نظرا لورود أخباره بالتفصيل في النقوش والمصادر التاريخية ولاستئثاره بنصيب وافر من الدراسات الحديثة، إلا أنه فيما يبدو لم يكن الأول أو الوحيد، بل سبقته حالات اضطهاد جزئية ومحدودة سجلتها لنا المصادر المعاصرة.

وعلى ذلك يمكن تفسير غياب نقوش مسيحية صريحة في ضوء النفوذ المتزايد للنخبة اليهودية في حمير؛ نفوذ حال دون ظهور مسيحي صريح على المستويين الشعبي والرسمي، وأن عداء هذه النخبة المعلن للمسيحية لم يمكن ملوك حمير من إعلان ولاءهم الديني على نحو صريح، ربما لأن بعضهم حرص على استقرار الأوضاع في مملكته دون توترات دينية. ولعل هذا يفسر تواصل ظهور النقوش التوحيدية الغامضة حتى بداية القرن السادس الميلادي. وبأية حال فإن هذه النقوش إن لم تكن تدعم وجودا مسيحيا واضحا في جنوب الجزيرة العربية منذ منتصف القرن الرابع فصاعدا، فإنها على الأقل لا تعارض هذه الفرضية، وهي فرضية تؤكدها رواية فيلوستورجيوس، وتجد ما يدعمها من شواهد المصادر الأدبية على نحو صريح.

سابعًا. قائمة المصادر والمراجع :

(١) المصادر والمراجع الأجنبية :

1- Ammianus Marcellinus, *Res Gestae*, trans. J.C. Rolfe, vol. II,]Loeb Classical Library], London, 2000.

2- Andrade, N.J., *The Journey of Christianity to India in Late Antiquity: Networks and the Movement of Culture*, Cambridge, 2018.

3- Angelov, A.B., *Conversion and Empire: Byzantine Missionaries, Foreign Rulers, and Christian Narratives (ca. 300900-)*, PhD. Dissertation, The University of Michigan, 2011.

4- Baldwin, B., «Malalas, John», in: *The Oxford Dictionary of Byzantium*, ed. A. Kazhdan, Oxford and New York: Oxford University Press, 1991, p. 1275.

5- Barnard, H., «Additional Remarks on Blemmyes, Beja and Eastern Desert Ware*», Egypt and the Levant: International Journal for Egyptian Archaeology and Related Disciplines* 17(2007), pp.2331-.

6- Bausi, A., «Il Gadla Azqir», *Adamantius Rivista del Gruppo Italiano di Ricerca su «Origene e la tradizione alessandrina»*, 23 (2017), pp.341 -380.

7- Beeston, A. F. L., «The Religions of Pre-Islamic Yemen», in: *L' Arabie du Sud*, ed. J. Chelhod, I (1984), pp.259269-.

8- Chatonnet, F.B., «The Syriac sources relating to the persecution of Christians of Najran in South Arabia», *The Harp* 89- (July 19951996-), pp.41 -51.

9- Chatonnet, F.B., «L'expansion du christianisme en Arabie: l'apport des sources syriaques», *Semitica et Classica* 3(2010), pp.177187-.

10- Christides, V., «Ethnic Movements in Southern Egypt and Northern Sudan: Blemmyes-Beja in Late Antique and Early Arab Egypt until 707 A.D», *Listy Filologiké* 1031980)3/), pp.129- 143.

11- Christou, P., «The Missionary Task of the Byzantine Emperor», *Byzantina* 3(1971), pp.279286-.

12- Dihle, A, «The Conception of India in Hellenistic and Roman Literature», *Proceedings of the Cambridge Philological Society* 190= new ser. 10(1964), pp.15- 23.

13- Dihle, A., «Die Sendung des Inders Theophilos», *Palingenesia* 4(1969), pp.330336-.

14- Dihle, A., «L'ambassade de Théophile l'lndien ré-examinée,» in*: L'Arabie préislamique et son environment historique et culturel: Actes du Colloque de Strasbourg 24–27 Juin 1987*, ed. T. Fahd, Leiden: Brill, 1989.

15- Dodgeon, M.H., and Lieu, S.N.C. (eds.), *The Roman Eastern Frontier and the Persian Wars AD 226363-: A Documentary History*, London-New York, 1994.

16- Eusebius, *The Ecclesiastical History*, ed. & trans. K. Lake, The Loeb Classical Library 39, London, New York, 1926.

17- Fernandez, G., «The Evangelizing Mission of Theophilus 'the Indian' and the Ecclesiastical Policy of Constantius II,» *Klio* 71 (1989), pp.361 -366.

18- Fiaccadori, G., «Teofilo Indiano,» *Studi Classici e Orientali* 33(1984), pp. 295–331.

19- Fiaccadori, G., «Teofilo Indiano: Parte II. Il Viaggio», *Studi Classici e Orientali* 34(1985), pp.271307-.

20- Frend, W.H.C., «The Church in the Reign of Constantius II (337361-): Mission-Monasticism- Worship», *Entretiens sur l'Antiquité classique* 34(1989), pp.73 -111.

21- Gajda, I., «Les débuts du monothéisme en Arabie du Sud», *Journal asiatique* 290 (2002), pp.611 -30.

22- Gregory of Nyssa, *Contra Eunomium I*, ed. M. Brugarolas, Brill: Leiden, Boston, 2018.

23- Guidi, I., «La lettera di Simeone vescovo di Bêth-Arśâm sopra i martiri omeriti», *Atti della Reale Accademia Nazionale dei Lincei, Serie Terza: Memorie della Classe di Scienze morali, storiche e filologiche* 7 (1881)، pp.471- 515.

24- Haas, Ch., «Mountain Constantines: The Christianization of Aksum and Iberia», *Journal of Late Antiquity* 12008) 1/), pp. 101–126.

25- Hatke,G., *Africans in Arabia Felix: Aksumite Relations with Himyar in the Sixth Century C.E.*, PhD. dissertation, Princeton University, 2011.

26- Hieronymus, *De Viris Illustribus, Liber ad Dextrum*, *PL* 23, cols. 683-686; Eng. trans. E.C. Richardson, in: Nicene and Post-Nicene Fathers, ed. Ph. Scaff, vol.3, New York, 1893.

27- Jamme, A., «Inscriptions of the Sabaean Bronze Horse of the Dumbarton Oaks Collection», *Dumbarton Oaks Papers* 8(1954), pp.315- 330.

28- Joannes Malalas. *Chronographia*, ed. L. Dindorf, *CSHB*, Bonn, 1831.

29- John of Nikiu, *The Chronicle of John, Bishop of Nikiu Translated From Zotenbserg's Ethiopic Text*, trans. R.H. Charles, Oxford, 1916.

30- Kaplan, S., «Ezana's Conversion Reconsidered», *Journal of Religion in Africa* 132 (1982), 101 -109.

31- Klein, R., *Constantius II und die christliche Kirch*, Darmstadt, 1977.

32- Lankina, A., *Reclaiming the Non-Nicene Past: Theophilos the Indian and Ulfila the Goth as Missionary Heroes*, MA Thesis, The Graduate School of the University of Florida, 2011.
33- Lankina, A, *Reassessing Historiography in Late Antiquity: Philostorgius on Religion and Empire*, PhD Dissertation, University of Florida, 2014.
34- Leith, J.H., *The Creeds of the Churche: A Reader in Christian Doctrine from the Bible to the Present*, 3rd. edition, Louisville: Westminster John Knox Press, 1982.
35- Lightfool, C.S., *The Eastern Frontier of the Roman Empire with Special Reference to the Reign of Constantius II*, PhD dissertation, St. John's College, Oxford, 1981.
36- Mayerson, Ph., «A Confusion of Indias: Asian India and African India in the Byzantine Sources», *Journal of the American Oriental Society* 1132/(Apr.-Jun., 1993), pp.169174-.
37- Mingana, A., «The Early Spread of Christianity in India», *Bengal Journal of Religion and Literature* 10(1926).
38- Moberg, A., (ed.) *The Book of the Himyarites: Fragments of a Hitherto Unknown Syriac Work*, Acta Regiae Societatis Humaniorum Litterarum Lundensis 7. Lund, 1924.
39- Müller, W.W., «Religion und Kult im antiken Südarabien», in: *Polytheismus und Monotheismus in den Religionen des Vorderen Orients*, ed. M. Krebernik and J. Oorschot, Münster, 2002, pp.175194-.
40- Munro-Hay, S.C., «The Dating of Ezana and Frumentius», *Rassagna di Studi Etiopici* 32 (1988), pp.111–127.
41- Nadeau, J.Y., «Ethiopians», *Classical Quarterly* 20(1970), pp.339- 349.
42- Nebes, N., «The Martyrs of Najran and the End of the Himyar: On the Political History of South Arabia in the Early Sixth Century», in: *The Qur'an in Context. Historical and Literary Investigations into the Qur'anic Milieu*, ed. A. Neuwirth, N. Sinai and Marx, Leiden, 2010, pp.27 -59.
43- Neill, S., *A History of Christianity in India*, Cambridge, 1984.
44- Newby, G.D., *A History of the Jews of Arabia from Ancient Times to their Eclipse under Islam*, Columbia: University of South Carolina, 1988.
45- Papathanassiou, A.N., «Christian Missions in Pre-Islamic South Arabia», *Theologia (Athēnai)* 651994)1/), pp.133- 140.
46- Patoura, S., «Ἡ διάδοση τοῦ Χριστιανισμοῦ στὰ πλαίσια τῆς ἐξωτερικῆς πολιτικῆς τοῦ βυζαντινοῦ κράτους (4ος-5ος αἰ.)», *Byzantina Symmeikta* 7(1987), pp.215 -236.
47- Phiostorgius, *Kirchengeschichte. Mit dem Leben des Lucian von Antiochien und den Fragmenten eines arianischen Historiographen*,

ed. J. Bidez, rev. F. Winkelmann, Leipzig, 1913.

48- Philostorgius, *Church History*, trans. Ph. R. Amidon, Brill: Leiden, Boston, 2007.

49- Prioletta, A., & Arbach, M., «Ḥimyar en Arabie déserte auVe siècle de l'ère chrétienne: une nouvelle inscription historique du site de Maʾsal (Arabie Saoudite)», *Académie des inscriptions & belles-lettres* (2016), II, pp.917957-.

50- Robin, Ch.,»La diffusion des relligions monothélists en Arabie du sud avant l' Islam», *Revue du Monde Musulman at de la Méditerranée* 61 (19912-), pp.144150-.

51- Robin, Ch., «Le judaïsme de Ḥimyar», *Arabia* 1(2003), pp.97- 172, esp.170- 172.

52- Robin, Ch., «Himyar et Israël», *Comptes rendus des séances de l'Académie des inscriptions et Belles-Lettres* 1482004) 2/), pp.831 -908.

53- Robin, Ch.J., «Najrān vers l'époque du massacre: notes sur l'histoire politique, économique et institutionnelle et sur l'introduction du Christianisme», in: *Le massacre de Najrān II: juifs et chrétiens en Arabie aux Ve et Vie siècles regards croisés sur les sources*, ed. J. Beaucamp et al., Paris, 2010, pp.64106-.

54- Rossini, C.K., «Un Documento sul Cristianesimo nello Iemen ai Tempi del Re Sharahbil Yakuf», *Tipografia della R. Accademia dei Lincei*, Roma, 1911, pp.705749-.

55- Rufinus of Aquileia, *History of the Church*, trans. Ph. R. Amidon, The Catholic University of America Press, Washington, D.C., 2016.

56- Ryckmans, J., *La persécution des chrétiens Himyarites au sixième siècle*, Uitgaven Nederlands hist.-arch. Instituut te Istambul 1. Istambul: Nederlands Historisch-Archaeologisch Instituut te Istanbul, 1956.

57- Ryckmans, J., «The Pre-Islamic South Arabian Bronze Horse in the Dumbarton Oaks Collection», *Dumbarton Oaks Papers* 29(1975), pp.275303-.

58- Schneider ,P., *L'Éthiopie et l'Inde: Interférences et confusions aux extrémités du monde antique (VIIIe siècle avant J.-C.–VIe siècle après J.-C.)*, École française de Rome, 2004.

59- Shahid, I., «The Book of the Himyarites: Authorship and Authenticity», *Le Muséon* 76 (1963)، pp. 349 -362.

60- Shahid, I., «Byzantino-Arabica: The Conference of Ramla, A.D. 524», *Journal of Near Eastern Studies* 231964) 2/), pp.11531-.

61- Shahid, I., (ed.& trans.), *The Martyrs of Najran. New Documents*,

Brussels, 1971.

62- Shahid, I., *Byzantium and the Arabs in the Fourth Century*, Washington, D.C., 1984.

63- Shayegan, M. R., «On the Rationale behind the Roman Wars of Šābuhr II the Great», *Bulletin of the Asia Institute* 18 (2004), pp.111–133.

64- Shitomi, Y., «A New Interpretation of the Monumentum Adulitanum», *Memoirs of the Research Department of the Toyo Bunko* 55 (1997), pp.81- 102.

65- Smith, S., «Events in Arabia in the 6th century AD», *Bulletin of the Schoo1 of Oriental and African Studies* 16 (1954).

66- Snowden, F.M., *Blacks in Antiquity: Ethiopians in Greco-Roman Experience*, Harvard University Press, 1970.

67- Socrates, *History of the Church*, London, 1853.

68- Sozomen, *History of the Church*, trans. E. Walford, London, 1855.

69- Thomas, R.I., «Port Communities and the Erythraean Sea Trade», *British Museum Studies in Ancient Egypt and Sudan* 18(2012), pp.169- 199.

70- Thompson, E.A., *The Visigoths in the Time of Ulfila*, Oxford, 1966.

71- The Theodosian Code and Novels and the Sirmondian Constitutions, trans. C. Pharr, New York, 1969.

72- Trimingham, J.S., *Christianity among the Arabs in Pre-Islamic Times*, London, New York, 1979.

73- Vaggione, R.P., (ed.), *Eunomius, The Extant Works*, New York, 1987.

74- Vila, M., «Frumentius in the Ethiopic Sources: Mythopoeia and Text-Critical Considerations», *Rassegna di Studi Etiopici -3rd Serie* 1 (2017), pp.87111-.

75- Wiles, M., *Archetypal heresy: Arianism through the Centuries*. Oxford: Clarendon Press, 1996.

76- Zotenberg, H., *Chronique de Jean,* Évêque *de Nikiou*, Paris, 1883.

(٢) المراجع العربية والمعربة :-

١- جواد علي، **المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام**، ج٦، ط٢، بغداد، ١٩٩٣م

٢- جورج شحاتة قنواتي، **المسيحية والحضارة العربية**، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٨٥م

٣- ذكرى عبد الملك المطهر، **الصراع الديني في جنوب الجزيرة العربية من القرن الرابع حتى القرن السادس**، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة صنعاء، ٢٠٠٣م

٤- عائشة سعيد أبو الجدايل، ديانة شهداء نجران: قراءة جديدة للمصادر الأولية، **حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية، الرسالة ٢٢٢**، الحولية ٢٥، ٢٠٠٤م

٥- عمر صابر عبد الجليل، **تاريخ مصر ليوحنا النقيوسي: رؤية قبطية للفتح الإسلامي**، القاهرة، ٢٠٠٠م.

٦- كامل صالح نخلة في "**مجلة صهيون**"، العددين ٧-٨، القاهرة، يوليو وأغسطس ١٩٤٨، ويوليو وأغسطس ١٩٤٩.

٧- كوثر محمد سعيد محمد علي، **حادثة الأخدود بين المصادر العربية والمصادر القديمة: دراسة تاريخية حضارية**، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، ٢٠١٥م .

٨- نورة عبد الله النعيم، الحالة الدينية في نجران قبل الإسلام، **أدوماتو، ع٩٢**، يناير ٢٠٠٤م، ص٥١-٦٠ .

٩- وهب بن منبه، **كتاب التيجان في ملوك** حمير، تحقيق ونشر مركز الدراسات والأبحاث اليمنية، صنعاء، ١٣٤٧هـ .



الدراسـة الثالثة

نص أعمال أزقير(Gadla Azgir) قس نجران (حوالي ٤٧٠ـ ٤٧٥م) . ترجمه عن الإيطالية والفرنسية وعلق عليه

أ.د. عبدالعزيز بن محمد رمضان



الدراسة الثالثة

نص أعمال أزقير (Gadla Azgir) قس نجران (حوالي ٤٧٠ - ٤٧٥م) . ترجمه عن الإيطالية والفرنسية وعلق عليه أ. د. عبدالعزيز بن محمد رمضان [(١)]

أولا. مقدمة :

"جادلا أزقير"، أو "أعمال أزقير"، هو نص هجيوجرافي[(٢)] معروف فقط في نسخته الإثيوبية وضمن في مخطوطات مجموعة الأناشيد والطقوس الهجيوجرافية المعروفة باسم "أعمال الشهداء" Gadla samāʿtāt [(٣)]، التي تعود إلى القرن الثالث

(١) للمزيد عن سيرة الدكتور عبد العزيز انظر الدراسة الأولى في هذا الكتاب.

(٢) يستمد الأدب الهجيوجرافي Hagiography اسمه من الكلمتين اليونانيتين ἅγιος (hagios) بمعنى "مقدس"، و γραφία (graphia) بمعنى "كتابة". وهو نوع من الأدب القصصي الديني الذي يتعلق بسير القديسين ومعجزاتهم. «Hagiography”, *Oxford English Dictionary* (3rd ed.), Oxford University Press, 2005.

(٣) تم نشر وترجمة العديد من النصوص الهجيوجرافية التي تحويها هذه المجموعة، انظر على سبيل المثال: D. Labadie, *Une version éthiopienne des actes apocryphes du protomartyr Étienne. Édi-*

عشــر أو الرابــع عشر. وقد جذبت "أعمــال أزقير" انتباه الباحثـين نظرا لما تحويه من إشــارات مباشــرة وموثوقة من النواحــي التاريخيــة والجغرافية والدينيــة، فضلا عن معلومــات تتعلق بالتنصير في شبه الجزيرة العربية من نقطة انطلاقه في نجران خلال النصف الثاني من القرن الخامس، وبشكل أكثر دقة الفترة ما بين ٤٧٠-٤٧٥م[١].

وكان بداية الاهتمام بترجمة هذا النص في عام ١٨٩٦م، عندما أصدر هوغو وينكلر Hugo Winckler ترجمــة ألمانية للنص[٢] استنــادا إلى المخطوطات الثلاثة المحفوظة في المتحــف البريطاني، والموجودة الآن في المكتبــة البريطانية[٣]. وفي عام ١٩١٠م، قدم كارلو كونتي روسيني Carlo Conti Rossini الإسهام الأكثر أهمية في التعريف بنص "أعمــال أزقــير" ، من خلال إنجاز أول نشر للنص، والوحيد المتاح حتى وقت قريب، مع ترجمــة إلى الإيطالية وتقديم مفصل[٤]. كما أرفــق بها معلومات موجزة عن أزقير كما وردت في السنكسار الحبشي[٥]. وقد استند كونتي روزيني في تحقيقه إلى مخطوطتين، الأولى محفوظــة في مكتبــة فرنســا الوطنيــة *Bibliothèque nationale de France* بباريــس Éthiop., d'Abbadie 110, XVIII sec., ff. 180va-182rc ، والثانيــة هــي المخطوطــة (٦٨٩) المحفوظة بالمكتبة البريطانية، والتي سبق أن استخدمها وينكلر بالفعــل في ترجمته الألمانية. ولا زال عمل كونتي روزيني يمثل حتى االيوم نقطة البداية لأي بحــث إضافي حول القيمة التاريخية لـ "أعمــال أزقير"[٦]، على الرغم من اكتشاف

tion, traduction et commentaire du manuscrit BnF d'Abbadie 110 (f. 81r-88r), Muséon 128 (2015), p.415-472; J. Karlsson, *The Lives of John of Dailam with special reference to the Ethiopic life found in the Gadla Samāʿtāt*, Uppsala University, Department of Linguistics and Philology 2016; U. Zanetti, *Saint Jean, higoumène de Scété (viie siècle). Vie arabe et épitomé éthiopien* (SHG 94), Bruxelles 2015.

(1) C.J. Robin, *Nagrān vers l'époque du massacre: notes sur l'histoire politique, économique et institutionnelle et sur l'introduction du christianisme (avec un réexamen du* Martyre d'Azqīr*)*, in *Juifs et chrétiens en Arabie aux Ve et VIe siècles. Regards croisés sur les sources*, a cura di J. Beaucamp – F. Briquel-Chatonnet – C.J. Robin (Centre de recherche, d'histoire et civilisation de Byzance, Monographies 32, Le massacre de Najrân 2), Paris 2010, p.39-106, esp. p.80-106 (*Un réexamen du* Martyre d'Azqīr).

(2) H. Winckler, ***Zur geschichte*** (sic) ***des Judentums in Jemen***, in Idem, ***Altorientalische Forschungen. Erste Reihe***, Leipzig 1896 (repr. Amsterdam 1972), p.329-336.

(3) nos. 686, 687-688, 689.

(4) C. Conti Rossini, ***Un documento sul cristianesimo nello Iemen ai tempi del re Šarāḥbīl Yakkuf***, AAL.R, ser. 5, 19 (1910), p.705-750.

(5) See: G. Colin, ***Le synaxaire éthiopien. Mois de Ḫedār*** (PO 44/3, fasc. 199), Turnhout 1988, p.354-357 (= 122-125); E.A.W. Budge***, The Book of the Saints of the Ethiopian Church***, I, Cambridge 1928, p.275-276

(6) A. Jeffery, ***Christianity in South Arabia***, AThR 27/31945)), p.185-204, esp. p. 192-195; J.W. Hirschberge, ***Nestorian Sources of North-Arabian Traditions on the***

وتحقيق عدد متزايد من المخطوطات الجديدة (كما سنعرض لاحقا).
وظل كثير من المعلومات التي يحويها نص "أعمال أزقير" مستعصيا على الفهم والتفسير، إلى أن أنجز كريستيان جوليان روبين Christian Julien Robin تحليلا شاملا للأسئلة التي أثارتها "أعمال أزقير"، وإن كان قد فَضَّل استخدام عنوان "استشهاد أزقير"، خصوصًا فيما يتعلق بأسماء الأعلام والأشخاص وهوية المواقع الجغرافية، وقد استدعى هذا من روبين البحث الشاق في الوثائق الإبيجرافية لجنوب الجزيرة العربية، مع الوضع في الاعتبار المعلومات الواردة في المصادر العربية الإسلامية. وقد قدم روبين هذا التحليل في ملحق عنونه بـ "مراجعة لاستشهاد أزقير Un réexamen du *martyre d'Azqīr*" وضعه في نهاية دراسته المعنونة "نجران نحو فترة المذبحة: ملاحظات على التاريخ السياسي والاقتصادي والمؤسسي وعلى دخول المسيحية، مع مراجعة لاستشهاد أزقير"[1]. ونظرا لأهمية هذا التحليل وما يحويه من إضافات بالغة الأهمية، فضلا عما قد يثيره من أفكار لدى الباحثين العرب المتخصصين، خصوصًا فيما يتعلق بتوظيف روبين للمصادر العربية، فقد كان من المهم ترجمة عمل روبين إلى العربية وتضمينه في العمل الراهن (بعد عرض النسخة التي حققها أليساندرو باوسي Alessandro Bausi ونص ترجمتها الإيطالية، ثم تعريب الباحث لها)[2].
وفيما يتعلق بمسألة لغة النص الأصلي، يعتقد كونتي روسيني في احتمالية أن النسخة الحبشية استندت إلى نسخة عربية، وأن الأخيرة اعتمدت بدورها على أصل سرياني كُتب في اليمن بين القرنين السادس والسابع الميلاديين، وأن النسخة الحبشية أنجزت خلال القرنين الرابع عشر والخامس عشر[3]. ووجد طرح كونتي روزيني قبولا لدى دابليو. ويتاكويسكي W. Witakowski في مساهمته عن أعمال أزقير في "الموسوعة الأثيوبية *Encyclopaedia Aethiopica*"[4]. أما كريستيان روبين فقد قدم مقاربة

Establishment and Persecution of Christianity in Yemen, Rocznik Orientalistyczny 15 (1939-1949), p.321-338, esp. p.324-326; J. Ryckmans, *Le Christianisme en Arabie du sud préislamique*, in *Atti del Convegno Internazionale sul tema: L'Oriente Cristiano nella storia della Civiltà (Roma 31 Marzo-3 Aprile 1963) (Firenze 4 aprile 1963)* (Problemi Attuali di Scienza e di Cultura 62), Roma 1964, p.413-453, esp. p.421-422, 435, 437, 442-443; A.F.L. Beeston, *The Martyrdom of Azqir*, Proceedings of the Seminar for Arabian Studies 15 (1985), p.5-10; I. Shahid, *Byzantium and the Arabs in the Fifth Century*, Oxford 1989, p.360, 363, 370-372, 376;

(١) انظر حاشية رقم (٢).
(2) A. Bausi, "Il Gadla Azqir", *Adamantius Rivista del Gruppo Italiano di Ricerca su "Origene e la tradizione alessandrina"*, 23 (2017), p.341-380.
(3) C. Conti Rossini, *Un documento*, cit., p.725.
أعاد كونتي روزيني تأكيده على هذه الفرضية في دراسة أخرى له.
C. Conti Rossini, *Azqir*, in *Dictionnaire d'Histoire et de Géographie Ecclésiastique*, V: *Athéisme-Azzon*, a cura di A. Baudrillart, Paris1931, p.1377- 1378.
(4) W. Witakowski, *Azqir: Gädlä Azqir*, in *Encyclopaedia Aethiopica*, I: *A-C*, a cura di S. Uhlig, Wiesbaden 2003, p.421b-422a

مختلفـة، فكمـا سنلاحظ مـن تحليله (المترجـم إلى العربيـة والملحـق في نهاية العمل الراهـن)، الـذي استند إلى آليـة الاستبعاد؛ حيث وجد أن استبعـد انتقال صيغ أسماء مثل "ثَعلبـان" Ṯaʿlabān و"صفار" Ṣəfār عبر الآرامية، حيث صيغ تَعلَبان Taʿlabān وطَفار Ṭafār؛ كما استبعد السبَئية لعدم وجود شواهد على استخدام السبئية في الإنتاج الأدبـي، فضـلا عن صيغة اسم الملك "يَنكف" بدلا مـن "يكف". وفي الوقت الذي يميل روبـين إلى افتراضـ الأصل العربي للنص، يرى أليساندرو باوسي أن النص لا يحوي ما يؤكد هذه الفرضية؛ ويستند باوسي إلى أن نص "أعمال أزقير" خلا من أية أخطاء في القراءة من ذلك النوع الذي يقع كثيرًا في النصوص الحبشية المترجمة من العربية. وعلى الجانـب الآخر يرى باوسي أن احتواء النصـ الحبشي على تعليق يفسر مسمى صحراء "جوعـان" Gəwʿān بكونـه يعنـي "جائع" في اللغـة العربية، لا يعد شاهـدا يقف ضد فرضية الأصل العربي كما يفترض روبين[١]؛ فاستخدام اسم "جوعان" كان معروفًا في التقليد الأدبي الحبشي، وتم استخدامه في أعمال يوناس *the Acts of Yonās*، القديس الإريـتري من الخامس عشر القـرن، حيث قيل أن القديس "يطعـم منطقة جوعان من مائـدة الخلاصـ"[٢]. ولا شك في اختـلاف الباحثين حول لغة النصـ الأصلي يرجع في جانـب منه إلى أن قصـره الواضح يفرض صعوبة أمام استخلاصـ استنتاجات نهائية سواء من ناحية اللغَة أو نقد النص.

ثانيا. تحقيق أليساندرو باوسي وترجمته الإيطالية :-

أ- المحقق :-

أليسانـدرو باوسـي (المولـود في عـام ١٩٦٣م) باحـث إيطـالي يعـد أحـد كبـار المتخصصـين في مجاله في فقه اللغـة الحبشية وآدابها، ويعمل علـى تحقيق النصوص والمخطوطـات الإثيوبية. حصل باوسي على درجـة الدكتوراه في عام ١٩٩٢م من جامعة نابولي. وعمل في نفس الجامعة كأستاذ مساعد (١٩٩٥م) ثم أستاذ مشارك (٢٠٠٢م) في اللغـة الحبشيـة وآدابهـا. ويعمل منذ عـام ٢٠٠٩م أستـاذا للدراسـات الحبشية في معهـد Asien-Afrika-Institut، ومديـرًا لمركـز Hiob Ludolf في جامعة هامبورج. ، ويشرف علـى تحرير مجلة "أثيوبيكا: المجلة الدولية للدراسـات الإثيوبية والإريترية" *Aethiopica: International Journal of Ethiopian and Eritrean Studies*، وتحرير مجلة "الأبحاث الأثيوبية" *Aethiopistische Forschungen*. كذلك اضطلع باوسي بتحرير عدد من الأعمـال، بما في ذلك "الموسوعة الأثيوبية" Encyclopaedia

---

(1) A. Bausi, “Il Gadla Azqir”, p.343.

(2) Tedros Abraha, *Gädlä Abunä Yonas zä-Bur, Eritrean saint of the 15th century. Geʿez text edited and translated* (PO 53/2, fasc. 236), Turnhout 2015, p.432-433.

Aethiopica خـلال السنوات (٢٠١٠-٢٠١٤م)، وهو رئيس برنامج شبكات دراسات المخطوطـات الشرقية المقارنة[1] (بتمويل من مؤسسة العلوم الأوروبية the European Science Foundation خلال السنوات ٢٠٠٩-٢٠١٤م). وله العديد من المشاركات في المشروعـات البحثية الدولية[2]، والنشر على نطـاق واسع في مجال الدراسات الحبشية والمخطوطات الشرقية، ومن هذه الدراسات:

- Bausi, A. 1992a. *Il Sēnodos etiopico: edizione critica e traduzione dei testi pseudoapostolici inediti* Tesi di Dottorato, Napoli: Istituto Universitario Orientale (1992).
- Bausi, A. 1992b. *Il Qalēmenṭos etiopico. La rivelazione di Pietro a Clemente. I libri 3-7. Traduzione e introduzione*, Studi Africanistici, Serie Etiopica, 2 (Napoli: IUO, Dipartimento di Studi e Ricerche su Africa e Paesi Arabi, 1992).
- Bausi, A. 1995c. *Il Sēnodos etiopico. Canoni pseudoapostolici: Canoni dopo l'Ascensione, Canoni di Simone il Cananeo, Canoni Apostolici, Lettera di Pietro*, Corpus Scriptorum Christianorum Orientalium, 552, 553, Scriptores Aethiopici, 101, 102 (Lovanii: Peeters, 1995).
- Bausi, A. 2002. *La versione etiopica degli Acta Phileae nel Gadla samāʿtāt*, Annali dell'Istituto Universitario Orientale. Supplemento, 92 (Napoli: Istituto Universitario Orientale, 2002).
- Bausi, A. 2003. *La "Vita" e i "Miracoli" di Libānos*, ed. A. Bausi, Corpus Scriptorum Christianorum Orientalium, 595, Scriptores Aethiopici, 105 (Lovanii: In aedibus Peeters, 2003).
- Bausi, A. 2012. *Languages and Cultures of Eastern Christianity: Ethiopian*, ed. A. Bausi, The Worlds of Eastern Christianity, 300-1500, 4 (Farnham–Burlington, VT: Ashgate, 2012).
- Bausi, A., P. G. Borbone, F. Briquel-Chatonnet, P. Buzi, J. Gippert, C. Macé, M. Maniaci, Z. Melissakis, L. E. Parodi, W. Witakowski, and E. Sokolinski 2015. *Comparative Oriental Manuscript Studies: An Introduction*, eds A. Bausi, P. G. Borbone, F. Briquel-Chatonnet, P. Buzi, J. Gippert, C. Macé, M. Maniaci, Z. Melissakis, L. E. Parodi, W. Witakowski, and E. Sokolinski (Hamburg: COMSt, 2015).
- Bausi, A. and A. Gori 2006. *Tradizioni orientali del "Martirio di Areta". La prima recensione araba e la versione etiopica: edizione*

(1) https://www.aai.uni-hamburg.de/en/comst/history.html

(٢) للمزيد انظر: https://en.wikipedia.org/wiki/Alessandro_Bausi

critica e traduzione, Quaderni di Semitistica, 27 (Firenze: Dipartimento di Linguistica – Università di Firenze, 2006).

- Bausi, A., A. Gori, and G. Lusini 2014. *Linguistic, Oriental and Ethiopian Studies in Memory of Paolo Marrassini*, eds A. Bausi, A. Gori, and G. Lusini (Wiesbaden: Harrassowitz Verlag, 2014).
- Bausi, A., A. Gori, D. Nosnitsin, and E. Sokolinski 2015. *Essays in Ethiopian Manuscript Studies: Proceedings of the International Conference Manuscripts and Texts, Languages and Contexts: the Transmission of Knowledge in the Horn of Africa, Hamburg, 17–19 July 2014*, eds A. Bausi, A. Gori, D. Nosnitsin, and E. Sokolinski, Supplement to Aethiopica, 4 (Wiesbaden: Harrassowitz Verlag, 2015).

ب. مخطوطات التحقيق:-

ترجع أهمية تحقيق أليساندرو باوسي لنص "أعمال أزقير" في أنه نُشر حديثاً، في عام ٢٠١٧م، أي بعد أكثر من قرن منذ تحقيق كونتي روزيني المنشور في عام ١٩١٠م. وخلال هذا القرن لم يشهد المجال البحثي أي اهتمام بإعادة تحقيق النص. وفي الوقت الذي اعتمد تحقيق كونتي روزيني –كما سبق الإشارة– على مخطوطتين فقط، نجح إليساندرو باوسي في إنجاز تحقيقه إستنادًا إلى خمس وعشرين مخطوطة للنص، أثبتها على النحو التالي:-

- London, British Library, Orient. 686, 1755/1769, ff. 71vb-72vc.
- London, British Library, Orient. 687-688, XVIII sec., ff. 107va-108vc.
- London, British Library, Orient. 689, XV sec., ff. 94va-96va.
- Paris, Bibliothèque nationale de France, Éthiop., d’Abbadie 110, XVIII sec., ff. 180va-182rc.
- EMML, nr. 1479 (Eritrea, Ṣāʿdā ʾƎmbā Śəllāse, ʾAbuna Sayfa Mikāʾel), 1459/1460, ff. 145va-147vb.
- EMML35, nr. 2514 (Etiopia, Šawā, ʾAnkobarr, ʾAstit Kidāna Məḥrat), XIV sec., ff. 62vb-64rb.
- EMML, nr. 6903 (Etiopia, Šawā, Tigor Māryām), XV sec., ff. 128ra-129r.
- EMML, nr. 6951 (Etiopia, Wallo, Lāstā, Lālibalā, Beta Gabrəʾel), XV sec., ff. 83rb-85rb.

- EMML, nr. 6965 (Etiopia, Wallo, Lāśtā, Dabra Zammada), XIV sec., ff. 89va-91rb.
- Berlin, Staatsbibliothek Preußischer Kulturbesitz, Orientabteilung, Ṭānāsee 121, XIV sec., ff. 93ra-94vb.
- EMML, nr. 2796 (Etiopia, Wallo, ʾAmbāssal, Ḥayq, biblioteca di *ʾAbbā* Wəbāle), XIV sec., ff.94 rb-97vb, 153ra-vb, 155ra-vb.
- Etiopia, Təgrāy, Tāḥtāy Māyç̣aw, Dabra Bankwal, CSMC36, D Ban-001, XV sec., ff. 112rb-113vb.
- Etiopia, Təgrāy, Gulo Makadā, ʿUrā Masqal, Ethio-SPaRe, UM-018, XIV/XV sec., ff. 204v, 207r-209r.
- Etiopia, Təgrāy, ʾƎndartā, Koholo Qəddus Yoḥannəs, Ethio-SPaRe, KY-001, XVI sec., ff. 79v-82r.
- Etiopia, ʾAmharā, Gondar, Dabra Qwəsqwām, CSMC, DaQwe-001, XVIII sec., ff. 77ra-78r.
- Etiopia, Təgrāy, Dagwəʿa Tamben, Dabra ʾAbuna ʿAbiya ʾƎgziʾ, CSCM, AAE-001, XV sec., ff. 157va-159rb.
- Etiopia, Təgrāy, Tāḥtāy Māyç̣aw, Dabra Māy Bərāzyo, CSMC, MayBe-001, XV sec., ff. 79ra-80vb.
- Etiopia, Təgrāy, Tāḥtāy Māyç̣aw, Dabra Māy Bərāzyo, CSMC, MayBe-002, XV sec., ff. 156rb-158vb.
- Etiopia, Təgrāy, Dagwəʿa Tamben, Dur ʾAmbā Śəllāse, CSMC, DAS-001, XV sec., ff. 153va-155vb.
- Etiopia, Təgrāy, Katamā ʿAdwā, Madḫane ʿAlam, CSMC, MAA-00137, 1755-1769, ff. 78rc-79va.
- Etiopia, Təgrāy, Qwallā Tamben, Dabra Radāʾit Qəddəśt Māryām Qāqmelā Gadām, CSMC, MaQa-001, XIV/XV sec., ff. 70ra-71rb.
- Etiopia, Təgrāy, Sāmra, Dabra Yoḥannəs Kamā, CSMC, YoKa-001, XIV/XV sec., ff. 61vc-63va.
- EMML, nr. 9185 (Etiopia, ʾAddis ʾAbabā, biblioteca dell’*ʾAlaqā*

Hadarā), XX sec., ff. 75va-76vb.

- Etiopia, Təgrāy, Šəre, Marʿāwe Krəstos, XV sec., EAP704/2/2838, ff. 343va-346ra.
- EMML, nr. 7600 (Etiopia, ʾAmharā, Gondar, Zurambā/Zur ʾAbbā ʾAragāwi)39, XV/XVI sec., ff. 125- ra-126vc.

ج. نص الترجمة الإيطالية :-

1- Combattimento e martirio del santo martire ʾAzqir, prete nāgrānita, che per primo insegnò il cristian<nesimo> a Nāgrān, che diffuse il cristian<esimo> al tempo di Sərābḥel <Y>ənkəf, re di Ḥemer, e piantò la tenda dell’oratorio e il signacolo (della croce).

2- Avendone sentito (notizia), i governatori della | città di Nāgrān, Zasəʿləbān e Zaqefān, inviarono (dei messi), strapparono la tenda dell’oratorio, ruppero il signacolo (della croce) e presero ʾAzqir e lo gettarono in carcere al buio, in quella cisterna nota come Qafnayt.

3- E mentre si trovava in carcere, vennero gli uomini cui aveva insegnato prima di essere preso (prigioniero), quelli che aveva introdotto al catecumenato, e vennero a chiedergli il battesimo.

4- Il santo ʾAzqir disse ai carcerieri: “Aprite a questi uomini!”, ma i carcerieri si rifiutarono di aprire.

5- Il santo si levò, pregò e disse: “Mio Signore Gesù Cristo, che hai aperto le porte di ferro a Pietro e ne hai sciolto i vincoli, tu anche oggi da’ ordine che si aprano queste porte, per tutta la notte non siano chiuse finché i tuoi servi entreranno | a ricevere la tua grazia”.

6- La porta si aprì da sola per la potenza di Dio e quelle persone entrarono, cinquanta uomini.

7- I carcerieri si mossero per chiudere la porta, {allorché rimasero stupefatti,} ed erano circa cinquanta uomini; ma i carcerieri non riuscirono a chiudere la porta per evitare che entrassero dal santo ʾAzqir; e i carcerieri riconobbero che questo miracolo proveniva dal Signore.

8- Allora rimasero stupefatti e desistettero, e questi cinquanta uomini entrarono dal santo ʾAzqir; fece un fonte battesimale nel carcere e li battezzò nel nome del Padre, del Figlio e dello Spirito Santo; e

quegli uomini furono battezzati quella notte; fece una preghiera e li <illuminò di luce> piena nel carcere: così fece. Questo è il primo miracolo compiuto dal santo ʾAzqir, nel carcere.

9- Il re di Hemer Sərāḥebʾel udì questo fatto compiuto dal santo ʾAzqir; e il re (un messaggio) ai governatori che risiedevano a Nāgrān, dicendo: "Presto, conducete quell'uomo che ha introdotto una nuova dottrina nel mio paese!".

10- Un uomo, di nome Kiryāqi, corse dal santo ʾAzqir, mentre si trovava nel carcere, gli parlò e gli disse: "Che io dia il lieto annuncio, ché il re di Ḥemer ha dato disposizione riguardo a te di portarti da lui, per il martirio!".

11- E ʾAzqir disse a quell'uomo: "Davvero tu hai una buona novella e la tua buona novella | è su di me!". E vennero degli uomini del paese, gli parlarono e fecero uscire il santo ʾAzqir dal carcere e lo incarcerarono insieme a quell'uomo che aveva parlato ad ʾAzqir.

12- E allora giunsero molti viandanti stranieri da Tanāḥ e con loro mandarono ʾAzqir dal re di Ḥemer; e uscito da Nāgrān, molti uomini lo seguirono e lo inviarono fino a un luogo che si chiama Wāṣḥa a una distanza di circa quindici tappe dalla città di Nāgrān.

13- Una volta qui giunti, due uomini gli chiesero di battezzarli, ed egli fece un oratorio sul posto, vicino a una roccia, e sgorgò dell'acqua e lì battezzò sul posto il giorno stesso, mentre prima quel posto era privo d'acqua; e per la preghiera del santo ʾAzqir è sgorgata fino ad oggidì; ed era roccia il luogo dove l'acqua sgorgò.

14- E avendo visto il miracolo, quell'uomo che era incarcerato insieme a lui gli rivolse una domanda dicendogli: "Ricordati, mio Signore, quando ti parlavo, mentre stavi in carcere, cosa mi hai detto: "La tua buona novella è su di me". E invece di darmi dei beni materiali come mia buona novella, oro e argento non ne voglio per niente, battezzami, e quello sia per me la mia buona novella". Il santo ʾAzqir ringraziò il Signore per quell'uomo e lo battezzò.

15- E lasciato quel posto, procedendo, giunsero al deserto chiamato <Gə>w<ʿ>ān, come dice la Scrittura: "La mia anima ha avuto sete di te nella terra del deserto, dove non vi era albero acqua"; e così

era quel posto, non c’era albero e acqua, e Gəwʿān in lingua araba, tradotto, vuol dire “fame”.

16- Giunti in quel luogo, tutti i viandanti ebbero sete e furono presi da grande sofferenza, loro e i loro animali; era la stagione estiva, in quel tempo; | e chiesero al santo ʾAzqir di intercedere e lo implorarono, dicendo : “Implora a nostro favore presso il Signore, per ogni anima, perché non muoriamo per la sete; sappiamo che ciò di cui tu hai pregato il Signore, egli te lo concederà”.

17- Disse ʾAzqir: “Datemi una bacinella”, e gli(ela) portarono, si appartò da loro e mise la bacinella di fronte a sé, allargò le braccia, alzò gli occhi al cielo, pregò e disse:

18- “Mio Signore Gesù Cristo, che hai fatto dell’acqua vino e hai fatto grazia a tanta gente dei cinque pani, Tu fa’ questo miracolo, invia la tua misericordia e disseta loro, l’anima assetata!”.

19- Una nube discese nella bacinella per la misura del palmo di un uomo e la bacinella si riempì d’acqua; ne bevvero e si dissetarono gli uomini e gli animali e ne fecero scorta; gli uomini che bevvero quell’acqua erano più di seicento, senza contare i loro animali.

20- Quella bacinella si trova fino ad oggi a Tonāḥ a casa di un figlio di ʾAzqir. Ed è il terzo miracolo questo, compiuto dal santo ʾAzqir, nel nome del suo Dio, dal giorno in cui fu incarcerato.

21- Partito da lì, giunse a Ṣəfār presso il re di Ḥemer e lo presentarono al re. Entrato, non gli rivolse il saluto, e il re montò in gran collera, e disse il re al santo ʾAzqir: “Cos’è questa nuova dottrina che hai portato nel mio paese?”.

22- E il santo ʾAzqir gli disse: “Questa dottrina non è nuova, ma piuttosto è ciò che hanno predicato la ʾOrit e i Profeti”, e cominciò a discorrer delle Scritture con i giudei; e il re gli disse: “Che t’importa, ʾAzqir, tutta questa profondità di pensiero? fa’ piuttosto maggior considerazione di me stesso e della tua vita in questo | mondo, perché Cristo in cui tu hai creduto non ti gioverà; bada che io non ti condanni a durissima pena!”.

23- il santo ʾAzqir gli disse: “La mia vita, che si svolge in questo mondo, è morte , qui; e la tua condanna, la morte che è nelle tue mani, è vita per me”.

24- Cominciò a persuaderlo con beni materiali e il santo ʾAzqir gli disse: “Oro e argento sono transeunti e Cristo rimane per sempre”.

25- Si alzò uno dei rabbini e disse al re: “Mio Signore, costui è un cristiano. Hanno dei filtri che danno a bere alla gente, e se lo si sputa, si rinnega Cristo; ma se entra nelle vene, non si rinnega Cristo per sempre; ma non prolungare il discorso con costui, mandalo al suo paese, dai suoi compari cristiani, che sia giustiziato a Nāgrān, perché la sua gente veda, e tema!”.

26- Al re piacque questo discorso, e scrisse ai governatori che risiedevano a Nāgrān, ai Səʿləbān e Zaqefān, e mandò ʾAzqir a Nāgrān; e il re scrisse così dicendo: “Una volta che ʾAzqir sia giunto a voi, non giustiziatelo di nascosto, ma piuttosto pubblicamente; appendetelo a un albero e ammassategli addosso della legna e dategli fuoco mentre è ancora vivo”.

27- Il santo ʾAzqir se ne andò via dal re gioendo, perché aveva sentito che il re aveva scritto che lo appendessero e lo bruciassero nel fuoco per Cristo. E giunto a Nāgrān insegnò e introdusse al catecumenato.

28- Lo fecero uscire verso l’alba dalla città, piantarono un albero in quel luogo e ve lo appesero in alto; portarono del legname di cime di tronchi di palma, in gran quantità, e glielo raccolsero addosso.

29- E disse un giudeo: “Venga Cristo a salvarti, in cui tu hai riposto fiducia, se può!”. E il santo Azqir disse: “Ho fiducia in Dio mio Signore Gesù Cristo, se anche avrete dato fuoco a tutti gli alberi del vostro paese, | non mi farà niente”.

30- Appiccarono il fuoco su di lui e prese fuoco tutto il legno e le corde con cui gli avevano legato mani e piedi, e scese dall’albero, il santo ʾAzqir, e rimase in piedi in mezzo al fuoco, come oro puro.

31- I giudei dissero: “Quest’uomo è un fattucchiero, che ha vinto il fuoco”, e dissero: “Dai! prendiamolo a sassate!”.

32- C’era un giudeo, con sua moglie e il suo bambino, e apprestatisi, erano usciti per partecipare all’uccisione del santo martire ʾAzqir; e lo presero a sassate prima di tutti, lui, sua moglie e suo figlio, ma le pietre non raggiunsero il santo ʾAzqir.

33- Quel suo figliolo morì davanti a suo padre, mentre lo guardava, e al padre di lui si squarciò il ventre e morì; e anche sua madre putrefece mentre era ancora in vita.

34- giudei si consultarono: “Dai! prendiamolo a bastonate!”, e uno di loro disse: “Fino a quando sopporteremo quest’uomo? dai! cerchiamo una spada per ammazzarlo!”.

35- Si trovava un nāgrānita, che lo stesso ʾAzqir aveva introdotto al catecumenato, e portava la spada; gli chiesero di prestargliela, ma lui rifiutò loro di prestarla; il santo ʾAzqir volle compiere il suo combattimento spirituale e gli disse: “Figlio mio, presta la tua spada; se non la presterai, non avrai parte con me”.

36- Allora porse la sua spada al giudeo e il santo ʾAzqir gli porse la testa e i giudei colpirono e decapitarono il santo prete martire ʾAzqir. Compì molti miracoli presso la sua sepoltura; la sua preghiera giunga a noi. Amen.

37- Furono coronati, non esitarono e resero la loro anima al fuoco di fronte al sacrificio, per il nome del Nostro Salvatore Cristo; per ricevere la corona del martirio rifiutarono questo mondo e furono coronati nella regione di Nāgrān, metropoliti, presbiteri, diaconi e monaci, uomini e donne, e tanta gente che fu giustiziata con loro.

38- Il loro numero fu di 38 e la loro commemorazione è al 24 di Ḫədār nel (calendario) greco; la loro preghiera giunga a noi e ci renda compartecipi del destino di tutti i santi martiri di fronte a Nostro Signore Gesù Cristo, a cui gloria in eterno. Amen.

د. الترجمة العربية :-

١- قتال واستشهاد الشهيد المقدس أزقير، القس النجراني، الذي علم المسيحية لأول مرة في نجران، والذي نشر المسيحية في زمن سرابحل ينكف Sərābḥel <Y>ənkəf، ملك حمير، ونصب خيمة الخطابة والعلاَمة (اَلصَليَب).

٢- بسماع (الخبر)، أرسل حكام مدينة نجران، ذا ثعلبان Zasəʿləbān وذا قفان Zaqefān (رسلاً) مزقوا خيمة الخطابة، وكسرواَ اَلعلامة (الصليب)، وأَخَذوا أزقير وألقوه في السجن في الظلام، في هذا الجب المعروف بقفنايت Qafnayt.

٣- وأثناء وجوده في السجن، كان الرجال الذين علمهم قبلاً قد تم أخذهم (أسرى)،

أولئك الذين قدمهم إلى الكاتشومين[١]، جاءوا إليه وسألوه المعمودية.

٤- قال القديس أزقير للسجانين: "افتحوا لهؤلاء الرجال!"، لكن السجانون رفضوا الفتح.

٥- نهض القديس، وصلى، وقال: "سيدي يسوع المسيح، لقد فتحت الأبواب الحديدية لبطرس[٢] وفككت أغلاله، أنت اليوم أيضا تأمر بفتح هذه الأبواب، ولن يتم إغلاقها طوال الليل حتى يدخل عبادك لاستقبال نعمتك".

٦- وانفتح الباب من تلقاء نفسه بقوة الله، ودخل هؤلاء الأشخاص، خمسون رجلاً.

٧- تحرك السجانون لإغلاق الباب، [عندما اندهشوا]، وكان هناك نحو خمسين رجلاً. لكن السجانين لم يتمكنوا من إغلاق الباب لمنع دخول أزقير المقدس. وأدرك السجانون أن هذه المعجزة جاءت من الرب.

٨- فاندهشوا وكفوا، وأدخل هؤلاء الرجال الخمسون أزقير المقدس؛ فرسم خط المعمودية في السجن وعمدهم باسم الآب والابن والروح القدس؛ وتعمد هؤلاء الرجال في تلك الليلة؛ فكان يصلي >ويضيئهم بالضوء< الغامر في السجن: لقد فعل هذا. هذه هي المعجزة الأولى التي يقوم بها القديس أزقير في السجن.

٩- سمع ملك حمير سراحبئل Sərāḥebʾel بهذا الأمر الذي قام به القديس أزقير. وأرسل الملك (رسالَة) إلى الحكام المقيمين في نجران قائلاً: "بسرعة، اقتادوا هذا الرجل الذي أدخل عقيدة جديدة إلى بلدي!".

١٠- ركض رجل يدعى كرياق Kiryāqi إلى القديس أزقير، وهو في السجن، وتحدث معه وقال له: "اسمح لي أن أخبر بنبأ سعيد، لأن ملك حمير رتب لك أن يحضرك إليه، إنها الشهادة!".

١١- فقال أزقير لهذا الرجل: "لديك بالفعل أخبار سارة، وأخبارك جيدة بالنسبة لي!". وجاء بعض الرجال من القرية، وتحدثوا معه وأخرجوا القديس أزقير من السجن

---

(١) الكاتخومينوس κατηχυμενος أو الموعوظ، هو كل من يستمع إلى كلام الوعظ والتعلم بغرض الانضمام إلى المسيحية والحصول على المعمودية. والكلمة في اليونانية جاءت من الفعل κατηχεω أي يعلم أو يعطي التعليم. جورج حبيب بباوي، المعمودية في الكنيسة الواحدة الجامعة الرسولية: دراسة للعقيدة والطقس في القرون الخمسة الأولى، ٢٠٠٧م، ص٦٣-٦٤.

(٢) القديس بطرس الرسول، واسمه أيضا سمعان بطرس. وهو أحد التلاميذ الاثنى عشر، ويحتل مكانة بارزة في أناجيل العهد الجديد وسفر أعمال الرسل.

وحبسوه مع ذلك الرجل الذي تحدث مع أزقير.

١٢- ثـم جاء الكثـير من التجـار الأجانب من تونـاح وتم ارسال ازقـير معهم الى ملك حمـير. وبعد مغادرته نجران، تبعـه العديد من الرجال وأرسلـوه إلى مكان يسمى وشحة على مسافة حوالي خمسة عشر توقفًا من مدينة نجران.

١٣- وذات مرة طلب منه رجلان أن يعمدهما، فألقى خطبة على الفور في موضع بالقرب مـن صخرة، وتدفق منه المـاء، وهناك عمدهما في نفس اليوم، بينما قبل ذلك كان المكـان خاليا من الماء؛ وبفضل صـلاة القديس أزقير (لا زالت) تتدفق حتى اليوم. والمكان الذي تدفقت فيه المياه صخري.

١٤- وبرؤيته المعجزة، سأله الرجل الذي سُجن معه سؤالًا: "أتذكر سيدي، عندما كنت أتحدثٍ إليك، أثناء وجودك في السجن ، ما قلته لي: "خبرك سعيد لي". وبدلاً من إعطائي شيئاً ماديـاً لقاء أخباري السـارة، من ذهب وفضة، لا أريد أي شيء إلا أن تعمدني، فتلك هي الأخبار الجيدة بالنسبة لي". وشكر القديس أزقير الرب على هذا الرجل وعمده.

١٥- وبمغـادرة ذلـك المكان، جـاءا إلى الصحراء التـي تسمى جوعـان Gəwʿān، كما يقـول الكتاب المقدس: "روحـي كانت عطشى لك في أرض الصحراء، حيث لم يكن هناك ماء لشجرة"؛ وهكذا كان ذلك المكان، لم تكن هناك شجرة أو ماء، وجوعان بالعربية، ترجمتها تعني "جائع".

١٦- عندمـا وصلـوا إلى هذا المكان، كـان جميع المسافريـن عطشى وألمـت بهم معاناة شديـدة هم وحيواناتهم؛ كان فصـل الصيف وقتذاك؛ فطلبوا من القديس أزقير أن يشفـع لهم وناشدوه قائلين: "تضـرع إلى الرب من أجلنا، وعن كل نفس ، كي لا نموت من العطش؛ إذ أننا نعلم أنك وقتما صليت إلى الرب سيمنحك".

١٧- فقـال أزقير، "أعطوني حوضاً"، فأحضـروه (إليه)، وافترق عنهم ووضع الحوض أمامه، وبسط ذراعيه، ورفع عينيه إلى السماء، وصلى وقال:

١٨- "سيدي يسوع المسيح، الذي صنع الخمر بالماء وأعطى النعمة للعديد من الناس من الأرغفـة الخمسة، أنت قادر على هذه المعجزة، فأرسـل رحمتك وأطفيء عطشهم من روحك العطشى!".

١٩- نزلت سحابة على الحوض بحجم كف الرجل وامتلأ الحوض بالماء. وشرب الرجال والحيوانـات ورووا عطشهم ومن معهم؛ كـان هناك أكثر من ستمائة رجل يشربون من تلك المياه، هذا دون احتساب حيواناتهم.

٢٠- لا زال هـذا الحوض حتى الآن في تونـاح Tonāḥ في منزل ابـن أزقير. وهذه هي المعجزة الثالثة التي يقوم بها القديس أزقير، باسم ربه، منذ يوم سجنه.

٢١- وبعـد أن غادر من هناك، جاء إلى صفـار Ṣəfār حيث ملك حمير وقدموه للملك. فلما دخل لم يلق عليه التحية، فثار المَلك بغضب شديد، وقال الملك للقديس أزقير: "ما هذه العقيدة الجديد التي جلبتها إلى بلدي؟".

٢٢- وقـال لـه القديس أزقير: "هـذه العقيدة ليسـت جديدة، بل هي ما بشـر به الرسل والأنبيـاء"، وبدأ يناقش الكتاب المقدس مع اليهود. فقال له الملك، "ما الذي يعنيك يـا أزقير، لـما كل هذا العمق في التفكـير؟ بدلا من ذلك أنظـر لي ولحياتك في هذا العـالم، لأن المسيـح الذي آمنت بـه لن يساعـدك؛ وفكر في أننـي لم أخضعك لألم عظيم!".

٢٣- قـال لـه القديس أزقير: "حياتي التـي تحدث في هذا العالم، هي المـوت. وإدانتك، والموت الذي بين يديك، هما الحياة بالنسبة لي".

٢٤- وبدأ في ترغيبه بالأشيـاء المادية، فقال له القديس أزقير: "الذهب والفضة فانيان والمسيح باقي إلى الأبد".

٢٥- وقـف أحد الأحبار وقال للملك: "سيدي، هذا هو المسيحي. لديهم مرشحات تعطي الناس شرابا، فإذا بصقته، يتم إنكار المسيح؛ لكنه إذا دخل في الأوردة، فلا سبيل لإنكـار المسيـح إلى الأبـد؛ فلا تطيـل أمد الحديث معه، بـل أرسلـه إلى بلده، إلى أصحابه المسيحيين، ليُعدم في نجران، حتى يراه شعبه فيخشوك!".

٢٦- راق هـذا الحديث للملك، فكتب إلى الحكـام المقيمين في نجران، إلى (ذا) ثعلبانٍ Səʿləbān وذا قفـان Zaqefān، وأرسـل أزقير إلى نجـران؛ وكتب الملك قَائَلاً: "بمجـرد أن يأتيكَما أزقير، لا تعدماه سراً، بل علناً؛ علقاه على شجرة حولها كومة من الخشب واشعلا النار فيه وهو حي".

٢٧- وغادر القديس أزقير الملك مبتهجًا، لأنه كان قد سمع بأن الملك كتب لهما أن يعلقاه ويحرقـاه في النـار من أجـل المسيح. (لأنه) عندمـا أتى إلى نجران قـام بالتعليم وتقديم (الناس) إلى الكاتشومين.

٢٨- وأخرجوه من المدينة نحو الفجر، وغرسوا شجرة في ذلك المكان وعلقوه في أعلاها. وجلبوا كميات كبيرة من جذوع شجر النخيل.

٢٩- قـال يهـودي: "فليأتي المسيح الذي وثقت به ليخلصـك، إن استطاع!"، فقال أزقير المقدس: "أثق بالرب وبسيدي يسوع المسيح، وحتـى إن أشعلت النار في كل أشجار بلادك، | فلن تفعل أي شيء لي".

٣٠- أشعلـوا النار فيه وأضرموا النار في جميع الأخشـاب والحبال التي ربطوا بها يديه وقدميـه، ونزلـوا من على الشجرة، ووقـف المقدس أزقير في وسـط النار كالذهب الخالص.

٣١- قال اليهود: "هذا الرجل ساحر وسخر النار"، وقالوا: "هلموا! هيا نرجمه!".

٣٢- وكـان هناك يهودي، وزوجته وطفله، على وشك الخـروج للمشاركة في قتل الشهيد المقدس أزقير. أول من رجمه بالحجارة، هو وزوجته وابنه، لكن الأحجار لم تصل إلى القديس أزقير.

٣٣- مـات الابن أمـام والده، وهو ينظـر إليه، ومـزق الأب أحشائه ومـات؛ والأم أيضا تعفنت وهي لا تزال قيد الحياة.

٣٤- وتحـاور اليهود: "هيـا! دعونا نهزمـه!"، وقال أحدهـم: "إلى متـى سنحتمل هذا الرجل؟ هيا! فلنبحث عن سيف يقتله!".

٣٥- وثمـة (رجل) نجراني *nāgrānita*، كان أزقير قد قدمـه بنفسه إلى الكاتشومين، كان يحمل السيف؛ فطلب منه (اليهودي) أن يعيره (له)، لكنه رفض إعارته؛ فأراد القديس أزقير أن يقاتل (هذا الرجل) روحيًا، وقال له: "يا بني، أعر سيفك. إذا لم تعره، فلن يكون لك نصيب معي (في الشهادة)".

٣٦- ثـم سلـم سيفه إلى اليهودي، ورفـع القديس أزقـير رأسه وضربه اليهـودي وقطع رأس الشهيـد المقدس أزقير. وقـد أحدث العديـد من المعجـزات عند دفنـه. صلاته تصل إلينا. آمين.

٣٧- لقد تُوجوا (بإكليل الشهادة)، ولم يترددوا، وتركوا أرواحهم للنار قبل الاستشهاد، باسـم المسيح المخلص. للحصول على إكليل الشهادة، رفضـوا هذا العالم وتُوجوا في منطقـة نجـران؛ مطارنة وكهنة وشمامسة ورهبان ورجـال ونساء، والعديد من الأشخاص الذين أعدموا معهم.

٣٨- كـان عددهم ثمانيـة وثلاثين وذكراهم في يـوم ٢٤ من حيـدار (؟) في (التقويم) اليونـاني؛ فلتصلنـا صلاتهم وتجعلنا جـزءًا من مصير جميـع الشهداء المقدسين أمام سيدنا يسوع المسيح، الذين مجدهم إلى الأبد. آمين.

ثالثا. تعليق كريستيان روبين على النص (ترجمة عن الفرنسية):

"استشهاد أزقير" عبارة عن نص هجيوجرافي قصير يحوي معلومات لا نظير لها على الأصعدة السياسية والاقتصادية والدينية. هذه المعلومات، التي يجب إثارة التساؤل حول قيمتها التاريخية، تم تحليلها بالفعل من قبل العديد من العلماء، بما في ذلك ما أنجزه مؤخرًا كل من أ.ف.بيستون A.F.L. Beeston وزئيف روبين Zeev Rubin [١]. وكان من لطف الأخير أن تواصل معي وأطلعني على ترجمته للنص التي لم تُنشر بعد، وأشار فيها إلى أنه: "لم يبذل كل من كونتي روزيني وبيستون أية محاولة لتحديد مواقع محددة في نجران وجيرتها، وذلك على الرغم من تصريح الأول (كونتي روزيني) بأن: "أعمال أزقير تظهر دراية واضحة بأسماء المواقع الجغرافية، والتي لم يتم شرحها في الروايات التي انتجها الغرباء عن المنطقة"[٢].

وهدفي الأول هنا هو الاستجابة لأسف زئيف روبين، والتحقيق في مدى كون المعلومات التي يحويها نص "استشهاد أزقير" تمثل مصدرا أصيلا ذا قيمة تاريخية حقيقية. ولكن قبل كل ذلك، من المهم أن نتذكر بإيجاز كيف تبدو هذه الوثيقة.

أ.عرض موجز للنص:-

إن "استشهاد أزقير" نص قصصي مختصر إلى حد ما، يتكون من تسع صفحات من القطع الكبير في النسخة التي حققها كارلو كونتي روسيني Carlo Conti Rossini. ورغم أنها وصلتنا باللغة الجعزية، إلا أنها بالتأكيد لم تكن لغتها الأصلية. ويرى كل من كارلو كونتي روزيني وبيستون[٣]، أن هذه النسخة ترجمة جعزية لأصل عربي. وتبدو هذه الفرضية معقولة إذا استندنا إلى الصيغ الصحيحة لبعض الأسماء، وإلى حقيقة أن المؤلف يظهر إلمامًا معينًا باليمن.

ويعود تاريخ الترجمة الجعزية إلى ما قبل منتصف القرن الخامس عشر، حيث كان أزقير معروفا تماما في الحبشة في هذا التاريخ. ويمكننا أيضًا ملاحظة أن "استشهاد أزقير" تم تجاهله من السنكسار السكندري، مما يعني أنه إضافة تم إجراؤها في إثيوبيا[٤].

ويستند تحقيق كارلو كونتي روزيني بشكل أساسي على المخطوطة Abbadie 110 المحفوظة في باريس (أ)، وبشكل هامشي على المخطوطة الشرقية رقم ٦٨٩ المحفوظة في المتحف البريطاني (ب)، والمخطوطات الشرقية رقمي ٦٨٦ و٦٨٧ من المتحف البريطاني (إحداهما مقسمة إلى فصول). ويخطط أليساندرو باوسي Alessandro

---

(1) Beeston, “The martyrdom of Azqir” ; Rubin, “Ha-”Marṭiriyum shel Azqîr”.
(2) Conti Rossini, “Un documento sul cristianesimo”, p. 724.
(3) Conti Rossini, “Un documento sul cristianesimo”, p. 717 ; Beeston, “The Martyrdom of Azqir”, p.5.
(4) Conti Rossini, “Un documento sul cristianesimo”, p. 717.

Bausi لإعــادة تحقيقه بناءً على عدد أكبر بكثير مــن المخطوطات[1]. ولذلك لن يكون من المجدي هنا التركيز على الملاحظات اللغوية، والتي قد تكون قديمة قريبًا.

ويتكــون النص مــن مقدمــة وأربعة فصــول؛ فبعد عبــارة التثليث، يقــدم التمهيد ملخصًــا موجزًا، نصه كالتالي: "القتال الروحي واستشهاد للشهيد المقدس أزقير، قس نجــران، الذي علم المسيحيــين لأول مرة في مدينة نجران وأعلن [إيمان] المسيحيين في أيام سَرابهيل دانكف Sarābhīl Dānkəf ملك حَمير Ḥamēr ".

ثــم تبدأ القصَة؛ إذ ينصــب القديس خيمة للصلاة وعلامــة الصليب. وبعد أن علم أمــراء مدينة نجران، ذا ثعبــان za-Śə̓əbān وذا قيفــان za Qēfān، بهذا الأمر، قاما بتمزيق الخيمة وتحطيم علاَمة الصليب وألقيا بالقديس في السجن، في جب يسمى قفنايت Qafnāyt. وبينمــا أبواب السجن موصدة على أزقير، يطلــب منه بعض الرجال التعميد. فتفتح أبواب السجن (بشكل إعجازي) ويعمد أزقر خمسين رجلاً [المعجزة الأولى].

الفصــل الأول: يرســل الملــك سَرابهيــل، الذي أغضبــه أزقير، رسالــة إلى أمراء نجــران: "أحضــروا لي بسرعــة هذا الرجل الذي أدخــل دينًا جديــدًا في بلدي". ويبلغ رجل يُدعى كرياق Kiriyāq القديس بالأمر. وتم تسليمهما مقيدان إلى تجار من توناح Tōnāḥ لأخذَهمــا إلى العاصمة. وعلى بعد خمس عشرة معراف mə̓ərāf من نجران، في مكــان يُسمى وَضحو Waḍḥō، يعمد القديس بماء تم الحَصول عليه بأعجوبة سبعين رجلاً، ثم يعمد كرياق [المعجزة الثانية].

الفصل الثانِي: ألم العطش بالقافلة أثناء عبورها صحراء تُسمى جَوعان Gaẇān. وتوســل الحراس للقديس؛ فتمطر السماء من خلال صلاته، ويتم جمع الماء في أحواض تكفي لإطفاء عطش سبعمائة رجل، هذا غير الحيوانات [المعجزة الثالثة].

الفصــل الثالــث: يصل أزقير إلى صفار Ṣəfār ويمثــل أمام ملك حَمير الذي يسأله: "مــا هــذا الدين الجديــد الذي أدخلته إلى بلــدي؟". ويرد القديس بأن هــذا الدين ليس جديــدا ويبدأ جــدلا مع اليهود. وقدم الملــك إغراءات مختلفة رفضهــا القديس. ثم يقف أحــد الأحبار ويحذر الملك مــن أن المسيحيين، إذا شربوا شرابًــا معينًا، يمكنهم المقاومة والامتناع عن إنكار المسيح. وينصحه هذا الحبر بإعادة أزقير إلى بلاده ومعاقبته هناك، لإخافــة قومــه. ويرسل الملــك رسالة إلى أمراء نجــران يأمرهم فيها بحــرق أزقير علنا. ويصــل القديس إلى نجران، ويتم تقييده بعارضــة محرقة. لكن الخشب والحبال تحترق دون الإضرار بالقديس. عندئذ يقول اليهود أنهم يتعاملون مع ساحر ويقترحون رجمه.

الفصل الرابع: يقوم أحد اليهود وزوجته مع ابنهما برجمه بالحجارة الأولى؛ فيموت الابن على الفور بينما تصير المرأة فريسة الديدان. وبعد تجربة الضرب بالعصا، قرروا

---

(1) Bausi et Gori, *"Martirio di Areta"*, p. 105 n. 30.

نشــر كريستيــان روبــين هذا التعليــق قبل أن يصــدر أليساندرو باوســي تحقيقه الجديد للنص وترجمته الإيطالية. وهو التحقيق والترجمة المعروض لهما في أول هذا العمل.

إعـدام أزقير بالسيف. وطُلب من مسيحـي أن يمنحهم سيفه، فرفض، لكن أزقير أصر عليه حتى وافق على إعطاءهم السيف. ثم قام يهودي بقطع رأس القديس.

كما استشهد الأساقفة والكهنـة والشمامسة والرهبان والرجال والنساء، وعددهم ثمانية وثلاثون من هذا الاسم الصحيح ، الذي قاوم التحليل حتى الآن ، هناك حالتان. ويتم الاحتفال باستشهادهم في الرابع والعشرين من شهر حدار ḥədār.

ويلخص نص السنكسار، الذي نشره أيضًا كارلو كونتي روسيني[1]، نص "الاستشهاد" ، مع بعض الاختلافات في الهجاء: حيث ذكر اسم أزقير بصيغة أصقير Aṣqīr في مناسبة واحدة؛ ومملكة حَمير Ḥamēr صارت أمير Amīr. لاحظ أيضًا أن الملك نُعت بـ"ملك اليهود" (nəgūśa ayhūd).

ب. أسماء الأماكن: -

من بين أسماء المواقع الجغرافية الخمسة المذكورة في "استشهاد أزقير"، ثمة إشكالية في الثلاثة أسماء التي سنبدأ بها؛ وهي أسماء سجن نجران وأسماء موقعين حول الواحة. أمل الإسمان الأخيران فلا يفرضان أية صعوبة.

١. قفنايت Qafnāyt : سجن نجران: -

"لقد قبضوا على القديس أزقير ووضعوه في السجن حيث الظلمة. ويسمون هذا الجب "قَفنايت".

wa-ʾaḫazwō la-qəddūs ʾAzqīr wa-wadaywō wəsta bēta mōqəḥ (prison) wəsta ṣəlmat. Wa-yəbəlwō la-yəʾətī gəbb Qafnāyt. (MA, p.729/- 4 and - 3).

هذا الاسم غير معروف اليوم. لكن مع وجود نوع من التشابه مع ذا قيفان za- Qēfān / ذو القَيّفان dhū Qayfān، إحدى العائلتين الحاكمتين في الواحة (انَظر أدناه)، ليس من المستبعد أن يكون الاسم مستمد منها.

٢. وَضحو Waḍḥō : -

"في وَضحو، المكان الذي تقدس بمعجزة أزقير، يعمد أزقير عددًا كبيرًا من الناس في هذا المكان بالماء الإعجازي: في غضون ذلك، وصل الكثير من التجار من تونَاح Tōnāḥ، حيث تم إرسال [أزقر] معهم إلى ملك حَمير Ḥamēr. ولدى مغادرتهم نجران، تبعه العديد من الناس، وأحضروه إلى مكان اسمه وَضحو، على بعد حوالي خمس عشرة معراف məʾərāf من مدينة نجران. وعندما وصلوا إلى هناك، طلب منه سبعون شخصًا أنَ يعمدهم. هناك بنى مكانا للخطابة بالقرب من صخرة. وتدفقت المياه وعمدهم هناك في ذلك اليوم. في الواقع، لم يكن ثمة ماء في هذا المكان قبلًا، ولكن بفضل صلاة أزقير المقدس، تتدفق المياه حتى اليوم والصخرة في هذا المكان الذي "خرج منه الماء"

wa-ʾamē-hā maṣū nagādəyān bəzūḫān əm-Tōnāḥ wa-məslē-hōmū fannawwō ḫaba nəgūśa Ḥamēr. Wa-waḍʾīōmū ʾəm-Nāgrān wa-talawwō bəzūḫān sabʾə

(1) Conti Rossini, “Un documento sul cristianesimo”, p. 747-750.

wa-fannawwō ʾəska makān ʾənta səmā Wāḏḥō wa-taʾakkəl maṭana 15 məʾərāf ʾəm-hagara Nāgrān. Wa-baṣīḥōmū həyya saʿalwō 70-sabəʾ kama yāṭməqōmū. Wa-gabra ba-həyya məṣlāya ṭəqā kwakwəḥ wa-naʿqa māy wa-ʾaṭmaqōmū ba-həyya yəʾəta ʾamīra. ʾƎsma ʾal-bō təkāt wəsʿta wəʾətū makān māy. Wa-ba-ṣalōtū la-qəddūs ʾAzqīr naʿqa māy ʾəska yōm wa-kwakwəḥ wəʾətū makān za-naʿqā bōtū māy. (MA, p.731, 3rd line from bottom).

وعلــى ذلك فإن وَضحو مكان تقدســ بمعجزة أزقير. ويقول كارلــو كونتي روسيني ببساطــة: "قــد تكــون وَسَحــة؟"[1]. في الواقع ، هذا الاســم العربي الموجـود في معجم الهمــداني، صفــة جزيرة العرب، يشبه إلى حد بعيد وَضحو الجعزية (التي صُحفت في فترة ما بعد العصر الأكسومي إلى وَصحو Waṣḥō).

- وَسَحة، المكان الذي تطهر من الشرك في عهد النبي محمد:

سيتضح الآن أن وَسَحة ليست تسمية لموقع جغرافي غير موجود. بل إنه مكان مبارك تطهر من الشرك بواسطة النبي محمد.

- اتصــال سكــان وَسَحــة بالنبــي محمــد: "وسَحة مــن قرى خَــوْلان بــين البشريين والنصفيــين. قالوا: وكــان اسمها في الجاهليــة وسَخَة فلما وصلت زكــاة أهلها إلى النبــي –ﷺ– في أول الزكــاة قــال: من أين هــذا؟ فقيل من وَسْخَــة، فقال: بل من وَسحَة". (صفة جزيرة العرب، ت.محمد الأكوع الحوالي، ص٢٣٧).

- وسَحــة، قرية خَوْلان، التي تعبــد عُمْيَانس ʿAmmīanas، صنم هــذه القبيلة: طبقًا للهمــداني، قرية وَسَحة للأديم من خَوْلَان: "قرية وَسَخة لبني بشر وبني يعتق، وهم الأديم مــن خولان". (صفة جزيرة العــرب، ت.محمد الأكوع الحوالي، ٢٢٥). وإذا أخذنــا بالتصحيح الذي أدخله ابــن هشام على نص ابن الكلبــي، فإن أديم خَوْلان كانــوا عبادًا لعُمْيَانس ʿAmmīanas. وسأبدأ باقتبــاس نص الأخير: "وكان لخَوْلَانَ صنم يقال له عُمْيَانَس، بأرض خَوْلان. يقسمون له من أنعامهم وحروثهم قسمًا بينه وبــين الله (عز وجلَ)، بزعمهم. فما دخلَ في حق الله من حق عُمْيَانس، ردوه عليه، ومــا دخل في حــق الصنم من حق الله الــذي سموه له، تركوه [لــه]. وهم بطن من خَوْلَانَ يقال لهم "الأَدُومُ" وهم "الأَسُومُ". (الكلبي، الأصنام، ت. أحمد زكي باشا، صــ٤٣-٤٤). ومــع ذلك، أعاد ابن هشــام تصحيح هذا النص واستبــدل "الأَدُومُ وهم الأَسُومُ" بـ "الأديم". (السيرة النبوية، ت. عبد السلام تدمري ج١، ص ٩٨)

ولا تــزال هنــاك قرية تسمى وَسحة Washa موجــودة إلى اليوم، تقع على بعد ٥ كم شمــال حيــدان Ḥaydān، حوالي ٤٠ كم غربــاً – جنوب غرب صعــدة Ṣaʿda ، وحوالي

---

(1) “Un documento sul cristianesimo”, p. 742 n. 2.

١١٠ كم جنوب غرب نجران[١]. ولكن هل يمكننا تحديدها بـ وَضحو Waḍḥō (وَصحو Waṣḥō) ووَسَحة Wasaḥa؟

سيكون من الضروري أولاً تبرير تحريف حرف "السين" من اللغة العربية أو السبئية إلى حرف "ص" أو "ض" ṣ / في الجعزية. مثل هذا التحريف، غير المألوف، ليس مستحيلا: ففي نقل النساخ، ليس من غير المألوف أن تقدم اللغات السامية صوتاً مشدداً على ساكن مشدد والعكس صحيح.

ومن المهم أيضًا التساؤل عن المسافات. فالنص الجعزي يذكر مسافة خمس عشرة معراف mə̉ərāf بين نجران ووَضحو، في حين تبعد وَسحة Washa مسافة ١١٠ كم. وهَنا يجب الافتراض بأن المعراف (وقيمته غير معروفة) - أو وحدة المسافة المستخدمة في المصدر الأساسي- كانت تتراوح من ٧ إلى ٨ كم.

والفرضية الأخيرة هنا تتعلق بوقوع وَضحو Waḍḥō على طريق نجران- ظَفار. فلا يمكن القول بأن وَسحة Washa (أو الأفضل حَيدان Ḥaydān) تقع على هذا الطريق: فالطريق المعتاد من نجران إلى ظفار يتجه إلى الشرق قليلاً. لكن من الممكن أيضاً السفر عن طريق حَيدان، الذي يتسم بميزة الدوران في مناطق أكثر سكاناً.

وباختصار، يبدو من الممكن تحديد وَضحو Waḍḥō بوَسَحة Wasaḥa. وإذا ثبت ذلك، فإنه سيقدم مثالاً جيدًا على مكان مقدس لتعدد المعبودات ، تحول إلى المسيحية أولاً، ثم إلى الإسلام.

٣. جَوعان Gaw̉ān :-

عبر أزقير صحراء اسمها "جَوعان": "بعد أن غادروا هذا المكان، وبينما كانوا في طريقهم، وصلوا إلى صحراء تسمى جوعان، كما يقول الكتاب المقدس ... وجَوعان كلمة في لغة النجاري العرب معناها "جائع".

Wa-ẖalīfōmū ʾəm-wə̉ətū makān ʾənza yaḥawwərū baṣəḥū badwa za-səmū Gaw̉ān ba- kama yəbē maṣḥaf...... wa-Gaw̉ān bəḥīl ba-nagara ʿĀrab tərgwāmē-hū raẖābə. (MA, p. 732, 3rd line from the bottom).

غير إنه لا توجد منطقة صحراوية على الطريق بين نجران وحفار تسمى جَوعان، وهو مصطلح يعني "جائع" باللغة العربية. ويبدو أن هذا المقطع يحمل مسحة قصصية، مع اختراع أسماء معبرة لمواقع.

لاحظ هنا عبارة "لغة النجارى العرب". فلو أن النص الأصلي كان باللغة العربية، لجدر بالمترجم إضافة الكلمة العربية. وقد يكون هذا أيضًا دليلاً على أن الأصل لم يكن باللغة العربية.

٤. نجران Nāgrān :-

يذكر نص "استشهاد أزقير" اسم هذا الموقع عشرة مرات. وهي الواحة المؤهلة

(1) al-Maqḥafī, *Mủjam al-buldān*, p. 1869.

منطقيا لأن تُنعت بـ "المدينة" (hagar) و"البلد" (bəḥēr). واسمها مستمد من الاسم السبئي "نجرن" Ngrn ، Nagrān أو من الاسم العربي (نجران).

أمـا الصفـة "نجـري" nagrāy فلا تبـدو مستمدة مـن الكلمـة السبئية "نجرني" (CIH 721/3 ngrny) ولا من الكلمة العربية "نجراني" najrānī. ويفترض كارلو كونتي روسيني[1] أن المترجم قد نسخ بشكل غير صحيح صيغة من العربية "النجرانية" ، بقراءة "اليـاء" ī بدلاً من "النون واليـاء/ني" nī. إلا أن هذه الفرضية تبدو غير مبررة حيث أن النهاية āy مستخدمة في الجعزية: انظر على سبيل المثال كلمة "يهودي" ayhūdāy.

٥. صفار Ṣəfār :-

يذكـر نـص "استشهاد أزقير" عاصمة مملكة حمير مـرة واحدة: "جاء إلى صِفار أمام ملك حَمير".

baṣḥa Ṣəfār ẖaba negūśa Ḥamēr (p. 734/4)

ومن الممكن أن تكون "صِفار" Ṣəfār الجعزية منحولة عن "ظَفار" Ẓafār السبئية أو العربيـة، ولكـن ليس عـن السريانية التـي يبدأ فيهـا الاسم بحـرف "ط" Ṭ: ففي السبئية "ظفر" Ẓfr و"ظَفار" Ẓafār ؛ وفي العربية "ظَفار" Ẓafār؛ أما في السريانية فـ "طَفـار" Ṭafar (أنظر: كتاب الحميريين، الفهرست، صXLI؛ وفي اليونانية "سَفار" Saphar (أنظـر: الالتفاف حول البحر اللإريثري، فقـرة٢٣، القرن الأول قبل الميلاد)، و"مدينـة سَبفارا" Sapphara metropolis (أنظر: بطليموس، الجغرافيا، VI.7.41، القرن الثالث قبل الميلاد)، و"طَفـارون" Tapharon (أنظر: فيلوستروجيوس، التاريخ الكنسي، 3.4)، و"طَفار" Taphar (الاستشهاد اليوناني، فقرة ٣٥ و٣٧)؛ وفي اللاتينية "سَبفـار" Sapphar (أنظـر: بليني، التاريخ الطبيعـي، VI.104)، و"طَفرا" Taphra (أنظر: أميانوس ماركللينوس، أعمال الملوك، XXIII.6.47).

في اللاتينيـة واليونانيـة، كان النمط في القرون الأولى مـن العصر المسيحي وحتى القرن الرابع استبدال حرف الهجاء S إذا جاء في أول الكلمة بحرف T؛ يبدو أن الأول (S) استخدمـه ذوي المعرفـة الذين كانـوا على اتصال مباشر مع حمـير، بينما اعتمد الثـاني (T) علـى تقليد مكتسـب أو على مصادر مكتوبـة باللغة الآراميـة أو السريانية (اللغات التي يتم فيها استبدال ẓ عادة بحرف ṭ).

ج.الأشخاص :-

١. سَرابحيل دانكف Sarābḥīl Dānkəf :-

يشير نص "استشهاد أزقير" مرتين إلى ملك حَمير:

(١) "في زمن سَرابهيل دانِكف ملك حَمير"

(1) "Un documento sul cristianesimo", p. 739 n. 2.

ba-mawā̓ əla Sarābhīl Dānkəf nəgūśa| Ḥamēr (mss A, Sarābhēl… Dānkəf), (p.729/6).

(٢) "الملك سَرابحيل" (p. 731 /2) nəgūś Sarābḥēl

ونستطيع بسهولة فهم هذا الاسم، المحرف قليلاً: فهو الاسم السبئي (S²rḥb̓l Ykf)، أي شُرحبئيل يَكُف Shuriḥbi̓īl Yakkuf؛ والاسم العربي شُرَحبئيل يَنكُف Shuraḥbi̓īl Yankuf [1]. وفي الجعزية سَرابهيل Sarābhīl وسَرابهيل Sarābhēl وسَرابحيل Sarābḥēl، تم عكس ترتيب الحروف الساكنة b و ḥ عن غير قصد؛ بالنسبة لحقيقة أن الحرف السبئي (S²) (=ش) تم تحريفه إلى الحرف الجعزي (S) (=س)، أو أن الناسخ لم يجد اختلافا بين حرفي h (=هـ) و ḥ (=ح)، وهو ما يفسره صوتيات جعزية العصور الوسطى، التي خلطت بين الـ s (س) والـ ś (ش) من ناحية، والـ h (هـ) والـ ḥ (ح) من ناحية أخرى.

ولتوضيح كيفية التصحيف من "يَنكُف" و"يَكُّف" Yakkuf/Yankuf إلى "دانكف" Dānkəf، علينا أن نأخذ في الاعتبار أن المقاطع "يي" Yə و"دا" و"دَ" Da /Dā ذات شكل مماثل في الجعزية. ويلاحظ أيضًا أن الـ "ن" n الاشتقاقية تم استيعابها (اخفاءها) في الاسم السبئي "يكف" Ykf، على عكس الاسم العربي "يَنكُف" Yankuf. وهذا دليل لصالح الأصل العربي للنص.

لقد حكم الملك الحميري شُرحبئيل يَكُّف Shuriḥbi̓īl Yakkuf في سبعينيات القرن الخامس. وتأكد ذلك على النحو التالي:

- أبريل ٤٧٠م (السنة الحميرية ٥٨٠)، متحف ظَفار رقم ٢٠٠٠: (شُرِحبئيل ملك سبأ وذو رَيدان وحضرموت).

(ḏ-ṯbtn 580 ḥim.): (S²rḥb̓l mlk S¹b̓ w-ḏ-Rydn w-Ḥḍrmwt)

- أغسطس ٤٧٢م (السنة الحميرية ٥٨٢)، Rés 4919 + Cih 537 = L 121: (الملوك، شُرِحبِ[ئيل وأولاده] نَوفُم ولَحَيَت يَنوف ومعَديكَرب يُنعِم، ملوك سبأ [وذو رَيدان وحضرموت والجنوب] والعرب من البلاد العليا والساحلية).

(ḏ-ḫrfn 582 ḥim.): (mlkn S²rḥb | [̓l Ykf w-bny-hw…] Nwfm w-Lḥy̓t Ynwf w-M̓dkrb Yn̓m ̓mlk S¹b̓ w- | [ḏ-Rydn w-Ḥḍrmwt w-Ymn] t w-̓rb-hmw Ṭwdm w-Ymnt)

- ٤٧٤-٤٧٥م (السنة الحميرية ٥٨٤)، معَسَل ٣ (M̓asal 3) غير منشور: (شُرِحبئيل

(1) Conti Rossini, "Un documento sul cristianesimo", p. 718-719

يَكُّف وأولاده أبيشَمر نَوف ولَحَيَت يَنوف، ملوك سبأ وذو رَيدان وحضرموت والجنوب، وكذلك العرب من البلاد العليا والساحلية).

(584 ḥim.): (S²rḥb̉l Ykf w-bny-hw ʼbs²mr Nwf w-Lḥỷt Ynf | ʼmlk S¹b̉ w-ḏ-Rydn w-Ḥḍrmwt w-Ymnt w-ʼ̉rb-hmw Ṭwd | m w-Thmt)

- فبراير ٤٧٦م (السنة الحميرية ٥٨٥)، Cih 644: (...بئيل يَكُّف ملك سبأ وذو...) ([-ḏ-ḥltn 585 ḥim.): ([b̉l Ykf mlk S¹b̉ w-ḏ)

أنظر كذلك: Res 4969 = Ja 876:

([... ʼmṙ-hmw | S²rḥb̉] l Ykf [w-ʼbs²mr Nwf | w-Lḥỷ] t Ynf w-M̉dkrb Yn [ʼm ʼmlk S¹b̉ w-ḏ-Rydn | w-Ḥḍrmw] w -Ymnt w-ʼ̉rb-h [mw Ṭwdm w-Thmt])

وعلــى ذلــك فإن ذكــر هذا الملــك في نص "استشهــاد أزقير" يجعــل محاكمة أزقــير خلال سبعينيات القرن الخامس (وهناك أربعة تواريخ مقترحة بين عامي ٤٧٠م و٤٧٥م)، أي قبل ٥٠ سنة بالضبط من مذبحة الملك يوسف.

هــذا ولم يخلف شُرحبئيل يَكُف ذكرى كبــيرة في الروايات العربية الإسلامية. الهمداني يعرف شخصية يحمل هذا الاسم بين أحفاد بَينون[1]، وهو شُرَحبيل يَنكُف بن نَوف يُهَشْقر بن شَراحيــل نُفَيل (الهمداني، كتاب الإكليل، ت.محمــد الأكوع الحوالي، ج٢، ص٩٢). ولا يمكن القول ما إذا كان شُرحبئِيل يَكُف، الذي يحمل أخوه أيضًا اسمًا ملكيًا، وهو "تاران يؤنم"[2]، هو نفسه والد أبي شمر بن شرَحبيل يَنكف، المذكور في مؤلف آخر للهمداني (المشتبه، ١٤٤).

وحقيقــة أن الهمــداني يذكر أبــي شمر بــن شُرَحبيل يَنكُف أمر جديــر بالاهتمام؛ فمــن المحتمل جدًا أن يكون بشمر نوف bs²mr Nwf نجل شُرحبئيل يَكُّف S²rḥb̉l Ykf الوارد في نقش معَسَل ٣ (M̉sal 3) . وهذا يوضح مرة أخرى أن الأنساب ليست أمرًا مخترعًا على نحو خالص.

أمــا الــرأي القائل بيهودية الملك شُرَحبيل يَنكُف (والــذي يدافع عنه بشكل خاص كل مــن زئيــف روبــين Zeev Rubin وجــاك ريكمانــز Jacques Ryckman[3]، فقد كان موضع شك لفترة طويلة[4]، حتى بات يفرض نفسه الآن بفضل اكتشاف النقوش الجديدة.

٢. ذا ثعلبان za-Sə̉ləbān: -

يذكر نص "استشهاد أزقير" في مناسبتين أحد زعماء نجران بهذا الاسم:

(1) Robin et Brunner, *Carte du Yémen antique*, F7.

(٢) يقع عهد الملك ثَعران يُهَنَم Thar̉ān Yuhan̉im بين حوالي ٣٢٥-٣٧٥م. Robin, " Ḥimyar et Israël ", tab̉leau chronologique

(3) "Le christianisme", p. 436.

(4) Beeston, "The Martyrdom of Azqir", p. 7.

"زعماء مدينة نجران، ذا ثِعلبان وذا قيفان"
makwənənta hagara Nāgrān za-Śə̓əbān wa-za-Qēfān (mss. A, za-Sə̓ləbān) (p. 729/7).

"مع الزعماء الذين يعيشون في نجران، مع ذا ثِعلبان وذا قيفان"
ẖaba makwənənt ʾəlla yənabbərū ba-Nāgrā| n ẖaba za-Śə̓ləbān wa-za-Qēfān (mss. B, za-Qīfān) (p. 735/7).

يتوافـق اسم "ذا ثعلبـان" za-Śə̓ləbān تمامًا مع الاسـم السبئي "ذ-ثعلبن" d̲-Ṯ̓lbn، والعربـي ذو ثَعلَبَـان dhu- Tha̓labān، لأنـه في مرحلـة مـا -بعـد الجعزية الأكسوميـة Aksūmite Geze - تم الخلط في نطق حـرف العطف "و". والحقيقة أن الــ t̲ (=ث) في السبئية أو العربية كان يتم نسخها في الجعزية ś ، مع استبعاد الوسيط الآرامي الذي يغير هذا الصوت إلى t (=ت)؛ فتنطق "تَعلَبان" Ta̓labān.

وقد تأكد ذكر بني ذو ثَعلَبان في بعض الوثائق التي تحدد موقعهم بمنطقة نجران:

أ. في (Twitchell 3 = Ja 857 = Ja 1040 (= Ph 123))، من نجران:

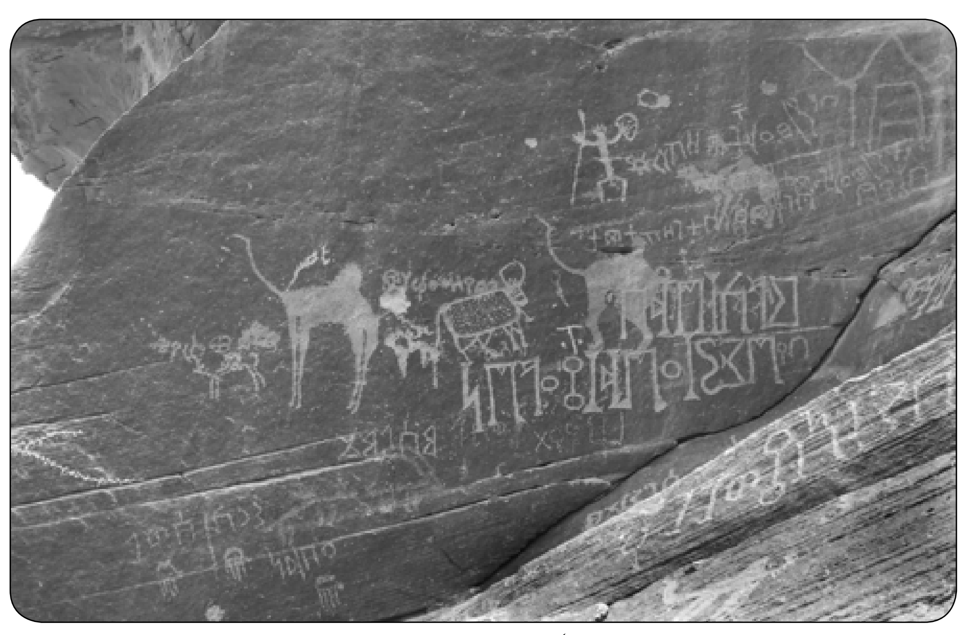
1 …](ʾlh)t Ṯ̓lbn w-[…	١ …[من بني ثَعلَبان و]…
2 …] brʾw mḥfd-h(m)[w …	٢ …[بنى برجهم]…
3 … b-r]d̓ Rḥmnn d̲-b-S¹mw[…	٣ …[بإرادة رحمن الذي في السماء]…

يحتفـي هذا النقش بذكرى بناء برج، ربما داخـل أسوار المدينة، ويشير إلى المكانة العالية لبني ثَعلَبان في نجران. ولأن مكرسه مُوَحِد (من أتباع التوحيد)[1]، يمكن تأريخ النقش بين حوالي عام ٣٥٠م وعام ٥٥٠م.

(١) هنـاك مخلفـات أثرية قليلة للغاية في نجران بعد نبذ الوثنية؛ وتتمثل في نص (Twitchell 3، جرافيتي P ١٢/١١) وفيه نجد الاسم المسيحي "عبد المسيح" (bd-l-Ms¹ḥ̓).
Beaucamp et Robin, “Le christianisme”, p. 48, 53-54 et pl. I e



(شكل١) حميري: جرافيتي باسم Marthadum *Ṣḥ|fyn* **مسبوقا بعلامة الصليب**



(شكل٢) جرافيتي من الغَرَزيات (١٠٠كم شمال شرق نجران)،
يحوي نقشا لبشر عبد ثَعلَبان (Bs²r ʿbd Ṯlbn)

ب. بعض الكتابات الجدارية (الجرافيتي) غير المنشورة من منطقة نجران:

ذكر Gonzague Ryckmans هذه الكتابات الجدارية[1]. ومع ذلك لا زلنا نتجاهلها حتى الآن لعدم وجود مزيد من المكتشف منها. وقد شاهدت البعثة الفرنسية السعودية اثنتين منها في مكان يسمى الغرازيات al-Gharaziyyāt، في الطرف الشمالي من جبل كوكب Kawkab؛ وكلاهما من عمل شخص واحد يُدعى بشر ابن عبدوم ذو ثَعلَبان (Bs²r ʿbd Ṯlbn / Bs²r bn ʿbdm d-Ṯlbn)، (انظر الشكلين ٢-٣). وتعود الكتابة تقريبًا إلى القرن الخامس.

ج. Ist. 7608 bis + Wellcome A103664 / 13157 :vs

يقدم هذا النص المسيحي سلسلة من أسماء كبار السادة الحميريين، ولا شك في أنهم انضموا إلى السلطة التي أنشأها الحبشيون، حوالي ٥٣٠م:

[... رم وحارث ومَرثاد بني ثَعلَبان، ومح]...[(بم) ومَوهَبيل بني موضع وبنتهم (بناتهم) ...].

Rm w-Ḥrṯm w-Mrṯdm ʾlht Ṯʿlbn w-M (ḥ) [......] (bm) w-Mwhbʾln ...] [...ḏy-Mwḍʿ w-bnt-h mw

كل هذه الوثائق لم تكن معروفة عندما نشر كارلو كونتي روسيني Carlo Conti Rossini نص "استشهاد أزقير".

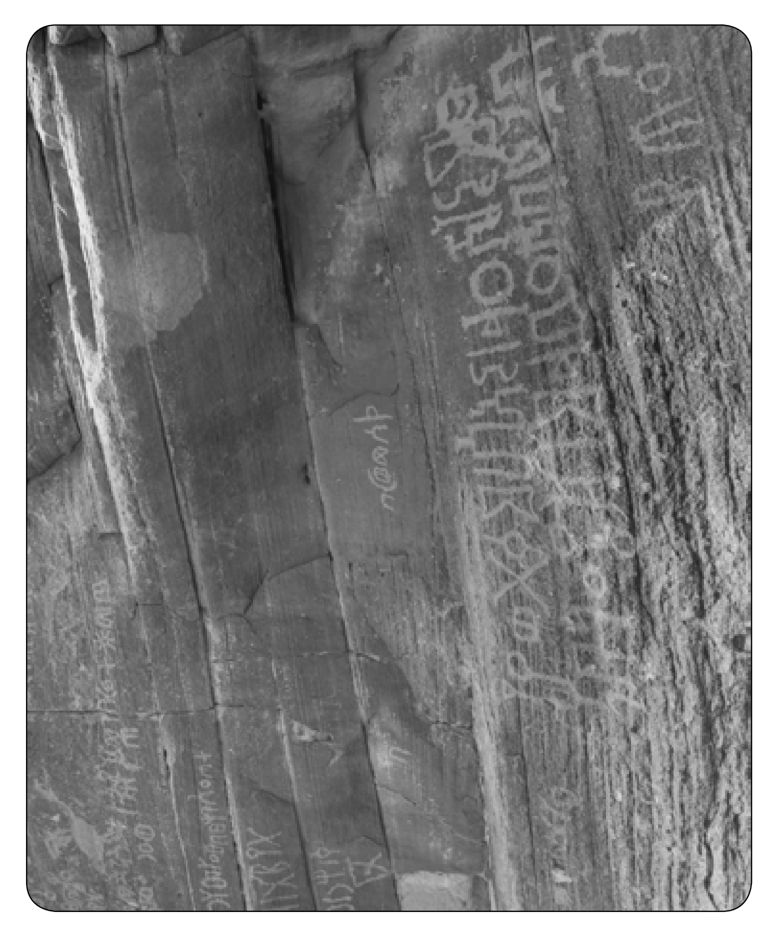
ومن المعتاد في شبه الجزيرة العربية تلقيب الزعيم أو الرئيس باسم الجد الأكبر، تمامًا كما يتم تلقيب الملك باسم سلالته (على سبيل المثال: قيصر Qayṣar وكسرى Kisrà للأباطرة البيزنطيين والساسانيين). لذلك، ليس من المستغرب في نص "استشهاد أزقير"، أن يشير اسم "ذا ثَعلَبان" إلى السلالة وليس الشخص ذاته.

وعلى ذلك يقترح نص "استشهاد أزقير" أنه في حوالي عام ٤٧٠م، وجه شخص يُدعى ذو ثَعلَبان أول قمع ضد مسيحيي نجران. وبعد حوالي خمسة وخمسين أو ستين عامًا، تم ذكر أفراد آخرين من العائلة ضمن حاشية الملك الذي تم تثبيته من قبل الحبشيين على عرش حمير (Ist. 7608 bis/ 13). ومن الواضح أن الدين كان يرتبط بالمصالح السياسية. ولم تكن هذه هي الحالة الفريدة من نوعها؛ فبني يزن، الذين ينتمي إليهم القائد الذي حاصر نجران وأجرى مذبحة عام ٥٢٣م (في السبئية شَرحئيل يَقبُل ذو يَزَئن، وفي السريانية ذو يَزَن)، كان لهم أيضًا بعض من أفرادهم ضمن حاشية الملك التابع للأحباش بعد سنوات (Ist.7608 bis/ 10).

وتؤكد الروايات العربية الإسلامية على شهرة ذو ثَعلَبان في شبه الجزيرة العربية ما قبل الإسلام؛ فهي واحدة من الأسر الملكية الثمانية التي تُسمى المثامنة *al-*

(1) "Graffites", p. 560 et 562.

Mathāmina (انظـر: روبن ١٩٨٩م). ومن أفرادهــا المدعو دَوس ذو ثَعلَبان[1] Daws dhū-Thảlabān أو نَوف ذو ثَعلَبان[2] Nawf dhū-Thảlabān، الذي سيسعى للحصول علــى مساعدة نجاشي أكسيوم بعد مذبحــة مسيحيي نجران على يد الملك يوسف، مما يعني أنه مسيحي[3].



(شكل٣) جرافيتي من الغَرَزيات (١١٠كم شمال شرق نجران)،
يحوي نقشا لبشر بن عبدوم ذو ثَعلَبان (Bs²r bn ʿbdm ḏ-Ṯ̉lbn)

---

(1) Ibn Hishām, ***Sīra***, p. 37-38 ; trans. Guillaume, ***The Life of Muhammad***, p. 18-19.

(2) Nashwān, ***Shams alʿulūm***, p. 15 "ثعلب" يذكره Ṯʿ LB؛ وانظر أيضًا: ***Mulūk Ḥimyar***, p. 157 / 13.

(3) Robin, "Joseph", p. 27-28.

٣. ذا قيفان za-Qēfān :-

بالنسبة لإشارتي نص "استشهاد أزقير" إلى ذا قيفان zē-Qēfān (أو za-Qīfān)، انظر الاقتباسات الواردة تحت اسم ذا ثعلبان "za-Śəlˀəbān" أعلاه. هذا الاسم غير مؤكد في النقوش ولكنه موجود بالعربية بتَهجئة "ذو قَيْفان" dhū Qayfān. وبحسب الهمداني، فإن ذو قَيْفان فرع من فروع ذو جَدَن[1]. ويقدم ابن الكلبي رواية مختلفة إلى حد ما، إذ يقسم ذو قَيْفان إلى فرعين، وينسب أحدهما فقط لذو جَدَن.

ويعد "استشهاد أزقير" هو المصدر الوحيد الذي يذكر "ذا قيفان" za-Qēfān/za-Qīfān بين زعماء نجران. وقد يتم اتخاذ هذا كحجة للتشكيك في القيمة التاريخية لهذا المصدر الهجيوجرافي. وفي الواقع، يبدو الأمر عكس ذلك تمامًا؛ إذ أن هذا يثبت أن المؤلف كان على دراية تامة لأنه يعين فاعلاً للأحداث بالاسم الدقيق لعائلته (ذو قَيْفان) وليس بالاسم العام للنسب الذي ينتمي إليه (ذو جَدَنُم، الصيغة السبئية لذو جَدَن، وهو أيضًا أحد مثامنة الروايات العربية الإسلامية). وكان ذو جَدَنُم ("أسرة" ذو قيفان)، في موقع المسؤولية عن الواحة، على الأقل القرنين الثاني والثالث الميلاديين:

- في الأخدود (نقش ٣٥): صاحبه من ذو جَدَنُم، وهو عاقب āqib ملك سبأ في نجران خلال الربع الأخير من القرن الثالث الميلادي. وفيما يلي النص الكامل للنقش (الأشكال ٥-٩):

1 *Hwfʿt̲t Yhs^{2ʿ} bn Gdn^m*
2 *ʿ[qb] mlk S^{1}b[ʾ] b-Ngr^n w-b-ʾ=*
3 *[rḍ …..]w-ʾtm w-gbl s^{2ʿ}b^n d̲-*
4 *[   ]w w-hs^2(qr)n krf-*
5 *[hmw b-rdʾ ʾ]lh-hm[w d̲-S^1]mwy-(d̲)-*
6 *[Kʾbt^n w-ʿ]t̲tr S^{2}r[q^n] w-ʾlm=*

(هَوفئَاتهَت يُهَشي بن جَدَنم| Hawfâathat Yuhashī ibn Gadanum [عاقب] ملك سبأ في نجران وبـ[أرض ......]، والجماعة وكل مجتمع ذو- |[...... بنَوا] وأكملوا صهريجهم |[بمساعدة] إلههم ذو الـ- السماوي ذو-)

وهَوفئَاتهَت يُهَشي معروف بالفعل من خلال نقشين: (١) CIH ½ من عهد كَربئيل وَتار يُهَنئم ملك سبأ ابن وَهَبيل يَهُزّ ملك سبأ؛ (٢) Ja 565 من عهد يَريم أيمن وأَخيه كَربئِل وَتَار ملوك سبأ. (b. YM 28805 / 4-10، القرن الثاني أو الثالث الميلاديين).

---

(1) al-Hamdānī, *Iklīl* II, p. 105 et sv. et 302-313.



(شكل ٤): الأخدود الجنوبي. صورة عامة لنقش الأخدود رقم ٣٥.



(شكل ٥) الأخدود الجنوبي. صورة للربع العلوي الأيمن من نقش الأخدود ٣٥



(شكل ٦) الأخدود الجنوبي. صورة للربع الأيسر العلوي من نقش الأخدود٣٥



(شكل ٧) الأخدود الجنوبي. صورة للربع الأيمن السفلي من نقش الأخدود ٣٥



(شكل ٨) الأخدود الجنوبي. صورة للربع الأيسر السفلي من نقش الأخدود ٣٥

"لأنه منحهم | المقه سيد سبأ (لهم) خادميه | عمّيكَرب وآسن ليعودوا راضين لمدينة زِربان ووادي نجران، عندما أمرهم سيدهم بني جَدَنُم بتولي الإدارة تحت سلطة بني جَدَنُم في نجران"

b-ḏt ḫmr-hmw [5] ’lmqh-b‘l-S^{2}b‘^{n} ‘bdy-hw̃ [6] ‘mkrb w-’s^{1n} t’wln b-wfy[7]^{m} bn hgr^{n} Ẓrb^{n} w-s^{1}r-hw N[8]gr^{n} b-kn wqh-hmw ’mr’-hm[9]w bny Gdn^{m} l-tnṣfn b-qht [10] bny Gdn^{m} b-Ngr^{n}.

وتجـدر الإشـارة أيضًا إلى أن أحد بني جَدَنُم كـان في جيش الملك يوسف في شهري يونيـو ويوليـو مـن عـام ٥٢٣م (Ry 513 and 514; Ja 1030) ، وأن بعثـة ريكمانـز- فيلبي-ليبّينـز Ryckmans-Philby-Lippens لاحظـت هذا الاسم في كتابات جدارية (جرافيتي) حول نجران١٦٣[1] .

وباختصـار، فـإن زعيمـا واحة نجران المذكـوران في نص "استشهـاد أزقير"، ذا ثعلبان za- Sə̉ləbān وذا قيفان za-Qēfān يحملان أسماء ذات دلالة:

- ذو ثَعلَبـان dhu-Tha̍labān هـو اسـم أسـرة مهمـة مـن واحة نجـران في القرن الخامـس الميـلادي، وهـو النسـب الأساسي الذي نعتمـد فيه تأكيده علـى النقوش الكتابية (الإبيجرافيا). هذه الأسرة وجهت القمع ضد المسيحيين في زمن شرحبئيل يَكُّـف في سبعينيات القرن الخامس؛ وعلى الجانب الآخر كانت إلى جانب الضَحايا خـلال المذبحة التي قادها الملك يوسف؛ فوفقًا للروايات العربية الإسلامية، ثمة ذو ثَعلَبـان سيذهب إلى الحبشة لإبلاغ وتنبيه النجاشي. هذه الملاحظات تثير التساؤل عمـا إذا كان الشهيد الحـارث بن كعب رأس هذه الأسرة. وهـذا يتماشى تمامًا مع

(1) G. Ryckmans, “Graffites”, p. 560.

حقيقة أن مبعوث نجران الذي سيبلغ النجاشي هو ذو ثَعلُبان وفقًا للمصادر العربية الإسلامية، وابن الحارث وفقًا لرواية "الاستشهاد" العربية (انظر أعلاه).

- ذو قيفان dhu-Qayfān هو فرع من ذو جَدَنُم، السلالة السبئية المهمة في مأرب، والمسؤولة عن إدارة واحة نجران (مع لقب عاقب āqib) عند نهاية القرن الثاني، والتي ظلت حاضرة في واحة نجران قرب وقت المَذبحة.

إن ذا ثعلبان za- Sə̉ləbān وذا قيفان za-Qēfān، كرئيس محلي ونبيل سبئي، يشبهان بشَدَة السيد والعاقب في الوفد النجراني الذي استقبله النبي محمد.

٤. أزقير وكيرياق Azqīr and Kīryāq :-

لم يزل اسم أزقير Azqīr، المكتوب في بعض الأحيان بالصيغة أزقير[(1)] Azqēr وأصقير[(2)] Aṣqīr، بلا معنى أو تفسير. ولا يبدو ذي أصل عربي، حتى إذا كان أ.ف.ل. بيستون[(3)] A. F. L. Beeston يقترح اشتقاقه من الكلمة العربية "ذَكير" (حسن الذكر). كما تم اقتراح تحريفه من اليزنيين[(4)].

أما بالنسبة لكيرياق Kīryāq، تلميذ أزقير (MA, p. 731/6)، فثمة إجماع على تحديده بالاسم اليوناني كيرياكوس Kyriakos. ويبدو أن هذا التلميذ، الذي عمده أزقير، كان يُدعى كيرياق حتى قبل أن يصبح مسيحياً. ومن غير المحتمل أن يكون للحميري أو العربي غير المسيحي اسم يوناني في ذلك الوقت. ففي شبه الجزيرة العربية، تعتبر الأسماء الأجنبية الأصل، بما في ذلك بين اليهود والمسيحيين، أمرا استثنائياً. لذلك فهو يبدو أجنبيا مؤثراً لا يعرف أصله بالتحديد. وقد يكون عربيًا من قبيلة على أطراف الإمبراطورية البيزنطية.

د. أسماء القبائل والبلاد :-

١. توناح Tōnāḥ :-

هذا الاسم، الذي استعصى على التفسير حتى الآن، ورد في مناسبتين:

"وهكذا أتي تجار كثيرون من توناح"

wa-ʾamē-hā maṣ̌ū nagādəyān bəzūḫān əm-Tōnāḥ. (MA, p. 731/4)

---

(1) Conti Rossini, “Un documento sul cristianesimo”, p. 739 n. 1.

(2) Conti Rossini, “Un documento sul cristianesimo”, p. 747 (Synaxaire).

(3) “The Martyrdom of Azqir”, p. 6.

(4) J. Ryckmans, “Le christianisme”, p. 442.

وهذا الرأي لـ

Moberg, Über *einige christliche Legenden in der islamischen Tradition*, Lund 1930, p. 34.

"لا تزال هذه الحاوية موجودة حتى اليوم في تاناؤ في منزل ابن أزقير"
wa-hallawat yə̓ətī gabatā əska yōm ba-Tōnāḥ170 [ba-] bēta 1 walda Azqīr.(MA, p. 733, last line)

من الواضح أنها تَنوخ Tanūkh ، وهي قبيلة من منطقة الفرات السفلى؛ ففي جعزية ما بعد أكسيوم، كان يتم التبديل والخلط في النطق بين الحرفين ḥ (ح) و ẖ (خ)[(١)].

وفي نقوش جنـوب شبـه الجزيـرة العربية، ثمة ذكـران لتنـوخ (Sharaf 31/12; Gajda-al-Īrāfa 1/1) ربما يشيران إلى مملكة الحيرة. كما نلاحظ أن تنوخ كانت لها روابط واضحة مع الحيرة:

- وفقـا للمصادر العربيـة الإسلامية، أول حاكم عربي للحـيرة يُدعى جَذيمة الأبرشـ Jadhīma al-Abrash. ومـع ذلك فإن نقشا غير مؤرخا في منطقة أم الجمال (في الأردن، بالقرب من الحدود السورية) ومكتوبًا باليونانية والنبطية المتأخرة، يذكر ملكا بهذا الاسم يحمل لقب ملك "تنوح" :

"هذا هو الشاهد الجنائزي لفِهر، ابن شُلّاي ، راعي جَذيمَت ، ملك تنوح".

النص النبطي المتأخر: dnh nfšw Fhrw | bn Šly rbw Gdymt | mlk Tnwḥ

النص اليونـاني: hè stèlè hautè Fé | rou Solléou | Gadi tropheus | mathou basileus | Thanouènôn[(٢)]

- إن ثلث أهل الحيرة ينتمون إلى تنوخ، والباقون ينتمون إلى عباد والأحلاف[(٣)].

وذكـر التجار من تونـاح Tōnāḥ له نظير في السريانيـة، ولكن مع الحيرة بدلاً من توناح:

"تجار حيرة النعمان" Taśgrȯ d-men Ḥîrtå̓ də-Nu̇mān.
(Letter Shahîd, document dated summer 524, p. 56, XXI / 3-4, VI C).

٢. حَمير Ḥamēr :-

إن اسـم المملكـة مذكور أربع مـرات في نص "استشهاد أزقـير"، ودوما مقترنا بلقب الحاكم:

- "ملك حَمير" nəgūśa Ḥamēr (MA, p. 731/8 and 731/15)

(1) Robin, “Les Arabes des “Romains””, p. 190.
(2) Hackl *et alii*, *Quellen zur Geschichte der Nabatäer*, p. 197- 198, F.038.02.
(3) Shahîd, “Tanūkh”, p. 206 b.

- "من زمن سَرابهيل دانكف ملك حَمير".
ba-mawāʿəla Sərābhīl Dānkəf nəgūśa | Ḥamēr (MA, p. 729/6)
- "أتـى إلى صفـار من عنـد ملـك حَمـير". baṣḥa Ṣəfār ẖaba negūśa Ḥamēr (MA, p. 734/4)

والمملكـة تُسمى حميَر Ḥmyr في السبئية؛ وحمـير Ḥimyar باللغة العربية؛ وفي النقوشـ الجعزيـة، حَمير Ḥəmēr في نقوش عيزانـا Ezānā (RIÉth 188/2, 189 / 2-3)، وحَمير في نقوشَ الملك الحبشي الذي غزا اليمن [كاليب Ḳālēb] (195-II / 17).

وباليونانية، نلاحظ في النصوص اليونانية عن نجران:

- أميرتيس Amérites (أميرتاس *Ameritas*) عنـد كل مـن فوتيوس ويوحنـا مالالاس (Photios, Library, 3 = Henry, p. 4-5; John Malalas, Book 18, par. 56)؛ وهذا دون شك مشتق من حَمير Ḥamēr الجعزية.

- هوميريتيس Homérites (هوميريتاس *Homèritas*) عنـد بروكوبيوس (Procopius, Wars, I.XIX.14; I.XX.9-10). لا شـك في أن نطـق الاسـم في اللغـة اليونانيـة مشتـق من نطق حُمَـير Ḥumayr الذي يمكن أن يكـون من السبئية وربمـا من العربية الإسلاميـة. إذا كان ذلك صحيحًا، فسيكـون من الضروري شرح الانتقـال في اللغة العربية من حُمَـير إلى حميَر. أحد الافتراضات هو أن Ḥimyar في صيغة جمع النسبة "حُمَيري" ḥumayrī، مخطط الجمع الذي يبدو مؤكدا في اللغات القديمة لليمن: (ḫrf، جمع Ḫryf؛ ḫms¹، جمع Ḫmys¹؛ s¹bt، جمع S¹by̌. ألخ).

- إيمّيرينيس Immirènes (إيمّيرينوي *Immirènoi*) عنـد يوحنا دياكرينومينوس وثيـودور البليـغ (Jean Diakrinomenos, book 10, GCS, Théodore the Rehtor, p. 157)، وهذه التهجئة الاستثنائية يمكن مقارنتها بـ "حِمير" الجعزية.

يستخـدم نص "استشهاد أزقير" على نحو منطقـي تهجئة جعزية ما بعد أكسيوم، والتي هي أيضا الخاصة بنقوش كاليب. والجدير بالملاحظة أن بعض النصوص اليونانية تستخـدم صيغة مشابهة للجعزية، كما لو كان المصدر أو المخبر (المُملي) يستخدم هذه اللغة، بينما البعض الآخر يعكس على ما يبدو النطق العربي.

هـ. القيمة التاريخية لنص "استشهاد أزقير":-

يحتـوي نص "استشهاد أزقير" علـى العديد من البيانات غير المعروفة لتقاليد المخطوطـات، والتـي تم التحقق من صحتها بفضل المصـادر الإبيجرافية (من الواضح أنها غير معروفة للمحقق). وهذه البيانات كالتالي:

- اسـم الملـك سَراهبيـل دانكِـف Sarābḥīl Dānkəf (في السبئيـة شُرِحبئيل يَكُّف

(Shuriḥbiʾīl Yakkuf، الذي لم يرد في أي مصدر أدبي؛

- أسماء اثنين من قادة نجران ذا ثعلبان za- Sʾələbān وذا قيفان za-Qēfān -وهذه هـي أيضًـا الإشارة الوحيدة إليهمَـا في أي مصدر أدبي- الذيـن تم الإشارة إليهما (كما هو معتاد في جنوب شبه الجزيرة العربية) باسم النسب؛ حيث تم نسبة هذين الشخصين إلى أسرتين مؤثرتين في نجران؛
- أن ممارسـة السلطة في نجـران كانت مشتركة بين الشخصـين، أحدهما نجراني من الواحة (ذا ثعلبان za-Sʾələbān) والأخر سبئي (وذا قيفان za-Qēfān)؛ هذه الثنائية تذكرنا بَالَعقِب والسيد زمن النبي محمد؛
- تم ذكر التجار القادمين من توناح Tōnāḥ (في السبئية "تنخ" Tnẖ، وفي العربية "تنوخ" Tanūkh)، حيث توناح Tōnāḥ هي طائفة من الحيرة كما يظهر في نقوش الحميريين؛
- الأقل موثوقية، أن الموقع المسمى وَضحو Waḍḥō ربما يكون وَسَحة Wasaḥa.

وكما لاحظ الدراسون الأوائل للنص، من المرجح أن النسخة الأولى لاستشهاد أزقير (أو مصدرهـا) كُتبـت في نجران أو مـن شخص نجراني. وفيما يتعلـق بلغة كتابة هذه النسخـة الأولية، هل هـي سبئية أم عربيـة أم يونانية أم سريانية؟ يبـدو أن السريانية مستبعـدة بسبب أسماء ظفـار وذو ثعلبان التي لم يتم نسخها مـن السريانية. اليونانية ليست مستحيلة، إلا أن استخدامها في شبه الجزيرة العربية كان ضئيلًا للغاية، ومن ثم فهـي مستبعدة، هـذا ما لم يفترض المرء أن المؤلف هو نجـراني هاجر في منطقة يسود فيها اليونانيون (مثل سيناء أو فلسطين)؛ وفي فرضية وجود نسخة يونانية أولية، سيكون مـن الضـروري أن نفترض وسيطًا عربيًا قبل الوصـول إلى الجعزية ، حيث من المحتمل أن تتـم ترجمـة الجعزية بالاستناد إلى نص باللغة العربية. أمـا السبئية؛ فبالكاد تكون محتملـة: وذلك لأن الاسـم دانكف Dānkəf منسوخ من الاسـم العربي "يَنكُف" وليس من السبئي "يكف" Ykf؛ أيضا لأنه لا يوجد دليل يشير إلى أن السبئية استخدمت كلغة لسرد القصص. وأخيرا تظل هناك اللغة المنطوقة في نجران "اللغة النجرانية" في التي عرفناها من الخطاب الذي نشره شهيد Shahîd ، وهي بلا شك شكلاً جنوبياً من اللغة العربية[1]، رغم أنها أقل قبولاً بالنسبة لنا من السبئية.

وعلـى الأرجح أن النسخـة الأصلية كانت باللغة العربية، على الرغم من ذكر "اللغة العربيـة" في النص، عند تفسـير معنى "جوعان" Gawʾān. وبالنسبـة لتاريخ الكتابة، سنبحـث عـن فترة متأخرة نسبيًا، بعد أن اكتسبت العربيـة مكانة اللغة الأدبية، وهو ما

(1) Shahîd, *The Martyrs of Najrân*, p. 242.

يعنـــي القــرن الثامن على الأقــل. وبالنظر إلى جــودة معلوماته، ربما كــان المؤلف تحت تصرفه وثائق أرشيفية تسجل معلومات واقعية موجزة[1].

رابعا : المصادر والمراجع

أولا. المصادر:-

Bausi Alessandro e Alessandro Gori, éd. et trad. *Tradizioni orientali del " Martirio di Areta ". La prima recenzione araba e la versione etiopica, edizione critica e traduzione*. Presentazione di Paolo Marrassini (Quaderni di Semitistica, 27). Firenze (Dipartimento di Linguistica, Università di Firenze) 2006.

Bausi Alessandro "Il Gadla Azqir", *Adamantius Rivista del Gruppo Italiano di Ricerca su "Origene e la tradizione alessandrina"*, 23 (2017), p.341-380.

Budge, E.A.W., *The Book of the Saints of the Ethiopian Church*, I, Cambridge 1928

Colin, G., *Le synaxaire éthiopien. Mois de Ḫedār* (PO 44/3, fasc. 199), Turnhout 1988.

Conti Rossini Carlo, éd. et trad. " Un documento sul cristianesimo nello Iemen ai tempi del re Šarāḥbīl Yakkuf ", *Rendiconti della Reale Accademia dei Lincei*, Classe di Scienze morali, storiche e filologiche, Serie quinta, Vol. 19 1910, p. 705-750. Cosmas : voir Kosmas

- *Azqir*, in *Dictionnaire d'Histoire et de Géographie Ecclésiastique*, V: *Athéisme-Azzon*, a cura di A. Baudrillart, Paris1931, p.1377-1378.

DindorfL., éd. *Johannis Malalae Chronographia*. Bonnae (Impensis Ed. Weberi), 1831.

Guillaume, A., trad. *The Life of Muhammad*. A Translation of Ibn Isḥāq's *Sīrat Rasūl Allāh*, with Introduction and Notes, Oxford University Press 1955.

al-Hamdānī (Abū Muḥammad al-Ḥasan b. Aḥmad b. Yáqūb)

– al-Hamdānī, *Südarabisches Muštabih : Verzeichnis homonymer und homographer Eigennamen*. Oscar Löfgren, éd. (Bibliotheca Ek-

(1) Robin, " Ḥimyar, des inscriptions aux traditions ".

maniana Universitatis Regiae Upsaliensis, 57), Uppsala (Almqvist & Wiksell) 1953.

– *Kitāb al-Iklīl*, al-juz̉ al-thānī, li-Lisān al-Yaman Abī Muḥammad al-Ḥasan b. Aḥmad b. Yảqūb al-Hamdānī. Muḥammad b. Ảlī ̉l-Akwả al-Ḥiwālī, éd. (al-Maktaba al- yamaniyya, 3). al-Qāhira (al-Sunna al-muḥammadiyya) 1967 (1386 h.).

– *Ṣifat Jazīrat al-Ảrab. al-Hamdânî's Geographie der arabischen Halbinsel*, David Heinrich Mülleréd., 2 vol., Leyde (Brill) 1884-1891 (reprise par le même éditeur 1968).

Hansen Günther Christian, éd. Theodoros Anagnostes, *Kirchengeschichte* (Die griechischen christlichen Schriftsteller der ersten Jahrhunderte), Berlin (Akademie Verlag) 1971 (Johannes Diakrinomenos, p. 152 sv.).

Henry René, éd. et trad. Photius, *Bibliothèque*, Tome I (" codices " 1-84) (Collection byzantine). Paris (Les Belles Lettres) 1959.

Ibn al-Kalbī (Hishām) *Kitāb al-aṣnām* : *Le Livre des idoles de Hicham ibn al-Kalbi*, Wahib Atallah, éd. et trad., Paris (Klincksieck) 1969.

Ibn Hishām *al-Sīra al-nabawiyya li-Ibn Hishām*. Muṣṭafà ̉l-Saqqā, Ibrāhīm al-Abyārī, Ảbd al-Ḥāfiẓ Shalabī édd. (Turāth al-Islām), 2 vol. Beyrouth (Dār al-Mảrifa), s. d.

Jean Diakrinomenos : voir Hansen Theodoros Anagnostes, *Kirchengeschichte.*

Jeffreys Elizabeth, Michael Jeffreys et Roger Scott, trad. *The Chronicle of John Malalas. A Translation*. Melbourne (Australian Association for Byzantine Studies, Byzantina Australiensia, 4), 1986.

Kosmas Indikopleustès : voir Wolska-Conus, Cosmas Indicopleustès, *Topographie chrétienne*

Moberg Axel, éd. et trad. *The Book of the Himyarites, Fragments of a Hitherto Unknown Syriac Work* (Skrifter utgivna av Kungl. Humanistiska Vetenskapssamfundet i Lund, VII). Lund (C. W. K. Gleerup) 1924.

Nashwānb. Sảīd al-Ḥimyarī *Die auf Südarabien bezüglichen Angaben Našwān's im Šams al- ảulūm,* Ảẓīmuddīn Aḥmad, éd. («E. J. W. Gibb Memorial» series, XXIV), Leyden (E. J. Brill) – London (Luzac) 1916.

Piamenta Moshe *Dictionary of Post-Classical Yemeni Arabic*, Leiden (Brill), 1991, deux volumes.

Shahîd Irfan, éd. et trad. *The Martyrs of Najrân. New Documents* (Subsidia Hagiographica, 49). Bruxelles (Société des Bollandistes) 1971.

Tedros Abraha, *Gädlä Abunä Yonas zä-Bur, Eritrean saint of the 15th century. Geʿez text edited and translated* (PO 53/2, fasc. 236), Turnhout 2015

Winckler Hugo, trad. " Zur geschichte des Judentums in Jemen ", *Altorientalische Forschungen* 4, Leipzig (Eduard Pfeiffer) 1896, p. 329-336 et 1 pl.

Wolska-Conus Wanda, éd. et trad. Cosmas Indicopleustès, *Topographie chrétienne*, Introduction, texte critique, illustration, traduction et notes par … (Sources chrétiennes, 141), Paris (Les éditions du Cerf) 1968.

ثانيا. النقوش:-

CIH : *Corpus Inscriptionum Semiticarum ab Academia Inscriptionum et Litterarum Humani-orum conditum atque digestum*, IV, *Inscriptiones Ḥimyariticas et Sabaeas continens*, Paris (Imprimerie nationale), tomus I-III 1899-1930.

Gajda-al-ʿIrāfa 1 : voir en dernier lieu Robin, " Les Arabes des "Romains" ", p. 200-201 et fig. 3, p. 188.

Ist[anbul] 7608 bis (= *RÉS* 3904)+Wellcome A103664 : voir en dernier lieu Robin, " Joseph ", p. 96-100.

Ja 876 (= *RÉS* 4969) : Albert Jamme, *La dynastie de Šaraḥbiʾil Yakûf et la documentation épigraphique sud-arabe* (Publications de l'Institut historique et archéologique néerlandais de Stamboul, IX), Istanbul (Nederlands Historisch-Archaeologisch Instituut in het Nabije Oosten) 1961.

Masal 3 : unpublished

RÉS : *Répertoire d'épigraphie sémitique*, publié par la Commission du *Corpus Inscriptionum Semiticarum* (Académie des Inscriptions et Belles-Lettres), Paris (Imprimerie nationale), tomes I-VIII, 1900-1967.

RIÉth 180 ; 188 ; 189 ; 191 ; 195 ; 277 : E. Bernand, A. J. Drewes et R. Schneider, *Recueil des inscriptions de l'Éthiopie des périodes pré-axoumite et axoumite* (Académie des Inscriptions et Belles-Lettres), Paris (Diffusion de Boccard). Tome I: *Les documents*, 1991 ; Tome ii : *Les planches*, 1991 ; Tome iii : *Traductions et commentaires*, A. *Les inscriptions grecques*, par Étienne Bernand, 2000.

Sharaf 31 : Walter W. Müller, " Eine sabäische Gesandtschaft in Ktesiphon und Seleukeia ", *Neue Ephemeris für Semitische Epigraphik* 2 1974, p. 155-165.

al-Ukhdūd 35 : Juris Zarins et alii, " Preliminary report on the Najrān / Ukhdūd Survey and Excavations 1982 / 1402 AH ", Atlal 7 1983, p. 22-40, pl. 41 A ; Sima, " Anmerkungen ", p. 249-252.

Wellcome A103664+Ist. 7608 bis (= RÉS 3904) : voir Ist. 7608 bis

YM 28805 et 28823 : Mounir Arbach et Rémy Audouin, Ṣanʿâ National Museum. Collection of Epigraphic and Archaeological Artifacts from al-Jawf Sites, Part II, Ṣanʿâ (United Nations Educational, Scientific ans Cultural Organization – Social Fund for Development, Republic of Yemen) 2007, p. 36-37 (n° 19) et 44-45 (n° 24).

Ẓafār Museum 2000 : voir en dernier lieu Robin, " Ḥimyar et Israël ", p. 882-883 et fig. 13, p. 851.

ثالثاً. المراجع:-

Beaucamp Joëlle et Christian Robin

" Le christianisme dans la péninsule Arabique d'après l'épigraphie et l'archéologie ", Travaux et mémoires, 8 (Hommage à Paul Lemerle) 1981, p. 45-61.

Beeston A. F. L. " The Martyrdom of Azqir ", Proceedings of the Seminar for Arabian Studies 15 1985, p. 5-10.

Hackl Ursula, Hanna Jenni et Christoph Schneider Quellen zur Geschichte der Nabatäer. Textsammlung mit Übersetzung und Kommentar (mit Beiträgen von Daniel Keller) (Novum Testamentum et Orbis Antiquus, 51), Göttingen (Universitätsverlag Freiburg Schweiz – Vandenhoeck und Ruprecht) 2003.

Hirschberg J. W. " Nestorian Sources of North-Arabian Traditions on the Establishment and Persecution of Christianity in Yemen ", Rocznik Orientalistyczny 15 1939-1949, p. 321-338.

Jeffery, A., Christianity in South Arabia, AThR 27/3 (1945), p.185-204.

Karlsson, J., The Lives of John of Dailam with special reference to

the Ethiopic life found in the Gadla Samāʿtāt, Uppsala University, Department of Linguistics and Philology 2016.

Labadie, D., Une version éthiopienne des actes apocryphes du protomartyr Étienne. Édition, traduction et commentaire du manuscrit BnF d'Abbadie 110 (f. 81r-88r), Muséon 128 (2015), p.415-472

al-Maqḥafī Ibrāhīm Aḥmad Muʿjam al-buldān wa-ʾl-qabāʾil al-yamaniyya, Ṣanʿāʾ (Dār al-Kalima) – Beyrouth (al-Muʾassasa al-jāmiʿiyya li-l-Dirāsāt) 2002 (1422 h.), 2 vol.

Moberg, A., Über einige christliche Legenden in der islamischen Tradition, Lund 1930.

Robin Christian Julien

-Nagrān vers l'époque du massacre: notes sur l'histoire politique, économique et institutionnelle et sur l'introduction du christianisme (avec un réexamen du Martyre d'Azqīr), in Juifs et chrétiens en Arabie aux Ve et VIe siècles. Regards croisés sur les sources, a cura di J. Beaucamp – F. Briquel-Chatonnet – C.J. Robin (Centre de recherche, d'histoire et civilisation de Byzance, Monographies 32, Le massacre de Najrân 2), Paris 2010, p.39-106.

– " al-Mathāmina ", dans Encyclopédie de l'Islam, nouvelle édition, tome VI, livraison 111- 112, al-Maṣṣīsa-Mawsūʿa. Leyde (Brill) – Paris (Maisonneuve et Larose) 1989, p. 819-822.

– " Ḥimyar et Israël ", Académie des Inscriptions et Belles-Lettres, Comptes rendus de l'année 2004, p. 831-906.

" Joseph, dernier roi de Ḥimyar (de 522 à 525, ou une des années suivantes) ", Jerusalem Studies on Arabic and Islam 32 2008, p. 1-124.

– " Les Arabes des "Romains", des Perses et de Ḥimyar (iiie-vie s. è. chr.) ", Semitica et Classica 1 2008, p. 167-202.

Robin Christian et Ueli BrunnerMap of Ancient Yemen – Carte du Yémen antique, 1 : 1 000 000. Munich (Staatliches Museum für Völkerkunde) 1997.

Rubin Zeʾev " Ha-"Marṭiriyum shel Azqîr" ve-ha-maʾavak ben ha-ya-

hadut la-natsrut bi-Drom ʻArav ba-meʼah ha-ḥamishit la-sfirah “ [Le “ Martyre d’Azqîr “ et la lutte entre le judaïsme et le christianisme en Arabie du Sud, au ve s. è. chr.], Dor le-dor. Mi-shilhe tqufat ha-miqra ve-ʻad ḥatimat ha-Talmud. Qoveṣ maʼamarim li-khvod Yehoshuaʻ Efron [De génération en génération. De la fin des temps bibliques jusqu’à la rédaction du Talmud. Études en l’honneur de Joshua Efron], édd. Arieh Kasher et Ahron Oppenheimer, Jérusalem (Môsad Byʼaliq) 1995, p. 251-284.

Ryckmans Gonzague “ Graffites sabéens relevés en Arabie saʻudite “, Rivista degli Studi Orientali (= Scritti in onore di Giuseppe Furlani) 32 1957, p. 557-563.

Ryckmans Jacques

– “ Le christianisme en Arabie du sud préislamique “, Atti del Convegno internazionale sul tema : L’Oriente cristiano nella storia della Civiltà (Roma 31 marzo – 3 aprile 1963) (Firenze 4 aprile 1963) (Accademia nazionale dei Lincei, Problemi attuali di scienza e di cultura, Quaderno N. 62), Rome (Accademia nazionale des Lincei) 1964, p. 413-454.

Shahîd Irfan

Byzantium and the Arabs in the Fifth Century, Oxford 1989

” Nadjrān “, dans Encyclopédie de l’Islam, nouvelle édition, VII, 1993, p. 873-874.

” Tanūkh “, dans Encyclopédie de l’Islam, nouvelle édition, X 1998, p. 206-207.

Zanetti, U., Saint Jean, higoumène de Scété (viie siècle). Vie arabe et épitomé éthiopien (SHG 94), Bruxelles 2015.



الدراسة الرابعة

من أحداث نجران بدايات القرن السادس الميلادي في ضوء النسخة اليونانية (قصة الحارث بن كعب النجراني)

ترجمة ودراسة : أ.د. عبدالعزيز بن محمد رمضان



الدراسة الرابعة

من أحداث نجران بدايات القرن السادس الميلادي في ضوء النسخة اليونانية (قصة الحارث ابن كعب النجراني). ترجمة ودراسة .أ. د. عبدالعزيز بن محمد رمضان [1]

---

(١) للمزيد عن سيرة الدكتور عبد العزيز انظر الدراسة الأولى في هذا الكتاب .

أولاً. مقدمة :-

تقـدم الروايــة اليونانيــة لاستشهــاد الحــارث وأصحابــه في مدينــة نجــران *Martyrium Sancti Arethae et Sociorum in Civitate Negran* أدلــة قيمــة عــن أحــداث قمع نصــارى نجران على يــد الملك الحمــيري اليهودي يوســف ذو نواس Dhū Nawās خــلال عشرينيات القرن السادس الميلادي. ورغم أن هذه الرواية تستند إلى مصادر سريانية، إلا أنها تطرح العديد من الحقائق الإضافية وتقدم تسلسلاً زمنيًا متماسكًــا للأحداث قبــل وبعد أحداث القمــع. ومن الأمور ذات الأهميــة الخاصة التي تتفرد بها هــذه الرواية أحداث الحملة الحبشية للانتقام للنصارى، خصوصًا ما يتعلق بالخلفيــة الدبلوماسيــة للحملة، ووضع المسيحية في جنوب غــرب شبه الجزيرة العربية وعلى السياسات القبلية لنجران قبل قرن من ظهور الإسلام.

وتــدور أحــداث الروايــة اليونانية في عهــد الإمبراطــور البيزنطــي جوستين الأول Justin I (٥١٨–٥٢٧م)، وتروي كيف قام الحميريون، بقيادة الملك اليهودي ذو نواس، بإعمال السيف في سكان نجران النصارى. وللثأر من هذه الفعلة وغيرها من الاعتداءات على المقدسات المسيحيــة في المدينة، قاد النجاشي إيلا أصبحا Negus Ella Asbeha، بتشجيع ودعم من الإمبراطور جوستين، حملة عسكرية فيما وراء البحر الأحمر، أعادت ترسيخ المسيحية في نجران وبين الحميريين.

ويرجــع أول تحقيق للنسخة اليونانيــة من "استشهاد القديس الحارث وأصحابه في مدينة نجران" إلى عام ١٨٣٣م، التي أنجزها J. Fr. Boissonade [(1)]. وفي عام ١٨٦٩م قــام E.Carpentier بنشر تحقيق آخر مع تعليق مفصــل[(٢)]. وقد اعتمد Boissonade علــى مخطوطــة Paris cod. 1537، وإن استخدم أيضًــا مخطوطة Paris cod. 1454، بينما فضل Carpentier المخطوطة الأخيرة موظفًا الأولى فقط لملء الفجوات.

وتتســم هــذه النسخة اليونانيــة مــن "استشهاد الحــارث" بأنها أكــثر شمولاً من الرسالتــين السريانيتــين المنسوبتين إلى شمعــون الأرشمي، فهو يستمــر بالأحداث إلى

(1) Anecdota Graeca 5 (Paris 1833; repr. Hildesheim 1962) pp.1-62.
نشر R.P. Blake شذرات مخطوطة تتضمن ترجمة جورجية من القرن الحادي عشر الميلادي Cambridge Univ. Lib. Georgian ms 5 في مجلة (Harvard Theological Review 25 (1932) pp.216-219.

(2) Carpentier, pp.661-762. Metaphrastic version: P. G. 115, 1249-1289. See also Menolog. Bas., P. G. 117, 124-125 and Synaxarium CP (AA.SS., Propytaeum Novembris [ed.H.Delehaye, 1902] 159-161.

إعادة ترسيخ السلطة الحبشية في أرض حمير على يد النجاشي إيلا أصبحا، مع الاهتمام بالخلفية البيزنطية للحملة الحبشية. ويقدم تسلسلًا زمنيًا للعمليات البحرية والعسكرية الحبشية الموجهة ضد جنوب غرب الجزيرة العربية في عهد جوستين الأول. ويبدو أن النسخة اليونانية من استشهاد الحارث مستمدة من مصدر سرياني وثيق الصلة بالرسالتين سالفتي الذكر، خصوصًا فيما يتعلق بموت نصارى نجران وما تلاه من أحداث عاصفة. وبعد ذلك، تعتمد بشكل أساسي على الشهادات الحبشية والبيزنطية، خصوصًا أعمال القديس غريغنتيوس أسقف ظفار اليونانية.

ويهدف العمل الراهن إلى تزويد القارئ العربي بأول ترجمة عربية لبعض النصوص اليونانية والسريانية المتعلقة بأحداث نجران واستشهاد الحارث بن كعب النجراني، فضلًا عن إلحاق هذه الترجمة بأحدث تحقيق للنسخة العربية من هذه القصة، التي أنجزها حديثًا الباحث الإيطالي إليساندرو جوري.

ثانيًا. ترجمة النسخة اليونانية من "استشهاد الحارث وأصحابه في مدينة نجران" اعتمادًا على أحدث تحقيق يوناني وترجمته الفرنسية :-

Le Martyre de Saint Aréthas et de ses compagnons (BHG 166), ed. Marina Detoraki, trad. Joëlle Beaucamp, Collège de France- CNRS Centre de Recherche d’Histoire et Civilisation de Byzance, Monographies 27: Le massacre de Najrān I, Paris, 2007.

أ. قمع يوسف ذو نواس للنصارى :-

١. إنها السنة الخامسة من عهد يوسطينوس، المؤمن بالمسيح، الذي حكم الدولة الرومانية، خلال الدورة، والسنة ٨٣٥ وفقًا لعصر أنطاكية سوريا، في شهر هاييرتيوس، الذي يُدعى أكتوبر، في اليوم الأول، في الوقت الذي كان يوحنا أسقف القدس، وتيموثي أسقف الإسكندرية، ويوحنا أسقف القسطنطينية ويوفراسيوس أسقف أنطاكية: عندئذ أصبح إليسباس، العادل، ملكًا للحبشة، في أكسوم، مدينة دولة الحبشة.

حدث أنه في ذلك الوقت كان ملك الحميريين دوناس، الذي كان يهوديًا، مجرمًا إلى أعلى نقطة ومتعطشًا للدماء، أكثر من أي رجل من أمة الحميريين. تسمى هذه البلاد سبأ بالكتاب المقدس، لكن العلماء الخارجيين يطلقون عليها اسم بلاد السعيدة. في أرض سبأ، كان جميع السكان وثنيين ويهودًا، لم يعيشوا وفقًا لوصايا الشريعة، لكن وفقًا للشعائر والوصايا الخبيثة للفريسيين والصدوقيين

المنافقين. في حين كانت الأرض المسكونة بأكملها تمجد وتوقر، في كل شيء وفي كل مكـان، المسيح، الإله الحقيقي الذي يملك مـع الآب والروح القدس، وكانت بلد الحميريين، المسمـاة سبأ، وثنية، في رداء اليهودية: بينما (يدعون) خشية الـرب، بجلوا الأوثان، لذلك كانت هناك حـروب متواصلة بين ملك الأحباش، الـذي كان مسيحياً وبـين الحميريين، الـذي كانوا تابعين للأحباش. إذ شن إليسباس، الملك المسيحي المتدين، مدفوعًـا بحماسة مقدسة استثنائية، حملة وألحق المعانة بالملك المجرم.

٢. هنـاك مدينة مكتظة بالسكـان تعتمد على الأراضي الحميريـة، تُسمى نجران. هذه المدينة، التي أُعطي لها نور من السماء، ما زالت الآن تبجل الثالوث المقدس والسرمـدي، لأنهـا تلقـت هذا الإيمـان وهذا التعليم مـن الآبـاء القدّيسين من العصـور القديمـة والبعيدة. حدث أنـه في الوقت الذي هُزم فيـه الملك اليهودي مـن الحميريـين، هرب وحصـن نفسه في جبـال عظيمـة. أما ملـك الإثيوبيين إليسباس فقـد عاد إلى مملكته تاركـاً جيشاً وقائدًا لحراسـة البلاد كلها. لكن الشيطـان عدو الخير، الذي يعترض دومًا أولئك الذين يريدون العيش في تقوى، سلـح ملك الحميريـين مرة أخرى ضد الرجـال الذين تركهـم إليسباس، ملك الأحباش. وقتلهم (الملـك) وأقام اضطهادًا وحشيًا ضـد كل من بجل اسم ربنا يسـوع المسيح، سـواء أكانوا حميريـين أو فرس أو أحباش أو رومان، عن طريق حمـل السلاح، مثل شيطان متجسد، ضد المسيحيين الذين كانوا ثم على أرضه. وبعد أن قتل جميع المسيحيين الذين اعتقلهم، سار بقواته في مسيرة ضد المدينة المذكورة، المؤمنة بالمسيح، لاجتياحها. تقع بـلاد الحميريين في جنوب (منطقة تتبـع الرومـان في الوقت الحاضر وتُسمـى بالميرا (تدمر)، علـى مسافة ثلاثين قدم، وتمتد الدولة الحميرية إلى خمس وعشرين قدم: مأهولة وتمتلئ بالسكان، كمـا هو الحال في الرصافة. تقع دولة الهند، حيث تأتي التوابل والفلفل والحرير واللؤلـؤ الثمين للغاية، على مسافة خمسين قـدم. والحبشة على بعد ثلاثين قدم مـن (أرض) الحميريـين وبلاد الرومـان، في شمال هذا البلد، علـى بعد ستين قدم: بهـذه الطريقة، نمر، عن طريق البر، من أرضـ الرومان إلى الحميريين، ولكن عن طريق البحر، من بلاد الرومان إلى الحبشة ومن الحبشة إلى (أرض) الحميريين. وهذا البحر يتجه من (أرض) الحميريين إلى الهند وبلاد فارس.

٣. مـع حلـول الموسم السيئ (الشتاء)، لم يستطع ملـك الأحباش وقواته مواجهة اليهودي الذي كان يقاتـل في مدينة القديسين المنتصرين، (المدينة) الجديرة

بالتبجيل وكل نعمة، نجران، الذي يعني اسمها بالعبرية "مدينة الرعد" "وأيضًا "السد الذي لا يقهر". حيث وصل ونصب على قطعة من الخشب علامة الصليب الثمين لسيدنا يسوع المسيح. وأرسل المبعوثين، وحاصر المدينة بقوات العدو، وأمر المبعوثين بالإعلان: "كل من لا يجدف على المصلوب ويحتقر الخشب الموجود هنا، علامة اللعنة هذه، سيهلك في النار ويُذبح بالسيف؛ لكن من يتبنى قناعاتي، بإنكار ما يسميه أتباع الجليلي الثالوث، سينال العديد من الأوسمة وسيكون في مملكتي بأمان كامل. انظر حقًا؛ جميع الرجال الذين تركهم ملك الأحباش في بلدي وكذلك جميع المسيحيين رعايا ملكي وأولئك الذين يسمونهم الرهبان، سلمتهم إلى السيف والنار؛ وجميع كنائس المسيحيين، كما يطلقون عليها، في جميع الأراضي المحيطة التي هي لي، أحرقتها ودمرت قواعدها وسويتها بالتراب. وانظر مرة اخرى: إني قادم ضدكم، سكان نجران، بجيش كبير وذراع مرفوع ونخبة من المقاتلين عددهم مائة وعشرون الف لقتالكم. رد أهل المدينة من خلف الأسوار بهذه الكلمات: "لقد تعلمنا، أيها الملك، أن نبجل ونعبد الله تعالى، وكلمته...". استبد الغضب بملك الحميريين، منتهك الشريعة، ثم فرض حصارًا على المدينة، خلال أيام عديدة، باستخدام الآلات وأدوات الحرب المخيفة. لم يستطع بهذه الوسائل أن يجتاح مدينة تأسست على صخرة الإيمان بالمسيح، مثل جبل صهيون في القدس، والتي تشكل الجبال حولها دائرة كما الرب حول شعبه، الآن وإلى الأبد.

٤. ثم أقسم لهم الملك: "إذا فتحتم لي هذه المدينة طواعية، سأحميكم من كل ضرر وأي انتهاك". لقد جعل جميع الناس يأتون من الضواحي وريف المدينة والمقاطعات: قتل بعضهم، وأعطى البعض الآخر كعبيد لرجاله العظماء وقادته ومرؤوسيه. فمع إدراكه أنه لا يستطيع تحمل الحصار ضد المدينة، فإنه حاكى الثعبان قاتل الرجال الذين لا يتوقف أبدًا عن حسد أولئك الذين يرغبون في العيش مع المسيح، وشرع في أداء هذا القسم برب القانون والقوى المقدسة: "لن ألحق الأذى بأي شخص في المدينة أو أجبر أي شخص على التجديف على الدين الذي تعبدونه، طالما أنكم تقسمون الولاء لي، وتفتحون المدينة، وسأدخل لتفقد المدينة ولاستعادة ما تدينون لي به، ضريبة الرأس لهذه السنة، التي عادة ما تُدفع هيلكاس واحد عن كل روح أو رجل أو امرأة، عبد أو حر، طفل صغير أو رجل عجوز، فلاح أو حرفي. والمسماة هيلكاس هي عملة الحميريين الملكية التي تزن اثني عشر قيراطا من الذهب الرومان، بحيث تصل الضريبة المفروضة سنويًا

علـى مدينة نجران المذكـورة إلى ما مجموعه مائة وثلاثـين تالنت من الذهب. والتالنت في أرض الأحباش والحميريين يساوي ثلاثة عشر قطعة (من الذهب).

٥. قال أهل الله الحاضرون في المدينة، الذين أطاعوا دائمًا وصايا الله، مخلصنا: "أيها الملك، لقد تعلمنا من الشريعة، من الأنبياء والرسل المقدّسين، توقير الله وطاعـة الملوك وكيفية الانحناءة أمامهم. انظر! نحن نثق بالكلمة المعطاة تحت القسـم وسنفتح المدينة؛ ستدخل مع من تريـد، وأعلم أنه حتى لو أمسكتم بنا، فـإن إلهنا موجود، وسيأتي لمساعدتنا وإلحـاق كل شر برأسك وملكك... بهذه الكلمـات، فتحـوا المدينة، ودخل التنين المخادع، ملـك الحميريين، الذي أقسم لهـم: "سأخلصكـم من كل ضـرر وأذى إن أعطيتموني هـذه المدينة عن طيب خاطـر". وفي اليـوم التـالي، فتحوا؛ وخـرج كل شيوخهم مـع أريثاس، وذهبوا إلى الملـك وسجدوا له على الأرض. لكنه أمر بتوقيفهم جميعًا. أولاً جلب جميع بضائعهـم، خـارج المدينة، (ثم) أمر برؤيته أسقفهـم بولس. قال جميع شيوخ المدينـة بصـوت واحد أنه مـات قبل ذلك بسنتـين، ولم يصدقهـم حتى أرسل (النـاس) إلى المكان الـذي ترقد فيه رفاته النفيسة، فنبشـ عن عظامه وأمر بحرقها بالنار، ثم أمر بتفريق رماد رفاته في الهواء باستخدام معاول التذرية.

٦. في اليـوم التالي، أمر جميع فيالق الجيش بجمع الأخشاب بكميات كبيرة وأقام محرقـة ضخمة، لدرجة أن الموقع بات يشغل (حجـم) مسرح: بهذه الطريقة، جميـع قساوسة المدينة والشمامسة ورجال الله الآخرين، وأولئك الذين ارتدوا عباءة الرهبانية، وأولئك اللواتي يُطلق عليهن الراهبات والعذارى السرمديات، والمبتهـلات اللواتـي ينشدن ليلًا ونهـارًا في جميع بيوت الله، سـواء في المدينة والمناطـق المحيطـة بهـا، وأحرقهـم دون محاكمـة، مـع إرهاب وترويـع جميع المسيحيـين. كان هناك أربعمائة وسبعة وعشـرون روح. ثم أمر بتقييد أريثاس الشهير وأولئك الذين كانوا معه من قادة المدينة وأعيانها بسلاسل حديدية...

ب. ظروف تدويل أحداث نجران :-

٢٥. لذلك كتب الفرعون الثاني المذكور إلى ملك الفرس: يطلب منه أن يقتل جميع المسيحيين هناك، كما فعل هو، قائلًا أنه مبارك من الشمس ورب الشمس، الذي ادعى أنه إلـه اليهود. بالإضافة إلى ذلك، أرسل السفراء إلى ألاموندأروس، أمير جميع السراقنة التابعين للفرس، ليخبره أيضًا بكل ما فعله للمسيحيين. كما يشجعه على أن يحذو حذوه، ووعده بمنحه ثلاثة آلاف دينار، إذا ألحق الاضطهاد بالمسيحيين الخاضعين لسلطته. إلا

أن المستحـق للإعجاب بقداسته، ملك كل العصور، الذي يثمن إلى الأبد موت قديسيه، ألهم جوستين المقدس، الذي كان يحكم الرومان وقتذاك، لإرسال أبراموس، القس بالغ التواضـع، إلى ألموندا روس، ابن سيكيكي، لتشجيعـه على إبرام اتفاق سلام مع سراقنة الرومان. وتم قراءة الرسالة البغيضة (رسالة ذونواس)، بحضور إبراميوس حبيب الله وأولئك الذين كان ملك الفرس قد أرسلهم من بلاد فارس –سيميونيوس، قس مسيحيي فارس الأرثوذوكس، والشماس يوحنا بن ماندينوس، وحضر أيضًا الكونت أجياس، ابـن <...> وزييدوس، ابن لوب، رئيس المسيحيين في جميع المعسكر، كذلك ظهر لهذه القضيـة سيلاس، أسقف نساطرة بـلاد فارس. وقـدم نفسه على جماعـة المرافقين: أراد أن يدحض ويعارض عقيدة الأرثوذكس بـين الرومان والفرس، مع رغبة في إرضاء الوثنيين واليهود.

٢٦. قالـوا، "نطلب من مملكتك أن تتصرف بالتنسيق مع أخيك ملك الحميريين. نحـن في الواقـع فرس ونعلم أن ملك الرومان وكهنته يعلمون الآن أن اليهود صلبوا رجلاً وليس الله. في الواقع، نحن الذيـن تلقينا تعليم الكتب المقدسـة الإلهية من البطريرك نسطوريوس، ندافع عن العقيدة ونقتنع بأن المصلوب كان رجلاً كاملاً وقوياً وليس الله". ثـم هتفـوا أمام أمم الأصنام المتعصبة: "هل يوجد إلـه مولود من امرأة، أو اندمج بدم أنثوي، ملفوف في ثياب مهلهلة، جائع، خائف، منهك، أو مات، حسب خطأ هؤلاء الناس، أجيياس وأبراموس وإيزاكيوس ويوحنا والرومان والفرس الذين يرافقونهم؟ فليصمتوا، أثمة إلـه يموت، لا يقوم! وصاح الأرثوذكس، أبراموس، الأثير إلى الله، والرومان حوله، وإيزاكيوس المتدين والفرس حوله، وهم يمزقون الملابس وينثرون التراب على رؤوسهم: "فليكـن! حقًا، إن إيمان الرومان راسخ ونحافـظ بقوة على الإيمان وفقًا لتقاليد الرسل والمجالس المقدسة. هـؤلاء القوم نساطرة، طُردوا من الكنيسـة المقدسة والمسكونية مع سيدهـم المدنس؛ أصابتهم اللعنة، وهـم يتنقلون من مكان إلى آخـر ومعهم الرغبة في إفساد أرواح البسطاء".

٢٧. وعاد عباد الله، بمجرد إبرام اتفاقيات سلام مع ألماوندا روس، وأبلغوا مضمون رسالـة الحميري وكذلك الأحـداث إلى مسامع خادم الله، جوستين، ملك الرومان. وقد شـرع على الفـور في كتابة رسالة إلى تيموثـي، أسقف الإسكندرية، لكـي يكتب قداسته إلى إليسباسـ، ملك الأحباش، لقيادة الحملة وإبـادة جميع المجرمين مع ملكهم. وكتب جلالتـه أيضـا إلى إليسباسـ، ملك المسيح الأمين، هـذه الكلمـات: "إني أعرف ولائك المسيحـي لإخوانك، وقد علمنـا أن المتمرد، الذي أوكلت إليـه مملكة الحميريين، انتهز الفرصة وأعمل السيف في جميع المسيحيين الأحباش الذين أرسلتهم، وكذلك المسيحيين

الرومان والفرس الذين كانوا هناك، ممن لم يختاروا إنكار يسوع المسيح، ابن الله. كما جعل مدينة نجرانٍ مهجورة وغير مأهولة. كما كتب في بلاد فارس إلى ألاموندااروس بن سيكيكيس، طالباً منه أن يفعل الشيء نفسه تجاه المسيحيين هناك. لذلك فإننا نناشد أخوتك، من خلال الثالوث المقدس، بوصفك يد العون وذراع الملائكة المقدسة، ونحثك على الهجوم، بحرًا أو عن برًا، ضد اليهودي الإجرامي البغيض. في الواقع، إذا تأخر سموك عن القيام بذلك، فإن الله، من فوق، سيغضب علينا و دولتنا، وسنرسل من جانبنا، عبر قبطيوس وبيرونيكي و(أرض) الرجال المعروفين بالبليميين والنوباديين، حشدًا من القوات: فقواتنا، من خلال شق طريقها عبر أراضيك، ستدمرهم جميعًا وتبيد الحميري وبلده بالكامل وتلحق به اللعنة".

٢٨. أي دينونة قوية لسيدنا، الحكم والمخلص، يسوع المسيح! حقًا، إذا كان فرعون قد انقبض قلبه، بعد الطواعين العشر، وطارد إسرائيل: فابتلعه في البحر. هذه المرة، سارع فرعون الثاني إلى ارتكاب أسوأ الأعمال ضد شعب الله، أينما كانوا، وكتب إلى الملوك، حيثما كانوا: فوجد نفسه يحفر حفرة ليسقط فيها. حقًا، إن إلهنا يعرف كيف يخلص الرجال الأتقياء من الموت ويبقي المدنسين ليوم العقاب. إن حشد من رهبان نيتريا والأسقيط كانوا يحتفلون باستشهاد القديس مرقس، ويقيمون الموكب وقداس ليلة العيد. وفي اليوم التالي، بمجرد الاحتفال بالقداس، تم إرسال القربان الإلهي، في حاوية فضية، إلى ملك الأحباش من خلال كاهن؛ فراح يحضه، عبر خطبة وعظية، على أن يقود حملة، كصموئيل (الذي حض) داود على أمالك، وأن يسلم الحميري إلى اللعنة، بالسيف والنار.

٢٩. ولم يمض وقتٍ طويل إلا وكان خادم المسيح إليسباس قد حشد من مملكته ومن الأمم الأخرى جمعاً من مائة وعشرين ألف رجل. وببركة ترنيمة مخلصنا يسوع المسيح، وصلوا على متن ستين من السفن التجارية الرومانية والفارسية والهندية أو القادمة من جزر فرسان: خمس عشرة سفينة قادمة من مدينة إيلا، وعشرين من كليزما، وسبعة من يوتاب، واثنان من بيرونيقي، وسبعة من فرسان وتسعة من الهند. وتجمع (الأسطول) في مرسى يُدعى جبازة، التابع لأراضي أدوليس، المدينة الساحلية، وأطلقت النار على الأرض. وخلال فصل الشتاء من الدورة الزمنية الثالثة، صار لديه أيضًا عشر سفن هندية تم تصنيعها وسبعين (سفينة) مسلحة. وفي غضون ذلك، أرسل خمسة عشر ألف من الأحباش والبرابرة برًا، وكان عليهم المسير من جنوب الحبشة إلى الشرق وأن يكونوا مستعدين في الأرض الحميرية: ومن هناك، عندما تصل السفن مع القوات من الغرب، عن طريق البحر، يندفعون في اتجاه الشرق. وزحف خمسة عشر ألفًا

مـن البرابرة عبر خمس عشرة مرحلة، وخلال سبعة أيـام أخرى، سافروا عبر الجبال التي تفتقر إلى الماء والتي يتعذر الوصول إليها: فهلكوا، دون أن يتمكنوا من الذهاب إلى (الأرض) الحميرية أو العودة إلى الحبشة.

٣٠. بعـد عيـد العنصرة، وقبـل الانطلاق، خـرج الملك في موكـب إلى كنيسة الله العظيمـة المقدسة، حيث تم دفن ملوك وكهنة البلد؛ وصل إلى رواق الكنيسة، وألقى عن نفسه لباس وزخرف الملوك، ودخلها بملابس عادية، ووقف بين قرني المذبح، ورفع يديه إلى السماء. وصلى بهذه الكلمات: "... آمين".

ج. الحملة الحبشية الثانية على نجران وجنوب الجزيرة العربية :-

٣١. بعد هذه الصلاة، غادر المدينة الملكية؛ وجد نفسه مع ثلاثة عشر ألف جندي مشاة كانـوا قد توافدوا إليه. وفي بلدة في الحبشة تُدعى سابي، كان هناك راهب روماني من بلدة أيـلا، زاهد ألهمه الله بمعرفة المستقبل، اسمه أبا زونايوس؛ ذهب إليه الملك، برفقة خمسة أشخاص، في ملابس عادية وعلى الأقـدام، لاستشارته عن مشيئـة الله. وكان (الناسك) يقف لمدة خمسة وأربعين سنة في برج بدون باب أو نافذة: وفي الخارج، كان به (البرج)، بما في ذلـك البناء بعرض ذراعين وارتفاع خمس ذراع؛ هناك فتحة صغيرة بالقرب من قواعد الـبرج، يمكن من خلالها سماع كلماته والكلمـات الموجهة إليه. قدم له الملك عطور مركبة، وسبعـة فطائر. كل منهم يحتوي داخلها علـى عشرة دنانير. قال له: "آبانا، أعطنا بركتك، وادعـو الله أن يقـود طريقنـا ويساعدنا". رد خادم الله، "فليكن هـو الذي يملك معك"... حصـل (الملـك) على بركته ونـزل إلى مدينة أدوليس ومن هناك إلى جبـازة. وأمر الملك الجيش كله بأخذ مؤن تكفي لعشرين يومًا فقط. وهكذا صعدوا إلى السبعين سفينة.

٣٢. ثـم علم ملك الحميريين باختفاء خمسة عشر ألـف رجل وأدرك أن الأحباش لـن يتمكنوا مـن مهاجمته برًا من الآن فصاعدًا. وسعى بالحيلـة إلى مواجهة كلمة الله العادلـة. في الواقـع، كان في البحر الذي يفصل بـين الأحباش والحميريين، بقعة ضيقة مـن البحر علـى مدى مرحلتين؛ إذ كـان موقع المضيق يحتوي على ميـاه ضحلة في عدة أماكـن. لذلك أمـر بجمع كمية هائلة مـن الحديد وتصنيع سلسلة. كـان وزن كل حلقة مائة وثمانين باوند. وبات لديه خمسين حلقة تم إدخال نهايات خشب النخيل فيها. بهذه الطريقة عبر البحر، وتقدم من أرض إلى أخرى. وحيثما كانت هناك مياه ضحلة، غمر خطاطيف السلسلة ووصلها بالرصاص؛ وحيثما كانت هنـاك سطوح، كانت قطع الخشب تدعـم السلسلة. وبرفقة عـدد لا يحصى من الناس، وصل الحمـيري مدرعًا، إلى نفس المكان الذي سيقابل فيه الملك إليسباس.

٣٣. ووصــل أهــل السفن، الذيــن لم يكونوا على علــم بأن السلسلــة تمثل عقبة في المتصــف، إلى النقطــة الضيقــة، وعندما مــرت أول سفينة -بتوجيه مــن الذي أحبط خطــط المخادعين، الله، الوحيد قــوي- رفعتها (قوة) الاندفاع على الفور فوق السلسلة، فمالــت على جانبهــا، حتى اعتقد رجال السفــن الأخرى أنه قد تقطعــت بهم السبل في الضحــل. وبالمثــل عانت تســع سفن أخرى من نفســ المصير. عندئذ كــان هنــاك فوران وموجة وتأرجحت الأمواج، فرفعوا السفن بقطع الخشب وأطلقوها فوق السلسلة. وعندما حدث هذا مرة ثانية وثالثة، انكسرت السلسلة، وبهذه الطريقة، مرت السفن العشر دون ضرر في (أرض) الحميريين. وتراجعت الستين سفينة الأخرى، حيثما كان الملك، لاثنتا عشرة مرحلة أخرى بسبب العاصفة والرياح القوية. إلا أن السفن العشر، التي ساعدها اندفــاع الريــح على الملاحة المباشــرة، وصلت إلى المكان على الشاطــئ على بعد خمسة عشــر ميلاً من المكان الذي كان فيه الملك. لذلك أرسل الحميري قادته إلى هنــاك للقاء السفن الحربية بثلاثين ألف جندي، بدروع حديدية، وكلهم على ظهور الخيل.

٣٤. بعــد ثلاثة أيــام، ظهرت أربعون سفينة أخرى تحت المكان الذي كان فيه الملك، علــى (مسافة) ثلاث مراحل؛ أما السفن العشــرون المتبقية، بما في ذلك (سفينة) ملك الأحباشــ، فقد رســت حيث كان ملك الحميريين. اعتقد الحميريــون أن الملك إليسباس مــع الأربعين سفينة: لذلك أخذ الحميري معظم الجيشــ الذي يرافقه وغادر إلى المكان الذي ترسو فيه الأربعون سفينة. كانت السفن تعاني من نقص الغذاء، وكذلك المياه. لكن حــرارة الشمســ أحرقت الفرسان الحميريين المدرعين (بالحديــد)، الذين ظلوا جميعًا واقفين على شاطئ البحر من الفجر إلى المساء (والماء) يغمر ركبتي الخيول. ومرة أخرى ابتكــر ابن الشيطان حيلة. أمــر بصنع هوادج كبيرة تحملها الإبــل. وهكذا أقيم الهودج الواحد على قوائم، فوق أربعة إبل، بارتفاع خمسة أذرع، وتم حمايتها (من الحرارة) من الجانــب والأعلى. وفعلوا الشيء نفسه في الفيالــق الثلاث، في النقاط التي تنتشر السفن فيها. كان الإحباط والإجهاد والحرارة الحارقة تثبط من معنويات أهل السفن: إذ ظنوا أن الخيــام تسير من بعيد، وقالوا جميعًــا أن بعض الجبال والوديان تتحرك وتسير، بنوع مــن السحر، ولذلــك خشوا من النزول، خوفًــا من أن تبلعهم الجبــال المتحركة، على ما اعتقــدوا. ومع ذلك، والحالــة هذه، لم يتراجع الخصم. لقد أرســل بالفعل أحد أقربائه مع عشرين ألف فارس للتجسس على القطاع الذي يوجد فيه ملك الأحباش؛ حيث اعتقد خصــي لملــك الحميريين، الذيــن تجاهلوه، أن قريــب الملك خرج للتريضــ؛ وأخذ خمس خناجــر من الذهب ومزينة بالحجارة، ووضعها حــول عنقه وانضم للجواسيس. وعندما وصلوا إلى هناك وجدوا القائد على رأس حراسه في حالة من اليقظة.

٣٥. خطط قريب الملك والخصي إلى المضي قدمًا بمفردهما مع ثلاثة خادمين صغار لمطاردة الصيد. وحدث أن خدام ملك الأحباش الشباب، الجوعى والعطشى، سرقوا قاربًا وذهبوا إلى الشاطئ. ووجدوا فجأة قريب الملك والخصي والثلاثة الآخرين على الشاطئ أسفل خليج جبلي. هاجموهم وقتلوا الخصي والثلاثة الآخرين. أما قريب الملك فقد عادوا به إلى السفن. كرس الملك إليسباس الخناجر الذهبية الخمسة لله. ثم نزل الملك ورفاقه من السفن في القوارب. وكان قائد الحميريين والحشد الذي يرافقه واقفًا، ومياه البحر حتى ركبتي الخيول. من جانبهم، نزل الأحباش وملكهم عن قواربهم وبدأوا في السير، ومياه البحر تبلغ رقابهم. وعندما دار الاشتباك بين الجانبين، هُزم جميع المجرمين وقتلوا بالسيف. لم ينج أي منهم للذهاب وإعلان الأخبار لملك الحميريين، الذي كان قبالة السفن الأخرى. وواصل الملك إليسباس، يرافقه قريب ملك الحميريين مقيدًا بالسلاسل، الذي أرشده، وبلغ مدينة تافار الملكية واستولى عليها وكذلك نساء القصر والموارد المالية.

٣٦. لقد مات خمسمائة من جنود السفن من العطش والجوع وتم رميهم في البحر. بينما قال بقية الأحباش، على متن السفن الأخرى، وقالوا، "لا يمكننا العودة إلى الحبشة. فلنمت هنا، ليس ثمة ما هو أكثر إيلاما، لا نعرف ما حدث لملكنا. فلنخرج دون إبطاء من هذه التهلكة ولتتحد أرواحنا ولنحل دون سخرية اليهود من وضع المسيحيين. ولنستدعي الرب إلهنا الجبار في المعركة". وأعادوا تجميع كل السفن وربطوا كل سفينة بأخرى؛ إذ قاموا بتفكيك الصواري والقوائم والدفات وغيرها من قطع الخشب ذات الطول الجيد وتكويمها، بربطها بالحبال فوق كل سفينة، لدرجة تجعل المرء يعتقد أنه يرى مدينة على البحر؛ ولم تتأرجح أي سفينة على الأخرى. وصنعوا رواقين للتظليل في الجزء العلوي من السفن باستخدام الحبال. وقاموا بتجميع القوارب وربطها معًا عبر عرض السفن. وبعد أن احتشدوا في ساحة السفينة، صرخوا إلى الله، ونذروا أنفسهم قربانًا. وبعد أن تشاركوا الأسرار الإلهية (القداس)، نزلوا بقفزة واحدة إلى القوارب بالأسلحة. وضعوا أنفسهم على جانب واحد من كل قارب، بحيث يغطي جانب كل قارب جانب القارب الآخر ويصنع حاجزًا يقيهم من الإصابة بسبب ميزات الأعداء. تم ضم القوارب وحمايتها، وتم دفع القوارب من قبل البحارة من جميع السفن والمقاتلين الذين اعتلوها، حتى استقرت قيعان القوارب على الأرض. وبهذا كان المتراس الذي شكلته القوارب بين الأحباش والحميريين.

٣٧. في اليوم السابق، علم الملك (الحميري) أن مدينة تافار قد تم الاستيلاء عليها وكذلك نساء القصر؛ وخوفًا من أن ينضم بعض من قادته السبعة إلى الملك

إليسباس، أمر بصنع سلسلة حديدية وتقييدهم بها. كان يجلس في عربته على أريكة من الذهب، وكان رفاقه السبعة المكبلين على سبعة مقاعد من الذهب. حطم المقاتلون جوانب القوارب التي كانت تشكل متراسًا بالمجارف والرماح. وبدأ الأحباش اليائسون في الصراخ، الصراخ إلى الله. وفجأة صدر من السماء صوت مدوي يقول: "جبرائيل، جبرائيل، جبرائيل!" عندئذ انفصل أحد المقاتلين عن السباحين الذين كانوا يدفعون (القوارب): كان يحمل عصا حديدية، تعلوها علامة الصليب وأسفلها حربة. انزلق بين قاربين، وأمسك حصانًا من الذيل وعلق الحربة في جانب الحصان، فركل الحصان، وأطاح براكبه، لذا فزع الحميريون وفروا إلى الأرض الجافة: ثم قفز جميع الأحباش (من القوارب) وقتلوا الأعداء، وأسروا الملك، وقيدوه مع رفاقه السبعة، وهكذا كان هناك تحريرًا كبيرًا لجميع المسيحيين في ذلك اليوم، مع هذه الصرخة من السماء: "جبرائيل، جبرائيل، جبرائيل!"، وتم نقل هذه الأخبار إلى الملك إليسباس. وبمجرد وصوله، أمسك بالملك المجرم ورفاقه السبعة وأعدمهم بيديه، قائلاً: "ليقف الله ويفرق أعداؤه!" أقام هناك مذبحًا وقدم دمائهم قربانًا إلى الله.

٣٨. وصل (إليسباس) إلى المدينة الملكية، وأخضع أهل القصر للموت واللعنة. العديد من القادة الذين كانوا قد فروا عادوا وصاروا مسيحيين. ثم حفر الملك بيديه في القصر لمدة سبعة أيام وشيد أقدس كنيسة موجودة حاليًا. وأرسل على الفور إلى أسقف الإسكندرية، ومن خلاله، إلى الملك جوستين التقى. ورسم رئيس الأساقفة أسقفًا مقدسًا وأرثوذكسيًا وأرسله إلى الحميريين وإلى الملك إليسباس؛ لمباركة الهيكل الذي بناه الملك وتعميد جميع أهل المدن والبلاد المجاورة باسم الآب والابن والروح القدس، وإقامة الكهنة والشمامسة وغيرهم من خدام الكنائس في كل مكان. ثم، بعد أن استقبل الأسقف الأقدس الذي تم إرساله، وصل (إليسباس) إلى نجران، مدينة الشهداء المقدسين، التي أعاد بناءها وكذلك الكنيسة المقدسة. ونصب ابن الحاكم القديس أريثاس حاكمًا على الشعب هناك وتبرع للكنيسة المقدّسة بخمسة مقاطعات من الأملاك الملكية، وبعدها كرس للقديس أريثاس ثلاث مقاطعات من ثروته. وفي المكان الذي حُرقت فيه عظام الشهداء المقدّسين وألقيت بعيدا، كرس مكانا للتقديس واللجوء. ثم عاد، بسرور وفرح عظيم، إلى مدينة الحميريين الملكية. وعين للشعب هناك ملكاً يسمى إبرام، وهو رجل حكيم يتقي الله وبالغ التدين. وتركه ومعه الأسقف الأقدس مع عشرة آلاف رجل من المسيحيين الأحباش. وهكذا عاد بغنائم كبيرة إلى مدينته الملكية.

ثالثًا. ترجمة الرسالة الأولى لشمعون الأرشمي:-

(*) مقدمة:-

عـرف المؤرخـون والمستشرقـون منذ زمن بعيـد رسالة شمعـون أسقف بيـت أرشام حول أحـداث نجـران؛ إذ تم نشرهـا لأول مـرة من قبـل جوزيبي سيمـون أسيمـاني[١] Giuseppe Simone Assemanni، الـذي استخرجهـا مـن الحوليـة المنسوبـة لديونيسيوس التلمحري، ونقلهـا جزئيًـا بـدوره مـن روايـة يوحنـا الإفسوسـي (الأسيـوي) John of Ephesus. كمـا نشرهـا الكاردينـال مـاي Cardinal Mai في المجلـد العاشـر مـن مجموعـة *Scriptorum Veterum nova cotlectio* اعتمـادًا علـى نسخـة الرسالـة المضمنـة في الحوليـة المنسوبـة لزكريـا الميتيلينـي. وظـل الاعتقـاد سائـدًا بـأن النص الـذي ورد عنـد يوحنـا الإفسوسـي والحوليـة المنسوبـة لزكريـا هـو النص الأصلـي للرسالـة حتـى عـثر إيجانـزو جويـدي Iganzo Guidi علـى الرسالـة في مخطوطة سريانيـة بمتحف بورغيانـو Borgiano في نسخة مختلفة وأكثر ثراءً؛ ومن ثم بدأ الاشتباه في أن النص المعروف كان اختصارًا ربما قام به يوحنا الإفسوسـي أو مؤلف الحولية المنسوبة إلى زكريا، ثـم ضمناه في حوليتهما[٢]. ووجد جويدي أن الأجـزاء المختلفة الواردة في المخطوطة المذكورة، بينما كانت مفقودة في نص يوحنا الأفسوسي وزكريا، تم العثور عليها في مصدر لا يتجاوز تاريخه القرن السادس الميلادي، أي في الجزء الأول من "استشهاد الحارث" *Martyrium Arethae* الذي نشره بويسونادو[٣] Boissonado.

---

(1) Assemani, J.S., in: Bibliotheca Orientalis, 1: 364-79.

(2) Guidi, I., "La lettera di Simeone vescovo di Bêth-Arśâm sopra i martiri omeriti", Atti della ***Reale Accademia Nazionale dei Lincei, Serie Terza: Memorie della Classe di Scienze morali, storiche e filologiche 7*** (1881), pp.471 -515, esp.471

انظر أيضا،

Shitomi, Y., "Réexamen des deux lettres attribuées à Siméon de Bēth-Aršām, relatives à la persécution de Nağrān", in: *Études sud-arabes. Recueil offert à Jacques Ryckmans*, Louvain la Neuve, 1991, pp. 207-225; Briquel-Chatonent, F., "Recherches sur la tradition textuelle et manuscrite de la letter de Siméeon de Bet Arsham", in: ***Le massacre de Najrān II: juifs et chrétiens en Arabie aux Ve et Vie siècles regards croisés sur les sources***, ed. J. Beaucamp et al., Centre de Recherche d'Histoire et Civilisation de Byzance, Monographies 32; Le massacre de Najrân 2. Paris: Association des amis du Centre d'histoire et civilisation de Byzance, Paris, 2010, pp.123-141..

وانظر أيضا،

Halévy, J., "Un dernier mot sur la lettre de Siméon de Beit-Arscham", ***Revue sémitique d'épigraphie et d'histoire ancienne*** 8 (1900), pp.88.95-

(3) ***Anecdota Graeca***, V. p. 1 ss; Guidi, "La lettera di Simeone vescovo di Bêth-Arśâm", p.471.

ومـع عناية جويدي بالأمر، عثر علـى نص الرسالة مستقلًا في مخطوطين بالمتحف البريطـاني، ومن هنا قدم ترجمته الإيطاليـة اعتمادًا على المخطوطات الثلاث، معتبرًا إيـاه بمثابة النصـ الأصلي الأكثر ثراءًا وطولًا مقارنة بذلـك الذي ضمنه باختصار كل مـن يوحنا الإفسوسي ومؤلف الحولية المنسوبة إلى زكريا[١]. ومن بعد إيجانزو جويدي، ترجمهـا أرثر جيفـري Arthur Jeffrey إلى الإنجليزيـة[٢]. وفي الستينيات من القرن العشريـن اكتُشفت رسالة لاحقة عُرفت باسم "الرسالة الجديدة" أول الرسالة الثانية، كتبها شمعون لتحديث معلومات الرسالة الأولى. وهذه الرسالة الجديدة حققها وترجمها عرفان شهيد Irfan Shahid عام ١٩٧١م[٣].

١. **ترجمة النسخة الطويلة من الرسالة الأولى لشمعون الأرشمي** اعتمادا على النص الإيطالي الذي ترجمه عن السريانية الباحث الإيطالي إيجانزو جويدي:-

Iganzo Guidi, «La lettera di Simeone vescovo di Bêth-Arśâm sopra i martiri omeriti», A*tti della Reale Accademia Nazionale dei Lincei, Serie Terza: Memorie della Classe di Scienze morali, storiche e filologiche* 7 (1881), pp.471 -515.

(1) Guidi, "La lettera di Simeone vescovo di Bêth-Arśâm", p.472.

(2) Jeffery, A., "Three Documents on the History of Christianity in South Arabia", *Anglican Theological Review* 27/3 (1945), pp.195-205; Idem, "Christianity in South Arabia", The Muslim World 36/3 (1946), pp.204-206.

(٣) أمـا الرسالـة الثانية فقد نشرها عرفان شهيد *The Martyrs of Najran* ،Shahid.، على النحو التالي: النصـ السرياني في الصفحات مـن iii إلى xxxii، أما الترجمة الإنجليزيـة والملاحظات ففي الصفحات (٤٣-١١١). انظر أيضا،

Devos, P., "Quelques aspects de la nouvelle lettre, récemment découverte, de Siméon de Beth-Arsham sur les martyrs himyarites", *IV Congresso internazionale di studi etiopici*. Problemi attuali di scienza e di cultura 191, Roma: Accademia Nazionale dei Lincei, 1974, pp.107-116; Shitomi, Y., "Réexamen des deux lettres attribuées à Siméon de Bêth Aršâm, relatives à la persécution des chrétiens de Nagrân", in: *Études sud-arabes. Recueil offert à Jacques Ryckmans*. Publications de l'Institut Orientaliste de Louvain 39, Louvain-la-Neuve: Université Catholique de Louvain, Institut orientaliste, 1991, pp. 207-224; Taylor, D.G.K., "A Stylistic Comparison of the Syriac Ḥimyarite Martyr Texts Attributed to Simeon of Beth Arsham", in: *Juifs et Chrétiens en Arabie aux Ve et VIe siècles. Regards croisés sur les sources*, ed. J. Beaucamp, et al.. Centre de Recherche d'Histoire et Civilisation de Byzance, Monographies 32; Le massacre de Najrân 2. Paris: Association des amis du Centre d'histoire et civilisation de Byzance, 2010, pp. 143-176.

(*) **من الخطاب الذي يروي قصة الشهداء الحميريين، لشمعون أسقف الفرس المسيحيين، الذي أرسله إلى حيرة النعمان**

"أعلمك، أيها الأعز، أنه في اليوم العشرين من كانون الثاني (للعام الحالي) وهو العام ٨٣٥ للإسكندر، غادرنا حيرة النعمان، مع القس أبراهام ابن إفراسيوس، الذي أرسله جستين ملك الرومان، إلى المنذر ملك الحيرة، ليتصالح مع الرومان. لقد سبق أن كتبنا عنه في رسالتنا الأولى، لأننا وجميع المؤمنين الذين يعيشون معنا ممتنون له، لأنه يساعد في كل شيء جانبًا منا نحن المؤمنين، وهو يعرف كم كتبنا من قبل وما نكتبه الآن.

"لذلك، بعد أن سافرنا في الصحراء باتجاه الجنوب والشرق (أي باتجاه الجنوب الشرقي) لمدة عشرة أيام، وجدنا الملك المنذر قبالة الجبال المسماة بجبال الرومال، التي تُسمى في اللغة العربية للمكان برملة. عندما دخلنا مخيم مندر، جاء العرب الوثنيون والمعديون لمقابلتنا قائلين: ما الذي تبقى لديكم لتفعلوه بعد الآن؟ هوذا مسيحكم نبذه الرومان والفرس والحميريون، وفي كل مكان. وبينما بهذه الإهانات وما شابهها تعرض القس إبراهيم للإهانة ونحن معه، من قبل العرب الوثنيين والمعديين، وصرنا نتألم بشدة؛ فإن ثمة ما مثل حزنًا كبيرًا لجميع المؤمنين الحقيقيين، إذ جاء مبعوث من ملك الحميريين إلى المنذر ملك الحيرة محضرًا له رسالة مليئة بالغطرسة أبلغه فيها بما فعله من تعذيب لنصارى مدينة نجران الحميرية. لذلك كتب له ما يلي:

"مات ذلك الملك الذي وضعه الأحباش في بلادنا، ولما جاء الشتاء لم يستطع الأحباش أن يأتوا إلى بلادنا، فأصبحت ملكًا على كل أرض الحميريين. وكان هذا أول ما فكرت في القيام به؛ أي إبادة جميع المسيحيين من كامل أراضي الحميريين، أو أن ينكروا المسيح ويصبحوا يهودًا كما نحن. لذلك، أولاً طاردت وأخذت كل الأحباش الباقين في بلادنا، لحراسة الكنيسة التي اعتقدوا أنها أسست على نحو دائم في بلادنا؛ قتلتهم جميعًا وكان هناك مائتان وثمانون راهبًا ومدنيًا، ثم دمجت كنيستهم في كنيسنا. بعد ذلك أحضرت معي جيشًا قوامه مائة وعشرين ألف رجل، وذهبت إلى مدينة نجران، وفرضت حصارًا عليها لعدة أيام. لكن بعد أن أدركت أنه لا يمكن إخضاعها بقوة السلاح، أعطيتهم التأكيد بقسم أنهم سيكونون آمنين إذا سلموا لي المدينة من تلقاء أنفسهم: بهذا سلموا وفتحوا أبواب المدينة. ثم خرجوا وجاءوا جميعًا، لكن بدا لي أن الأمر لا يستحق أن أكون صادقًا مع المسيحيين. لذلك أردت منهم أولاً أن يحضروا لي الذهب والفضة التي يمتلكونها وجميع ممتلكاتهم، وبعد أن أحضروها لي ثم أخذتها منهم، طلبت منهم أن

يخبروني عن مكان الأسقف بولس. وأضافوا أنه مات، لكنني لم أصدقهم حتى أروني قبره؛ فأخرجت منه العظام وأحرقتها، كما أحرقت كنيستهم وكهنتهم وكل ما كان بداخلها. ثم طلبـت منهم أن ينكروا المسيـح والصليب، وأن يصبحوا مثلنا، يهودًا... لكنهم لم يرغبوا في إنكـار المسيح... وأعلنوا أنهم يريدون الموت من أجله. وأساء أميرهم إلينا كثيرا، لكنه نال الجزاء الذي يستحقه. وبالمثل قتل كل رجالهم، وهرب الباقون واختبأوا... لكننا أمرنا بأن يُقتلوا أينما كانوا، إذا لم ينكروا المسيح ولم يصبحوا يهودًا مثلنا.

... "عندمـا تم قـراءة هذه الرسالة التي أرسلها ملـك الحميريين أمام المنذر ملك الحـيرة، وبدا كيف قتل المسيحيون هنـاك، وأي محنة واضطهاد عظيمين حدثا ضدهم من أجل المسيح، غضب المنذر ودعا كل عظماء مملكته من المسيحيين، وقال لهم: "الآن انتبهـوا أيهـا المسيحيون، لقد حدثتكم دون أن تعيروني انتباهًـا، كنت أقول لكم: انبذوا المسيح، وأنت لا تريدون، الآن اتركوا دين المسيح، فقد سمعتم الآن ما يحدث لمن لم ينكر المسيـح، وكيف قتلهم وأبادهـم ملك الحميريين، وأحرق أيضًـا كنيستهم. أنظروا كيف نُبـذ المسيح من الحميريين والفرس والرومان دون أن تقنعوا أنفسكم بالتخلي عنه، فأنا لست أفضل من ملوك الفرس والروم الذين طردوا المسيحيين من حدودهم، أو من ملك الحميريين الذي قتلهم وأبادهم جميعًا من بلده...

"عندمـا قال الملك المنذر هذا أمـام كل عظماءه، قام أحدهم، وكان مسيحياً تملأه الحماسـة، وقال للملـك بشجاعة: لا يليق بـك، أيها الملك، أن تتكلم هكـذا؛ فلم نصير مسيحيـين في عهدك، ولا يمكنـك أن تسدي إلينا النصيحة بالتخلـي عن المسيح وإنكار ديننا المسيحي؛ إننا مسيحيون وكذلك كان آباؤنا وأجدادنا. غضب الملك وقال له: أتجرؤ علـى الكلام أمامي؟ فأجابه ذلك الشخص الأمين، وقال أمـام الملك: إنني أتكلم بدين الله ولست خائفًا، ولا يستطيع أحد أن يمنعني لأن سيفي ليس أقصر من سيف الآخرين. لأني بديـن الله صامد، وسأقاتل حتى الموت دون خوف. رأى الملك المنذر شجاعته وكيف تحـدث أمامـه بلا خوف، ولم يستطع الـرد عليه، بسبب عائلته ولأنـه كان رجلاً عظيمًا وأحد زعماء الحيرة.

"بعد أن أتينا إلى حيرة النعمان، في يوم الاثنين من الأسبوع الأول من فترة الصوم الكبـير، علمنا تلـك الأشياء التي لم تُكتـب في الرسالة الموجهة إلى المنـذر. وكان بعض المسيحيـين مـع مبعوث مسيحي قد تم إرسالهم إلى الملك المنـذر من قبل الملك المسيحي الـذي وضعـه الأحباش علـى العرش في أرض الحميريـين. وأثناء وجودهـم في حيرة النعمـان، سمعوا بموت الملـك المسيحي الذي أرسلهم؛ فدفعـوا أموالا لرجل من الحيرة

وأرسلوه إلى نجران ليرى ويعلم الحالة الحقيقية للأشياء، وينقل لهم أخبار نجران. وجاء هذا الرجل وأخبرهم أن الملك قد أقسم لأهل نجران، وبمجرد أن فتحوا أبواب المدينة وخرجوا لاستقباله، وسلموها إليه، حنث بقسمه وأخذ الذهب والفضة، وأحرق عظام المطران، كما أحرق الكنيسة مع الرهبان والناس وما كان فيها. ثم أحضروا أمامه جميع الزعماء، وعددهم ثلاثمائة وأربعين، وبدأ يهدد قائدهم اللامع حارث بن كعب... ولكن الآن، فلتشفق على شيخوختك، ولتنكر المسيح وصليبه فتنال الخلاص؛ فإن لم تفعل، فستموت أنت ورفاقك البائسين...

"عندما تمت قراءة مثل هذه الرسالة أمام الملك المنذر وآخرين كثيرين، شعر جميع المسيحيين بقلق شديد. لذلك كتبت على الفور نسخة منه وأرسلته إليكم، أيها الأعز، كي تنقله بسرعة كبيرة ودون تأخير أو إهمال إلى القس والأساقفة القديسين... وعليهم أن يبلغوا بطريرك الإسكندرية، حتى يهتم بالكتابة إلى الملك وأساقفة الأحباش، كي يمدوا لهم يد العون بسرعة. وعسى أن تعرف مدن المؤمنين هذه الأشياء أيضًا، أي أنطاكية، وطرسوس القيليقية، وقيصرية كابادوكيا، والرها، ومدن المؤمنين الأخرى، ليحيوا ذكرى هؤلاء الشهداء والشهداء المقدسين الذين ذكرناهم أعلاه، والصلاة من أجل هدوء وسلام الكنائس المقدسة والملكوت. وليعلم الأساقفة... إن اليهود في طبريا يرسلون هداياهم كل عام وكل موسم، ويثيرون أعمال القمع ضد المسيحيين الحميريين. لكن إذا كان الأساقفة مسيحيين حقًا، وكانوا يحبون ازدهار المسيحية، وليسوا رفقاء اليهود، فعليهم إقناع الملك وعظماءه باعتقال وسجن أحبار طبريا والمدن المتبقية. لا نريد أن نقول بأننا نقابل الشر بالشر، لكن عليهم تقديم تعهدات بعدم إرسال رسائل أو شخصيات بارزة إلى ملك الحميريين، الذي تسبب في كل هذه الشرور المكتوبة أعلاه للمسيحيين الحميريين.. أخبرهم أنهم إذا لم يفعلوا ذلك، فسيتم حرق معابدهم، وسيتم طردهم من الأراضي المسيحية؛ لأن ملك الحميريين عند سماع ذلك، سيتوقف عن اضطهاد المسيحيين، من باب الشفقة على إخوانه اليهود...))

***

٢. ترجمة النسخة القصيرة من الرسالة الأولى لشمعون الأرشمي:-

أ. نص الرسالة في الحولية المنسوبة إلى زكريا الميتيليني اعتمادًا على الترجمة الإنجليزية:-

The Chronicle of Pseudo-Zachariah Rhetor: Church and War in Late Antiquity, trans. Geoffrey Greatrex, Liverpool University Press, 2011.

((الكتاب الثامن، الفصل الثالث:-

يقـدم الفصـل الثالـث من نفسـ الكتاب معلومـات عن الشـهـداء الذيـن قُتلوا في نجـران، مدينـة الحميريين الملكية، في عـام ٨٣٥ لليونانيين، وهي السنـة السادسة من حكـم يوستينوس Justin، كتب شمعون أسقف وأبوكريساريوس *apocrisarius* المؤمنين في أرض [٦٤] الفرس إلى شمعون، رئيس دير جبولا[١] Gabbula ما يلي:-

نبلـغ عنايتـك أنـه في العشريـن من ينايـر مـن السنـة اليونانيـة ٨٣٥ ذهبنا من حـيرة النعمـان Hirta de-Nu›man مـع القس أبراهـام Abraham بـن يوفراسيوس Euphrasius، الـذي أرسله الإمبراطور جستن إلى المنذر لإبرام السلام[٢]. وكتبنا عنه أيضًـا في رسالتنـا الأولى، وهنا نحن جميع المؤمنين شاكرين له على مساعدته لحزبنا. إنـه على دراية بما كتبناه في الخطـاب الأول وفي الرسالة التي نكتبها الآن. لأننا سافرنا في البريـة جنوبـا وشرقا في رحلة عشرة أيـام، والتقينا بالمنذر عنـد سفح الجبال التي تُسمـى "جبـال الرمل" ورملة بلغـة الطائيين[٣]. وعندما دخلنـا إلى مخيم المنذر، جاء إلينا بعض الوثنيين والبـدو الطائيين والمعديين[٤]، وقالوا: "ماذا أنتم فاعلون؟ انظروا، مسيحكـم مرفوض من قبل الرومان والفرس والحميريـين!" سببت لنا إهانة الطائيين حزنًـا، وإلى الحـزن أضيف الغـم أيضًا، لأنه أثنـاء زيارتنا جاء رسـول أرسل من ملك الحميريين إلى المنذر، وأعطاه رسالة مليئة بالزهو، كتب فيها ما يلي: [٦٥] "مات الملك الذي نصبه الإثيوبيون في بلادنا، وحل فصل الشتاء علينا، ولم يتمكنوا من الخروج إلى بلادنـا لتنصيب ملـك مسيحي كما يفعلون في العـادة. لذلك أصبحت ملكـا على كل بلاد الحميريـين، وخططـت أن أقضي أولاً وقبـل كل شيء على كل واحد مـن المسيحيين الذين يؤمنـون بالمسيح، إذا لم يصبحوا يهودًا مثلنا، وقتلت مائتين وثمانين قسًا وجدتهم، ومعهم الإثيوبيين الذين كانوا يحرسون الكنيسة، ودمجت كنيستهم في كنيسنا. وبجيش قوامه مائة وعشرين ألفًا ذهبت إلى نجران، مدينتهم الملكية، وحاصرتها لبعض الوقت دون الاستيلاء عليهـا، وأقسمـت لهم قسما فخرجوا اليّ. ثم قـررت ألا أوفي بكلامي للمسيحيين أعدائي،

---

(١) يُشـار أيضًـا إلى مستقبل الرسالة، شمعـون رئيس دير جابولا في viii.5d على أنـه "متحمس للإيمان" ؛ وُصـف هنـاك بأنه أرشمندريت ديـر إسحاق في جبولا (في سوريـا الأولى) وأنه عانى مـن الطرد في عهد جوستين الأول. انظر شهيد ١٩٧١، ٣٣-٤٠.

(٢) كان إبراهيم قسًا خلقيدونيًا ومبعوثًا رومانيًا منتظمًا لدى القبائل العربية: انظر *PLRE* ii, Abraham 2. كان هدفه الرئيسي في هذه الحالة هو تحرير قائدين تم أسرهما مؤخرًا من قبل المنذر، هما Timostratus و John، انظـر Proc. *Wars* i.17.44, Shahîd 1964, 121،، بالإضافـة إلى إبرام معاهدة سلام مع حكام النصريين (يشار إليها غالبًا باسم اللخميين).

(٣) موضعها غير مؤكد، لكن انظر مناقشة شهيد Shahid, 1964, 121 n.20

(٤) كانت معد اتحاد من القبائل في وسط شبه الجزيرة العربية.

فقبضت عليهم وأجبرتهم علـى إحضار ذهبهم وفضتهم وممتلكاتهم. وعندما أحضروها لي، أخذتهـم، وسألت عن بولس أسقفهم، وعندما قالوا لي "لقد مات"، لم أصدقهم حتى أروني قـبره. لقـد أخرجت عظامـه وحرقتها مع كنيستهم وكهنتهـم وكل من وجدته لاجئًا إليهـا، وأجبرت البقيـة على نبذ المسيح والصليب وأن يصيروا يهـودًا، لكنهم أبوا ذلك... واختـاروا لأنفسهـم أن يموتوا من أجله. قال زعيمهم أشياء كثـيرة ضدنا وأهاننا، فأمرت بقتـل جميع شخصياتهم المهمة، وأخرجنا زوجاتهم وقلنا لهـم: "ارفضوا"، ورأينا إعدام رجالهم، والرحمة بأبنائهم [٦٦] وبناتهم... كلهم قتلوا بأمر منا...

كُتبـت كل هذه الأشياء إليه عندمـا وصلنا إلى هناك. اجتمع جيشه [المنذر] وتمت قـراءة الرسالة بصوت عـالٍ أمامه. وروى الرسول كيف قُتـل المسيحيون واضطهدوا في أرضـ الحميريين. قال المنـذِر لنصارى جيشه: "سمعتم ما حـدث. أنكروا المسيح، فأنا لسـت أفضـل من الملـوك الآخرين الذين اضطهـدوا المسيحيين". لقـد تأثر رجل معين كـان قائـداً في جيشه ومسيحيًا متحمسًـا. فقال للملك بشجاعـة: "لم نصير مسيحيين في زمانـك حتى ننكـره"؛ فغضب المنذر وقال: "أتجرؤ على الكـلام في وجودي؟"، قال: "لأننـي أخاف الله أتكلم بلا خوف، ولن يوقفنـي أحد، لأن سيفي ليس أقصر من سيف الآخرين، ولن أتردد في القتال حتى الموت". كان رجلًا وشجاعًا في المعركة، [٧٠] وصمت المنذر بسبب عائلة هذا الرجل ولأنه مهمًا اشتهر بشجاعته في الحرب. وعندما عدنا إلى حـيرة النعمان وجدنا مبعوثًا مسيحيًا كان قد أُرسل من عند ملك الحميريين قبل موته. وعندما سمع عن أولئك الذين قتلهم هذا الطاغية اليهودي بالسيف، استأجر على الفور رجلاً من حيرة النعمان أرسله إلى نجران ليأتي له بالأخبار. عندما رأى وعلم ما حدث هنـاك عاد ثم أخبر المبعوث الأول في حضورنا بالأشياء التي كُتبت أعلاه، وأن ثلاثمائة وأربعين شخصية قيادية قد قُتلوا من الذين خرجوا من المدينة بعد أن أقسم [ذو نواس] لهم، لكنه تلاعب بهم. و[أخبر الرسول] عن زعيمهم الحارث بن خناب [كعب]...

[٧٤] بسبـب هـذه الرسالـة والتقارير التـي تم سماعها، فـإن المسيحيين هنا]في نجـران[في مـأزق، وحتى يُعرف ما حـدث في أراضـي الحميريين للأساقفـة الأتقياء والمؤمنـين، فقد كتبنا [هذا الخطاب] حتى يتسنى للنـاس إحياء ذكرى هؤلاء الشهداء الابطـال. نحـث غبطتك علـى سرعة إبلاغ هـذه الأشيـاء لرؤساء الأديـرة والأساقفة، وخاصـة لرئيس أساقفـة الإسكندرية، الذي يجب أن يكتب إلى ملـك إثيوبيا على الفور للاستعـداد لمساعدة الحميريـين، كما يجب القبض على رؤسـاء كهنة اليهود في طبريا وإجبارهـم على إرسـال [كلمة] إلى هذا الملك اليهودي لوقـف محاكمته واضطهاده في أرض الحميريـين. ويتألف باقي الخطاب من تحيات إلى رؤساء الأساقفة والأساقفة في

ذلك الوقت وإلى رؤساء الأديرة المؤمنين.))

ب. نص الرسـالة في الحولية المنسوبة إلى ديونيسيوس التلمحري اعتمادًا على الترجمة الإنجليزية:-

Pseudo-Dionysius of Tel-Mahre, Chronicle, Part III, trans. Witold Witakowski, [Translated Texts for Historians 22], Liverpool University Press, 1996.

((السنة ٨٤٦ (٥٣٤-٥٣٥م):

عن مملكة الهنود وكيف أصبحوا مسيحيين بسبب الحرب:

في نفسـ الوقت حدث أن اندلعت حرب بين ملـوك الهنود، وهم ملك الهنود واسمه أكسونـدون Aksundon وملك آخـر للهند الداخلية اسمه أنـدوج Andug، وكان وثنيًا. وعندما توقفوا عن قتال بعضهم البعض، أصبح أندوج أيضًا منخرطًا في حرب مع ملك الحميريـين -وهـؤلاء أيضًا هنـود- المسمى ديمنوسـ Dimnos. وكـان السبب في شن الحرب فيما بينهم كالتالي:

تقـع مملكة الأحباش في المناطـق الداخلية أكثر من مملكـة الحميريين [الأقرب] إلى أراضــي مصر وطيبة الواقعتين خارج الهنــد. وقد اعتاد التجار الرومان المرور عبر بــلاد الحميريين للقــدوم إلى بلاد الهنــود الداخليين، والتي تسمــى أوزاليس Auzalis، وكذلــك البلــدان [الواقعة] بعيدًا عن بلاد الهنود والأحباشـ. وهي سبع ممالك للهنود والأحباشـ: ثــلاث للهنــود وأربعة للأحباشـ. وهذه]أكـثر[بعدًا وتقع داخـل الأقطار الجنوبية]الواقعة[على شاطئ البحر الكبير الذي يحيط بالعالم كله [و] والذي يسمى المحيط العظيم.

عندما مر التجار الرومان المذكورين أعلاه عبر بلاد الحميريين لدخول بلاد الهنود للتجارة هناك كالمعتاد، علم ملِك الحميريين، دمنوس، (بذلك)، فقبض عليهم، وقتلهم ونهب كل شيء بضاعتهم قائلا:

"(هذا) لأن المسيحيين في بلاد الرومان يضايقون اليهود الذين يعيشون في بلادهم ويقتلون الكثير منهم. لذلك أنا أقتل هؤلاء الرجال."

وبهــذه الطريقة اعتاد قتل العديد مــن (التجار) حتى استحوذ الخوف على العديد (الآخرين) ورفضــوا القدوم (إلى البلاد) وتوقفت التجارة في الممالك الداخلية للهنود والأحباش.

(*) عن ماهية الرسالة التي بعث بها ملك الأحباش إلى ملك الحميريين وعن الحرب بينهما :

ثم أرسل ملك الأحباش هذه الرسالة إلى ملك الحميريين:

"لقد أخطأت في ذلك بقتل التجار الرومان المسيحيين، فقد أوقفت التجارة وأعقت الإمداد لملكتي والممالك الأخرى. وخاصة مملكتي التي تضررت."

لهذا السبب وصلوا إلى عداوة كبيرة وأعلنوا الحرب على بعضهم البعض. وعندما اقتربوا من خوض معركة مع بعضهم البعض، قال أندوج، ملك الأحباش:

"إذا مُنحت هزيمة هذا الجلاد، ملك الحميريين، سأصبح مسيحياً. لأنه دم المسيحيين هو ما اعتزم الثأر [له] منه".

عندئذ خاضوا معركة مع بعضهم البعض وانتصر ملك الأحباش على ملك الحميريين. وأخذه أسيرًا وقتله ونهب مملكته. وغزا بلاده وهزم كل جيشه.

وبعد انتصاره، لم يتلكأ في الوفاء بتعهده، لكنه أرسل اثنين من نبلائه إلى الإمبراطور جستنيان [يطلب] أن يرسل له أسقفًا ورجال دين. ابتهج [الإمبراطور] بشدة وأصدر أوامر بإعطائهم الأسقف الذي يختارونه. قام المبعوثون بتفتيش وعثروا على رجل، هو باراموناريوس[1] paramonarios لكنيسة القديس يوحنا، واسمه يوحنا [أيضًا]، وكان عازبًا وعفيفًا ومتحمسًا [في الإيمان]. طلبوه وحصلوا عليه. وأخذوه معهم، مع العديد من رجال الدين، وغادروا. وعادوا فرحين إلى بلادهم.

عندما وصلوا إلى ملكهم أندوج، استقبلهم بفرح كبير، مع الأسقف والكهنة الذين جاءوا معهم. وتلقى (الملك) تعاليم الإيمان، وتعمد وأصبح مسيحياً مع جميع نبلائه. كانوا حريصين على أن تصبح جميع المناطق مسيحية وأن تقام الكنائس فيها لمجد الإله الحقيقي للمسيحيين. لهذه الأسباب، أعطى الله الخلاص لتلك الشعوب الخاطئة.

(*) مرة أخرى عن نفس مملكة الحميريين والشرور والقتل التي أنزلها اليهود بها.

بعد مرور بعض الوقت، أصبح اليهود الحميريون أقوى. وعندما مات الملك المسيحي الذي أقامه ملك الإثيوبيين هناك، اختار (اليهود) ملكًا من بينهم على شعب الحميريين، وفي غضب مرير قتل ودمر كل الشعب المسيحي هناك، رجال ونساء وشباب وأطفال صغار، فقراء وأغنياء. وبسبب ذلك كُتبت رواية عن الشهداء العديدين دونها بحماسة المبارك شمعون المنازع. هذه [الرواية] تملأ جميع السامعين بالحزن. ونضعها [هنا] بالترتيب التالي.

---

(١) ناظر الكنيسة المسؤول عن الحفاظ على أملاكها ونظامها.

الرسالة التي أرسلها القديس شمعون، أسقف بيت أرشام[١]، زعيم المؤمنين بأرض الفرس، إلى مار شمعون، رئيس أساقفة جابولا Gabbula، وهي أيضًا رواية عن استشهاد الحميريين:

نعلمكم، حبيبنا، أنه في ٢٠ يناير من العام الحالي ٨٣٥ (٥٢٤ م) غادرنا حيرة النعمان مع القس إبراهام، ابن يوفراسيوس Euphrasius، الذي تم إرساله من قبل الإمبراطور جستنيان إلى المنذر، ملك العرب، لعقد السلام، الذي كتبنا عنه بالفعل في خطابنا السابق. وإننا وجميع المؤمنين هنا مدينين له، لأنه ساعدنا. إنه على دراية بكل تلك الأمور التي كتبنا عنها سابقًا، وكذلك بتلك التي نكتب عنها الآن.

لقد سافرنا عبر الصحراء باتجاه الجنوب الشرقي -في رحلة لمدة عشرة أيام- ووجدنا المنذر قبالة الجبال المسماة هالة Hala، الرملة بالعربية. وعندما كنا ندخل إلى معسكر منذر، جاءنا العرب الوثنيون لمقابلتنا، وقالوا:

"ما الذي يمكنك فعله الآن، بعد أن تم طرد [أتباع] المسيح من قبل الرومان والفرس والحميريين".

لقد شعرنا بالضيق من سخرية العرب. (والأكثر من ذلك) وقع علينا الحزن والضيق لأنه وجودنا حل مبعوث أرسله ملك الحميريين إلى الملك المنذر وأعطاه رسالة مليئة بالتفاخر كتب فيها ما يلي:

" أخي الملك المنذر إعلم أن الملك الذي أقامه الأحباش في بلادنا قد مات. وحل فصل الشتاء ولم يتمكن الأحباش من القدوم إلى بلادنا لإقامة ملك مسيحي كما كانوا يفعلون، لذلك أصبحت ملكًا على كل بلاد الحميريين،

وأول [ما فعلت] أن قبضت على جميع المسيحيين الذين يعترفون بالمسيح، [وهددتهم] إن لم يصبحوا يهودًا مثلنا. وقتلت مائتين وثمانين قسًا كانوا هناك ومعهم الأحباش الذين كانوا يحرسون الكنيسة. تلك الكنيسة الخاصة بهم، وقمت بعمل كنيس لأنفسنا.

ثم ذهبت إلى عاصمتهم نجران مع جيش من ١٢٠,٠٠٠ [رجل]، وحاصرتها لعدة أيام، لكني لم [استطع أن] أستولي عليها، فقدمت لهم وعودًا تحت القسم. (لكنني) قررت ألا أحفظ وعدي للمسيحيين، أعدائي. وقد استوليت عليها و(طلبت) منهم جلب

(١) كان سمعان أو شمعون أسقفًا سوريًا في كنيسة بيت أرشام الواقعة بالقرب من سلوقية-كتيسفون.

الذهب والفضة وممتلكاتهم (الأخرى). أحضروها إلي وأخذت [ها]. وطلبت أسقفهم بولس، وعندما أخبروني أنه مات، لم أصدقهم حتى أروني قبره. نبشته [وأخرجت] عظامه وأحرقتها، وكذلك كنيستهم وكهنتهم وكل من وجدته في الداخل يبحث عن ملاذ.

... لقد كتبت هذه الأشياء وأبلغتك بها جلالة الملك. وأحثك على عدم السماح لأي مسيحي [بالعيش] بين شعبك إلا إذا أنكر [المسيحية] وأصبح أحد أتباعك. بالنسبة لإخواني لليهود الذين هم تحت سلطتك، أخينا، فلتعاملهم بلطف. اكتب لي وأرسل لي (وتمني علي) مقابل ذلك، لأنني سأرسل لك ما تشاء".

كل هذه الأشياء كتبها الملك اليهودي النجس للمنذر. وعندما وصلنا إلى هناك، قام بتجميع جيشه، وتمت قراءة الرسالة أمامه، وأخبره المبعوث كيف تم قتل المسيحيين وطردهم من أرض الحميريين. قال المنذر لمسيحيي جيشه:

"الآن، وقد سمعت ما حدث. أنكروا المسيح الآن، لأنني لست أفضل من الملوك الذين اضطهدوا المسيحيين"....

وعندما عدنا إلى حيرة ذو النعمان في الأسبوع الأول من الصيام، وجدنا (هناك) مبعوثاً أرسله ملك الحميريين قبل وفاته. وعندما سمع عن هؤلاء الذين ذبحهم ذلك الطاغية اليهودي، استخدم رجلاً على الفور من حيرة ذو النعمان وأرسله إلى نجران ليقدم له تقريرًا. وعندما رأى المبعوث واكتشف ما حدث هناك، وأثناء عودته، أخبر المبعوث المسيحي في حضورنا عن الأمور التي وصفناها أعلاه، وأن ٣٤٠ من النبلاء الذين خرجوا من المدينة إلى (الملك اليهودي)) تم قتلهم، وعن رئيسهم الحارث بن كعب،... الذي أهانه اليهودي بقوله:

"لقد وضعت ثقتك في المسيح للتمرد ضدي، ولكن (الآن) رق لشيخوختك وانكره، وإلا ستموت مع رفقائك."...

... من خلال هذه الكتابات والأنباء التي سمعناها، وقع الحزن على جميع المسيحيين هنا. وقد كتبنا إلى الأساقفة الموقرين المؤمنين عما حدث في أرض الحميريين ليعرفوا ويحتفوا بهؤلاء الشهداء المقدسين. ونقترح عليك، أيها الحبيب، أنه يجب سرعة إبلاغ ذلك إلى المطارنة والأساقفة، وخاصة لأسقف الإسكندرية، عساه يكتب إلى ملك الأحباش (يدعوه) للاستعداد في الحال لمساعدة الحميريون. وليقبض على رؤساء كهنة اليهود في طبريا، ويُجبرون على إرسال خطاب إلى هذا الملك اليهودي لعل هذا يضع نهاية للصراع والاضطهاد في أرض الحميريين"....

(*) عن ملك الأحباش، وحملته وقتله للطاغية واليهود الذين معه.

بعـد ذلك، عندما علم ملك الأحباش -الذي قتل الملـك السابق للحميريين وبسبب هذا أصبح مسيحيًا- بهذا وبذبح المسيحيين وطغوان اليهود، تملكته الغيرة وقاد جيشه. انطلـق ضد الطاغية، وقبضـ عليه وقتله وهزم قواته وجميع اليهود في بلاد الحميريين. كما أقام هناك ملكًا مسيحيًا متحمسًا اسمه إبراهام[١]. وهكذا التئم شمل كل المسيحيين الذين تفرقوا بسبب الاضطهاد والخوف من اليهود هناك، وعادت البلاد إلى المسيحية.

وأرسـل]الملـك الحبشي[رسالـة إلى الإسكندرية قبل أن يُعقـد مجمع خلقيدونية (هنـاك) وحصـل (من هنـاك) على أسقف. وتـوفي الأخير بعد فـترة قصيرة في هذه البلد. ولكن عندمـا علم ملك الحميريين أن مجمع خلقيدونية قد فُرض في الإسكندرية وأن البطريـرك ثيودوسيوسـ قد خُلع بسبـب إيمانه ورحل عندما رفضـ قبول المجمع، اعتبرها (الملك) أيضًا إهانة ولم يرد قبول أسقف من الإسكندرية.

... في نفسـ الوقت كان هناك مشكلة كبيرة لممالـك الأحباش والحميريين والهنود بسبـب نقص الكهنـة. في كل عام، كانوا يرسلون مبعوثين بتكـريم كبير إلى الإمبراطور جستنيـان يطلبون منه منحهم أسقفًا لا يقبل مجمـع خلقيدونية. لقد (حاولوا) إقناعه بالعديـد من (الحجـج) ؛ إلا أنه، منذ أن حارب إلى جانب المجمـع، نصحهم وأنذرهم بقبول أسقف من (البطريـرك) الموالي للمجمع الذي يعيش في الإسكندرية. ومع ذلك، كانـوا متحمسـين، (قائلـين) أنهـم لن يقبلـوا أي خلقيـدوني بل فقط شخصـ رافض للمجمـع. لكنه أعطى أوامر بعدم تلبية رغبتهم. وهكـذا عادوا خالي الوفاض، ولكن في كل عـام، ولمـدة ٢٥ عامًا تقريبًا، كان المبعوثون من هذه الممالك الثلاث يأتون ويذهبون، حتى اختفى الكهنة ولم يعودوا موجودين بين تلك الشعوب.))

ج. نص الرسالة في حولية زُقنين اعتمادًا على الترجمة الإنجليزية :-

The Chronicle of Zuqnīn, Parts III and IV A.D. 488- 775, trans. Amir Harrak, [Medieval Sources in Translations 36], Pontifical Institute of Medieval Studies, Toronto, 1999.

---

(١) غالبًـا هـو "أبرام" المذكور عند بروكوبيوس في كتابه "الحـروب" War, I, 20. وهو المعروف في المصادر الحبشية والعربية بـ (إيلا) أبرهة. انظر:

Yu. M. Kobishchanov, Axum. University Park, PA, 1979, pp. 105108-; M. J. Kister, ‘The Campaign of Hulubin: a new light on the expedition of Abraha’, Mus 78 (1965). pp. 425436-.

(*) السنة ٨٦٤ (٥٣٤- ٥٣٥م): مات جستين الكبير، وحكم ابن اخته جستنيان. عن مملكة الهنود وكيف صاروا مسيحيين بسبب الحرب[١]:

وفي نفس الوقت حدث أن اندلعت حرب بين ملوك الهنود[٢]، وأعني ملك الهنود المسمى إكسينودون Xenodon، وملك أخر للهند الداخلية[٣] المسمى أندوج Andug، الوثني. وعندما انتهت الحرب بينهما، خاض أندوج حربًا مع ملك الحميريين، الذين كانوا أيضًا هنودًا، واسمه ديمنون[٤]. والأمر الذي تسبب في الحرب بينهما كالتالي: نظرًا لأن مملكة الكوشيين كانت [تقع] في الداخل أكثر من مملكة الحميريين، التي كانت [تقع] مقابل أراضي مصر وطيبة[٥] خارج الهند، كان التجار الرومان في أراضي الحميريين يعبرون ويدخلون الأراضي الداخلية للهنود التي تُسمى أزوليس Azuliss الهند[٦]، ثم إلى أراضي الهنود والكوشيين التي هي أبعد من ذلك في الداخل. وكانت ممالك الهنود والكوشيين سبعة: ثلاثة للهنود وأربعة للكوشيين. وهذه [الممالك تقع] بعيدًا داخل المناطق الجنوبية، على ساحل البحر الكبير المحيط بالعالم كله، الذي يُسمى المحيط العظيم.

وعندما عبر التجار الرومان المذكورين أعلاه إلى أراضي الحميريين من أجل دخول أراضي الهنود للتجارة معهم، كما كانت العادة، عرف ديمموس، ملك الحميريين (بخبرهم)، فقبض عليهم وقتلهم ونهب جميع بضاعتهم، قائلًا: "أقتلهم لأن المسيحيين في المناطق الرومانية يضايقون اليهود الموجودين في أراضيهم ويقتلون الكثير منهم". وهكذا قتل الكثيرين حتى تملكهم الخوف وحُظر عليهم الدخول. وبالتالي، توقفت التجارة مع الممالك الداخلية للهنود والكوشيين.

عن الكلمات التي أرسلها ملك الكوشيين إلى ملك الحميريين، وفيما يتعلق بالحرب بينهم.

عندئذ أرسل ملك الكوشيين كلمة [رسالة] إلى ملك الحميريين: "لقد تصرفت بشكل شرير بقتل التجار المسيحيين للرومان! لقد قطعت التجارة وأوقفت عائدات

---

(١) يقدم كل من مالالاس وميخائيل السرياني رواية مماثلة.

(٢) أحيانا كان يُدرج الأحباش والعرب الجنوبيون (الحميريون) والهنود تحت مسمى "الهنود" في المصادر البيزنطية (والسريانية).

(٣) يشير مسمى "الهند الداخلية" إلى أثيوبيا (الحبشة)، وأكسوم عند مالالاس.

(٤) يذكر مالالاس اسم "ديمنوس". وقد اتبع شهيد قراءة السمعاني Assemani مقترحًا أن هذه الأسماء تبدو مرتبطة بالاسم العربي "ذو نواس". *Martyrs*, ٢٦٤f.

(٥) جنوب مصر.

(٦) لابد وأنه المسمى اليوناني "أدوليس" المذكور عند مالالاس وبركوبيوس وغيرهم، ويُنطق أيضا Adhoulis. الآن مدينة زولا Zula الساحلية على البحر الأحمر، حوالي ٩٠كم شرق أسمرة الأثيوبية. انظر: Warmington, *The Commerce between the Roman Empire and India*, 9.

مملكتــي والممالــك الأخرى، لكنك أضررت بمملكتي أكثر!" . وبسبب هذا بلغا حد العداء الشديد وحشدا للمعركة. وعندما باتا على قتال أحدهم الأخر، قال أندوج Andug، ملك الكوشيــين Kushites: "إن منحــت لي هزيمة هذا الملك الطاغيــة للحميريين، سأصير مسيحيا، لأنني أسعى لمعاقبته على دماء المسيحيين" .

ثم حاربوا بعضهم البعض وهزم ملك الكوشيين ملك الحميريين. وقبض عليه وقتله ونهــب مملكتــه وأخضع أراضيه ودمر كل قواتــه. ثم بعد انتصــاره، لم يتأخر في الوفاء بنذره، بل أرسل اثنين من نبلائه إلى الإمبراطور جستنيان عساه يرسل له أسقفًا ورجال ديــن. ابتهج الأخير بشكل كبير وأمر بمنحهم الأسقف الذي كانوا يطلبونه. وعندما قام هؤلاء المبعوثون بالبحث، وجدوا باراموناريوس paramonarios اسمه يوحنا من كنيسة القديســ يوحنا، وكان متبتلاً، فاضــلاً وتقيًا. طلبوه وأعطي لهــم؛ فأخذوه وغادروا مع العديــد من رجال الديــن إلى أرضهم، وعــادوا إلى بلادهم بفرح. وعندمــا وصلوا إلى أندوج ملكهم رحب بهم أيضًا بفرح كبير، وكذلك بالأسقف والكهنة الذين جاءوا معهم. وتم تلقينــه التعاليم وتعميــده، وصار [أندوج]، وكذلك جميع نبلائــه، مسيحيين، بينما حــث [رعيته] على أن تصبــح جميع الأراضي مسيحية وأن تُقام الكنائس فيها لمجد رب المسيحيين. ولهذه الأسباب، منح الله الخلاص لهذه الأمم الخاطئة.

(*) **وكذلك عن مملكة الحميريين نفسها والشرور والقتل التي ارتكبها اليهود هناك**[1]:

وبعد فترة، نمت قوة اليهود الحميريين. حيث مات الملك المسيحي الذي أقامه الملك الكوشــي هنــاك، فقاموا بتعيين ملكًــا من بينهم على الشعب الحمــيري. وبغضب شديد قتلــوا وأبادوا كل المسيحيــين المحليين -رجال ونساء وأطفــال ورضع، الصغير والكبير- ومــن ثــم تم تدوين روايــة استشهاد العديدين في ذلــك المكان، بفضــل حماسة المبارك شمعــون المناظر. وهي [رواية] مفعمــة بالألم لجميع مستمعيها، ونحن أيضًا ندرجها في هذا القسم على النحو التالي.

(*) **الرسالة التي بعث بها شمعون، أسقف بيت أرشام وزعيم المؤمنين في الأرض الفارسية، إلى مار شمعون رئيس دير جابولا- وهي شهادة تتعلق بالحميريين:**

نخــبرك، أيهــا الأعز، أنــه في العشرين من كانــون الثاني [يناير] مــن هذا العام، ثمانمائــة وخمســة وثلاثــين [٥٢٤م]، غادرنــا حيرة النعمــان مع القســ إبراهام، ابن يوفراسيوســ، الذي أرسله الإمبراطور جستــين، إلى المنذر، ملك العرب، لعقد السلام.

(١) وفقًــا لرسالــة الملك اليهودي إلى المنذر، عندما مات ملك حمير المسيحي لم يكن الأحباش في موقع يسمح لهم بتنصيب ملك جديد، ومن ثم فرض اليهود حكمهم على حمير واختاروا ملكًا من بينهم.

كما كتبنا عنه في رسالتنا الأولى، ونحن وجميع المؤمنين هنا ممتنين له لمساعدتنا في قضيتنا. إنه على دراية بما كتبناه سابقًا وما نكتبه الآن.

حيث أننا سافرنا في الصحراء إلى الجنوب الشرقي لمدة عشرة ايام حتى وصلنا الى المنذر قبالة الجبال المسماة "بالرمل"، وباللغة العربية "رملة". وعندما ذهبنا إلى معسكر المنذر، قابلنا العرب الوثنيون والمعديون، وقالوا لنا: "ماذا يمكنكم فعله؟ فها هو مسيحيتكم منبوذة من الرومان والفرس والحميريين!" وقد اعترانا الحزن لاستهزاء العرب بنا. واجتمع الحزن بالضيق لأنه في وجودنا حل مبعوث أرسله ملك الحميريين إلى اللك المنذر، وأعطاه رسالة مليئة بالتفاخر، حيث كتب التالي:

"ليكن معروفًا، أخينا الملك المنذر، أن الملك الذي أقامه الكوشيون في منطقتنا قد مات. وبحلول فصل الشتاء لم يكن الكوشيون قادرين على التقدم إلى منطقتنا وإقامة ملك مسيحي كما اعتادوا على القيام بذلك، لذلك، حكمت على كامل أراضي الحميريين. وأول ما فعلت أن قبضت على جميع المسيحيين الذين اعترفوا بالمسيح ما لم يصبحوا يهودًا مثلنا. وقتلت مائتين وثمانين قسًا كانوا حاضرين، هذا مع الكوشيين الذين كانوا يحرسون الكنيسة، وقمت بتحويل كنيستهم إلى كنيس لنا. ثم زحفت مع جيش من مائة وعشرين ألف [رجل] قوي إلى عاصمتهم نجرا. وبعد حصارها لعدة أيام دون تمكني من إخضاعها، أقسمت لهم اليمين بينما أضمرت ألا أفي بوعد لأعدائي المسيحيين. لذا احتجزتهم، وطلبت منهم إحضار الذهب والفضة والممتلكات، فجلبوها إلي، وقمت بجمعها. وسألت عن بولس أسقفهم، وعندما قيل لي إنه مات، لم أصدقهم حتى أروني قبره. لذلك أخرجت عظامه وأحرقتها. لقد أجبرت كهنتهم وكل من وجدتهم متخذين ملجأ في كنيستهم، وبقيتهم، على نبذ المسيح والصليب. لكنهم لا يريدون ذلك. وبدلا من ذلك... اختاروا أن يموتوا من أجله.

... كل هذه الأشياء كتبها الملك اليهودي المدنس للمنذر. وعندما وصلنا إلى هناك، جمع جيشه وتمت قراءة الرسالة في حضوره. تحدث المبعوث عن كيفية قتل المسيحيين ونفيهم من أرض الحميريين. [عندئذ] قال المنذر للمسيحيين في جيشه: "ها أنتم قد سمعتم ما حدث. أنبذوا المسيحية الآن لأنني لست أفضل من الملوك الذين اضطهدوا المسيحيين". وتملكت الغيرة رجلًا مسيحيًا بين جيشه، فقال للملك بجرأة: "لم نصبح مسيحيين في وقتك لنبذ المسيح!"...

عندما عدنا إلى حيرة النعمان، في الأسبوع الأول من زمن الصوم، وجدنا الرسول الذي أرسله ملك الحميريين قبل وفاته. وعندما سمع عن أولئك الذين ذبحهم الطاغية

اليهودي، استأجر على الفور رجلاً من حيرة نعمان وأرسله إلى نجران ليقدم له تقريرًا حيًّا عن الأحداث التي وقعت هنـاك. وعندما عاد تحدث بنفسه أمام الرسول المسيحي عـن الأحداث التي سجلناها أعلاه، وأن ثلاثمائة وأربعين رجلًا بارزًا، خرجوا إلى الملك [اليهودي] من المدينة، قُتلوا، وعن الحارث بن كعب رئيسهم...

لقد شعر كل مسيحيي هذا المكان بالضيق من هذه الرسائل والأخبار التي سمعوها. لذلـك من أجل إخبار الأساقفة الموقرين والمؤمنين بهـذه الأحداث التي حدثت في أرض الحميريـين، كتبناها عساهم يحتفون بذكـرى الشهداء. ونرجو منكم، أيها الأعزاء، أن يتـم الإعلان عن الأحداث بسرعة لرؤساء الأديرة والأساقفة، وخاصة لرئيس الأساقفة في الإسكندريـة حتـى يتمكن من الكتابـة إلى ملـك الكوشيين ليكون مستعـدًا لمساعدة الحميريـين فـورًا. وأيضًـا ليتم احتجـاز أحبار اليهـود الموجودين في طبريـا والضغط عليهـم لعلهم عليه يرسلون إلى هذا الملك اليهودي الذي ظهر، عساه يضع حداً للصراع والاضطهـاد في أرض الحميريـين. — هذا إلى جانب التحيـة في الرسالة لأساقفة ذلك الوقت ورؤساء الأديرة المؤمنين.

(*) **بشأن ملك الكوشيين وحملته وبشأن قتل الطاغية وقتل شعبه اليهودي:**

بعد ذلك، عندما علم ملك الكوشيين الذي قتل ملك الحميريين السابق -وهو سبب تنصـره- بهذا الأمر وبتدمير المسيحيين واستبداد اليهود، اعترته الحماسة. لذلك قاد قواته، وسار ضد الطاغية، وأسره وقتله وقتل قواته وكذلك جميع اليهود الذين كانوا في أراضي الحميريين.

كمـا أقام ملكا هناك، رجل مسيحـي متحمس يدعى إبراهام. فاجتمع هناك جميع المسيحيـي، الذيـن كانوا مشتتين بسبـب الاضطهاد والخوف من اليهـود، وأعيدت تلك الأرض إلى المسيحيـة. وبعث برسالـة إلى الإسكندرية وحصل علـى أسقف قبل انعقاد مجمـع خلقيدونية (هناك). ومـات الأسقف بعد أن بقي لفترة قصيرة في تلك المنطقة. وعندمـا علم ملك الحميريـين عن مجمع خلقيدونيـة في الإسكندريـة، وأن البطريرك ثيودوسيوس تعرض للاضطهاد ورحل بسبب الإيمان، ولأنـه لم يشأ قبول المجمع، شعر هو أيضًا بالإهانة ورفض قبول أسقف من الإسكندرية.

... في هـذا الوقـت حدثـت ضائقـة كبـيرة في [الكوشيين] والحميريـين والممالك الهنديـة بسبـب عدم وجـود قساوسة. [وفي كل عـام كانوا يرسلون] رسـل [إلى جانب هدايـا عظيمـة] إلى جستنيـان الإمبراطور، يتوسلـون] لمنحهم أسقفًـا لم يقبل مجمع

خلقيدونية. ولما توسلوا إليه طويلًا ، نصحهم الإمبراطور، [لأنه كان يقاتل من أجل المجمع]، وأنذرهم بقبول أسقف مناصر للمجمع ويقيم في الإسكندرية. وعندما واصلوا اعتراضهم على قبول الأسقف [مناصر لـ] المجمع [بدلاً من الشخص الذي لم يقبل] المجمع، وأمر الإمبراطور بأن [لا يتم منحهم رغبتهم]. ومن ثم سيعودون [ثانية] عبثًا، ذلك لأنه كل عام كان يسافر [رسل] من [الممالك الثلاث] ذهابا وإيابا لأكثر أو أقل من [خمسة وعشرين عاما، إلى أن] مات قساوسة هذه [الأمم] واختفوا.))

***

رابعًا. ترجمة الجزء الخاص بأحداث نجران في "أعمال القديس غريغنتيوس أسقف ظفار" (القرن السادس الميلادي) اعتمادًا على الترجمة الإنجليزية :-

Life and Works of Saint Gregentios Archbishop of Taphar: Introduction, Critical Edition and Translation, ed. Albrecht Berger, [Millennium Studies in the Culture and History of the First Millennium C.E., vol. 7], Berlin, New York, 2006.

((عندما كان جريجنتيوس المبارك في الإسكندرية في أيام يوسطينوس Ioustinos، إمبراطور الرومان، وإليسبوام Elesboam [إيلا أصبحى]، ملك الحبشة، ودوناس Dounaas، ملك الحميريين، وبروتريوس Proterios، بابا الإسكندرية، كان ملك الحميريين، دوناس، الذي كان -فيما يتعلق بإيمانه- يهوديًا، قد استحوذ عليه الغدر بنجران، البلدة التي تقع في الجنوب. ودعا هذا الرجل المغرور كل سكان البلدة إلى إنكار سيدنا يسوع المسيح والتمسك بالعبادة وفقًا للناموس. وعندما تحدثوا جميعًا ضد مرسومه، استشاط الملك غضبًا، وأمر بإشعال نار قوية جدًا لفترة كافية، وأباد عددًا لا يحصى من الناس هناك وحولهم إلى رماد، وقتل بعضهم أيضًا بالشنق، وأعدم أشرافهم بالسيف. ومن بين هؤلاء أطاح بالسيف أيضًا رأس الموقر حاكمهم الأكثر جدارة، وهو رجل أَشْيَبُ يُدعى أريثاس، بعد عدد كبير من المناقشات التي أجراها معه. ونهاية القصة: بعد أن نثر كل شيء هناك مثل الغبار، عاد هذا الملعون إلى قصره، وكتب أيضًا إلى القوى من حوله، وليس فقط إلى هؤلاء، ولكن أيضًا إلى ملك الفرس، لإبادة جنس المسيحيين تمامًا من مملكته، قائلًا: "أفعل تمامًا كما فعلت".

عندما علم يوسطينوس، إمبراطور الرومان، بهذا الأمر، كتب بتشديد الأمر إلى إليسبوام، ملك الحبشة الأقدس، لحشد جيوش مملكته، وشن حرب ضد اليهودي

المجـرم للثأر لحـق الدماء البريئة للصالحـين، الذين عانوا بشجاعة مـن أجل الإيمان الطاهـر بسيدنا يسـوع المسيح. وقد امتثل الملك الجديد بالثناء لهـذا [الأمر]؛ إذ جمع كل جيشـه، وبـدأ حربًا ضده براً وبحـراً، ودمر جيوشه بالكامـل، وحديثي عن الجائر، وألقـى القبض على اليهودي المجرم مع أقاربه وأعدمهـم بالسيف. وأخذ أيضًا مملكته وجميـع القلاع بها. وحل أيضًا كالعاصفة على تيفار، عاصمة الحميريين، ودخلها ونهب كل ممتلكات مملكتـه، وقتل عددًا كبيرًا من الناس هناك لترويعهم، حتى يخاف البقية ويوافقونه على تلقي المعمودية المقدسة، سواء من اليهود أو الأمم الأجنبية الأخرى.

وبمـا أنه لم يكن هناك أسقف ولا كاهن أو شماس، ولا أحد من رجال دين الكنيسة المقدسـة أيضًا (لأن عـدو الله... قد قضى عليهم جميعًا تقريبًـا، بحيث لا يمكن وجود مجـرد ذكر لهم في كل مملكته، حتى أنه أزال الرفـات المقدسة لأولئك الذين ماتوا من قبل واستقروا بالفعل في مراقدهم الطاهرة، وحولها بالنار أيضًا إلى رماد)، لذلك كتب الملك الأقدس إليسبوام من بلاد الحميريين إلى بروتريوس، بابا الإسكندرية، يخبره بما حـدث كلمة كلمـة، وكيف مهد الله طريقه. وبعد ذلك كتب إليـه أيضًا أن يختار من بين بطريركيته رجلًا حكيمًا ومتعلمًا وذكيًا ومتفهمًا.

... عندمـا انتهت رسامة البار، استعـد البابا بروتيريوس لإرسال مبعوثي الملك إليه مع المبـارك [غريغينتيوس]، وعندما باتـوا جميعًا جاهزين، أعطـى البابا إلى القديس [غريغنتيوس] ما يحتاج إليه، وكذلك لمن أراد الرحيل معه، واحتضنهم وصرفهم بسلام.

وقـد وجـدوا طريقًـا مناسبًـا ووصلـوا إلى إثيوبيا في غضـون أيام قليلـة. وبعد أن استراحوا قليـلًا في Amlem، مقر الأثيوبيين، وتزودوا ببعض الأشياء الضرورية بأمر مـن الملك، صعدوا علـى متن سفينة، وأبحـروا أيامًا طويلة حتى وصلـوا إلى نهاية بحر سبـأ، ومن هناك عبروا إلى مغارة مديكيـون Medekion، ووصلوا إلى طفار Taphar، عاصمة الحميريين. لم يجدوا الملك]إيلا أصبحى[في مدينة طفار، لكنه كان في المدينة التي قتل فيها دوناس الشهداء المقدسين. لقد دمر المقدسات اليهودية في المدن المجاورة ومعابـد الأصنام للدول المتبقيـة، وبنى الكنائس باسم سيدنا يسـوع المسيح. وفي مدينة نجـران، بنى أيضًـا كنيسة جميلة جـدًا باسم القيامـة المقدسة في مكـان يُدعى نفوث Nephoth. كمـا قام ببناء كنيسة أخرى باسم المقدسة أم الإله في مدينة تدميروس *ta Tademeros*، وبنى كنيسة أخرى باسم الشهداء المقدسين وأريثاس المجيد بالقرب من منزله، في مكان كان من قبل أروع حديقة.

... وقيـل أنه عندما كـان لا يزال في نجران (إذ كان يحتفـل بأحد الأعياد، وانتهز هـذه المناسبة بأن عين ابن أريثاس المقدس حاكمًا)، وصلته الأخبار السارة بأن قيل له: "سيدي لقد وصل الذين أرسلتهم جلالتك إلى الإسكندرية، محضرون معهم من تقبلوه أسقفنا". عندما سمع الملك هذا، امتلأ بفرح عظيم، وقام ونزل للقاء الأسقف.

... وعندمـا كرس الأسقف الأقدس غريغنتوس الكنائس النبيلة في مدينة نجران، أخذه الملك وذهب إلى مدينة أكانا Akana وافتتح الكنائس هناك أيضًا...

... ولأن الملك الأكثر قداسة إليسبوام أراد الإسراع بالعودة إلى مملكته (لأنه قضى وقتًـا طويلاً في بـلاد الحميريين، وكما يقدر البعض حوالي ستـة وثلاثين شهرًا منذ أن بـدأ حربه هناك)، فقد دعا المبارك غريغنتوس وجميع عظمائه والمرازبة. لقد اجتمعوا مع الملك الورع ورئيس الكهنة المقدس، وقال الملك لمجلس الشيوخ: "من برأيكم يجب أن نتركه هنا بعد أن نرسمه ملكًا؟"...

... وبعد الانتهاء من المراسم، هتف الجيش سبع مرات: "إلى ملك إثيوبيا إليسبوام المقدس، لـه العمـر المديد". وبعد ذلك هتفوا: "إلى ملك الحميريين المحـب للمسيح أبرام Abraam، له العمر المديد في الكفاءة والتقوى والخير!" وبوصفه ملك جديد فقد هتفوا بهذا عشر مرات...

وعلى الفـور قام الملك أولًا بتقسيم مدينة نجران مقر حكمه إلى ستة وثلاثين حي، وعين في الحال لهذه الأحياء [حكام] يُسمون جيتونيارخاي[1] *geitoniarchai*، عددهم ستـة وثلاثـون. وأمر بأن يكون لكل منهم مكتبه الخاص في وسط الشارع الرئيسي للحي المخصص له، وأمر بتسجيل جميع المنازل، مع المسؤول عنها، حتى يعرف كل منهم حدود سلطته، ولا ينبغي [لأحدهم] أن يتجول في حي آخر، ينظر حوله ويعطي الأوامر هناك. وعندمـا أتم [أبرام] ذلك، قـام بتعيين فرقة من ستة عشر حارسًـا لكل حي، تمركزوا بـه لخدمتـه. وعندما تم ترتيب هذه الأمـور، أمرهم الملك بقبـول المدفوعات والمكافآت والتبرعـات السنويـة، والقيام بعمل جيد تقربًا لله وإظهـارا لخشيته، وكلف غريغنتوس المبـارك بإصدار قانـون مكتوب لهم، حتى يعرفوا بالضبط ما يتعين عليهم فعله؛ فجلس المبارك على الفور وبدأ يكتب ما أمر به بروية.

وعلـى الفور بنـى الملك الورع دور لكبـار السن ومستشفيـات، ودور للضيافة وتكايا للفقـراء، وأعطاهم الكثير من السلع. حيـث وجه دخول تلك العقارات والأمول العظيمة التـي اكتنزها ملـك اليهـود دوناس وكبـار رجاله، ووجههـا على نحو رائـع لصالحهم

---

(١) مفردها "جيتونيارخيس"

ولشفاءهــم وراحتهم، وأعطى للفقراء والمحتاجين، الكبار والصغار. للضعيف، والأعرج والأعمــى، أجرًا سنويًا، وثيابًا وحبوبًا وخمرًا وزيتًا وفاكهة وكل أنواع السلع، وكان المديح بالاســم: إذ دعوا البطريرك بإبراهيم الثــاني و الملك بأيوب آخر بسبب ضيافته ولطفه الكبــير. وللاحتفــال بذكرى القديسين، أمــر [الملك] بإعداد طاولتــين، واحدة للفقراء والأخــرى لكبار رجالــه. وعندما تحين ساعة الطعام كان يأكل دومًــا متكئًا مع الفقراء، وكان دائمًا يغدق هدايا سخية على كليهما.

لم يأتــه أحــد ذات مــرة يسأله عن شيء مــن الخير إلا أطاعه وأعطــاه ما طلب في الحــال، حتــى أنه خلال حكمه لم يعد هناك فقير على الإطــلاق في أي من أرجاء ملكه، ولا مــن يرتكب الظلم أو يعــاني منه كما حكم الكتاب المقدس. وأسكت الله كل أمة من حولــه أيضًــا، فلم تنشأ حرب في أيامه، بل كان هنــاك سلام عميق وفرح وسعادة ورعاية للفقــراء وحماية للأرامل والأيتام، وعمــت حالة رائعة لا يمكن وصفها من البر والأعياد والكنائس الروحية.

***

خامسًا. النسخة العربية من "استشهاد الحارث وأصحابه في مدينة نجران" اعتمادًا على تحقيق الباحث الإيطالي أليساندرو جوري: -

Alessandro Bausi, Alessandro Gori, *Tradizioni orientali del «Martirio di Areta». La prima recensione Araba e la versione Etiopica. Edizione critica e traduzione*, Presentazione di Paolo Marrassini (Quaderni di Semitistica 27), Dipartimento di Linguistica, Università di Firenze, Florence, 2006.

مقدمة:

نالــت الرواية العربيــة لاستشهاد الحارث اهتمام بعضـ الباحثين الحديثين، وكان عرفــان شهيــد Irfan Shahid أول من حللهــا ولخصها اعتمادًا علــى أربع مخطوطات عربيــة سينائية؛ ثم أضاف فان إســبروك M. van Esbroeck إلى هذا الإسهام بتناول مخطوطــة خامسة (سيناء ٤٤٣).[1] واستخــدم الأب طارق إبراهيم ثلاث مخطوطات محفوظة في مكتبة دير سيدة البلمند، أرقام١٣١ لسنة ١٨٣٠م، و١٥٣ من القرن السادس عشــر أو السابع عشر، و ١٥٤ لسنة ١٨٢١م.وقام بتحقيقها بالمقابلة مع مخطوط سيناء

(1) Shahîd, 1971, pp. 181-93; van Esbroeck, 1967, e Id., 1974, pp. 121-23

رقـم ٤٢٨، بهدف إعداد تحقيق نقدي للرواية العربية.[1] وأخيرًا قدم أليساندرو جوري Alessandro Gori تحقيقًـا جديـدًا، ترجمـه إلى الإيطالية، معتمدًا علـى التحقيقات السابقـة بالإضافـة إلى أربع مخطوطات أخرى، الأولى في مكتبة بلمند تحت رقم ٥٠١٩ (أكتوبر ١١٧٢م)، والثانية محفوظة تحت رقم ٢٤٦ بمكتبة *Library of the Selly Oak Colleges* ببرمنجهـام، والأخيرتـان في سينـاء (٤٦٩ و٥٣٥) من القـرن الثالث عشر الميلادي.[2] وفيما يلي مـا تضمنه التحقيق الأخير فيما يتعلق بأحداث نجران والتدخل الحبشي في جنوب الجزيرة العربية أوائل القرن السادس.

(*) نص الرواية العربية :-

أ. قمع يوسف ذو نواس للنصارى :-

١- هذه قصة الحارث وأصحابه الذين استشهدوا بنجران المدينة في السنة الخامسة من ملك قسطنطين وذلك من | حساب الدهر سنة خمسة آلاف وسبعمائة وسبع عشر سنة ومـن حساب الأنطاكيين سنة ثمانمائة وخمسة وثلثين سنة في شهر اقطمبرس (أكتوبر) الـذي هـو بالإفرنجيـة نيرياراداوس وكـان إذ ذاك البطرك على أورشليـم يوحنا وعلى الاسكندرية طيموثاوس وعلى القسطنطينية أيضا طيموثاوس وعلى أنطاكية إفراسموس وكان ذاك ملك يقال له الاسباس على الحبشة وكان بارًا تقيًا وتملك في ذلك الزمان على أرض سبأ إنسان يهودي يقال له فنحاس وكان جرئ قتّال هراق للدماء وملك | على يهود تلك الارض كلها وإنما كانوا إذ ذاك لا يحفظون من الناموس إلا ما حل وحرم من المأكل والمشرب ما يضر ولا ينفع وكان إذ ذاك مع كثيرين | منهم أصنام يعبدوها وكانت أرض سبـأ محشوة منهم لأنهم كانوا هربـوا من قدام [أمام] ملك الروم اسباسيانوس وابنه طيطس الذين قتلوهم وسبوهم إلى أرض الروم ومن قدام [أمام] النصارى الذين كانوا بالشـام وكانت الأرض قد امتلأت من أهل الإيمان بالمسيـح إلا أرض سبأ وحدها فكانوا يزعمون أنهم يهود وكانوا للأوثان مكرمين مستمسكين كان يُولد ويكثر القتال فيما بينهم وبـين أهـل الحبشة حتى إنهـم كانوا يرضون ملـك الحبشة بالخـراج والهدايا ولم يكون الاسباس ملك الحبشة يقنع بما يُدفع إليه من | الخراج دون أن يدعون الاصنام ويعبدون الله وكان قد لح عليهم بالجيوش| حتى آذاهم كل الإيذاء.

---

(١) الرواية العربية لاستشهاد القديس حارث بن كعب ورفقائه في مدينة نجران، تحقيق الأب حارث ابراهيم، منشورات جامعة البلمند، معهد التاريخ والآثار والتراث الشرقي، بيروت، ٢٠٠٧م.

(٢) هي:
BL Or. 5019, ff. 85v-96r. ؛Sin. Ar. 469, ff. 114r-117v. ؛Mingana Chr. Ar. Add. 236, ff. 1-2؛ Sin. Ar. 535, ff. 77v-108r.

٢- وكانـت بسبـأ مدينــة كثيرة الأهـل يُقال لها نجـران وكانت تلـك المدينة أهلها مؤمنـين بيسـوع المسيح فصادف مرة أن اليهودي انهزم -عـدو الله الكافر- فهرب إلى الجبـال ليختبئ فيها وكـان الاسباس ملك الحبشة | -لما انهـزم الملعون- انصرف إلى أرضــه وملكه ورتب خيل رابضة وأمير عليــه بأرض سبأ؛ فإذا بالشيطان، مبغض الخير الــذي لم يزل يقاتل أهل الخـير والصلاح،قد حرك الملك المهزوم اليهودي على الخروج للمقاتلـة لمن خلف ملك الحبشة بأرضـ سبأ من الفرسان الرابضــة، فهزمهم وقتلهم. وطلـب أهل الإيمان بيسـوع المسيح وقتل من وجد منهم،ولم يـدع بأرض سبأ نصراني | حتـى قتله. فلما فعـل ذلك أمر جيوشــه أن يسيروا إلى نجران مدينــة النصارى ليقتل مــن بهـا من النصارى ويخرب كنائسه. وهذه صفة أرضـ سبأ من شامي اليمن طولها وعرضهـا ثلاثين مرحلة عامرة كالرمانة بسكانه، وبعدهــا من ارض الهند حيث العود والفلفل واللؤلؤ مائة وسبعين مرحلة في البر، إلا عشرة في الماء، وبُعد الحبشة منها ستون مرحلة، وبُعدها من أرض الروم ثمانين مرحلة في البر.

٣- فوافــى زمـان الشتاء، فلم يستطع ملـك الحبشة [أن] يخـرج إليه وهو محاصر نجـران الكريمــة الأهل،الذي تأويل اسمها بالعربية مدينة الرعـد | فلما دنا ذلك الملعون الرجسـ | اليهودي إلى تلك المدينة ورأى آيـة الصليب قائمة على عود محيط بالمدينة مع جند مقاتلة بعث حينئذ منادين أمرهم أن ينادون بأعلى أصواتهم ويقولون من لم يجدف على المصلوب ويحقر الصليب فإنه يبيده ويقتله بالسيف ومن دخل في ديني وكفر بالجليلي وأصحابه فإنه يصيب مني كرامة عظيمة ويكون في ملكي فائزًا واعلموا أني قد قتلت جميع من خلف ملك الحبشة بأرض سبأ وأحرقتهم بالنار وأنا قد استعددت لكم يا أهل نجران بقـوم كثـير مقاتلة محاربين | وهم مائة ألف وعشرين ألف وأنهم أجابوه من فوق الحائط وقالوا نحن نعبد المسيح | ... فغضب حينئذ الملعون وحاصرهم ستة أشهر بمكايده وأدوات الحرب المنكرة فلم يستطع أن يحرك أساسها الذي هو على صخرة الإيمان...

٤- ولم يـدع حول المدينة أحدا وحـده من المؤمنين ووهب عامته للعبودية، فلما قاتلهم غاية القتال ولم يستطع لهم (يقصد هزيمتهم)، بعث إلى رؤساء المدينة، والذين | يخافون الله، واحـدًا يحلـف لهم بإله الناموس: أني لا أمس مـن المدينة أحدًا، ولا أريق محجمة دم فيهـا، ولا أكلـف أحدًا أمـرًا يكرهه، ولا أريـد إلا [أن] | أجعل عليهم خـراج يؤدونه إلي، و[أن] أدخـل المدينــة وانظر إليهـا وأعرف كيف أجعـل على كل جمجمة حر كـان أو شيخ أو صبــي أو فــلاح أرض أو صانع ؛ أصـير على كل واحد مثقال، والمثقـال اثنا عشر قيراط ونصـف، وأدع السكة يضربهــا التي ضربها ملك سبأ، فحسبه جميـع ما كان يُجمع له من أهل خلاحل [؟] مدينة نجران فاداه يبلغ الف رطل وستمائة رطل وسبعين رطلا ذهب.

٥- قالـوا لـه إنـه الملك أمـا نحن كما تعلمنـا من النامـوس والأنبياء ومـن المسيح وتلاميـذه المقدسـين فهو أن نعبـد الله ونخضع للملوك فيما ينبغـي، فنحن الآن نطمئن إلى مـا حلفت لنـا به وأعطيتنا | من العهـود والمواثيق، ونفتح لك بـاب المدينة لتدخلها أنت ومن أحببت، واعلم إن أنت غدرت ولم تفي بما حلفت وقلت من القول، فإن لنا إلها قـادرًا يعيننا ويصرف شرك على رأسك وملكك... فأشار عليهم الحارث بن كعب أن لا يثقـوا بحلفه ولا يأتمنوه في مواعيده [فيما وعد] ولا يفتحوا له، فأبوا وقالوا إن هو غدر | بنـا فمـاذا | يكـون هو إلا يقتـل كلنا على اسم المسي. ففتحوا لـه باب المدينة ودخل، فلتقـاه رؤساء المدينـة والحارث معهم، فسلموا عليه تسليما بسجـود على الأرض، فأمر أن يجتمعون بأجمعهم.وكان أول ما بدأ بهم من الصنيع أنه أمر أن يستصفا]يصادر[مالهم، وسأل عن أسقفهم بولس، فقالوا له أنه قد توفي منذ سنتين، فلم يصدق الملعون حتى أرسل فنبش عظام القديس وأمر أن تحرق بالنار وتُذر في الريح.

٦- ثم أنه أمر جميع اصحابه أن يجمعون حطبا كثيرا ويصنعون به نارا عظيم، فبلغ عظـم مـا صنعوا من النار غلوة سهم. ثم أمر أن يُربط جميع من قدروا عليه من الكهنة وغـير ذلـك ويُلقوا في النار | وأراد بذلـك أن يفزعهم؛ فاستبقى أربـع مائة نفس وسبع وعشرين، وأمر أن يُقيد الحارث ومن معه بالحديد وكل أشراف المدينة والرؤساء...

ب. ظروف تدويل أحداث نجران :-

٢٥- وكـان الكافر قد كتب إلى فرعون الثاني، أعنـي ملك فارس، يسأله أن يقتل كل نصـراني في أرضه مثلمـا صنع هو. وذكر في كتابه إليه أن الشمس أرض وأنا الشمس وأنا إلـه اليهـود. وكتب أيضا إلى من كان على العرب من تحـت يد صاحب الفرس، وبعث إليه رسـل تعلمـه صنيعه بالنصارى وسأله أن يصنع بهم كذلـك على أن يدفع اليه ثلاثة [؟] ألـف دينار على أن يقتل كل نصـراني في جميع سلطانه. وكان من صنيع الله، ملك الدنيا والآخرة، أنه جعل في قلب المبارك المؤمن يسطيانوس ملك الروم أن يبعث ابراهيم العابد حبيـب الله، وكـان قسيسًـا ، الى الـذي | كان على العـرب من حزب الفرسـ، فإذا كتاب عـدو الله يُقرأ وابراهيم العابد القسيس رسول ملـك الروم يسمع ورسول صاحب الفرس حاضـر وكل رسل أهل العراق من النصارى الارتذكسيين [الأرثوذوكس] ويحنس الكاهن ابـن تومس وزيدان وايوب رسل النصارى هناك | وأقبل أسقف من العراق نسطوري يُقال لـه شيلا ومعه نحو من خمسين رجل، فأرادوا[أن] يجادلوا من كان هناك من النصارى الارتذكسيين، فأراد النسطوريون بذلك أن يرضوا الحنفا[ء] واليهود. وكان النسطوريون يطلبون إلى السلطان أن يعين صاحب سبأ ملك اليهود ويتبع في ذلك رضاه وهواه.

٢٧- فلمـا أن فرغ عبـاد اللّه، ابراهيـم وأصحابه، من حوائجهـم التي كانت عند النعمـان بن منذر صاحب العرب، أخذوا جواب كتبهم وانصرفوا، واخبروا يوسطايوس ملـك الـروم محب المسيـح بكل شيء كـان من أمر اليهـودي وكتبه وأمـر النسطوريين، فاشتـد ذلك علـى الملك جد؛ فكتب الى طيموثاوس بطـرك الاسكندرية يأمره أن يكتب إلى الاسباسـ | ملـك الحبشة النجاشـي يسأله أن يخرج إليـه بجيوشه فيهلك الخبيث ملـك سبأ اليهـودي وكل ملكه. وكتب أيضا يوسطيانوس ملك الـروم إلى الاسباس ملك الحبشـة يقول في كتابه: قد عرفت يا أخي ضمير نيتك الصادقة وحسن دينك الحقيقي الحسـن وقد بلغني أن المنافق الذي على سبأ أمكنتـه فترة فقتل كل نصراني خلفته بها مـن الحبشة والروم والفرس من أجل أنهم لم يكفـرون بالمسيح، وأنه قد أخرب نجران المدينـة الصالحة وقتل مـن قدر عليه من أهلها وقد بلغني أنه قـد كتب إلى ملك فارس وإلى النعمـان بن المنـذر صاحب العرب يطلب إليهما أن يفعـلان ما فعل هو بالنصارى | الذيـن تحـت أيديهم في ملكهم، وأنا اسلك بحق الـرب... والإله الواحد القوي إلا ما خرجت بعون اللّه وملائكته القديسين وبنصر رؤوس الملائكة إما في بر واما في بحر إلى الخبيـث المنافق حتى تهلكه عن جديد الأرض. واعلـم يا أخي إن أنت تكاسلت عن ذلك أن اللّه مـن السمـاء سايرجـز [؟] عليك وعلى ملكك، فإن لم تخـرج أنت فلا بد لي أنا مـن الخروج بالأمم الذين يُقال لهم فنطوس وبربقيسين ؛قوم إذا مروا بأرضك أخربوا جيوشك وكل الأرض التي يطأوها، فلتخف أن أهلك الأرض قبل أن أصل [إلى] الخبيث، لأن طريقي في بلادك إليه، ثم أبيده إن شاء اللّه مع كل ملكه بعون من اللّه.

٢٨- واصنـع بـه بعون اللّه كما صنـع بفرعون | لأنه أراد زعـم في كتابه إلى الملوك هلاك النصارى. ففي ابرلس [أبريل] شهر الروم جمع بطرك الإسكندرية كل نصاراها وكل رهبـان البريـة في كنيسة مـاري مرقس البشير، فصلوا كلهـم وسهروا ليلتهم حتى أصبحوا، ثم صُنع قربان، وتقرب جميع الناس، ودعوا إلى اللّه أن يقبل منهم ما اجتمعوا [علـى أن] يسألوه إيـاه. ثم اخذ البطريرك بقية القربان وجعله في أنية من فضة وبعث بـه مـع إنسان مـن الكهنة الى الاسباسـ | النجاشي ملك الحبشة محـب المسيح، وبعث إليـه يعظه بكلام حسن ويأمره أن يغزو المنافـق الخبيث كما فعل ساموئيل بشاوول الملك حـين بعثه الى عماليق وأمر أن | يلعنه ويلعن ملكه ويلعن أرضه ويحرقها بالنار كما أمر ساموئيل شاوول أيضًا أن يفعل بعماليق.

٢٩- فلمـا ذهـب الرسل إليه وجـدوا الاسباس ملـك الحبشة حبيـب اللّه قد تهيأ للخـروج إليـه من قبل أن يأتيه كتـاب من أحد، وكان قد جمع مائـة ألف وعشرين ألف مقاتلـة لمـا أراد غزو اليهودي الملعـون. وكانا رجلين قد سارا إلى ملـك الحبشة من أهل

نجـران أحدهما ابن الحارث القديس والأخـر نسيب له يُسمى خيار بن فيض، فأخبراه بكل ما كان صنع بأهل نجران. وكان من توفيق الله أنه دخل إلى أرض الحبشة سفن من مراكـب الروم مـن القلزم عشرين سفينة، ومن راية خمسة، ومن أيلة اثنا عشر والبقية مـن الفرس والهنـد وجزيرة فاسان [فرسان]، تمام سبعين سفينـة. وكانوا في مرسا | يُقـال له عبرا مـن كورة دولين المدينة، فأمـر الملك أن يرفع سفنهم حتـى أصلح لنفسه سبعـين أخر ومائة من الصغـار. ثم أنه بعث إلى البرية شرقي أرض سبا خمسة عشر ألـف مقاتـل سودان، وأمرهـم أن يستعدوا في مكان من أرض سبـأ حتى إذا قدم ولاقى العـدو في البحر كانوا هم من شرقيـه؛ فسار السودان خمسة عشر مرحلة لم يجدون ما يشربون سبعـة أيام فماتوا عـن آخرهم في الطريق، ولم يستطع أحـد منهم [أن] يبلغ حيث أرسل ولا يرجع من حيث خرج.

٣٠- فبعـد العنصـرة عبـأ ألاسباس الملـك جيوشه حـين أراد الخـروج وأعرض المقاتلة وأعطاهم عطاءهم، ثم أتى إلى الكنيسة التي يقبروا فيها الملوك ملوك الحبشة وأساقفهـم، فقـام في الاسطوان الذي | قدام [أمام] الكنيسـة فخلع ثيابه وشكل ملكه الحسـن كلـه وما كان للملوك من عادة أن يتجملوا به، ثم لبس ثياب دون ودخل الكنيسة فتعلق بقرون المذبح، واشخص بصره إلى السماء | وصلى ودعا وقال:...

ج. الحملة الحبشية الثانية على نجران:-

٣١- ثـم أخرج رجال سوا [؟] العسكر من مدينته عدتهم ثلاثة عشر ألف مقاتل، ثـم سـار بالعساكر. ثم إنه سمـع براهب صالح قديس لله من المختاريـن فانطلق إليه وأخـذ معه نفر مـن أصحابه، [و] بدل شـكل ملكه. وكان الراهـب حبيسا | في صومعة صغـيرة طولهـا خمسة أذرع وعرضها ذراعـين وليس فيها باب ولا كـوة إلا حجر صغير في أسفلهـا. وكـان قائما على رجليه منذ خمسة وأربعين سنة، ولم يكن أحد يراه ولا هو يـرى أحد. فقال له الملك: من ذلك الحجر يا أبونا صلي علينا ليحفظنا الله في طريقنا ويعيننـا على ما استعناه عليه.قال له الراهب: الرب معك الذي يملك الملوك، ولكن انزع الغشـ لكـي يترع منك. فقال الملك: ومن نحن يا أبونا، فقـال له الراهب : لا تعود تسلي [تسألني] شيئا. وكان الملك قد أراد أن يعطيه ستة أقرصة [أقراص] من بخور، وكان قد جعل في كل قرص منها عشرة دنار[دنانير]. حينئذ علم الملك أنه إنما أعنا [يقصد] بالعشرة الدنانير. ثم قال له الملك أيضا | : صلي علينا يا أبونا، فقال له الراهب: صلاة طيموثاسـ رأس كهنـة الاسكندرية ودموع يوسطين |ملك الروم وذبـح الشهداء الطيبة [الطيبين] الذين ذُبحوا بنجران وصعدت ذكاوة ذبحهم على مدح الله في السماء تقوم لـك ويعينـك الله وينصرك وتنال بذاك عدوك ويـرد الله كنائسه ويفرحك ويردك إلى

كرسيـك فرحان مسرور، فلما صلى عليه الراهب رجـع الملك إلى مكانه وأمر الناس أن يتزودوا لعشرين ليلة.

٣٢- وبلغـه حينئذ أن الخمسة عشر ألف [من] السودان المقاتلة الذين كان بعثهم في البر قد هلكوا كلهم عطش، فعلم أنه لا يستطيع [أن] يقاتل في البر، فخرج في البحر في السفـن متوكـلا على ربه. فحين بلغ | ذلك اليهودي الملعـون احتال [الأخير] فصنع سلسلة من حديد عظيمة فيها خمسين عروة،وزن كل عروة مائتي وثمانون رطلا بالكبير، وجعـل في كل تلك العرى خشب من نخل الـدوم وهو المقل، ثم أمر أن تصير السلسلة في مكان من البحر يُقال له المضيق بين أرض الحبشة وأرض سبأ، فأصلحها في ذلك المكان من الجزيرة إلى الجزيرة، وألزق [ألصق] السلسلة بالعرى، سقاها الرصاص الكثير، وكانـت خشب الدوم حيـث تكون كثرة الماء تحمـل السلسلة، وكان عرضـ ثلاثة اميال؛ فأقبل عدو الله بجيوشه إلى المكان الذي أوعده ألاسباس في البحر.

٣٣- فلما أن أتت السفن | لتجوز من المضيق منعتهم السلسلة، فأحب الله فارتفعت الأمـواج فـوق السلسلة حتى جـازت السفن فوقها ولم يصيبها شيئـا. ثم أن الله تبارك بمحبتـه أهاج في البحر موج شديـد، فلم تزل السلسلة تضطـرب حتى تقطعت فجازت بقيـة السفن حتى أرست كلها في ساحل أرض سبأ. ونفذت اثنا عشر سفينة حتى أرست بحـذو عسكـر المنافق، فكانت منه علـى خمسة عشر ميلا، فبعـث بحذوهم ثلاثين ألف مقاتل على خيلهم متسلحين ليس يُرى منهم إلا الحدق، وأمرهم أن يدخلوا بخيولهم في المـاء حـذو السفن حتى يبلغ الماء من قوائم الخيل إلى الركـب | وردت الريح والموج تلك السفن إلى وراها قدر ثلاثة أميال وهي الستين السفينة التي كان فيها الملك | ورابطته.

٣٤- فبعـد ثلاثـة أيـام أقبلت سفينة أخرى حتـى لاصقت بعسكر العـدو على قدر ثلاثـة أميال، ومكث ملك الحبشـة في تلك الستين سفينة في مكـان أخر، فظن الخبيث أن ملـك الحبشة في الستين سفينة، فأخذ جيوشـه وانطلق حذوها، وأقبلت السفن كلها حتـى أرست، وبعث إلى السفن الاثنا عشر مقاتلة أيضا، فكان عند كل مجمع سفن خيل رابضـة واقفة في البحر إلى الركب. وكان العطشـ والجوع قد أذى من في السفن، وكان مـن في الـبر قد أذاه الحر النهار أجمع. ولكن الملعون احتـال وأمر فصنع مظال وجُعلت علـى الرماح وكانت الإبل تحملهـا وتظلل الخيل، فلما رأى ذلك الذيـن كانوا في السفن خبثت أنفسهم وقالوا هذا | قد سُحرت له الجمال وهي تمشي، فتخوفوا أن يخرجوا من السفن إلى الساحل. وبعث ملك سبأ أنساب له في عشرين ألف من الخيل والجيوش إلى المراكـب التي كانت منفردة التي فيها ملك الحبشة. وظن خصي له أن نسيب الملك إنما

ذهـب يعرض الخيل فاتبعه وأخذ معه خمسة جامات فضة مفصصة بالياقوت والزمرد حملهـم معه بغلفهـم حتى بلغوا حذو السفـن، فوجدوا القوم مستعديـن، فأوقف نسيب الملك الخيل حوله في الماء بحذو السفن كمثل الاخر.

٣٥- ثـم انطلق هو وخصيه وثلاثة من غلمانه إلى بطـن الخيل الذي بينهما،وكان غلمان ملك الحبشة قد خرجوا على رمك لهم إلى البر من الجوع والعطش يلتمسون شيئا | يأكلـوه، فـإذا هم بنسيب ملك سبأ، فأخذوه وقتلوا أصحابه ومن كان معه وحملوه على مركبهم حتى أدخلوه إلى الملك ألاسباس في السفينة. فسايله [؟] حينئذ الملك ألاسباس عن ما أحب وأراد، ونذر الملك الخمس جامات لله. ونزل حينئذ الملك إلى البواصي ومن معـه، وخرجوا إلى ساحل البر على الشـط [الشاطئ] ونزلوا، وكان الماء منهم بقدر ما يقوموا فيه، ونزلوا من البواصي | إلى الماء والخيل بحذوهم، فتوافقوا القوم فنصر الله عبـده ألاسباس ملـك الحبشة على الكفار أعدا ءالله فقتلهم حتـى لم يبقى منهم أحد، فبلـغ ذلك ملك سبأ وهـو بحذو السفن الأخـرى. ثم إن ألاسباس أخـذ نسيب اليهودي مربوطـا مقموطا فذهب في طريق أخر حتى جاءوا إلى مدينة الملك واستوخذ [أخذها] عليهـا وأخذوا نسباء الملك، وكان نسيب الملك يدله على كل شيء، حتى أخذ كل اموالهم وقتل كل يهودي قدر عليه.

٣٦- فأما من كان في السفن مرابطين (أمام) الخبيث (فقد) أصابهم جوع شديد وعطش فمات منهم خمسمائة رجل، ولم يكونوا علموا (يعلمون) ماذا فعل ملكهم بعد، فتشاور عند ذلك رؤساءهم فيما بينهم وقالوا أما نحن فلا نستطيع أن نرجع إلى بلادنا أبـدا وقـد أضر بنا هاهنا الجوع والعطش ولا ندري ماذا فعل ملكنا فإياكم أن نموت من الجـوع والعطش فنجعل النصرانيـة ضحكة وحديث لليهود الملاعـين ولكن تعالوا ندعو ونستغيـث إلى ربنا ليعيننا في القتل وينصرنا على هذا العدو الخبيث. ثم إنهم جمعوا | سفنهم وألزقوا (ولاصقوا) بعضها إلى بعض، وربطوهن ووصلوهن بالحبال والصواري والأجـذاف (المجاديف) وبكل عـود طويل حتى صاروا مثل مدينة، ولم يكن مركب واحد يتحـرك، وظللوهن بالقلوع ثم أتـوا بالبواصي(القوارب) الصغـار فألزقوا بعضها إلى بعض وصفوهن صفا حتى جعلوهن مثل الحيط (الحائط)، وتقدموا حتى لم يكون بينهم وبين العدو إلا كغلوة (رمية) سهم، ثم دعوا إلى الله ربهم الرحوم ويسوع المسيح، وعملوا قداسات وتقربوا القربان ثم نزلوا في البواصي مستعجلين، وكان النوتية (البحارة) بين أيديهـم يرفعـون السناديل(؟) والقلـوع تسترهم من العدو، حتـى إذا عُريت السناديل

والدوابيج (الدوابي)[١] وكانت بين الحبشة وبين المنافقين.

٣٧- وكان عدو الله المنافق قد سمع قبل ذلك بيوم | بأن ملك الحبشة قد دخل مدينته وحاز الأهل والأموال فتخوف أن يجير أصحابه وأنسابه فيسلمونه، وكان معه سبع رهط | من أنسابه مع صاحب الحبشة مربطين في أعناقهم أغلة حديد، وكان صاحب سبأ قاعد على سريره وأصحابه على سبع كراسي، وكانت المقاتلة تبعث السناديل بالرماح والسيوف من ناحية الحبشة من الناحية التي مما يلى البحر قد ضُيق عليهم في الماء فبكوا وصاحوا إلى الله بقوة بالألسن وتضرعوا واستغاثوا، فإذا الصياح من الشرق قد أجابهم بعسكر الملك ملك الحبشة في عسكره قد حط على ملك اليهود وقبض عليه فالتقيا صوتي العسكرين | من الشرق والغرب، وأظل الله الحبشة من فوق بسحاب عليهم سترهم، فلما رأى ذلك أعداء الله انهزموا وفروا، وأعطى الله أمته الحبشة الظفر والنصر ،ولم يزل الحبشة في طلبهم حتى انتهوا إلى رواق الملك فأخذوه وأنسابه مربطين بالسلاسل، فكان ذلك اليوم نصر من الله وقتلوا اليهود تحت كل حجر وحيط (حائط) وأرض. وأخذ ألاسباس اليهودي وأصحابه الذين كانوا معه على الكراسي، فبنى في مكانه مذبح وأنذر دماءهم لله فذبح الملعون وأقرباءه.

٣٨- وأخذ يره عساكره وانصرف إلى مدينة ملك اليهود فأحرقها بالنار حتى لم يدع فيها كلب ينبح ولا حمار ينهق | ولا ديك يصيح ولا شيء فيه نسمة إلا قتله فضلا عن سواهم، وأنذر كل شيء كان في بلاط الكافر الملعون لله فمن خلص من القتل من رؤساء سبأ واليمن وأشرافهم استغاثوا بالملك وتنصروا. حينئذ أخذ ألاسباس الملك فحفر في بلاط الملك بيده ستة أيام فأسس كنيسة لله، ثم بعث إلى بطرك الإسكندرية وإلى يوسطين الملك محب المسيح ملك الروم يعلمهم بنصر الله وعونه، فبعث إليه البطررك أسقفًا من قبله، كان عبد لله صالح، فصنعه الملك على أرض سبأ كلها، ثم أنه قدس تلك الكنائس وأعمد كل من قدروا عليه، وصنع في كل موضع قسيس وشماس. ثم انطلق ملك الحبشة هو وذاك الأسقف معه حتى | أتوا نجران فبناها وحصنها | وجدد كنائسه، وبنى في المكان الذي قُتل فيه الشهداء كنيسة وحصنها، وصنع ابن الحارث رأس البلد بنجران كما كان أبيه. ووهب الملك لكنيسة نجران ثلاثة مزارع وخمس مزارع من مال الحارث القديس كما كان أوصي من قبل أن يفعل. ثم انصرف الملك بفرح عظيم حتى أتى إلى مدينة سبأ وولى عليها ملك رجل نصرانيا اسمه ابراهيم كان رزين عاقل تقيا، وأعطاه

---

(١) هي شباك حديدية دائرية تستخدم لاصطياد سمك القاع تتكون من قاع و مدخل إذا دخلت منه السمكة من الصعوبة أن تخرج.

هو والأسقف عشرة ألف من المقاتلة رابطة (المرابطة) ثم انصرف إلى بلاده بفرح.))

***

سادسًا. ترجمة بعض النصوص اليونانية البيزنطية ذات الصلة :-

أ. كتاب "الحروب" لبروكوبيوس (القرن السادس الميلادي) اعتمادًا على الترجمة الإنجليزية:-

Prokopios, The Wars of Justinian, trans. H.B. Dewing and Anthony Kaldellis, Hackett Publishing Company, Indianapolis, Cambridge, 2014.

(*) **الكتاب الأول، الفصل التاسع عشر :-**

[١] في ذلك الوقت اعتنق الإمبراطور جستنيان فكرة تجنيد الأثيوبيين [الأحباش] والحميريين لإيذاء الفرس. سأشرح أولاً أي جزء من الأرض تحتله هذه الأمم، ثم كيف رجا الإمبراطور أن يفيدوا الرومان. [٢] تمتد حدود فلسطين باتجاه الشرق حتى البحر المسمى البحر الأحمر. [٣] يبدأ هذا البحر من الهند[١]، وينتهي عند هذه النقطة في مجال السيادة الرومانية. وهناك مدينة تسمى أيلة[٢] على شاطئه، حيث ينتهي البحر، كما قلت، ويصبح خليجًا ضيقًا. وعندما يبحر المرء عبر البحر، يجد الجبال المصرية على اليمين وتمتد باتجاه الجنوب. وعلى الجانب الآخر، منطقة مهجورة من قبل الرجال يمتد شمالا إلى مسافة غير محددة. والبر على كلا الجانبين مرئي حتى يبحر المرء إلى الجزيرة المسماة يوتاب Iotabe، التي تبعد عن أيلة مسافة لا تقل عن ألف ستاديون[٣]. [٤] وقد عاش العبرانيون منذ القدم على هذه الجزيرة في ظل حكم ذاتي، لكنهم أصبحوا خاضعين للرومان في عهد جستنيان هذا. [٥] ومن هناك يبدأ بحر مفتوح رائع. ولا يستطيع أولئك الذين يبحرون في هذا الجزء رؤية البر جهة اليمين، لكنهم دائمًا ما يرسون على طول الساحل الأيسر في الليل. [٦] لأنه من المستحيل الإبحار في هذا البحر في الظلام، حيث أنه مليء بالمياه الضحلة في كل مكان. [٧] ولكن هناك

---

(١) كان مسمى "الهند" يُطلق أيضًا على شرق أفريقيا، بما في ذلك القرن الأفريقي.

(٢) ربما جزيرة تيران عند مدخل خليج العقبة.

(٣) ستاديون στάδιον : وحدة قياس يونانية قديمة للأطوال والمسافات، كانت تعتمد على مقدار محيط الملاعب الرياضية في ذلك الوقت، ووفقا للمؤرخ اليوناني هيرودوت فإن قيمة الاستاديون الواحد تساوي ٦٠٠ قدم يوناني. وكان مقدار وحدة القدم اليوناني مختلف من مكان لأخر في الدولة اليونانية، ولذلك ظل طول الاستاديون محل خلاف وجدل.

Donald Engels, "The Length of Eratosthenes' Stade", American Journal of Philology 1061985) 3/), pp.298–311

العديـد من المرافئ التـي لم يتم تحدثها يد الإنسان ولكن من خـلال النحوت الطبيعية للأرض، ولهذا السبب ليس من الصعب على البحارة العثور على مرسى أينما كانوا.

وهـذا الساحل الواقع مباشرة مـا وراء حدود فلسطين يسيطر عليه السراقنة، [٨] الذين استقروا في مزارع النخيل. [٩] تقع هذه البساتين في الداخل، وتمتد على مساحة كبيرة من الأرض، ولا يوجد أي شيء آخر ينمو هناك باستثناء أشجار النخيل. [١٠] وقد تلقى الإمبراطور جستنيان بساتين النخيل هذه كهدية من أبو كارب Abu Karib، حاكم السراقنـة هنـاك، الذي عينه الإمبراطـور كزعيم قبلي على السراقنـة في فلسطين[1]. [١١] وقد حافظ أبو كاريب على الأرض من النهب دومًا، لأنه كان مصدرًا للخوف وبدا مفعمًـا بالحيوية الاستثنائيـة في أعين البرابرة الذين يحكمهـم، وبدرجة أكبر في أعين الأعـداء. [١٢] وبالتالي، كان الإمبراطور يحوز بساتـين النخيل رسميًا، ولكن [فعليًا] كـان من المستحيل تمامًا له أن يمتلك أي بلد هنـاك. [١٣] ولأنها أرض تخلو تمامًا من الوجود البشري ويعمها الجفاف بشكل كامل، وتمتد إلى مسافة رحلة عشرة أيام؛ علاوة علـى أن أشجار النخيل نفسهـا لا تساوي شيئًا، فإن أبو كاريب لم يقدم إلا هدية شكلية، وتقبلها الإمبراطور وهو يعرف الحقيقة تمامًا. [١٤] وبجوار هذا الشعب هناك سراقنة أخـرون يمتلكون الساحل، ويُطلق عليهم المعدنـوي [معد] وهم رعايا للحميريين. [١٥] يسكن هؤلاء الحميريون على الجانب الآخر منهم، على شاطئ البحر. ويُقال أن العديد من الأمم الأخرى تقطن ورائهم وصولاً إلى السراقنة من آكلي البشر. [١٦] ووراء هذه الأمم تقع الهند. إلا إنه بالنسبة لهذه الأمور، دع كل أمرىء يتحدث كيفما يشاء.

[١٧] وفي مواجهـة الحميريين، على البر الرئيسي المقابل، يقطن الإثيوبيون الذين يُطلـق عليهم الأكسوميـين Axumites،، لأن عاصمتهم الملكية هي مدينة أكسوم. [١٨] والبحـر الواقع بينهما يتم عبوره في رحلة تستغرق خمسة أيام وليال عندما تكون الرياح معتدلة. [١٩] حيث اعتادوا على الإبحار ليلاً أيضًا، إذ لا توجد مياه ضحلة على الإطلاق في هذه الأجزاء. وقد أطلق البعض على هذا البحر اسم البحر الأحمر. أما البحر الذي يجتـازه المرء بعد هذه النقطة حتـى الشاطئ ومدينة إيلة فيُسمى الخليج العربي، [٢٠] لأنهم اعتادوا قديمًا تسمية المنطقة الممتدة من هنا إلى حدود مدينة غزة بـ "شبه الجزيرة العربية" Arabia، حيث كان لملك العرب قديمًا قصر في مدينة البتراء[2]. [٢١] وميناء الحميريـين الذيـن اعتادوا الإبحار منـه إلى إثيوبيا يُسمى بوليكاسـ Boulikas، [٢٢]

---

(١) فيلارخوس العرب في فلسطين خلال الفترة (٥٢٨-٥٤٣م)، وكان شقيق الحارث بن جفنة حليف الرومان.

(٢) ملوك العرب الأنباط.

وعندما يعبرون، يرسـون دومًا في ميناء الأدوليتاي Adoulitai، رغم أن مدينة أدوليس Adoulis تبعد عن الميناء مسافة عشرين ستاديون (وهذا هو مدى بعدها عن البحر)، بينما تستغرق الرحلة من مدينة أكسوم اثني عشر يومًا.

[٢٣] وجميع القوارب الموجودة في الهند وفي هذا البحر ليست مصنوعة بنفس طريقة صنع السفن الأخرى. إذ لا يتم تلطيخها بالقار ولا بأي مادة أخرى، وفي الواقع لا يتم ربط الألواح ببعضها البعض بواسطة مسامير حديدية تمر من خلالها، لكنها موصولة ببعضها البعض بنوع من الحبال. [٢٤] والسبب ليس ما يعتقده معظم الناس بأن هناك صخورًا معينة تجذب الحديد إليها (انظر حقيقة أن السفن الرومانية التي تبحر من أيلة إلى هذا البحر لم يحدث لها من قبل شيء من هذا القبيل على الرغم من أنها مزودة بكمية كبيرة من الحديد). لكن السبب هو أن الهنود والإثيوبيين لا يمتلكون الحديد ولا أي شيء آخر مناسب لمثل هذه الأغراض. [٢٥] علاوة على ذلك، فهم غير قادرين على شراء أي من هذه الأشياء من الرومان، لأن هذا ممنوع صراحةً على الجميع بموجب القانون. [٢٦] فالموت هو عقاب أي شخص يتم القبض عليه]متلبسًا بذلك[. هذا إذن هو وصف ما يسمى بالبحر الأحمر والأرض التي تقع على جانبيه.

(*) الكتاب الأول، الفصل العشرون:-

[١] في زمن هذه الحرب، اكتشف هيلليستشيايوس Hellestheaeus [إيلا أصبحا]، ملك الإثيوبيين، الذي كانت مسيحيًا ومن أشد المؤمنين بعقيدته، أن الحميريين في البر المقابل يضطهدون المسيحيين هناك بشكل شائن. كان الكثير منهم يهودًا، وكان كثيرون يوقرون الإيمان القديم الذي يسميه الناس اليوم بالهللينية [الوثنية].[١] لذلك جمع أسطولًا من السفن وجيشًا وهاجمهم، وغلبهم في المعركة، وقتل الملك والعديد من الحميريين. ثم أقام مكانه ملكًا مسيحيًا، حميريًا بالميلاد اسمه إسيميفايوس Esimiphaios،[٢] وعاد إلى دياره بعد أن فرض عليه دفع جزية سنوية للأثيوبيين. [٢] في هذا الجيش الأثيوبي كان هناك العديد من العبيد وغيرهم ممن جُبلوا على ارتكاب الجريمة بسهولة، وكانوا غير راغبين على الإطلاق في العودة مع الملك؛ ولذا فقد تكهم، وظلوا هناك بسبب طمعهم في أرض الحميريين؛ لانها ارض غنية جدا.

(١) كانت مملكة حمير في ذلك الوقت مملكة يهودية. وكان إيلا أصبحى قد غزا حمير في السابق بين عامي ٥١٨ و ٥٢٢ وفرض المسيحية، وإن كان ذلك لفترة وجيزة. ردا على ذلك، قام الملك اليهودي في حمير، يوسف (المعروف بأسماء أخرى في الروايات المختلفة، على سبيل المثال، ذو نواس)، بالتحريض على اضطهاد المسيحيين في نجران عام ٥٢٣، وهو الاضطهاد الذي ذاع صيته على نطاق واسع. لدينا رواية معاصرة تقريبًا، استشهاد أريثاس، من المحتمل أن تكون مترجمة من أصل سرياني. أدت هذه الأحداث إلى ظهور ملف محير من النصوص التي تتراوح موثوقيتها إلى حد كبير. يبدو أن الإمبراطور جستين قد ساعد في الفتح الإثيوبي لحمير عام ٥٢٥م.

(٢) السُميفع أشوع.

[٣] وبعد ذلك بوقت قصير، انتفضت وحدات الجيش هذه مع بعض الوحدات الأخرى ضد الملك إسيميفايوس، وسجنوه في أحد الحصون هناك، وأقاموا ملكا آخر على الحميريين، اسمه أبراموس(١). [٤] كان أبراموس هذا مسيحيًا، وكان عبدًا لشخص روماني يقيم في مدينة أدوليس في إثيوبيا ويعمل في البحر. [٥] وعندما علم هيلليسثيايوس بذلك، كان حريصًا على معاقبة أبراموس مع أولئك الذين ثاروا معه لما فعلوه بإسيميفايوس، وأرسل ضدهم جيشًا من ثلاثة آلاف رجل بقيادة أحد أقاربه. [٦] لكن هذا الجيش لم يشأ أيضًا العودة إلى الديار ورغب [جنوده] في البقاء هناك في تلك الأرض الطيبة؛ لذلك فتحوا مفاوضات مع أبراموس دون علم قائدهم. وبمجرد نشوب المعركة، بدلا من الاشتباك مع عدوهم، قتلوا قائدهم وانضموا إلى صفوفه، ومكثوا هناك. [٧] وثار غضب هيلليسثيايوس، وأرسل جيشًا آخر ضدهم. واشتبكت هذه القوة مع أبراموس ورجاله، إلا إنها سرعان ما عادت إلى الديار بعد تعرضها لهزيمة قاسية في المعركة. وبعدئذ تملك الخوف ملك الإثيوبيين؛ فلم يرسل المزيد من الحملات ضد أبراموس. [٨] وبعد وفاة هيلليسثيايوس، وافق أبراموس على دفع الإتاوة إلى ملك الإثيوبيين الذي خلفه، وبهذه الطريقة عزز حكمه. لكن هذا الأمر حدث في وقت لاحق.

[٩] في الوقت الذي كان هيلليسثيايوس يحكم الإثيوبيين وفإسيميفايوس يحكم الحميريين، أرسل الإمبراطور جستنيان مبعوثا، هو يوليانوس Ioulianos، يطالبهما بالانضمام إلى الرومان في الحرب ضد الفرس بحكم تماثلهم الديني. وبهذه الطريقة، فإن الإثيوبيين، بشراء الحرير من الهند وبيعه للرومان، سيدرون لأنفسهم الكثير من المال بينما يتسببون في ربح الرومان من جانب واحد فقط، وهو أنهم [الرومان] لن يضطروا بعد الآن لدفع أموالهم إلى عدوهم [الفرس]. (وهذا هو الحرير الذي اعتادوا أن يصنعوا منه الملابس التي أطلق عليها الإغريق القدماء "الميدي" Mede ولكنهم يسمونها اليوم "السيراكي" Seric.(٢) أما بالنسبة للحميريين، فقد كان عليهم أن ينصبوا اللاجيء قيسوس Kaisos [قيس] كزعيم قبلي على المعدنوي Maddenoi [معد]، ويغزون، مع جيش كبير من شعبهم ومن السراقنة المعدنوي، أرض الفرس. [١٠] وينحدر قيسوس من عائلة من زعماء القبائل وكان محاربًا يتمتع بقدرات استثنائية، لكنه كان قد قتل أحد أقارب إسيميفايوس وهرب إلى أرض مقفرة(٣). [١١]

---

(١) أبرهة.

(٢) نسبة إلى Seres أي الصينيين.

(٣) من الصعب تحديد تاريخ علاقات قيس (كايسوس باليونانية) مع روما. تمت زيارته عدة مرات من قبل سفراء جستنيان، بما في ذلك نونوسوس Nonnosos، الذي كتب وصفًا مفصلًا لأسفاره إلى أكسوم (لا يزال يحكمها كالب) وإلى قيس خلال هذه السنوات (Bibliotheke ،Photios, cod.3). وفي النهاية، تم إقناع قيس بالذهاب إلى القسطنطينية عام ٥٣١م، وأخيرًا تم تكليفه بفلسطين وأتباعه القبليين السابقين.

ووعد الملك بوضع هذا المطلب موضع التنفيذ، وصرف السفير، لكن أي من الطرفين لم يفعل الأشياء التي تم الاتفاق عليها. [١٢] إذ كان من المستحيل على الإثيوبيين شراء الحرير من الهنود، لأن التجار الفرس دائمًا ما يرسون أولًا في ذات الموانئ التي تدخلها السفن الهندية (نظرًا لأنهم يسكنون إقليمًا مجاورًا)، ويقومون بشراء كامل البضائع. وبدا للحميريين أنه من الصعب دخول الصحراء الشاسعة التي يتطلب عبورها الكثير من الوقت، وذلك لمواجهة أناس أكثر ضراوة في الحرب. [١٣] وفي وقت لاحق أيضًا، عندما رسخ أبراموس سلطته، وعد الإمبراطور جستنيان مرات عديدة بغزو أرض بلاد فارس، لكنه خرج مرة واحدة فقط ثم سرعان ما عاد أدراجه[١]. وهكذا كانت علاقات الرومان مع الأثيوبيين والحميريين.))

ب. حولية يوحنا مالالاس (القرن السادس الميلادي) اعتمادًا على الترجمة الإنجليزية :-

The Chronicle of John Malalas, trans. E. Jeffreys, M. Jeffreys and R. Scott, [Byzantina Australiensia 4], Melbourne, Australian Association for Byzantine Studies, 1986.

(*) كتاب ١٨، فصل ٩ (السنة ٥٢٨م):

في هذا الوقت، كما ذكرت أعلاه، حكم جستنيان الأكثر قداسة الرومان في القسطنطينية؛ وكان Koades Darasthenos، ابن Perozes، إمبراطورًا للفرس؛... وحكم أنداس Andas، الذي أصبح مسيحياً، على الهنود الأكسوميين والحميريين، و...

(*) كتاب ١٨، فصل ١٥ (السنة ٥٢٨م):

في تلك السنة وقعت حرب بين الهنود، بين أولئك الذين يُطلق عليهم الأكسوميين Axoumitai والحميريين Homeritai. وكان سبب الحرب على النحو التالي:

كان (موقع) إمبراطور الأكسوميين في الداخل أكثر من الحميريين، في حين كان إمبراطور الحميريين بالقرب من مصر، وكان التجار الرومان يصلون إلى أكسوم Axoum والإمبراطوريات الهندية في الداخل عبر بلد الحميريين. ذلك لأن هناك سبع إمبراطوريات للهنود والأحباش –ثلاث للهنود وأربع للأحباش، وكانت الأخيرة قريبة من المحيط في مناطق أقصى الشرق. وحدث أن التجار دخلوا بلد الحميريين لأغراض تجارية، وعندما سمع إمبراطور الحميريين، ديمنوس Dimnos، بهذا

(١) يصعب تأريخ ذلك. وهناك نقش يسجل غزو قام به أبرهة في وسط الجزيرة العربية، لكن في عام ٥٥٢م، ولم يكن بروكوبيوس على علم به بعد.

قتلهـم وصادر جميـع بضائعهم. وزعـم أن المسيحيين الرومان يسيئـون معاملة اليهود في أراضيهـم، ويقتلون الكثـير منهم كل عام. لهذا السبب تم قطـع التجارة. وقد أرسل إمبراطور الأكسوميين لإمبراطور الحميريين قائلاً: "لقد أخطأت بقتل التجار الرومان المسيحيـين، وألحقت أضرارًا بإمبراطوريتي". ونتيجة لذلك ثارت عداوة كبيرة بينهما، وخاضـا الحرب ضد بعضهم البعض. وعندمـا كان إمبراطور الأكسوميين يتهيأ للقتال، نذر نذرًا، قائـلاً: "إذا هزمت ديمنوس إمبراطور الحميريين، سأصبح مسيحيًا، لأنني أقاتلـه نيابة عن المسيحيين". وانتصر إمبراطـور الأكسوميين وأسر ديمنوس، وقتله هو وجميع قواته، واستولى على أرضه وإمبراطوريته.

وبعـد النصر أرسل اثنين من رجـال السناتو ومعهم مائتي رجـل إلى الإسكندرية، يطلبون من الإمبراطور جستنيان أن يحصل على أسقف ورجال دين، وأن يعرف الأسرار المسيحية ويتعلمها وأن يتعمد، وأن يضع كل أرض الهند تحت (سلطة) الرومان. وعندما وصلـت كل هذه الأخبار إلى الإمبراطور جستنيان، عن طريق ليكينيوس Licinius والي الإسكندريـة augustalios، أصدر الإمبراطـور مرسومًا يقضي بمنحهم الأسقف الذي يرغبونـه. واختـار المبعوثـون الهنـود باراموناريوس paramonarios القديس يوحنا في الإسكندريـة، الرجـل التقي الزاهد المسمـى يوحنا، البالغ من العمـر ٦٢ عامًا. وقد أخذوا الأسقف ورجال الدين الذين اختارهم يوحنا بنفسه، وعادوا إلى أرض الهند إلى إمبراطورهم أنداس Andas.))

ج. "تاريـخ" ثيوفلاكـت سيموقاطا (القرن السـادس الميـلادي) اعتمـادًا على الترجمة الإنجليزية:-

The History of Theophylact Simocatta, trans. Michael and Mary Whitby, Oxford University Press, Oxford, New York, 1986.

(*) الكتاب الثالث، الفصل التاسع:

(٣) عندمـا انتقـل الإمبراطـور جستنيان إلى العـالم الآخر، بعـد إدارة [شئون] الصولجـان الرومـاني لمدة تسعـة وثلاثين عامًا، نجـح جوستين الصغـير في السيطرة علـى الأحداث[١]؛ كان هذا الرجـل في الواقع ابن أخ للإمبراطور جستنيان. **(٤)** وبناءً علـى ذلك، في السنـة السابعة من حكم جوستـين الصغير، خرق الرومـان[٢] المعاهدة

(١) عام ٥٦٥م.
(٢) عام ٥٧٢-٥٧٣م.

مـن خلال رعونة الملك؛ حُطّمت بركات السلام وأهلكـت؛ وحلت على الرومان والميديين [الفرسـ] الحـرب، وعاء الشـرور ونُزلها، إذا جـاز التعبير، لجميع المصائِر السيئة، والمدمـر النموذجـي للحياة... (٥) تم تدمـير اتفاقية الخمسين سنة التـي أبرمت بين الرومان والفرس ونقضها بسبب حماقة الملك الكبرى،... (٦) ألقى الرومان باللوم على البارثيـين [الفرس] وأعلنوا أنهم مهندسو الحـرب، مدعين أن الحميريين (ذوو العرق الهنـدي والخاضعون للرومان) قد حُرضوا [من جانب الفرس] على الثورة؛ وعندما لم يستسلم أولئك القوم لهذا التحريض، عانوا على نحو يتعذر وصفه من هجمات الفرس، حيث تم حل السلام بين الفرس والدولة الرومانية[1].))

د. حوليـة الراهـب ثيوفانيس المعترف (القرن التاسـع الميـلادي) اعتمادًا على الترجمة الإنجليزية :-

The Chronicle of Theophanes Confessor: Byzantine and Near Eastern History, AD 284 -813, trans. Cyril Mango and Roger Scott, Clarendon Press, Oxford, 1997.

(❋) السنة ٥٨١٦ من الخليقة (٣٢٣-٣٢٤م):

تم تنصير الهنـود الداخليين عندما وصل ميروبيوسـ Meropios، الفيلسوف من صـور، مـع تلاميـذه أيديسيوسـ Aidesios وفرومينتيوسـ Frumentius، إلى هنـاك لاستطلاع المنطقة وتنصيرهم. وقد عين أثناسيوس فرومينتيوس أول أسقف بينهم.

(❋) السنة ٦٠٠٩ من الخليقة (٥١٦-٥١٧م):

بـين الهنـود والفرس حصـن يسمـى Tzoundadeer، كـان كابادسـ Kabades حريصًـا علـى أخذه لأنه علم أن به الكثير من المـال والعديد من الأحجار الكريمة. لكن الشياطين، التي سكنت بالقرب منه، منعته من الاستيلاء عليه. وبعد أن جرب كل وسيلة يمكن أن يفكر فيها المجوس ومن بعدهم اليهود، لم ينجح بعد في هدفه، وتم إقناعه بأنه سيسيطـر عليـه من خلال صلاة المسيحيـين إلى الله. لذا قدم هـذا الطلب إلى أسقف مـن المسيحيين في بلاد فارس، الذي أقام قداسًا، ثم ذهب إلى المكان، وطرد الشياطين الموجوديـن هناك، وسلم الحصن بسهولـة إلى كابادسـ. ولأن كابادس اندهش بهذه المعجزة، فقد كرّم الأسقف بإعطائه مقام الصدارة الذي كان المانويون واليهود يشغلونه

---

(١) ورد في نص ثيوفلاكت اسم "الهوميريتيس" Homerites. ففي حوالي الفترة (٥٦٥-٥٧٥م) تم تنصيب مؤيد للفرس على العرش الحميري، وبعد ذلك تم فرض حاكم فارسي. أنظر الطبري

حتى ذلك الحين، ووفر الحصانة لأولئك الذين أرادوا أن يعتمدوا.

(*) السنة ٦٠٢١ من الخليقة (٥٢٨-٥٢٩م):

في نفس الفترة، اختلف دوق فلسطين مع فيلارخ السراقنة التابعين للرومان. ذهب الفيلارخ خائفًا إلى الليميس limes الداخلية. وعندما سمع ألموند اروس Alamoundaros بهذا، لاحقه وقبض عليه وقتله، وأخذ نساءه وأطفاله، وعاد. في هذا الوقت، عندئذ لاحقه أدواق فينيقيا وشبه الجزيرة العربية وبلاد ما بين النهرين، بالإضافة إلى الفيلارخ. وعندما سمع ألاموند اروس بهذا، هرب إلى الأراضي الهندية التي لم يطأها أي من الرومان في أي وقت مضى. واستولى الرومان على خيام السراقنة، وأسروا العديد من الرجال والنساء والأطفال، والعديد من الأسرى الرومان الذين وجدوهم، بالإضافة إلى الجمال والأغنام والثيران والكثير من الحرير والملابس. بالإضافة إلى حرق أربعة حصون فارسية، ثم عادوا بعد انتصار كبير.

(*) السنة ٦٠٣٥ من الخليقة (٥٤٢-٥٤٣م):

في هذا العام[1] جاء قاتل هنود أوكسوم...[2] اليهود للسبب التالي. يقطن إمبراطور الأكسوميين Auxoumites في أقصى الداخل بالنسبة لمصر... وكان التجار الرومان يسافرون عبر [الأراضي] الحميرية إلى أراضي أكسوم والمناطق الداخلية للهنود والأحباش. وعندما عبر بعض التجار الحدود الحميرية، كالمعتاد، قتلهم داميانوس Damianos[3]، إمبراطور الحميريين، وأخذ كل بضائعهم، قائلاً: "إن الرومان يسيئون إلى اليهود في بلادهم ويقتلونهم". ونتيجة لذلك، توقفت تجارة الهنود الداخليين لمنطقة أكسوم. وأعلن إمبراطور الأكسوميين، أداد Adad[4]، استياءه من الحميري، قائلاً: "لقد أضررت بإمبراطوريتي والهند الداخلية بمنع التجار الرومان من الوصول إلينا". ونشأت عداوة كبيرة واندلعت الحرب بينهما. وعندما كانوا على وشك بدء الحرب،

---

(١) ثمة مشكلة في التاريخ؛ فيوحنا مالالاس يسجل الحدث في عامي ٥٢٧-٥٢٨م أو ٥٢٨-٥٢٩م. ولابد أن الحدث كان قبل ذلك، حيث أن أسماء ملوك الحبشة في عهد جسنيان هي على التوالي Elesboas و Esimiphaios. ولأن إليسبواس كان على العرش منذ بداية عهد جستين، فإن هذا يقترح أن الحدث يعود إلى عهد زينون أو أناستاسيوس. أنظر:
Z. Rubin in French and Lightfoot, eds., *The Eastern Frontier of the Roman Empire*, 383 -420. Theod. Lect. 559, Hansen, 157. 15-16 حيث أن أناستاسيوس أرسل أسقفًا إلى الحميريين. ولابد أن الأكسوميين كانوا مسيحيين مع حلول عهد جستين.

(٢) ثمة ثغرة lacuna في النص يقترح الباحثون أنها "وإمبراطور الحميريين".

(٣) ديمنوس Dimnos عند مالالاس.

(٤) أنداس Andas عند مالالاس.

نـذر أداد، إمبراطـور الأكسوميين، قائـلاً: "إذا غزوتُ الحمـيري، فسأصبح مسيحيًا، لأنني أقاتل نيابة عن المسيحيين". وبعون الله، انتصر بقوة السلاح وأسر إمبراطورهم داميانوس حيًا، واستولى أيضًا علـى أرضه وقصره. شكر أداد، إمبراطور الأكسوميين، الله وأرسـل طلبًـا إلى الإمبراطـور جستنيان للحصـول على أسقف ورجـال دين، حتى يتلقـى الطقوس ليصير مسيحيًا. ابتهـج جستنيان بشدة بهذا الأمـر، وأمر بإعطائهم الأسقف الذي يرغبونه. واختار المبعوثون، بعد بحث شامل، يوحنا خادم القديس يوحنا في الإسكندرية، وهو رجل متدين ومتبتل وعمره ٦٢ سنة. وأخذوه معهم إلى وطنهم وإلى أداد إمبراطورهم، وهكذا أصبحوا مؤمنين بالمسيح وعُمدوا جميعًا".

(*) **السنة ٦٠٦٤ للخليقة (٥٧١-٥٧٢م):**

في نفس العام خرق الرومان والفرس الهدنة وتجددت الحرب الفارسية مرة أخرى لأن الهنـود الحميريين أرسلوا سفارة إلى الرومان، وأرسل الإمبراطور الماجيستريانوس magistrianus جوليان برسالـة إمبراطورية إلى أريثاس، إمبراطور الأحباش. [سافر جوليان] من الإسكندرية، عبر نهر النيل والبحر الهندي، واستقبله الإمبراطور أريثاس بسـرور كبير لأنـه كان يرغـب في صداقة الإمبراطـور الروماني. وقد وصـف جوليان، لـدى عودته، أنـه في حفل استقباله كـان الإمبراطور أريثاس عاريـة تقريبًا. فقط رداء مـن الكتان المطرز بالذهب من نطاقه إلى حقويه. ويرتـدي على بطنه أسورة من اللؤلؤ الثمـين. وخمسـة أساور على كل ذراع وخواتم ذهبية علـى يديه. وحول رأسه عمامة من الكتـان المطرز بالذهـب، مع أربع أشرطة معلقة من كل جانـب، وكان حول رقبته قلادة ذهبيـة. ويقـف على رأسـ أربعة أفيال مستقيمـة مثبت عليها طوق نـيرًا وأربع شارات، وفـوق ذلـك، شيء مثل عربة مهيبة مزينة بورق الذهب، مثـل عربات حكام المقاطعات. وقف فوق هذا يحمل درعًا مذهّبًا صغيرًا واثنين من الرماح الذهبية. كان جميع أعضاء السناتـو، وهـم مسلحـون، ينشدون علـى الأنغام الموسيقيـة. لذلك بعـد أن تم إحضار المبعوث الروماني وأظهر الطاعة، أمره الإمبراطور أن ينهض ويتقدم إليه. وبعد أن تلقى رسالـة الإمبراطور، قبل [أريثاس] الختم الذي يحمل صـورة الإمبراطور. وفرح كثيرا عندما تلقى الهدايا. وعندما قرأ الرسالة، اكتشف أنها تحتوي على [تعليمات] له بحمل السـلاح ضـد إمبراطور الفرس وتدمـير أرض الفرس القريبة منـه، وألا يكون لديه أي تعاملات مع الفرس في المستقبل، بل عليه مواصلة التجارة من أراضي الحميريين، التي يخضعهـا (لسلطته)، وعبر طـول النيل حتى الإسكندرية في مصـر. وجمع الإمبراطور أريثاسـ جيشـه على الفور أمـام أعين المبعوث الرومـاني وأعلن الحـرب ضد الفرس، مرسلًا مقدمًا هؤلاء السراقنة الذين يخدمون تحت قيادته. وسار هو بنفسه ضد الأرض

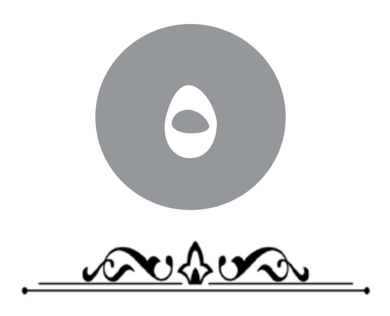
الفارسية ودمر كل ما كان هناك في تلك الأجزاء. لقد أمسك الإمبراطور أريثاس برأس جوليان، وأعطاه قبلة السلام وصرفه بترحاب كبير ومعه العديد من الهدايا.))

هـ. "مكتبة" البطريرك فوتيوس (القرن التاسع الميلادي) اعتمادًا على الترجمة الإنجليزية:-

The Library of Photius, trans. J.H. Freese, vol.1, Translations of Christian Literature, London, New York, 1920.

((إقــرأ تاريخ نونوسوس Nonnosus، الذي يحتــوي على وصف لسفارته للأثيوبيين، والحميريــين، والسراقنــة [العرب]، الذين كانوا آنــذاك أقوى أمة، وكذلــك إلى الشعوب الشرقية الأخرى. في هذا الوقت كان جستنيان إمبراطورًا للرومان، وكان قيسوس Caisus زعيمًا للعرب. كان قيسوس هذا حفيد أريثاس Arethas، وهو نفسه كان زعيمًا، أرسل جد نونوسوس مبعوثًا، في عهــد أناستاسيوس Anastasius، لإبرام معاهــدة سلام. كان والد نونوسوس أبراميس قد أرسل بنفس الطريقة في سفارة إلى ألاموندروس Alamundarus، زعيــم العــرب، في عهد جوستــين، ونجح في إطلاق ســراح تيموستراتوســ Timostratus ويوحنا، وهما قائدان رومانيان كانا أسرى حرب. كان قيسوس، الذي أرسل إليه نونوسوس، زعيمًــا لاثنــين من أكــثر قبائــل السراقنة شهــرة، وهمــا الكنديــون *Chindeni* والمعديون *Maadeni*. وقبــل أن يصبح نونوسوس مبعوثًا، أرســل جستنيان والده إلى قيسوس نفسه، وأبــرم معاهدة ســلام، بشرط أن يؤخذ ابن قيسوس مافياســ Mavias كرهينة لبيزنطة. بعــد ذلــك، تم تكليف نونوسوســ بمهمة ثلاثيــة: إلى قيسوس، لحثه إن أمكــن على زيارة الإمبراطور، وإلى إليسباس Elesbaas، ملك الأكسوميين *Axumites*، وإلى الحميريين... ونجح نونوسوس في إنجاز مهمته بنجاح، وعاد بأمان إلى الديار، على الرغم من الهجمات الغادرة لرجال القبائل، وخطر الوحوش البرية، والعديد من صعوبات ومخاطر الرحلة.

... خــلال رحلته من فرسان Pharsan وعند وصوله إلى آخر الجزر، كان لنوسوس تجربة رائعة. لقد رأى هناك كائنات ذات شكل وهيئة بشرية، قصيرة جدًا، ذات بشرة سوداء، أجسادهم مغطاة بالكامل بالشعر. كان الرجال برفقة نساء بنفس الهيئة، وكان الأولاد أقصــر. كانوا جميعًا عــراة، نساءً ورجالًا، باستثناء نطاق قصير من الجلد حول حقويه. لم يبدر منهم شيء وحشي أو همجي. كان كلامهم بشريًا، لكن لغتهم كانت غير مفهومــة حتى لجيرانهم، وأكثر من ذلك بالنسبــة إلى نونوسوس ورفاقه. إنهم يعيشون على المحار والأسماك الملقاة على الشاطئ. وفقًا لنونوسوس، كانوا جبناء جدًا، وعندما رأوه ورفاقه، انكمشوا منهم كما نفعل نحن من الوحوش البرية.))



الدراسـة الخامسة

نجران في سيرة القديس غريغنتيوس : أسقف ظفار ومؤلفه (قوانين الحميريين)

بقلم : أ.د. عبدالعزيز بن محمد رمضان



الدراسة الخامسة

نجران في سيرة القديس غريغنتيوس : أسقف ظفار ومؤلفه (قوانين الحميريين Νόμοι τῶν ῾Ομηριτῶν). بقلم أ. د. عبدالعزيز بن محمد رمضان [(١)]

أولا. مقدمة[(٢)] :-

كان القرن السادس مهما للغاية لوضع النصرانية في جنوب غرب الجزيرة العربية. ففي أوائل عقده الثاني، بالغ الملك الحميري اليهودي ذو نواس Dhu-Nuwas في اضطهاد الجماعات النصرانية في جميع أنحاء مملكته. واضطر النصارى إلى الاختيار بين التخلي عن إيمانهم والتحول لليهودية أو الموت. وتم محو كامل بنية الكنيسة الحميرية. ونالت نجران مكانة خاصة في هذا الاضطهاد؛ فهي مدينة مهمة في شمال الدولة الحميرية؛ كان قادتها وسائر سكانها تقريباً نصارى. وكان الحارث Arethas "أول الشهداء"، حيث كان أول من تم قطع رأسه من نبلاء نجران.[(٣)]

بعد هذه المذبحة مباشرة، أُبلغ الإمبراطور البيزنطي جستين Justin بالأحداث؛ ونظرًا لأنه كان من الصعب جدًا نقل الجيش البيزنطي إلى جنوب شبه الجزيرة العربية، فقد طلب جستين من ملك الحبشة، إليزابان Ellesbaan (إيلا أصبحى)،

(١) للمزيد عن سيرة الدكتور عبد العزيز انظر الدراسة الأولى في هذا الكتاب .

(٢) تعتمد هذه المقدمة على ترجمة بعض مما علق به كل من أثناسيوس باباثاسيو Athanasios Papathanassiou وجيانفرانكو فياكادوري Gianfranco Fiaccadori على النص. انظر:

A.N. Papathanassiou, “Christian Missions in Pre-Islamic South Arabia”, Theologia (Athēnai) 651994)1/), pp.133140-; G. Fiaccadori, “The Nomoi”, in: A. Berger (ed.), *Life and Works of Saint Gregentios, Archbishop of Taphar*, Belin & New York, 2006, pp.8291-.

(3) I. Shahid, *The Martyrs of Najran. New Documents,* Bruxelles 1971.

غزو جنوب الجزيرة العربية لحماية النصارى ومعاقبة المضطهدين. وقد نجح الملك الحبشي في ذلك، وبعد انتصاره نصب ملكًا نصرانيًا على المملكة الحميرية، وطلب من بطريرك الإسكندرية إرسال أسقف للكنائس المدشنة حديثًا في جنوب الجزيرة العربية. ورغم وجود إشكاليات حول هوية الملك الجديد لا يتسع المقام لمناقشتها هنا؛ فإن رواية القديس غريغنتيوس أشارت إليه تقليديا باسم إبراهام (أبرهة أو إبراهيم) Abraham، بوصفه أول ملك نصراني في جنوب الجزيرة العربية. أما بالنسبة للأسقف الجديد، فقد رفعته تقاليد الكنيسة إلى مصاف "الرسل"، وأشارت إليه على أنه القديس الأرثوذكسي غريغينتيوس Gregentius (١٩ نوفمبر)، وعدته الشخصية البارزة التي اضطلعت بمهمة كبرى، والتي اتجه البعض، في ظل هذه الظروف، إلى وصفها بأنها زراعة جديدة للنصرانية أكثر من كونها مجرد استعادة لها.[١]

ويحمل عمل غريغنتيوس التبشيري بعض الخصائص المهمة. سنحاول تقديم عرض عام لعمله، باستخدام نص رئيسي نُسب إلى غريغنتيوس نفسه، ويُعرف بـ "قوانين الحميريين" Νόμοι τῶν ῾Ομηριτῶν.[٢] وهذا النص، الذي ظهر على الأرجح في جنوب شبه الجزيرة العربية في الثلث الثاني من القرن السادس الميلادي، حولية أو مدونة تاريخية خاصة تصف تجربة غريغنتيوس التبشيرية.

لقد كانت هذه هي المرة الأولى التي يسود فيها النصارى الحميريون سياسياً ويشغلون العرش الحميري. ورغم أن الجماعات النصرانية كانت كائنة بالفعل في البلاد، إلا أن بزوغ واقع جديد، يتمثل في "الدولة الحميرية النصرانية"، تضمن –على حد قول جورج فلوروفيسكي Georges Florovsky– رؤية جديدة لخلق مجتمع نصراني بالكامل.[٣] وتجسدت هذه الرؤية –كما يشير أثناسيوس باباثاسيو A. Papathanassiou–[٤] في إجراءات عملية تبنتها "الدولة الحميرية

(١) عن الغزو الحبشي والإشكاليات المذكورة، انظر
V. Christides, “The Himyarite - Ethiopian War and the Ethiopian Occupation of South Arabia in the Acts of Gregentius (ca 530 AD)”, *Annales d’Ethiopie* 9 (1972), 115-146; Shahid, “Byzantium in South Arabia”, *Dumbarton Oaks Papers* 33 (1979), 2494-. See also S. Apostolopoulou, “Die byzantinische Aussenpolitik, wie sie sich uns im Martyrium des Heiligen Arethas und seiner Begleiter darstellt”, *Theologia* 63 (1992), 286293-.

(2) Gregentius, *Homeritarum Leges*, Patrologia Graeca 86, 563620-.

(3) G. Florovsky, *Christianity and Culture* (Collected Works, II), Nordland, BeJmond 1974, 67100-.

(4) A.N. Papathanassiou, "Christian Missions in Pre-Islamic South Arabia", pp.138140-.

النصرانية" لتنصير البلد بأسره، يمكن إيجازها في ثلاث خطوات متتالية:

١. تم تنصير الحميريين (غير النصارى) على عجل، إما عن طريق تهديد الوثنيين بالقتل أو بعد الحوار الديني مع اليهود. لذلك، أصبحت غالبية السكان فجأة من المتنصرين حديثا، لكن دون أن يمروا بفترة ما قبل التعميد المعروفة باسم "كاتيكومابين" catechumens. وقد تم حل هذه المشكلة من خلال الخطوات التالية:-

٢. تم تقسيم الإقليم بأكمله إلى أقسام إدارية صغيرة تسمى "المناطق" أو "المجاورات" γειτονίαι. بحيث أمكن تسهيل الإشراف على توجيه الحياة اليومية للحميريين الذين تم تنصيرهم حديثًا.

٣. صدرت مدونة قانون جديدة. تنسب الرواية الكنسية تأليفها إلى غريغنتيوس نفسه. وكان أحد أهدافها الرئيسية هو توجيه (تعليم عملي) المتنصرين نحو واجباتهم الجديدة وإدارة حياتهم وفقًا لمتطلبات إيمانهم الجديد.

وإلى جانب ذلك -كما يشير أثناسيوس باباثناسيو[١]- كان للقوانين الجديدة غرض آخر. إذ كانت الأداة الرئيسية لإضفاء الطابع النصراني على البنى الاجتماعية، وذلك للتخلص من جميع التناقضات بين الحياة الاجتماعية والشخصية لغرس الروح النصرانية الجديدة في كل جانب من جوانب الحياة، وقد اتبعت المواد الثلاث والستين من القوانين ثلاثة أهداف فرعية، تجسد في الواقع مجموعة كبيرة ومتنوعة من القضايا القانونية:-

١. ضبط الحياة الشخصية والعائلية. على سبيل المثال، تم حظر الزنا والبغاء، وإذا تم ارتكابها، كانت العقوبة بالغة القسوة. من ناحية أخرى، تم حماية النساء من سوء معاملة الرجال.

٢. حماية الضعفاء والفقراء. حيث أظهرت "الدولة الحميرية النصرانية" نفسها كانعكاس لعدالة المملكة السماوية على جزء خاص من الأرض.

٣. إضفاء الطابع الإنساني على سلطة الدولة. وهذا يعني أن سلطة النبلاء وموظفي الدولة صارت مقيدة وتحت الرقابة.

بالنظر إلى هذه الأهداف الفرعية للقوانين، فإن تحليل مفصل للقوانين يقودنا إلى تصور أن وظيفتها كانت ذات شقين: فمن ناحية سعت إلى فرض مبادئ النصرانية على الحياة الاجتماعية؛ ومن ناحية أخرى، كانت أحكامها الإيجابية والقاسية (الموجهة

(1) A.N. Papathanassiou, “Christian Missions in Pre-Islamic South Arabia”, p.140.

لصالح العدالة الاجتماعية، وما إلى ذلك) ، في أعين المتنصرين الجدد أو غير المتنصرين المترددين، الدليل الملموس على أن النصرانية صارت جوهرًا لحياة المجتمع الجنوبي.

لقد جذبت ما يُسمى بـ "قوانين الحميريين" *BHG 706h* انتباه الباحثين منذ فترة طويلة[١] ، واعتبرت جزئيًا بمثابة تجميع أصيل لقوانين من جنوب شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام[٢] .

ولا تغطــي قوانين الحميريين جميع مجالات الحياة العامــة، وإنما تغفل أمور كبرى ومهمــة. فقانون التعاقب في السلطــة، على سبيل المثال، الذي يلعب مثل هذا الدور المهم في مجموعــات قانونية أخــرى، تم التطرق إليه في فقرة قصيرة فقــط[٣] . ومن الواضح أن "قوانــين الحميريين" تستهدف المجتمع الحضري في العاصمة نجران، حيث لا يلعب سكــان الريــف أي دور مهم. ويبــدو في تقسيم المدينــة إلى مناطق، فضلًا عــن إدارتها وضرائبهــا ، أنــه نُظــم بالكامل على غــرار نموذج بيزنطــة[٤] . ومن ناحيــة أخرى، ثمة اهتمام كبــير بالقوانين المتعلقة بالأخلاق والزواج، بحيــث تم وضع عقوبات قاسية على انتهاكهــا ، غالبًا عن طريــق التشويه الجسدي. وفي هذه العقوبــات تم تسطيح تعريفات الجنــح والجنايــات، فضلا عن تغافل مبدأ الظرف المخفف؛ علــى سبيل المثال، لا يوجد فــرق بين القتل العمد والقتل غير العمد، أو بين السرقة البسيطة والسطو المسلح. كما لا توجد تدابــير خاصة بمسائل التعويض المالي الواجــب اتباعها في هذه الجرائم[٥] . وفي

---

(1) A.Berger (ed.), *Life and Works of Saint Gregentios,* pp.159160-.

(٢) عــن تعليق عام يقارن بين "قوانين الحميريين" والنصوص القانونية الأخرى من الفترة الرومانية المتأخرة والبيزنطية، انظر:

E.Patlagean, *Les Lois de St. Grigentius (BHG 706h-i), couramment appellees Lois des Himyarites. Édition, traduction, commen-ﺽaire, Paris, École pratique des Hautes Études,* 1965, pp.2172-; A.Papathanassiou, *Οι "Νόμοι των Ομηριτῶν"*, Athens & Komotene, 1994; V. Christides, "Martyrdom of Arethas and the Aftermath: History vs. Hagiography", in: *Proceedings of the Sixth International Congress of Graeco-Oriental and African Studies, 30 April- 5May 1996*, ed. V. Christides && Th. Papadopoullos, Nicosia, 2000 = *Graeco-Arabica* 78-, 19992000-, pp.5191-, esp.74.

(٣) يفسر باباثناسيو هذا الإغفال بما افترضه من الصبغة التنصيرية للقوانين.

Papathanassiou, Οι Νόμοι, pp.213222-, 289292-.

(4) N.Pigulewskaja, *Byzanz auf den Wegen nach Indien. Aus der Geschichte des byzantinischen Handels mit dem Orient vom 4 bis 6 Jahrhundert*, Berlin & Amsterdam, 1969, pp.204205-.

(5) E.Patlagean, *Les Lois,* pp.4849-.

الوقت نفسه، تحتوي القوانين على مواد للعمل الخيري والإنساني، على سبيل المثال ثمة مواد قانونية ضد ضرب الأزواج أو حتى إساءة معاملة الحيوانات.

إن طبيعة "قوانين الحميريين" تنسجم مع الواقع الجديد لانتشار العقيدة النصرانية، ولكن على الرغم من وجود تأثير معقول للقانون الكنسي، إلا أنه لا توجد نصوص مأخوذة مباشرة من هناك(١). لقد تم ذكر "الشرائع المقدسة" كمصدر للقانون مرة واحدة فقط، عندما تم حظر الزواج الثالث عمومًا. ورغم أن القسم الأول منظم على نمط عقوبات السجون، إلا أن العقوبات لا تزال هي العقوبات المدنية وليست عقوبات القانون الكنسي(٢). من ناحية أخرى، هناك أوجه تشابه واضحة بين المواد التي تحظر الرقص والغناء والعزف على الآلات الموسيقية، وكذلك المقامرة وألعاب الطاولة، وبين القوانين الكنسية التي صدرت عن مجمع ترولو Council of Trullo الذي عُقد في القسطنطينية عام ٦٩١-٦٩٢م(٣).

وتظهر الأدلة بوضوح أن مؤلف "القوانين" لم يكن رجل قانون محترفاً، بل ربما كان راهباً أو رجل دين. وكما يقول جان جوستر Jean Juster، فإن القوانين مستوحاة من "الهوى النسكي لشخص نصراني"(٤) إلى حد يجعلها غير مناسبة للاستخدام العملي. أو إذا ما استخدمنا كلمات جون ب. بيوري John B. Bury: "تحمل مدونة القوانين بعض المؤشرات الداخلية لأصالتها، على الرغم من أننا قد نأمل، من أجل الحميريين، ألا تكون قد تم تطبيقها أبدًا"(٥). ويتضح أصل النص النابع من الدوائر الدينية أيضًا من العبارة الختامية التي يتم فيها توزيع النسخ المكتوبة من القوانين على الجيتونيارخاي geitoniarchai بواسطة قوة خارقة للطبيعة.

لكن الغريب أن الرهبنة والحياة التنسكية مؤسسات غائبة تقريبًا عن القوانين: تظهر الأديرة فقط كأماكن تقاعد للأرامل، ولا تبدو حياة التبتل والعفة إلا في قانون

(1) A.D'Emilia, "Intorno ai Νόμοι τῶν ʿΟμηριτῶν", in: ***Atti del Congresso Internazzionale di Diritto Romano e di Storia del Diritto*** (Verona 2729- Sept. 1984), I, Milan, 1953, pp.181197-, esp. p.195.

(2) Patlagean, Lois, p.32.

(3) "The Canons of the Council in Trullo, Greek and Latin Text", trans. M. Featherstone, in: ***The Council in Trullo Revisited,*** ed. G. Nedungatt & M. Featherstone, Roma: Pontificio Istituto Orientale, 1995, chs. 50, 51, 62.

(4) J. Juster, ***Les Juifs dans l'Empire romain,*** Paris, 1914, p.71, note 4.

(5) J.B. Bury, ***History of the Later Roman empire from the Death of Theodosius I to the death of Justinian,*** II, London, 1923, p.327.

غريـب لا يسمح للرجـل العادي بذلك إلا بعد توقيعه على مستنـد يهدد بالقتل في حالة المخالفـة. لم يتم التطـرق إلى قضية رجال الدين المتزوجين المثـيرة للجدل في القوانين (الأخرى) على الإطلاق.

كذلك فإن الإشارات المباشرة إلى بلد الحميريين نادرة؛ إذ تنحصر في ذكر "أولئك الذين أداروا أمور الحميريين بشكل سيء من قبل"، ومسمى "قوانين الحميريين" ذاته. أمـا المكـان المسمى تريكانوسـ Trikanos أو تريكانــون Trikanon، حيـث يُقام سوق العبيـد، فغير موثـق في أي مصدر آخر، بحيث يصعب القول مـا إذا كانت هذه المنطقة موجودة بالفعل في نجران.

لقد أثار جان بابتيست بيترا Jean Baptiste Pitra في عام ١٨٦٤م أول شكوك حول ما إذا كانت القوانين هي في الواقع نص أصيل من جنوب الجزيرة فيما قبل الإسلام[١]. ومـع ذلـك، في أواخر عام ١٩٦٩م، حاولـت نينا بيغوليفسكايـا Nina Pigulevskaya، مـن خـلال مطابقة عدد من الخصائص في القوانين مـع الأوضاع الخاصة للمنطقة في هـذا الوقـت، لإثبـات أن النص يمكن تأريخه فعليًـا في هذه الفـترة[٢]: فوفقًا لها يجب اعتبار القوانين الأخلاقية النصرانية الصارمة رد فعل على الحياة في العائلات الكبيرة والعشائر القوية السائدة في جنوب الجزيرة العربية[٣]؛ وأنه إذا وثقنا في القوانين، فإن العبوديـة لعبـت دورًا أكبر بكثير في جنوب الجزيرة العربية ممـا كانت عليه في بيزنطة خـلال نفس الفـترة، كما أنه يجب النظـر إلى حظر الممارسات السحريـة وجميع أنواع الترفيه العام فيما يتعلق بالإرسالية التنصيرية[٤].

ثانيا. نجران في سيرة القديس غريغنتيوس:-

عندما كـان غريغنتيوس المبارك في الإسكندرية في أيـام يوسطينوس Ioustinos، إمبراطـور الرومان، وإليسبـوام Elesboam (إيلا أصبحى)، ملـك الحبشة، ودوناس Dounaas، ملـك الحميريـين، وبروتريوسـ Proterios، بابـا الإسكندريـة، كان ملك الحميريـين، دوناس (ذو نواس)، الذي كان -فيما يتعلـق بإيمانه- يهوديًا، قد استحوذ عليـه الغدر بنجران، المدينة التـي تقع في الجنوب. ودعا هذا الرجـل المغرور كل سكان المدينـة إلى إنكـار سيدنا المسيح (عليـه السلام) والتمسـك بالعبادة وفقًـا للناموس.

(1) J.B. Pitra, *Iuris ecclesiastici Graecorum historia et monument,* I, Rome, 1864, p. L.
(2) Pigulevskaya, ***Byzanz***, pp.205207-, 209.
(3) Ibid, pp.207209-.
(4) Ibid, 209210-.

وعندما تحدثوا جميعًا ضد مرسومه، استشاط الملك غضبًا، وأمر بإشعال نار قوية جدًا لفترة كافية، وأباد عددًا لا يحصى من الناس هناك وحولهم إلى رماد، وقتل بعضهم بالشنق أيضًا، وأعدم أشرافهم بالسيف. ومن بين هؤلاء أطاح بالسيف أيضًا رأس الموقر حاكمهم الأكثر جدارة، وهو رجل أشْيَبُ يُدعى أريثاس (الحارث)، بعد عدد كبير من المناظرات التي أجراها معه. ونهاية القصة: بعد أن نثر كل شيء هناك مثل الغبار، عاد هذا الملعون إلى قصره، وكتب أيضًا إلى القوى من حوله، وليس فقط إلى هؤلاء، بل أيضًا إلى ملك الفرس، لإبادة جنس النصارى تمامًا من مملكته، قائلًا: "أفعل تمامًا كما فعلت".

عندما علم يوسطينوس، إمبراطور الرومان، بهذا الأمر، كتب بتشديد الأمر إلى إليسبوام، ملك الحبشة الأقدس، لحشد جيوش مملكته، وشن حرب ضد اليهودي المجرم للثأر لحق الدماء البريئة للصالحين، الذين عانوا بشجاعة من أجل الإيمان الطاهر بسيدنا المسيح (عليه السلام). وقد امتثل الملك الجدير بالثناء لهذا (الأمر)؛ إذ جمع كل جيشه، وبدأ حربًا ضده براً وبحراً، ودمر جيوشه بالكامل، وحديثي هنا عن الجائر، وألقى القبض على اليهودي المجرم مع أقاربه وأعدمهم بالسيف. وأخذ أيضًا مملكته وجميع القلاع بها. وحل أيضًا كالعاصفة على طفار Taphar، عاصمة الحميريين، ودخلها ونهب كل ممتلكات مملكته، وقتل عددًا كبيرًا من الناس هناك لترويعهم، حتى يخاف البقية ويوافقونه على تلقي المعمودية المقدسة، سواء من اليهود أو الأمم الأجنبية الأخرى.

وبما أنه لم يكن هناك أسقف ولا كاهن أو شماس، ولا أحد من رجال دين الكنيسة المقدسة أيضًا (لأن عدو الله... قد قضى عليهم جميعًا تقريبًا، بحيث لا يمكن وجود مجرد ذكر لهم في كل مملكته، حتى أنه أزال الرفات المقدسة لأولئك الذين ماتوا من قبل واستقروا بالفعل في مراقدهم الطاهرة، وحولها بالنار أيضًا إلى رماد)، لذلك كتب الملك الأقدس إليسبوام من بلاد الحميريين إلى بروتريوس، بابا الإسكندرية، يخبره بما حدث كلمة كلمة، وكيف مهد الله طريقه. وبعد ذلك كتب إليه أيضًا أن يختار من بين بطريركيته رجلًا حكيمًا ومتعلمًا وذكيًا ومتفهمًا.

****

... عندما انتهت رسامة البار، استعد البابا بروتيريوس لإرسال مبعوثي الملك إليه مع المبارك (غريغينتيوس)، وعندما باتوا جميعًا جاهزين، أعطى البابا إلى القديس (غريغنتيوس) ما يحتاج إليه، وكذلك لمن أراد الرحيل معه، واحتضنهم وصرفهم بسلام.

وقد وجدوا طريقًا مناسبًا ووصلوا إلى إثيوبيا في غضون أيام قليلة. وبعد أن استراحوا قليلاً في Amlem، مقر الأثيوبيين، وتزودوا ببعض الأشياء الضرورية بأمر من الملك، صعدوا على متن سفينة، وأبحروا أيامًا طويلة حتى وصلوا إلى نهاية بحر سبأ، ومن هناك عبروا إلى مغارة مديكيون Medekion، ووصلوا إلى طفار، عاصمة الحميريين. لم يجدوا الملك (إيلا أصبحى) في مدينة طفار، لكنه كان في المدينة التي قتل فيها دوناس (ذو نواس) الشهداء المقدسين. لقد دمر المقدسات اليهودية في المدن المجاورة ومعابد الأصنام للدول المتبقية، وبنى الكنائس باسم سيدنا المسيح (عليه السلام). وفي مدينة نجران، بنى أيضًا كنيسة جميلة جدًا باسم القيامة المقدسة في مكان يُدعى نفوث Nephoth. كما قام ببناء كنيسة أخرى باسمالسيدة العذراء في مدينة تادميروس *ta Tademeros*، وبنى كنيسة أخرى باسم الشهداء المقدسين وأريثاس (الحارث) المجيد بالقرب من منزله، في مكان كان من قبل أروع حديقة.

... وقيل أنه عندما كان لا يزال في نجران (إذ كان يحتفل بأحد الأعياد، وانتهز هذه المناسبة بأن عين ابن أريثاس حاكمًا)، وصلته الأخبار السارة بأن قيل له: "سيدي لقد وصل الذين أرسلتهم جلالتك إلى الإسكندرية، محضرون معهم من تقبلوه أسقفنا". عندما سمع الملك هذا، امتلأ بفرح عظيم، وقام ونزل للقاء الأسقف.

... وعندما كرس الأسقف الأقدس غريغنتيوس الكنائس النبيلة في مدينة نجران، أخذه الملك وذهب إلى مدينة أكانا Akana وافتتح الكنائس هناك أيضًا...

... ولأن الملك الأكثر قداسة إليسبوام أراد الإسراع بالعودة إلى مملكته (لأنه قضى وقتًا طويلاً في بلاد الحميريين، وكما يقدر البعض حوالي ستة وثلاثين شهرًا منذ أن بدأ حربه هناك)، فقد دعا المبارك غريغنتيوس وجميع عظمائه والمرازبة. لقد اجتمعوا مع الملك الورع ورئيس الكهنة، وقال الملك لمجلس الشيوخ: "من برأيكم يجب أن نتركه هنا بعد أن نرسمه ملكًا؟"...

... وبعد الانتهاء من المراسم، هتف الجيش سبع مرات: "إلى ملك إثيوبيا إليسبوام المقدس، له العمر المديد". وبعد ذلك هتفوا: "إلى ملك الحميريين المحب للمسيح أبرام Abraam (أبرهة)، له العمر المديد في الكفاءة والتقوى والخير!" وبوصفه ملك جديد فقد هتفوا بهذا عشر مرات...

وعلى الفـور قام الملك أولًا بتقسيم مدينة نجران مقر حكمه إلى ستة وثلاثين حي، وعين في الحال لهذه الأحياء (حكام) يُسمون جيتونيارخاي[١] geitoniarchai، عددهم ستـة وثلاثـون. وأمر بأن يكون لكل منهم مكتبه الخاص في وسط الشارع الرئيسي للحي المخصص له، وأمر بتسجيل جميع المنازل، مع المسؤول عنها، حتى يعرف كل منهم حدود سلطته، ولا ينبغي (لأحدهم) أن يتجول في حي آخر، ينظر حوله ويعطي الأوامر هناك. وعندمـا أتم (أبرام) ذلك، قـام بتعيين فرقة من ستة عشـر حارسًا لكل حي، تمركزوا بـه لخدمتـه. وعندما تم ترتيب هذه الأمـور، أمرهم الملك بقبـول المدفوعات والمكافآت والتبرعـات السنوية، والقيام بعمل جيد تقربًـا لله وإظهارا لخشيته، وكلف غريغنتيوس المبـارك بإصدار قانـون مكتوب لهم، حتى يعرفوا بالضبط ما يتعين عليهم فعله؛ فجلس المبارك على الفور وبدأ يكتب ما أمر به بروية.

وعلـى الفور بنـى الملك الورع دور لكبـار السن ومستشفيـات، ودور للضيافة وتكايا للفقراء، وأعطاهم الكثير من السلع. حيث وجه دخول تلك العقارات والأموال الهائلة التي اكتنزها ملك اليهود دوناس (ذو نواس) وكبار رجاله، ووجهها على نحو رائع لصالحهم ولشفاءهم وراحتهم، وأعطى للفقراء والمحتاجين، الكبار والصغار، وللضعيف، والأعرج والأعمـى، أجرًا سنويًا، وثيابًا وحبوبًا وخمرًا وزيتًا وفاكهة وكل أنواع السلع، وكان المديح بالاسـم: إذ دعـوا البطريرك بإبراهيـم (عليه السـلام) الثاني و الملـك بأيوب (عليه السلام) آخر بسبب ضيافته ولطفه الكبير. وللاحتفال بذكرى القديسين، أمر (الملك) بإعداد طاولتين، واحدة للفقراء والأخرى لكبار رجاله. وعندما تحين ساعة الطعام كان يأكل دومًا متكئًا مع الفقراء، وكان دائمًا يغدق هدايا سخية على كليهما.

لم يأتـه أحـد ذات مرة يسأله عن شيء من الخـير إلا استجاب وأعطاه ما طلب في الحـال، حتـى أنه خلال حكمه لم يعد هناك فقير على الإطـلاق في أي من أرجاء ملكه، ولا مـن يرتكب الظلم أو يعـاني منه كما حكم الكتاب المقدس. وأسكت الله كل أمة من حولـه أيضًـا، فلم تنشأ حرب في أيامه، بل كان هناك سلام عميق وفرح وسعادة ورعاية للفقـراء وحماية للأرامل والأيتام، وعمـت حالة رائعة لا يمكن وصفها من البر والأعياد والرعاية الروحية للكنائس.

(١) مفردها "جيتونيارخيس"

ثالثا. ترجمة نص "قوانين الحميريين" :-

لقـد قـررت أن أضيـف إلى هـذه الروايـة ملخص القانـون الذي وضعـه القديس غريغنتوس بأمر من الملك نفسه. وهو كالآتي:

تشريع القديس غريغنتيوس من خلال تكليف الملك الورع أبراموس

<Νομοθεσία τοῦ ἁγίου Γρηγεντίου ὡς ἐκ προσώπου
τοῦ εὐσεβεστάτου βασιλέως Ἀβραμίου>

Τοῦ λυτρωτοῦ ἡμῶν καὶ παντοδυνάμου θεοῦ δι' ἄφατον ἀγαθότητα καὶ πολλὴν φιλανθρωπίαν ἐπισκεψαμένου τὴν ἡμῶν εὐτέλειαν καὶ ἐξεγείραντος ἡμᾶς εἰς τὸ ἐπ' ἄκρον ὕψος τῆσδε τῆς περιφανεστάτης καὶ αὐτοκρατορικῆς ἐξουσίας, οὐ δέον οὔτε ἡμᾶς ἐν ἀχαρι-

صورة مقدمة القوانين باللغة اليونانية وفقًا لتحقيق ألبرخت بيرجر A. Berger

مادة ١ :

إن صفاء تقوانا يدفعنا لأن نعطي أمرًا لمن أوكل إليهم حكم أحياء هذه المدينة مقر حكمنا، بأنه سيتم إدخال تحسينات كبيرة بسرعة مع سلطة رشيدة، أولاً في هذه المدينة المقر، ثم أيضًا في كل بلدة وقرية تابعة لمملكتنا. نأمركم، أيها التابعين لسلطتنا، بتحري الدقـة، والجلوس بشرف يليق بالمناصب العامة التي منحتكم إياها. ولتراعوا الأمان مع العامـة، وفي الشوارع الرئيسية في المدينة، والممرات، والنزل، والمنازل وكل الأشياء التي يتم شراؤها، أعني الخبز والنبيذ والزيت وجميع الأشياء الأخرى. ويجب على كل منكم أن يحفـظ بدقـة المنطقة المخصصـة له. ونحن لا نسمح لأي شخـص كان أن ينظر إلى (منطقة) إدارة وإشراف جاره، بل نوصي بأن يبقى كل شخص في منطقته.

مادة ٢ :

الآن عليك الحرص على أن لا يحدث القتل. وإذا حدث ذلك، فقم باعتقال الجاني وأرسله على الفور عبر السلطة الأعلى إلى السجن.

مادة ٣ :

تأكـد مـن عدم ارتكـاب الزنا أو سفـاح القربـى أو البهيمية. وإذا تجـرأ أحد على القيـام بذلـك، فأرسله إلى السجن. ولتحرصوا على ألا يقـع (وعمورة مستقر قوم لوط عليـه Sodom فجـور سدوم السلام). وإذا تم ضبط شخص مـا، فاعتقله وإرسله إلى

البرايفكت (الوالي)، ليقوم بتطبيق نصوص القانون عليه. لأن العدالة تقتضي قتل مثل هـؤلاء الرجال، حتى لا يعيشوا ويفسدوا أرواحًا أخرى غير ملوثة لأبرياء، بالإضافة إلى أن وصمة خطاياهم ورجسهم، إذا جاز لي القول، تجلب غضب الله علينا بسبب دنسهم.

مادة ٤ :

تأكد من عدم وجود شعوذة أو سحر أو قتل بالسم، وإذا تم ضبط أي شخص، فأرسل الجـاني مرة أخرى إلى السجن، وليحرق من يفعل ذلـك بالنار. وأحرص على أن لا يكون هناك شهادة زور؛ وإذا تجرأ أحد على ذلك، فأرسله إلى السلطات، وليُقطع طرف لسانه.

مادة ٥ :

كـن على يقظة شديدة في مراقبة اللصوص. ومن يتم الإمساك به واعتقاله، فابدأ بضـرب كل منهـم خمسـين ضربة مزدوجة، وضـع علامة على جبينهـم بختم حديدي محمي بالنار، وصادر ممتلكاتهم وجردهم من ثيابهم، وأسدي إلى كل منهم النصيحة الآتية: "اعتني بنفسك يا أخي، لا تسرق بعد الآن حتى لا يتم القبض عليك وتنال عقوبة أكـبر". وإذا تم القبضـ على مثل هذا الرجل بعد ذلك لذات السبب (لأن العلامة الذي تم ختمها على جبهته من قبل ستجعله ظاهرًا)، فيجب اقتياده إلى البرايفكت (الوالي)، ليتم قطع عصب قدمه اليسرى، ولن يمكنه السرقة بعدئذ حتى إن أراد ذلك، لأن قدمه سيصيبها العرج عندما يمشي. ومن ثم يتم إرساله إلى دار الفقراء الخاصة بجلالتنا، حتى يحصل على طعامه اليومي هناك من الآن فصاعدًا.

مادة ٦ :

نأمر أن يفر كل رجل وامرأة من دنس الفاحشة. يجب أن يكون لكل رجل زوجة ولكل امرأة زوج، ولن يكون هناك أي عذر، إذ أن كثيرًا من الناس اعتادوا القول: "نحن فقراء ولا نستطيـع أن نكفـل زوجة". ونجيب على هؤلاء: "إذا كنتـم لا تريدون الزواج قانونًا، فلن نجبركم (على ذلك) أيضًا".

مادة ٧ :

تأكـد مـن أنك لا تجد مخطئًا مع البغايا وإلا فلتعرضـه للعقوبة في الحال. من أجل صفاء جلالتنا نأمر بجلد كل من يُقبض عليه (متلبسًا) بالفاحشة مائة جلدة، ذكرا كان أو أنثى؛ ثم تُقطع أذنه اليسرى وتُصادر أغراضه. ومثل هذا الشخص يجب عزله. وكل امـرأة غير متزوجة تخضع لنفس الشـيء إذا تم القبض عليها. أما إذا كان الرجل غير متـزوج، وضُبط مع امرأة غير متزوجـة، وأرادا الزواج الشرعي والعيش بهدوء وحكمة،

فيجـب استدعـاء كاهن بواسطة مــن قبض عليهم، وبعـد تلقيهما نعمــة (الزواج) يتم صرفهما دون عقاب، وإذا لم يرغبا في الزواج، فإنهما ينالا العقوبة ثم يُصرفا.

مادة ٨:

أي رجل وُجد مع امرأة متزوجة، تُقطع أداة الجسد التي ارتكب بها المعصية، وكذلك يُقطع الثدي الأيسر للمرأة، لأنها تركت زوجها وجامعت الشيطان.

مادة ٩:

كل رجل له زوجة شرعية، يتركها ويفحش مع أخرى، تُقطع أداة الجسد التي ارتكب بهــا الخطيئة. وإذا وُجـدت زوجته تقول: "أنا لا أعتبر (ما اقترفه) زوجي خطيئة، حتى إن خدعنــي عشرة آلاف مــرة، بل أريد زوجي دون عقاب، فليتم جلد هذا الرجل بمائتي جلدة، ولتُنزع أذنه اليسرى، وبعد مصادرة أمواله يُعاد إلى زوجته.

مادة ١٠:

وكذلــك الأمر بالنسبة للمرأة التــي تقترف الخطيئة: تُقطع أذنها عوضًا عن الثدي إذا شــاء زوجهــا أن يعيش معها بعد ذلك. لكن إذا ضُبطا بعد ذلك وهما يفعلان الشيء نفســه، فإنهما يُعاقبــان بالعقوبة السابقة، أي نزع صدرها وعضوه. وإذا تم القبض على المــرأة بعد ذلك وهي تفعل نفس الشيء مرة ثالثة، فسوف تُركل وتُطرد من المدينة. وكل من يتم القبض عليه ومعاقبته لأي سبب ومن ثم يقع في نفس الخطيئة يُطرد من المدينة.

مادة ١١:

إذا وقــع ابــن رجل ثري في حب فتــاة فقيرة، ولم يرغب والديــه في زواجهما لأنهما لا يتعاطفــان مع فقيرة ويتحقرانهــا، فيُطبق عليهم القانون الــذي يوجب على الوالدين تقديم المهر كاملاً لابنهما، لوجود أمر ملكي بذلك. وكذلك الحال بالنسبة للفتاة الغنية إذا ارتضت شابًا فقيرًا.

مادة ١٢:

إذا تم القبض على رجل حر غير متزوج وقد أغوى جارية أجنبية، يصبح عبدًا للسيدة أو سيد هذه الجارية. وكذلك الحال بالنسبة للمرأة الحرة إذا (تصرفت) ضد العقل وسلمت نفسهــا لعبد. لأن من أخذ هيئة المسيح ودنــس أعضاءه، يستحق أن يكون عبدًا، حتى يعرف كيف كانت الخطيئة، وأنه من الأفضل للمرء أن يفعل ذلك طبقًا للشرع بدلاً من مخالفته.

مادة ١٣ :

لـذا نأمـر أن يكون لكل فرد زوجة واحـدة، وأن يفر من الفاحشـة الملعونة التي بها يحـل غضـب الله من السماء على أبناء البشر. وعلى كل حال، فإن المخالف قد سمع بما سيعانيه عندما يُعاقب.

مادة ١٤ :

إن جلالتنـا، بأمر من الله تعالى، يأمر جميع الآبـاء والأمهات بأن يزوجوا أبنائهم بين سـن العاشرة والثانية عشـرة باستثناء حالة المرض. ويدفـع المخالف لهذا القانون إذا كـان بالغ الثراء، ستة جنيهات من الذهب للحاكم (الجيتونيارخيس) في حيه، وإذا كـان بحالة متوسطة فثلاثة، وإذا كان محتاجًا، فجنيـه ونصف؛ وإذا كان أقل من ذلك فجنيهًـا واحـد، ومن يليه فستـة وثلاثين نوميسماتـا *nomismata*، ومـن يليه فثمانية عشر، ثم تسعة، ثم أربعة ونصف، ثم اثنان وثلث، ثم واحد وسدس، وأخيرًا نصف. وفي مثـل هذه الحالة، لا يجـوز لجميع هؤلاء الأشخاص طلب التأخـير (للزواج)، بل عليهم تنفيذ ما أُمروا به بسرعة. وإذا تردد (شخص) في ذلك، فإن أمواله تُوزع على الفقراء، ويُطرد من المدينة بموافقة ملكية. ونأمر بأن يتم تغريم كل من يخالف الوصايا المقدسة لجلالتنـا لصنـع السـلام بالطريقة الموصوفـة سابقًا وفقـًا لثروتـه. ويتقاضى موظف السلطة من جيرته المبلغ المطلوب بحضور العسكر.

مادة ١٥ :

إذا رأى الرجل جاره يقوم بأي نوع من أنواع الشر أو شيء غير مشروع، ولم يستهجنه ويبلغـه للجيتونيارخيس *geitoniarches* التابع له، فسيُعاقب، إذا كـان غنيًا، بسبعين ضربـة علنًا، وإذا كـان فقيرًا، فيجب تغريمه أربعة نوميسماتـا، وإذا كان أكثر احتياجًا فثلاثة، وإذا كان أكثر فقرًا فاثنتين، وإذا كان فقيرًا تمامًا فنوميسما واحدة.

مادة ١٦ :

إذا رتـب رجل للفاحشـة أو روج للتوريط القذر للصبيـان والخصيان الذين يرغب الحمقـى في ارتكـاب إثمهم معهم، سواء كـان ذلك رجلاً أو امـرأة أو أي شخص آخر، وضُبـط مثل هـذا الشخص وهو يفعل ذلك، فلنقطع لسانه مـن وسطه، حتى لو أراد أن يخدم الشيطان بعدئذ بلسانه، كما فعلت الحية في الجنة، فلن يستطيع ذلك. لأن هؤلاء النـاس غير الشرعيـين ملعونون: بلسانهم الباطل يخرجـون الإنسان من عقله ويعطونه للشيطان البائس لهلاك روحه.

مادة ١٧ :

إن جميــع أولئــك الذين يجعلون منازلهــم مساكن للزناة ويستقبلــون أولئك الذين يرتكبــون إثمهــم هنــاك ويغطونهــم، إذا تم القبض عليهــم وهم يفعلون ذلــك، فسيتم مصادرة جميع ممتلكاتهم بواسطة الجيتونيارخيس وسيتم طردهم من المدينة، ويكتبون أيضًا بأيديهم وثيقة توقعهم تحت عقوبة الإعدام إذا دخلوا البلاد مرة أخرى في أي من أيام حياتهم. من أجل هدوءنا لا نريد أن يكون قواد الشياطين في المدن تحت حكمنا...

مادة ١٨ :

أولئك الذين يخطفون النساء ويجامعونهن بالقوة، إذا اتهمتهم امرأة تحت القسم بأنهــم خاطفــين وأعداء لله، فإنهــم يتلقون مائة ضربة مزدوجة لــكل منهم، وبعد قطع آذانهم، يجب أن يُعزلوا. وإذا قُبض عليهم بعدئذ وهم يفعلون الشيء نفسه، فليتلقى كل منهم مائتي ضربة مزدوجة، وتُصادر أموالهم ويُطردون (خارج المدينة).

مادة ١٩ :

أما من يُرون وهم يسيرون في السوق أو في قارعة الطريق ويمدون أذرعهم بلا خجل للتحرش بالنساء المارة من أجل الزنا والشهوة المخزية، فإذا اتهمتهم المرأة - يتلقى مثل هــذا الرجل اثنتين وسبعين جلدة في وسط السوق حيــث توجد الحشود وتُصادر أملاكه ويُخلــى سبيلــه بعد أن يتلقى عظــة. فإن قبض عليــه بعد ذلك وهو يفعــل نفس الشيء، تُقطع يده لأنه بات أشد وقاحة. ولأن سلام مجتمعنا يقتضي أن يكون لكل فرد رفيقه في الحياة، وألا يرفع يده على (امرأة) شخص آخر، وإذا أمكن، ألا ينظر إليها بعينه. ولأن ســلام مملكتنا لا يتحمل أن يكون لدينا زناة نصــارى، فاسقون، أو لوطيون، أوسحرة، أو أولئــك الذيــن يقترفون أشياء مشابهــة لهذه... لذلك يجب إزالــة كل شر وفساد من وسطنا، وإحلال كل فضيلة وبر وحق، عسى الله يخضع لنا أيضا الأمم المجاورة.

مادة ٢٠ :

لا نسمــح لأي إنسان، خلقه الله، بالدفاع عن نفســه بالقوة لأي سبب من الأسباب، طالمــا لم يخــول له القانون هذا. إن هذا الذي يجرؤ على فعــل ذلك من اليوم فصاعدًا، سواء كان نبيلًا، غنيًا أو فقيرًا، مدعيًا أو حارسًا، سواء كان من حاشيتنا أو جنديًا أو أي شخــص آخــر ممن هم تحت سلطتنا، ممن يضرب بأيديــه أو هراواته أو يركل أو يجلد شخص ما، سواء كان ذلك لسبب عادل أو غير عادل، دون أمر قانوني، سواء كان ذلك في الســوق أو في الشــارع أو في المنزل، باستثناء أولئك الذين يعلمون المعرفة والفنون بما

في ذلك القراءة والكتابة، سواء كان السيد لخادمه أو الأب لابنه وابنته، وهذا فقط لسبب عادل وليس مثل هؤلاء الغاضبين الذين يريدون معاقبة المرء حتى القتل. فمثل هؤلاء القائمين بتدريس مثل هذه الأشياء عليهم أن يمهروا وثيقة مكتوبة بأيديهم لدى الجيتونيارخيس، حتى لا يضلعوا بالتعليم بعد الآن. لذلك إذا تم ضبط أحدهم وهو يخالف أوامرنا، ويزورها ويتعمد الضرب، فإنه سينال ستة وثلاثين جلدة، وسيتم قطع إصبع واحد من قدمه وتُصادر ممتلكاته ويُطرد؛ ليعرف من ألم إصبع قدمه اللئيم مدى الألم الشديد الذي تسببت فيه ضربة أو عصا واحدة.

مادة ٢١ :

إذا كنت حاكمًا لا يُسمح لك بضرب رجل مثلك، فلا تضرب غيره حتى لا تسقط في (معصية) الغضب. وإذا كنت قريبًا لنبيل، فلا تضرب على رأس رجل فقير متكلًا على سيدك المتكبر. وإذا كنت فردًا في الحاشية، ولم يخول لك القانون ذلك، فلا تسئ معاملة أحد. وإذا أنت غني ولحقت بك إهانة، فاهرع إلى القانون وخذ حقك من خلاله. إذا كنت قويًا، فافعل الخير لا الشر. وإن كنت فقيرًا، فلا تضرب الفقير الذي يشبهك. وإذا أنت عانيت من الظلم، فاشكوا، وإذا لم تأخذ حقك، فلتأت إلينا، وسنجد الرجل الذي ظلمك، وعندئذ نتعهد برد حقك، إن كنت على حق.

مادة ٢٢ :

لا نسمح للزوج بضرب زوجته. لأن الزوج بعد ارتكابه الموبقات يعود إلى المنزل عند منتصف الليل، وعندما تشكو الزوجة من تأخره، لا يتحمل شكواها ويضربها. وحتى إذا اقترفت الزوجة فاحشة، فنحن لا نسمح لزوجها بضربها، بل يهددها فقط. وإن ضُبطت متلبسة فلتلقى عقاب الزانية. وإذا خالف شخص أمر جلالتنا فليعاقب إذا كان ثريا بستة وثلاثين جلدة ويُطلق سراحه بعد تعذيره، وإذا كان فقيرا فليعاقب بالغرامة حسب ماله. وإذا تجرأوا بعد ذلك على فعل الشيء نفسه وتم القبض عليهم، فلتُصادر ممتلكاتهم لتجاهل المرسوم الملكي، ويجب أن يقسم الجيتونيارخيس هذه الأملاك، إذا كانت متواضعة، على الجنود الذين يتبعونه؛ وان كانت كبيرة تُضاف الى خزينة الملك، ثم يُخلى سبيلهم.

مادة ٢٣ :

إذا وُجد رجل مخمورًا، أو امرأة أيضًا، ويتجول في السوق وكان يترنح من جدار إلى آخر، فنحن نأمر بإلقاء القبض على مثل هذا الرجل وحبسه وحراسته حتى الصباح. ومتى استيقظ مثل هذا الرجل من سكره يُخرج ويتلقى ستين جلدة، وإذا كانت امرأة،

فثلاثين جلدة، ثم يُخلى سبيلهما بعد التعذير.

مادة ٢٤ :

يجـب ملاحظة أولئك الذيـن يثقلون علـى حيواناتهم أو يحملونهـم أعباء ثقيلة لا تطـاق. يجب القبض على هؤلاء الرجال، ومعاقبتهم بستة وثلاثين جلدة، وصرفهم بعد أن يتلقوا تحذيرًا. لأن حمولة البغل القوي اثني عشر مثقالا، والضعيف عشرة، والحمار القوي ثمانية، والضعيف ستة. وبهذه الطريقة يجب تحديد أحمالهم.

مادة ٢٥ :

نأمـر بـألا يُباع أي شيء في أيام العيد والآحاد باستثنـاء الأشياء التي تُعد من المؤن للإنسـان والحيوان، وأن يتعطل الباعـة الآخرون. إن أي شيء معروض للبيع باستثناء الأطعمـة الموصوفـة سيؤخذ مـن المخالف، ويُطرد هـو نفسه (من المدينـة). وكل ما تم انتزاعـه سواء كان حصانًا أو ثورًا أو شاة أو أيًـا من الحيوانات الكبيرة الأخرى الحية، باستثنـاء مـا تم تسليمه بالفعـل للمجـزرة والدجاج المبـاع، أو ثوبـا أو أي عنصر آخر باستثناء المواد الغذائية، يجب أن يُصادر لصالح الجيتونيارخيس والجنود الذين معه.

مادة ٢٦ :

إذا حـدث في يـوم العيـد الكبـير أو يـوم الأحد المقدس، أن حمل شخـص حمولة باستثنـاء المـواد الغذائيـة، وباستثناء أولئك الذيـن هم في رحلة بريـة أو بحرية، سواء فعـل ذلك بنفسه أو بواسطة شخص آخر أو باستخـدام حيوان حمل، تُصادر الحمولة، ويُصـادر الحيوان مع الحمولـة إن وُجد، وليُضرب هذا الشخص ثـم يُخلى سبيله، لأنه بالرغم من كونه نصرانيًا، لم يظهر لعيده التوقير الذي يظهره اليهودي.

مادة ٢٧ :

لذلـك فـإن جلالتنا لا يريد أن يبيع أي شخص أو يحمل حمولة أو يحفر أو يعمل أي شيء في يوم الأحد المقدس، أو في الأعياد الكبرى، وأعياد العذراء والرسل الاثني عشر، وأعياد باقي القديسين. وأترك (الاستثناء من) هذا لقرارنا. ويؤخذ من المنتهكين ما قد حملوه من حمولة، ويتلقى كل واحد منهم أربعًا وعشرين جلدة ثم يُخلى سبيله.

مادة ٢٨ :

أولئـك الذين يدفعون بطغيانهـم نصف الثمن فقط للباعـة المساكين عند قيامهم بمشترياتهم بسبب حمايتهم من قبل حكامهم أو جلالته، ويأخذون بضائعهم ويذهبون،

وإن قالوا أي شيء ضربوهم، فإذا تم القبض عليهم عند القيام بذلك، فليتلقى كل منهم اثنتي عشرة ضربة مزدوجة، وتُصادر ممتلكاتهم، ثم يُخلى سبيلهم. ذلك لأن جلالتنا لا يتحمل غشاشين ومذنبين ولصوص كخدم له. وإذا كنت تريد السلعة، فادفع السعر العادل، ثم خذها واذهب بعيدًا.

مادة ٢٩ :

لذلك نصدر القانون الآتي: كل من يُضبط بمثل هذه الأشياء يجب تأديبه ومصادرة ممتلكاته، وإذا فعل الشيء نفسه بعد ذلك وتم ضبطه، فنحن نأمر بتسليم مثل هذا الرجل إلى دار الأشغال التابعة لصاحب الجلالة، للعمل لمدة أربعة أشهر كاملة مع من تم تأديبهم هناك. وليؤدب على جهالته وحمقه. ثم يُصرف بعد ذلك وقد خبر الأشغال الشاقة التي بها يكسب الفقراء قوتهم.

مادة ٣٠ :

من يبدأ العراك في الحي أو في السوق، فإذا تم القبض عليهما، يُجلد كل منهما أربعين جلدة، لأنهم تجرأوا بشكل غير مألوف على رفع أيديهم ضد بعضهم البعض، أو برفع العصا، أو بأي طريقة أخرى. وإذا كان أحد الطرفين قد أظهر خشية من القانون، وخضع له ولم يمد سلاحه للدفاع عن نفسه، وجره الخصم وضربه بطريقة ما، فليُخلى سبيله باعتباره بريئًا ؛ أما من يدافع عن نفسه أيا كان، فليجلد ثمانين جلدة، ويخضع للعمل لمدة شهرين محبوسًا في دارنا (للأشغال)، ثم يُخلى سبيله.

مادة ٣١ :

أولئك الذين يقودون خيولهم، سواء أكانوا مثقلين أو غير مثقلين بالأحمال، أو حيوانًا آخر أيضًا، إذا شوهدوا غاضبين يضربونهم بلا رحمة، يتم القبض عليهم ويتلقون ثلاثين ضربة مزدوجة بكل قوة، حتى يجربوا أيضًا المعاناة، أي الشعور بالألم، ويدركون مدى ضرر المعاملة السيئة. لأن الحيوانات، وإن كانت لا تتكلم أو تتحدث، تشعر بالألم بطريقة مماثلة لنا عندما يتم جلدها. يتضح من مثل هذه الأشياء أن مثل هؤلاء الرجال، كما أنهم لا يشفقون ولا يرحمون حيواناتهم، لن يرحموا الإنسان أيضًا.

مادة ٣٢ :

هؤلاء الرجال الوقحون الذين يرتدون أقنعة جلدية، المستحوذ عليهم (من قبل الشياطين) الذين يلعبون كما لو كانوا يحتضنون إثم الشيطان، ويفسدون إيمانهم النصراني بينما يتظاهرون بشجب الشيطان وكل طائفته، يُعاقب كل منهم بمائتي

جلدة، وتُحرق لحاهم وشعر رؤوسهـم، وتُصادر ممتلكاتهم، ويُقتادون إلى دار الأشغال الملكيـة لمدة عام واحـد، ويؤدون خدمة العمل، سواء كانوا عبيـدًا أو رجالًا أحرارًا، حتى يعرفوا كيف يسيرون دائمًا في التقوى والخوف من الرب ولا يهدرون أرواحهم في الهلاك من خلال القيام بأعمال عباد الأصنام.

مادة ٣٣:

إن عازفو القيثارة، أولئك الذين يغنون ويلعبون الصنجات ويرقصون، سيعانون من نفس المصير، سواء كانوا رجالًا أو نساءًا أو فتيات أو فتيانًا، ولا نطيق أن يحدث ذلك في أيامنـا نحن الأتقياء الجليلون، حتى لـو أن أحدا فعل ذلك مصادفة. ذلك لأننا لا نحتاج إلى عـازف قيثـارة في أي مدينـة أو بلد نحكمه، ولا نحتـاج أيضًا إلى مغنيـا أو راقصا، سـواء كان رجـلًا أو امرأة، شابًا أو فتـاة، أو شخصا بالغًا؛ نـود أن يكون الجميع طيبين وأتقياء ويخافون الرب. وإذا أراد شخص أن يفرح وهو في مناسبة سعيدة، فعليه أن يرتل المزامير. يقول: "لكني لا أعرف كيف أنشد (المزامير)"، فلنرد عليه: "لقد تعلمت ترانيم الشيطان الشرير التي لم تُدون في أي كتاب، ولا تتعلم أن تغني مزامير الله المكتوبة؟

مادة ٣٤:

لا نريـد أن يكـون لدينا في بلد جلالتنا أي مغني، أو من يصفق بيديه، أو أي راقص أو أي نـوع من المسرحيات القبيحة والمخزية. وليُقبض على كل مخالف ويُجلد ويُحرق، وتُصادر ممتلكاته، ويُحكم عليه بالخدمة في دار الأشغال لمدة عام كامل.

مادة ٣٥:

ونفس الشـيء بالنسبـة لأولئك الذيـن يعزفـون الكانيريـن *kanirin* والتريبولين *tribolin*، الذين يقفزون ويرقصون رقصات العربدة والالتواء. (كذلك) نحن لا نسمح بـأي لعبـة يتم فيهـا إلقاء النرد، ولكـن فقط بتلك الألعـاب التي يتـم ممارستها غالبًا للترفيه البسيط لبعض الأشخاص، تلك التي يتم لعبها بالعقل واليد.

مادة ٣٦:

أوصـي أولئـك الذين يريـدون تمجيد أنفسهـم أن يفعلوا ذلك روحيـاً في الكنائس المقدسـة، أي بالصلاة والقراءة وترنيـم المزامير وإعطاء الصدقـات. فلترضوا جميع الناس بوصفكم نصارى حقيقيون، وخدام للمسيح، وأولاد للنور، وورثة لملكوت السموات؛ انطلقوا في موكـب من كنيسة إلى أخرى، وابتهجوا في صلاتكم، وأحبوا بعضكم البعض وأنيروا فضائلكم كالشمس.

مادة ٣٧ :

يُعاقب من يتعدى على بعضهم البعض بالإهانات والشتائم، إذا تم القبض عليهم، بأربع وعشرين جلدة، سواء من الذكور أو الإناث، ثم يُخلى سبيلهم. وإذا تعدى أحدهم على الآخر بالشتائم أو ضربه أيضًا، وسكت ذلك الرجل خوفًا من أمرنا، فعليه أن يأتي إلى السلطات ويقدم نفسه، ويتلقى الشخص الذي أهانه ثمانية وأربعين جلدة، وتُصادر أملاكه ثم يُخلى سبيله. إن جلالتنا يأمر، كما يقول أحد الحواريين، أن يكرم كل منكم الأخر، وأنه لا يجوز لكم بعد الآن أن يتعدى أحدكم على أخر بالشتائم؛ فليحب ويكرم كل منكم الأخر.

مادة ٣٨ :

نأمر على الفور بحظر تجمع جميع الأولاد دون رقابة في أيام الأعياد واللعب، كما هو معتاد بالنسبة لهم. لأنهم يشغلون أنفسهم معًا بألعاب حمقاء، فإنهم يدعون بعضهم البعض بقوة شيطانية إلى الانحراف، سواء الزنا وارتكاب الفجور اللعين لسدوم، أو السرقة والكذب، أو السخرية والإيذاء، أو الكسل والتراخي. إذن ما الذي يجب أن نقوله أكثر من ذلك؟ لذلك نحن نوصي بعدم السماح لهم على الإطلاق بالالتقاء واللعب. كذلك ستتم الآن مراقبة جميع أماكن التسلية بدقة، لرصد أي شيء رديء وخاطئ يحدث وسطهم.

مادة ٣٩ :

يجب أن يُضرب هذا الذي يتم العثور عليه يلعب مع الحشود، كل أربعة وعشرين مرة، ويتم إنذاره ثم إخلاء سبيله. وإذا تم القبض على ثلاثة أو أربعة رجال وهم يتجولون في منتصف الليل، فسيتم استجوابهم لماذا يتجولون في منتصف الليل، فإذا تبين أنهم خرجوا في مهمة ما فلن يتم إعاقتهم، لكن إذا كانوا قد فعلوا ذلك من أجل الفاحشة أو أي شيء آخر آثم، يُعاقب كل منهم بأربع وعشرين جلدة ويتم احتجازهم في دار الأشغال لمدة ستة وثلاثين يومًا، ويُخلى سبيلهم من هناك بعد أن يتلقوا إنذارًا.

مادة ٤٠ :

بالنسبة لأولئك الذين يتركون ممتلكات كبيرة عند الموت، نأمر ألا يقوم أحد بإدارتها على الإطلاق باستثناء جلالتنا. لأنه من الضروري أن تُدار جيدًا من قبلنا، وأن يتم توزيع الأشياء الروحية الخاصة بهم بتقوى على إخوتنا المدينين في هذه المدينة. ذلك لأن الكثيرين ممن أوكلت إليهم إدارة هذه الأملاك، التهموها تمامًا، ولم يحققوا أي نفع لروح الميت. وإذا نما إلى علمنا أن بعض الأشخاص قاموا بمثل هذه المهام سرًا دون علمنا وقاموا بتوزيعها، فستُصادر جميع ممتلكاتهم، وفي النهاية سيتم إبعادهم (عن المدينة).

مادة ٤١ :

إذا تم الكشف عن هؤلاء الذين يجرون عبيدهم أو الرجال الأحرار أيضًا من الكنيسة بالقــوة، حيثما طلبوا اللجوء (الكنسي)، ويجلدونهــم أو ينتقمون منهم بطريقة أخرى، يجــب أن يحصــل الخادم على الحرية؛ وإذا كان الرجل حراً وجُرّ من هناك (الكنيسة) وجُلــد، فمن تجرأ على فعــل ذلك لكونه غير مؤمن ومعتدي ومحتقــر وعدو الله، يُعاقب علــى جرأته بأن يباع بقطعتين من المال في المكــان المعروف بتريكانون *Trikanon*، حيث يُباع العبيد، حتى يُخزي وجهه الوقح بهذا أيضًا، لأنه تجرأ على جر رجل من بيت الرب.

مادة ٤٢ :

في جميع المهن، إذا شعر أحد الحرفيين بالغيرة من الآخر وأهانه أو استهزأ به، أو أعاقه أيضًــا أثناء قيامه بعمله، فيُحكم على هذا الرجــل باثنتي عشرة جلدة، ويُسلم لدار الأشغال (الملكية) لمدة ثلاثين يومًا ويُحجز هناك على نحو بائس، حتى يتعلم جيدًا ألا يغار من أخيه.

مادة ٤٣ :

نأمر بعدم حصول أي حارس أو جابي ضرائب أو أي مسؤول آخر، قبل أن ينجز أو يؤدي الخدمة التي يجب أن يقوم بها لأحد الرجال، على أي شيء منه حتى ينتهي من عمله، وعندها فقــط يجب عليه أن يتقاضــى أجره، وذلك حسب ما قرره القانــون وليس فوق المبلغ المحدد. ومــن ينتهكــون هذا ويتبــين أنهم يتربحون من كــلا الطرفين، يجب طردهم مــن مناصبهم ورتبهم، ويُجلدون بوصفهم شرهون مجنونون، ويتم تنصيب رجال أتقياء بدلا منهم.

مادة ٤٤ :

كل من تلقى محاكمة عادلة وحُكم عليه قانونًا، يجب إحضاره إلى دار الأشغال الملكية لمــدة شهرين للعمل واحتجــازه بها على نحو بائس، حتى يتعلم بعــد ذلك ألا يظلم جاره. وإذا كان الحكم مختلفًا وتم ترضية صاحب الحق، يُخلى سبيل الجاني من غير عقاب.

مادة ٤٥ :

مــن الضروري أن يتشاور الملك في الأمــور العظيمة مع الرجال القديسين وأن يسأل الله القدوســ مــن خلالهــم، وحسنًا لو فعل ما يبــدو مناسبًا له. لأن مــن يفعل ذلك لن يخزى إلى الأبد.

مادة ٤٦ :

يتقدم الرجل على المرأة. سواء كانت جارية لسيد أو كانت سيدة لرجل: لا نسمح لها بإهانة مثل هذا الرجل ولا ازدراءه. وإذا تبين أن هذه المرأة تهين رجلا يتم قص شعرها، أي خصلاته في مؤخرة رأسها، ومصادرة أموالها، ثم يتم صرفها. فإذا بقيت على موقفها بعد ذلك بوقاحة، وسبت ذكورًا وتم الكشف عنها، يُقطع طرف لسان هذه المرأة الحمقاء، وتُصرف. وإذا رفعت يدها لتضرب رجلاً إلا من ولدته، فإنها تعاقب أولاً العقوبة المقررة للسب. وإذا لم تمتنع بعد ذلك عن مثل هذه الأشياء، وفعلت الشيء نفسه مرة أخرى وأبطلت شريعتنا، فستُقطع يدها، لأنها، رغم أنها مجد الرجل، تجرأت على رفع يدها ضد مجد الله. لأن الانسان مجد الله. وإذا قصد أولئك الذين لديهم عدد كبير من العبيد تأديبهم، فليؤدب الزوج الرجال، والزوجة النساء، أي جواريها. و(في هذه الحالة) نأمر بالضرب على أقدامهم، وليس على رؤوسهم.

مادة ٤٧ :

يجب على الأرملة أن تسرع بالزواج ثانية، أو -إذا لم ترغب في الزواج- أن تتقاعد في أحد الأديرة التي أنشأناها مؤخرًا، حتى لا يغويها الشيطان. فإذا ترملت بعد زواجها الثاني، عليها التقاعد (في الدير) ولو بغير نية، لأن الشرائع السماوية لا تجيز للمرأة أن تلتحق بزوج ثالث. ويحدث هذا ايضا للرجل الأرمل.

مادة ٤٨ :

إذا ضُبط أولئك الذين يجامعون عرابيهم (آبائهم الروحيين) وهم يخطئون، يجب قطع صدر المرأة على الفور، وأيضًا أداة خطيئة الرجل، ثم صرفهم.

مادة ٤٩ :

أولئك الذين يرسلون عبيدهم في يوم العيد العظيم أو يوم الأحد لحمل الأواني أو لنقل التبن أو الحطب أو الخمر إلا لغرض لشر، وما يُدر عليهم من ضياعهم أو من تجارتهم أيضًا باستثناء الطعام: يتم يتم إلقاء القبض على عبيدهم وكذلك جواريهن اللائي كن معهم، ومصادرة ما يحملون لصالح الجيتونيارخيس وشعبه، وأولئك أنفسهم (العبيد) يصيرون مستحقين للحرية، ويتم إطلاق سراحهم. وإذا قاوم أحد سلطتنا وأوامرنا أو تذمر أو تلفظ بشتائم، وتأكد ذلك ضده قُتل بالسيف، ذلك لأنه يعلم أن عليه طاعة الرب والأوامر الملكية.

مادة ٥٠ :

أولئك الذين يحتجزون أجر خادم: إذا اشتكى الشخص الذي عانى من الظلم من أن سيـده لم يدفع له المبلغ مقابـل عمل صالح، بل رغب في أن يحرمه إياه، فسيُطلب من الذي ارتكب الظلم دفع ضعف الأجر للخادم المحروم.

مادة ٥١ :

إذا وُجـد أحدهم يترك عبيده جوعى، أو ينهال عليهم بالضرب فجأة وليس بغرض تأديبهـم علـى فعلة ما، فـإذا تم كشف خطأه، يتـم أخذ عبيد منزل هـذا الرجل بعيدًا وتحريرهـم وإطـلاق سراحهم، ولهم الحق في طلب أغطية فراشهـم من سادتهم. لأنه مكتوب أنه لا عبد ولا إنسان حر في النصرانية،، بل أن كل من يخلصون فيها واحد. أما إذا توفر للعبد كل ما يحتاجه دون أن ينقصه شيء ولم يطع أوامر سيده العادلة في غير معصيــة (لأن هناك الكثير ممن يدعو عبيدهم للعمل معهم في الزنا والأعمال الشريرة الأخرى)، وثبت أنه يعصي سيده في الخير، فإنه لا يتحرر منه عندما يشتكي.

مادة ٥٢ :

يتـم تحرير عبيد أولئك (السادة) الذين يتعاملون مع خدمهم بقسوة وغلظة، وتتم مطالبتهـم بتوقيـع وثائق مكتوبة بأيديهم يتعهدون فيها بعـدم شراء عبيد آخرين. فإذا صححـوا عاداتهم الخاطئـة، وكفوا بعدئذ عن التعامل معهم بطريقـة قاسية ووحشية، يُـترك خدمهم في حوزتهم ولا يتـم تحريرهم. لكن يجب مراقبة أولئك السادة، والتأكد من أنهم يعطونهـم كل عام ضعف كمية الملابس والأحذية والأشياء الضرورية الأخرى، ويعطونهم أيضًا مؤنهم، فإذا لم يطيعوا سادتهم كما ينبغي، فلن يكون ثمة أحد يرحمهم.

مادة ٥٣ :

لأنــه يتم إحضـار جميع الفقراء إلى بيوت الفقراء ودور كبـار السن، لن نسمح لأي شخص أن يتسـول الخبز لا في الشـارع الرئيسي ولا في الكنائسـ ولا في أي مكان آخر. لأن كلمتي تُعلن كل يوم: على كل جائع وعطشى ومحتاج أن يأتي إلينا، وسيتلقى التوجيه المناسـب باسم الرب وسيجد سلواه. فالدول الأجنبية التـي تأتي إلى هنا تلومنا وتقول: "إن النصارى لا يرحمون، إذ يستجدي إخوانهم الخبز، وليس ثمة من يرحمهم". دعونا نرحم الإخوة الآخرين، ونرحم أكثر السادة والوجوه.

مادة ٥٤ :

الآن قد لا يتوسل أبدا كل من تم وضعهم هناك (في دور الفقراء والمسنين) وحصلوا على ما يحتاجون إليه. فإذا تم القبض على أي شخص أثناء التسول، فسيتم جلده ثمانية عشر جلدة ويُحبس في حجرته في دور كبار السن، وسيتم إرسال توجيهات إلى دار الفقراء بعدم السماح له بمغادرة دار كبار السن على الإطلاق. أما من لم يوضع هناك فليأتي إلينا لينال عطفنا. وأولئك الذين يريدون إعطاء الصدقة، فليذهبوا إلى دور الفقراء والمسنين، ويقومون بعمل الخير هناك. وإذا صادف شخص فقيرًا في الشارع، يتجول صامتًا دونما بكاء أو صراخ، ووجده يؤدي بعض الخدمات (نظير مال)، يمكنه أن يعطف عليه إن أراد ذلك.

مادة ٥٥ :

نحن نأمر أنه من بين جميع المنازل المستأجرة في المدينة، والتي تم رفع إيجارها بالإكراه وعلى نحو جنوني من قبل أولئك الذين سبق لهم إدارة شؤون الحميريين بشكل سيء، يجب تخفيض الإيجار مع الله. فمن كان يعطي تسعة نوميسماتا عليه أن يعطي ستة، وبالمثل بقية (الإيجارات) بطرحها من القيمة الكلية، أي عن طريق تقسيمه (الإيجار) إلى ثلاثة أقسام: يتم طرح جزء واحد ودفع اثنين؛ فمن كان يدفع ستة يجب أن يعطي أربعة ويحتفظ باثنين. وسيتم حساب الحالات المتبقية بطريقة مماثلة، وسيتم تقديم ثلثين والاحتفاظ بثلث، ولن يجرؤ أحد من الآن فصاعدًا على زيادة الإيجار، ولكن يجب إدارتها بالطريقة التي طلبناها، ولا يُقبل نقص أو زيادة.

مادة ٥٦ :

الآن من يجرؤ على رفع الإيجار أو طرد مستأجر من خلال رشوة وإحلال شخص آخر بدلاً منه، حتى لو كان على استعداد لإبقاء قيمة الإيجار كما هي، عندئذ يجب أولاً مصادرة أغراضه وطرده من المدينة لكراهية أخيه ولعدم معرفته بالمقولة: "ما تكرهه (لنفسك) لا تفعله لغيرك". وإذا طالب صاحب المنزل بذلك من أجل راحته، فله الحرية في فعل ما يريد ؛ لكنه لن يجرؤ على الإطلاق على طرده من أجل رغبته وتثبيت شخص آخر بنفس الإيجار. لأننا لا نسمح بذلك إلا في حالة كون المستأجر مزعجًا ويحدث ضوضاء ويثير المتاعب ويكره إخوانه، أو أن يكون أيضًا أكثر استعدادًا للقيام ببعض الأعمال السيئة الأخرى.

مادة ٥٧ :

نعطـي الأوامـر لكل جيتونيارخيسـ للنظر بطـرق مختلفة في الأشيـاء التي تحدث في المنازل. وإذا علمت بأية حوادث مؤسفة، فأبلغ صاحب ذلك المنزل، وسيتم تصحيحها على الفور. وإذا رفض الإنصات إليك، أخبرنا بذلك على الفور من خلال البرايفكت (الوالي).

مادة ٥٨ :

علـى كل رجـل أيضًا أن يمنـح عبده رفيقًا، وعلـى كل رجل حـر أن يتخذ زوجة له. وعليكـم أيضًـا أن توفروا الرفقـاء للجواري، حتى ينال كل فرد سلـواه ولا يرتكب الإثم. ومـن يخالـف أمرنا الورع هذا، يُؤخذ منه العبد غير المتـزوج، وتُصادر الفتاة التي ليس لها رفيق كعقوبة، ذلك لأنه تجاوز أمر جلالتنا واحتقر شريعة الحميريين. ويُضاف إلى هـذا خـدم المنزل، بنقلهم جميعا إلى خزينة جلالتنا، وسـوف نعيد التذكير بما أعلناه. وإذا اعتذر أحدهم قائلًا: "إني فقير ولا أستطيع شراء رفيقة لعبدي"، نأمره ونقول: إذا كنت فقيراً فلتبيع عبدك، لأننا لن ندع هذه الأمور، التي تحدث يومياً، تتوقف بسببك".

مادة ٥٩ :

لا يجـوز لأحـد أن يثبط عزيمة أولئـك الذين يريـدون أن يعيشوا حيـاة التبتل، أو أن يعيـق أولئك الذيـن يريدون أن يعيشـوا في العفة. فمثل هؤلاء يجـب أن يُطلب منهم وثيقـة تعهدات مكتوبة بأيديهم، تفيد بأنهم لا يفعلون ذلك لأي شكل من أشكال الرياء، أو لاقـتراف الظلـم والإثـم في الخفاء، ويجـب أن تحتوي وثيقتهم علـى التهديد بعقوبة الإعـدام. فمن يستطيع تحقيقها فعليه تحقيقهـا (أي التبتل). أما من يتم القبض عليه (مخالفـا لذلـك)، فليُعاقب حسـب وثيقته؛ ذلك لأننـا لا نتمنى أن يكـون أولئك الذين يؤمنون بالرب من المرائين، ممن يقترفون الكذب على الله والملوك.

مادة ٦٠ :

نحـن نأمر بأن يتم شنق كل جيتونيارخيس لا يحفظ هذا الأمر الذي تلقاه جلالتنا من الله برجفة ورهبة وخشوع، أو أهمله أو تجاوز عما تم تدوينه في مرسومنا هذا بتلقي رشوة. بتعليقـه عاليـا في الهواء مع تقييد قدمه اليسرى على عمـود، أي على عارضة، ومن ثم يتم خنقه حتى الموت بدخان التبن، حتى يصبح الآخرون أيضًا على حكمة وحصافة. فمن المفيد أن يُخـرج الطفل المصاب بالجذام من القطيـع ويُقتل، ولا يموت القطيع كله في النهاية وهو مصـاب به. وهذا ما يفعله الحاكـم. وإذا لم يعاقب البرايفكت (الـوالي) الجيتونيارخيس الـذي يخالـف أوامرنا هذه، ولا يتبع هذا الأمـر الأكثر تقوى والأصلح لنـا، فإن البرايفكت

نفسه سيعاني مما كان عليه (الجيتونيارخيس) أن يعاني، الأمر الذي يجلب غضب جلالتنا.

مادة ٦١ :

يجب على كل جيتونيارخيس مراقبة الأعمال التجارية التي يتم إجراؤها في مملكته، حتى يتم البيع بشكل صحيح. يجب أن يراقب الأسواق، وكيف يشتري التجار الأصناف، ولا سيما مراقبة أولئك الذين يبيعون لهم، أعني التجار الأجانب، وبالتالي التأكد من بيع السلع على نحو عادل. فغالبًا ما يبيعون (التجار الأجانب) بسعر مرتفع، غالبًا ما يكون باهظًا. ولذا يجب الآن أن يتم بيع السلع داخل السوق تحت التفتيش، بحيث لا يكون البائع بدون ربح، ولا يعاني المشتري أيضًا الضرر.

مادة ٦٢ :

لا نسمح لسوق كتان، أي سوق الخياطين، ولأي حرفي من كل المهنة أن يقوم بصنع خيطًا واحدًا في يوم الأحد المقدس. وإذا ضُبط أحدهم يفعل ذلك، نأمر بإحراق ما صنعه وأدواته في وسط السوق.

مادة ٦٣ :

أولئك الذين لا يأخذون عائلاتهم بأكملها معهم في الأعياد الكبيرة وآيام الآحاد ولا يذهبون إلى الكنيسة في وئام جيد...، إلى القداس وصلاة الغروب، على الجيتونيارخيس دعوتهم (للمثول أمامه) في حضور ثلاثة أشخاص مشهود لهم بالورع وطاعة الأمر الإلهي. وإذا ظلوا لا يفعلون ما أمروا به، تؤخذ جميع ممتلكاتهم منهم، ويوزع نصفها على الإخوة الذين هم في دار الفقراء، ويحتفظ الجيتونيارخيس بما تبقى منها لمنفعته الخاصة مع مرافقيه من الجنود، ذلك ليكون أولئك مستعدين بعدئذ للتقيد بدقة بكل ما أمرناهم به.

رابعا. المصادر والمراجع:-

1. A.D'Emilia, "Intorno ai Νόμοι τῶν ῾Ομηριτῶν", in: *Atti del Congresso Internazzionale di Diritto Romano e di Storia del Diritto* (Verona 27-29 Sept. 1984), I, Milan, 1953, pp.181-197.
2. A.N. Papathanassiou, "Christian Missions in Pre-Islamic South Arabia", *Theologia (Athēnai)* 65/1(1994).
3. Canons of the Council in Trullo: "The Canons of the Council in Trullo, Greek and Latin Text", trans. M. Featherstone, in: *The Council in Trullo Revisited*, ed. G. Nedungatt & M. Featherstone, Roma:

Pontificio Istituto Orientale, 1995.

4. E.Patlagean, *Les Lois de St. Grigentius (BHG 706h-i), couramment appellees Lois des Himyarites. Édition, traduction, commentaire, Paris, École pratique des Hautes Études*, 1965, pp.21-72; A.Papathanassiou, *Οι "Νόμοι των Ομηριτῶν"*, Athens & Komotene, 1994.
5. G. Fiaccadori, "The Nomoi", in: A. Berger (ed.), *Life and Works of Saint Gregentios, Archbishop of Taphar*, Belin & New York, 2006, pp.82-91.
6. G. Florovsky, *Christianity and Culture* (Collected Works, II), Nordland, BeJmond 1974, pp.67-100.
7. Gregentius, *Homeritarum Leges*, Patrologia Graeca 86, 563-620.
8. I. Shahid, "Byzantium in South Arabia", *Dumbarton Oaks Papers* 33 (1979), 24-94. See also S. Apostolopoulou, "Die byzantinische Aussenpolitik, wie sie sich uns im Martyrium des Heiligen Arethas und seiner Begleiter darstellt", *Theologia* 63 (1992), pp.286-293.
9. I. Shahid, *The Martyrs of Najran. New Documents*, Bruxelles 1971.
10. J. Juster, *Les Juifs dans l'Empire romain*, Paris, 1914.
11. J.B. Bury, *History of the Later Roman Empire from the Death of Theodosius I to the death of Justinian*, II, London, 1923.
12. J.B. Pitra, *Iuris ecclesiastici Graecorum historia et monument*, I, Rome, 1864.
13. N.Pigulewskaja, *Byzanz auf den Wegen nach Indien. Aus der Geschichte des byzantinischen Handels mit dem Orient vom 4 bis 6 Jahrhundert*, Berlin & Amsterdam, 1969.
14. V. Christides, "Martyrdom of Arethas and the Aftermath: History vs. Hagiography", in: *Proceedings of the Sixth International Congress of Graeco-Oriental and African Studies, 30 April- 5May 1996*, ed. V. Christides && Th. Papadopoullos, Nicosia, 2000 = *Graeco-Arabica* 7-8, 1999-2000, pp.51-91.
15. V. Christides, "The Himyarite - Ethiopian War and the Ethiopian Occupation of South Arabia in the Acts of Gregentius (ca 530 AD)", *AnnaIes d'Ethiopie* 9 (1972), pp.115-146.



الدراسة السادسة

نجران في التراث السرياني منذ وصول النصرانية حتى ظهور الإسلام (٦١٩-٦٦١م) (دراسة نقدية في ضوء المصادر الموازية)

بقلم : د. عوض بن عبدالله بن ناحي



الدراسة السادسة

نجران في التراث السرياني منذ وصول النصرانية حتى ظهور الإسلام (٦١٩ - ٦٦١م) (دراسة نقدية في ضوء المصادر الموازية). بقلم .د. عوض بن عبدالله بن ناحي [(١)]

أولاً : تمهيد

أظهرت التواريخ غير الإسلامية اهتماماً ملحوظاً بنجران منذ عصور ما قبل الميلاد وهو ما يتضح في الكتابات الكلاسيكية (يونانية- لاتينية)، إذ مثلت أهمية اقتصادية بالغة كونها أحد أهم المدن الواقعة على طريق تجارة البخور والتوابل (Cravan Route)[(٢)]. ثم كانت موضع اهتمام آخر للتواريخ النصرانية الشرقية (Eastern Christian Chronicles) على اختلاف لغاتها فقد كانت نجران أهم مركز للنصرانية في جنوب

(١) للمزيد عن سيرة الدكتور عوض بن عبدالله بن ناحي العسيري. انظر: غيثان بن علي بن جريس. القول المكتوب في تاريخ الجنوب(ط١) (١٤٣٢-١٤٣٣هـ/ ٢٠١٠-٢٠٢٠م)، ج٣،ص٢٩٢.والكتاب نفسه،الجزء السابع عشر، الطبعة الأولى، ص١٧٣.والطبعة الثانية من الجزء نفسه (١٤٤٢هـ / ٢٠٢٠م)، ص ١٧٧ .

(٢) أشار كل من استرابو (Strabo) وبليني (Pliny) إلى نجران باسم "نجرانا" (Negrana) كإحدى المدن المحصنة الواقعة على طريق البخور أثناء حديثهما عن الحملة الرومانية بقيادة أليوس جاليوس (Aelius Gallus) علي جنوب الجزيرة العربية سنة ٢٤ ق. م، كما أشار إليها بطليموس (Ptolemy) في كتابه الجغرافيا باسم "نجران ميتروبوليس" (Negara Metropolis). انظر:
Pliny, ***The Natural History of Pliny***, Transl. John Bostock, M.D., F.R.S. and H. T. Riley, Esq., B.A., (London, H.G. Bohn, 1855), Vol. 2, p. 90. Strabo, ***The Geography of Strabo***, Transl. , tr. H.L. Jones (London, Loeb Classical Library, 1930), Vol. vii, p. 357.
علي، جواد، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، (بيروت، دار الساقي، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م)، ج٤، ص ١٥٩- ١٦٠. الذييب، سليمان بن عبدالرحمن، الحملة الرومانية الأولى على جنوب غرب شبه الجزيرة العربية، (الرياض، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ١٤٣٦هـ، ٢٠١٥م)، ص ٥٩- ٦٠.

جزيرة العرب طوال القرنين السادس والسابع الميلاديين.

وتمثـل المصـادر السريانيـة (Syriac Sources) التـي دوِّنت في بـلاد الرافدين والشام مصدراً ثرياً لتاريخ منطقة نجران منذ القرن الخامس الميلادي. فقد أرّخت هذه المصـادر لجوانب كثيرة من أحوال المنطقة الدينيـة، والسياسية منذ دخول النصرانية إلى المنطقة وحتى ظهور الإسلام. لكن الحق يقال فإن تركيز هذه المصادر انصب على وصـف أوضاع النصرانيـة بالمنطقة وعلاقتها بالقوى السياسيـة ذات العلاقة بالمنطقة حتى ظهور الاسلام.

والحق أن نجران حظيت باهتمام متصاعد في البحث التاريخي الحديث فظهرت أكـثر من دراسـة جادة أولـت المصادر غـير العربية المكتوبـة بالسريانيـة، واليونانية، واللاتينيـة، والحبشية اهتماماً لافتـاً وجعلت منها مواد رئيسة في مصادرها الأولية. إلا أن ثمة إشكالية ظلت صفة مشتركة بين هذه الدراسات، فقد أولت معظم تلك الدراسات معظـم اهتمامهـا لمسألتـين رئيستين أولها عن جدليـة وصول النصرانيـة إلى نجران، وثانيهـا عـن حادثة اضطهاد نصـارى نجران المعروفـة تاريخياً بـ "حادثـة الاخدود"، وقليـل منها ما تحدث عن نجران أثناء وجـود الحملة الحبشية[1]. ورغم كثافة النقاش

(١) ومـن الدراسـات العربية علـى سبيل المثال "ديانة شهـداء نجران" لـ أ.د. "عائشة ابـو الجدايل"، ورسالة ماجستـير لــ "كوثر محمد سعيد علـي" بعنوان "الاخدود بين المصـادر العربية و المصـادر القديمة" اللتان ركزتـا علـى بحث الهوية الدينية لشهداء الأخـدود. كما قدمت أ.د. أبو الجدايل دراسـة أخرى عن "قوانين جريجنتيوس أو القوانـين الحميرية، دراسة عن الائتلاف و الاتفـاق مع الشريعة الاسلامية". و خصص د. عصـام سخنينـي باباً مستقلاً عـن "محرقة المسيحيين في نجران" في كتابه "مقاتـل المسيحيين"، ومؤخراً قـدم أ.د. عبدالعزيـز رمضان مقـالاً بعنوان "دخـول المسيحية إلى نجـران في روايات المصـادر البيزنطية والمسيحيـة الشرقيـة" درس فيه مسألـة أصل النصرانية وتاريخها المبكر في نجران في ضوء روايات المصادر البيزنطية (اليونانية)، والسريانية، والحبشية.
أمـا الدراسات المنشورة باللغـة الإنجليزية فكثيرة ومنها كتاب لـ أ.د. عرفـان شهيد عن "شهداء نجران: وثائـق جديـدة" (The Martyrs of Najrān: New Documents) والتي تحـدث فيها عن المصادر النصرانيـة التي أرّخت لحادثـة اضطهاد نصارى نجران، ومقالة له بعنـوان "بيزنطة في جنوب الجزيرة العربيـة" (Byzantium in South Arabia)، ودراسـة "الروايـة اليونانيـة للشهـداء النجرانيـين" (On the Greek Martyrium of the Negranites) لــ "جـورج هكسلـي" (George Huxley)، ومقـال لــ "فاسيليوس كريستيدس" (Christides Vassilios) عن "الحرب الحميريـة- الإثيوبية والاحتلال الإثيوبي لجنوب شبه الجزيرة العربية في أعمال جريجنتوس" (The Himyarite-Ethiopian war and the Ethiopian occupation of South Arabia in the acts of Gregentius)، ودراسة حديثة نسبياً لـ "نوربرت نيبس" (Norbert Nebes) عن "شهداء نجران ونهاية مملكة حمير" (The Martyrs Of Najrān And The End Of The Himyar).
انظر:
ابـو الجدايل، عائشة سعيـد، "قوانين جريجنتيوس أو القوانين الحميريـة، دراسة عن الائتلاف و الاتفاق مـع الشريعـة الاسلاميـة"، مجلة العصـور، مجلـد ١٣، ج ٢، (٢٠٠٣م)، صـ ٢٥ – ٦١. ولنفس الباحثة،

في المسألتين – أي وصول النصرانية وقصة الأخدود – وتعدد المصادر الأولية، إلا أنهما ظلتا أسئلة مفتوحة تبحث عن إجابة وتستحق مزيداً من البحث في نظر الباحثين الذين ذهب بعضهم إلى التشكيك في هوية من وقع عليهم الاضطهاد في الأخدود[1].

كل ما سبق يثير أسئلة تبحث عن إجابة وفي مقدمتها أحوال الطائفة النصرانية في نجران بعد حادثة الاخدود حتى ظهور الإسلام كما صورتها المصادر السريانية. وثاني هذه الأسئلة يتمثل في مدى قيمة الرواية السريانية في ضوء المصادر الأخرى في ذات المسألتين، أي أصل النصرانية في نجران والسياق التاريخي لحادثة الأخدود. وهو ما سيسعى الباحث لإعادة قراءته بمنهجية مقارنة تعتمد على التسلسل الزمني وربط الأحداث بالأوضاع السياسية والاقتصادية والدينية في الجزيرة العربية والشرق الأدنى القديم. لذلك انقسمت الدراسة إلى خمسة مباحث رئيسة تبدأ بالتعريف بالمصادر، ثم تتبع تاريخ النصرانية في نجران من البدايات حتى الاضطهاد الذي ستتناوله في مبحث خاص، يلي ذلك دراسة تاريخ النصرانية في المرحلة الزمنية التي أعقبت حادثة الاضطهاد، ثم تعرج الدراسة على تاريخ اليهودية في المنطقة في ضوء المصادر السريانية المتاحة في هذه الدراسة.

"ديانة شهداء نجران قراءة جديدة للمصادر الأولية"، الكويت: حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية، الحولية ٢٥ (الرسالة ٢٢٢)، (١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م)، ص ٥٥. سخنيني، عصام، مقاتل المسيحيين، نجران ٥٢٣م والقدس ٦١٤م وصفحات أخرى من تاريخ التنكيل اليهودي بهم، (عمان، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ٢٠١٣م)، ص ٧٣ – ١٢٧. علي، كوثر محمد سعيد، "الاخدود بين المصادر العربية و المصادر القديمة"، (رسالة ماجستير مقدمة لنيل درجة الماجستير من جامعة أم القرى، ١٤٣٦هـ/ ٢٠١٥م)، ص ٩٦- ٥٨٢. رمضان، عبدالعزيز محمد، "دخول المسيحية إلى نجران في روايات المصادر البيزنطية والمسيحية الشرقية"، دراسة نشرها أ.د. غيثان بن ابن جريس ضمن: القول المكتوب في تاريخ نجران، الجزء الثامن عشر، (الرياض ، مطابع الحميضي، ١٤٤١هـ، ٢٠٢٠م، ط١)، ص ٦٢.

Christides, Vassilios, "The Himyarite-Ethiopian war and the Ethiopian occupation of South Arabia in the acts of Gregentius (530 A.D.)", ***In: Annales d'Ethiopie***. Volume 9, (1972). pp. 115146-. Shahīd, ibid, pp.17 -276. Shahîd, Irfan. "Byzantium in South Arabia", ***Dumbarton Oaks Papers / Dumbarton Oaks Center for Byzantine Studies***, (1979), pp. 2394-. Huxley, George Leonard, "On the Greek" Martyrium" of the Negranites." ***Proceedings of the Royal Irish Academy. Section C: Archaeology, Celtic Studies, History, Linguistics, Literature*** (1980): pp. 4155-. Nebes, Norbert, "The Martyrs Of Najrān And The End Of The Himyar: On The Political History Of South Arabia In The Early Sixth Century", ***The Qurʾān in Context***, (Brill, 2009), pp. 2560-.

(١) ابو الجدايل، ديانة شهداء نجران، ص ٥٥. كوثر علي، الاخدود، ص ٥٨٥.

ثانياً: التعريف بالمصادر

بــدأ اهتمام المصــادر السريانية بنجران منذ الربع الأول للقرن السادس الميلادي، وهي حقبة مبكرة للغاية أي منذ المرحلة التي وقعت فيها المحرقة. وهذا ما يجعل من المفيد عرض نبذة عن أهم هذه المصادر قبل الولوج إلى صلب الدراسة حيث سينحصر النقاش هنا عن المصادر الأولية الأصيلة، أو تلك التي تفردت بمعلومات نقل عنها من جاء بعدها.

وتكاد تكون رسالتي "شمعون أسقف بيت أرشام" (Simeon of Bêth Arshām) الأقدم في هذا الباب. وشمعون هذا رجل دين نصراني من اتباع المذهب اليعقوبي (Ja-cobite) أو مذهب الطبيعة الواحد، عاش في النصف الأول من القرن السادس الميلادي وكان أسقفاً لبلدة بيت أرشام الواقعة على نهر دجلة بالقرب من مدينة سلوقية التي كانت تحت الحكم الفارســي الساساني في عصره[١]. وقد حفظت المصادر السريانية المبكرة مثـل تواريخ "يوحنا الآسيــوي" (John of Ephesus)، و"زكريـا الفصيح" (Zacha-rias of Mytilene)، و"الراهــب الزوقنينــي" (Zūqnīn Monastery) نص الرسالة الأولى[٢]. أمــا الرسالــة الثانية فقــد أخرجها للعلن "عرفان شهيــد" في كتابه "شهداء نجران" مطلع سبعينات القرن المنصرم[٣]. وتتشابه كثيراً مع الرسالة الأولى من حيث المضمــون وتسجيل شهادات الناجين من المحرقة، إلا أنها تتضمن معلومات إضافية عن ضحايــا المحرقة سواء من عامة النصارى النجرانيين أو رجال الكنيسة الذين قضوا في المحرقة.

تنبــع أهميــة رسالتي الأرشمي إلى أنهما دُوِّنتا بُعيــد حادثة الأخدود بزمن قليل، إضافــة إلى أن السبــب في تدوينهما يعود إلى المحرقــة نفسها، حيث تضمنت الرسالتين تسجيــل شهــادات عيان لنصارى نجرانيــين نجو من المحرقة، فكتــب الأرشمي رسالته الأولى ثــم أعقبهــا برسالة ثانيــة منددا بما فعلــه الملك الحميري، وحاثــاً ملوك العالم

---

(١) أفرام، أغناطيوس، اللؤلـؤ المنثـور في تاريـخ العلـوم والآداب السريانيــة، (حلــب، سوريــا، دار ماردين، ١٩٩٦م)، ص ٢٥١- ٢٥٢.

(2) *Zachariah of Mitylene*, ***The Syriac Chronicle known as that of Zachariah of Mitylene,*** Transl. Hamilton, F. & Brooks, E. (Methuen & Company, 1899), pp. 192- 203. Anonymous, ***The Chronicle of Zuqnīn***, ***Parts III and IV: AD 488-775***: Translated from Syriac with Notes and Introduction, by. Amir Harrak, (PIMS, 1999), pp. 78- 85.

(3) Shahīd,ʿIrfan, ***The Martyrs of Najrān: New Documents,*** (Bruxelles: Soc. des Bollandistes, Bd. Saint-Michel, 1971), pp. 43- 64.

النصـــراني حينهـــا بالتدخـــل لحماية نصارى "البـــلاد الحميرية" على حـــد تعبيره[١]. وتحـــوي الرسالتين معلومات ثمينة عن طبيعة المجتمع النصراني في نجران قبيل وأثناء الحادثـــة من حيـــث طقوس العبـــادة، والمعتقدات اللاهوتيـــة، والمؤسسة الدينيـــة. إلا أن التعامـــل مع محتـــوى الرسالتين ينبغي أن يكـــون بحذر كونهما تنطلقـــان من وجهة نظر مذهبيـــة يعقوبيـــة منوفيزتيـــة (Monophysitism) بحتة لتفسير الوجـــود النصراني بنجـــران. ذلـــك أن طبيعة الكتابـــة التاريخية في القـــرن الخامس الميـــلادي تغلب عليها العاطفة الدينية أكثر من الموضوعية، إضافة إلى أن أحد أسباب كتابتها تهييجِ العاطفة الدينيةٍ في العـــالم النصراني للضغط على السلطة السياسية حتى تتخذ موقفاً عسكرياً حاسماً تجاه الملك الحميري كما سيتضح أدناه.

وثـــاني أقـــدم هذه المصادر وأهمها هو" كتاب الشهداء الحميريين" (The Book of The Ḥimyarites) لمؤلف مجهول، ويتكوّن من مقدمة وتسعة أربعين فصلاً فُقد منها أربعـــة وعشرين فصلاً، والمؤسف أن ما فقد منها تضمـــن معلومات مفصلة عن التاريخ المبكر لليهودية والنصرانية إلى نجران[٢]. وقد خرج الكتاب لأول مرة عام ١٩٢٤م بتحقيق المستشرق السويدي "أكسل مومبرج" (Axel Moberg)[٣]، لكن الكتاب حظي بدراستين لاحقـــة عن طريـــق "أغناطيوس يعقـــوب" و"عرفان شهيـــد" تضمنتـــا استدراكات هامة علـــى نص المخطوط، ونقاشاً على هوية مؤلف الكتـــاب. إذ يتفق يعقوب وعرفان شهيد أن "شمعون الأرشمي" هو من ألف الكتاب[٤]، على عكس مومبرج الذي يزعم أن "سرجيس الرصـــافي" (Sargis of Resafa) كان مؤلف كتاب الحميريين[٥]. ومن الواضح أن كتاب الحميريـــين قد دُوِّن عقب انتصار الأحباش على مملكة حمير واستقرار الأمور لهم هنـــاك ممـــا يعني أنه مصدر مبكر للغاية، ودلالة ذلك حديثه عن الأعمال التي قام بها الأحباش في نجـــران في سبيل إحياء الوجود النصراني كما سيتضح في حينه[٦]. وقد اعتمد المؤلف علـــى مصادر شفهيـــة قدِمت من نجران وأحدهم ذكره باسم "عبـــدالله بن أفعو" والذي

---

(1) Zachariah of Mitylene, ibid, pp. 192- 203. Anonymous, ibid, pp. 78- 85. Shahīd, ibid, pp.

(٢) يعقوب، أغناطيوس يعقوب الثالث، الشهداء الحميريين في الوثائق السريانية، (دمشق، المجلة البطريركية، ١٩٦٦م)، ص ٩٧- ٩٨.

(3) Anonymous, ***The Book of the Ḥimyarites***, Ed. And Transl. Axel Moberg, (Lund, Sweden: CWK Gleerup, 1924), pp. xcix – cxlvi.

(٤) يعقوب، المرجع نفسه، ١٠١.

Shahīd, ibid, pp. 132- 135, p. 169.

(5) Anonymous, The Book of the Ḥimyarites, p. Ixvii.

(٦) يعقوب، المرجع نفسه، ص٩٩.

نقـل إليه قائمة بأسماء الشهداء مطابقة إلى حد بعيد تلك التي رواها الأرشمي(١). ورغم كل ما سبق فإن هذا المصدر يزودنا بتفاصيل غاية في الأهمية في مقدمتها طبيعة التنظيم الكهنوتـي للمؤسسة الدينية النصرانية في نجران قبل وبعد غزو الأحباش، ودُوُر العبادة، إضافة إلى توضيح حجم الوجود اليهودي في نجران. لكن ذلك لا يعني الأخذ بكل ما رواه مؤلـف الكتاب على عواهنه، ذلك أن الروح المذهبية تبـدو لغة واضحة من خلال عبارات المؤلف ونسبه عبارات دينية ذات خلفية "يعقوبية" واضحة(٢).

ومـن المصادر التي لا غنى عنها في هذه الدراسة " تاريخ سعرت" (The Chron-icle of Seert) ، لمؤلف نسطوري مجهول عاش بين القرنين التاسع والعاشر الميلاديين/ الثالث والرابع الهجريـين تقريباً(٣). ورغم أن أصل مخطوط هذا التاريخ كُتب بالعربية إلا أن ثمـة أسباب تجعل من الضرورة ضمه لقائمة المصادر السريانية المعتمدة في هذه الدراسة(٤). فقد اتضح لمن درس "تاريخ سعرت" أن مؤلفه نقل كثيراً من تواريخ سريانية مبكـرة بعضها مفقـود وتعود إلى القرن السابـع على أقل تقدير(٥). بـل إن "مومبرج" ، و"عرفان شهيد" توصلا إلى نتيجة مفادها أن مؤلف تاريخ سعرت المجهول استقى قصة اعتناق التاجر النجـراني "حيّان" للنصرانية على الأرجح من الجزء المفقود من كتاب الحميريـين خاصـة إذا ما علمنا أن "حفصة" ابنة أو حفيدة "حيّان" يرد ذكرها كثيراً في كتاب الحميريين كأحد أبطال قصة الاستشهاد(٦)، وذات الحال ينطبق على استخدم مفردة "مسروق" للإشارة إلى اسم الملك الحميري الذي ارتكب حادثة الاضطهاد(٧).

والحـق أن ذلـك رأي قريـب للصحة إذ نجـد القصة تتكرر بكامـل تفاصيلها في "أخبار فطاركة كرسي المشرق من كتاب المجدل" لماري بن سليمان الذي يعد من أهم المصـادر السريانيـة التي ترد في هذه الدراسـة رغم أنه ألف في زمـن متأخر نسبياً –

---

(1) Anonymous, ibid, p. lxiv.

(٢) كوثر علي، الاخدود، ص ٣٦٩.

(3) Wood, Philip, ***The Chronicle of Seert, Christian Historical Imagination in Late Antique Iraq***, (Oxford University Press, 2013), p 3.

(4) Scher, Addai, ***Histoire Nestorienne Inédite:(Chronique de Séert)***, (Paris, Brepols, Paris, 1950), p 331.

(5) Wood, Ibid, p3.

(٦) يـرد اسم "حيّان" بحنان وحفصة بحبصة في بعض المصـادر وهو ما يبدو أنه تصحيف وقد آثرنا اعتماد الاسم الأكثر شيوعاً في العربية.

(7) Anonymous, The Book of the Ḥimyarites, p. lv. Shahīd,ʿIrfan, ***Byzantium and the Arabs in the Fifth Century***, (Dumbarton Oaks, 1989), pp. 361- 367 .

القرن الثاني عشر الميلادي/ السادس الهجري -[١]. إلا أن أهميته هنا تكمن في حفظه للرواية السريانية حول وصول النصرانية إلى نجران والذي نقله على ما يبدو من خلال الجزء المفقود في "كتاب الشهداء الحميريين". ذلك أنه يورد نفس القصة التي وردت في "تاريخ سعرت" دون تغيير يستحق الذكر. إلا أن ثمة إشكالية تواجه الباحث في هذا الجزء من "كتاب المجدل" تحديداً فقد وصلنا بنسختين تتضمنان كثيراً من الاختلاف والتشابه في آن معاً، حيث وصل إلينا متن الكتاب في النسخة الأولى كاملاً بترجمة "صليبا بن يوحنا الموصلي"، أما في الثانية فقد قام "عمرو ابن متى الطيرهاني" باختصار متن الكتاب وترجمته إلى العربية[٢]. إلا أن مسألة مهمة يجب أخذها في الاعتبار هنا وهي وجود تباين حقيقي بين نسختي المجدل، وأحد اسباب ذلك اعتماد مترجمي الكتاب على نسخ مختلفة لأصل الكتاب وهو ما يعترف به ناشر النسخة التي ترجمها صليبا بن يوحنا حينما أشار في مقدمة الكتاب إلى اعتماده على نسخة "سقيمة"[٣].

وبعد كل ما سبق، يبدو واضحاً أنه على الرغم من الاهتمام الذي أبداه المؤرخون السريان بنجران، إلا ذلك الاهتمام انحصر في معظمه على تسليط الضوء على أحوال النصرانية في المنطقة عبر مراحلها التاريخية المتعاقبة. ومن المهم هنا التنويه إلى أن هذه الدراسة لا تطرح المصادر السريانية كبديل لمصادر التراث الإسلامي كما قد يظن البعض، بل إن الهدف الرئيسي هنا البحث عن معلومات إضافية وجديدة تساهم في خدمة المحتوى التاريخي لمنطقة نجران خلال مرحلتين أولهما قبل المحرقة وثانيهما بعد المحرقة حتى ظهور الإسلام.

ثالثاً: جذور النصرانية في نجران: من التبشير حتى الانتشار

بدأ اهتمام المصادر السريانية بنجران منذ المحاولات الأولى لنشر النصرانية في هذا الإقليم البعيد عن مراكز النصرانية الكبرى في الهلال الخصيب. ففي كتاب المجدل لابن متى رواية تشير إلى إرسال "مار ماري" أحد تلاميذ السيد المسيح – عليه السلام - بعثة تنصيرية إلى "...ساكني الخيام ونجران وجزائر بحر اليمن ..."[٤]. وهي رواية لا يمكن الركون إليها إذ لا تخلوا من الطابع الأسطوري. بل إن نفس المؤلف يعود في موضع

(١) ابن سليمان، ماري، أخبار فطاركة كرسي المشرق من كتاب المجدل، ترجمة: صليبا بن يوحنا، (روما، مطبعة رومية الكبرى، ١٨٩٩) ، ص ٣٣.

(٢) سركيس، يوسف بن إليان، معجم المطبوعات العربية والمعربة، (مصر، مطبعة سركيس، ١٣٤٦ هـ، ١٩٢٨ م)، ج٢، ص ١٢١٦، ١٢٥٥.

(٣) المجدل لماري بن سليمان، ملاحظة الناشر بعد الغلاف (بدون ترقيم).

(٤) ابن متى، عمرو، أخبار فطاركة كرسي المشرق من كتاب المجدل،(روما، ١٨٩٦م)، ص١.

آخر من كتابه يشير إلى "... تنصّر أهل نجران..." أيام الملك الفارسي "يزدجرد الأول" (٣٩٩- ٤٢٠م)[١]. وهــي الرواية التــي نجدها أكثر وضوحاً في النسخة الأخرى من كتاب المجـدل التي تحدثت عن وصول النصرانية إلى نجـران في نفس الحقبة عن طريق تاجر اسمه "...حيّان، خرج إلى القسطنطينية واجتاز بالحيرة وشاهد جموع النصارى وحسن إيمانهم فتنصّر ولما عاد أعمد أهله وتنصر عل يده خلق كثير..."[٢].

وراويــة "المجـدل" هنا تكاد تكـون مستنسخة تماماً من "تاريـخ سعرت" الأقدم الــذي أورد القصة بنفس التفاصيــل وإن أشار إلى قيام "حيّان" بنشاط تنصيري أوسع في جنــوب جزيــرة العرب[٣]. ومن حيث المبدأ تبدو قصة "حيّان" أقرب للواقع منها إلى الأسطــورة، فالقصة هنا لم تتضمن ما يشبه تلك المعجزات والحكايات الأسطورية التي حفلـت بها كتب ســير القديسين والقصص الديني. والملاحـظ أن القصة تربط انتشار النصرانيــة في نجران بالعامــل التجاري وهذا ما يقوي صحتها. فقد كانت نجران ذات أهمية اقتصادية كبيرة وخاصة على الصعيد التجاري، إذ تقع على طريق تجارة البخور والتوابـل وقد عرف عن أهلها اشتغالهم بالتجارة في عصور ما قبل الإسلام. فلا غرابة أن يرتحل أحد ابنائها إلى بلاد الروم وفارس لتسويق بضائع وجلب اخرى.

أما الزمن الذ وقعت فيه هذه القصة فثمة جدل بين الباحثين حول هوية "يزدجرد" فيمــا إذا كــان "يزدجــرد الأول" (Yazdegerd I) الــذي حكـم بداية القــرن الخامس الميــلادي، أو "يزدجــرد الثاني" (Yazdegerd II) الذي حكـم بين عامي ٤٣٨- ٤٥٧م. وقد رجح عدد من الباحثين مثل "عرفان شهيد"، و"جواد علي"، و"ابوجودة" وغيرهم أن قصــة "حيّان" تلك وقعت أيام "يزدجــرد الأول"[٤]، بينما لا يتفق معهم "كريستيان روبــن" (Christian Robin) الــذي يرجـح وقــوع قصــة "حيّــان" في عهــد "يزدجرد الثــاني"[٥]. لكــن الدراسة الحالية تذهــب إلى ترجيح الــرأي الأول إذ أن مؤلف "تاريخ سعرت" المجهول أشار إلى "يزدجرد" فقط ولم يميزه عن "يزدجرد الثاني بن بهرام"،

---

(١) ابن متى، فطاركة المشرق، ص ٢٨.
(٢) ابن سليمان، المجدل، ص ٣٣.
(3) Scher, ibid, p. 331.
(4) Shahīd, Byzantium and the Arabs, p. 363.
علـي، المفصـل، ج٢١، ص ١٩٠. أبو جودة، صلاح أبو جودة اليسوعي، "أضواء على المسيحية في جنوب الجزيرة العربية"، مجلة المشرق، عدد١، يناير ١٩٩٧، ص ١٠٢، هامش ٥٤.
(5) Robin, Christian Julien, "La Persécution Des Chrétiens De Nagrān Et La Chronologie Chimyarite", ***ARAM Periodical***, 11-12, (1999-2000), p. 67.
كوثر علي، الأخدود، ص ١٤٠.

إضافة إلى أن هذا المؤرخ تحدث بعد قصة "حيّان" مباشرة عن وفاة "يزدجرد" وحزن النصارى عليه بسبب ما ابداه من تسامح كبير تجاههم، وهي واحدة من أبرز السمات التي سجلها المؤرخون عن "يزدجرد الأول"[١]. على أنه من المهم استدراك مسألة هامة أشار إليها "عرفان شهيد"، وهي أن قصة اعتناق "حيّان" للنصرانية سبق "مجمع أفسوس الكنسي" (Council of Ephesus) عام ٤٣١م، و"مجمع خلقدونية" (Council of Chalcedon) عام ٤٥١م[٢]، أي قبل الانشقاق الكنسي وظهور المذهبين النسطوري (Nestorian) والمونوفيزتي (اليعقوبي واليولياني لاحقاً)، وهذه مسألة غاية في الأهمية عند الحديث عن الجانب العقائدي لنصارى نجران.

لكن ما سبق لا يكفي للجزم بصحة خبر وصول النصرانية إلى نجران، إذ تقدم المصادر الموازية سواء النصرانية أو الإسلامية سرديات أخرى تحوي كثيراً من الاختلاف. فمصادر التاريخ الكنسي البيزنطية تقدم هي الأخرى رواياتها التي لا تخلوا من الاضطراب والمبالغة رغم أنها أقدم من الرواية السريانية. فقد تحدث "يوسابيوس القيصري" (Eusebius of Caesarea) عن بعثة تنصيرية قام بها "بانتينس" (Pantaenus) رئيس مدرسة الاسكندرية اللاهوتية إلى بلاد الهند فوجد أن بعض أهلها قد دخل في دين المسيح بالفعل ووجد لديهم نسخة من "إنجيل متّى" (Gospel of Matthew) باللغة العبرية حيث أخبره بعضهم أن منصّراً اسمه "برتلماوس" (Bartholomew) جلبه إليهم[٣]. وقد ناقش أكثر من باحث هذه الرواية التاريخية فوجدوا أن "روفينوس الأكويلي" (Rufinus of Aquileia)، "وجيروم" (Jerome)، و"سقراط الدارس" (Socrates Scholasticus) اللذين تحدثوا عن نفس البعثة أسموا هذه الأرض "ببلاد الهند القريبة" أو "السعيدة"، وهو ما يقوّي الرأي القائل أن المؤلف كان يقصد على الأرجح جنوب بلاد العرب[٤]. وعلى الرغم من أهمية النتيجة التي توصل إليها هؤلاء الباحثين، إلا أن هذه الرواية يبدو عليها الغموض والاضطراب فهي لم تشر إلى شيء يخص نجران تحديداً مما يجعل من الصعب الركون إليها.

أما المؤرخ الكنسي الآخر "فيلوستورغيوس" (Philostorgius) فيقدم رواية أكثر

---

(١) كريستنسن، آرثر، إيران في عهد الساسانيين، ترجمة: يحيى الخشاب، (بيروت، دار النهضة العربية، د.ت)، ص ٢٥٥- ٢٥٨.

(2) Shahīd, ibid, p. 363.

(3) Eusebius, ***The Ecclesiastical History***, Transl. Kirsopp lake, (London, William Heinemann- New York , G.P. Putnam's Sons, n.d), p. 463.

(٤) أبو جودة، أضواء على المسيحية، ص ٨٩. رمضان، دخول المسيحية إلى نجران، ص ٣٧.

وضوحــاً يزعم فيها أن الامبراطـور البيزنطي "قنسطانطيوس الثاني" (Constantius II) أرســل "ثيوفيل الهندي" (Theophilus of India) في العام ٣٥٦م على رأس بعثة تنصيرية إلى "بلاد سبأ" فاستقبله ملكها ورحب به وحصل على إذنه لتأسيس ثلاث كنائس في عدن، وظفار، ونجران التي اقبل أهلها على اعتناق الإيمان الصحيح – يقصد النصرانية – [(١)].

ويميل عدد من الباحثين المحدثين إلى قبول الرواية السريانية على حساب نظيرتها البيزنطيــة، إذ يــرى "عرفان شهيد" و "أبو جودة" تحديداً أن هذه البعثات التنصيرية لم تنجح في تأسيس وجود حقيقي ومؤثر للنصرانية في جنوب جزيرة العرب[(٢)]، وهو ما يتفــق معه "أثناسيوس باباثناسيــو" (Athanasios N. Papathanassiou) الذي يرى أن الروايــة البيزنطيــة لم تكــن أكثر من مجرد محاولة غير ناجحــة لإيجاد موطئ قدم حقيقي للنصرانية في جنوب جزيرة العرب[(٣)].

لم تكــن الروايتــين السريانيــة والبيزنطيــة الوحيدتــان في دعاوى نشــر النصرانية في نجران، فللأحباش روايتهم أيضاً التي كان بطلها " الأسقف أزكير " (The Priest Azqir) الــذي تزعــم أنه أسس كنيســة في نجران ونجح في تنصير ثمانيــة وثلاثين شخصاً من أهل نجران قبل أن يلقى حتفه لاحقاً على يد ملك الحميريين[(٤)]. ولم يستبعد "بيستون" (Beeston) صحــة هــذه الرواية في ظل وجود نفــوذ فعلي للأحباشــ في المنطقة سبق الغــزو الحبشــي بمرحلة من الزمــن لكنها في وجهة نظره ليست ســوى حادثة منعزلة لا أثــر لها في السياسة الدوليــة وقت حدوثها[(٥)]. والواضح لدينا مــن خلال قراءة أحداث المحرقــة التــي حدثت لاحقاً أن ثمة رجل دين حبشي ضمن ضحايا المحرقة مما يؤيد ما ذكره "بيستون" حول طبيعة النفوذ الحبشي في المنطقة قبل أن يغزوها الأحباش[(٦)].

---

(1) Philostorgius, ***Philostorgius: Church History***, Transl. Philip Amidon, (Atlanta, Society of Biblical Lit, 2007), p. 42.

(٢) أبو جودة، أضواء على المسيحية، ص ٩٣.

Shahīd, Byzantium and the Arabs, p. 371.

(3) Papathanassiou, Athanasios N., "Christian missions in pre-Islamic South Arabia", ***International Orthodox Missions Consulation***, (Moscow, 1993), p. 136.

(4) ***The Book of the Saints of the Ethiopian Church***, Transl. E. A. Wallis Budge, (Cambridge: University Press, 1928), p. 159.

(5) A.F.L. Beeston, The Martyrdom of Azqir, ***Proceedings of the Seminar for Arabian Studies***, 2005. JSTOR, 113-118, p 117.

(6) Anonymous, The Book of the Ḥimyarites, pp. ex, xci.

يعقوب، الشهداء الحميريين، ص ١١٩.

وكل مـا سبـق من روايات نصرانية على اختلافها لا يغني عن الرجوع إلى الرواية الإسلامية حول قصة وصول النصرانية إلى نجران، والتي يسندها "محمد بن اسحاق" إلى "وهب بن منبه الأبناوي"(١)، و"محمد بن كعب القرضي"(٢)، و"بعض أهل نجران"، ومفادهـا أن رجـلاً زاهـداً اسمه "فيميون" قـدم من بلاد الشـام إلى نجران وابتنى خيمة يتعبد فيها لله، و كان أهل نجران وقتها أهل وثنية يعبدون نخلة طويلة، و كان عدد مـن نبلائهم يرسلـون أبنائهم إلى "ساحر القرية العظمـى" أي نجران حتى يعلمهم السحـر وحـدث أن أحدهم ويقال لـه "عبدالله بن الثامر" مـر بـ"فيميون" وهو يصلي ويتعبـد لله فأعجبته صلاتـه جعل يجلس إليه حتى أسلم ودخـل في دينه وتعلم فرائضه حتى فقه في الدين(٣).

وتستمـر الرواية بطابع لا يخلـو من السرد الأسطوري و المبالغة حيث يرد فيها أن "ابن الثامر" جهر بدعوة أهل نجران و"...جَعَلَ عَبْدُ اللهِ بْنُ الثَّامرِ إِذَا دَخَلَ نَجْرَانَ لَمْ يَلْـقَ أَحَـدًا به ضُرٌّ إِلَّا قَالَ لَهُ يَا عَبْدَ اللهِ، أَتُوَحِّدُ اللهَ وَتَدْخُلُ فِي دِينِي وَأَدْعُو اللهَ فَيُعَافِيكَ مِمَّا أَنْتَ فِيهِ مِنْ الْبَلَاءِ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ، فَيُوَحِّدُ اللهَ وَيُسْلِمُ، وَيَدْعُو لَهُ فَيُشْفَى، حَتَّى لَمْ يَبْقَ بِنَجْـرَانَ أَحَدٌ بـه ضُرٌّ إِلَّا أَتَاهُ فَاتَّبَعَهُ عَلَى أَمْرِهِ، وَدَعَا لَهُ فَعُـوفِيَ حَتَّى رُفِعَ شَأْنُهُ إِلَى مَلِكِ نَجْـرَانَ، فَدَعَـاهُ فَقَالَ لَهُ: أَفْسَدْتَ عَلَـيَّ أَهْلَ قَرْيَتِي، وَخَالَفْتَ دِينِي وَديـنَ آبَائِي، لَأُمَثِّلَنَّ بِـكَ، قَالَ: لَا تَقْدِرُ عَلَى ذَلِكَ. قَالَ: فَجَعَلَ يُرْسِلُ بِهِ إِلَى الْجَبَلِ الطَّوِيلِ فَيُطْرَحُ عَلَى رَأْسِهِ

---

(١) وهب بن منبّه بن كامل بن سيج بن ذي كبار من ذمار واختلف في أصله فمنهم من قال أنه فارسي من سلالة الأبناء الفرس، ومنهم من قال أنه من اصول يهودية يمنية من حمير. وقد حظي وهب بتقدير المؤرخين وعلماء الحديث فعدّوه تابعي جليل ومحدث ثقة وإخباري مشهور، إلا أن الملاحظ عليه أنه يكثر من الاسرائيليات في مروياتـه، ولـه كثير من الكتب التي لم يصل منها إلا ما رواه مؤرخي الإسلام مثل الطبري، وابن هشام، وابن اسحـاق وغيرهم، اختلـف في وفاته لكن الأرجح أنه مات قرابة العام ١١٠هـ. البخاري، محمد بن إسماعيل بـن إبراهيم بن المغـيرة، التاريخ الكبير، (حيدر آباد الدكن، دائرة المعـارف العثمانية)، ج٨، ص ١٦٤. ابن حبـان، ، محمد بن حبان بن أحمـد ، الثقات، (حيدر آباد الدكن، الهند، دائرة المعارف العثمانية، ١٣٩٣ هـ، ١٩٧٣م)، ج٥، صـ ٤٨٧. ابـن عساكر، علي بن الحسن بن هبـة الله، تاريخ دمشق، تحقيق: عمرو بن غرامة العمروي، (دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٥ هـ، ١٩٩٥ م)، ج٦٣، ص ٣٦٦.

(٢) أبـو حمزة محمد بـن كعب بن حبان المدني مولداً و منزلاً، القرضي نسبـاً فأصله يهودي من بني قريضة، ولـد أواخـر خلافة علي بن أبي طالب رضي الله عنه. برع في تفسير القرآن وعلم الحديث والسير والأخبار ونـال ثقـة علماء الحديث. اختلف في وفاته ما بين ١٠٨هـ و ١١٧هـ و ١١٨هـ. ابن سعد، أبو عبد الله محمد بـن سعـد بن منيع، الطبقات الكـبرى، القسم المتمم لتابعي أهل المدينة ومـن بعدهم، تحقيق: زياد محمد منصـور، (المدينة المنورة، مكتبة العلوم والحكم، ١٤٠٨هـ)، ص ١٣٤. البخاري، التاريخ الكبير، ج١، ص ٢١٦. ابن حبان، الثقات، ج٥، ص ٣٥١.

(٣) ابن هشام، عبد الملك، السيرة النبوية، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، (مصر، مكتبـة ومطبعـة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ١٣٧٥هـ، ١٩٥٥م)، ج١، ص ٣١- ٣٤. الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الرسل والملوك المعروف بتاريخ الطبري، (بيروت، دار التراث، ١٣٨٧هـ، ١٩٦٧م)، ج٢، ص ١٢١- ١٢٢.

فَيَقَـعُ إلَى الأَرْض لَيْسَ به بَأْسٌ، وَجَعَلَ يَبْعَثُ به إلَى مِياه بنَجْرَان، بُحُورٍ لَا يَقَعُ فِيهَا شَيْءٌ إلَّا هَلَـكَ، فَيُلْقَى فيهَـا فَيَخْرُجُ لَيْسَ بِهِ بَأْسٌ. فَلَمَّا غَلَبَهُ قَالَ لَـهُ عَبْدُ اللَّه بْنُ الثَّامر: إنَّك وَاللَّه لَنْ تَقْدرَ عَلَى قَتْلي حَتَّى تُوَحِّدَ اللَّه فتُؤْمنَ بِمَا آمَنْتُ به، فَإنَّكَ إنْ فَعَلْتَ ذَلكَ سُلِّطْتَ عَلَـيَّ فَقَتَلْتَنَـي. قَالَ: فَوَحَّدَ اللَّه تَعَالَى ذَلكَ المَلكُ، وَشَهِـدَ شَهَادَةَ عَبْد اللَّه بْنِ الثَّامر، ثُمَّ ضَرَبَهُ بعَصَا فِي يَده فَشَجَّهُ شَجَّةً غَيْرَ كَبيرَة، فَقَتَلَهُ، ثُمَّ هَلَكَ المَلكُ مَكَانَهُ، وَاسْتَجْمَعَ أَهْلُ نَجْـرَانَ عَلَـى دين عَبْد اللَّه بْنِ الثَّامر، وَكَانَ عَلَى مَا جَاءَ به عيسَى بن مَرْيَمَ منَ الإنْجيلِ وَحُكْمـه، ثُمَّ أَصَابَهُـمْ مثْلُ مَا أَصَابَ أَهْلَ دِينِهِمْ منْ الأَحْدَاث، فَمِـنْ هُنَالكَ كَانَ أَصْلُ النَّصْرَانِيَّة بِنَجْرَانَ..."[1].

وفي رأي "انطونيوس غويـدي" (Antonius Guidi) و"مومبرج" و"أبو جودة" فـإن هذه الروايــة تتشابه في كثير مــن عناصرها الرئيسة مع نظيرتهــا السريانية مما يعنــي في رأيهم أن الروايــة الإسلامية هنا أستُقيت من موارد نسطورية نصرانية أقدم، ويقصــدون بذلك على الأرجــح قصة "التاجر "حيّان"[2]. بينمــا يشكك "ابن جريس" في روايــة ابــن اسحاق مرجحــا وصول النصرانيــة إلى نجران قبل أن وقــوع قصة ابن "الثامر" و"فيميون" بوقت طويل[3].

وفي رأي الباحــث فـإن كل هــذه الآراء محــل نظــر، فرواية تنصّــر أهلها نجران التــي وردت عند ابن اسحــاق يسندها إلى "وهب بن منبه الأبناوي"، و"محمد بن كعب القرضــي" وكلاهمــا تابعي من الرواة الثقاة عند أهل الحديــث[4]، ويسندها – أي ابن اسحاق – في حين آخر إلى "بعض أهل نجران"[5]. وبالتالي فإن مسألة اقتباس الرواية الإسلاميــة من مــوارد نسطورية سريانية تبدو مستبعدة، فاختــلاف أسماء الرواة التي وردت في كلا القصتين أبرز الأدلة على اختلاف أصول الروايتين الاسلامية والسريانية حتــى وإن حاول مومبرج وغويــدي التقليل من هذه المسألة تحديداً، ووضوح مصادر ابن اسحاق هنا مسألة لم تأخذ حقها الكافي من الاعتبار في نقاشاتهم السابقة.

---

(١) ابن هشام، السيرة، ج١، ص ٣٤. الطبري، التاريخ، ج٢، ص ١٢١- ١٢٢.

(2) Anonymous, The Book of the Ḥimyarites, pp. xlv.

أبو جودة، أضواء على المسيحية، ص ٩٨- ١٠١.

(٣) ابن جريس، غيثان، نجران، دراسة تاريخية حضارية (ق١- ق٤هـ / ق٧- ق١٠م)، (الرياض، الحميضي للطباعة والنشر، ط١، ١٤٢٥هـ، ٢٠٠٤م)، ص ٤٨.

(٤) ابــن سعــد، الطبقات الكبرى، القسم المتمم، ص ١٣٤. البخاري، التاريخ الكبيـر، ج١، ص ٢١٦، ج٨، ص ١٦٤. ابن حبان، الثقات، ج٥، ص ٤٨٧، ص ٣٥١. ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٦٣، ص ٣٦٦.

(٥) ابن هشام، السيرة، ج١، ص ٣٤.

إضافة إلى ما سبق فإن مسألة التشكيك في الرواية الإسلامية لا يجب أن يفضي إلى استبعادها، بل الأجدى أن يتجه النقاش إلى دراسة ثمة إشكالية تبرز فيها وتتمثل في التسلسل الزمني للأحداث الذي يعاني خللاً واضحاً، على عكس نظيرتها السريانية التي يبدو التسلسل الزمني فيها مقنعاً، فالرواية الإسلامية تتحدث عن تسلسل سريع للأحداث بدء بقتل الغلام - عبدالله بن الثامر - ثم اضطهاد أهل نجران، وهذا يعني اختزال النطاق الزمني بين انتشار النصرانية في نجران وقصة الاخدود. لكن المتمعن جيداً لرواية ابن اسحاق التي يلفها الاضطراب سيجد الإجابة في نص قصير يسنده ابن اسحاق إلى "وهب بن منبه" في قصة النخلة التي كان يعبدها أهل نجران ثم دعا عليها فيميون: "... فَاتَّبَعَهُ عِنْدَ ذَلِكَ أَهْلُ نَجْرَانَ عَلَى دِينِه، فَحَمَلَهُمْ عَلَى الشَّرِيعَةِ مِنْ دِينِ عِيسَى بن مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، ثُمَّ دَخَلَتْ عَلَيْهِمْ الْأَحْدَاثُ الَّتِي دَخَلَتْ عَلَى أَهْلِ دِينِهِمْ بِكُلِّ أَرْضٍ، فَمِنْ هُنَالِكَ كَانَتْ النَّصْرَانِيَّةُ بِنَجْرَانَ فِي أَرْضِ الْعَرَبِ"[(١)].

تؤكد رواية وهب التي نقلها ابن اسحاق هنا أن ثمة فاصل زمني تجاهله الرواة بين قصة اعتناق أهل نجران للنصرانية وقصة الأخدود التي حدثت لاحقاً فإذا كانت قد "دخلت عليهم الأحداث" كما يقول "وهب بن منبه"، فإن ذلك يوحي بمرور مرحلة من الزمن قبل أن تقع المحرقة، وتؤكد صحة ما نرمي إليه حول وجوب إعادة ضبط التسلسل الزمني في الرواية الإسلامية.

وبالتالي فإنه يمكن القول إن ما سبق من روايات حول انتشار النصرانية في نجران تحديداً وخاصة الروايتين السريانية والإسلامية يعكس حقيقة واحدة يمكن استخلاصها وهي أن ثمة نشاط تنصيري محموم وصل إلى المنطقة نتيجة لعلاقاتها التجارية الواسعة وأهميتها الاقتصادية الدولية البالغة الأهمية كمركز رئيس على طرق تجارة البخور. ويعلق "جواد علي" على الروايات السابقة بأنها دليل على "أن النصرانية لم تدخل العربية الجنوبية من طريق واحد"[(٢)]. وإذا كان جواد علي قد عمم هذا الاستنتاج على نطاق جغرافي واسع فإنه أحرى أن ينطبق بشكل أدق على قصة النصرانية في نجران التي وصلت على الأرجح عبر أكثر من شخص وطريق إلى المنطقة مما جعلها تنمو وتنتشر بين نسبة كبيرة من أهل نجران مما شكل تحدياً أمنياً وسياسياً ودينياً للسلطة الحميرية كما سيتضح في المبحث التالي.

---

(١) ابن هشام، السيرة، ج١، ص ٣٣- ٣٤.
(٢) علي، المفصل،ج١٢، ص١٩١.

رابعاً: محنة النصرانية في نجران: من الانتشار إلى الاضطهاد

تحدثت المصادر السريانية عن حادثة اضطهاد نصارى نجران باستفاضة كبيرة وتفاصيل دقيقة لا تخلوا من التصوير المأساوي والعاطفة الدينية المتقدة. فقد وردت حادثة اضطهاد نصارى نجران عند أكثر من مؤرخ سرياني متقدم كواحدة من أهم حوادث السنين التي أرّخوا لها مثل "يعقوب الرهاوي" (Jacob of Edessa)، و"الراهب القرطميني" (Qarṭmīn Monastery)، و"غريغوريوس بن العبري" (Bar Hebraeus) وغيرهم[1]. لكن ثمة مصادر أقدم كُتبت خصيصاً في مناسبة هذه الحادثة، وتعد "رسالتي الأرشمي" و"كتاب الشهداء الحميريين" أهم و أقدم ما وصلنا عن هذا الحدث، وقد تحدث فيها الأرشمي عن تلقيه أخبار المجزرة المروعة حينما كان في زيارة لملك الحيرة المنذر بن ماء السماء[2]، ومصادفته وصول مندوب أرسله ملك الحميريين يوضح له تفاصيل ما فعله تجاه الوجود النصراني مملكته ومن ضمنها نجران التي ارتكب فيها "مجزرة رهيبة" وقيامه بإحراق كنيستها وأسقفها بولس وعدد كبير من "الأشراف النجرانيين"، وفي نهاية رسالته – أي الملك الحميري – حث الملك "المنذر" الذي كان لا يزال وثنياً وقتها على اتخاذ نفس الإجراءات تجاه رعاياه النصارى[3]. وفي باقي "رسالة الأرشمي" تفاصيل نقلها له شهود عيان عن الحوار الذي دار بين كبير نصارى نجران – الحارث بن كعب– والملك الحميري الذي أسماه الأرشمي بـ "مسروق"، حيث انتهى الحوار بإعدام الشيخ النجراني ومعه جمع من أبناء

---

(1) Brooks, Ernest Walter. "The Chronological Canon of James of Edessa." ***Zeitschrift der Deutschen Morgenländischen Gesellschaft*** **54**,1, pp. 100-102, (1900), p. 319.

الباسبريتي، منصور بن مرزوق، حوليات الراهب القرطميني، (دهوك، دار المشرق، ٢٠١٢م)، ص٣٢. ابن العبري، غريغوريوس أبو الفرج بن هارون الملطي والمعروف بـ ابن العبري، التاريخ الكنسي، ترجمة، صليبا شمعون، (دهوك، دار المشرق الثقافية، ٢٠١٢م)، ج١، ص ٥٠.

(٢) هو المنذر الثالث بن امرئ القيس بن النعمان الملقب بابن ماء السماء نسبة إلى أمه واسمها ماوية بنت عوف بن جشم تولى الحكم مرتين الأولى بدأت عام ٥١٤م– ٥٢٤م حيث انتهت باستيلاء ملك كندة "الحجر بن آكل المرار" على الحيرة بدعم ملك فارس حينها "قباذ الأول بن فيروز" لكن المنذر عاد لاحقاً إلى الحيرة منتصراً عام ٥٣١م وبدعم كسرى الأول هذه المرة فظل ملكاً للحيرة حتى مقتله في معركة "عين أباغ" مع ملك الغساسنة "الحارث الأعرج بن جبلة" عام ٥٥٣م، وقد كان "المنذر" وثنياً في اول أمره لكنه تنصّر لاحقاً على يد "حنظلة بن أبي عفر" في قصة روتها مصادر الأدب والتاريخ الإسلامي. الأصفهاني، حمزة بن الحسن، تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء، (بيروت، مكتبة الحياة، ١٩٦١م)، ص ٨١– ٨٤. غنيمة، يوسف رزق الله، الحيرة والمملكة العربية، (بغداد، مطبعة دنكور الحديثة، ١٩٣٦م)، ص ١٦٥– ١٨٢.

(3) Zachariah of Mitylene, ibid, pp. 192- 203. Anonymous, The Chronicle of Zuqnīn, pp. 78- 85.

يعقوب، الشهداء الحميريين، ص ٤٣.

طائفته، فقد قطعت رؤوسهم والقيت جثثهم في الكنيسة قبل حرقها لاحقاً. كما تضمنت الرسالة تسجيل حوادث استشهاد نساء أخريات رفضن الارتداد عن دين المسيح مثل "رهم (رومي) بنت أزمع"، و"حفصة (حبصة) بنت حيّان"، إضافة إلى قصة الطفل الذي حث أمه على عدم الارتداد عن دينها[١]. وختم الأرشمي رسالته بأن حث أساقفة الإسكندرية أن يكتبوا بدورهم إلى ملك الحبشة لنجدة نصارى نجران، كما دعا إلى نقل أخبار الحادثة إلى أهم مدن العالم النصراني في ذلك الوقت محملاً يهود طبرية تحديداً دوراً تحريضياً تجاه في حدث من اضطهاد للنصارى في "بلاد الحميريين"[٢].

أما الرسالة الثانية المنسوبة إلى الأرشمي، و"كتاب الحميريين" فقد تضمن كلاهما معلومات مشابهة لما ورد في "الرسالة الأولى" لكنها تبدو أكثر وضوحاً إذ تحدثا عن إرسال الملك الحميري لحملة عسكرية يتزعمها ثلاثة من كبار قادته حيث حاصرت المدينة لكنها فشلت في تحقيق مرادها قبل أن يتقدم الملك نفسه حملة أكبر قدرها الأرشمي بـ ١٢٠ الف مقاتل، وقد استطاعت إجبار أهل المدينة على الاستسلام بعد أن أقسم لهم الملك الحميري (بالرحمن وشرائع موسى) بعدم المساس بهم حيث أدى بعض الكهنة اليهود - من طبرية – دور الوسيط في هذا الصلح[٣]. ثم يتحدث الأرشمي ومؤلف "كتاب الحميريين" عن غدر الملك الحميري بأهل نجران، ويصف الطريقة التي قتل بها النصارى حيث أمر بتصفية جميع من استسلم وجمع جثثهم في الكنيسة الكبرى للمدينة، ثم دعا برجال الدين من قساوسة وشمامسة وأفراد آخرين قبض عليهم لاحقاً وزُج بهم أيضاً في الكنيسة قبل أن تصدر أوامر الملك بحرق الكنيسة على من فيها[٤].

كما تضمنت "رسالة الأرشمي الثانية" معلومات لا تخلوا من الغرابة والمبالغة حيث تشير إلى مجموعة من النساء النصرانيات اللذين رمين بأنفسهن في النار بعدما شاهدن مصير من سبقهن. كما يتحدث المصدران - رسالة الأرشمي الثانية وكتاب الحميريين - مرة أخرى عن الحوار الذي دار بين الملك الحميري وزعيم النصارى النجرانيين، وقصة رهم وحفصة إضافة إلى شخصيات أخرى تعرضت للمساومة

---

(١) يعقوب، المرجع نفسه، ٤٤- ٤٦.

(٢) يعقوب، المرجع نفسه.

(٣) يعقوب، المرجع نفسه، ص ٤٩.

Anonymous, The Book of the Ḥimyarites , p. cvii . Shahīd, The Martyrs of Najrān, p. 45.

(٤) يعقوب، المرجع نفسه، ص ٥٠.

Anonymous, ibid, p. cxii. Shahīd, ibid, pp. 46- 47.

علــى ترك دينها والقتل لاحقــاً[١]. وتتضمن الرسالة بعض أصناف التعذيب والقتل التي تعرض لها النصارى النجرانيين مثل قطع الأعناق، والحرق بالنار، والرشق بالحجارة، وربط الضحايا بالحيوانات ثم جرّهم حتى الموت[٢].

إلا أن ثمة إشارة مهمة ترد في كتاب الحميريين في ثنايا حوار "حفصة" مع الملك الحمـيري حيـث كانت تفتخـر بأن والدهــا – أو جدها – "حيّان" قد قــام بحرق كنيس يهــودي قبـل موته، وهو ما اعتــبره "مومبرج" دليلاً واضحاً على حـدوث صراع يهودي- نصــراني في نجران قبـل أن يغزوها ذو نواســ[٣]، وهو رأي محل اتفــاق بعض المؤرخين المسلمــين، ذلـك أن الدينوري والطبري أشــارا إلى أن أحد أسباب مجـيء ذو نواس إلى نجران هو ما تعرض له بعض يهودها من اضطهاد النصارى النجرانيين[٤]، وهو ما يعني وقوع صراع طائفي خطير دفعت جنوب الجزيرة العربية بأسرها ثمنه غالياً فيما بعد.

وإذا كــان الطابــع المأساوي والعاطفة الدينية قــد طغت على "رسالتي الأرشمي" و"كتــاب الحميريــين"، فــإن الخلفية المذهبيــة للمؤلفين كانــت سمة واضحــة في ثنايا تصويرهما عبارات الشهداء النجرانيــين التي حفلت بعبارات التثليث والطبيعة الإلهية للسيــد المسيح - عليه السلام - كما يصورها المذهــب اليعقوبي المونوفيزتي[٥]، وهو ما يجعــل مسألة قبولها محل تحفظ فقد غلبت عليها العاطفة الدينية والغرض الذي كُتبت من أجله وهو تحريض العالم النصراني ضد الملك الحميري كما سبق توضيحه.

وبينمــا يتوقــف التسلسل الزمني للأحــداث عند الأرشمــي في رسالتيه عند حث أساقفــة الإسكندريــة أن يكتبــوا بدورهــم إلى ملــك الحبشــة، يستمــر مؤلــف "كتاب الحميريــين" في سرد بقية الأحــداث حيث وضع في مقدمة محتويــات كتابه عنواناً عن الفصــل الرابــع الذي تحدث فيه عن ذهاب أسقف نجــران واسمه "توما" إلى الحبشة

(١) المرجع نفسه، ص ٥٣- ٥٦.
Anonymous, ibid, p. cxxxvii.

(٢) المرجع نفسه، ص ٥٣- ٥٦.
Anonymous, p. cxxvii. Shahīd, Ibid. pp. 48- 52.

(3) Anonymous, The Book of the Ḥimyarites, p. xlix, p. cxxiii.

(٤) الدينــوري، أبــو حنيفة أحمد بن داود، الأخبــار الطوال، تحقيق: عبد المنعم عامــر و الدكتور جمال الدين الشيــال، (القاهــرة، دار إحياء الكتب العربــي – عيسى البابي الحلبي وشركــاه، ١٩٦٠م، ط١)، ص ٦١. الطبري، التاريخ، ج٢، ص ١٢٣

(٥) يعقوب، الشهداء الحميريين، ص ٥٤- ٥٧.
Anonymous, The Book of the Ḥimyarites, p. xlix, p. cxxiii.

ناقلاً معه أخبار المحرقة[١]، لكن المؤلف نفسه تحدث في موضع آخر من كتابه عن عريضة تقدم بها نجراني آخر اسمه "معاوية" إلى بلاط الملك الحبشي "كالب الأصبحة" (Kāleb the Elesbaan) طالباً النجدة لأبناء ملته، لكن هذا الفصل سقط ضمن الفصول المفقودة[٢]. غير أن بقية أجزاء الكتاب تتحدث عن ما بعد الانتصار الذي حققته الحملة العسكرية التي قادها كالب بنفسه، حيث وصل بجيشه إلى نجران وامتحن ديانة أهلها، فقد ذكر المؤلف أن كثيراً من الحميريين نجو من الانتقام حينما وشموا ايديهم بعلامة الصليب زاعماً أن كثيراً منهم كانوا يهوداً. ثم أقام سبعة أشهر قام خلالها بإعادة ترميم كنائسها وبنى كنائس جديدة، وعين رجال دين جدد، ثم اختتمها بتعيين حاكم جديد للبلاد وفرض جزية مالية تُدع له مقابل التبعية، ثم عاد إلى الحبشة[٣].

يتفق هذا النص التاريخي مع كل الروايات الإسلامية والحبشية واليونانية في أن الأحباش قد غزوا بلاد حمير وقضوا على آخر ملوكها نتيجة لما قام به تجاه نصارى نجران، إلا أن ثمة اختلافات في التفاصيل تتضح من خلال تلك الروايات. فالرواية الحبشية التي دوِّنت في "سير القديسين الأثيوبيين، السنسكار" (Synaxarium) تُظهر تشابهاً كبيراً مع ما ذكره مؤلف "كتاب الحميريين"، إذ تشير إلى ما فعله ملك بلاد "سبأ" اليهودي بأهل نجران عندما حاصرهم بأن أقسم لهم بالتوراة أن لا يغدر بهم، ولكنه نكث بعهده وقتلهم وعلى رأسهم "القديس حارثة بن كعب"، وقد وصلت أصداء هذه المذبحة إلى "جستين الأول" (Justin I) ملك الروم بعث رسالة إلى "تيموثاوس" (Timothy) رئيس أساقفة الكنسية القبطية بالإسكندرية أن يكتب إلى ملك أكسوم (الحبشة) حتى ينقذ نصارى نجران من مجازر الملك اليهودي، وبالفعل استجاب الملك الحبشي وقاد حملة كبيرة قضى خلالها على الملك اليهودي وأعاد ترميم كنيسة نجران وجعل منها مزاراً للحج الكنسي (Commemoration)[٤].

لا تحمل الرواية الحبشية هنا شيئاً من الاختلاف مع الرواية السريانية سوى في ذكر السبب الذي دفع ملك الحبشة إلى التدخل وهي رسالة الامبراطور جستين. هذا الاختلاف البسيط يقودنا للبحث عن مصدر الرواية الحبشية التي تكاد تكون مستنسخة من مصدر أقدم وهو رواية "استشهاد القديس الحارث" وهي رواية كتبها

(1) ibid, p. ci.
(2) ibid, p. civ.
(3) Ibid, pp. cxlii - cxxxvii .
(4) The Book of the Saints, pp. 166- 168.

مؤلـف مجهـول يجيد اليونانية في القرن السادس الميـلادي، ثم ترجمت لاحقاً إلى عدة لغات بينهـا "الجعزية" الحبشية باسم "سيرة حيروت"[١]، بـل إن أكبر دلالات اعتماد الروايـة الحبشيـة على رواية "استشهـاد القديس الحارث" استخـدام نفس المصطلح السياسـي الـذي عرّف به مؤلف الرواية ذو نواس حينمـا أسماه بـ "ملك سبأ" بدلاً عن "ملـك حمـير"[٢]، وهذا ما يفضـي إلى نتيجة مفادها أن الروايـة الحبشية هنا لا تبدو أصيلة مثل نظيرتها السريانية.

لكـن روايــة "استشهاد الحارث" تبـدو ذات أهمية بالغة هنـا، إذ تنقل تفاصيل تجاوزتها الروايتين الحبشية، والسريانية، فقد تحدثت بتفاصيل مستفيضة ذات تصوير اسطـوري ومأساوي عن أوامر الملك اليهـودي إلى جنوده بخد حفرة كبيرة على أطراف الــوادي وإيقاد نـار كبيرة ألقي فيها عدد كبير النصــارى المضطهدين ليلقوا مصيرهم حرقـا وهو ما تنص عليه الرواية الإسلامية ايضاً[٣]. كمـا اصطلحت على تسمية الملك الحمـيري بـ "دنحاس" القريبة من "ذو نواس" الذي تقدمه الرواية الاسلامية، وليس "مسـروق" كمـا في الرواية السريانية مادة هـذه الدراسة الرئيسـة[٤]. ولعل ذلك ما يجعل من نافلة القول أن الرواية الحبشية هنا تبدو أقرب للرواية الإسلامية في المسألتين السابقتـين، وهو ما يعنـي أن كاتبها اعتمد على مصادر قريبة مـن نظيرتها الإسلامية والأرجـح أنهـا نجرانية ذلك أنه تحدث عن ما دار في بـلاط ملك الحيرة حينما وصلته رسالـة الملـك الحميري بخبر اضطهاد نصارى نجـران. ولا أدل على ذلك من أن رواية "استشهاد الحارث" تظهر تطابقاً لافتاً مع الرواية السريانية -رسالتي الأرشمي وكتاب الحميريـين- التـي استقت بدورها معلومات الحادثة من ناجـين من المحرقة قدموا من نجــران، وذلــك ما يتبين في عناصر رئيسة في سردية الاضطهــاد مثل الإشارة إلى نكث الملك اليهودي باليمين الذي قطعه لأهل نجران، ونبشه عظام أسقفهم "بولس"، وحرق رجال الدين في الكنيسة، وشخصية "القديس الحارث"، وقصة "رهم بنت أزمع" التي اسماهـا "دهـم"، وحادثة الطفل الصغير مع الملـك، ورسالة الملك الحميري إلى ملك الحيرة، واسم الملك الحبشي "الأصبحة"[٥].

---

(١) كوثر علي، حادثة الأخدود، ص ٤٣٧.

(٢) مجهـول، الروايــة العربية لاستشهاد القديس حارث بن كعب ورفقائه في مدينة نجران، حققها وقدم لها: حارث ابراهيم، (بيروت، منشورات جامعة البلمند، ٢٠٠٧، ط١)، ص ١٢٣- ١٢٥.

(٣) ابن هشام، السيرة النبوية، ج١، ص ٣١- ٣٤. مجهول، الرواية العربية ، ص ١١٢- ١١٥.

(٤) مجهول، المرجع نفسه، ص ١٣٠.

(٥) المصدر نفسه، ص٩٤- ١٢٠.

لكن ثمة مسألة هنا ينبغي التوقف عندها وتتعلق باسم الملك الحميري الذي اقترف مأساة الاضطهاد، وزعيم النصارى النجرانيين الذي تقدمه الرواية السريانية ونظيراتها النصرانية باسم "الحارث" أو "حارثة" بن كعب. وفي هذا الصدد يعلل "عصام سخنيني" سبب تبني الرواية السريانية "مسروق" بدلاً من "ذو نواس" أو "يوسف" الذي نصت عليه الرواية الاسلامية والنقوش بأنه تحريف متعمد لما يحظى به اسم "يوسف" من ذاكرة تبجيلية في تاريخ النصرانية، ولذلك ربما تبنت "مسروق" التي تعني عديم القيمة في السريانية بهدف التحقير من اسمه(١).

وأياً كان التعليل فإن الواضح أن اسم "مسروق" يتردد بإجماع كبير في الموارد السريانية، لكن ذلك لا يتفق مع ما تظهره الدراسات الأثرية التي أجريت في المنطقة، وأسفرت عن اكتشاف نقوش تحوي نصوصاً بالغة الأهمية وذات علاقة مباشرة بالمحرقة. فقد وردت الإشارة صريحة إلى الملك "يوسف أسار" في ثلاثة نقوش في "آبار حما" (ريكمانز ٥٠٧-Ryckmans 507، وجام ١٠٢٨- Jamme 1028) و"جبل الكوكب" (ريكمانز ٥٠٨- Ryckmans 508)، الواقعة إلى الشمال الشرقي من نجران، حيث دُوِّن أحدها بتاريخ يوليو ٦٣٣ حميري/ ٥٢٣م تقريباً، وتوثّق النقوش الثلاثة جميعها العمليات العسكرية التي خاضها الملك "يوسف أسار يثأر" ضد أشكال الوجود الحبشي في جنوب جزيرة العرب مثل حرق الكنائس، وتأديب القبائل المتحالفة معهم، ومصادرة الأموال وغيرها، كما تشير بوضوح إلى تلك الحملة العسكرية التي أرسلها إلى نجران وتحقيقها انتصاراً كبيراً على النجرانيين وحلفائهم الأحباش(٢).

كل ما سبق إذاً يظهر توافقاً لافتاً مع الخط العام للرواية السريانية التي تتهم الملك الحميري بارتكاب أعمال تطهير ديني ضد الوجود النصراني في حواضر أخرى

---

(١) سخنيني، مقاتل المسيحيين، ص ٩٥.

(٢) بافقيه، محمد عبدالقادر، تاريخ اليمن القديم، (بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٨ م)، ص١٥٤- ١٥٦. العتيبي، محمد بن سلطان، "آثار نجران ما قبل الإسلام"، موسوعة المملكة العربية السعودية، محور الآثار، منطقة نجران، الباب ٣، الفصل ٢ (الرياض، مكتبة الملك عبد العزيز العامة، ١٤٢٨هـ، ٢٠٠٧م)، ص ٢٠٥. ولنفس المؤلف، التنظيمات والمعارك الحربية في سبأ من خلال النصوص منذ القرن السادس ق.م وحتى القرن السادس الميلادي، (الرياض، وكالة الوزارة للآثار والمتاحف، ١٤٢٧ هـ، ٢٠٠٦ م، ط)١، ص ٣٠٦- ٣١٢. كوثر علي، حادثة الأخدود، ص ٣٣٥- ٣٥٠.

Hoyland, Robert, ***Arabia and the Arabs: from the Bronze Age to the coming of*** **Islam,** (London and New York, Psychology Press, 2001), pp. 52- 53. .Robin, Christian, " Ḥimyar, Aksūm, and Arabia Deserta in Late Antiquity: The Epigraphic Evidence", ed. Greg Fisher***, Arabs and Empire Before Islam***, (Oxford, Oxford University Press Oxford, 2015), pp. 40- 41.

غير نجران مثل ظفار والمخا وعدن ومنها القتل على الهوية الدينية، وقتل رجال الكنيسة الأحباش، وحرق الكنائس. علاوة على ما سبق، تتفق النقوش المسندية بشكل لافت مع الطبري والمسعودي الذين أشارا صراحة إلى أن ذونواس اتخذ "يوسف" اسماً له بعد أن تهوّد[١]، بينما كان الأخير - أي ذو نواس - لقب أطلق عليه لذؤابتان كانتا تتدليان على رأسه[٢]. وهكذا فإن كل هذه التفاصيل تجلي الغموض حول اسم الملك الحميري.

والحديث عن ما ورد في النقوش الثلاثة يأخذ النقاش إلى ثمة مسألة جديرة بالتوقف عندها، إذ اعتبرت دراستين حديثتين عدم إشارة النقوش الثلاثة إلى حفر الأخدود، أو ارتكاب مذبحة في نجران دليلاً على نفي صلة قصة الأخدود بنصارى نجران[٣]. ومسألة عدم الإشارة إلى حفر الأخدود، أو حتى الهوية الدينية لنصارى نجران واضحة في النقوش الثلاثة، لكن ذلك لا يعد دليلاً كافياً على نفي الارتباط بين نجران وقصة الاخدود، ذلك أن المصادر الإسلامية ونظيرتها النصرانية - السريانية واليونانية- أثبتت مصداقية عالية في تسجيل الأحداث رغم ما يعتريها من ملاحظات سبق الإشارة إليها في حينه. وإذا كانت الرواية الإسلامية لا تقدم دليلاً كافياً على أن نصارى نجران هم شهداء الاخدود بالنسبة للباحثتين، فإن ما ذكره مؤلف " سيرة القديس الحارث" حول أوامر الملك اليهودي بحفر الأخدود على أطراف الوادي يثير تساؤلاً جديراً بالأخذ به، ذلك أنه لا يبدي تطابقاً صريحاً مع الرواية الإسلامية المبنية أصلاً على ما ورد في القرآن الكريم حول قصة " أصحاب الأخدود" فحسب، بل لأنه اعتمد على مصادر مستقلة وبعضها شهود عيان مما ساعده على تكوين رواية تتطابق كثير من تفاصيلها مع نظيرتيها السريانية والاسلامية كما سبق توضيحه[٤]. كما فات على الباحثتين مسألة أخرى مهمة وهي أن تواريخ العالم القديم في بلاد الرافدين، وفارس، والتواريخ النصرانية لم تتحدث عن قصة أخدود مشابهة لما وقع في نجران، رغم حوادث الاضطهاد الديني التي سجلتها بتفاصيل كثيرة[٥].

---

(١) الطبري، التاريخ، ج٢، ص ١١٩. المسعودي، علي بن الحسن، مروج الذهب ومعادن الجوهر، (بيروت، المكتبة العصرية، ١٤٢٥هـ، ٢٠٠٥م، ط١)، ج٢، ص٦٢.

(٢) ابن قتيبة، عبدالله بن مسلم، المعارف، تحقيق: ثروت عكاشة، (القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٢م، ط٢)، ص٦٣٦ . الدينوري، الأخبار الطوال، ص ٦١.

(٣) ابو الجدايل، شهداء نجران، ص ٢٣. كوثر علي، حادثة الأخدود، ص ٣٥١.

(٤) مجهول، الرواية العربية ، ص ١١٢- ١١٥.

(٥) مهران، محمد بيومي، دراسات تاريخية من القرآن الكريم، بلاد العرب (١)، (بيروت، دار النهضة العربية، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م، ط٢)، ص٣٦٣ – ٣٦٤.

وإذا ما تناولنا الجانب الديني في هذا النقاش، فإن النصرانية ديانة سماوية تتفق في أصولها الأولى مع جوهر العقيدة الإسلامية القائمة على "التوحيد" وبشرية السيد المسيح - عليه السلام -، وقد رجّحت الدراسة الحالية وصولها - أي النصرانية - إلى نجران قبل الانشقاق الكنسي، أي قبل بروز الصراع الديني في الكنائس الشرقية حول طبيعة السيد المسيح - عليه السلام -، فهل يمكن الاطمئنان للمصادر النصرانية في تعريفها لعقيدة نصارى نجران في السيد المسيح - عليه السلام - التي ذكرنا فيما سبق أن تناولها كان من خلال الخلفية العقائدية للمؤرخين النصارى أكثر من الموضوعية التاريخية. وبالتالي فإنه ليس من الموضوعية في شيء الجزم بأن من تعرض للاضطهاد من نصارى نجران كانوا على المذهب اليعقوبي المنوفيزتي في ظل طغيان العاطفة الدينية على المصادر النصرانية واختلافها الكلي مع نظيرتها الإسلامية التي تقدم تعريفاً إسلامياً - إذا صح التعبير- عن عقيدة نصارى نجران في السيد المسيح - عليه السلام -. وعليه فإن كل القرائن السابقة تؤكد الارتباط التاريخي بين قصة الأخدود ونصارى نجران، أما غير ذلك فهو مجافاة للحقيقة، إلا أن يتوفر دليل واضح حول عقيدة النصارى النجرانيين الأوائل في المسيح - عليه السلام -.

أما اسم زعيم النصارى النجرانيين فهي مسألة أخرى جديرة بالبحث ذلك أن ثمة جدلٍ يُثار حولها، فقد اعتبره "مومبرج" سؤالاً مفتوحاً ذلك أن اسم "الحارث" ظل متكرراً في كتاب الحميريين دون دليل كاف يربطه بعبدالله بن الثامر أو حتى "الحارث بن كعب" القبيلة المشهورة[1]. إلا أن "سخنيني" عد تكرار المصادر النصرانية لاسم "الحارث بن كعب" دليلاً يؤكد انه - أي الحارث- كان المتولي لزعامة النصارى المضطهدين في نجران[2]، وهو ما لا يتفق معه "أبو جودة" الذي يرى فيه اسم القبيلة اكثر منه اسم الشخص[3]. والواقع أن الحقيقة المتواترة تاريخياً أن "الحارث بن كعب" اسم قبيلة كبيرة استوطنت منطقة نجران والمناطق القريبة منها بإجماع مصادر التراث الإسلامي[4]، بل إن أحد النقوش المسندية تحدث صراحة عن الحملة العسكرية التي أرسلها الملك الحميري "شمر يهرعش" الذي عاش حتى نهاية القرن الثالث

(1) Anonymous, The Book of the Ḥimyarites, p. lx.

(٢) سخنيني، مقاتل المسيحيين، ص ١٠٦.

(٣) أبو جودة، أضواء على المسيحية، ص ١٠٧، هامش ٧٠.

(٤) تنتسب هذه القبيلة إلى الحارث بن كعب بن عمر بن علة بن جلد بن مالك وهو مذحج بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان. انظر: ابن الكلبي، هشام بن محمد بن السائب، نسب معد واليمن الكبير، ت: ناجي حسن، (بيروت، عالم الكتب، ١٤٢٥هـ، ٢٠٠٤م)، ج٢، ص ٢٦٧. ابن حزم، علي بن محمد، جمهرة أنساب العرب، (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٨هـ، ١٩٩٨م)، ص٤١٦.

الميلادي ضد قبيلة "حارثتن بن كعبم" (أي الحارث بن كعب)(١). وهذا ما يعني أن قبيلة بنو الحارث بن كعب كانت معروفة خلال القرن الرابع الميلادي على أقل تقدير. والأرجح أن زعيم الطائفة النجرانية ينتمي إلى قبيلة بني الحارث بن كعب وليس اسمه ما نصت عليه المصادر السريانية - وحتى اليونانية والحبشية -، لذلك ليس مستبعداً أن تقع المصادر السريانية وغيرها من التواريخ النصرانية في خلط كهذا، خاصة وأنها اعتمدت على مصادر شفهية وبلغات مختلفة فأسباب الخطأ واردة إذاً.

أما الجزئية الأخيرة الخاصة بما قام به الملك الحبشي في نجران فلا نجد فارقاً كبيراً بين الروايتين السريانية واليونانية إذ يشير مؤلف رواية "استشهاد الحارث" إلى قيام الملك الحبشي بترميم ما دُمِّر من كنائس وجعل أحدها مزاراً للشهداء، كما قام بتعيين رجال دين جدد كان أسقف الإسكندرية قد بعث بهم(٢). وهو ما يتطابق كثيراً مع ما أشار له مصدر يوناني آخر هو "أعمال الأسقف جريجنتوس" (The Acts of Gregentios) لمؤلف مجهول من القرن ١٠م على أقل تقدير(٣)، حيث تحدث فيه عن رحلة "جريجنتوس" إلى جنوب الجزيرة العربية ووصوله إلى نجران في أعقاب انتصار الأحباش، وأشار إلى قيام ملكٍ الأحباش "كالب" ببناء ثلاث كنائس كبرى أحدها بُنيت في نفس موضع الكنيسة التي أحرق فيها الشهداء النجرانيين(٤).

إلا أن ثمة اختلاف عن ما سبق ينفرد به مؤلف رواية "استشهاد الحارث" الذي يشير إلى قيام الملك الحبشي بتعيين ابن "القديس الحارث" حاكماً محليا على نجران، والذي لا يرد له ذكر في الرواية السريانية، أو حتى في "أعمال جريجنتوس" مما يعيدنا إلى مسألة الاختلاف الجزئي في الموارد التي اعتمدت عليها كلا الروايتين في بعض تفاصيل الحدث(٥).

لكن كلا الروايتين السريانية واليونانية تختلف تماماً مع المصادر الإسلامية في تحديد اسم ومنصب الرجل الذي قاد الحملة الحبشية على مملكة حمير، إذ تقول الرواية الإسلامية إن "أرياط" أحد قادة الملك الحبشي الكبار وليس الملك نفسه هو

---

(1) Jamme, Albert, ***Sabaean Inscriptions from Maḥram Bilqîs (Mârib)***, (Johns Hopkins Press, 1962), p 164- 165.

(٢) مجهول، الرواية العربية، ص ١٣٧.

(3) Berger, Albrechet, ***Life and works of Saint Gregentios, Archbishop of Taphar: introduction, critical edition and translation (The Acts of Gregentios)*** (Berlin-New York, Walter de Gruyter, 2006), p. 50.

(4) Berger, ibid, pp.5, 51,

(٥) مجهول، الرواية العربية، ١٣٧. وانظر أيضاً:
Anonymous, The Book of the Ḥimyarites, xxxv.

من قاد الجيش الحبشي إلى الانتصار والقضاء على الملك الحميري[١]. غير أن الرواية الإسلامية توقفت عن ذكر أي تفاصيل تخص وصول الملك الحبشي إلى نجران، واكتفت بالحديث عن نجاح الحملة التي يقودها "أرياط" في الانتصار على الملك الحميري وقتله وإسقاط دولته. لكن ذلك لا ينفي أن الأحباش لم يصلوا إلى نجران، بل إن العكس صحيح، خاصة إذا ما علمنا أن السبب الديني المعلن لهذه الحرب يتمثل في نصرة الأحباش لإخوتهم في الدين من نصارى نجران. فمن الطبيعي أن يكون لهم دور مفصلي في إعادة انعاش الوجود النصراني في نجران والذي كان ملموساً لاحقاً في مسألة إعادة صياغة الهوية المذهبية لنصارى نجران كما سيتضح أدناه.

خامساً: النصرانية في نجران بعد المحرقة وحتى ظهور الإسلام

رغم ما مر بها من امتحان عصيب، إلا أن النصرانية في نجران عادت للازدهار حتى أصبحت نجران أكبر مركز للنصرانية في جنوب غرب جزيرة العرب حتى ظهور الإسلام. غير أن هذا الازدهار اصطبغ بصبغة مذهبية "منوفيزيتية" أو "يعقوبية" على وجه التحديد، ذلك أن الأحباش فيما يبدو حرصوا على نشر عقيدتهم اللاهوتية في مناطق التواجد النصراني جنوب جزيرة العرب وفي مقدمتها نجران[٢]. ومن علامات هذا الازدهار عودة وتوسع مؤسسة الكهنوت الديني لرجل الدين النصارى في نجران، ورغم أن أحداث المحرقة كشفت عن مقتل عدد من رجال الكهنوت القساوسة والرهبان وحرق عظام أسقف نجران السابق "بولس"، فإن "كتاب الحميريين" يتحدث عن جلب الملك الحبشي "كالب" عدداً من رجال الدين على رأسهم أسقف يعقوبي المذهب للعمل في الكنيسة النجرانية[٣].

وينفرد مؤلف "أعمال جريجنتوس" بتفاصيل دقيقة حول السياسة الدينية، والسياسية، والاقتصادي، والاجتماعية التي وضعها الأحباش لإدارة المجتمع النجراني، وهي التنظيمات التي عُرفت تاريخياً بـ "القوانين الحميرية" (The Laws of the Ḥimyarites)[٤]. وقد تضمنت اربعة وستين قانوناً نصت على ضرورة احترام المناسبات الدينية، وتحريم الأنشطة التجارية أيام الأحد، والمواظبة على أداء الصلوات

(١) ابن هشام السيرة النبوية، ج١، ص٣٧. ابن سعد، أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع، الطبقات الكبرى، (بيروت، دار صادر، ط١، ١٩٦٩م)، ج١، ص ٩٠. الطبري، التاريخ، ج٢، ص١٢٥.

(٢) بالحاج، سلوى بالحاج صالح العايب، المسيحية العربية وتطوراتها من نشأتها إلى القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، (بيروت، دار الطليعة، ١٩٩٨م، ط٢)، ص ٧٢.

(3) Anonymous, The Book of the Ḥimyarites, p. cxlii.

(4) Berger, ibid, pp. 83- 91, 411- 449.

في الكنائس، ومراقبة الأنشطة التجارية، وعقوبات للجرائم من قتل زنا وسرقة ونحوها[١]. ورغم أن هذه القوانين انطلقت من خلفية دينية نصرانية واضحة، إلا أنها لم تتضمن موقفاً واضحاً تجاه معتنقي الديانات الأخرى سواء اليهود أو الوثنيين. وعدم ورودها في الموارد السريانية لا ينفي صحة سياقها التاريخي العام ذلك مؤلف "أعمال جريجنتوس" كان معايشاً للحدث فيما يبدو، أو أنه نقل عن مصدر محلي نجراني مختلف على أقل تقدير عن تلك المصادر النجرانية التي نقلت تفاصيل المحرقة إلى الأرشمي ومؤلف "كتاب الحميريين".

ويبدو أن نفوذ الأحباش لم يحل دون وصول مذاهب نصرانية أخرى إلى نجران التي أصبحت خلال هذه الحقبة على ما يبدو ملجأ آمناً لعدد من مضطهدي الكنائس النصرانية. فقد تحدث مؤلف "تاريخ سعرت" عن قرار ملك الحيرة "المنذر" اعتبار في بلاده من معتنقي "المذهب اليولياني" (Julianism)[٢]، استجابة لرسالة وصلته من "جستين الأول" ملك الروم هراطقة وطردهم حيث هرب عدد منهم إلى نجران ونشروا مذهبهم هناك أي قبل عام ٥٢٧م[٣]، وهو ما أكده "ميخائيل السرياني" الذي أشار في أحداث عام ٨٦٠ يوناني/ ٥٥٠م إلى لجوء "سرجيس" (Sargis) رجل الدين اليولياني إلى "بلاد الحميريين" حيث أسس هناك كرسياً أسقفياً لطائفته، وعمل على نشر عقيدته هناك حتى وفاته بعد ١٣ عاماً، ثم خلفه أسقف آخر يقال له "موسى"[٤].

يؤكد النصين السابقين أكثر من حقيقة هامة عن أوضاع النصرانية في نجران خلال المرحلة الممتدة من الاحتلال الحبشي وحتى ظهور الإسلام، وأول تلك الحقائق أن نجران أصبحت مكاناً آمناً لمضطهدي طوائف ومذاهب مختلفة للنصرانية ولم تعد محتكرة لمذهب ديني واحد. صحيح أن المذهب المونوفيزتي اليعقوبي حظي بدعم

(١) للمزيد عن القوانين الحميرية انظر: النعيم، نورة، التشريعات في جنوب غرب الجزيرة العربية حتى نهاية دولة حمير، (الرياض، مكتبة الملك فهد الوطنية، ١٤٢٠هـ، ٢٠٠٠م)، ص ٣٤٦- ٣٨٩. ابو الجدايل، قوانين جريجنتيوس، ص ٢٥ – ٦١.

(٢) فرقة دينية ظهرت في القرن السادس الميلادي حيث تعرضت للتكفير والاضطهاد واعتبر اتباعها هراطقة عند اتباع المذهبين المنوفيزتي والنسطوري بسبب زعمهم أن جسد السيد المسيح نزل من السماء. انظر: بالحاج، المسيحية العربية، ص ٧٢.

Panicker, Mathunny, ***The person of Jesus Christ in the writings of Juhanon Gregorius Abu'l Faraj commonly called Bar Ebraya***, (Hamburg- London, LIT Verlag Münster, 2002), pp. 158- 159.

(3) Scher, ibid, p 144.

(٤) السرياني، ميخائيل، تاريخ مار ميخائيل السرياني الكبير بطريرك أنطاكية، ترجمة: مارغريغورس صليبا شمعون ، (حلب، دار ماردين، ج٢، ١٩٩٦م)، ج٢، ص ١٤٩.

الأحباش وغدا هو المهيمن على الطائفة النصرانية بنجران، إلا أن مذهباً آخر منافس ومعادٍ له وهو المذهب اليولياني أصبح موجوداً بفعل جهود أتباعه الذين وصلوا إلى نجران وصار لهم أسقفهم ومؤسستهم الدينية المستقلة. وبالتالي فإن تواجد اتباع المذاهب النسطورية، واليعقوبية، واليوليانية، والملكانية لاحقاً يؤكد على حقيقة ترسخت مع الزمن وهي انتشار العقائد اللاهوتية المختلفة بين النصارى النجرانيين على عكس مطلع القرن الخامس الميلادي حينما وصلتهم النصرانية قبل أن يحدث الانشقاق الكنسي العظيم ويتزايد الجدل حول طبيعة السيد المسيح - عليه السلام- التي أصبحت القضية المركزية في النزاع الكنسي.

سادساً: اليهودية في نجران في السردية السريانية

تورد بعض المصادر السريانية المتوفرة لهذه الدراسة بعض المعلومات عن الوجود اليهودي بنجران، وهي معلومات على قلتها إلا أنها في غاية الأهمية ذلك أنها تجلي شيئاً من الغموض عن حجم الوجود اليهودي بنجران مقارنة بالنصرانية، ويبين حقيقة الدور اليهودي في حادثة الاضطهاد. و قد تحدث مؤلف "كتاب الحميريين" في أول فصلين من كتابه عن تاريخ اليهودية في جنوب جزيرة العرب، لكن هذين الفصلين فقدا مع غيرهما من فصول الكتاب[(١)]. غير أنه في مواضع أخرى من كتابه يتحدث بوضوح عن وجود يهودي حظي بدعم السلطة الحميرية في مواجهة انتشار نظيره النصراني، تمثل هذا الدعم في انتشار عدد من الكنس اليهودية قبيل حدوث الصراع بين أتباع الطائفتين النصرانية واليهودية[(٢)]. بل إن رسالة الأرشمي الأولى تشير إلى أن "يهود طبرية" كانوا يرسلون كهنة كل عام إلى بلاد الحميريين الذي سيكون لهم دور بالغ الخطورة في أحداث الاضطهاد، ذلك أنهم قاموا بدور تحريضي ضد الوجود النصراني بحسب ما ذكره الأرشمي كما سبق أن ناقشنا[(٣)].

ومن الطبيعي أن يواجه اليهود بموقف انتقامي بعد انتصار الأحباش على الحميريين ووصول قواتهم إلى نجران، لكن المصادر السريانية تشح عن ذكر معلومات شافية عن هذه المرحلة باستثناء ما ذكره مؤلف "كتاب الحميريين" من أن كثيراً من يهود نجران نجوا من بطش الملك الحبشي "كالب" بعد أن وشموا أيديهم بعلامة الصليب[(٤)]. وإذا ما بحثنا عن هذه المعلومة في مصادر أخرى معاصرة فإن مؤلف "سيرة القديس الحارث" لم يشر إلى قيام الملك الحبشي بشيء من هذا القبيل حينما

---

(١) يعقوب، الشهداء الحميريين، ص٩٧.

(2) Anonymous, The Book Of The Ḥimyarītes. P. cxxiii.

(٣) يعقوب، الشهداء الحميريين، ص ٤٧.

(4) Anonymous, The Book of the Ḥimyarites, pp. cxxxvii- cxxxviii .

دخل نجران رغم اعترافه بارتكاب الأحباش مذبحة مروعة حينما دخلوا ظفار عاصمة الحميريين[١].

وأياً كان موقف الملك الحبشي من التواجد اليهودي في نجران فإن نفوذ اليهودية وسطوتها هناك ستضعف بلا شك بعد افتقاد الغطاء السياسي، وسيتحول ميزان القوى إلى صالح النصرانية طيلة الخمسين عاماً التي قضاها الأحباش في جنوب جزيرة العرب كسلطة احتلال. لكن ذلك لا يعني أن اليهودية قد تلاشت أو انقرضت من نجران بل إن وجودها استمر كجزء من المكون الديني النجراني حتى القرون الأولى من التاريخ الإسلامي[٢].

سابعاً: الخاتمة

هدف هذا البحث إلى دراسة أحوال نجران كما صورتها المصادر السريانية بداية من التاريخ المبكر للنصرانية في نجران وحتى المرحلة التي سبقت ظهور الإسلام. ورغم وجود دراسات سابقة اعتمدت على الموارد التاريخية السريانية في دراسة تاريخ المنطقة خاصة ما يتعلق بالنصرانية في المقام الأول، إلا أن هذه الدراسات ركّزت في مجاليها الزمني والموضوعي على بحث جدلية وصول النصرانية إلى نجران وحادثة اضطهاد النصارى دون الخروج بنتائج حاسمة حول المسألتين. كما أن جُل تلك الدراسات لم تجلِ الغموض عن أحوال نجران ونصاراها ويهودها على وجه الخصوص بعد حادثة الاخدود حتى ظهور الإسلام.

ومن أجل البحث عن إجابات للمسائل السابقة، سعت الدراسة إلى تقديم قراءة نقدية مقارنة لتاريخ نجران تجعل المصادر السريانية الأساس مع مقارنة رواياتها بما ورد في غيرها من مصادر أخرى سبق عرضها. بدأت هذه القراءة بالتعريف بأهم المصادر السريانية المعنية بموضوع الدراسة فتبيّن أن التواريخ السريانية أبدت اهتماماً واضحاً بنجران منذ وقت مبكر للغاية يعود إلى النصف الأول من القرن السادس الميلادي أي عشية وقوع محرقة الأخدود. إلا أن ثمة حقيقة تتضح لنا وهي أن النصرانية كانت مركز اهتمام تلك المصادر ولولاها لما كانت نجران ضمن دائرة اهتمام المؤرخين السريان.

---

(١) مجهول، الرواية العربية، ص ١٣٥.

(٢) للمزيد عن اليهودية في نجران من العصر الجاهلي وحتى صدر الاسلام انظر:
al-Nahee, Owed, "The Jews of Najrān: Their origins and conditions during pre- and early Islamic history, 525 -661 CE", ***Journal of History and Cultures*** (7) 2017: pp. 29 – 43.

ورغم السرد الأسطوري والطابع الديني الذي يعتري الرواية السريانية حول قصة وصول النصرانية إلى نجران، فإن قصة تنصّر "التاجر حيّان" التي وقعت على الأرجح في الربع الأول من القرن الخامس الميلادي تبدو مقبولة تاريخياً في ضوء العامل الاقتصادي المؤثر في أحداث هذه القصة، ذلك أن نجران عُرفت كمدينة ذات أهمية تجارية كبيرة في ذلك الزمن، فقد كانت إحدى أهم المدن الواقعة على طريق تجارة البخور والتوابل، ومارس أهلها النشاط التجاري حتى خارج الجزيرة العربية فلا غرابة إذاً ان نسمع بتاجر نجراني يجوب بلاد الشام والرافدين لأجل هذا الغرض.

غير انه بدراسة هذه الرواية في ضوء روايات المصادر اليونانية (البيزنطية)، والحبشية، والإسلامية يتضح لنا أكثر من استنتاج. فرغم ميل معظم الباحثين لترجيح الرواية السريانية على نظيرتها اليونانية، إلا أن رواية "الأسقف أزكير" الحبشي تعيد السؤال حول كيفية وصول النصرانية إلى نجران، ذلك أن هناك بعض الإشارات التاريخية على وجود مبكر للأحباش ضمن الطائفة النصرانية في نجران. ولذلك كان من المهم العودة إلى الرواية الإسلامية التي اعتمدت على رواة محليين بعضهم من نجران، وليس على الموارد السريانية النسطورية كما زعم بعض الباحثين وهو ما سبق توضيحه. وبناءً على كل هذه المعطيات فإنه يبدو أن وصول النصرانية إلى نجران كان نتيجة طبيعية لنشاط تنصيري بسبب علاقات المنطقة التجارية الواسعة، وأهميتها في الاقتصاد الدولي والإقليمي في ذلك الوقت مما جعلها مركزاً تجارياً مفتوحاً أمام جاليات غير عربية سعت لنشر معتقدها الديني.

وحول حادثة اضطهاد النصارى الشهيرة بحادثة الأخدود، فقد تميزت المصادر السريانية بإيراد تفاصيل دقيقة استقتها من شهود عيان فنقلت لنا صورة تبدو قريبة لحقيقة أحداث التنكيل المروعة التي تعرض لها نصارى نجران على يد الملك الحميري ذو نواس. ورغم ما تحمله الرواية السريانية من تعابير دينية يعقوبية وتصوير مأساوي لا يخلوا من المبالغة، إلا أن سياقها العام يتلاقى مع الروايتين اليونانية والإسلامية في تحديد العناصر الرئيسة في سردية اضطهاد نصارى نجران وفي مقدمتها هوية الطرف المرتكب للاضطهاد، والمساومة على الدين، وطرق القتل التي تعرض لها النصارى النجرانيين وخاصة قطع الرؤوس، والقتل حرقاً، وحرق دور العبادة، وقتل رجال الدين. لكن عنصراً رئيساً بدا مفقوداً في هذه الرواية ويتمثل في عدم وضوح حقيقة معتقد نصارى نجران المضطهدين حول طبيعة السيد المسيح - عليه السلام - بسبب غلبة العاطفة الدينية والمذهبية على المصادر السريانية خاصة والنصرانية الأخرى عامة، وهو ما جعل الخلاف حول موقع حادثة الأخدود سؤالاً قابلاً للنقاش عند بعض الباحثين.

ورغم اتفاق الرواية السريانية مع نظيرتيها الإسلامية واليونانية في إبراز الدافع الدينـي للتدخل الحبشي إلا أن ثمة خـلاف حول الشخصيات المشاركة في هذا التدخل. فبينمـا تطـرح الرواية الإسلامية اسـم "أرياط" كقائـد حبشي للحملـة التي أسقطت الحكـم الحمـيري، تتفق الروايـة السريانية مع نظيرتها اليونانيـة في أن الملك الحبشي "كالـب الأصبحة" قاد بنفسه جيشـاً جراراً قضى على مملكة حمـير وقتل آخر ملوكها ووصـل إلى نجران نفسها حيث أصلـح كنائسها، وقام ببناء كناس أخرى، وأعاد تنظيم أمور النصرانية في المنطقة قبل أن يعين حاكماً ممثلاً له ويعود إلى بلاده.

ويبـدو أن ما قام بـه الملك الحبشي من إصلاحات للكنيسة النصرانية في نجران ساهـم في ازدهارها وجعل منهـا أكبر مركز للنصرانية في جنـوب جزيرة العرب حتى ظهـور الإسلام. غير أن هـذا الازدهار اصطبغ في البداية بصبغـة المذهب المونوفيزتي اليعقوبـي وهـو مذهب الكنيسـة الحبشيـة في ذات المرحلة الزمنية. لكـن ذلك لم يدم طويلاً فقد وصل المذهب اليولياني إلى المنطقة وأصبح له أتباع وكنيسة ورجال دين مما يؤكد واقعاً مذهبياً متنوعاً للمجتمع النصراني في نجران حتى ظهور الإسلام.

ولم تهمل الدراسة التطرق لأحوال اليهود النجرانيين في ضوء التواريخ السريانية التـي تحدثت عن وجودهـم منذ وقت مبكر في نجران، وعـن علاقاتهم مع يهود طبرية والسلطة الحميريـة. والواقع أن المصادر السريانية تتفق مـع بعض التواريخ الإسلامية في الإشـارة إلى أن الصـراع بين أتباع الطائفتين النصرانيـة واليهودية في نجران كان سببـاً رئيساً في جلب تدخل الملك الحميري في نجـران وارتكابه حادثة الاضطهاد. لكن المصادر السريانية المتوفرة لم تسعفنا بمعلومات واضحة حول مصير يهود نجران اثناء الغـزو الحبشي وبعده، إلا من إشارة يتيمة تشـير إلى نجاتهم من انتقام الملك الحبشي بعد وشم أيديهم بالصليب، وهي إشارة لا يمكن الاطمئنان لها في ضوء الخطاب الناقم على اليهود في المصادر السريانية.

وعلى كل حال فإن الموارد السريانية تمثل مصدراً ثميناً ليس لتاريخ نجران فحسب، بل لتاريخ الجزيرة العربية منذ عصور ما قبل الإسلام وحتى العصر الإسلامي الوسيط، فضـلاً عن التاريخ الإسلامي منذ عصر الرسالة. ولذلك فهي جديرة بالاهتمام جمعاً، وتحقيقـاً، وترجمة، ودراسة على غـرار المدارس التاريخية الغربية التـي أبدت أسبقية لافتة في الاهتمام بهذه المصادر.



الدراسة السابعة

البناء الديني لمنطقة نجران منذ العصر الجاهلي المتأخر وحتى نهاية صدر الإسلام (٥٢٥- ٦٦١م)

بقلم : د. عوض بن عبدالله بن ناحي



الدراسة السابعة

البناء الديني لمنطقة نجران منذ العصر الجاهلي المتأخر وحتى نهاية صدر الإسلام (٥٢٥ـ ٦٦١م). بقلم .د. عوض بن عبدالله بن ناحي [1]

١ـ تقديم :

تهدف هذه الأطروحة إلى دراسة البناء الديني لمنطقة نجران خلال المرحلة التي تلت سقوط مملكة حمير، حوالي (٥٢٥م) ، وحتى نهاية صدر الإسلام، (٤٠هـ/٦٦١م). وقد حرص كاتبَ هذه السطور على ترجمة مستخلص هذه الأطروحة إلى العربية، وتقديمه في المؤتمر السنوي لجمعية التاريخ والآثار لما يحمله من تساؤلات ذات أهمية بالغة ونتائج مثيرة ستساهم - بحول الله - في تصحيح كثير من المفاهيم التاريخية حول تاريخ منطقة نجران بشكل خاص، وجنوبي جزيرة العرب عامة. يُضاف إلى ما سبق نوعية المصادر الأولية (سريانية ونقوش) التي اعتمد عليها الباحث في تقديم دراسته هذه، التي ساعدت في تصحيح كثير من القضايا التاريخية للمنطقة. وفي السطور التالية تجد عرضاً موجزاً لمحتوى الأطروحة المكونة من مقدمة، وستة فصول رئيسية، وخاتمة، وثلاثة ملاحق. ويأمل الباحث أن يجد الفرصة قريباً لترجمة الأطروحة إلى اللغة العربية حتى تكون متاحة للقارئ الكريم، والله ولي التوفيق[2].

٢ـ الملخص العام للرسالة :

سعت الأطروحة (الرسالة) إلى الإجابة عن ثلاثة أسئلة أساسية هي: ما طبيعة

---

(١) للمزيد عن الدكتور عوض بن ناحي انظر الصفحات الأولى من هذا القسم . (ابن جريس) .

(٢) هذه الدراسة ملخص لرسالة الدكتوراه التي حصل عليها الباحث من كلية الفلسفة والأديان واللاهوت بجامعة برمنجهام (بريطانيا) ، آمل من الدكتور عوض أن يسارع في نشرها باللغة الإنجليزية ، وإذا ترجمها إلى اللغة العربية فذلك أفضل وأصوب . (ابن جريس) .انظر: (ابن ناحي) السرياني، ميخائيل، تاريخ ميخائيل السرياني، ترجمة، مار غريغوريوس صليبا شمعون، أعده وقدم له مارغريغوريوس يوحنا(١) إبراهيم، دار ماردين، حلب، ١٩٩٦م . ابن العبري، ابو الفرج جريجوس، التاريخ الكنسي، دهوك، كردستان العراق، (٢٠١٢م).

البنــاء الديني لمنطقة نجران خلال مرحلة الدراســة؟ وكيف مارست مُختلف الطوائف الدينيــة حياتهــا الدينية؟ وكيف أثــر الإسلام على وجــود هذه الطوائــف الدينية، وقد اعتمدت الفرضية القائلة إن نجران ربما مثلت مجتمعاً متعدد الأديان خلال المرحلة التي امتــدت منذ سقوط مملكة حِمير حتى نهاية العصــر الإسلامي المُبكر. وتتكون الرسالة من ستة فصول رئيسية، إذ تضمن الفصل الأول أدبيات البحث (Literature Review) نقاشاً نقدياً عاماً عن المصادر الأولية والدراسات الحديثة ذات العلاقة بأسئلة البحث. ففــي الباب الأول الخاص بالمصادر الأولية استعمل الباحث أربع مجموعات رئيسية من المصادر شملت المصادر الإسلامية، المصــادر النصرانية الشرقية (سريانية، أثيوبية، يونانيــة) [١]، النقوش والآثار[٢] ، والكتب السماوية (القرآن والعهد القديم). أما الباب الثــاني فقــد تضمن نقاشاً موسعاً لــكل ما وصل إليه الباحث مــن دراسات حديثة كُتبت في أسئلــة البحــث الحــالي لمعرفة مــدى إسهامهــا في موضوعات الأطروحــة. وخلصت الدراســة إلى أن مُعظم الأبحاث السابقة ركزت بالدرجة الأولى على دراسة الموضوعات السياسية والاقتصادية والأدبية في تاريخ نجران[٣]. بالنسبة للأسئلة المتعلقة بالدراسة الحالية على وجه الخصوص، فإن الأبحاث السابقة لم تهتم أيضاً بقضايا تطور الوثنية، واليهودية في نجران، والمذاهب النصرانية، وأماكن العبادة، أو سياسة الدولة الإسلامية تجــاه غــير المسلمين من أهل الذمــة في المنطقة. وهذا ما يجعل لهــذه الأطروحة فرصة

---

(1) Wright, W. The Chronicle of Joshua the Stylite, Composed in Syriac AD 507, CUP Archive, 1882. Procopius & Dewing, H. B, Procopius, with an English translation by H.B, Dewing, Cambridge, Harvard Univ, Press, 1914. Moberg, A, The Book of the Ḥimyarites, Lund, Sweden, CWK Gleerup, 1924. Budge, E, The Book of the Saints of the Ethiopian Church, Cambridge, University Press, 1928. Malalas, J, The chronicle of John Malalas, books: VIII-XVIII, 1940. Scher, A, Histoire Nestorienne inédite, Paris, 1907. Shahīd, I, The Martyrs of Najran: new documents, Société des bollandistes, 1971. Berger, A, Life and works of Saint Gregentios, Archbishop of Taphar: introduction, critical edition and translation (The Acts of Gregentios), Walter de Gruyter, 2006.

(٢) الحازمــي، محمــد، ٢٠١١، نقوش مسندية من الجهــة الجنوبية لجبــل الكوكب بمنطقة نجــران، رسالة ماجستير، جامعة الملك سعود، الرياض، الخضير، نورة، ٢٠١٢، نقوش عربية قديمة من عان الجمل وعان دحضة في منطقة نجران، رسالة ماجستير، جامعة الملك سعود، الرياض.

Philby, H. & Tritton, A, Najran Inscriptions, Journal of the Royal Asiatic Society (New Series) , 1944, issue 76, pp 119129-.JAMME, A, 1962, Sabaean Inscriptions from Maḥram Bilqîs (Mârib), Johns Hopkins Press. Schiettecatte, J, L'antique Najrân: confrontation des données archéologiques et des sources écrites, Le massacre de Najrân, politique et religion en Arabie au VIe siècle, 2010, Achcbyz, p 11-37.

(٣) الحديثــي، نزار عبــد اللطيف، " نجران أهميتها وعلاقتها بالإسلام "، مجلــة المؤرخ العربي، بغداد، ع٢٩، ١٤٠٦هـ.المســري، حســين، " نجران ودورهــا السياسي والاقتصــادي " ، مجلة المؤرخ المصــري، ع ٩، يوليو ١٩٩٢م. دلال، عبــد الواحــد محمد راغب، البيــان في تاريخ جازان عسير ونجــران، دار التعاون للطباعة والنشر ـ القاهرة، ١٤١٦ هـ، ١٩٩٥م. ابن جريس، غيثان، نجران، دراسة تاريخية حضارية (ق١ـ ق٤هـ / ق٧- ق١٠م)، الرياض، ج١، ١٤٢٥هـ، ٢٠٠٤م.

تقـديم مساهمـة معرفية جديدة في هذا المجال البحثي من خـلال التركيز على السياق التاريخي للتطور الديني للطوائف الدينية في نجران[١] .

أمـا الفصـل الثاني فقد تضمن خلفيـة عامة عن أهم الملامـح الجغرافية، وتاريخ واقتصـاد نجران (The Background of Najran) ، حيث اتضح من خلال البحث أن هنـاك عدة عوامل ساهمـت في تشكيل البناء الديني لنجران. أهـم هذه العوامل الموقع الجغـرافي لهذه المنطقة، الـذي يتوسط الأقاليم الجنوبية والغربيـة والوسطى من شبه الجزيـرة العربيـة، الذي أعطـى لنجران أهميـه اقتصادية كمركز تجـاري مفتوح يقع علـى طريق القوافل الدولية القـديم (Caravan Route) . وبالمثل، فإن وجود مساحات واسعـة مـن الأراضي الخصبة، وأراضـي الرعي، ومصـادر للميـاه شكلت عوامل جذب للاستيطـان في نجران،وبسبـب هذيـن العاملـين الاقتصاديـين، استقـرت مجموعات صغـيرة مـن القبائل العربية مثل مذحـج، وحمير، والأزد، وكندة، وهمـدان، وقضاعة، وبكـر بن وائل، وبنو إياد في مدينة نجـران، والقرى الزراعية على جانبي وادي نجران. وشكلـت قبيلة بني الحارث بن كعب أكبر تجمع قبلي من سُكان المنطقة[٢] ، حيث عاشت معظـم بطونها حياة البـداوة والترحال في مناطـق الرعي، بينما استقـرت النسبة الأقل منهـم في المناطـق الريفية حول وادي نجـران، وفي مدينة نجران نفسهـا. تبنت كل هذه الفئـات السُكانية ديانات مُختلفة خـلال مرحلة الدراسة، إذ يبدو أن غالبية سُكان مدينة نجـران، وقرى وادي نجـران الريفية دانوا بالنصرانية، في حـين أن أقلية منهم اعتنقت اليهوديـة، بالإضافة إلى عـدد قليل من الزرادشت (المجوس) [٣] وفي الوقت نفسه، اعتنق مُعظـم أبناء البادية، الذين كـان غالبيتهم بني الحارث بن كعب ديانات وضعية (الشرك والوثنيـة)، وخاصة عبادة الأصنـام[٤] . وأدت الأهمية الاقتصادية لمدينة نجران ، كسوق

---

(١) العُمـري، هـادي صالح، طريق البخور القديم، من نجران إلى البتراء وآثـار اليمن الاقتصادية عليه، من إصدارات وزارة الثقافة والسياحة، صنعاء، ١٤٢٥هـ، ٢٠٠٥م، ص ٥٨.
Shahīd, I, Najrān, Encyclopaedia of the Qurʾān, Brill, 2012, (online).

(٢) للمزيـد انظر الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الرسل والملـوك، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٧هـ، ج٢، ص ٢٤٦. ابن هشام، عبد الملك، السيرة النبوية، ت، مصطفى السقا وآخرين، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٩٤م، ج٢، ص ٦٣١. الهمـداني، الحسن بن أحمد بن يعقوب، الإكليـل، ت، محمد الأكوع، إصدارات وزارة الثقافـة والسياحة، صنعاء، ١٤٢٥هـ، ٢٠٠٤م. وانظر أيضاً، دلال، البيان، ص ١٢٥. الشجاع، تاريخ اليمن في الإسـلام، ط٥، ١٤٢٥هـ، ٢٠٠٤م،ص ٣٠. (بن ناحي) . ذكر الباحث بعض القبائـل العربية التي استوطنت نجـران مـن قبل الإسلام وبخاصة قبيلة بني الحارث بن كعب. وهـذه القبائل بحاجة إلى من يدرسها في كتب وبحوث علمية مطولة وموثقة .(ابن جريس).

(٣) ابـن الكلبـي، هشـام بن محمد بـن السائب، كتاب الأصنـام، ت، احمد زكـي باشا، دار الكتـب المصرية، القاهـرة، ط٢، ١٣٤٣هـ، ١٩٢٤م، ص ١٠. الأزرقي، أبـو الوليد محمد بن عبد الله، أخبـار مكة، تحقيق، رشدي الصالح ملحس، دار الأندلس للنشر، بيروت، ١٩٦٥م، ج١، ص ١٢٦.

(٤) أبـو يوسـف، يعقوب بن إبراهيم، كتاب الخراج ، المكتبة الأزهريـة للتراث، تحقيق، طه عبد الرؤوف سعد، سعـد حسن محمـد. (١٩٦٢م)، ص٨٤.ابن زنجويه، أبـو أحمد حميد بن مخلد، كتـاب الأموال، تحقيق،

مركـزي ، دوراً هامـاً في تطوير التركيبة الدينية لسُكان نجـران كمجتمع متعدد الأديان، وخاصـة في المناطـق الريفية ووسط المدينـة. ويؤكد على هذه الأهميـة أن عدد كبيراً من نصـارى ويهود المنطقة عملـوا في الأنشطة الصناعيـة والزراعية والتجاريـة[١] وفي هذا الشـأن، يبدو أنه كان للصلات التجارية بين جنوبي الجزيـرة العربية القديمة وفلسطين دور مهـم في وجود جماعـة يهودية صغيرة في نجران، وربما بداء ذلك منذ القرن العاشر قبل الميلاد وما تلاه[٢] بالإضافة إلى ذلك، خلص البحث إلى أن العوامل الاقتصادية أدت دوراً مهمـاً في وصـول النصرانية إلى نجران، وذلك بسبـب العلاقة التجارية بين نجران وبلاد الهلال الخصيب، وهو ما أظهرته المصادر النصرانية والإسلامية على حد سواء.

وكـان لازدهار نجـران الاقتصادي دور كبـير في استيطان طوائـف غير عربية في المنطقـة[٣] علـى وجه التحديـد، وهنـاك عدد مـن المصرفيين اليهود والتجـار الأجانب الذيـن مارسـوا أعمـال ماليـة، وتجاريـة بالمنطقة، كمـا استقـرت أيضـاً جماعة من الزرادشـت الذين تخصصـواً في التعدين[٤] وهذه الأهميـة الاقتصادية جعلت نجران محـط اهتمام القـوى المحليـة، والإقليمية، والدوليـة لذلك كانت تحت طائلـة التهديد المستمر للصراعات القائمة بين الممالك العربية القديمة، وبين مملكتي حمير والحبشة، وبين القوتين العظميتين الإمبراطوريـة البيزنطية، والإمبراطورية الفارسية الساسانية فيما بعد. وكان لنجران كمركز رئيسي على طُرق القوافل أحد العوامل وراء اهتمام هذه القـوى بالمنطقة، وفي كثير من الأحيـان تُشكل مصدراً حيوياً لاقتصاديات تلك البلدان، كونها تتحكم في تجارة التوابل والبخور[٥] وهنا يبدو أن العوامل السياسية أدت دوراً بالغ

شاكـر ذيب، مركز الملك فيصـل للبحوث والدراسات الإسلامية، السعودية، ط١، ١٤٠٦ هـ، ١٩٨٦ م، ج٢، ص ٤٤٧.

(١) ابـن هشـام، عبد الملك بن هشـام بن أيوب، التيجَان في مُلـوك حمْيرٌ، مركز البحوث والدراسـات اليمنية، صنعاء، ط١، ١٣٤٧هــ، ص ١٦٣. الحمـيري، نشوان بن سعيـد الحميرىَ، خلاصة السـيرة الجامعة لعجائـب أخبار الملوك التبابعة، تحقيق، علي بن إسماعيل المؤيد، إسماعيل بن أحمد الجرافي، دار العودة، بيروت، ط٢، ١٩٧٨ م، ص ٨٧. Stillman, N, The Jews of Arab Lands, Jewish publication society, 1979, p 159.

(٢) الهمداني، الحسن بن أحمد بن يعقوب، الإكليل ، تحقيق، محمد الأكوع، إصدارات وزارة الثقافة والسياحة ، صنعاء، (١٤٢٥هـ، ٢٠٠٤م)، ص ٦٧.

(٣) الهمداني، الحسن بن أحمد بن يعقوب، كتاب الجوهرتين العتيقتين المائعتين_ الصفراء والبيضاء، تحقيق، أ.د. أحمد فؤاد باشا ، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، (١٤٣٠ هـ، ٢٠٠٩م)، ص ٩٦.

(٤) العمري ، طريق البخور، ص ٥٨ . .Shahīd, Najrān, (online)

(٥) ابـن هشام ، عبد الملك بن هشام المعافري، السيرة النبوية تحقيـق، مصطفى السقا وإبراهيم الإبياري وعبد الحفيظ شلبي شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط٢، ١٣٧٥هـ، ١٩٥٥ م، ج١، ص ٣٠. الدينـوري، أبوحنيفة أحمد بن داود، الأخبار الطوال، تحقيق، عبد المنعم عامر، مراجعة، الدكتور جمال الدين الشيال، دار إحياء الكتب العربية ، عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، ط١ ، ١٩٦٠، ص ٦١.
Hamilton, F. & Brooks, E, The Syriac Chronicle known as that of Zachariah of Mitylene, Methuen & Company, 1899, p 193.

الأهمية في صياغة الخريطة الدينية للمنطقة.

وخلصت الدراسة إلى أن تبني اليهودية كدين للدولة في عهد الملك الحميري تبع أسعد أبو كرب، قد أدى لتعزيز مكانة الطائفة اليهودية في نجران التي كانت تحت النفوذ الحميري خلال تلك المرحلة. وأثر الصراع الحميري. الحبشي تأثيراً خطيراً على الوضع الديني في نجران خلال الربع الأول من القرن السادس الميلادي[١]. حيث استغل الملك اليهودي الحميري ذو نواس الصراع اليهودي النصراني في المنطقة في محاولة لإعادة تشكيل البناء الديني لنجران، فقام باضطهاد الطائفة النصرانية و محاولة إجبار أتباعها على اعتناق اليهودية حوالي (٥١٨م) [٢]. وأدى ذلك إلى تدخل عسكري حبشي انتهي بسقوط مملكة حمير، ووقعت مُعظم مناطق جنوبي الجزيرة العربية، بما في ذلك نجران تحت النفوذ الحبشي[٣] ، وعزز هذا الوضع السياسي الجديد من غلبة النصرانية على اليهودية بشكل واضح في نجران تحديداً، كما هو واضح في ترميم وبناء الكنائس، وتعيين رجال دين جُدد من قبل السُلطات الحبشية. ومع ذلك، فإن جهود الأحباش - على الأرجح- لم تؤثر على أولئك الذين عاشوا في مناطق البادية، إذ ظل مُعظمهم على الوثنية. وقد يكون سبب ذلك تركز الوجود النصراني في المدينة، والمناطق الريفية المجاورة، وذلك بسبب الأهمية السياسية، والتجارية للمدينة.

وخلال الاحتلال الفارسي لجنوب الجزيرة العربية، تمتعت منطقة نجران -على الأرجح- بقدر كبير من الاستقلالية، مع ظهور قوى سياسية رئيسية في المنطقة: وتبنى بني الحارث بن كعب، قيادة الطائفة النصرانية[٤]، ومن ثم أصبح مجتمع المنطقة أكثر تنوعا دينيا ضم النصارى واليهود والمشركين والزرادشت. والسؤال المهم الذي يطرح نفسه هنا هو: لماذا أصبحت نجران تتمتع بالاستقرار السياسي، والتسامح الديني النسبي في ظل حكم الإمبراطورية الفارسية ، على عكس المرحلة الحميرية عندما أضطهد النصارى؟ والإجابة المنطقية : أنه عندما حكم نجران تحالف مكون من أكبر مجموعتين دينيتين، فإن تقبل المعتقدات الدينية لبعضهما البعض، ومعتقدات الأقليات الأخرى سيؤدي إلى

Malalas, J, The chronicle of John Malalas, books: VIII-XVIII, 1940, p 286.

(١) المصادر و المراجع نفسها.

(٢) أحمد بن يعقوب بن واضح اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، بريل، ليدن، ١٨٦٠م، ج١، ص ٢٢٦. ابن هشام، السيرة، ج١، ص ٢٦. الأزرقي، أخبار مكة ، ج١، ص ١٣٤.

Moberg, The Book of the Ḥimyarites, p cii.

(٣) الأصفهاني ، أبو الفرج علي بن الحسين، كتاب الأغاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١ ، ١٤١٧هـ، ١٩٩٧م، ج١٩، ص ١٩٦.

(٤) ابن الكلبي، الأصنام ، ص٨. ابن هشام، السيرة ، ج١، ص ٧٦.

خلـق حالة مـن التعايش السلمي. وركزت مناقشة الأديـان الرئيسية في منطقة نجران، التـي شملت الأديان الوضعيـة، واليهودية، والنصرانية، والإسـلام في وقت لاحق، على مناقشـة كيفيـة إسهـام الديانة في تكويـن البناء الدينـي لسكان المنطقة، مـع مراعاة الترتيـب الزمنـي عنـد دراسة هذه الأديـان. فقد ناقشـ الفصل الثالث تطـور الأديان الوضعيـة أو العقائـد الشركيـة (Polytheism) في نجران. وخلصـت الدراسة إلى أن المعتقدات الوضعية كانت على الأرجح الأقدم في نجران، كما تؤكد الاكتشافات الأثرية، علـى النقيض من الرواية الإسلامية التقليدية التي نسبت انتشار عقائد الشرك لزعيم القبائـل عمرو الخزاعي حوالي القرن الرابع الميـلادي(١). ويلاحظ باهتمام أن الأديان الوضعيـة تطورت في نجـران من عبـادة ثالوث الكواكـب المقدسة، أي عبـادة الشمس والقمـر والزُهرة، حتى وصلت إلى عبادة نوعين من الأصنام: الآلهة والإلهات. ويبدو أن عبادة الأصنام كانت أكثر أنواع الأديان الوضعية شيوعا بين وثنيي نجران خلال مرحلة الدراسـة، فضلاً عن تقديسـ الأشجار، والحيوانات، والجـن، والحجارة، والنجوم(٢). وربما عبد وثنيو نجران العديد من الأصنام كيغوث، وود، والعزى واللات، في وقت واحد، خلافـا لما يطرحه سمـار، الذي يرى أن وثنيـي نجران عبدوا الصنم يغـوث فقط. أما عبـادة وتقديس بعض أنواع الأشجار، والحيوانـات، و النجوم فلا تعكس المفهوم الكامل للطوطميـة كمـا يعتقـد سميث(٣). كما أشار هذا البحـث إلى أن أهم شـرط للطوطمية هـو الاعتقـاد بالانتساب إلى مثل هذه الأشيـاء، أو المخلوقات، أو أنهـا تمثل الجد الأول (ancestors)، وهو وضع لم يحدث في حالة وثنيي نجران. بالإضافة إلى ذلك، تستنتج الأطروحـة أن شعائر العبادة التـي مارسها وثنيو نجران، مثل تقـديم القرابين، وحرق البخـور، وتلاوة الابتهالات، والحج إلى أصنامهم، لا تعكسـ -على ما يبدو- أي ملامح لبقايا الحنيفية، ملة إبراهيم -عليه السلام-، كما يعتقد السيوطي(٤). وهذه الطقوس ربما نشأت مع تطور عقائد الشرك نفسها، أكثر من أن تكون من أصول حنيفية. لا يمكن ملاحظـة فرضية سيوطي (بقايا الديانة الحنيفية) إلا في شعيرتين رئيستين: الصلاة، والحج إلى مكة. فقد عرفت بين وثنيي نجران ممارسة عدة أشكال للصلاة، كصلاتهم

---

(١) علي، جواد، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، دار الساقي، بيروت، ط٢، ٢٠٠١م، ج ١١، ص ٦٠، ٢٦٠.
Hawting, G, The Idea of Idolatry and the Emergence of Islam: From Polemic to History, Cambridge University Press, 1999, p113.

(٢) سعـد عبـود سمار، "قبيلة الحارث بن كعب، إسهاماتها و مواقفها حتـى نهاية عصر الرسالة الإسلامية"، مجلة جامعة واسط، العدد ٥، مجلد ٣، ص ٦٧– ١٠٥، ١٩٩٤م، ص ٨٢.

(3) Smith, W, Kinship and marriage in early Arabia, London, A. and C. Black, 1907, p 217.

(4) Sayuti, N, The Concept of Allah as the Highest God in Pre-Islamic Arabia, Mcgill University, Montreal, 1999, p 38.

لأصنامهم أو أداء صلاة خاصة، مثل صلاة بدأ المسير إلى الحاج التي كانت تؤدي أمام بيت الصنم يغوث، إضافة إلى الصلاة إلى الأصنام، والصلاة على الجنازة[١]. فبعض هذه الصلوات، وخاصة صلاة الحج، وصلاة الجنازة، لها جذورها في الحنيفية.

وكـان الحـج إلى مكة شعيرة تمارس على نطاق واسع بين وثنيي نجران، إذ تبين أن معظـم أهل نجران قد انضموا إلى طائفة "الطلـس"[٢]، بينما انضم بعض النجرانيين لطائفـة الحمس بسبـب علاقاتهم مع أهل مكـة. كما يُمكن أن نـرى ذلك في ترديدهم التلبيـة خلال أيام الحج. وقد خلصت الأطروحـة إلى أن الحج إلى مكة قد أحدث فيما يبدو أثراً على الوثنية وعقائد الشرك في نجران تمثل في انتقال عبادة عدد من الأصنام مـن الحجـاز إلى نجران مثل أصنـام ود، والعزى، واللات. وهـذا يقودنا إلى النظر في مفهـوم عقائـد الشرك في نجران في ضوء تعريف الوثنيـة، أو الشرك في جزيرة العرب الـذي طرحه عدد من الباحثين كدغيم، وهاوتنق(Hawting)، وهويلاند (Hoyland) ومـير(Mir)[٣]، ويعكس هذا التعريف كيف مارس الوثنيون النجرانيون جوانب مختلفة مـن حياتهم الدينية من حيث أنواع الإلهـة والعقائد وطقوس العبادة. ويبدو أن وثنيتهم هذه تقوم على عبادة أنواع مختلفة من الآلهة، مع إيمانهم بالله–عز وجل-، كربهم الأعلى. ويتضـح هذا المعتقد بوضوح في حالة الصنمين يغوث والعزى، حيث اعتقد الوثنيون فيهما كشفعاء لهم عند الله[٤]،الأهم من ذلك، أن إيمانهم بحقيقة المولى –عز وجل- كان أمراً شائعاً بين وثنيي نجران لأنه كان جزءاً من مفهوم عبادة الأصنام، قبل أن تصل اليهودية و النصرانيـة إلى نجران. وهكذا، فإن تعريف الشرك في نجران يختلف بشكل واضح مع ما ذهب إليه داوود جرجس حول التأثير النصراني- اليهودي المحتمل[٥].

---

(١) محمـد ابن حبيب، المحبر، تصحيح، ايلزه ليختن، دائـرة المعارف العثمانية، حيدر اباد الدكن، ١٩٤٢م، صـ ٣٢٠. أبـو الحسن علي بن إسماعيل بـن سيده، المخصص، تحقيق، خليل إبراهيـم جفال، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ، ١٩٩٦م، ج ١، ص ٣٨١.

(٢) ابن حبيب، المحبر، ص١٧٩.

(٣) سميح دغيم، أديان ومعتقدات العرب قبل الإسلام، دار الفكر اللبناني، بيروت، ط١، ١٩٩٥م، ص ٨٦.
Hawting, The Idea of Idolatry, p1 – 3. Hoyland, R, Arabia and the Arabs: from the Bronze Age to the coming of Islam, Psychology Press, 2001, p 139. Mir, M, Polytheism and Atheism, Encyclopaedia of the Qurʾān, Leiden, Brill, 2014, (online).

(٤) محمـد بـن الحسن ابن دريد، كتاب الاشتقاق، ت، عبد السـلام هارون، مكتبة المثنى، بغداد، ط٢، ١٣٩٩هـ، ١٩٧٩م، ص ١٥٣.

(٥) داود جرجـس، أديـان العرب قبل الاسلام، المؤسسة الجامعية للدراسـات و النشر و التوزيع، بيروت، ط٢، (١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م)، ص ١٨٣.

وفي الفصل الرابع الخاص باليهودية (Judaism) ، تبين من خلال البحث أنه على الرغم من عدم وجود تاريخ تقريبي لوصول اليهودية إلى نجران، إلا إنه ربما كان لليهودية بعض النفوذ في نجران قبل عدة قرون من ولادة المسيح[١] ، ويستند هذا الرأي إلى الصلات التجارية بين جنوبي الجزيرة العربية والطوائف اليهودية في فلسطين القديمة، والأهمية المتزايدة لنجران نفسها كسوق مفتوح على طريق القوافل[٢] . ومع ذلك، ظل وجود اليهودية في نجران غير واضح، كما هو الحال في مناطق أخرى من جنوبي الجزيرة العربية حتى بداية القرن الخامس الميلادي، عندما تبنى الملك تبع أسعد أبو كرب اليهودية كدين رسمي لمملكة حمير. وقد ساهم هذا القرار في انتشار اليهودية بين بعض أهل نجران، وخاصة بني الحارث بن كعب[٣] ، على الرغم من أن هذا الانتشار كان محدوداً على الأرجح، ربما بسبب قلة أنشطة نشر اليهودية في نجران، على عكس مناطق أخرى في جنوبي جزيرة العرب، حيث كان انتشار اليهودية واسعاً. وتستنتج هذه الدراسة أن أوضاع الطائفة اليهودية في نجران تأثرت بعاملين رئيسين: الظروف السياسية في منطقة نجران وجنوبي الجزيرة العربية بشكل عام، وثانيا علاقة أتباع هذه الطائفة في نجران مع يهود الحجاز، و يهود طبرية في فلسطين و طوائف اليهود في مناطق جنوبي الجزيرة العربية المجاورة لهم . على الرغم من أن بعض أحبار يثرب القادمين من الحجاز أدوا دوراً هاماً في تأسيس كيان للطائفة اليهودية في نجران في عهد الملك تبع أسعد أبو كرب، فإن تأثير الأحبار الفلسطينيين على الطائفة اليهودية النجرانية يبدو أقوى، خاصة خلال العقود الأولى من القرن السادس[٤] .

ومن الناحية السياسية، فإن هيمنة مملكة حمير على نجران عززت من الوجود اليهودي في المنطقة، كونها كانت دين الدولة -كما ذكرنا سابقاً-. ومع ذلك، ظلت هذه الطائفة اليهودية تمثل أقلية دينية مقارنة مع الطائفة النصرانية، التي انتشرت بشكل كبير بين أهل نجران. ويبدو أن غزو الملك اليهودي ذو نواس لنجران عكس محاولة لتغيير الخريطة الدينية لصالح اليهودية. ويُمكن استنتاج ذلك في محاولة إجبار أعداد كبيرة من نصارى نجران على اعتناق اليهودية وقُتل عدد كبير أخر من الذين رفضوا ذلك، باتفاق كل من المصادر النصرانية والإسلامية[٥] ، و مع مرور الوقت، فقدت

---

(١) ابن هشام، التيجَان، ص ٨٧.

(٢) محمد بيومي مهران، دراسات تاريخية من القرآن الكريم (في بلاد العرب) ، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٥م،مج٣،ص ١٣٤ . Stillman, Jews Of Arab Lands, p 3.

(٣) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج١، ص٢٩٨. عبد الله بن مسلم بن قتيبة، المعارف، القاهرة، دار المعارف، ١٩٨١، ص ٦٢١.

(4) Moberg, The Book Of The Himyarites, p cxxiii

(٥) ابن هشام، السيرة، ج١، ص ٣٠. الدينوري ، الأخبار الطوال، ص ٦١.
Moberg, The Book Of The Ḥimyarītes, p cxxiii.

الطائفة اليهودية في نجران نفوذها السياسي مع سقوط المملكة الحميرية ووقوع نجران نفسها تحت النفوذ الحبشي. ونتيجة لذلك، لم تتمكن اليهودية من كسب انتشار كبير بين المجتمع النجراني، وظل أتباعها يمثلون قلة صغيرة طوال مدة الدراسة. وشكل غزو النصارى الأحباش تحدياً خطيراً للوجود اليهودي في نجران، بسبب الأعمال الانتقامية ضد بعض اليهود العرب الجنوبيين، التي سجلتها بعض المصادر النصرانية[١]. غير أن الطائفة اليهودية حافظت على وجودها كجزء صغير من مجتمع نجران خلال هذه المرحلة الصعبة. وفي وقت لاحق، وخلال الاحتلال الفارسي، تحسنت أوضاع يهود نجران إلى حد ما ربما بسبب انهيار الحكم الحبشي و انحسار نفوذه من نجران. ونتيجة لذلك، فقد تمتعت منطقة نجران باستقلال أكبر تحت الحكم المحلي[٢]، الذي وفر قبولاً أكبر للوجود اليهودي كما سبقت الإشارة. وكان لظهور الإسلام أثره على الطائفة اليهودية، كما هو الحال مع بقية الأديان، كما سيأتي تفصيله في الأسطر اللاحقة.

وكما ذكرنا أعلاه، على الرغم من أن بعض أحبار يثرب أدوا دوراً هاماً في تأسيس وجود للطائفة اليهودية في نجران في عهد الملك تُبع أسعد أبو كرب[٣]، فإنه يبدو إن تأثير الأحبار الطبريين القادمين من فلسطين على الطائفة اليهودية النجرانية كان أقوى، وخاصة خلال العقود الأولى من القرن السادس الميلادي. وفي الحقيقة أنه لا توجد لدينا سوى معلومات قليلة عن كيفية قيام بعثات يهودية فلسطينية بتأسيس أهم متطلبات الحياة الدينية كجلب الكُتب المقدسة، وإنشاء دور العبادة، وإمامة الصلاة وذلك يتضح أكثر خلال عهد الملك اليهودي ذي نواس[٤]، بالإضافة إلى ذلك، ربما كان لهذه البعثات دورها في نقل مدرستين للفكر الديني هما الفريسيين والصدوقيين (Pharisees and Sadducees)، إلى يهود نجران[٥]. على الرغم من أن تاريخ نشاط هذه البعثات اليهودية سبقت مرحلة الدراسة ببضع سنوات، إلا أنها على الأرجح أدت دوراً فعالاً في تشكيل الهوية الدينية للطائفة اليهودية في المنطقة خلال المرحلة اللاحقة التي تمثل مرحلة هذه البحث. و يتمثل ذلك بتشكيل مؤسسة دينية يهودية في نجران تكونت من صنفيها الرئيسين: الفقهاء والعلماء (Jurists and Scholars) [٦].

---

(1) (Moberg, The Book Of The Ḥimyarītes, p cxxxviii. Shahīd, Irfan, ‹Byzantium In South Arabia, Dumbarton Oaks Papers, 1979, pp 2394-. Tobi, Josef, The Jews Of Yemen, Leiden, Brill, 1999, p 4

(٢) الشجاع، عبد الرحمن عبد الواحد، تاريخ اليمن في صدر الإسلام، دمشق، دار الفكر، ١٩٨٧م، ص ٥٩.

(٣) اليعقوبي، التاريخ، مج ١، ص ٢٩٨.

(4) Moberg, The Book Of The Ḥimyarītes, p cxxiii.

(٥) إبراهيم، حارث، الرواية العربيّة لاستشهاد القدّيس حارث بن كعب ورفقائه في مدينة نجران، بيروت، جامعة البلمند، معهد التاريخ و الآثار و التراث المشرقي، ٢٠٠٧م، ص ٢١.

(٦) أحمد سوسة، العرب و اليهود في التاريخ ، حقائق تاريخية تظهرها المكتشفات الآثارية، مطابع الإعلان

وفي الحقيقــة فـإن المعلومـات المُتاحة عــن شعائر العبـادة عند الطائفـة اليهودية النجرانية قليلة للغاية. وتُشير بعض الروايات التي قدمتها مصادر إسلامية عن ممارسة يهـود يثرب واليمن في المرحلة النبوية لبعض شعائر العادة كصوم يوم عاشوراء، وأداء أنـواع مُختلفـة من الصلاة، والختـان وعقد المناسبـات الدينية اليهوديـة. على الرغم مـن أن هذه المصادر لا توفـر معلومات مُباشرة عن مُمارسة هـذه الطقوس بين اليهود النجرانيـين، فمـن المرجح أن يهود نجـران لم يختلفوا عن بقية يهـود جنوبي الجزيرة العربية والحجاز بصفة عامة في أداء مثل هذه الأشكال من شعائر العبادة.

وفي الفصـل الخامس الخاص بالنصرانية يتضح التطور الكبير الذي مرت به الديانة النصرانيـة (Christianity) في المنطقـة. علـى الرغم مـن وجود محـاولات مُبكرة لنشر النصرانية في نجران، فإن التكوين الحقيقي للطائفة النصرانية بنجران ربما حدث خلال النصف الأول من القرن الخامس الميلادي. وهنا يبدو أن العامل الاقتصادي أدى دوراً هاماً في انتشـار النصرانية في نجران بسبب الصلات التجارية بين نجران ومراكز النصرانية في بـلاد الشام والرافدين، كما سبق تفصيله في قصة التاجر النجراني حيّان الذي ساعد علـى إدخال النصرانية إلى نجـران[١]، أو في قصة الراهب السـوري فيميون، الذي جلبه التجـار إلى نجـران[٢]. وهناك العديد مـن الجوانب المُثيرة للاهتمـام في الحياة الدينية لنصـارى نجـران. ففيما يتعلـق بأماكن العبـادة، خلص البحث إلى أن مـا ذُكر عن كعبة نجـران ككنيسة كبرى استند بوضوح على العديد من المصادر الإسلامية بسبب سوء فهم النصـ الأصلي[٣]. فكما استنتج ابن الكلبي، فإن الأوصـاف المُبكرة لهذا المكان في أشعار الجاهليـة لم تُشير إليها كمكان للعبادة النصرانية[٤]. كما أن الادعاء بأن بيت بني الديان الوثنيـين هـم أصحاب الكعبة يؤيد الرأي المطروح بأن هـذا المكان كان مجرد مقر اجتماع لإقامـة المناسبات الاجتماعية. وتخلص هذه الأطروحـة إلى أن هناك التباساً واضحاً بين المصادر الإسلامية في التمييز بين ما أطلق عليه بكعبة نجران أو كنيسة نجران المقدسة.

للنشـر والتوزيع، دمشق، ط٢، ١٩٧٥م، ص ٢٦٣. كاميليا أبو جبل، يهود اليمن دراسة سياسية واقتصادية واجتماعية منذ نهاية القرن التاسع عشر وحتى منتصف القرن العشرين، دار النمير، دمشق، ط، ص ١١٥.

(1) Scher, A, 1907, Histoire Nestorienne inédite, Paris, p 330.

(٢) ابن هشام، السيرة، ج١، ص ٣١. الطبري، التاريخ، ج٢، ص ١١٩.

(٣) عبـد الله بـن عبد العزيز البكـري، معجم ما استعجم من أسمـاء البلاد والمواضـع، ت، مصطفى السقا، علـم الكتب، بيروت، ط٣، ١٩٨٣م، ج٢، ص ٦٠٣. ياقوت بن عبد الله الحموي، معجم البلدان، دار صادر، بـيروت، ط٢، ١٩٩٥م، ج٢، صـ ٥٣٨. أبـو الفرج علي بـن الحسين الأصفهاني، كتاب الأغـاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ، ١٩٩٧م، ج١١، ص ٢٦٠. اليعقوبي، التاريخ، مج ١، ص ٢٩٨.

(٤) ابن الكلبي، كتاب الأصنام، ص٤٤.

لم يختلف النصارى النجرانيون كثيراً عن الطوائف النصرانية الشرقية الأخرى في أماكن عبادتهم من حيث أنواعها، ومسمياتها، وأغراضها. فقد عرف نصارى نجران ثلاثة أنواع من أماكن العبادة: الكنائس، والأديرة، والصوامع[١]. ويمكن معرفة الفرق بين الأنواع الثلاثة من حيث الموقع، وحجم البناء، والغرض منه. وتقع الكنائس عادة في وسط المدينة، والقرى والمناطق المأهولة بالسُكان، في حين كانت الأديرة والصوامع عادة ما توجد في مناطق بعيدة عن التجمعات السُكانية. والأهم من ذلك أن الكنائس كانت تُستخدم لشعائر عبادة منتظمة كالصلاة، والتعميد، والاحتفالات الدينية. وفي الوقت نفسه، كان يسكن الأديرة والصوامع أولئك الذين فرغوا أنفسهم لحياة الرهبنة[٢] . وكان تطور المذاهب العقائدية (Doctrines) للنصارى في نجران هو مثار جدل في البحث الحالي، ذلك لأنه كان عرضة لتغيرات كبيرة خلال مرحلة الدراسة. وتتفق هذه الأطروحة جزئياً مع عدد من البحوث الحديثة في النظر إلى المونوفيزتية (Monophysitism) باعتبارها المذهب الأكثر شيوعا بين نصارى نجران منذ مطلع القرن السادس الميلادي[٣]. ومع ذلك، فإن المونوفيزتية نفسها تعرضت لانشقاق خطير أدى إلى تقسيم أتباعها إلى يعاقبة، ويوليان (Jacobites and Julianites) بعد عام (٥٢٥م) [٤]. كما كان للطائفتين النسطورية، والملكانية (Nestorianism and Melchitism) أتباعهما أيضاً في نجران عشية ظهور الإسلام[٥] . و هنا، أدت العوامل السياسية والاقتصادية وظيفة هامة في تشكيل الهوية المذهبية لنصارى نجران. ويُمكن استحضار دور العامل السياسي في جهود الأحباش بجعل المونوفيزتية كمذهب رسمي للكنيسة في نجران بعد غزوهم للمنطقة. بينما يمكن رؤية العامل الاقتصادي في مسألة وصول النسطورية إلى نجران، الذي ربما كان نتيجة للصلات التجارية بين نجران والحيرة في بلاد الرافدين، حيث كان نفوذ النسطورية قوياً هناك ، وفي الوقت نفسه فإن وجود الملكانية[٦] ، الذي كان المذهب الرسمي للكنيسة

---

(١) أحمد بن الحسين البيهقي، دلائل النبوة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٥، ج٥، ص ٣٨٦.
Berger, A, Life and works of Saint Gregentios, Archbishop of Taphar: introduction, critical edition and translation (The Acts of Gregentios), Walter de Gruyter, 2006, p 51.

(2) Shahīd, I, Byzantium in south Arabia, Dumbarton Oaks Papers," 2394-", 1979, p 75.

(3) Block, C, Philoponian Monophysitism in South Arabia at the Advent of Islam With Implications for the English Translation of 'Thalātha' in Qurʾān, 2012, "pp 50- 75", p 57.

(٤) العايب، سلوى بالحاج صالح، المسيحية العربية وتطوراتها من نشأتها إلى القرن الرابع الهجري، العاشر الميلادي، بيروت، دار الطليعة، ١٩٩٨م، ص٧٢.

(٥) نفس المرجع.

(٦) ابن هشام، السيرة ، ج ١، ص ٥٧٥.

البيزنطيــة، في نجران في أواخر العصر الجاهلي، والعصــر الإسلامي المبكر ربما كان بسبب الرغبة البيزنطية في بناء علاقات مع نصارى نجران لمواجهة الاحتلال الفارسي في جنوب الجزيرة العربية.

وتنعكــس هذه التعددية المذهبية بين نصــارى نجران بشكل واضح في جانبين رئيسين من حياة النصارى الدينية: المفاهيم العقائدية ومؤسسة رجال الدين. ففي مسالة المفاهيم العقائديــة (Theological concepts)، فــإن فهم طبيعة السيــد المسيح –عليه السلام– كانت محل خلاف بين نصارى نجران. وبصورة أكثر وضوحاً اعتمد المونوفيزيتين الطبيعة الإلهيــة الواحــدة للسيد المسيح –عليــه السلام–، في حــين اعتقد النساطــرة أن للمسيح طبيعتــين منفصلتين: إلهيــة وبشرية. بالإضافــة إلى ذلك، يبدو أن الطائفــة المونوفيزتية اعتمــدت الصيغــة الخلقيدونيــة (Chalcedonian Formulation) حــول طبيعة المسيح باعتبــاره اتحاداً لكل مــن الطبيعة البشرية والإلهية في جسد واحــد[١]. وعلاوة على ذلك انتشــرت مفاهيــم عقائدية أخرى بين نصــارى نجران كالنبوة، والجنــة، والنــار، والخلق. ويبدو أن هذه المسائل لم تكن مُثيرة للجدل مثل طبيعة السيد المسيح ـ عليه السلام ـ.

وفيمــا يتعلق برجال الدين (Clergy)، فإن الدراسات الحديثة أولت اهتماماً كبيراً لهــذه المسألة، بسبب الالتباس الواضح في ألقابها، وأدوارها ومهامها[٢]. وربما كان هذا الالتبــاس قائما على النص الذي ذكره ابن هشام عن الزعماء الثلاثة للوفد النصراني النجــراني إلى المدينــة المنــورة، السيد والعاقــب والأسقف. وقد تتبعت هــذه الأطروحة تطــور أوضاع رجال الديــن في نجران منذ تنصيب بولس الأول كأول أسقف في المنطقة، ووصلــت إلى استنتاجات هامة. فقد تطورت مؤسسة رجال الدين النصارى النجرانيون خــلال مرحلة الدراسة واكتسبوا قدراً أكبر من الاستقــلال الذاتي. فعلى الرغم من أن المونوفيزيتيــة مثلــت هوية معظم رجال الديــن منذ وقت مُبكر، فمــن المحتمل أن رجال الديــن النساطــرة، والملكانيين كانــوا موجودين أيضــاً[٣]. كما أن النظــر لمصطلحات السيــد والعاقب والواقف كأسمــاء لرجال الدين النصارى كــان ينطوي على سوء فهم. فقد تبين من خلال دراسة المسؤوليات والأدوار، أن وظيفتي السيد والعاقب كانتا – فيما يبــدو– وظائف سياسية أكثر منهــا روحية. أما مصطلح الواقف فقــد كان على الأرجح المصطلــح لدور الشماس. وفي المجمل كان رجال الديــن في نجران على الأرجح يتألفون من ثلاث رتب رئيسية (Holy Orders): الأسقف، والقس، والشماس.

---

(1) Block, Philoponian Monophysitism in South Arabia, p 50.

(٢) ابن هشام، السيرة، ج١، ٥٧٥. محمد بن علي بن حزم، جمهرة أنساب العرب، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٨هـ، ١٩٩٨م، ج٢، ص ٩٠.

(٣) العايب، المسيحية العربية، ص ٧٥.

وفي باب مناقشة شعائر العبادة خلصت الأطروحة إلى استنتاجات هامة حول كيفية ممارسة النصارى النجرانيين لشعائر العبادة. فعلى الرغم من شح المعلومات المُتاحة إلا أن المعمودية أو التعميد (Baptism) كانت فيما يبدو طقساً شائعاً خاصة لمعتنقي النصرانية الجدد. وكانت عملية التعميد تقام عادة في الكنائس في مهرجان ديني[١]. والصلاة شعيرة أساسية بين نصارى نجران، حيث عرفوا ثلاثة أشكال من الصلاة هي: الصلاة اليومية، صلاة الأحد الأسبوعية والصلوات الخاصة بالمناسبات الدينية المختلفة[٢]. كما كان الحج جزءاً هاماً من شعائر العبادة، وعرف نصارى نجران نوعين منه: إذ كان النوع الأول إلى الكنيسة المقدسة لنجران التي كانت مقصداً للحج في ذكرى الشهداء النصارى النجرانيين، أما النوع الثاني فتمثل في رحلات الحُجاج النصارى إلى الأضرحة النصرانية في بلاد الشام والرافدين[٣]. وكانت حياة الرهبنة (monasticism) مُمارسة دينية مزدهرة بين نصارى نجران، وهو ما يتبين في العدد المتزايد من الصوامع والأديرة التي انتشرت في جميع أنحاء المنطقة[٤]. ويبدو أن ذلك راجع إلى استقرار أوضاع نصارى نجران بعد الغزو الحبشي لنجران. وتفيد التفاصيل المتوفرة أن رجال الدين مثلوا مُعظم من مارس الرهبنة، وذلك بسبب الطبيعة القاسية لحياة الرهبانية التي تتطلب الوحدة واعتزال الناس، والامتناع عن تناول اللحوم وقضاء مُعظم الليالي في الصلاة وتلاوة الإنجيل.

أما الفصل السادس فقد ناقش البناء الديني في المنطقة خلال العقود الأربعة الأولى من صدر الإسلام. وبحثت الأطروحة الحالية في الصلات المُبكرة بين النبي- ﷺ - والنجرانيين ، سواء النصارى أو الوثنيين. لكن هذه الصلات لم تنجح في إحداث نفوذ فوري للإسلام في نجران. و يبدو أن بداية دخول الإسلام إلى نجران كانت على الأرجح في العام (٩هـ/٦٣٠م) عندما خضع النصارى لحكم الإسلام، مقابل احتفاظهم بحريتهم الدينية، وكما نصت عليه معاهدتا النبي-ﷺ- بالتفصيل[٥]. لكن اكتمال سيطرة الإسلام على المنطقة لم يتم إلا في العام التالي(١٠هـ/٦٣١م) ، عندما قبل وثنيو بني الحارث بن كعب الإسلام، وأصبحوا جزءاً من المجتمع الإسلامي[٦]. وقد أدى وصول

(1) Moberg, The Book Of The Ḥimyarītes, p lxv.

(٢) ابن هشام، السيرة، ج١، ص٥٧٤. البكري، معجم ما استعجم، ص٦٠٣. الحموي، معجم البلدان، ج٢، ص٥٣٨. الأصفهاني، كتاب الأغاني، ص ٢٦٠.

(٣) لويس شيخو، النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية، دار المشرق، بيروت، ص ٣٩٧.

(4) Shahīd, Byzantium in south Arabia, p 75.

(٥) اليعقوبي، التاريخ، ج٢، ص٨١. إسماعيل بن عمر بن كثير، البداية والنهاية، مكتبة المعارف، بيروت، (د.ت)، ج٥، ص٥٣.

(٦) خليفة بن خياط، تاريخ خليفة بن خياط، ت، أكرم ضياء العمري، مؤسسة الرسالة، دمشق، ط٢، ١٣٩٧هـ، ص٩٤. الطبري، التاريخ، ج، ص ١٩٤. علي بن الحسن المسعودي، التنبيه والإشراف، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ١٩٨١م، ص ٢٥٤. ابن الكلبي، كتاب الأصنام، ص٤٤.

الإسلام نجران إلى إحداث تغييرات كبيرة في البناء الديني للمنطقة، تمثل هذا التغير في اختفـاء الوثنية، والشرك، وصعود الإسلام بسرعة حتى أصبح الديانة الأقوى في نجران. أثر ذلك على وضع النصارى، واليهود، والزرادشت الذين اعتنق بعضهم الإسلام. ودخول العديد من النجرانيين إلى الإسلام في وقت قصير يبرز سياسة الدولة الإسلامية في نشر الدين الجديد بين أهل نجران. واعتمدت هذه السياسة على ثلاثة عناصر في زمن النبي- ﷺ - : إرسال البعثات، وبناء المساجد، والكتاتيب، ودعم الرحلات العلمية وقد أسهمت هــذه الخطوات الثلاث في كسب المزيد من الداخلين الجدد في الإسلام، ونشأ جيل جديد من العلماء في نجران نفسها في وقت لاحق في عصر الخلافة الراشدة[١].

وتبــدو سياسة الحكم الإسلامي تجــاه أولئك الذين احتفظــوا بديانتهم، وتحديداً النصــارى، مُثيرة لاهتمــام العديد من الباحثــين الغربيين. وبشكل أكـثر وضوحاً، فإن الفرضيــة الغربية لسياسة الحكم الإسلامي تجاه أهل الذمة في نجران ترى أنه منحهم "قبولاً مشروطــاً" (Conditional Acceptance)، حيث إن الدولة الإسلامية منحتهم مواطنــة من "الدرجــة الثانيــة" (Second-Class Citizenship) [٢]. وهذه الفرضية محــل دراسة ونقد في ضوء حقوق المواطنــة والتزاماتها في الإسلام. وخلصت الدراسة إلى أن الجزية في الحقيقة تمثل التزاما ماليا مثل الزكاة، وليس شرطا إضافياً. ويفترض الباحــث أن أهل الذمة في نجــران تمتعوا بإعفاءات هامة من الخدمــة العسكرية ودفع الزكــاة، التــي يتعين على المُسلمين الوفاء بها. والأهم مــن ذلك، أن الجزية تبدو بالفعل ثمنــاً للتمتــع بحقوق وامتيازاتِ المواطنة، بدلاً من أن تكــون انتقاصاً لحقوق أهل الذمة. وبعبــارة أخــرى، فإن وثائق النبي- ﷺ تُقدم معلومــات مفصلة عن كيفية تبني الدولة الإسلاميــة لسياســة شاملة تجاه الأوضــاع الدينية، الأمنيــة، والاقتصادية لأهل الذمة في نجــران[٣]. ولم يقتصــر مصطلح "الحماية الكاملة" علــى الحماية الشخصية، بل تضمن صراحة حرية مُمارســة الدين، وسلامة الممتلكات، والحق في مُمارسة الأنشطة الاقتصاديــة. في الشريعة الإسلامية، وكانت هــذه المسائل جزءاً أساسياً من مسؤوليات الدولة الإسلامية تجاه مواطنيها بغض النظر عن عقيدتهم. وتبنى النبي- ﷺ سياسة

---

(١) ابــن هشــام، السيرة، ج٤، ص٢٤٨. ابـن سعد، الطبقات الكبرى، ج١، ص٣٣٩. ابـن خياط، التاريخ، ج١، ص٩٤. الطـبري، التاريـخ، ج٢، ص١٩٤. وللمزيد انظـر :غيثان بن جريس . نجران (دراســة تاريخية حضاريــة (ق١ق٤هــ/ق٧ـ ق١٠م) (الرياض: مطابع الحميضي ، ١٤٣٤هــ/٢٠١٣م) (الطبعة الثانية) (الجزء الأول)، ص٥١-٩٧ .

(2) Lewis, B, The Jews of Islam, Princeton, N.J., Princeton University Press, 1984, p 62. Ddard, H, A history of Christian-Muslim relations, New Amsterdam Books, 2000, p 31.

(٣) محمــد حميد الله، مجموعة الوثائق السياسية في العهــد النبوي والخلافة الراشدة، دار النفائس، بيروت، ط٦، ١٤٠٧، ص ١٧٥- ١٨٣.

ثابتة منحت قبولاً مشروطاً لغير المُسلمين في نجران[١] . وأسست هذه السياسة حالة من التعايش السلمي بإعطاء الحرية الدينية، والمادية لغير المُسلمين. ونتيجة لذلك، حافظ مجتمع نجران على هويته الدينية كمجتمع متعدد الأديان، يضم اليهود والنصارى والزرادشت والمُسلمين. إلا أن بنية مجتمع نجران المتعدد الأديان تأثرت في مرحلة لاحقة بإجلاء عدد غير معروف من اليهود، والنصارى من منطقة نجران. ولم يكن خرق حكام المُسلمين للعهود النبوية هو السبب الرئيسي وراء هذا الإجلاء، بل كانت بسبب مُمارسة بعض غير المسلمين للربا، الذي كان محرماً في عهد النبي ﷺ . وتخلص الدراسة الحالية إلى أن هذا الإجلاء أدى إلى تغيير كبير في البناء الديني لنجران بجعل المُسلمين أغلبية، في حين أصبح النصارى، واليهود مجرد أقليات دينية.

٣ـ في الختام :

يتضح من كل فصول هذه الدراسة أن استخدام الخيار العسكري في فرض دين، أو طمس دين آخر، لا يُمكن أن يؤدي إلى مجتمع سلمي مستقر متعدد الأديان. ونجد في الصراع اليهودي النصراني دليلاً واضحاً على أن محاولة فرض اليهودية على نصارى نجران باءت بالفشل. في الوقت نفسه، كانت سياسة دولة الإسلام ناجحة بوضوح سواء في نشر الإسلام أو في إقامة مجتمع مستقر يقوم على السلام بين شتى طوائف المجتمع، مسلمة كانت أو غير مسلمة. ذلك لأن الدولة الإسلامية لم تجبر أتباع اليهودية أو النصرانية على اعتناق الإسلام . صحيح أن هناك قواعد وأحكاماً نظمت وجود كلتا الطائفتين في منطقة نجران، و قد أدى تطبيقها إلى عمليات إجلاء، ولكن هذه قواعد وأحكام عالجت مسائل سياسية واقتصادية، ولم تمس مُمارسة الدين. وبشكل عام، مثلَّت نجران مجتمعاً متعدد الأديان خلال المدة ما بين (٥٢٥ و٦٦١م) ، حيث كان المجتمع يتكون من الوثنيين، واليهود، والنصارى، والزرادشت، والمُسلمين. وكان لكل هذه الجماعات طبيعتها الخاصة في الحياة الدينية، مثل المعتقدات، وشعائر العبادة، ورجال الدين وأماكن العبادة. وقد تأثر هذا المجتمع المتعدد الأديان بظهور الإسلام وانتشاره حيث أصبح في النهاية دين الأغلبية [٢] .

---

(١) المصادر نفسها.

(٢) أشكرك يا دكتور عوض بن ناحي على هذه الخلاصة . وأقول إن بلاد نجران قبل الإسلام مازالت بحاجة كبيرة إلى دراسة أوضاعها الدينية ، والسياسية ، والاجتماعية ، والاقتصادية ، والعسكرية ونأمل منك ومن الباحثين المتخصصين أن يضاعفوا الجهود لدراسة تاريخ وحضارة هذه البلاد العريقة في تاريخها وموروثها الحضاري . (ابن جريس) .



الدراسة الثامنه

الأقليات في نجران أثناء ولاية عمرو بن حزم (دراسة تاريخية) عام (١٠-١١هـ/٦٣١-٦٣٢م)

بقلم : د. عوض بن عبدالله بن ناحي



الدراسة الثامنة

الأقليات في نجران أثناء ولاية عمرو بن حزم (دراسة تاريخية) عام (١٠ - ١١ / ٦٣١ - ٦٣٢م) . بقلم .د. عوض بن عبدالله بن ناحي [1]

أولا : تمهيد :

مَثّلَ وجود طوائف دينية معتبرة في جزيرة العرب عند ظهور الإسلام مثل النصارى، و اليهود، والمجوس (الزرادشت) مسألة مهمة في سياسة الرسول (ﷺ) الساعية إلى نشر الإسلام، وخاصة في تلك المناطق التي توجد بها هذه الطوائف، فإلى جانب مهام ولاة الرسول (ﷺ) المتعددة، كانت مهمة الحفاظ على عهود النبي (ﷺ) لأهلَ الذمة من غير المسلمين إحدى المسؤوليات الرئيسية [2]، وللحق فقد تعاملت تلك السياسة مع هذه الطوائف كمكون حقيقي من التركيبة السكانية، والدينية، لسكان الجزيرة العربية،

---

(١) الدكتور عوض بن ناحي تخرج في كلية اللغة العربية والعلوم الاجتماعية والإدارية بجامعة الملك خالد عام (١٤٢٢-/٢٠٠٢م)، ثم عمل في التدريس بمدارس التعليم العام بضع سنوات، ثم اتنقل إلى جامعة نجران، وسافر إلى جامعة برمنجهام في بريطانيا وحصل على درجة الدكتوراه في التاريخ الإسلامي، عام (١٤٣٨هـ/٢٠١٧م) والآن يعمل أستاذا مساعداً في جامعة نجران. وهو أستاذ جاد ومجتهد، وللمزيد عن سيرته، انظر : غيثان بن جريس. القول المكتوب في تاريخ الجنوب (الرياض: مطابع الحميضي، ١٤٣٣-٣٢هـ /٢٠١٠-٢٠١١م) (الطبعة الأولى) ،ج٣، ص ٢٩٢. انظر السيرة في الجزء نفسه (الطبعة الثانية/ ١٤٤٢هـ /٢٠٢٠م). انظر الكتاب نفسه، الجزء (١٧) (الطبعة الأولى)، ص ١٧٣، هذه الدراسة سبق نشرها في العدد الثاني ، مجلة جامعة الملك خالد للدراسات التاريخية والحضارية ، يوليو (٢٠٢٠م) ص ٢٧ - ٦٦ .

(٢) حميد الله، محمد، الوثائق السياسية لعصر النبوة والخلافة الراشدة، (بيروت، دار النفائس، ط٥،(١٤٠٥هـ/ ١٩٩٥م)، ص٣٠.

ولم تنظر إليها على أساس عرقي لأبناء الفرس في جنوب الجزيرة العربية، إذ لم تفرق بينهم وبين السكان الأصليين ممن اعتنقوا اليهودية والنصرانية .

كانت سياسة الدولة الإسلامية تجاه الأقليات في صدر الإسلام مثار اهتمام باحثين غربيين في سياق نقاشاتهم عن الوضع القانوني للأقليات الدينية في ظل الدولة الإسلامية، إذ يقرّ "برنارد لويس" (Bernard Lewis) ، الذي سار على نهجه "مارك كوهين" (Mark Cohen) ، و"هيو قودرد" (Hugh Goddard) ، أن الأقليات غير المسلمة حظيت منذ العهد النبوي بوضع قانوني يجعل منها جزء معترفاً به ضمن مجتمع الدولة، وخاضعاً لقوانينها ، وله حقوقه التي يعترف بها هذا القانون، ومتمتعاً بنوع من المواطنة التي يمكن تصنيفها حسب تعبيرهم بمواطنة "من الدرجة الثانية"(١) .

والنظرية التي قدمها المؤرخون الثلاثة حرصت على وصف كثير من أوضاع أهل الذمة في صدر الإسلام، إلا أن هذه النظرية لا تخرج كثيراً عن سياق المدرسة الغربية الحديثة في محاولة فهم تاريخ صدر الإسلام في ضوء قضايا رئيسية مثل التسامح، والمواطنة، وحقوق الأقليات التي نظرت إليها من منظور اجتماعي طبقي حديث لم يخل من التصور الغربي الحديث لمثل هذه القضايا ، رغم أن أحدهم - برنارد لوس - يعترف أن مفهوم "التسامح الديني" في الإسلام يختلف جذرياً عما تتبناه منظومة حضارات أخرى وفي مقدمتها الثقافة الغربية اليوم لاختلاف الفهم والمعايير والتشريعات(٢) . وهذا يجعلنا نقول أن استنتاج لويس أحرى بأن يُطبق على باقي القضايا التي ارتبطت بالأقليات في صدر الإسلام، فهل طبق لويس أو غيره هذا الاستنتاج على مفهوم "المواطنة" تحديداً ؟! الواقع أن تطبيقَ استنتاج لويس وغيره على قضايا تمس أهل الذمة مثل الحرية الدينية، وطلب الرزق، وتملك العقار، والحماية، والضريبة، والمواطنة في ضوء قراءة منطقية بمفهوم صدر الإسلام سيفضي إلى نتائج مختلفة.

ومن هذا المنطق، تعالج الدراسة الحالية سؤالاً رئيسياً يتمثل في كيف كان يجب على ولاة الرسول (ﷺ) العمل على احترام حقوق رئيسية أقرها الرسول لأهل الذمة بموجب كتب ومعاهدات رسمية لا تزال بعض نصوصها محفوظة إلى اليوم في وقت كان يتعين عليهم الدعوة إلى الإسلام و العمل على نشره بين سكان المناطق التي حكموها؟

(1) Lewis, Bernard, The Jews of Islam, (Princeton, N.J., Princeton University Press, 1984), P 20- 21, p 62. Cohen, Mark, Under crescent and cross: the Jews in the Middle Ages, (Princeton, University Press, 1994), p 52. Goddard, Hugh, A History of Christian-Muslim relations,(New Amsterdam Books, 2000) , p 67

(2) Lewis.Op,cit,p67.

وللإجابة على هذا التساؤل المهم، لابد من اختيار إحدى تلك المناطق التي وُجدت فيها أكثر من أقلية دينية للوصول إلى إجابة شافية للسؤال الحالي. فكانت "نجرانَ" في عهد ولاية عمرو بن حزم الأنصاري (رضي الله عنه) بالنسبة للدراسة الحالية أحدٍ أوضح تلك النماذج(١) ،حيث شكل فيها النصارى واليهود إلى جانب المسلمين مجتمعاً متعدد الأديان في ظل والٍ مقيم كان عليه أن يدير شؤونهم في ضوء عهد مكتوب يرسم سياسته التي يجب عليه أنً يتعامل بموجبها مع هذا المجتمع(٢) .

ويتبادر إلى الذهن سؤال وجيه حول سبب اختيار المرحلة التي عُيّن فيها عمرو بن حزم والياً على نجران مع أنه لم يكن أول أمير يرسله النبي (ﷺ) إلى نجران، فقد سبق أن بعث أبا عبيدة عامر بن الجراح (رضي الله عنه) لجمع الجزية، فيما يبدو

---

(١) عمرو بن حزم بن زيد بن لوذان بن عمرو بن عبد عوف بن غنم بن مالك بن النجار الأنصاري ثم الخزرجي، صحابي جليل يكنى بأبي الضحاك، كانت موقعة الخندق أول مشاهده مع النبي ﷺ ثم عينه لاحقاً والياً على نجران وعمره سبع عشرة سنة، واختلف في تاريخ وفاته لكن الأرجح أنه بعد سنة (٥٠هـ) حيث يذكر ابن خياط أنه قتل في موقعة الحرة عام (٥٣هـ). ابن خياط، خليفة. طبقات خليفة بن خياط، تحقيق: سهيل زكار، (بيروت، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٤ هـ/١٩٩٣م)، ص٤١٤. ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد، أسد الغابة في معرفة الصحابة، تحقيق: علي محمد معوض وعادل أحمد عبد الموجود، (بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤ م)، ج٤، ص ٢٠٢. ابن حجر، أحمد بن علي بن محمد، الإصابة في تمييز الصحابة، ت: عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض، (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ.)، ج٤، ص٥١١.

(٢) تذكر كثير من كتب التراث الإسلامي أن نجران تنسب لنجران بن زيد بن يشجب بن يعرب بن قحطان، أحد العرب الأوائل الذين نزلوها وعمروها في الألف الثاني قبل الميلاد، إذ أصبحت منذ ذلك الحين إحدى أهم حواضر بلاد العرب الجنوبية، وأسواقها التجارية العامرة في الجاهلية والإسلام، بينما كشفت الدراسات الأثرية أن مملكة "مهأمر" أو "مهأمرم" العربية القديمة التي عاشت حتى القرن(٦ ق .م.) قامت على أرض نجران وعاصمتها "رجمت" أو "رجمة" التي يسود اعتقاد أنها الاسم القديم لنجران، أو على الأقل إحدى المدن التي قامت في نفس الإقليم. انظر: ابن خرداذبه، أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله، المسالك والممالك، (ليدن، بريل، ١٨٨٩م)، ص١٣٣ . الاصطخري، أبو اسحق إبراهيم بن محمد، مسالك الممالك، (ليدن، بريل، ١٨٨٩م)، ص ٢٤ . ابن حوقل، أبو القاسم محمد بن حوقل النصيبي، صورة الأرض، (ليدن، بريل، ١٩٣٨م)، ص ٣٦ . البكري، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز، معجم ما استعجم، (بيروت، عالم الكتاب، ط٣، ١٤٠٣ه)، ج٤، ص ١٢٩٨ . الحموي، ياقوت بن عبد الله، معجم البلدان، (بيروت ، دار صادر، ط٢، ١٩٩٥م)، ج٥، ص٢٦٦ . القزويني، زكريا بن محمد، آثار البلاد وأخبار العباد، (بيروت، دار صادر، د. ت)، ص ١٢٦. وعن نجران في النقوش والآثار انظر: علي، جواد، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، (بيروت، دار الساقي، ط٤، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م)، ج٤، ص ١٥٩. مهران، محمد بيومي، دراسات في تاريخ العرب القديم ،(الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، د ، ت) ، ٢٣٤. آل هتيلة، محمد هادي، نجران: جدلية المكان والشخوص "دراسة أنثروبولوجية"، (بيروت، جداول، ط١، ٢٠١٦م)، ص٣٥. ولنفس المؤلف: ر ج م ت، نجران- دراسة تاريخية، (بيروت، مؤسسة الرحاب الحديثة للطباعة والنشر، ط١، ٢٠١٩م)، ص ٢٠. الحاج، محمد علي، في تاريخ نجران قبل الإسلام: نقوش مسندية من موقع الأخدود، (الرياض، كرسي التراث الحضاري بجامعة الملك سعود، ١٤٣٩هـ/ ٢٠١٨م)، ص ٢٦.

حسب رواية المصادر المتوفرة[١]، إلا أنه رغم ذلك لم يكن أميراً مقيماً، فقد اقتصرت مهمته على جمع الجزية، فيما يبدو. ثم أرسل النبي (ﷺ) فيما بعد خالد بن الوليد (رضي الله عنه) إلى بني الحارث وظل "مقيماً" بينهم ستة أشهر[٢]، غير أن مهمته بقيت محدودة في بني الحارث بن كعب، كما سيتضح لاحقاً في الدراسة الحالية. كما يذكر البلاذري والطبري وغيرهما أن الرسول (ﷺ) بعث أبا سفيان بن حرب والياً إلى نجران غير أنهما اختلفا في تفاصيل ولايته تلك، فالبلاذري يذكر أن الرسول (ﷺ): "...وَلَّى أَبَا سُفْيَانَ بْنَ حَرْبٍ نَجْرَانَ بَعْدَ عَمْرو بن حزم..." [٣]، بينما يورد الطبري روايتين أولاهما أشار فيها إلى أن النبي (ﷺ) عندما رجع من حجة الوداع وجّه عدداً من عمّاله فذكر منهم عمرو بن حزم على نجران[٤]، إلا أنه عاد في موضع آخر من تاريخه فذكر في أثناء حديثه عن ولاة الرسول عشية وفاته عدد من أمراء الأقاليم فذكر أنه: "...عَلَى نَجْرَانَ وَأَرْضِهَا عَمْرُو بن حزم وابو سفيان ابن حَرْبٍ، عَمْرُو بْنُ حَزْمٍ عَلَى الصَّلاةِ ، وَأَبُو سُفْيَانَ بْنُ حَرْبٍ عَلَى الصَّدَقَاتِ..[٥].

ويرى الباحث أن النص الأخير للطبري يزيل بعض الالتباس حول طبيعة مهمة أبي سفيان بن حرب التي ربما لم تتجاوز جمع الالتزامات المالية لمنطقة نجران من صدقات وجزية ونحوها، وهي ذات المهمة التي سبقه بها علي بن أبي طالب حينما بعثه النبي (ﷺ) إلى نجران ومناطق أخرى من اليمن لجمع الصدقات حيث أتم مهمته تلك ووافى النبي (ﷺ) في حجة الوداع[٦]. فالأرجح من ذلك كله أن أبا سفيان بن حرب قدم إلى نجران لمهمة محددة ولم يكن والياً مقيماً. ومن كل ما سبق فإنه بالإمكان

---

(١) ابن سعد ، أبو عبدالله محمد بن سعد بن منيع ، الطبقات الكبرى ، (بيروت ، صادر ، ط٢، ١٩٦٩م) ، ج٣، ص٤١٢.

(٢) خالد بن الوليد بن المغيرة المخزومي القرشي، صحابي جليل وقائد عسكري مسلم، أسلم بعد صلح الحديبية سنة (٧هـ)، ولقّبه النبي (ﷺ) بسيف الله المسلول. اشتهر بحسن تخطيطه وبراعته في قيادة جيوش المسلمين في حروب الردة وفتوحات العراق والشام في عهد أبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب. توفي على الأرجح بحمص سنة (٢١هـ/٦٤٢م). ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٧، ص ٣٩٤. ابن عساكر، علي بن الحسن بن هبة الله، تاريخ دمشق، تحقيق: عمرو بن غرامة العمروي، (بيروت، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٥هـ ، ١٩٩٥ م)، ج ١٦، ص٢١٦. ابن الأثير، أسد الغابة، ج٢، ص١٤٠. الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز، سير أعلام النبلاء، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط (بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٥ هـ ، ١٩٨٥ م)، ج ١، ص ٣٦٦.

(٣) البلاذري ، أحمد بن يحيى بن جابر بن داود ، فتوح البلدان ، (بيروت ، دار ومكتبة الهلال ،١٩٨٨م) ، ص٧٦ .

(٤) الطبري ، محمد بن جرير ، تاريخ الرسل والملوك ، (بيروت ، دار التراث ، ص٢، ١٣٨٧هـ) ، ج٣،ص ٢٣٨.

(٥) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٣، ص ٣١٨ .

(٦) ابن خياط ، طبقات خليفة بن خياط ، تحقيق: أكرم ضياء العمري، (دمشق-بيروت، دار القلم-مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٣٩٧هـ) ، ص ٩٧، الطبري ، التاريخ ، ج٣، ص١٤٨ .

اعتبار عمرو بن حزم أول أمير مقيم يحكم إقليم نجران بأكمله بحسب الكتاب الذي زوده به الرسول (ﷺ) قبل توجهه إلى نجران[١].

ورغم أن تاريخ أهل الذمة في منطقة نجران في صدر الإسلام، خاصة فيما يتعلق بعلاقة الطائفة النصرانية بالدولة الإسلامية حظيت بالاهتمام في عدد من الدراسات الحديثة، إلا أن بحث مسألة العلاقة بين أهل الذمة في نجران (نصارىً ويهود) وعمرو بن حزم الذي ولّاه الرسول (ﷺ) نجران في مرحلة مهمة من تاريخ الإسلام لا تزال سؤالاً جديراً بالدراسة. ومن أهم الدراسات التي تناولت مرحلة صدر الإسلام بنجران مقالة علمية بعنوان "نجران أهميتها وعلاقتها بالإسلام" للدكتور نزار الحديثي. ورغم أن الحديثي ناقش في دراسته تلك تطور العلاقة بين الدولة الإسلامية ورعاياها من غير المسلمين في نجران، وخاصة اليهود والنصارى، حتى قرار الخليفة عمر بن الخطاب إجلائهم من نجران[٢]، إلا أن تناوله لبعثة عمرو بن حزم وولايته في نجران لم تتعد إشارة عارضة فحواها أن النبي (ﷺ) "بعثه والياً على شؤونهم" دون التوسع في مناقشة مهام ولايته تلك[٣].

وفي كتابه " اليمن في صدر الإسلام" الذي خصص فيه لنجران أكثر من مبحث، أبدى عبدالرحمن الشجاع اهتماماً أوضح بخبر تعيين عمرو بن حزم والياً على نجران مركّزاً على مهامه في تفقيه الناس في الدين، وجمع الصدقات والزكاة، وغير ذلك من مهام تضمنها " الكتاب الذي حمله معه من الرسول (ﷺ) المبين فيه مالهم وما عليهم"[٤]. إلا أن الشجاع هنا لم يتطرق لما ورد في "الكتاب" عن السياسة الواجب اتباعها تجاه من بقي على دينه من نصارى، ويهود نجران.

أما حسين المسري الذي قدم دراسة مشابهة لدراسة الحديثي آنفة الذكر بعنوان " نجران ودورها السياسي والاقتصادي" فقد تحدث عن قرار تعيين عمرو بن حزم والياً

---

(١) ابن هشام، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري، السيرة النبوية، ت: مصطفى السقا وإبراهيم الإبياري وعبد الحفيظ شلبي، (مصر، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ط٢، ١٣٧٥هـ/ ١٩٥٥م)، ج٢، ص ٥٩٤- ٥٩٦. أبو يوسف، يعقوب بن إبراهيم بن حبيب، الخراج، ت: طه عبد الرؤوف سعد، سعد حسن محمد، (القاهرة، المكتبة الأزهرية للتراث، ١٩٦٢م)، ص ٨٤- ٨٥. ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج١، ص ٢٦٤.

(٢) الحديثي، نزار عبداللطيف، "نجران أهميتها وعلاقتها بالإسلام"، مجلة المؤرخ العربي، (بغداد،ع٢٩ ١٤٠٦هـ)، ص ٩١-١٠٢.

(٣) الحديثي، المرجع نفسه، ص ٩٧.

(٤) الشجاع، عبد الرحمن عبدالواحد، اليمن في صدر الإسلام، (دمشق، دار الفكر، ١٤٠٨/١٩٧٨م)، ص٢٠٣.

علـى نجـران. إلا أنه اقتصر في نقاشـه على التركيز على إحدى مهـام عمرو الرئيسية والمتمثلة بأن: ... يفقههم في أمور الدين، ويفسر لهم ما جاء في الكتاب والسنة ..."[١]. ورغـم أن المسـري أشـار صراحة إلى أن كتـاب النبي (ﷺ) لعمرو بـن حزم تضمن تشريعـات تتعلق بالـ " الحياة الدينية، والاجتماعية، والسياسية، والاقتصادية ... تكفل حيـاة كريمة، آمنة لمجتمـع قبائل نجران"، إلا أنه لم يتطـرق لتفاصيل هذه التشريعات وموقفهـا من الأقليتين النصرانية واليهودية، حالـه في ذلك حال د. الشجاع في دراسته السابق ذكرها [٢].

وفي دراسة بعنوان: " **البيان في تاريخ جازان عسيرونجران، الجزء الأول** " تناول عبدالواحـد دلال بوضوح ولايـة عمرو بن حزم في نجران، مركّـزاً على مهمته في تعليم النـاس أمور دينهـم، و"يأخذ صدقاتهم وزكاتهم"[٣]. ورغـم إشارته إلى الكتاب الشهير والاستشهـاد ببعض ما ورد فيه من توجيهات نبوية مثل نبـذ العصبية القبيلة[٤]، إلا أن ذات الإشكال يتكرر في عدم تناول السياسة المتبعة تجاه أهل الذمة النجرانيين، إذ يبدو واضحاً أن دلال لم يخرج عن نفس القراءة التي قدمها الحديثي والشجاع والمسري ، بل إنـه اعتمد على معظم مصادرهم في جلب مادته العلمية عن نجران، ونعني بذلك كتب التاريخ العام، والسيرة النبوية، والتراجم الإسلامية وغيرها.

وفي دراسـة أخـرى أشمل وأوسع قَدّمها غيثان بن جريس في كتاب بعنوان" **نجران، دراسـة تاريخية حضـارية (ق١ـ ق٤هـ/ ق٧ـ ق١٠م)**، تناول فيه بشيء من التفصيل ولاية عمرو بن حزم في نجران حيث استنتج من كتاب الرسول (ﷺ) عدة أمور هدف إلى تحقيقها تمثلت في رسم خطة عمل واضحة لولايته، وتعليم النـاس الدين الإسلامي، و"...إقامـة العدل بين المجتمع النجراني، بصـرف النظر عن مللهم، فمن اعتنق منهم الإسـلام لا بد أن يسير على ما هم عليه المسلمون في دينهم ودنياهم، أما أهل الديانات الأخـرى، كالنصارى واليهـود فما داموا ملتزمين بالعهود الموقعـة مع المسلمين فإن لهم ذمة الله وذمة رسوله..." [٥].

---

(١) المسـري ، حسين ، نجـران ودورها السياسي والاقتصادي ، "مجلة المـؤرخ المصري (القاهرة ، ع٩، يوليو ١٩٩٢م)، ص ٥٧ .

(٢) المرجع نفسه .

(٣) دلال عبدالواحـد محمـد راغب ، البيـان في تاريخ جازان عسير ونجـران ، الجـزء الأول ،(القاهرة ، دار التعاون للطباعة والنشر ، (١٤١٦هـ/١٩٩٥م)، ص١٤٢ .

(٤) المرجع نفسه ، ص ١٥٥ .

(٥) ابن جريس، غيثان، نجران ، دارسة تاريخية حضارية،(ق١ـ ق ٤هـ /ق٧ـ ق١٠م)،(الرياض:،ط١، ١٤٣٦هـ/ ٢٠١٥م)،(الجزء الأول) ، ص ٢٤ .

وما ذكره ابن جريس يعد تطوراً لافتاً في موضوع الدراسة ذلك أنه تضمن لأول مرة الإشارة إلى السياسية التي يجب اتباعها تجاه الأقليات الدينية في نجران بمقتضى هذا الكتاب. والباحث وإن اتفق مع ما ذُكر سابقاً، إلا أن الدراسة لم تبين بوضوح تفاصيل ما أشارت إليه وفي مقدمتها ضوابط الحرية الدينية الممنوحة لهؤلاء اليهود، والنصارى، وشروط الجزية عليهم، كما لم تتطرق لعلاقة الحاكم المسلم مع طبقة رجال الدين وغيرها من قضايا ستكون محل النقاش بالتفصيل.

ويتكرر ذات الاستنتاج عند نفس المؤلف في دراسة منفصلة بعنوان "**خلاصة تاريخ نجران عبر أطوار التاريخ الإسلامي**"، حيث لم يخرج ابن جريس عن استنتاجاته السابقة في تناوله لولاية عمرو بن حزم، وإن اختلفت الصيغة حينما أكد أن كتَاب الرسول (ﷺ) لعمرو بن حزم تضمن: "...مجموعة من التشريعات والتنظيمات تتصل بالحياة الدينية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية الهدف منها أن تكفل حياة كريمة آمنة لمجتمع قبائل نجران"[١]. يبدو واضحاً أن ابن جريس لم يتوسع في الحديث عن طبيعة تلك التنظيمات وخاصة ما يتعلق بالحياة الدينية، أو عن طبيعة عمرو بن حزم وعلاقته مع أهل الذمة، فقد اكتفى بالإشارة إلى مغادرته نجران أثناء حوادث الردة .

ويظهر من الدراسات السابقة أن ثمة تشابهاً كبيراً في المواضيع المطروحة، المصادر الأولية، والاستنتاجات النهائية وهو ما نلمسه بوضوح في وصف التركيبة السكانية لمنطقة نجران عندما وصلها الإسلام، وفي مسألة طرد اليهود والنصارى من نجران. وبرز هذا التشابه بشكل أوسع في عدم دراسة إشكالية العلاقة بين أول ولاة الدولة الإسلامية في نجران- عمرو بن حزم- وأهل الذمة النجرانيين الذين قبلوا الخضوع لسلطة الإسلام، فدراسة قضايا رئيسية مثل مفهوم الحماية، و الحرية الدينية، والإصلاح الضريبي بقيت بعيدة التناول النقدي لكثير من الدراسات سالفة الذكر.

ولفهم السياق التاريخي الكامل لأسئلة البحث، قسّم الباحث الدراسة إلى أربعة عناوين فرعية، وتمهيد، وخاتمة، إضافة إلى ملحق الوثائق، فاستهل الدراسة بتناول مشكلة البحث، واسئلته الرئيسية، تلاها استعراض مراحل دخول الإسلام إلى نجران، ثم أتبعها بتحقيق نص كتاب الرسول لعمرو بن حزم من خلال المصادر المتوفرة، ومن ثم كان لُب النقاش بتناول ملامح سياسة عمرو بن حزم تجاه أهل الذمة، في ضوء هذا الكتاب، قبل أن يختم النقاش باستعراض أهم الآثار السياسية، والاجتماعية، والاقتصادية، لسياسة عمرو بن حزم في اقليم نجران.

---

(١) ابن جريس ، القول المكتوب في تاريخ الجنوب . (الجزء الثامن) ص ٢٤ .

ثانياً: دخول الإسلام نجران:

مـع بدء الرسول (ﷺ) دعوته للإسـلام في مكة كانت منطقة نجران تمثل حالة فريدة من التنوع الديني، والتعايش الطائفي، والازدهار الاقتصادي الجيد وسط محيط مـن النزاعات القبلية وعدم الاستقـرار السياسي في مناطق مجاورة سواء في اليمن، أو بـلاد السراة، أو وسط الجزيرة العربية. ويبدو أن قبيلة بني الحارث بن كعب معظمهم علـى الوثنية اقتسمت مـع الطائفة النصرانية السلطتين السياسيـة، والاقتصادية على المنطقـة مع السماح الضمني بوجود أقليـات دينية أخرى، مثل اليهود و المجوس[١]. وهو مـا يتضـح من مصاهرة يزيـد بن عبد المدان أكـبر زعيم قبلي لبنـي الحارث بن كعب لعبـد المسيح بـن دارس الكندي (العاقب) أحد أكبر ثلاثة زعمـاء للطائفة النصرانية، حيث امتلك ثروة زراعية وتجارية كبيرة قدرها أبو الفرج الأصفهاني بعشرة آلاف دينار وهـو مبلـغ كبير للغاية في ذلك الزمن[٢]. ولا توفر المصـادر المتاحة معلومات دقيقة عن الخارطـة السكانية للإقليم غير أنه يبدو مـن بعض تلك المصادر أن الوجود النصراني تركـز في المدينة والقـرى القريبة منها، حيـث عاش أخلاط من العرب مـع أقليات من غـير العرب (يونان، ورومان، وفرسـ وأحباش)، يشاركهم في ذلك أقلية يهودية عاشت في نفسـ البقعة الجغرافية[٣]، وكل هؤلاء مارسـوا التجارة إلى جانب الزراعة والحرف اليدوية. بينما انتشرت بطون بني الحارث بن كعب في بقية أجزاء وادي نجران والمناطق الرعوية في الشرق و الشمال والجنوب من الإقليم المتنوع التضاريس[٤].

مـع نهاية عام الوفـود الموافق للعام التاسـع الهجري، كانت معظـم أقاليم جزيرة العـرب قد دخلت تحت ظل الإسـلام باستثناء نجران التي لا تـزال أجزاء واسعة منها خـارج سيطرة الدولة الإسلاميـة رغم أن سيطرتها وصلـت إلى مناطق أبعد في جنوب وجنوب غرب جزيرة العرب. فكيف حدث ذلك؟ تذكر عدد من مصادر التراث الإسلامي أن الرسول (ﷺ) أرسل إلى نصارى نجران كتاباً يخيرهم فيه بين الإسلام، أو قبول

---

(١) أشـار الهمـداني إلى استيطـان "ولدة حرة" بنجران وهم أحـد بطون الأبناء الفرس منذ قدموا مع سيف بـن يـزن. انظر: الهمداني الحسن بن أحمد، الإكليل، تحقيق: محمد بن علي الأكوع، (القاهرة: مطبعة السنة المحمدية، ١٣٨٦هـ/١٩٦٦م)، ج٢، ص٣٦.

(٢) الأصفهـاني، أبـو الفـرج علي بـن الحسين، كتـاب الأغاني، (بـيروت، دار إحياء الـتراث العربي، ص٢، ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م)، ج١٢، ص ٢٦٨.

(٣) اليعقوبي، أحمد بن واضح بن يعقوب، تاريخ اليعقوبي، ليدن، بريل، ١٨٨٣م)، ج١، ص ٢٩٨، ابن قتيبة، أبـو محمـد عبدالله بن مسلم، المعارف، تحقيق ثروت عكاشة، (القاهرة: الهيئة المصرية للكتاب، ط٢، ١٩٩٢م)، ص ٦٢١.

(٤) الطـبري، التاريـخ، ج٣، صـ ٢٢٢. الهمداني، الإكليل، ج٢، ص٣٦، الشجـاع، عبدالرحمن عبدالواحد، تاريخ اليمن في الإسلام في القرون الأربعة الهجرية الأولى (صنعاء، ط٨، ١٤٣٤هـ/٢٠١٣م)، ص٢٨.

الجزية، أو الحرب مما سبب رد فعل كبير في أوساطهم[١]، وبعد مداولات عديدة استقر رأيهم على إرسال وفد إلى المدينة لمقابلة النبي (ﷺ) واستيضاح حقيقته، وهنا نقف على بعض الاضطراب الذي وقعت فيه العديد من هذه المصادر، فابن اسحق، وابن سعد، واليعقوبي يتحدثون عن وفد واحد التقى النبي (ﷺ) بعد عودته من تبوك في شوال من السنة التاسعة للهجرة[٢]. وهي رواية يختلف معها جزئياً البيهقي وابن كثير حينما ذكرا أن نصارى نجران بزعامة أبي الحارث بن علقمة قرروا إرسال ثلاثة من رجال الدين هم شرحبيل بن وداعة الهمداني، وجبار بن فيّاض الحارثي، وعبدالله بن شرحبيل الأصبحي وذلك لغرض استيضاح حقيقة النبي (ﷺ) قبل أن تحدد الطائفة النصرانية موقفها الرسمي منه[٣]. ويذهب البيهقي وابن كثير في هذه الرواية إلى أن هذا الوفد الصغير استطاع الحصول على العهد الشهير الذي كتبه لهم النبي -ﷺ-، ويتضمن حماية حريتهم الدينية، وحقن دمائهم، وأموالهم، مقابل دفعهم الجزية، وخضوعهم لسلطة الدولة الإسلامية في المدينة[٤].

ثم يعود البيهقي وابن كثير في رواية أخرى ليتحدثا عن الوفد الكبير الذي قاده أبو الحارث بن علقمة أسقف نجران فيورد ذات التفاصيل التي رواها ابن اسحق، ومقاتل بن سليمان، والطبري عن حادثة المباهلة الشهيرة التي انتهت باتفاق سلام لكنه يورد نص كتاب آخر غير ذلك النص الذي أورده ابن اسحق وابن سعد، إذ اكتفى النبي (ﷺ) في كتابه هذا الذي خص به "أسقف نجران" على التأكيد على التزام الدولة الإسلامية بحماية نصارى نجران مع مطالبتهم بالوفاء بالتزاماتهم تجاه الدولة الإسلامية [٥].

---

(1) Anonymous, The Book of the Himyarites: Fragments of a hitherto unknown Syriac work. Vol. 7. ed. Axel Moberg, (CWK Gleerup, 1924),p Lxi - Lxii. Scher, Addai. Histoire Nestorienne Inédite:(Chronique de Séert), (libarie de Paris, Brepols, Paris, 1950), p 600- 601.

(٢) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص ٩٠. الطبري، التاريخ، ج٣، ص١٣٩. البلاذري، فتوح البلدان، ص ٧٣. ابن هشام، السيرة النبوية، ج١، ص ٥٧٣. ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج١، ص ١٦٤. البيهقي، أحمد بن الحسين ابن علي بن موسى، دلائل النبوة، تحقيق: د. عبد المعطي قلعجي، (بيروت، دار الكتب العلمية، دار الريان للتراث، ط١، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م)، ج٥، ص ٣٨٨. ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي، البداية والنهاية، تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي (القاهرة، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧ م)، ج١، ص ٢٦٣.

(٣) البيهقي، دلائل النبوة، ج٥، ص ٣٨٨، ابن كثير، البداية والنهاية، ج١، ص ٢٦٣.

(٤) المصدران نفسهما.

(٥) أبو يوسف، الخراج، ص٨٥. ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج١، ص٢٨٨. ابن سلاّم، أبو عُبيد القاسم بن سلاّم، كتاب الأموال، تحقيق: خليل محمد هراس، (بيروت، دار الفكر، ١٤٠٨هـ)، ص٢٤٤. البيهقي،

والحقيقة أن المتوفر من المصادر المبكرة مثل سيرة ابن اسحق، وطبقات ابن سعد، وتاريخ الطبري لم تشر إلى هذا النص وإنما صبت جُل تركيزها على لقاء الرسول (ﷺ) للوفد الذي ترأسه الأسقف، و العاقب، والسيد وتخللته حادثة المباهلة الشهيرة والصلح الـذي سبق الإشارة إليـه. و أياً كان الخلاف بين المصادر السابقـة سواء كان لنصارى نجران وفد أو وفدان فإن النتيجة النهائية للاتصال بين النبي (ﷺ) ونصارى نجران انتهـت بالصلح الذي قبلوا بموجبه دفع الجزية، والخضـوع للسيادة الإسلامية، مقابل حمايـة أموالهـم، وأرواحهم وحريتهم الدينية[١]. بل إن روايـة نصرانية سجّلتها حولية نسطوريـة تعود إلى القرن التاسع الميلادي/ الثالـث الهجري تؤكد فيها قدوم وفد كبير من نصارى نجران إلى المدينة للقاء النبي (ﷺ) حيث حصلوا على عهد أمان يحفظ لهـم حقوق الحريـة الدينية لأبناء الطائفـة النصرانية بنجران ويؤكـد على خضوعهم لسيـادة الدولة الإسلامية[٢]. ورغم الاختلاف الذي أبـداه نص الحولية النسطورية في أسمـاء بعض أعضاء قائمة الوفد النصـراني النجراني، وإغفاله لبعض شروط الصلح التـي فرضهـا الرسول (ﷺ) على النصارى وفي مقدمتهـا مسألة الجزية، إلا أن هذا الاختلاف بحد ذاته يوفر دليلاً آخر يؤكد الخضوع السلمي لنصارى نجران تحت الحكم الإسلامـي، ذلك أن كاتب الحولية النسطوريـة اعتمد فيما يظهر على مصادر سريانية مستقلـة، مما يعطي روايتـه صفة الاستقلالية عن نظيرتهـا الإسلامية[٣]. إضافة إلى ذلـك فإن خلاف الروايتين الإسلاميـة و النصرانية يظل ثانوياً ذلـك أن السياق العام للرواية التاريخية تؤكد عقد الصلح بين الرسول (ﷺ) والوفد النصراني النجراني.

وفي جانـب متصل، يذكـر البلاذري أن الأقلية اليهوديـة دخلت مع نصارى نجران في تفاصيـل الصلح "...وكانـوا كالأتباع لهم..." فأصبح ينطبـق عليهم ما ينطبق على النصارى النجرانيين من أحكام وواجبات[٤] ، وهو نص يؤكد مصداقيته فيما بعد كتاب النبي(ﷺ) لعمرو بن حزم رضي الله عنه ، كما سيتبين لاحقاً.

ولاستكمـال مد سلطة الدولة الإسلامية على نجـران، والتمكين لنشر الإسلام بين السكـان، اتخذ النبي (ﷺ) قراره بإخضـاع بني الحارث بن كعب وهم المكون القبلي الرئيسي الذي يسيطر على باقي الإقليم . ففي ربيع الثاني أو (جمادى الأولى) من العام

دلائل النبوة، ج٥، ص٣٨٩. ابن كثير، البداية والنهاية، ج١، ص ٢٦٧.

(١) انظر : كتاب الرسول (ﷺ) في عدد من المصادر الإسلامية المبكرة .

(2) Scher, Op.cit, p 601 (3)

(3) Wood, Philip. The Chronicle of Seert, Christian Historical Imagination in Late Antique Iraq, (Oxford University Press, 2013), p3.

(٤) البلاذري ، فتوح البلدان ، ص٧٣ .

العاشر للهجرة أرسل النبي (ﷺ) خالد بن الوليد على رأس أربعمائة رجل إلى بني الحارث بن كعب في نجران، وأمره أن يدعوهم إلى الإسلام ثلاثة أيام، فإن استجابوا فيقيم فيهم ويعلمهم الإسلام، أما إذا رفضوا فيجب عليه وقتها أن يقاتلهم(١). وتجمع المصادر الإسلامية أن بني الحارث بن كعب لم يبدوا أية مقاومة تذكر تجاه حملة خالد بن الوليد، بل أقبلوا على الإسلام وانتشر فيهم أصحاب خالد بن الوليد يعلمونهم الإسلام، وكتاب الله، وسنة نبيه(٢)، ثم بعث كتاباً إلى الرسول - ﷺ - يخبره بتفاصيل إسلام بني الحارث بن كعب، فرد عليه النبي (ﷺ) مستبشراً بذلك وموجهاً الدعوة لوفدهم أن يزور المدينة(٣) .

ويجمع المؤرخون المسلمون أن وفداً كبيراً مَثّل بَني الحارث بن كعب قدم المدينة بصحبة خالد ابن الوليد وعلى رأسه أبرز الزعامات القبلية مثل يزيد بن عبد المدان، وقيس بن الحصين ذي الغصة، ويزيد بن المحجل، وعبدالله بن قراد الزيادي، وشداد بن عبدالله القناني، وعمرو بن عبدالله الضبابي(٤). ورغم ترحيبه بالوفد النجراني الكبير، فقد وجه الرسول (ﷺ) بعض اللوم إلى وفد بني الحارث على تأخر إسلامهم، إلا أن ذلك لم يكن عائقاً للتعبير عن ثبات إسلامهم وإثبات حسن نيتهم ، فقابلهم النبي (ﷺ) بارتياح كبير(٥)، وختمه بأن عين عمرو بن حزم الأنصاري والياً مقيماً في نجران وزوده بكتاب يشتمل على تفاصيل مهام عمله .

ويثير اتفاق الروايات السابقة تساؤلين مهمين، أولهما عن ذلك السبب الذي دفع النبي (ﷺ) ببدء علاقته مع نجران بإخضاع المكون النصراني، ومعه الأقلية اليهودية، بينما تأخرت عملية إخضاع بني الحارث ابن كعب إلى العام الذي يليه. تبدأ إجابة هذا السؤال من فهم طبيعة الأوضاع السياسية والاقتصادية والسكانية لإقليم نجران قُبيل ظهور الإسلام، فكما أسلفنا فإن وجود المكون النصراني في المدينة التي تمثل سوقاً تجارياً كبيراً، وملتقى مهماً لطرق القوافل، والقرى الزراعية الخصبة ذات المنتجات الزراعية الوفيرة مكنهم من تحقيق ثروة اقتصادية كبيرة، والتحكم بالقدر الأكبر من

---

(١) ابن هشام، السيرة، ج٢، ص٥٩٢. ابن سعد. الطبقات الكبرى، ج١، ص٣٣٩. الطبري، التاريخ، ج٣، ص١٢٦.
(٢) ابن هشام، السيرة، ج٢، ص ٥١٢، ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج، ص٣٣٩.الطبري، التاريخ، ج٣، ص١٢٦.
(٣) انظر : تفاصيل الرسالتين في عدد من مصادر التاريخ الإسلامي المبكرة .
(٤) ابن هشام ، السيرة ، ج٢، ص٥٩٢، ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج، ص٣٣٩، الطبري ، التاريخ ، ج٣، ص١٢٦ .
(٥) المصادر نفسها .

المقومات الاقتصادية لمنطقة نجران. وبالتالي أدى ذلك إلى تمكين الطائفة النصرانية من فرض نفوذها السياسي في الإقليم كقوة مسيطرة على قلبه الاقتصادي النابض.

إضافة إلى ما سبق فإن ارتباط نصارى نجران بعلاقات ايجابية وثيقة مع الإمبراطورية البيزنطية التي تناصب المسلمين العداء زاد من أهمية المبادرة بالتعاطي معها بسبب الخوف من أن تستثمر بيزنطة هذه العلاقة لتشكيل نفوذ يمثل تهديداً وجودياً لدولة الإسلام في جزيرة العرب[١]. ويبدو أن هذا العامل تحديداً كان أكثر أهمية من سابقه ذلك أن النبي (ﷺ) كاتب نصارى نجران في نفس السنة التي قاد فيها جيش المسلمين فيما عرف بغزوة تبوك وذلك للتصدي للحملة العسكرية التي حشدتها بيزنطة مع حلفائها من بعض القبائل العربية المتنصرة في بلاد الشام ضد المسلمين[٢].كل ذلك كان على الأرجح أقوى عاملين دفعا الرسول (ﷺ) ليبدأ بنصارى نجران قبل غيرهم في سعيه لإخضاع الإقليم لسلطة الدولة الإسلامية، مع ضرورة الإشارة هنا إلى أن الكياسة السياسية والطابع السلمي سيطر على مشهد خضوع النصارى النجرانيين رغم التلويح بالقوة العسكرية.

أما التساؤل الثاني فيتمثل في السبب الذي دفع بني الحارث بن كعب لتجنب المواجهة العسكرية مع جيش المسلمين الذي يقوده خالد بن الوليد (رضي الله عنه) ، وجنوحهم للسلم والدخول في الإسلام. لم يفصح المؤرخون المسلمون لهذه المرحلة كابن إسحاق، والطبري وابن سعد عن سبب ظاهر لموقف بني الحارث هذا، بل اكتفوا بالإجماع على أن خالد بنِ الوليدِ: " ... بَعَثَ الرُّكْبَانَ يَضْرِبُونَ فِي كُلِّ وَجْه، وَيَدْعُونَ إلَى الإِسْلام ، وَيَقُولُونَ: أَيُّهَا النَّاسُ ، أَسْلِمُوا تَسْلَمُوا . فَأَسْلَمَ النَّاسُ ، وَدَخَلُوا فِيمَا دُعُوا إلَيْه ... "[٣]. إن القول باعتناق بني الحارث بن كعب للإسلام في هذه المدة الوجيزة جاء عن قناعة بالإسلام نفسه كدين حق وهم حديثو عهد به مسألة يصعب تصديقها في تلك المرحلة المبكرة على الأقل، كما أن جنوحهم للسلم وهم الذين شكلوا قوة عسكرية وسياسية تهابها القوى السياسية والقبلية المجاورة يجعل من الضرورة بحث أسباب أكثر اقناعاً للمتمعن في

(١) أشار ابن إسحاق صراحة إلى تلك العلاقة الوثيقة التي كانت تربط كبير أساقفة نجران في عصر النبوة أبو الحارث بن علقمة البكري بالدولة البيزنطية قائلاً: " كَانَ أَبُو حَارِثَةَ قَدْ شَرُفَ فِيهِمْ، وَدَرَسَ كتبَهم، حَتَّى حَسُنَ علمُهُ في دينهمْ، فَكَانَتْ مُلُوكُ الرُّوم منَ النَّصْرَانيَّة قَدْ شَرَّفُوهُ وَمَوَّلُوهُ وَأَخْدَمُوهُ، وبَنَوْا لَهُ الْكَنَائسَ، وَبَسَطوا عَلَيْه الْكَرَامَاتِ، لمَا يَبْلُغُهُمْ عَنْهُ منْ عَلْمه وَاجْتهَادَه في دينهم" . ابن هشام، السيرة، ج٢، ص ١٥٨.

(٢) الواقدي ، محمد بن عمر الواقدي ، كتاب المغازي ، تحقيق : مارسدن جونس : (بيروت : دار الأعلمي ، ط٣، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م) ، ج٣، ص ٩٨٩-١٠٢١. البلاذري ، فتوح البلدان ، ص٦٧ .

(٣) ابن هشام ، السيرة ، ج٢، ص ٥٩٢ .

تاريخ المنطقة[١]. لكن قراءة الأوضاع السياسية و العسكرية في جزيرة العرب وجنوبيها تحديداً قد تقدم جواباً مقارباً لأسباب ذلك الموقف. فمع نهاية السنة التاسعة للهجرة التي عُرفت بعام الوفود كان معظم أنحاء جزيرة العرب قد انضوت تحت سلطة دولة الإسلام، وفي جنوبها تحديداً أرسلت كثير من قبائل ومناطق جنوب الجزيرة العربية وفودها معلنة إسلامها[٢]، بل إن قلب نجران نفسها التي تعيش فيه الطائفة النصرانية غدت خاضعة رسمياً لسلطة الرسول (ﷺ) ، بينما لم يُحرك بنو الحارث بن كعب ساكناً تجاه التطورات الجديدة وهو ما يمكن ملاحظته في عدم ورود وفدهم ضمن الوفود التي قدمت المدينة في العام التاسع للهجرة[٣]. وربما وجدت قيادات القبيلة نفسها أمام واقع ديني، وسياسي، وعسكري جديد، فرأت أنه من العبث الوقوف في وجه دولة الإسلام ومن الأجدى تقبل الواقع الجديد حالهم في ذلك حال القبائل القريبة أو المجاورة التي بادرت بإرسال وفودها مثل همدان، وحمير، وكندة وغيرهم. وبخضوع بنو الحارث بن كعب أصبحت نجران بأكملها خاضعة لسلطة الدولة الإسلامية، مثل باقي أقاليم الجزيرة العربية الأخرى، وبذلك تبدأ الخطوة التالية المتمثلة في نشر الإسلام بين سكان البلاد .

ثالثاً : كتاب الرسول (ﷺ) إلى عمرو بن حزم (دراسة وتحقيق).

يمكن القول إن أفضل مصدر لدراسة سياسة عمرو بن حزم في نجران هو ذلك الكتاب الذي أملاه النبي (ﷺ) مكتوباً إلى عمرو بن حزم حين بعثه مع وفد بني الحارث بن كعب في طريق عودتهم إلى نجران بعد مقدمهم السابق ببضعة أشهر وإعلان اسلامهم. وأفردت مصادر التراث الإسلامي على اختلاف مواضيعها مساحات متفاوتة لنص هذا الكتاب. وحظي الكتاب باهتمام كثير من الفقهاء، والمحدثين، والعلماء، فاستنبطوا منه الكثير من الأحكام الشرعية في مسائل فقهية، وعقائدية مهمة كأحكام

---

(١) ومن أمثلة ذلك التحالفات العسكرية التي قادها بنو الحارث بن كعب في المرحلة الزمنية القريبة من ظهور الإسلام التي عاصرته في طوريها المكي والمدني ووصل تأثيرها أواسط نجد و أطراف الحجاز انظر: ابن حبيب، محمد ابن حبيب بن أمية، المحبّر، تحقيق، إيلزة ليختن شتيتر، (بيروت، دار الآفاق الجديدة، ١٩٤٢م)، ص ٢٥١. ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٦، ص ١٤٩. ابن عبدربه، أحمد بن محمد، العقد الفريد، (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٠٤هـ) ،ج٦، ص٨٨. الرازي، أحمد بن عبد الله، تاريخ صنعاء، تحقيق، حسين عبدالله العمري، (دمشق- بيروت، دار الفكر، ط ٣، ١٤٠٩هـ، ١٩٨٩هـ)، ص ٩٤. جاد المولى وآخرون، محمد أحمد، أيام العرب في الجاهلية، (بيروت-صيدا، منشورات المكتبة العصرية، د.ت)، ص ١٢٤، ١٣٢.

(٢) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ١، ٣٢٣- ٣٥٦. وانظر الحديثي، نزار، أهل اليمن في صدر الإسلام دورهم واستقرارهم في الأمصار، (دمشق، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، ١٩٧٨م)، ص٩٩ -١٠٩. الشجاع، تاريخ اليمن، ص٣٧- ٧٢.

(٣) ابن هشام، السيرة النبوية ، ج٢، ص٥٥٩ .

أهل الذمة، والزكاة، والصلاة . كما احتوى الكتاب على مهام تتعلق بسياسة الدولة مثل تحكيم الشريعة في كل أمور المجتمع، وإقرار الأمن، ومنع النعرات القبلية، وجمع الزكاة وتحصيـل الجزية. وتضمن الكتاب تفاصيل مهمة تشرح سياسة الدولة في نشر الإسلام بـين المجتمع النجـراني، وفي هذه التفاصيل كانت سياسة الدولـة تجاه الأقليات الدينية حاضرة بقوة.

الـذي يهمنـا هنا مدى صحة نص الكتـاب وموثوقية ناقليه، فقـد ورد نص الكتاب المشهـور في عدد مـن مصادر التراث الإسلامـي المبكرة، و بعدة روايـات متشابهة مثل كتـاب: " الخراج " لأبـي يوسف، و"السيرة النبوية" لابن هشـام، و "الطبقات الكبرى" لابن سعد[١] . كما ورد كامل نص كتاب النبي (ﷺ) في مخطوط يمني لمؤلف مجهول كتبـه في القـرن الرابـع الهجري بعنوان " تاريـخ اليمن في الكوامن والفـتن "[٢]. وتكمن أهمية ورود النص في هذا المخطوط أنه يمثل وجهة نظر التاريخ المحلي لجنوبي الجزيرة العربية تجاه حادثة وقعت في بقعة جغرافية قريبة لمؤلف هذا التاريخ المجهول فكأنه هنا يصادق على رواية ابن إسحاق .

ويتضـح من دراسـة مصادر المؤلفين الأربعة اعتمادهم علـى سند واحد نقل إليهم النصـ برواية ابـن إسحاق وهو مـا يقوي صحة النصـ لأول وهلة. غـير أن الأمر كان مختلفـاً في كتـب الحديث فقـد أشار عدد من العلمـاء مثل مالك بن أنـس، والشافعي، وابـن أبـي شيبة، والحاكم، وابن حبان، والبيهقي والنسائـي إلى نص الكتاب غير أنهم اختلفـوا في صحـة سنده [٣] . وهو ما جعل مهـدي رزق الله ومحمد الصبحي يتصديان

---

(١) ابـن هشـام ، السيرة النبوية ، ج٢، ص ٥٩٤-٥٩٦ . أبو يوسف ، الخـراج ، ص ٨٤-٨٥ . ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج١، ص ٢٦٤ .

(٢) مؤلف مجهول، تاريخ اليمن في الكوامن والفتن (مخطوط) ، معهد المخطوطات العربية- القاهرة، فلم رقم (١٨) ، (نسخة مصورة من مكتبة د. عبد الرحمن الشجاع عن مكتبة محمد بن علي الأكوع) ، ق ٦٣.

(٣) مالك، مالك بن أنس بن مالك بن عامر الأصبحي المدني، الموطأ، ت: محمد مصطفى الأعظمي، (أبوظبي، الإمارات، مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان للأعمال الخيرية والإنسانية ، ط١، ١٤٢٥ هـ / ٢٠٠٤ م) ، ج٢، ٢٧٨ ، ج٥، صـ ١٢٤٣ ، ١٢٥٩. الشافعي، أبو عبد الله محمد بن إدريس، مسند الإمام الشافعي، تولى نشره وتصحيحـه ومراجعة أصوله على نسختين مخطوطتـين: السيد يوسف علي الزواوي الحسني، السيد عزت العطـار الحسينـي، (بيروت، دار الكتب العلميـة، ١٣٧٠ هـ - ١٩٥١ م، ج٢، صـ ١٠٨ ، ١١٠، ج٣، ص٣٠٨، ٣١٤، ٣١٧. الشافعي، أبو عبد الله محمد بن إدريس، كتاب الأم، (بيروت، دار المعرفة، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م) ، ج٤، صـ ١٥٩ ، ج٦، صـ٨٠-٨١، ١١٣،١٢٧ ، ١٣٢ ، ١٣٤ ، ج٧، ص٣٤٤. ابن سـلّام، كتاب الأموال، ص ٨٤. ابـن زنجويه، أبو أحمد حميد بـن مخلد الخرساني، كتاب الأموال، تحقيق: شاكر ذيب فياض، (الرياض، مركـز الملك فيصـل للبحوث والدراسات الإسلامية، ط١، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦) ، ص ٨٠٦، ٨٣٧، ٨٥٤، ٨٦١، ٩٣٩. ابـن أبـي شيبة، أبو بكر عبد الله بـن محمد بن إبراهيم، الكتاب المصنـف في الأحاديث والآثار، ت: كمـال يوسف الحـوت، (الرياض، مكتبة الرشـد، ط١، ١٤٠٩هـ) ، ج ٥، صـ٣٥٦، ٣٦٤. النسائي، أبو عبد

لمرويات كتاب عمرو بن حزم جمعاً ودراسة على منهج أهل الحديث فاستعرضا آراء العلماء قديماً وحديثاً في نص الكتاب بين من يرى صحة سنده وآخر يضعف إسناده[١]، ويظهر من عرض رزق الله أن من رجح صحة نص الكتاب من العلماء كانوا أكثر ممن ضعّف إسناده، وهو ما جعله يرجح صحته قائلاً: " ... ثم رأيت الحافظ – ابن حجر العسقلاني– نقل في فتح الباري (٥/ ٢٤٧) عن جامع سفيان الثوري أن عمر بن الخطاب رجع إلى كتاب عمرو بن حزم وعمل به، وهذا يدل على شهرة كتابه بين الصحابة واعتمادهم عليه ... " [٢] . أما الصبحي فلم يظهر رأياً حاسماً تجاه صحة الكتاب غير أنه اكتفى بالتأكيد على أن كل ما توفر له من روايات يؤكد أن النبي (ﷺ) كتبه لعمرو بن حزم إلا أن الأسانيد "...تختلف في إيراد نصه ... " [٣].

وثمة مشكلة حقيقية تواجهنا حينما نريد تحقيق صحة نص الكتاب في كتب الحديث والصحاح والفقه إذ لا نجد من بين علماء الحديث والصحاح من يروي نص الكتاب كاملاً على غرار رواية ابن اسحاق! فقد وردت نتف من الكتاب في عدد من كتب الحديث والفقه على شكل استشهادات على قضايا شرعية مختلفة مثل أحكام الزكاة، والصلاة، والطهارة، والحج والعمرة والديات ونحوها[٤]. ولعل سبب ذلك يعود إلى ميل الفقهاء إلى الاستشهاد المباشر على القضايا محل النقاش. ومن اللافت أن معظم من سبق ذكرهم من فقهاء مشهورين مثل الإمام مالك، والشافعي، وابن زنجويه، والنسائي، والدار قطني اعتمدوا في روايتهم نصوص الكتاب على الإسناد إلى عبدالله بن محمد

الرحمن أحمد بن شعيب، السنن الكبرى، ت: حسن عبد المنعم شلبي، (بيروت، مؤسسة الرسالة ، ١٤٢١ هـ / ٢٠٠١ م)، ج٦، ص ٣٧٥. الدار قطني، أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد، سنن الدار قطني، حققه وضبط نصه وعلق عليه: شعيب الارنؤوط، حسن عبد المنعم شلبي، عبد اللطيف حرز الله، أحمد برهوم (بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م)، ج١، ص ٢١٨. الحاكم، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدوية، المستدرك على الصحيحين، ت: مصطفى عبد القادر عطا، (بيروت، دار الكتب العلمية،١٤١١هـ/١٩٩٠م)، ج١، ص ٥٥٢. البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي، السنن الصغير، ت: عبد المعطي أمين قلعجي، (كراتشي ، باكستان ، جامعة الدراسات الإسلامية، ط١٤١٠،١هـ/ ١٩٨٩م)، ج١، ص ٣٥٢، ج٢، ص١٤١، ج٣، ص ٢٣٨.

(١) رزق الله، مهدي رزق الله، السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، دراسة تحليلية، (الرياض، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ط١، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م)، ص ٦٦٥- ٦٦٧. الصبحي، محمد بن عبد الله بن غبان، مرويات الوثائق المكتوبة من النبي ﷺ وإليه جمعاً ودراسة،(المدينة المنورة، الجامعة الإسلامية، ط١٤٣٠،١هـ/ ٢٠٠٩م)، ص ٣٥٦- ٣٧٨

(٢) رزق الله ، السيرة النبوية ، ص٦٦٧ .

(٣) الصبحي ، مرويات الوثائق المكتوبة ، ص٢٥٦ .

(٤) مالك، الموطأ، ج٢، ٢٧٨، ج٥، ص ١٢٤٣، ١٢٥٩. الشافعي، الأم، ج٤، ص ١٥٩، ج٦، ص٨٠-٨١، ١١٣،١٢٧، ١٣٢، ١٣٤، ج٧، ص٣٤٤. الشافعي، المسند، ص ٣٤٧، ص ٣٤٧. ابن أبي شيبة، المصنف، ج٥، ص ٣٥٥. الدار قطني، سنن الدار قطني، ج١، ص ٢١٨.

بن حزم بخلاف ابن اسحاق الذي اعتمد عليه معظم مؤرخي الطبقات والسير[١] ، كما سبق ذكره. والواقع أن اختلاف الرواة يعني اختلاف السند، ولعل هذا الاختلاف يعطي وجاهة كبيرة للقبول بصحة نص الكتاب، ذلك لأنه نُقل عن طريق أكثر من "راو" وبرواية متشابهة. وفي جانب آخر فإنه بالإمكان اعتبار هذه الاستشهادات عامل قوةً لدعم صحة نص الكتاب. ذلك أن هذه الاقتباسات أتت من مواضع متعددة لنص الكتاب . فإذا ما تم جمعها فإنها ستشكل نسبة كبيرة من متن نص الكتاب المشهور.

أما لغة الكتاب فإنها تمثل مناسبة أخرى لدراسة صحة النص إذ لا يختلف كثيراً عن كتب النبي (ﷺ) الأخرى التي اجتمعت فيها صفات فنية رئيسية مثل بدء الكتاب بالبسملة، وختمه بالسلام، والميل للإيجاز، وترك الإسهاب، وبلاغة المعنى، والبعد عن التكلف والإطناب، وإيراد الشهود، إضافة إلى عدم تضمنها مفردات أعجمية[٢]. وهو ما جعل حميد الله يستبعد كتباً أخرى نُسبت إلى الرسول (ﷺ) ذلك أن لغة كتابتها لا علاقة لها بذلك العصر بسبب ألفاظها الغريبة و أسلوبها المتكلف[٣].

وما ورد من تعليمات النبي (ﷺ) لعمرو بن حزم في الكتاب الشهير لا يختلف كثيراً عن الخطوط العريضة لسياسته التي وجه ولاته بالعمل بها في أقاليم أخرى من جزيرة العرب مثل شروط الجزية، أو الحرية الدينية، والحماية ونحوها[٤] . وذلك يمثل عامل دعم آخر لصحة نص الكتاب. وما ذكرت من أسباب يكفي للقول بصحة نص الكتاب إجمالاً كأحد الوثائق التاريخية الجديرة بالمناقشة والتحليل.

رابعاً : ملامح سياسة عمرو بن حزم تجاه أهل الذمة في نجران :

يبدو من بداية كتاب النبي (ﷺ) حرصه على طمأنة جميع المكونات الدينية والعرقية في نجران عندما أكد على حرصه الوفاء بالتزامه بكل ما تبرمه الدولة الإسلامية من معاهدات ومواثيق مع أهل نجران حسب نص الآية الكريمة (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ)[٥] ، وفي ذلك إشارة غير مباشرة إلى الالتزام بكل ما ورد

(١) مالك، الموطأ، ج٢، ٢٧٨، ج٥، ص ١٢٤٣، ١٢٥٩. الشافعي، الأم، ج٤، ص ١٥٩، ج٦، ص٨٠-٨١، ١٢٧، ١١٣، ١٣٢، ١٣٤، ج٧، ص٣٤٤. ابن زنجويه، الأموال، ص٩٣٩، ٨٦١، ٨٥٤، ٨٣٧، ٨٠٦. النسائي، السنن الكبرى، ج٦، ص ٣٧٦. الدار قطني، سنن الدار قطني، ج١، ص ٢١٨.

(٢) حميد الله ، الوثائق السياسية ، ص ٧٦-٧٧ .

(٣) حميد الله ، المرجع السابق .

(٤) أبو يوسف ، الخراج ، ص ١٣٩ .

(٥) سورة المائدة ، آية (١) .

في المعاهدة التي سبق أن عقدها الرسول (ﷺ) مع وفد نصارى نجران قبل قرابة العام من إرسال عمرو بن حزم في القضايا الرئيسية محل النقاش. كما تتضمن الوثيقة أوامر الرسول (ﷺ) لعمرو بن حزم بـ: "...تقوى الله في أمره كله، وأن يأخذ بالحق كما أمر به الله..." وهي إشارات إلى ضرورة التعامل بالعدل مع غير المسلمين في جميع المسائل الدينية، والاقتصادية، والإدارية والسياسية.

وفي جزء كبير من الكتاب يشرح النبي (ﷺ) السياسة التي يجب على عمرو بن حزم إتباعها في الدعوة إلى الإسلام تنص على ضرورة أن "يفقّه" من أسلم، و"يعلّمه القرآن". وهذا يعني أن اعتناق الإسلام ينطوي عليه متطلبات أساسية يجب على المسلم الجديد الوفاء بها تتمثل في ضرورة الفهم الكامل لأحكام الدين الجديد وتطبيق أحكامه في كل أمورهم الحياتية مثل آداب اللباس، وحلاقة الشعر ونحوها. وتضمن الكتاب توجيهات نبوية تفصيلية في كثير من فروض العبادة مثل الحج، والعمرة، والصوم، والزكاة، والوضوء، وغيرها.

وضع النبي (ﷺ) مبدأً رئيسياً يتوجب على عمرو بن حزم اتباعه في منهج الدعوة إلى الإسلام وهو أن: "...يستألف الناس..." ويتعامل بسلمية ومرونة مع النجرانيين بكافة طوائفهم، وهذا بحد ذاته يعطي طمأنينة واضحة لغير المسلمين أن سياسة دولة الإسلام في نشر الدين الجديد لن تؤثر على حريتهم الدينية. وكان النبي (ﷺ) واضحاً في ذلك الموضوع حينما نص في موضع آخر من الكتاب على أنه: "... من أسلم من يهودي أو نصراني إسلاماً خالصاً من نفسه ودان دين الإسلام، فإنه من المؤمنين له مثل ما لهم وعليه مثل ما عليهم، ومن كان على نصرانيته أو يهوديته، فإنه لا يفتن عنها..." [١]. والنص يبدو مقتضباً دون تفاصيل كثيرة إلا أنه يحمل دلالات بالغة الأهمية لفهم السياسة الإسلامية تجاه الوجود غير الإسلامي في نجران في هذه المرحلة المبكرة من تاريخ الإسلام، فقد اعترف بوضوح بالمكون النجراني غير المسلم بشقيه الرئيسين اليهودي والنصراني تحت ظل الدول الإسلامية الجديدة. كما بدا وكأن هذا النص يجدد التزام الرسول (ﷺ) بما سبق و أن منحه لوفد نصارى نجران في عهده الشهير الذي تضمن تفاصيل جيدة تبدو كأفضل تفسير لما ورد في كتابه (ﷺ) لعمرو بن حزم.

---

(١) ابن هشام، السيرة النبوية، ج٢، ص ٥٩٤- ٥٩٦. أبو يوسف، الخراج، ص ٨٤- ٨٥. ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج١، ص ٢٦٤. مؤلف مجهول، تاريخ اليمن، ق ٦٣.

وتتمثـل ملامــح الحرية الدينيــة في حمايــة دور العبادة وما يتصل بهــا من مرافق وأوقاف، وعرف نصارى نجران تحديداً عدة أنواع من دور العبادة مثل الكنائس وكانوا يسمونها "بيع" ومفردها "بيعة" ، وتركزت في المناطق الحضرية وفيها يقيمون صلواتهم الأسبوعية كل أحد[١] ،أو يعقدون بها اجتماعاتهم كلما نزل بهم شأن[٢] . أما الأديرة فهي عــادة ما تكون في الضواحي بين المراعــي والرياض وقمم الجبال، والصحاري والأماكن المنقطعــة، ويسكنها عدد من الرهبان المنقطعين للعبادة[٣] ، ومثلها عُرفت الصوامع وإن كانــت فيما يبدو أصغر حجماً[٤] ، وقــد ذكرها البيهقي وابن كثير في سياق الحديث بعد عودة وفــد نصارى نجران من المدينة بالقول: "... وَدَخَلَ وَفْدُ نَجْرَانَ فَأَتَى الرَّاهِبَ لَيْثُ بْنُ أَبِي شَمِرٍ الزُّبَيْدِيُّ وَهُوَ فِي رَأْسِ صَوْمَعَةٍ..." [٥] .

وحظيت المؤسســة الدينية أو النظام الكهنوتي للكنسيــة (الإكليروس) باستقلالية واضحة حمتهــا من تدخل السلطة في تعيين الأساقفة أو القساوسة وغيرهم من طبقات رجــال الديــن النصــارى. ودور الــوالي حماية هذا الحــق الذي منحــه النبي (ﷺ) للأقليتــين النصرانية واليهودية لا التدخل فيه . وكتاب عمرو بن حزم لم ينص صراحة علــى هــذه المسألــة تحديــداً إلا أن الكتاب الــذي سبقه بقرابــة العام، وهــو عهد النبي (ﷺ) لنصارى نجران نص عليها بكل وضوح، مما يعني ورودها ضمن سياق حماية اليهــود والنصارى النجرانيين . ويقدم تجديد أبــي بكر الصديق لهذا العهد الذي نص علــى هــذه المسألة تحديداً بــأن "... لا يغير أسقف من أسقفيتــه ولا رهبانيته ولا واقف من وقفانيته..." دليلاً آخر على التزام السلطة الإسلامية باستقلالية المؤسسة الدينية

---

(١) البكري ، معجم ما استعجم ، ج٢، ص ٦٠٣. الحموي ، معجم البلدان ، ج٢، ص ٥٣٨ .

(٢) مــن أقــدم المصادر التي كتبت عــن كنائس النصارى بنجــران مجموعة من سير القديســين كُتبت باللغة اليونانية عن "جرجينتيوس أسقــف ظفار" (Gregentios، Archbishop of Taphar) باسم "أعمال جرجينتوســ" (The Acts of Gregentios) الــذي رافــق الحملــة الحبشية حتــى وصولها إلى نجران وأشــار المصــدر نقلاً عنجرجينتيوســ إلى بناء ثلاث كنائس أحدها في قلب المدينــة و على أطلال الكنيسة التي أحرقها الملك الحميري "ذو نواس" . انظر:
Berger, Albrechet, Life and works of Saint Gregentios, Archbishop of Taphar: introduction, critical edition and translation (The Acts of Gregentios), (Berlin-New York, Walter de Gruyter), 2006, pp 52- 54.

(٣) الأصفهــاني، علي بن الحســين، كتاب الديارات، (موقع الورّاق على الشبكة العنكبوتية) ، ص ٢٧. البكري، معجــم مــا استعجم، ج ٢، صــ ٦٠٣. وللمزيد عن الديــارات في صدر الإسلام انظر: زيــات، حبيب زيات، "الديارات في الإسلام" ، مجلة المشرق، (السنة السادسة والثلاثون، تموز أيلول ١٩٣٨م)، ص ٢٩٧.

(٤) ابن منظور، محمد بن مكرم بن على، لسان العرب، (بيروت، دار صادر، ط٣، ١٤١٤هـ)، ج٤، ص٩٤.

(٥) البيهقي ، دلائل النبوة ، ج٥، ص ٣٩٠، ابن كثير، البداية والنهاية ، ج١، ص ٩٤ .

لنصارى ويهود نجران[١]. والحق أن دراسة حديثة خلصت إلى أن ما ورد في عهد النبي (ﷺ) لنصارى نجران قد أدى إلى نتيجة عملية مفادها التزام الدولة الإسلامية باستقلالية "الإكليروس" النصراني في نجران، كمسألة رئيسية في تنظيم العلاقة بين الدولة الإسلامية وأهل الذمة بنجران[٢].

ويبدو أن الحرية الدينية تنطوي أيضاً على ممارسات وشعائر دينية وغيرها اعتاد أبناء الطائفتين النصرانية، واليهودية على احيائها مثل إقامة الصلوات، والأعياد الدينية، والرهبنة و نحوها. وكانت الطقوس الدينية في طليعة القضايا التي عالجها الرسول (ﷺ) ، فوردت الإشارة إلى هذه المسألة "إجمالاً" في كتاب عمرو بن حزم الذي نص على أن: " ...من كان على نصرانيته أو يهوديته ، فإنه لا يفتن عنها... "[٣] . كما تكررت بصيغة أخرى في الكتاب الذي منحه الرسول (ﷺ) لوفد نصارى نجران قبل ارسال عمرو ابن حزم بعام تقريباً ، الذي نص فيه على " ..جوار الله وذمة محمد النبي رسول الله على أنفسهم - يقصد نصارى نجران - وملّتهم - أي معتقدهم"[٤]. إلا أن النبي (ﷺ) في كتابه الآخر لأسقف نجران أبي الحارث بن علقمة أكد بصريح العبارة على حماية : " ...صلواتهم ورهبانيتهم... "[٥]. وهذا يؤكد على حق أبناء الأقليتين النصرانية واليهودية في ممارسة شعائر العبادة مثل إقامة الصلوات، والأعياد الدينية، والرهبنة.

ومن المسائل التي عالجها كتاب عمرو بن حزم ما يمكن تسميته في وقتنا المعاصر بالإصلاح الضريبي فقبل الإسلام عرفت مجتمعات جزيرة العرب ومنها المجتمع النجراني أنواعاً متعددة مثل ضريبة الأرض، وضرائب التجارة، والأرباح، وضريبة الرأس، وهي أقرب ما تكون إلى الجزية في الإسلام[٦]. وفي كتاب عمرو بن حزم كلمة

---

(١) يقول الطبري: "...ولما بلغ أهل نجران وفاه رسول الله ﷺ وهم يومئذ اربعون ألف مقاتل، من بني الأفعى، الأمة التي كانوا بها قبل بني الحارث، بعثوا وفدا ليجددوا عهدا، فقدموا إلى الخليفة الراشد أبي بكر الصديق فكتب لهم كتابا...". وهنا ثمة مسألة جديرة بالتعليق فما ذكره الطبري بأن نصارى نجران كانوا من بني الأفعى لا يتفق مع الواقع السكاني والقبلي الذي سبق تفصيله أثناء هذه الدراسة، ذلك أنهم على الأرجح كانوا أخلاطاً من العرب المتنصّرة، وقليل من غير العرب فنظرة بسيطة على قائمة الوفد النجراني تؤكد ما يرجحه الباحث في هذا الشأن. الطبري، التاريخ، ج٢، ص ٢٩٥.

(٢) العايب، سلوى بالحاج صالح، المسيحية العربية وتطوراتها من نشأتها إلى القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي)، (بيروت، دار الطليعة، ط٢، ١٩٩٨)، ص ١٣٦.

(٣) أبو يوسف ، الخراج ، ص٨٤، الطبري ، التاريخ ، ج٣، ص ١٢٩ .

(٤) البلاذري ، فتوح البلدان ، ص٨٤، ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج١، ص ٢٨٨ .

(٥) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج١، ص٢٤. البيهقي ، دلائل النبوة ، ج٥، ص ٣٩١.

(٦) علي ، المفصل ، ج١٤، ص ١٧٤ .

لها أهميتها في هذا السياق حينما نص على أنهم ـ أي النصارى واليهود ـ " لا يعشرون" . و تمثل هذه الإشارة الصريحة تشريعاً لموقف الدولة الإسلامية من الوضع الضريبي لنصارى نجران في ضوء الحقيقة القائلة أن الإسلام ألغى كثيراً من الضرائب وأعاد تنظيم ضرائب أخرى وأحدها ضريبة الرأس، أو ما اصطلح على تسميتها في الإسلام بالـ "الجزية". فقد حدد الكتاب ضوابط واضحة للجزية وهي في سياقها لا تختلف عن الشروط التي فرضها النبي (ﷺ) في كتب أخرى. تاريخياً فإن السلطة الإسلامية منذ عهد النبي غالباً ما أسقطت الجزية عن النساء، والأطفال، وكبار السن، والمرضى، والعجزة، ومن في حكمهم واكتفت بجمعها من القادرين عليها[(١)]. وما ورد في كتاب عمرو بن حزم لم يخرج عن ذلك إجمالاً، إلا أن ثمة اختلاف في تقدير مبلغ الجزية يظهره هذا الكتاب مع كتاب النبي (ﷺ) الآخر الذي منحه لوفد نصارى نجران والذي نص على أن يدفع نصارى نجران "... ألفي حلة حلل الأواقي، في كل رجب ألف حلة، وفي كل صفر ألف حلة "[(٢)] ، بينما نص كتابه ـ ﷺ ـ لعمرو بن حزم أن: " على كل حالم (بالغ) ـ من النصارى واليهود ـ ذكر أو أنثى حر أو عبد دينار واف، أو عرضه ثياباً... " [(٣)]. إن مسألة التباين في تقدير الجزية المطلوبة من أهل الذمة في نجران بين الكتابين واضح "رقمياً" على الأقل فهل يعكس ذلك تغيراً في سياسة الرسول (ﷺ) تجاه نصارى ويهود نجران أم لا؟ الإجابة على ذلك ممكنة من خلال استعراض علاقاتهم ومعاهداتهم مع الخلفاء الراشدين. ونص كتاب الخليفة الأول أبو بكر الصدّيق على الالتزام بما كتبه النبي (ﷺ) لأهل نجران، في كتابه السابق لهم[(٤)] . فقد التزم في عهده لوفدهم أن يفي لهم : "... بكل ما كتب لهم رسول الله ..." أي كل ما ورد في عهد الرسول (ﷺ) لوفدهم السابق بما فيها مقدار الجزية.

وأمر آخر يمكن الاستدلال به على هذه المسألة يتعلق بعلاقة السلطة في المدينة بأهل الذمة النجرانيين، إذ لم تسجل لنا مصادر التراث الإسلامي المتوفرة حادثة تمرد أو احتجاج قام بها نصارى ويهود نجران ضد تغيير الجزية على سبيل المثال. وذات الحال ينطبق على الحوليات النصرانية التي تطرقت لعلاقة النبي (ﷺ) بنصارى نجران تحديداً إذ صمتت عن الحديث عن شيء من هذا القبيل واكتفت بذكر قدوم وفد من

---

(١) أبو يوسف ، الخراج ، ص١٣٥ . الطبري ، التاريخ ، ج٣، ص ٣٢١ . ابن زنجويه ، كتاب الأموال، ص١٦٠ ـ ١٦١.

(٢) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج١، ص ٢٦٤،٢٨٧ البيهقي ، دلائل النبوة ، ج٥، ص٣٩١ . أبو يوسف ، الخراج، ص٨٤،٨٥، ابن سلام ، الأموال ، ص٨٤ .

(٣) ابن هشام، السيرة النبوية ، ج٢، ص ٥٩٤ـ٥٩٦، أبو يوسف ، الخراج ، ص٨٤ـ ٨٥، مجهول، تاريخ اليمن . ق٦٤، حميد الله ، الوثائق السياسية ، ص١١٧ .

(٤) أبو يوسف ، الخراج، ص٨٥، الطبري ، التاريخ ،ج٣، ص ٣٢١ .

نصارى نجران وعقده صلحاً مع النبي (ﷺ)[١].

ويمثل موقف نصارى ويهود نجران من ردة الأسود العنسي دليلاً آخر يمكن الاحتجاج به في هذا السياق، إذ ذكر الطبري أن النبي (ﷺ) كتب: "... إِلَى أَهْلِ نَجْرَانَ، إِلَى عَرَبِهِمْ وَسَاكِنِي الأَرْضِ مِنْ غَيْرِ العَرَبِ، فَثَبَتُوا فَتَنَحَّوْا وَانْضَمُّوا إِلَى مَكَانٍ وَاحِدٍ ..."[٢] ، وَذكر ابنَ خلدونَ أنَه (ﷺ) كتَب: "...إلى أهل نجران من عربهم ونصاراهم واعترضوا الأسود ومشوا وتنحوا إلى مكان واحد..."[٣]. رغم اختلاف رواية الطبري وابن خلدون لنص كتاب الرسول (ﷺ) إلى أهل نجران أثناء تمرد الأسود العنسي، إلا أنه يبدو واضحاً أن نصارى ويهود نجران لم ينضموا لهذا التمرد أو على الأقل لم يستغلوا هذه الحادثة في التمرد على السلطة الإسلامية، وهو ما يعني بالمنطق أن السلطة الإسلامية لم تغير من شروط الصلح الممنوح في العهد الآنف الذكر بما فيها مقدار الجزية، وبالتالي انتفى المبرر لأي تمرد أو احتجاج يمكن أن يحدثه النصارى واليهود النجرانيون. إن التفسير الوحيد الذي يمكن من خلاله فهم توجيه الرسول (ﷺ) لعمرو بن حزم بأخذ دينار من كل حر يهودي أو نصراني يندرج تحت سياسة عامة ليس بالضرورة أن تشمل نصارى ويهود نجران الذين خضعوا لصلح سابق ، بل يمكن أن يشمل طوائف أخرى تقيم في بقع جغرافية قريبة من نجران ويمتد إليها حكم عمرو بن حزم خاصة إذا ما علمنا أن التقسيم الإداري لجنوبي الجزيرة العربية في ظل الدولة الإسلامية لم يكن مستقراً طيلة عصري الرسالة والخلافة الراشدة، فنجران نفسها لم تلبث بعد وفاة الرسول (ﷺ) أن ألحقت بالطائف في عهد أبي بكر الصديق[٤] .

ومسألة الزكاة يمكن اعتبارها إحدى قضايا التنظيم الضريبي مهما اختلف المسمى لأنها تنطوي على دفع مبلغ معين من المال، لكن ثمة سؤال مهم يتعلق بموقف أهل الذمة منها خاصة وحظيت بتفاصيل تنظيمية هامة في ثنايا كتاب عمرو بن حزم. ومن المفيد التذكير أن معظم فقهاء الإسلام يذهب إلى القول أن الزكاة لا تؤخذ من أهل الذمة الا ممن أسلم منهم لأنها ركن من أركان الإسلام وفريضة شرعية فلا ينبغي

---

(١) ابن العبري ، غريغوريوس أبو الفرج بن هارون الملطي والمعروف بابن العبري ، التاريخ الكنسي ، ترجمة ، صليبا شمعون، (دهوك ، دار المشرق الثقافية ، ٢٠١٢م) ، ج٢، ص٢٥. Sher,op.cit,P600

(٢) الطبري ، التاريخ ، ج٣، ص ٢٣٢ .

(٣) ابن خلدون، عبدالرحمن بن محمد ، تاريخ ابن خلدون المسمى ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، تحقيق: خليل شحادة، (بيروت، دار الفكر، ط٢، ١٤٠٨ هـ ، ١٩٨٨ م)، ج٢، ص ٤٨٣.

(٤) الطبري ، التاريخ ، ج٣، ص٣٣١ ، دلال ، البيان ، ص٢٣٢، ابن جريس ، نجران ، ص١٣٩ .

مطالبـة أهـل الذمة بهـا[١] . وفي كتاب عمرو بـن حزم ما يتفق مع هذا الـرأي فقد كان توجيـه النبي (ﷺ) صريحاً بجمع زكاة الماشيـة والزروع من "المؤمنين" فقط وسبب ذلك"... أنها فريضة من الله التي افترض عز وجل على المؤمنين في الصدقة..." [٢].

والحديـث عن الجزية فيما سبـق يأخذنا إلى مسألة أخرى تعد محـوراً رئيسياً في العلاقـة بين السلطة الاسلامية وأهل الذمة النجرانيـين ألا وهي حق الحماية فهل كان ذلك مشروطاً أم غير مشروط؟ وماذا تعني حماية أهل الذمة النجرانيين؟ ولماذا كانت الجزية مرتبطة بالحماية هنا لأهل نجران؟

رغـم أن كتاب عمـرو بن حـزم لا يتضمن إشارة مباشـرة إلى ذلـك إلا أن التزام النبـي (ﷺ) بـ "الوفاء بالعقود" في بداية هذا الكتاب تقـدم مدخلاً مناسباً لدراسة هـذه القضيـة. فحتى إرسال عمـرو بن حزم إلى نجـران، لا زال نصارى ويهود نجران ملتزمـين بمـا فرضـه عليـه الرسـول (ﷺ) ولم يظهـر منهم مـا ينقض مـا ورد في العهـد السابق. وبالتـالي فإنه من الضرورة التنويه بأن سلطـة الدولة الإسلامية ممثلة في واليهـا المقيـم بنجـران ملتزمـة بالقيـام بواجبها في توفـير الحمايـة الكاملة لأهل نجـران امتثـالاً لقـول النبـي (ﷺ) : " ولنجـران وحاشيتها جـوار الله وذمة محمد النبـي رسول الله علـى أنفسهم، وملتهم، وأرضهـم، وأموالهم، وغائبهـم، وشاهدهم، وعيرهـم، وبعثهـم، وأمثلتهـم، لا يغـير مـا كانـوا عليـه ولا يغـير حـق مـن حقوقهـم وأمثلتهـم"[٣]. ومفهـوم الحماية يتجـاوز حماية الأنفس أو الأعراض إلى حماية كل ما يتعلـق بمعيشـة كل منتمي لأهل الذمـة النجرانيين، إذ يشمل ذلـك الأملاك والعقارات والأنشطـة الاقتصاديـة من زراعة وتجـارة وصناعة وكل مالهم من حقـوق اقتصادية، واجتماعية، ودينية لا تتعارض مع سيادة الدولة باستثناء "الربا" الذي اشترط الرسول (ﷺ) عـدم ممارستـه[٤]. و"المِلّة" ضمن القضايـا الداخلة في مفهوم الحماية ، وهو

---

(١) أبـو يوسـف، الخراج، ص١٣٦. مالك، الموطأ، ص٢٧٩. بن قدامـة، قدامة بن جعفر، الخـراج وصناعة الكتابـة، (بغـداد، دار الرشيد للنشر، ١٩٨١م)، ص٢٢٠. البيهقي، أحمـد بن الحسين بن علي بن موسى، السـنن الكبرى، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، (بـيروت، دار الكتب العلمية، ط٣، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣م)، ج٤، ص٢١٨. ابـن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكـر بن أيوب بن سعد شمس الديـن، أحكام أهل الذمة، تحقيـق: يوسف بن أحمد البكري وشاكر بن توفيق العاروري، (الدمام، رمادي للنشر، ط١، ١٤١٨هـ)، ج١، ص ٢١٢- ٢١٤.

(٢) ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج٢، ص ٥٩٤-٥٩٦. الطبري ، التاريخ ، ج٢، ص ١٩٦ .

(٣) أبـو يوسـف ، الخراج ، ص٨٥، ابن سعد، الطبقات الكبرى ، ج١ ، ص٢٨٨، ابن سلام، الأموال، ص٢٤٤. البيهقي ، دلائل النبوة ، ج٥، ص ٣٨٩ .

(٤) جاء ذلك في قوله : " ومن أكل منهم ربا من ذي قبل فذمتي منه بريئة .." انظر المصادر السابقة .

تأكيد على مسؤولية الدولة في حماية الحرية الدينية لهؤلاء الذميين والحماية التي ضمنها عهد النبي (ﷺ) حماية شاملة بامتياز أشبه بما تقوم به الدولة من مسؤولية تجاه مواطنيها ولا أدل على ذلك ما ورد في العهد أن الضامن لتلك الحقوق هو رأس الهرم في الدولة الإسلامية.

وإذا ما طُبق مفهوم مسؤولية الدولة عن حماية مواطنيها فإن ما التزمت به السلطة الإسلامية تجاه أهل الذمة بنجران لا يختلف عن مسؤوليتها في توفير الأمن لرعايا الدولة المسلمين. فالدولة إذاً لم تفرق عملياً بين رعاياها في نجران في مسائل وجودية كحماية الأنفس والأموال والأعراض والمعتقد. بل إنها جعلت ضمانة ذلك بيد رأس السلطة في الدولة، وهو ما يعني أن من واجب الوالي المقيم في نجران الذي يمثل السلطة العمل على تحقيق ذلك على أرض الواقع عبر إقرار الأمن، وحماية الأسواق، والأملاك، وتفعيل القضاء، وحماية حرية المعتقد، وتحقيق العدل في شتى شؤون الناس بصرف النظر عن خلفيتهم الدينية.

وكون حماية أهل الذمة مسؤولية الدولة ، وذلك يكلفها نفقات كثيرة لإقامة الأمن لرعاياها . ومن أهداف الجزية توفير الحماية للذميين[1]. والمتمعن لعهد النبي (ﷺ) لوفد نصارى نجران سيلحظ بوضوح أن نص العهد انقسم إلى "الحقوق والواجبات" ، فقد قرر النبي (ﷺ) حكمه على أهل نجران المتمثل في الجزية و"إعارة عدة الحرب" ، والالتزام بسياسة الدولة العامة مثل عدم ممارسة الربا، أو مظاهرة أعداء الدولة الإسلامية، ثم بين مالهم وما عليهم من حقوق في ظل دولة الإسلام .

وما ورد حول مفهومي الحماية والجزية يدحض نظرية "لويس" ، و"قودرد" ، و"كوهين" حينما اعتبروا فرض الجزية على أهل الذمة عامل تمييز يجعل منهم

---

(١) اختلف العلماء في الغرض من وضع الجزية على أهل الكتاب وانقسموا إلى فريقين. الأول يقول أنها فُرضت عليهم جزاء على كفرهم فكانت بمثابة "الصغار" أي الإذلال امتثالا لقوله تعالى: (قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ) (التوبة: ٢٩) ، والفريق الثاني يقول: "...جَزَاءً عَلَى أَمَانِنَا لَهُمْ؛ لأَخْذِهَا مِنْهُمْ رِفْقًا..." .وفي رأي الباحث أن كلا القولين مقبول عملياً فقد جعلت الدولة الإسلامية لحريةَ المعتقد ثمناً هو نفسه الذي يُجبى إلى بيت المال الذي يصرف في مصارفه الشرعية ومنها الأمن. للمزيد انظر: الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد البصري البغدادي، الأحكام السلطانية، (القاهرة، دار الحديث، د.ت) ، ص٢٢١. الفراء، أبويعلى محمد بن الحسين بن محمد ابن خلف، الأحكام السلطانية، تحقيق: محمد حامد الفقي، (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٢١ هـ/ ٢٠٠٠ م) ، ص ١٥٣. ابن قيم الجوزية، أحكام أهل الذمة، ج١ ، ص٢١٤.

مواطنين من "الدرجة الثانية"[١] . فالجزية أقرب ما تكون إلى رمز ولاء للدولة ومصدر دخل تنفق به على مسؤولياتها تجاه رعاياها ، وذلك الأمن، والجزية تتشابه مع الزكاة والخراج من حيث كونهما مصدرا دخل رئيسي لبيت المال[٢] . وغاب عن هؤلاء المستشرقين الثلاثة " ثلاث حقائق . أولها: يتمثل في أن أهل الذمة تمتعوا بالإعفاء من دفع الزكاة التي يدفعها غالب المسلمين على معظم أموالهم وهي المسألة التي نوقشت في سطور سابقة من هذه الدراسة[٣]. وثانيها: إعفائهم من الانضمام لجيش المسلمين أو ما يمكن تسميته اليوم بالخدمة العسكرية. وهذا ما جعل باحثاً معاصراً يذهب إلى نتيجة مفادها: "...أن فائدة الحماية التي يحققها الجيش تتعدى المسلمين إلى جميع سكان الدولة ، بما فيهم رعاياها من غير المسلمين..." . ثالثاً: إن الجزية لم تكن بدعة جديدة جاء بها الإسلام بل إنها عُرفت عند كثير من الأمم المجاورة مثل فارس الساسانية والإمبراطورية الرومانية الشرقية (بيزنطة) باسم" ضريبة الرأس"، و"الخراج"، عرفتها دول العرب التي سبقت الإسلام مثل ممالك سبأ وحمير وكندة بعدة مسميات أهمها "الإتاوة"، " و"ضريبة الراس"، و"الجزية"، وبعض قبائل العرب قبل الإسلام اعتمدت على هذا النوع من الضرائب خاصة في سنين القحط أو الحروب[٤] . ومن ثم فاعتبار " الجزية" عبئاً إضافياً أو مستحدثاً دون قراءة متأنية ومقارنة للأوضاع الضريبية للأقليات الدينية بين عصرين. ما قبل ظهور الإسلام وما بعده. يعد حكماً غير مستوفٍ للحقيقة التاريخية.

---

(1) Lewis, Op.cit, p 20- 21, p 62. Cohen, Op.cit, p 52. Goddard, Op.cit, p 67.

(٢) العمري، أكرم ضياء، عصر الخلافة الراشدة: محاولة لنقد الرواية التاريخية وفق منهج المحدثين، (الرياض، مكتبة العبيكان، ط٤، (١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م)، ص ١٨١، ص ٢١٢. الكرمي، حافظ أحمد عجاج، الإدارة في عصر الرسول ﷺ ، (القاهرة، دار السلام للطباعة والنشر، ط٣، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م)، ص ١٥٥ - ١٥٧.

(٣) انظر : إشارات سابقة في البحث .

(٤) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج١، ١٨٦. الدينوري، أبو حنيفة أحمد بن داود، الأخبار الطوال، تحقيق: عبد المنعم عامر، (القاهرة، دار إحياء الكتب العربي. عيسى البابي الحلبي وشركاه، ١٩٦٠م)، ص ٧١. المسعودي، أبو الحسن علي ابن الحسين بن علي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، اعتنى به وراجعه: كمال حسن مرعي، (بيروت، المكتبة العصرية، ط١، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٥م)، ج١، ص ٢٠٣. وللمزيد من التفاصيل عن الأحوال الضريبية في جزيرة العرب وجوارها الإقليمي قبل الإسلام انظر: حنايشه، عماد شحاده عارف، الأتاوى "الضرائب" في الجزيرة العربية عشية ظهور الإسلام/دراسة في الجذور التاريخية لموقف الإسلام من الضرائب، (نابلس، رسالة ماجستير مقدمة لجامعة النجاح الوطنية، ٢٠٠٨م)، ص٥٠-٥١. عوض، عثمان صبري عثمان، الجزية في عهد الرسول ﷺ: دراسة تاريخية، (نابلس، رسالة ماجستير مقدمة لجامعة النجاح الوطنية، ٢٠٠٩م)، ص ١٣- ٢٢ .

والحديث عن الخدمة العسكرية، فقد يجادل بعض المستشرقين ويقول أن النبي (ﷺ) في عهده لوفد نصارى نجران فرض عليهم "...عارية ثلاثين درعاً، وثلاثين فرساً، وثلاثين بعيرا..." في حال قدوم جيوش المسلمين لأي مهمة بنواحي نجران واليمن. لكن الرد على ذلك أن ما فرضه النبي (ﷺ) ليس ضريبة، أو تكلفة إضافية، بل أنه لا يتجاوز بحسب نص العهد "عارية"[١] ، ونص على أن تضمن الدولة إعادة ما استعاره جيش المسلمين من سلاح وخيل وإبل حال انتهاء حاجتهم إليه[٢] .

وسياسة الدولة الإسلامية عالجت وجود الطائفيتين النصرانية واليهودية في نجران كجزء طبيعي من مكوّنها السكاني، والاعتراف بهم كجزء من المجتمع النجراني بما لهم من حقوق وواجبات، وضمنت لهم ما تلتزم به الدولة تجاه موطنيها من حماية للأرواح، والأنفس، والممتلكات، والمكتسبات الاقتصادية، وتقاليدهم الاجتماعية. واعترفت أيضاً بحقوقهم الدينية في الاحتفاظ بدور عبادتهم، وعدم التدخل في مؤسستهم الدينية، وحرية ممارسة شعائرهم بما لا يتعارض مع سيادة الدولة القائمة. وفي الناحية الضريبية اكتفت بأخذ "الجزية" وفق ضوابط تضمن عدم إثقال كاهل المنتمين لأهل الذمة. وفي المقابل ضمنت إعفاء أهل الذمة النجرانيين من دفع الزكاة، والخدمة العسكرية وهما مسألتان لم يأخذهما الباحثون الغربيون في الحسبان. ونتفق مع لويس وغيره أن سياسة الدولة الإسلامية في العهد النبوي ميزت المسلمين عن أهل الذمة لكن هذا التمييز لم يكن على أساس طبقي، بل وفق حقيقة الهوية الدينية التي تضمن للدولة ممارسة حقها السيادي في بسط سلطتها على كل المكونات الخاضعة لها، ويضمن استقرارها .

خامساً : الآثار السياسية والدينية والاقتصادية لولاية عمرو بن حزم:

كل ما سبق يدفع لتساؤل هام حول أهم النتائج المتوخاة من السياسة المتبعة تجاه أهل الذمة بنجران تحديداً على الأصعدة السياسية والاقتصادية والاجتماعية. إذ تبدو معلومات مصادر التراث الإسلامي في هذه المسألة قليلة بسبب تركيزها على الأوضاع السياسية والدينية في نجران عشية وفاة الرسول (ﷺ) واندلاع ردة الأسود العنسي التي وصلت آثارها المباشرة إلى نجران وتسببت بتهديد سلطة الدولة، والسلم الأهلي،

(١) عارية : أي ما استعرته ويجب رده ، وفي لسان العرب ، "... ويقال: استعرت منه عارية فأعارنيها ..." ابن منظور : لسان العرب ، ج٤، ص ٦١٩ .

(٢) أبو يوسف ، الخراج ، ص٨٥، ابن سعد ، الطبقات الكبرى .ج١ ، ص٢٨٨، ابن سلام ، الأموال ، ص٢٤٤. البيهقي ، دلائل النبوة ، ج٥، ص ٣٨٩ .

والاجتماعـي في المنطقـة بإجبار واليها علـى الخروج منها. غـير أن استقراء الأحداث ينبـئ بنتائج ملموسة برزت مع وصول طلائع أنصـار الأسود العنسي إلى بلاد نجران. وأولها ثبات ولاء أهل الذمـة النجرانيين للدولة الإسلامية في المدينة، ورفض الانضمام للمرتديـن رغم انضمام بعض بطون بني الحـارث الذين أسلموا حديثاً لردة العنسي[١] . ولا أدل علـى ذلـك مـن رسالـة النبي (ﷺ) وحثـه أهل نجران مـن المسلمين وغير المسلمين على الثبات في ولائهم للدولة[٢] .

كان لثبات نصارى ويهود نجران في ولائهم للدولة الإسلامية أثناء حروب الردة أثـره الإيجابي على أتباع الطائفتين في نواحي سياسية، ودينية، واجتماعية، واقتصادية . فقـد سادت حالة من السلم الاجتماعي فلم تسجل لنا مصادر التراث الإسلامي التي أرّخت لتلك المرحلة صراعات دينية طائفية، أو تمرداً قام به أحد المنتسبين لأهل الذمة ضد سلطة الدولة الإسلامية. وحتى في ذروة اشتداد ردة الأسود العنسي ووصول أتباعه إلى نجـران لم تشـر كتب الـتراث الإسلامي إلى انضمـام أهل الذمة لأنصـاره. بل إن تجديد الخليفة أبي بكر الصديق العهد الذي سبق أن كتبه النبي (ﷺ) لوفد نصارى نجران يقدم دليلاً مباشراً على التزام أهل الذمة بما ورد في العهد السابق الذي شددا على عدم صدور أي "كيد" منهم[٣] ، إذ لم يطرأ على كتاب أبي بكر تغيير يُذكر فقد كفل لهم الاعتراف بوضعهم القانوني كجزء من رعايا الدولة، وضمن لهم حريتهم الدينية.

ويقـدم الجانـب الاقتصـادي دليـلاً ملموسـاً على التـزام الدولـة بالحفاظ على المكتسبـات الاقتصاديـة التـي نعم بهـا أهل الذمـة النجرانيون، وقد ساعـد ذلك على ازدهـار الكثير مـن أنشطتهـم الاقتصادية وفي مقدمتهـا صناعة النسيـج، والملابس، والتجـارة، إذ غـدت أسـواق الحجاز خلال صـدر الإسلام سوقاً رائجة لعـدة أنواع من

---

(١) ذكر الطبري أن الأسود العنسي: "...خَرَجَ مِنْ كَهْف خُبَّانَ، وَهِيَ كَانَتْ دَارَهُ، وَبهَا وُلِدَ وَنَشَأَ، فَكَاتَبَتْهُ مَذْحِجُ، وَوَاعَدَتْهُ نَجْرَانَ، فَوَثَبُوا بهَا وَأَخْرَجُوا عَمْرَو بْنَ حَزْم وَخَالدَ بْنَ سَعيد بْن الْعَاص وَأَنْزَلُوهُ مَنْزلَهُمَا..." وهو ما يعني نجاح العنسي ليس في استمالة بعض بطون بنِّي الحَارث بنَ كَعَبَ لتمردهَ فحسب، بلَ في إخراج ممثل السلطة الإسلامية في نجران عمرو بن حزم. غير أن مخطوط "تاريخ اليمن في الكوامن والفتن" أشار إلى ثبات عبدالله بن عبد المدان أهم زعامات بني الحارث بن كعب في ولائه للدولة الإسلامية واستعداده لقتال أتباع الأسود العنسي في رسالة بعث بها إلى أبي بكر الصديق. ولعل ذلك كان سبباً في عودة نجران لسيطرة الدولة الإسلامية في وقت وجيز خاصة بعد أن وردهم كتاب النبي صلى الله عليه وسلم الذي يدعوهم إلى الثبات. انظر: الطبري، التاريخ، ج٣، ص٣٨٥. مؤلف مجهول، تاريخ اليمن، ق ٢٥.

(٢) الطبري ، التاريخ ، ج٣، ص ٢٣٢ . ابن خلدون ، التاريخ ، ج٢، ص ٤٨٣ .

(٣) وذلـك في قولـه "...إذا كـان كيد باليمن ذو مغـدرة أي: إذا كان كيـد بغدر منهم...". انظـر: ابو يوسف، الخـراج، ص٨٥. ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج١، ص٢٨٨. ابن سلاّم، الأموال، ص٢٤٤. البيهقي، دلائل النبوة، ج٥، ص٣٨٩.

المنسوجات مثل "الحلل"، و" الثياب"، "البرد" النجرانية[١]. فحفظ الأموال والممتلكات يعني بالضرورة الحفاظ على المهن الصناعية، والتجارية، والزراعية التي عمل بها هؤلاء النصارى واليهود في إقليم متنوع الثروات والموارد الاقتصادية كنجران. بل إن بسط سيطرة الدولة على طرق التجارة، وتأمينها أتاح لأهل نجران على اختلاف مللهم مرونة أكبر في تسويق بضائعهم في أقاليم الجزيرة العربية، وهو مالم يكن متوفراً في العصر الجاهلي حيث ساد الحكم القبلي، ولم تكن طرق التجارة في حالة أمنية كافية كالتي أصبحت عليها في عصر الإسلام.

وبالرغم من قصر المرحلة التي قضاها عمرو بن حزم في نجران إلا أن ولايته أثمرت عن نتائج لافتة وتجربة مهمة في حكم منطقة متعددة الأديان. وقد قدمت تجربة متقدمة وعملية في الكيفية التي أدار بها حاكم مسلم منطقة متعددة الأديان في ضوء توجيهات مكتوبة توضح معالم السياسة التي يجب عليه اتباعها.

سادساً: الخاتمة

ناقشت هذه الدراسة سؤالاً مهماً يتمثل في كيف كان يجب على ولاة الدولة الإسلامية في عهد الرسول (ﷺ) العمل على تحقيق ما أقره في معاهداته التي منحها للطوائف النصرانية واليهودية التي خضعت لدولة الإسلام من حقوق وواجبات، وكان يتعين عليهم الدعوة إلى الإسلام في تلك المناطق التي سكنها النصارى واليهود بجزيرة العرب. وكانت "نجران" في عهد ولاية عمرو بن حزم الأنصاري أحد النماذج التي تصلح من وجهة نظر الباحث للإجابة على هذا التساؤل المهم حيث أصبحت نجران في

---

(١) في الحديث عن أَنَسِ بْنِ مَالِك – رضي الله عنه – قَالَ: "... كُنْتُ أَمْشِي مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَعَلَيْهِ بُرْدٌ نَجْرَانِيٌّ غَلِيظُ الحَاشِيَةِ ...". رواه أحمد والبخاري ومسلم وغيرهم. وفي حديث آخر روى ابْن عَبَّاس: "...أَنَّ رَسُولَ اللَّه ﷺ، كُفِّنَ فِي ثَلاثَة أَثْوَاب، فِي قَمِيصه الَّذي مَاتَ فيه، وَحُلَّة نَجْرَانيَّة...". انظر: ابن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد، وآخرون، (بيروت، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢١ هـ/ ٢٠٠١م)، ج٣، ص٤١٤، ج٢٠، ص ٤٧٤. البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله، صحيح البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، (دمشق، دار طوق النجاة، ١٤٢٢هـ)، ج٤، ص٩٤. مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري، صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، (بيروت، دار إحياء التراث العربي، د.ت) ج٢، ص٧٣٠. وللمزيد عن النشاط الاقتصادي في نجران خلال فترة الدراسة انظر: العبدلي، فاطمة ضيف الله حسين، الحياة الاقتصادية في نجران خلال القرن الهجري الأول/ السابع الميلادي، (أبها، رسالة ماجستير مُقدمة إلى جامعة الملك خالد بتاريخ ٢٩-٠٢- ١٤٣٥هـ)، وقد نشرها غيثان بن جريس ضمن الجزء الخامس عشر من سلسلة القول المكتوب في تاريخ الجنوب. بعنوان: "تاريخ نجران الاقتصادي خلال القرن الهجري الأول/ السابع الميلادي". انظر: ابن جريس، غيثان، القول المكتوب في تاريخ الجنوب، الجزء الخامس عشر، مطابع الحميضي، الرياض، ط١، (١٤٤٠هـ/٢٠١٩م)، ص١٤ -٩٦.

ظل دولة الرسول (ﷺ) يمثلها "والٍ" مقيم بها مجتمعاً متعدد الأديان .

استعرض البحث مراحل وصول الإسلام إلى نجران مع مراعاة عاملي القوى المحلية الرئيسية والتسلسل الزمني للأحداث، واقتسمت قبيلة بنو الحارث بن كعب مع الطائفة النصرانية السيطرة السياسية والاقتصادية على إقليم نجران. فلا غرابة أن يركّز الرسول (ﷺ) على اخضاع الطرفين لضم نجران لسلطة الدولة الإسلامية، فبدأ اتصاله بنصارى نجران وبعث إليهم كتابا يخيرهم فيه بين الإسلام، أو دفع الجزية، أو الحرب. وأحدثت الرسالة ردود فعل مضطربة بين الطائفة النصرانية التي فضّل زعماؤها إرسال وفد إلى المدينة، حيث يلتقى بالرسول (ﷺ) ، وانتهى اللقاء إلى قبولهم الخضوع لسلطة الدولة الاسلامية ودفع الجزية مقابل الكتاب الذي أمّنهم فيه (ﷺ) على دينهم، و دمائهم، و أموالهم. ومن نتائج اللقاء أيضاً خضوع يهود نجران لما ورد في نفس الاتفاقية من شروط وحقوق وواجبات.

لم يكتف النبي (ﷺ) بإخضاع نصارى ويهود نجران بل بعث خالد بن الوليد على رأس أربعمائة رجل إلى بني الحارث بن كعب وقبلوا الإسلام فأقبل وفدهم إلى المدينة معلناً إسلام أبناء هذه القبيلة ودخولها تحت راية الدولة الاسلامية. واكتملت سيطرة الدولة الاسلامية على نجران و أصبحت الأوضاع مهيأة لإرسال حاكم محلي يمثل سلطة الدولة فوقع اختيار الرسول (ﷺ) على عمرو بن حزم وزوّده بكتاب رسمي يشرح فيه تفاصيل السياسة التي يجب عليه العمل بها. وبحثت الدراسة صحة نص الكتاب من خلال ما ورد في مصادر التراث الإسلامي، فتبين أن عدداً من المصادر التاريخية المبكرة أوردت النص بروايات متشابهة اعتمدت الإسناد إلى ابن إسحاق. وكتب الحديث والفقه أظهرت عناية جيدة بالكتاب فروت عدداً من نصوص الكتاب في إطار مناقشة قضايا فقهية وشرعية مختلفة. ولغة الكتاب تتشابه كثيرا مع اسلوب ومفردات كتب النبي (ﷺ) الأخرى التي تُنسب إلى نفس الحقبة الزمنية، إضافة إلى تشابه محتوى الكتاب مع الخطوط العريضة لسياسة الرسول (ﷺ) وفي رأي الباحث فإن كل تلك العوامل كافية للقبول بصحة نص الكتاب.

وشمل كتاب النبي (ﷺ) توجيهات واضحة تمثل سياسة دولة الاسلام نحو أهل الذمة من غير المسلمين في نجران، إذ حرص على إظهار التزام الدولة الاسلامية بما ورد في المعاهدة الشهيرة مع وفد نجران النصراني في المدينة. فبيّن ما يجب على عمرو بن حزم العمل به في دعوته إلى الإسلام التي يجب أن تقوم على "الترغيب" لا "الإكراه"، وضرورة الفهم الكامل لأحكام الإسلام وفرائضه .

وتضمّن الكتاب الاعتراف بنصارى ويهود نجران كجزئين رئيسين ضمن المجتمع النجراني المنضوي تحت الحكم الاسلامي فحدد مالهم من حقوق وما عليهم من واجبات. فكانت الحرية الدينية مسألة مهمة في تحديد طبيعة العلاقة بين الدولة الإسلامية ورعاياها من غير المسلمين بنجران. وحرص الرسول (ﷺ) على التأكيد على حق هؤلاء النصارى واليهود في الاحتفاظ بمعتقداتهم . وتضمنت تلك السياسة وفي أكثر من وثيقة حماية دور العبادة النصرانية واليهودية . وحظيت المؤسسة الدينية لرجال الدين النصارى واليهود باستقلالية واضحة في تعيين رجال الدين على اختلاف طبقاتهم من أساقفة، وقساوسة، وشمامسة. وأكد الكتاب أيضاً على حماية الدولة لحق أهل الذمة في ممارسة شعائرهم الدينية مثل الصلوات، والأعياد الدينية .

وفي مقابل ذلك أكد الكتاب سياسة الدولة في أخذ الجزية من أهل الذمة مقابل الحماية مع الأخذ في الاعتبار الضوابط التي اكد الرسول على إسقاطها عن الفقراء والعجزة، والمرضى، والنساء والأطفال وكبار السن من أهل الذمة. والمهم في الكتاب أن الرسول (ﷺ) أكد على عدم "تعشير" أهل الذمة وكأنه بذلك يريد إسقاط عدد من الضرائب الباهظة التي كانت تؤخذ منهم في الجاهلية. وكانت مسألة الزكاة إحدى قضايا التنظيم الضريبي الجديد الذي أعفى أهل الذمة من دفعها بينما كانت فرضاً على كل مسلم قادر.

وظهر وجود تباين "رقمي" في تقدير الجزية المطلوبة من أهل نجران بين كتاب عمرو بن حزم وعهد نصارى نجران، إلا أن الباحث يميل إلى أن ما قُرّرَ في عهد النبي (ﷺ) لوفد نجران النصراني هو المبلغ المعتمد الذي أكد عليه نص كتاب الخليفة الأول أبو بكر الصدّيق - رضي الله عنه - فيما بعد - ألفي حلة [1] .

والحماية التي أكد عليها الرسول (ﷺ) في أكثر من وثيقة تخص أهل نجران ومنها كتاب عمرو بن حزم. فاتضح أن الحماية مفهوم شامل لحماية الأنفس والأعراض، وكل ما يتعلق بمعيشة واستقرار أهل الذمة النجرانيين مثل الأملاك والعقارات والأنشطة الاقتصادية من زراعة وتجارة وصناعة، وكل مالهم من حقوق اقتصادية، واجتماعية، ودينية. وتبنت الدولة مسؤولية حماية أهل الذمة النجرانيين في إطار مسؤولية الأمن الذي التزمت بتوفيره لمواطنيها.

---

(١) هكذا رواه البيهقي ، بينما في رواية ابن سعد: " ... وكتب رسول الله لأسقف بني الحارث بن كعب وكل أساقفة نجران ..." البيهقي ، دلائل النبوة ، ج٥، ص ٣٩١ .

ويدحض الباحث آراء بعض المستشرقين التي زعمت بتعامل دولة الرسول مع أهل الذمة كـ "مواطنين من الدرجة الثانية". فتمييز الدولة الإسلامية المسلمين عن غير المسلمين كان وفق الهوية الدينية ولم يكن على أساس طبقي اجتماعي، هدفه في المجمل ضمان استقرار سلطة الدولة على كل مكوناتها الدينية والاجتماعية. ورغم قلة المعلومات عن الأثر الذي تركته ولاية عمرو بن حزم في نجران بسبب قصرها الزمني الذي لم يتجاوز بضعة أشهر إلا أن هناك بعض النتائج الحضارية لتلك الفترة المحدودة كما ثبت أهل الذمة النجرانيين من نصارى ويهود على ولائهم للدولة الإسلامية اثناء ردة الأسود العنسي، وهو ما كان له الأثر الإيجابي في تجديد الخليفة أبي بكر الصديق العهد الذي سبق أن كتبه النبي (ﷺ) لوفد نصارى نجران . وساد جو من التعايش السلمي بين جميع مكونات المجتمع النجراني من مسلمين ونصارى ويهود فلم تسجل المصادر المعاصرة صراعات طائفية وساهم التزام الدولة في الحفاظ على الثروة الاقتصادية التي تمتع بها نصارى ويهود نجران في ازدهار الكثير من أنشطتهم الاقتصادية فوصلت منتجاتهم إلى أسواق الحجاز و أقاليم أخرى في الجزيرة العربية.



الدراسة التاسعة

رحلة الإمام الشافعي إلى اليمن ونجران
(دراسة تاريخية)

بقلم : د . حسن بن يحيى الشوكاني الألمعي



الدراسة التاسعة

رحلة الإمام الشافعي إلى اليمن ونجران
(دراسة تاريخية) . بقلم . د. حسن بن يحيى الشوكاني الألمعي [1]

أولاً : المقدمة :

تعتبر الرحلة العلمية من أهم مكونات الشخصية العلمية لأي عالم أو طالب علم، ولقد حرص العلماء السابقون على الرحلة في طلب العلم إلى مختلف الجهات، وعدوا ذلك أمراً لازماً، ولم يقعد عن الرحلة في طلب العلم والاستزادة منه إلا من ضاقت به الحال، أو قصرت به الأسباب عن الرحلة، ولقد كان العلماء المشتهرون في مختلف أصقاع العالم

(١) حسن الشوكاني من مواليد رجال ألمع ، نال درجة البكالوريوس في التاريخ من فرع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بأبها عام (١٤٠٤هـ-١٤٠٥هـ) ، ودرجتي الماجستير عام (١٤١١هـ/٢٠١٠م)، والدكتوراه عام (١٤٢١هـ/٢٠٠٠م) وحصل على درجة أستاذ مشارك في كلية العلوم الإنسانية بجامعة الملك خالد عام (١٤٣٦هـ/٢٠١٥م) . مارس ومازال يمارس مهنة التدريس في قسم التاريخ بجامعتي الإمام محمد بن سعود الإسلامية، فرع أبها ، ثم جامعة الملك خالد. شغل عدداً من المناصب الإدارية مثل: وكالة ثم عمادة كلية اللغة العربية والعلوم الاجتماعية ، وتولى الإشراف على كرسي الملك خالد للبحوث العلمية ، وهو أمين عام لجائزة أبها منذ عام (١٤٢٩ - ١٤٣٨هـ/ ٢٠٠٨ - ٢٠١٦م) حتى الآن . وهو عضو في عدد من اللجان العلمية والاجتماعية والإدارية في الجامعة ، كما حصل على عدد من الدورات الفنية والعلمية والإدارية ، وحصل على عدد من شهادات الشكر والتقدير في منطقة عسير وخارجها. له عدد من البحوث العلمية المنشورة ، مثل: (١) الدولة المرينية في عهد السلطان يعقوب المريني (دراسة سياسية حضارية). (٢) تجارة الأندلس في العصر الأموي(١٣٢-٤٣٢هـ/ ٧٥٥-١٠٣٠م) . (٣) الصلات التجارية بين الأندلس والجزيرة العربية. (٤) بنو شهيد ودورهم في الحياة العلمية بالأندلس خلال عصر الإمارة الأموية. (٥) المصادر التاريخية في كتاب المرقبة العليا للنباهي. (٦) الأعراف والعادات القبلية المخالفة للشريعة والأنظمة في منطقة عسير. (ابن جريس) .

الإسلامي من شرقه إلى غربه مقصداً لطلاب العلم، وهدفاً للتلاميذ الذين يتجشمون عنـاء السفر ومشقته للوصول إلى أولئك العلمـاء للتلقي عنهم، والمزاحمة في حلقاتهم، وبقـدر رحـالات طالب العلـم في الأقطار، وحضـوره في حلقات العلمـاء، ترتفع مكانته، ويعلـو مقامـه، ويتكاثر الطلبـة في حلقته، ومن ثم يصبح بذاته مقصـداً لطلاب العلم، ولـذا جعلوا "الرحلة" مناط الثقة بالعالم، قـال الإمام يحيى بن معين : "أربعة لا تؤنس منهـم رشـداً – أي لا تبصر منهم خيراً ولا نفعـاً – " حارس الدرب، ومنادي القاضي، وابـن المحـدث، ورجل يكتب في بلده ولا يرحل في طلـب الحديث"[١] . وقال الحافظ ابن الصـلاح : "وإذا فـرغ – الطالب – من سماع العوالي والمهمات التي ببلده، فليرحل إلى غيره"[٢]، وقد أوردها بصيغة الأمر "فليرحل" وذلك لما لمسوه من فوائد الرحلة وآثارها النافعـة في تكوين المواهب الشخصية، وتنمية المدارك العلمية، وتوسعة الآفاق الفكرية، والتطاعم بين العقول والمعارف وأهليها، فلذا أقاموها مقام الحاجة الضرورية لمن سلك طريق العلم والتحصيل، واعتبروها شرطاً لتوثيق العالم والثقة بعلمه[٣]. فنشأ من ذلك تلـك الرحـلات الواسعة، والأسفـار الشاسعة والسنوات الطوال التـي تقضي من أعمار هـؤلاء الراحلين، بعيدين عن الأهل والولد، والزوجة والبلد، متفرغين لتلقي العلم ولقاء العلماء، ومشافهتهم، وتعرف ما عندهم، والانتساب إليهم، والاغتراف من معينهم .

وقد صارت هذه الرحلات لدى العلماء السابقين جزءاً أصيلاً من حياتهم العلمية، ورحـل العلماء مـن أهل كل علم، فرحل المفسـر والمحدث، والفقيه الأصـولي، واللغوي، والنحوي، والأديـب، والمؤرخ، والزاهد، والعابد، والشـاب، والشيخ، والكبير، والصغير، كما ظهر في تراجم كثير من العلماء الكبار، ومنهم الإمام محمد بن إدريس ، الذي كانت لـه إلى اليمن رحلة بل رحلات تناولهـا المؤلفون بين مقتضب ومسهب في الحديث عنها، وتعـددت الروايات حولها ، بل تضاربت بشـكل يجعل القارئ في حيرة من أمره حيالها ، فمـا حقيقـة تلك الرحلة ، أو الرحلات ؟ ومتى كانت ؟ ومـا الأسباب الدافعة إليها؟ وما أثرهـا في حياة الامـام الشافعي العلمية والعملية ؟ ثم ماهي النتائج التي أفضت إليها ؟ والتي أدت في نهاية الأمر أن يحمل الامام الشافعي إلى بغداد مقيدا بالحديد ، في تهمة من أخطر التهم التي يمكن أن يتعرض لها الانسان ، والتي جعلت الامام الشافعي يوقن بالموت؟ كل هذه التساؤلات وغيرها هي ما سوف يحاول هذا البحث الإجابة عليها ، وسبر

---

(١) ابن الصلاح :علوم الحديث – المعروف بمقدمة ابن الصلاح، ص ٢٤٦ .

(٢) مقدمة ابن الصلاح، ص٢٤٧ – ٢٤٨ .

(٣) هنـاك عشرات الكتب والدراسـات والبحوث التي فصلت الحديث عن العلمـاء ورحلاتهم في طلب العلم . ونحـن في أمس الحاجة إلى دراسة علماء تهامـة والسراة خلال العصور المبكرة والوسيطة ، والبلدان التي ارتحلوا إليها طلباً للعلم .(ابن جريس).

غـور الحقيقة حولها، من خلال جمع الروايات والمقارنـة بينها ، ثم التحليل والاستنتاج للوصول إلى أقرب نقطة للحقيقة بقدر ما تسعف به المصادر .

ثانياً : نبذة مختصرة عن حياة الشافعي:

يعرف الإمام الشافعي بالمطلبي[١]، نسبة إلى بني المطلب القرشيين بني عم الرسول ﷺ، فهو محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب بن عبيد بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب[٢]، وبذلك يكاد يجمع المؤرخون على أنه ذا نسب قرشي مطلبي[٣]، إذ يلتقي مع رسول الله (ﷺ) في عبد مناف،[٤] "واشتهاره بالمطلبي عند الخلفاء والعلماء والشعراء أشهر من ضوء النهار عند البصير" كما يقول البيهقي[٥] . أما والدته فهي أزدية من قبائل الأزد اليمنية[٦]، والذي يظهر لي أنها كانت من تبالة[٧] إذ يقول الشافعي " كان أبي رجل من تبالة، وكان بالمدينة فظهر فيها بعض ما يكرهه فخرج إلى عسقلان فأقام بها وولدت بها "[٨]. وقد اتفقت الروايات على أن ولادته كانت في سنة (١٥٠هـ/٧٦٧م)[٩]، وبالقدر ذاته اختلفت المصادر في مكان ولادته، إذ تشير أغلب المصادر إلى أنه ولد بغزة من أرض فلسطين[١٠] حيث روي عنه قوله " ولدت بغزة

---

(١) ابن حجر : توالي التأسيس، ص٣٤، الذهبي: سير أعلام النبلاء ج١٠، ص٦ .

(٢) الخطيب: تاريخ بغداد، ج٢، ص٥٦ – ٥٨، الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١٠، ص٥ ،ابن كثير : البداية والنهاية، ج٥ ، ص٢٦٣.

(٣) وإن كان هناك من يقول أنه قرشي بالولاء لا بالنسب وأن جده كان مولى لأبي لهب، وقد ناقش هذه الرواية الإمام الفخر الرازي بشكل مستفيض وأثبت عدم صحة هذه الرواية (انظر : مناقب الإمام الشافعي، ص٢٣ –٢٨) .

(٤) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد،ج٢، ص٥٦ – ٥٨، ابن فرحون: الديباج المذهب، ص٣٢٦ – ٣٢٧

(٥) مناقب الشافعي، ص٨١ .

(٦) الفخر الرازي : مناقب الإمام الشافعي، ص٢٩، ابن كثير : البداية والنهاية، ج٥، ص٢٦٣ .

(٧) تبالة: بليدة تقع في الطريق ما بين مكة واليمن، وتبعد عن مكة أربعة مراحل (الحميري: الروض المعطار ص١٢٩) . وقد أخطأ الحموي حينما عدها من بلاد تهامة (معجم البلدان، ج٢، ص٩) وهي تقع شمال غرب محافظة بيشة بالمملكة العربية السعودية وتبعد عن بيشة حوالي (٨٠كم). (محمد عبدالمتعالي: دليل الأسماء القديمة والهجر والأماكن العامة في منطقة عسير، محافظة بيشة، ص٥١ – ٥٥) . للمزيد انظر، غيثان بن جريس «تبالة وأهميتها التاريخية والحضارية خلال القرون الإسلامية الأولى « . بحث منشور في مداولات اللقاء العلمي السنوي الثامن لجمعية التاريخ والآثار بدول مجلس التعاون، المنعقد في مدينة المنامة بدولة البحرين الشقيقة (١٤٢٨هـ / ٢٠٠٧م) ، ص ١٧٩-٢١٥.والبحث أيضاً منشور في كتاب ابن جريس، دراسات في تاريخ تهامة والسراة (١٤٣١هـ /٢٠١٠م) (الجزء الثاني) . ص ٤٢٥-٤٧٠ .

(٨) ابن حجر : توالي التأسيس، ص٥٠ ، والذي يظهر أنه قصد والد أمه – أي أنه كان من تبالة وسكانها من قبائل الأزد .

(٩) ابن أبي حاتم : آداب الشافعي ص١٧ – ١٨ ، أبو نعيم حلية الاولياء، ج٩، ص٦٧ .

(١٠) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج٢، ص٥٦ .

سنــة خمسين ومائــة[١] ، بينما قالت رواية أخرى أنه ولــد بعسقلان[٢] وتشير رواية ثالثة إلى أن ولادتــه كانت باليمن، حيث روي عنه قولــه : "ولدت باليمن، فخافت أمي على الضيعة فحملتنــي إلى مكــة" [٣] ، وقد حاول البيهقــي الجمع بين تلك الروايات، حيــث قال أن الإمام الشافعــي ولد بغــزة في أحد المواضع التي تسكنهــا بطون من اليمن، ثم حملتــه أمه منها إلى عسقلان وظل بها إلى أن بلغ سنتين من عمره ثم حملته من هناك إلى مكة بعد ذلك بزمن[٤] .

دخـل الإمــام الشافعي إلى مكة وهــو صغير السن، وكان فقــيرا معدما، ولما ترعرع دفعته أمه إلى الكتاب لحفظ القرآن الكريم، وتعلم الكتابة، رغم قلة ذات اليد، فلم يكن عندهــا مــا تعطي المعلم أجرة لتعليم ولدها، لذا رضــي المعلم أن يخلفه إذا قام فيحفِّظ الطــلاب، لما رأى منه من نباهــة وقوة حفظ[٥] ، وقد استطاع حفظ كتاب الله تعالى وهو في ســن صغيرة[٦] ، ثم اتجــه بعد حفظه لكتاب الله تعــالى إلى استحفاظ حديث رسول الله (ﷺ) ، وكــان يحفظ الحديث بالسمع، ثم يكتبه على الجلود والخزف والظهور[٧] ، التي يحصل عليها من الديوان. وجلس في حلق العلماء بمكة وكان من أشهر من أخذ عنه بمكة سفيان بن عيينة[٨] ، ومسلم بن خالد الزنجي مفتي مكة[٩] . وغيرهما من الأعلام الكبــار ممــن أدركه هنــاك . ثم اتجهت رغبتــه إلى التفصح في العربيــة، وطلب الشعرٍ والأدب وأيام العرب، لذلك جدَّ في طلب هذه العلوم وخرج من مكة إلى البادية وتحديداً إلى قبيلــة هذيــل، وكانت من أفصح قبائــل العرب، وظل بها عشر ســنين[١٠] وفي رواية عشرين سنة[١١] وفي رواية ثالثة بقي هنــاك سبع عشرة سنة،[١٢] لازمهم كل هذه المدة "

---

(١) البيهقي : مناقب الشافعي، ج١، ص٧٣ .

(٢) ابن كثير: البداية والنهاية، ج٥، ص٢٦٣ .

(٣) البيهقي : مناقب الشافعي، ج١، ص٧٢ — ٧٥ .

(٤) البيهقي: مناقب الشافعي، ج١، ص٧٤ .

(٥) عياض: ترتيب المدارك، ج١، ص٣٨٣ ، ابن الجوزي : صفة الصفوة، ج٢، ص٢٤٨ .

(٦) الذهبي : سير أعلام النبلاء، ج١٠، ص١١ .

(٧) الظهــور المراد بهــا الأوراق الديوانية التي كتب في باطنها وترك ظهرها أبيض، ولم يعد الديوان ينتفع منها (انظر: أبو زهرة: الشافعي: حياته — آراؤه الفقهية، ص١٨ ،حاشية١) .

(٨) سفيــان بن عيينة بن ميمــون الكوفي، محدث الحرم، سكن مكة وتوفي بهــا سنة(١٩٨هـ) ، انظر : الذهبي: ميزان الاعتدال، مج٢، ص١٧٠ –١٧١.

(٩) مسلم بن خالد بن مسلم المعروف بالزنجي من الموالي، كان إمام أهل مكة وقاضي مكة، أصله من الشام، توفي سنة ١٧٩هـ .(انظر: الزركلي : الأعلام، جـ٧، ص٢٢٢) .

(١٠) ابن كثير، البداية والنهاية، ج ٥ ، ص٢٦٣ .

(١١) الذهبي : سير أعلام النبلاء، ج١٠، ص١٢ . ابن كثير، البداية والنهاية، ج ٥ ، ص٢٦٣ .

(١٢) الحموي: معجم الأدباء ج٦، ص٢٣٩٥، النووي: تهذيب الأسماء، ج١، ص٤٦، أبو نعيم: حلية الأولياء، ج٩، ص٧٠.

يرحل برحيلهم وينزل بنزولهم"[١] وكانت حصيلة تلك الرحلة العلمية بروزا في العربية وعلومها، ونبوغا في حفظ أشعار العرب وآدابها، حتى أصبح مقصدا في ذلك[٢]. حتى قال عنه الإمام أحمد بن حنبل " كان الشافعي من أفصح الناس، وكان مالك تعجبه قراءته لأنه كان فصيحا" . وقال: "ما مس أحد محبرة ولا قلما إلا وللشافعي في عنقه منة". وقال أيوب بن سويد : "خذوا عن الشافعي اللغة"[٣]. وبالرغم مما أحرزه الشافعي من قوة في العربية والشعر والأدب فإن ذلك لم يحقق ما في نفسه من شغف للعلم ورغبة في التحصيل، لذلك اتجه لطلب الفكر والفقه، يقول النووي" كان الشافعي في بداية أمره يطلب الشعر وأيام العرب والأدب ثم أخذ في الفقه"[٤]، ويقول الذهبي عنه " ثم حبب إليه الفقه، فساد أهل زمانه"[٥]، ورأى أن ذلك لا يتحقق له في مكة لذلك بدأ في رحلاته العلمية التي كانت بدايتها من المدينة المنورة، حيث كان ذكر الإمام مالك بن أنس يدوي بها، وقد بلغ الآفاق، لذلك اتجه الإمام الشافعي إليه فجلس في حلقته، وتقول المصادر أنه قبل ذهابه إلى الإمام مالك حفظ الموطأ كاملا، ورغب أن يقرأه على صاحبه مباشرة[٦]، وقد أعجب به الإمام مالك وبقدرته، وتنبأ له بشأن كبير في مستقبل أيامه[٧]، ولازم الشافعي الإمام مالك إلى أن توفي سنة (١٧٩هـ/٧٩٥م) ثم رحل عن المدينة المنورة وقد حاز علم مالك[٨]. وتنقل الإمام الشافعي بعد ذلك لطلب العلم فرحل إلى اليمن، كما دخل بغداد مرات ومرات[٩] فطلب المذهب الحنفي على يدي محمد بن الحسن الشيباني، تلميذ الإمام أبي حنيفة النعمان، وانعقدت بينهما مناظرات فقهية عظيمة، كما طلب العلم على أيدي علماء آخرين في بغداد، التي كانت قبلة العلم في حينها. قال ابن حجر " انتهت رياسة الفقه في المدينة إلى مالك، ورحل الشافعي إليه ولازمه، وانتهت رياسة الفقه إلى أبي حنيفة، فأخذ عن صاحبه محمد حملا ليس فيه شيء إلا وقد سمعه عليه، فاجتمع له علم أهل الرأي، وعلم أهل الحديث"[١٠].

---

(١) الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد، ج٢، ص٦٣ .
(٢) الحموي : معجم الأدباء، ج٦ ، ص٢٣٩٥ .
(٣) الذهبي : سير أعلام النبلاء، ج١٠، ص٤٧ .
(٤) تهذيب الأسماء واللغات، ج١، ص ٤٦ .
(٥) سير أعلام النبلاء، ج١٠، ص٦ .
(٦) البيهقي: مناقب الشافعي، ص١٠٠ – ١٠١، الفخر الرازي: مناقب الإمام الشافعي، ص٣٨، ٣٩،الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٠، ص١١ .
(٧) أبو حاتم الرازي : مناقب الشافعي، ص١٨ .
(٨) عياض : ترتيب المدارك، ج١، ص٣٨٥ .
(٩) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج٢، ص٦٨، ٦٩ .
(١٠) توالي التأسيس، ص٧٣ .

وأثنـاء وجوده في بغـداد اتصل بمحمد بن الحسن الشيبـاني تلميذ أبي حنيفة وقرأ كتبـه وتعـرف على علـم أهل الرأي، ثم عـاد بعدها إلى مكـة وأقام فيها نحـوا من تسع سنـوات لينشـر مذهبه من خلال حلقـات العلم التي يزدحم فيها طلبـة العلم في الحرم المكي ومن خلال لقائه بالعلماء أثناء مواسم الحج. وتتلمذ عليه في هذه الفترة عدد كبير مـن طلبـة العلم كان من أبرزهم الإمـام أحمد بن حنبل. ثم عاد مـرة أخرى إلى بغداد سنة (١٩٥هـ/ ٨١٠م)، وكان له بها مجلس علم يحضره العلماء ويقصده الطلاب من كل مكـان. مكث الشافعي سنتين في بغداد ألف خلالهـا كتابه (الرسالة) ونشر فيها مذهبه القـديم. ثم عاد الإمام الشافعي إلى مكة ومكـث بها فترة قصيرة غادرها بعد ذلك إلى بغداد سنة (١٩٨هـ/٨١٣م) وأقام في بغداد فترة قصيرة ثم غادر بغداد إلى مصر [١].

قدم الإمام الشافعي مصر سنة (١٩٩هـ/ ٨١٤م) تسبقه شهرته، فنزل بالفسطاط ثـم بدأ بإلقـاء دروسه في جامع عمرو بـن العاص فمال إليه النـاس، وجذبت فصاحته وعلمه كثيرا من أتباع الإمامين أبي حنيفة ومالك. وبقي في مصر خمس سنوات قضاها كلهـا في التأليف والتدريس والمناظرة والرد على الخصـوم . وفي مصر وضع الشافعي مذهبـه الجديد وهـو الأحكام والفتاوى التي استنبطها بمصـر وخالف في بعضها فقهه الـذي وضعه في العراق، وصنف في مصر كتبه الخالدة التـي رواها عنه تلاميذه. وكان مذهبـه وسطا بـين المدرسـتين السابقتين له وهمـا مدرسة الـرأي، ومدرسة الحديث، وانتشـر تلاميـذه في أرجاء العالم الإسلامـي حاملين مذهبه وداعين إليـه[٢]. وقد حاز الإمام الشافعي من خلال تلك الرحلات العلمية علما عظيما، وأحرز شهرة كبيرة حتى "صنـف الكبـار في مناقب هذا الإمـام قديما وحديثا، ونال بعض النـاس منه غضاً فما زاده ذلـك إلا رفعـة وجلالـة، ولاح للمنصفين أن كـلام أقرانه فيه بهـوى، وقل من برَّز في الإمامـة، وردَّ من خالفـه إلا وعودي، .... وصنف التصانيـف، ودون العلم، ورد على الأئمة متبعاً الأثر، وصنف في أصول الفقه وفروعه، وبعد صيته، وتكاثر عليه الطلبة"[٣]. قـال ابن خلكان[٤] : "وقد اتفق العلماء قاطبة مـن أهل الحديث والفقه والأصول واللغة والنحـو وغير ذلك على ثقته وأمانته وعدالته وزهـده وورعه ونزاهة عرضه وعفة نفسه وحسـن سيرته وعلو قدره وسخائه "مـات الشافعي (رحمه اللّه)، في آخر ليلة من رجب سنة (٢٠٤هـ/ ٨١٩م). وقد بلغ من العمر أربعة وخمسين عاماً"، قال محمد بن عبداللّه

(١) ابن كثير، البداية والنهاية، ج٥، ص٢٦٣ – ٢٦٤ .
(٢) عبدالغني الدقر: الإمام الشافعي فقيه السنة الأكبر، ص١٥١.
(٣) الذهبي : سير أعلام النبلاء، ج١٠، ص٨ .
(٤) وفيات الأعيان : ج٤، ص١٦٦ .

بـن عبد الحكم المصري : ((ولـد الشافعي سنة خمسين ومائـة، ومات في آخر يوم من رجب، سنة أربع ومائتين، عاش أربعاً وخمسين سنة)) [(١)].

ثالثاً: رحلته إلى اليمن:

١ ــ تاريـخ الرحلة: تثبت كثير من المصادر رحلة الشافعي إلى اليمن، غير أنها لا تحـدد تاريخ بداية تلك الرحلة، إذ لم أجـد في المصادر التي اطلعت عليها من أشار إلى تاريـخ محدد لبداية الرحلـة، وإنما يتواضع المؤرخون على أن حمـل الشافعي من اليمن إلى بغـداد كـان في سنة (١٨٤هــ/٨٠٠ م) [(٢)]. والمصـادر تشير إلى أنه علـى أثر وفاة شيخـه الإمام مالك تـرك الشافعي المدينة المنورة وعاد إلى مكة إلا أنه اشتد الأمر عليه في مكـة فغادرهـا إلى اليمـن[(٣)]. ويفهم من هـذا أن رحلته لليمن كانـت في حدود سنة (١٧٩هــ/٧٩٥م)، ولعلها كانت بنهاية هذا العام. خاصة إذا علمنا أن الأرجح في تاريخ وفاة الإمام مالك بن أنس كانت في شهر ربيع الأول من عام (١٧٩هـ/٧٩٥م) [(٤)]. ويعضد ذلك ما ذكره بعض المؤرخين الذين أشاروا إلى أن الإمام الشافعي قضى في اليمن خمس سنوات ويؤكدون أن خروجه من اليمن كان في عام (١٨٤هـ/٨٠٠م) وبذلك تكون بداية وصوله إلى اليمن عام (١٧٩هـ /٧٩٥م) [(٥)].

وتضطـرب الروايـة في شـأن خـروج الإمـام الشافعـي إلى اليمن ففـي حين تذكر المصـادر[(٦)] أن القاضي مصعـب الزبيري[(٧)] الذي عين قاضياً لليمن من قبل الرشيد[(٨)] عنـد خروجه مـن مكة اصطحب معـه الشافعـي إلى اليمن، وترد لـدى الحموي رواية أخرى تنسب إلى مصعب الزبيري نفسه يقول فيها: " وأما طلبه العلم فحدث الزبير بن بكـار عن عمه مصعب بن عبدالله الزبـيري أنه خرج إلى اليمن فلقي محمد بن إدريس

---

(١) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج٢، ص٧٠.

(٢) الحمـوي: معجـم الأدباء، ج٦، ص٢٣٩٦، ابـن حجر: توالي التأسيس، ص٦٩، قـال الذهبي قلت: «قد قدم بغـداد سنة بضع وثمانين ومئة» (سير أعـلام النبلاء، جـ١٠، ص٥٠) ولم يحدد السنة بعينها وهذا خلاف لما أورده جل من ترجم للشافعي حيث حددوا ذلك التاريخ بسنة (١٨٤هـ).

(٣) أبو نعيم: حلية الأولياء: ج٩،ص٧٠ – ٧١، الفخر الرازي: مناقب الإمام الشافعي، ص٣٩.

(٤) ابن فرحون: الديباج المذهب، ص٧٨. بل هناك رواية تفيد أن وفاته كانت في شهر رجب عام ١٧٩هـ.

(٥) أبو حاتم الرازي: آداب ومناقب الإمام الشافعي، ص٢٥، الفخر الرازي: مناقب الإمام الشافعي، ص٧١.

(٦) توالي التأسيس، ص٦٩، الذهبي: سير أعلام النبلاء، جـ١٠، ص٨٥ – ٨٦.

(٧) مصعـب بـن عبدالله بـن مصعب بن ثابت بن عبـدالله بن الزبير بن العـوام. كان علامة نسابـة اخبارياً فصيحـاً مـن نبلاء الرجال وأفرادهـم، توفي في شوال سنـة ٢٣٦هـ/ ٨٥٠م (انظر: الذهبـي: سير أعلام النبلاء، جـ١١، ص٣٠ – ٣٢).

(٨) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج١١، ص١١٢ – ١١٤.

الشافعــي وهــو مستحض[١] في طلــب الشعر والنحــو والغريب. قال : فقلــت له: إلى كم هــذا؟ لو طلبــت الحديث والفقه كان أمثل بك، وانصرفت بــه معي إلى المدينة، فذهبت بــه إلى مالك ابن أنس وأوصيته به "[٢]. وهــذا النص يؤكد أن مصعباً لقي الشافعي في اليمن، ومن ثمَّ خرج به إلى المدينة المنورة وربطه بمالك بن أنس . وهذا عكس ما أوردته المصادر من أنه لقيه في مكة ثم اصطحبه إلى اليمن .

ويفهــم من هــذا أن رحلة الإمام الشافعــي إلى اليمن كانت قبــل رحلته إلى المدينة المنــورة وطلبــه العلم على يدي الإمام مالك بن أنس .كمــا يفهم أيضاً أن الشافعي خرج إلى اليمــن لطلــب علوم العربية من الشعر والنحو وغريب اللغة، ولا شك أن اليمن كانت مصــدراً لتعلــم مثل تلك العلــوم، غير أن الروايــة الأكثر شهــرة أن الشافعي طلب هذه العلوم عند قبيلة هذيل حيث كانت أشهر قبائل العرب في حينها في تلك العلوم، ولم تكن باليمــن بــل كانت فيما جاور مكــة المكرمة – كما سيأتي بيانــه -. ورغم أن هذه الرواية تخالــف كثيراً مــن الروايات التي تفيد أن رحلة الشافعي إلى اليمن كانت بعد عودته من المدينة المنورة، إلا أنها تسند إلى الزبير بن بكار وهو الراوية الموثوق[٣]، والعلم المرموق، والقاضــي الثبت، وهو ابن أخي مصعب الزبيري الــذي روى عنه هذه الرواية. وبالتالي فــلا يمكن إهمال هذه الرواية خاصة إذا ما أخذنا بالرواية التي تقول أن حمل الشافعي إلى بغداد بعد اتهامه بالخروج مع الثوار ضد الرشيد كان من مكة أو الحجاز – كما قال ابــن عبد الــبر[٤] ولم يكن من اليمن . وبالتأمل والمقارنة في هــذه الروايات يمكن لنا أن نتســاءل هل كان للشافعي أكثر من رحلة إلى اليمن؟ الذي يظهر أنه بالفعل كان له أكثر من رحلة إلى اليمن . وهذا ما سوف يتم إيضاحه لاحقاً .

٢ ـ أسـباب الرحلــة : هــل كان خــروج الإمام الشافعــي إلى اليمن لطلــب الولاية والسعــي وراء المناصــب والمهام، أم كان فــراراً من العوز والحاجة وبحثــاً عن باب رزق يعوضه ووالدته ضنك العيش الذي يعيشانه في مكة، أم أنه كان لطلب العلم والاستزادة منــه ؟ كل تلــك الأسباب مشروعة بلا شك وهي مطلب للكثير مــن أمثال الشافعي، فإن كانــت الولايــة والإمارة فهو يــرى في نفسه ما يؤهله لذلك، ويمكنه مــن النجاح فيما قد

---

(١) مستحض : أي مجتهد .

(٢) معجم الأدباء: ج٩، ص٢٣٩٤ .

(٣) قــال عنــه الخطيب البغدادي : «كــان الزبير ثقة ثبتــاً عالماً بالنســب وأخبار المتقدمين» تاريــخ بغداد ،ج٨، ص٤٦٧. وقــال ابن حجر : «قال أبو القاســم البغوي كان ثبتاً عالماً ثقة» – تهذيــب التهذيب ،ج١، ص٦٢٣ – ٦٢٤ . وقــال عنه الذهبي : هو ابن بكار الإمــام، صاحب النسب قاضي مكة، ثقة من أوعية العلم» ميزان الاعتدال :ج٢، ص٦٦ .

(٤) الانتقاء في فضائل الثلاثة الفقهاء، ص١٥٣ – ١٥٤ .

يسنـد إليـه من مهام إدارية أو قضائية أو غيرها، وقـد شهد بذلك الكثير ممن عاصره وعرفه[١]. وإن كان طلب التوسع في الرزق والهرب من الفقر فهو منهج إسلامي صحيح فالتحرف لطلب الرزق والفرار من الفقر والعوز، وطرق أبواب الرزق مندوب والشافعي يـدرك ذلك تماماً وهـو الفقيه القدير، أمـا الثالثة وهي الأبرز ألا وهـي الاستزادة من العلوم والمعارف فالشافعي حري بذلك وجدير به .

لكـن ما العلم الذي يسعـى الشافعي وراء تحصيله في اليمـن خاصة وأنه يعيش في مكـة المكرمة موطـن العلماء ومجمع الطلاب وإليها تشد رحـال طالبي العلم بكل فنونه وأقسامـه، فضـلاً عن أنه قد حاز مـن العلوم ما ارتفع به كعبه وعـلا به قدره حتى حثه فقيـه مكـة مسلم بن خالد الزنجي- بعد عودته من المدينـة المنورة -أن يجلس للإفتاء، حيـث قال له " أفت يا أبا عبـد الله، والله قد آن لك أن تفتي"[٢]، وما كان لطالب علم - كائنـاً من كـان - أن يجلس للإفتاء في مكة ويحثه الفقهاء علـى ذلك إلا إذا كان قد بلغ مرتبة من الفقه تؤهله لذلك.

لقد تعددت المرويات التي نسبت إلى الشافعي عن أسباب خروجه إلى اليمن ولعلنا نبـدأ بالرواية التـي وردت عن أحد تلاميذ الشافعي وهـو: "الحميدي"[٣] حيث قال : " قـدم والٍ علـى اليمن - يعنـي مكة - فكلمه بعض القرشيـين في أن أصحبه، ولم يكن عنـد أميَ ما تعطينـي أتجمل به،[٤] فرهنـت داراً، فتحملت معه، فلمـا قدمنا عملت له علـى عمل، فحمدت فيه فزادني"[٥]. والذي توحي به هذه الرواية أن الشافعي خرج إلى اليمن لطلب الولاية والبحث عن عمل في اليمن، وقد استغل بعض قرابة الشافعي وصول والي اليمـن إلى مكة فعرضوا عليه أمر الشافعـي وما هو فيه من العوز والفقر والحاجة إلى جانـب اليتم[٦]، ولا شك أنهم قد بينوا لوالي اليمـن ما يمتلكه الشافعي من قدرات

(١) أوردت كثـير مـن المصـادر التي تناولت سـيرة الإمام الشافعي الكثـير من الصفات مثـل الفطنة والذكاء والهمة العالية والعزيمة والسخاء وغيرها من الصفات التي تمكنه من القيام بمثل هذه الأعمال، وقد أشير إلى بعض منها في الترجمـة التي وردت في مطلع هذا البحث. وللمزيد انظر (الشيرازي: طبقات الفقهاء، ص٧١ -٧٣، ابن أبي يعلى: طبقات الحنابلة، ج٢، ص٢٦٣ - ٢٧٠) .

(٢) ابن أبي حاتم : آداب ومناقب الشافعي ، ص٣٠، أبو نعيم: حلية الأولياء، ج٢، ص٩٣ .

(٣) عبدالله بن الزبير بن عيسى بن حُميد العزي، الإمام الحافظ الفقيه، شيخ الحرم المعروف بالحميدي، ثقة كثـير الحديـث، مات بمكة سنة تسع عشرة وقيل ست عشرة ومائتين للهجرة . (انظر: ابن سعد : الطبقات الكبرى، ج٥،ص٥٠٢، الذهبي: سير أعلام النبلاء، جـ ١٠ ، ص٦١٦ - ٦٢١) .

(٤) يبدو أنه تحريف للكلمة ، الصحيح « أتحمل به " كما يتضح من السياق .

(٥) ابن حجر : توالي التأسيس، ص١٢٧ .

(٦) الفخر الرازي : مناقب الإمام الشافعي، ص٣٩ .

ومواهب تؤهله لإنجاح أي مهمة يكلف بها، خاصة بعد ما برز من ذكائه وفطنته[١] .

والسـؤال الذي يتبـادر إلى الذهن، من هو هذا الوالي الذي قدم مكة من اليمن؟ وفي أي سنة كان قدومه ؟ أما عن سنة قدومه فبالعودة إلى ما سبق ذكره في تاريخ رحلة الإمام الشافعـي إلى اليمن يظهر أن قدومه كان في النصف الثاني من سنة(١٧٩هـ/٧٩٥م)[٢] .أمـا الوالي الـذي اصطحب الشافعي إلى اليمـن فقد أعرضت المصـادر عن ذكر اسمه مباشـرة، حيث اكتفت بقول: " اتفـق أن والي اليمن قدم المدينـة، فكلمه بعض القرشيين في أن أصحبه"[٣] . واقترب البيهقي[٤] شيئاً ما لتحديد الوالي حيث أكد أنه من المطلبيين بقوله : " ثمَّ أن رجلاً من المطلبيين ولي بعض ناحية باليمن، فمشت أمي إلى بني أعمامي وسألتهـم أن يمشوا إليه ويسألـوه استصحابي ففعل ذلك " . ويؤكد ذلك ابن عبد البر[٥] بقوله : " وفد محمد بن إدريس على رجل من قومه باليمن، كان بها أميرا " .

وبالعـودة إلى المصـادر التاريخية التـي تناولت الحديث عن اليمـن وولاته في تلك الفـترة الزمنيـة يتضح أنها كانت فـترة اضطرابات شديدة، وثـورات مستمرة من قبل العلويـين وغيرهـم، وقد اضطـرت الخليفة هـارون الرشيد أن يجري تغيـيرات سريعة ومتواليـة للـولاة الذيـن يقـودون اليمـن، حيث يتبـين أن هـذه الفترة الممتـدة من عام (١٧٩هــ إلى عـام ١٨٤هـ) شهدت ولاية تسعـة ولاة للعباسيين أي بمعـدل سنة وبضعة أشهـر فقـط لكل وال. وهذا يدل علـى شدة الاضطراب في اليمـن[٦] . ولعل أقربهم إلي ذلك هو عبدالله بن مصعب الزبيري[٧] حيث كان الخليفة هارون الرشيد قد عينه والياً للمدينة واليمن[٨] يؤيد هذا ما روي عن الشافعي حيث قال: " ثمَّ أن رجلاً من المطلبيين

---

(١) أبو زهرة : الشافعي: حياته وعصره وآراؤه الفقهية، ص٣٣ – ٣٥ .

(٢) انظر: أعلام ، ص٦ .

(٣) الفخر الرازي : مناقب الإمام الشافعي، ص٣٩ .

(٤) مناقب الشافعي، ص١١١ .

(٥) الانتقاء، ص١٢٧ .

(٦) انظـر : الخزرجي : العسجـد المسبوك، ص٢٨ – ٢٩ ، ابن الديبع: قرة العيون ، ص١١٥ – ١١٨ ، الكبسي: اللطائف السنية، ص٣٢ - ٣٤ .

(٧) عبـد الله بـن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبـير ، والد مصعب بن الزبير كان مـن أهل مدينة رسول الله صلـى الله عليـه وسلم ومـن رواة الحديث، كـان جميلاً ، سريـاً ، محتشماً ، فصيحـاً ، مفوهاً ، محمود الولايـة ولاه الرشيـد إمارة اليمن وزاد معها ولاية عك وكانت عك إلى والي مكة ورزقه ألفي دينار كل شهر. انظر: الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج٨،ص١٧٥ ،الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٠، ص٥١٧ .

(٨) الذهبـي: تاريخ الإسلام ،ج٥، ص٩٠. دراسة تاريخ الأمراء (الولاة) في الطائف والسروات وبلاد اليمن خلال القرون الإسلامية الأولى من الموضوعات الجديدة التي لم تدرس، نأمل أن نرى أحد طلاب الدراسات العليا في قسم التاريخ بجامعة الملك خالد فيتخذه موضوعاً لرسالة ماجستير أو دكتوراه (ابن جريس).

ولي بعض ناحية اليمن، فمشت أمي إلى بني أعمامي، وسألتهم أن يمشوا إليه ويسألوه استصحابي ففعل ذلك"[١].

ويظهر أن الشافعي كانت تربطه بهذا الوالي القرشي روابط سابقة، ومعرفة قديمة[٢]، يؤيد هذا ما أخرجه الحاكم من طريق مصعب الزبيري قال : " قرأ الشافعي أشعار هذيل حفظاً ثم قال لي لا تخبر أحداً، وكان يسمر مع أبي من أول الليل إلى الصباح يتذاكران"[٣] والرواية هنا تفيد أن الشافعي كان على صلة وثيقة بعبدالله الزبيري، وأنهما كانا يسهران الليالي في منادمة الشعر وعلومه. فهل كان ذلك في مكة؟ أم كان في اليمن أثناء وجود الشافعي بها؟. هذا ما لم يتضح من المصادر التي تناولت هذا الموضوع. لكن الذي يتضح حسب هذه الرواية أن الشافعي خرج إلى اليمن بصحبة هذا الوالي حين خرج لطلب الولاية، وأن الوالي قد استعمله في أعمال كثيرة[٤]. أما في المرة الثانية فكان الذي اصطحبه إلى اليمن هو مصعب الزبيري، روى أبو نعيم[٥] عن الشافعي قال : "قال لي مصعب: إن هارون الرشيد كتب إليَّ أن أصير إلى اليمن قاضياً فتخرج معنا ... فخرج قاضياً على اليمن وخرجت معه".

أما الرواية الثانية عن سبب رحلة الشافعي إلى اليمن فهي ترتبط بالرواية الأولى إلى حد بعيد غير أنها تأخذ منحى اقتصادياً بارزا، حيث تذكر أن الشافعي كان يعاني من العوز والفقر والحاجة ، ويوضح ذلك الرازي[٦] بروايته عن الشافعي حيث يقول : "قال الشافعي، ولما مات مالك وكنت فقيرا، اتفق أن والي اليمن قدم المدينة " ويؤكد هذا العوز الذي عاشه الشافعي كثير ممن تحدث عن بداية الشافعي في طلب العلم، فيذكر البيهقي رواية عن الشافعي ... ، فقال : "كنت في حجر أمي وأنا غلام فدفعتني أمي إلى الكُتَّاب ولم يكن عندها ما تعطي المعلم ولم يكن عند أمي ما تشتري به قراطيس" إلى أن يقول : "ثم قدم والٍ على اليمن فكلمه بعض القرشيين أن أصحبه، ولم يكن عند أمي ما تعطيني أتحمل به، فرهنتْ دارا بستة عشر دينارا، وأعطتني، فتحملت بها معه"[٧]. ويروى أيضاً عن الشافعي أنه قال : "طلبت هذا الأمر – أي العلم – على ضيق من ذات اليد"[٨] .

(١) البيهقي : مناقب الشافعي، ص١١١ .
(٢) ابن حجر: توالي التأسيس، ١٢٧ .
(٣) ابن حجر : توالي التأسيس، ص٥٤ .
(٤) ابن حجر : توالي التأسيس، ص٥٤ .
(٥) حلية الأولياء، ج٩، ص٧١ .
(٦) مناقب الامام الشافعي، ص٣٩ .
(٧) البيهقي: مناقب الشافعي، ص١٠٦، وانظر عن ذلك أيضاً: ابن حجر : توالي التأسيس، ص١٢٧ .
(٨) البيهقي، مناقب الشافعي، ص١١١ .

ويفهم من هذه الروايات التي وردت لدى الكثير من المؤرخين والمؤلفين الذين تناولوا حياة الشافعي أنه كان يعاني من الفقر في مكة، وربما وجد في الخروج إلى اليمن مخرجاً من ذلك، وتحرفاً من حال إلى حال لعل الله أن يفتح له باب رزق يسد حاجته، ومن هنا وجد في وصول والي اليمن إلى مكة فرصة لتحقيق ذلك "فكلمه بعض القرشيين في أن أصحبه"[١] وخرج معه إلى اليمن[٢] . فاستعمله الوالي في بعض الأعمال التي لم تحدد – كما سبق بيانه – إلا أنها فيما يبدو أصبحت مصدر رزق ضمن للإمام الشافعي دخلاً يؤمن حاجته، ويرفع عوزه، يؤكد هذا ما ذكره كل من الفخر الرازي[٣] والبيهقي[٤] حيث ذكرا أن الشافعي قدم" من صنعاء إلى مكة بعشرة آلاف دينار"[٥]، وورد في رواية أخرى أنه قدم ومعه "عشرون ألف دينار"[٦]، وذكر ابن عساكر[٧] أنه قدم مرة ومعه ثلاثة آلاف دينار فدخل عليه بنو عمه وغيرهم فجعل يعطيهم حتى قام وليس معه شيء . ومع أن المبلغ الذي ذكر كبير جداً وقد يكون مبالغاً فيه إلا أنه يدل على أن الإمام الشافعي قد تحسنت حاله المالية في اليمن، وربما يكون مرد ذلك ليس إلى عطاء الولاية والأعمال الإدارية التي كلف بها، بل قد يعود إلى أنه كان يعمل في مجالات أخرى كالتجارة مثلاً؟

وتمدنا المصادر التي تناولت رحلة الشافعي إلى اليمن بسبب آخر من أسباب خروجه إلى اليمن، وهو يتعلق برغبته في طلب العلم وتحصيله، ولا غرو أن يرحل الشافعي – وهو المغرم بالعلم، الشغوف بتحصيله – إلى الآفاق للاستزادة من فضل العلم ومجالسة أساطينه رغم أن البيئة التي خرج منها – مكة المكرمة – هي بيئة العلم والعلماء بمختلف فنونه وتخصصاته إلا أنه يبدو أن هناك ما كان يدفع الشافعي إلى اليمن، فما هو العلم الذي سعى الشافعي إلى تحصيله في اليمن؟. ترد في هذا الباب عدد من الروايات التاريخية المتباينة . فابن أبي حاتم ينقل عن الحميدي قول الشافعي:

---

(١) الرازي : مناقب الإمام الشافعي، ص٣٩ .

(٢) ابن حجر : توالي التأسيس، ص١٢٧ .

(٣) مناقب الإمام الشافعي، ص٣٥٥.

(٤) مناقب الشافعي، ص١١٢، وانظر عن هذه الرواية كلاً من: أبو نعيم :حلية الأولياء ،ج٩، ص١٣٠. وابن عساكر: تاريخ دمشق، ج٥١، ص٢٦٧ .

(٥) ذكر الذهبي هذه الرواية غير أنه قال : «قدم الشافعي اليمن ومعه عشرة آلاف دينار» سير أعلام النبلاء، جـ١٠ ، ص٣٨ والذي يظهر أن هذه الرواية سقط منها حرف الجر (من) حيث النص «قدم من اليمن» إلى مكة لتتفق مع باقي الروايات، وفي تاريخ دول الإسلام قال: «قدم الشافعي صنعاء فضربت له خيمة ... «، ج٥ ، ص١٥٩ .

(٦) ابن حجر : توالي التأسيس، ص١٢٣ .

(٧) تاريخ دمشق: ج ١٥ ، ص ٢١٩ ،و انظر ابن حجر : توالي التأسيس، ص١٢٣ – ١٢٤ .

"خرجت إلى اليمن في طلب كتب الفراسة[١] ، حتى كتبتها وجمعتها " [٢] ويؤكد ذلك كل من أبي نعيم الأصفهاني[٣] والبيهقي[٤] والذهبي[٥] والصفدي[٦] وابن حجر[٧] . فإجماع هؤلاء الأعلام على تلك الرواية يؤكد أن الشافعي كان عنياً بطلب علم الفراسة والنجوم وحريصاً على تعلمه وأنه تعلمه حتى برع فيه، ولذلك وصفه ابن القيم[٨] بقوله: "والشافعي كان أفرس الناس، وكان قد قرأ كتب الفراسة وكانت له فيها اليد الطولى" وقال عنه : "وروى أن الشافعي كان عالماً بالنجوم[٩]" ، كما يؤكد أبو نعيم[١٠] ذلك بما يرويه عن ابن بنت الشافعي بقوله : "سمعت أبي يقول: كان الشافعي وهو حدث ينظر في النجوم، وما ينظر في شيء إلا فاق فيه" . ولعل هذا العلم – الفراسة – في زمن الشافعي كان بارزاً رغم ما قد يكون حوله من آراء فقهية مختلفة[١١] ، إلا أن إصرار الشافعي على تعلمه يدل على رواجه وانتشاره، لذلك سافر إلى اليمن لتعلم الفراسة وليتأكد من مدى صحتها، فقضى في اليمن ثلاث سنوات يتعلم ذلك العلم حتى أتقنه[١٢] .

ويبدو أن الإمام أراد أن يقف على مدى صحة وفائدة هذا العلم ومصداقية نظرياته، والتي يحكم أصحابها من خلالها على من يتعاملون معه، لذلك وفي طريق عودته من اليمن حدثت له قصة غريبة كانت سبباً في تأكده من صحة ذلك العلم بعد أن كاد أن يحرق كل الكتب التي كان قد جمعها في اليمن عن هذا العلم[١٣] . ورغم أن بعض المصادر تشير إلى أن الشافعي قد رجع عن هذا العلم "فجعل على نفسه أن لا ينظر فيه أبداً، ودفن تلك الكتب"[١٤] . إلا أن البعض الآخر يروي أن الشافعي ظل

(١) علم الفراسة: علم من العلوم الطبيعية تعرف به أخلاق الناس الباطنة من النظر إلى أحوالهم الظاهرة كالألوان والأشكال والأعضاء. أو هي الاستدلال بالخلق الظاهر على الخلق الباطن (انظر: الموسوعة الحرة ويكيبيديا) ar.wikipedia.org

(٢) ابن أبي حاتم : آداب الإمام الشافعي ومناقبه، ج٢، ص٩٦ .

(٣) حلية الأولياء، ج٩، ص ٧٧ – ٧٨ .

(٤) مناقب الشافعي، ج٢، ص١٢٦ .

(٥) سير أعلام النبلاء، ج١٠، ص٤٠ .

(٦) الوافي بالوفيات؛ ج٢ ، ص ١٢٣ .

(٧) توالي التأسيس ، ص٥٧ .

(٨) مفتاح دار السعادة، ج٢، ص١٨٨ .

(٩) مفتاح دار السعادة، ج٢، ص١٨٩ .

(١٠) حلية الأولياء، ج٩، ص٧٧ .

(١١) انظر عن ذلك : ابن القيم، مفتاح دار السعادة، ج٢، ص٢١٩ – ٢٢٢ .

(١٢) حسين يوسف : نشأة المذهب الشافعي وتطوره التاريخي، ص٥٠ .

(١٣) البيهقي : مناقب الشافعي، ج٢، ص١٣٤ .

(١٤) البيهقي : مناقب الشافعي، ج٢/ ص١٢٦، الذهبي : تاريخ الإسلام . ص١٦٦ .

يهتم بذلك العلم، وله به دراية تامة إلى آخر حياته[١] . ويذكر أن الشافعي تعلم على النجوم والحساب بها وكان يقول : "شيئان أغفلهما الناس، النظر في الطب، والعناية بالنجوم"[٢] . أما القفطي فذكر أن الشافعي رحل إلى اليمن لطلب العلم على يدي عالم اليمن "عبدالرزاق"[٣] ، وهو من علماء الحديث الكبار، والذي كان طلاب العلم يقصدونه من مختلف الجهات والأصقاع ، حدث القفطي عن "الربيع بن سليمان قال: حدثني محمد بن إدريس الشافعي قال: "رحلت إلى اليمن لأسمع من عبدالرزاق"[٤] وعليه يكون هدف الشافعي هو استكمال دراسة علم الحديث على يدي هذا العالم الكبير عبدالرزاق الصنعاني .

والغريب في الأمر أن المصادر المتقدمة لم تعد عبدالرزاق الصنعاني في مشايخ الإمام الشافعي الذين تلقى العلم عنهم، وإنما ذكرت أربعة من العلماء اليمنيين درس عليهم الشافعي لم يكن عبدالرزاق بن همام من بينهم[٥]. رغم أن ابن حجر[٦] قد عد له ما يقرب من ثمانين شيخاً من أكابر العلماء في عصره، ولم يعد الصنعاني من ضمنهم . ويذكر ياقوت[٧] رواية أخرى تفيد أن الإمام الشافعي خرج إلى اليمن يطلب علوم اللغة من شعر ونحو حيث يقول : " وأما طلبه للعلم فحدث الزبير بن بكار عن عمه مصعب بن عبدالله الزبيري أنه خرج إلى اليمن فلقي محمد بن إدريس الشافعي وهو مستحض في طلب الشعر والنحو والغريب، قال فقلت له: إلى كم هذا؟ لو طلبت الحديث والفقه كان أمثل بك وانصرفت به معي إلى المدينة... " والنص أعلاه يؤكد أن الإمام الشافعي اجتهد في طلب علوم العربية من شعر ونحو وسواها ، وقد برع في ذلك حتى كان يقضي الليل الطويل في مسامرة عبدالله الزبيري ومناشدة الشعر معه[٨].

---

(١) البيهقي : مناقب الشافعي، ج٢، ص١٣٦ .
(٢) أبو نعيم : ج ٩ ، ص٧٨ .
(٣) عبدالرزاق بن همام بن نافع الحميري، فقيه صنعاء، ولد سنة ١٢٦هـ، وتفنن في طلب العلم، وبرع فيه حتى أصبح مقصداً لطلاب العلم، ودرس بمكة المكرمة وغيرها. توفي سنة ٢١١هـ وقيل ٢١٢هـ . انظر: (ابن سمرة الجعدي: طبقات فقهاء اليمن، ص٦٧ – ٦٨) .
(٤) القفطي : المحمدون من الشعراء، ج١، ص٢٤ .
(٥) الخطيب البغدادي: تاريخ مدينة السلام، مج١، ص٣٩٣ ، البيهقي: مناقب الشافعي، ص١٠٥ – ١٠٨ ،وانظر الرازي : مناقب الإمام الشافعي، ص٤٤ ،.
(٦) توالي التأسيس : ص٦٢ – ٧١ .
(٧) معجم الأدباء، ج٦، ص٢٣٩٤ .
(٨) ابن حجر : توالي التأسيس، ص٥٤ .

وتؤكد الروايات التاريخية أن الشافعي " كان في ابتداء أمره يطلب الشعر وأيام الناس والأدب "[١] . وكان قد "قرأ أشعار هذيل حفظاً "[٢]، وبذلك برز في الشعر والرواية حتى بلغ الأمر أن راجع الأصمعي على شهرته عليه – أشعار هذيل ودققها من حفظ الشافعي[٣]. ولا غرو في ذلك فقد أثر عن الشافعي قوله : " أقمت في بطون العرب عشرين سنة آخذ أشعارها ولغاتها "[٤]، والذي يظهر أن الشافعي وهو يطلب أشعار العرب وأيامها ويتعلم الفصحى من قبائل العرب قد اتجه إلى اليمن وطلب ذلك لدى القبائل اليمنية وحرص عليه . وهي لا شك ممن تستقى منها اللغة الفصحى ، وكان ذلك في بداية طلبه للعلم وهو حدث السن[٥] .

رابعاً : بعض مشايخ الإمام الشافعي وأعماله في اليمن :

ذكرت المصادر[٦] أن الإمام الشافعي تلقى العلم في اليمن على أيدي مجموعة من العلماء وحددت عدداً من الأسماء كان أبرزها: **(١) مطرِّف بن مازن :** وهو أبو أيوب مطرف بن مازن الكناني بالولاء اليماني الصنعاني ولي قضاء صنعاء وهو من أهل الرواية والحديث توفي سنة (١٩١هـ/٨٠٦) [٧]. واختلف في روايته بين موثق له ومجرح في روايته ، وكان من الخطباء المعدودين في صنعاء[٨] وتتلمذ عليه الشافعي في صنعاء في رحلته لطلب العلم وروى عنه[٩]، وأكد الشافعي صحبته وأخذه عن مطرف حيث قال: "وقد كان من حكام الآفاق من يستحلف على المصحف وذلك عندي حسن، وقال : وأخبرني مطرف بن مازن بإسناد لا أحفظه أن ابن الزبير أمر بأن يحلف على المصحف، قال الشافعي – رضي الله عنه– " ورأيت ابن مازن – وهو قاضي صنعاء – يغلظ باليمين بالمصحف "[١٠] ، وهذا يؤكد طلبه الحديث على مطرف بن مازن . **(٢) ـ هشام بن يوسف :** وهو أبو عبد الرحمن هشام بن يوسف الصنعاني، الإمام الثبت قاضي صنعاء

---

(١) البيهقي : مناقب الشافعي، ص٩٦ .

(٢) البيهقي : مناقب الشافعي ، ص١٠٢ .

(٣) البيهقي : مناقب الشافعي : ج٢، ص٤٤ ، النووي : تهذيب الأسماء واللغات ج١، ص٥٠ ، الذهبي : تاريخ الإسلام ، ص١٥٤.

(٤) البيهقي : مناقب الشافعي، ج٢، ص٤٢ ، الذهبي : تاريخ الإسلام ، ص١٤٩ .

(٥) ابن سمرة الجعدي : طبقات فقهاء اليمن، ص١٥١ .

(٦) الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد، ج٢، ص٥٦ – الفخر الرازي : مناقب الإمام الشافعي، ص٤٤، ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج٥، ص٢٠٩ – ٢١٠. ابن حجر: توالي التأسيس، ص٦٢ – ٧١ .

(٧) ابن سعد : الطبقات الكبرى، ج٥، ص٥٤٨، ابن حجر: توالي التأسيس، ج٥، ص٢١١ .

(٨) الهمداني : صفة جزيرة العرب، ص٨٣ – ٨٤ .

(٩) الهمداني : صفة جزيرة العرب ، ص٢٠٩ .

(١٠) الهمداني : صفة جزيرة العرب، ص ٢١٠ .

وفقيههـا[١]. وهو من الأبناء، سمع معمراً وابن جريج، وهو من رواة الصحيح مات سنة (١٩٧هـ/٨١٢م)[٢]. ذكره في شيوخ الشافعـي كل من الخطيب البغـدادي[٣] والفخر الـرازي[٤]، والذهبـي[٥] والجندي[٦] وغيرهـم. ويعد هشام من أقـران عبدالرزاق بن همـام الصنعاني – عالم اليمن – " لكنـه أجل وأتقن"[٧] وكان من علماء اليمن الكبار في الفقـه والحديث، أشـار إلى ذلك عدد من المؤلفين، وتتلمذ علـى يديه عدد كبير من طـلاب العلم في عهـده[٨]. وروى عنه الإمــام الشافعي كما ذكر ذلــك كل من المزي[٩]، والسيوطـي[١٠]، والذهبي[١١]. مما يجـزم معه أن الشافعي تتلمذ علـى يديه، وأفاد من علمـه. وأضاف لهما الفخر الرازي[١٢] اثنــين آخرين عدهما في مشايخ الإمام الشافعي من أهل اليمن، وهما عمرو بن أبي سلمة – صاحب الأوزاعي–، ويحيى بن حسان[١٣] – صاحــب الليث بن سعد. وبتتبع ترجمة العلمين المضافين لدى الرازي يتضح أنهما ليسا من أهل اليمن، بل عمرو بن أبي سلمة دمشقي رحل إلى مصر واستقر بها[١٤]، ويحيى بن حسان فهو بصري رحل أيضاً إلى مصر ونزل تنيس فنسب إليها[١٥]، والمصادر[١٦] تذكر أن الشافعـي روى عنهمــا وربما يكون تلقى منهما في مصـر أو في الشام أو غيرهما. إلا أنهما ليسا من أهل اليمن فلعل الرازي وهم في جعلهما من أهل اليمن. بينما أضاف كل

---

(١) الذهبي: سير أعلام النبلاء، جـ٩، ص٥٨٠ – ٥٨٢.
(٢) ابن سمرة: طبقات فقهاء اليمن، ص٦٧.
(٣) تاريخ بغداد، ج٢، ص٥٦.
(٤) مناقب الإمام الشافعي، ص٤٤.
(٥) سير أعلام النبلاء، جـ١٠، ص٧.
(٦) السلوك في طبقات العلماء والملوك، ج١، ص١٣٨ – ١٣٩.
(٧) الذهبي: سير أعلام النبلاء، جـ٩، ص٥٨٠.
(٨) انظر عنه ابن سعد: الطبقات الكبرى: ٥٤٨/٧، ابن حجر: تهذيب التهذيب، ج١١، ص٥٢.
(٩) المزي، تهذيب الكمال، ص٢٦٨.
(١٠) السيوطي: طبقات الحفاظ، ج١، ص١٥٠.
(١١) الذهبي: العبر في خبر من عبر، ج١، ص٢٥٣ – ٢٥٤.
(١٢) مناقب الإمام الشافعي: ص٤٤.
(١٣) وورد اسمه عند الخطيب البغدادي بـ (يحيى بن أبي حسان) وعده في مشايخ الشافعي (تاريخ بغداد، ج٢، ص٥٦).
(١٤) الذهبي: سير أعلام النبلاء، جـ١٠/ ص١٢٧.
(١٥) الذهبي: سير أعلام النبلاء، جـ١٠، ص١٢٧، التهذيب، ج١١، ص١٩٧.
(١٦) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج٢، ص٥٦، ابن حجر: توالي التأسيس، ص٦٨، ٧٠.

مــن البيهقي[١] وابــن سمرة[٢] ،وابن حجر[٣] والذهبي[٤] علمــاً آخر هو محمد بن خالد الجندي[٥] وهو من علماء اليمن المعروفين فيمن روى عنهم الشافعي وتتلمذ عليهم.

من خلال استعراض المصــادر التي تناولت رحلة الإمام الشافعي إلى اليمن يتضح أنــه مارســ عدداً من المهام الإدارية والقضائية والماليــة خلال فترات وجوده في اليمن ، وذلك إلى جانب طلبه للعلم ، فأشار كل من البيهقي[٦] ، والفخر الرازي[٧] وغيرهما إلى أن مــن أسباب خروج الإمام الشافعي من مكة إلى اليمن البحث عن عمل وتوضح رواية تلميــذه الحميدي التي نقلها كل من المؤلفين السابقــين وكذلك ابن حجر[٨] وغيرهم أن الإمــام الشافعــي خرج مع والي اليمن للعمل معه، وأنه حين قــدم اليمن استعمله الوالي قال : " فلما قدمنا – أي اليمن – استعملني على عمل، فحمدتُ فيه فزادني عملي "[٩] . ولم تحــدد الروايــة نوع العمل الذي تولاه الإمام الشافعــي، ولا مكانه أيضاً. والذي يفهم مــن هــذه الرواية أن الوالي كلفــه بعمل أولي لعله قصــد منه اختبار قدراتــه وإمكاناته في القيــام بالأعمال الإداريــة . ومعرفة مدى قدرته على تسييرهــا ، ويظهر أن الشافعي حقــق نجاحاً في عمله الذي كلف به، ومن ثم زاد الوالي من الأعمال التي كلف الشافعي بهــا ، لذا قال الفخر الرازي نقلاً عــن الشافعي : " واستعملني في أعمال كثيرة، جهدت فيهــا[١٠] " . أمــا القفطي[١١] فقال : " استخدم في أحد الخــدم الديوانية باليمن، فتوجه وأقام متولياً مدة " .

وفي ظــل هــذا الإبهام من المصــادر يتعذر الجــزم بتحديد المهمة التــي أوكلت إلى الشافعــي في اليمــن خلال هذه الفــترة، إلا أنها من مهــام الديوان . وبمــا أن الشافعي مــن طلاب العلــم – والعلم الشرعي تحديــداً – فإذا قرنا ذلك مــع الرواية التي تقول أن قاضــي اليمن مصعب الزبــيري هو من اصطحبه معه إلى اليمن أمكن القول أن تلك

(١) مناقب الشافعي: ج٢، ص٣١٣ .
(٢) طبقات فقهاء اليمن، ص٦٦ -٦٧ .
(٣) توالي التأسيس، ص٦٩ .
(٤) سير أعلام النبلاء، ج١٠، ص٦٧ .
(٥) انظر ابن سمرة: طبقات فقهاء اليمن، ص٦٦ -٦٧ .
(٦) مناقب الشافعي، ص١٠٦ .
(٧) مناقب الإمام الشافعي، ص٣٩ .
(٨) توالي التأسيس، ص ٦٩ .
(٩) البيهقي : مناقب الشافعي، ص١٠٦ .
(١٠) مناقب الشافعي ، ص٣٩ .
(١١) المحمدون من الشعراء، ج١، ص٤٠ .

المهمة كانت تتعلق بالقضاء وأموره، ولعلها تتصل بسجلات القضاء في المحكمة[١] ، وأياً كانت طبيعة العمل الذي كلف به فقد أجاد الإمام الشافعي أداء العمل الذي كلف به بشكل جعل الناس تتناقل سيرته وعدله في عمله، وتثني عليه في ذلك ، حتى بلغ الثناء عليه مكة مع القادمين من اليمن. يقول الشافعي : "وفد الناس في شهر رجب – إلى مكة – فأتوا عليَّ فطار لي به ذكر" [٢] .

وقد وصل ذلك الثناء إلى شيوخه في مكة المكرمة[٣] ، ورغم سرورهم بذلك، وسعادتهم بما حققه تلميذهم، إلا أن منهم من عاتبه على تركه لطلب العلم، ودخوله في الأعمال الإدارية ونحوها، مما رأوا أنه سيكون عائقاً له في التحصيل العلمي فنصحوه بالابتعاد عنها والتفرغ لطلب العلم وتحصيله لما رأوا من نبوغه وقدرته، حيث قال له شيخه سفيان بن عيينة – محدث مكة وعالمها – " قد بلغني حسن ما انتشر عنك، وما أديت كل الذي لله عليك فلا تعد"[٤]، أما شيخه مسلم بن خالد الزنجي – قاضي مكة – فقد زجره ووبخه ولم يرد السلام عليه وقال له: " أحدهم يجيئنا حتى إذا ظننا أنه يصلح أفسد نفسه"[٥] ، وكان ذلك من حرصه الشديد على أن يواصل الشافعي طلب العلم والتفرغ له لما عرف من نباهته وذكائه .

خامساً : الإمام الشافعي في نجران :

حقق الإمام الشافعي نجاحاً وتميزاً في الأعمال الديوانية التي كلف بها ، ولذلك رأى والي اليمن أن يستفيد منه في مهام أعلى، لذلك وجهه إلى نجران قاضياً يقول الشافعي : "ثم وليت نجران وبها بنو الحارث بن عبد المدان[٦]، وموالي ثقيف، وكان الوالي إذا أتاهم صانعوه، فأرادوني على ذلك، فلم يجدوا ذلك عندي، وتظلم عندي ناس كثير"[٧]. وباشر الإمام الشافعي مهام عمله قاضياً في نجران. ولم توضح المصادر السنة التي باشر فيها تلك المهمة بالتحديد إلا أنه يظهر من سياق النصوص أنه توجه إلى نجران بعد مدة من الزمن قضاها في الخدمة الديوانية . وحين وصل الشافعي إلى

---

(١) حسين يوسف: نشأة المذهب الشافعي وتطوره تاريخياً، ص٥٢ .

(٢) السبكي : طبقات الشافعية الكبرى، ج٢، ص١٢٠ ، ابن حجر توالي التأسيس، ص١٢٧ .

(٣) البيهقي ، مناقب الشافعي، ج١، ص١٠٦ .

(٤) البيهقي، مناقب الشافعي، ص١٠٦ . السبكي: طبقات الشافعية الكبرى، ج٢، ص١٢٢ .

(٥) أبو نعيم : حلية الأولياء، ج٩، ص٧٥ .

(٦) بنو الحارث بن عبد المدان: هم بنو الحارث بن كعب بن عمرو، قبيلة قحطانية تسكن نجران ، ومن بطونهم بنو عبد المدان (انظر: ابن السائب الكلبي: نسب معد واليمن الكبير، ج١، ص٢٦٨ – ٢٧٥. ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ص٤١٦ – ٤١٧ ، كحالة : معجم قبائل العرب، ج١، ص٢٣١ .

(٧) البيهقي: مناقب الشافعي، ج١، ص١٠٦ . السبكي : طبقات الشافعية الكبرى ، ج٢، ص١٢٣.

نجران واجه مشكلتان الأولى تمثلت في والي اليمن الذي أشارت بعض المصادر أنه كان سيء السيرة وأنه كان يرتكب المظالم -كما سيأتي بيان ذلك لاحقاً. وأما المشكلة الثانية فهي التي ذكرها الشافعي في النص أعلاه . إذ حاول ذوو النفوذ والمصالح الخاصة في نجران مصانعة الشافعي كما اعتادوا أن يفعلوا مع بعض من سبقه من الولاة والحكام في بلدهم حتى يستطيعوا الإبقاء على مصالحهم[1]، غير أن سعيهم فشل، ومكرهم بطل، فلم يجدوا ذلك عند الشافعي، ولا استجاب لإغرائهم واستمالتهم، وصمم على إنفاذ الحق دون مواربة ولا مجاملة .

يبدو أن ضغط أولئك المتنفذين تواصل على الشافعي مما جعله يلجأ إلى طريقة خاصة لإجراء الأحكام والتأكد من نزاهة الشهود في القضايا التي تعرض عليه وتوثيقهم لذلك، يقول الشافعي وهو يبين تلك الطريقة التي لجأ إليها "فجمعتهم وقلت : اجتمعوا على سبعة منكم رجال عدول، من عَدَّلُوه كان عدلاً، ومن جَرَّحوه كان مجروحاً، فاجتمعوا على سبعة منهم، فجلست، وقلت للخصوم : تقدموا، وأجلست السبعة حولي فإذا شهد شاهد التفت إلى السبعة فقلت : ما تقولون في شهادته ... "[2] . وبذلك رد الإمام الشافعي الأمر إلى الثقات منهم، وحملهم بذلك مسؤولية الشهادة وقبولها مع عدمه . ولا تسعفنا المصادر بمادة واضحة لتحديد المدة الزمنية التي قضاها الشافعي متولياً لقضاء نجران، غير أنه يمكن القول أنه قضى ما يقرب من خمس سنوات في مجمل هذه الأعمال من " الخدمة الديوانية" إلى قضاء نجران، وذلك خلال المدة التي اتفق المؤرخون أنه قضاها في رحلته هذه إلى اليمن أي من نهاية سنة (١٧٩هـ/٧٩٥م) بعد وفاة الإمام مالك إلى سنة حمله من اليمن وهي (١٨٤هـ/٨٠٠م)[3].

ورغم حسن سيرة الإمام الشافعي في أداء الأعمال التي كلف بها في اليمن سواءً في الأعمال الديوانية أم في القضاء والتي شهد له بها الكثير من أهل اليمن حتى تحدث بها في المواسم في مكة وصلت إلى مشايخه في كل من مكة والمدينة، إلا أن ذلك لم يرق لبعض أصحاب المصالح الخاصة الذين رأوا في سلوك الإمام خطراً على مصالحهم، ومن ثمَّ قرروا التخلص منه، فتأمروا عليه لدى الوالي الذي بدوره سعى به إلى الخليفة،

---

(١) للمزيد من التفصيلات عن تاريخ الإمام الشافعي والياً وقاضياً في نجران . انظر: غيثان بن جريس. نجران، دراسة تاريخية حضارية (ق١ق١٤هـ/ق١-ق١٠م) (الرياض: مطابع الحميضي، ١٤٣٤هـ/٢٠٠٣م) (الطبعة الثانية) (الجزء الأول) ص١٦٦-١٦٩.

(٢) انظر: ابن أبي حاتم : آداب الشافعي ومناقبه، ص٢٤ – ٢٥ ، أبو نعيم : حلية الأولياء ، ج٩، ص٧٦ – ٧٧ ، البيهقي: مناقب الشافعي، ص١٠٦ ، ١٠٧ . وأيضاً ابن جريس، نجران، ج١ ،ص١٦٨.

(٣) عبدالغني الدقر : الإمام الشافعي . ص٩٣ – ٩٧ .

وكانـت التهمة المكـرورة جاهزة لتلصق بالإمـام الشافعي ، حيث كتـب والي اليمن إلى الخليفـة يخوفه من بعض العلويـين ويذكر له شأن – الشافعي – ويقول" إن رجلاً يقال لـه محمد بن إدريس[١] ، يعمل بلسانه ما لا يعمل المقاتل بسيفه، فإن كانت لك بالحجاز حاجة حملهم منها "[٢] .

وأي تهمـة أخطر وأجل من المساس بأمن الدولة ومحاولة الخـروج عليها، أو الميل والتأييـد للخارجـين ضدها، لذلك وصل الأمـر الخليفي العاجل أن يحمـل هؤلاء النفر جميعـاً بأسـرع وقـت إلى بغداد : "فـورد الكتاب فحملـت أنا والطالبـي وجماعة معنا، فأدخلنـا على هـارون عشرة عشرة ... "[٣] . وهذه الرواية تذكـر أن حمل الشافعي إلى بغـداد كـان من الحجاز وليس مـن اليمن، ويؤيد هذه الرواية ما ذكـره ابن عبد البر[٤] حيـث يروى بسند عن المزني عن الشافعي قال: "رفـع إلى هارون الرشيد أن بمكة قوماً مـن قريش، استدعوا رجـلا علوياً كان باليمن ثـم قدم مكة مجـاوراً، فاجتمع إليه من قريـش فتيـة جماعة يريدون أن يبايعوه ويقوموا به، فأمـر الرشيد ، أن يُكتب إلى عامله بمكة: أن يبعث إليه من مكة ثلاث مائة رجل، كلهم من قريش مغلولة أيديهم إلى أعناقهم قـال الشافعي، فأشخصت فيمن أشخص مغلولاً" . كما يورد المؤلف الرواية ذاتها بسند مختلف عن السابق وإن كان فيها إيهام وتروى بالمعنى. مفادها أنه نقل من الحجاز[٥] . وعلى هذا يكون موطن حمل الشافعي إلى بغداد من مكة أو الحجاز، ولكن التهمة والكيد بـه إنما كان من قبل بعضـ أهل اليمن فقد تابعته التهمة وحرصـ حساد الإمام[٦] على تتبعه للإيقاع به وإن كان خارج اليمن .

أمـا الروايـة الأخرى فتؤكد أن حمله إلى بغداد كان مـن اليمن حيث يؤكد ذلك أبو حاتم الرازي[٧] ، كما يؤكده أبو نعيم[٨] بقوله: "ذكروا أن الشافعي لما أحضر مع العلويين

(١) أي مـع الثائـر العلـوي ولم تتفق المصادر علـى اسم واحد لهذا الثائـر فالبعض يقول عبـد الله بن الحسن والبعضـ يقول يحيـى بن عبد الله الحسن، والبعض يقول يحيى بن الحسـين وهكذا، والفترة ذاتها شهدت اضطراباً شديداً وعدداً كبيراً من الثورات (انظر : أبو نعيم الحلية، ج٩، ص٨٦) .

(٢) البيهقي، مناقب الشافعي، ص١١٢ .

(٣) البيهقي، مناقب الشافعي، ص١١٢ .

(٤) الانتقاء في فضائل الأئمة الثلاثة الفقهاء، ج١، ص١٥٣ .للمزيد: انظر، ابن جريس ، نجران،ج١، ص١٦٩.

(٥) ابن عبد البر : الانتقاء، ص١٥٤ .

(٦) آداب ومناقب الإمام الشافعي، ص٢٥، ٢٦ .

(٧) آداب ومناقب الإمام الشافعي، ص٢٦ .

(٨) أبو نعيم : حلية الأولياء، ج٩، ص٦٨ .

من اليمن" ، ويؤكده أيضاً كل من الفخر الرازي[١] والذهبي[٢] وغيرهما . وعليه فإن هذه الرواية هي الرواية الأقوى وذلك لكونها تعود إلى مصادر أقدم، وتواضع عليها عدد كبير ممن كتب عن محنة الإمام الشافعي . وإذا كانت المصادر قد اختلفت في موطن نقل الشافعي إلى بغداد بعد اتهامه بتأييد الخارجين على الخليفة فإنها اتفقت على أن نقله إلى بغداد كان في سنة (١٨٤هـ/ ٨٠٠م)[٣] .

وتختلف المصادر بعد ذلك في تحديد المسؤول المباشر عن اتهام الشافعي، فترد رواية مفادها أن قاضي اليمن مطرف بن مازن هو الذي كتب إلى الرشيد يقول له : "إن أردت اليمن لا تفسد عليك فأخرج عنا محمد بن إدريس" وهذه الرواية ذكرها أبو نعيم[٤] ونقلها عنه آخرون من أبرزهم الذهبي[٥] ، وابن حجر[٦] والسبكي[٧] وإذا صحت هذه الرواية فلعلها تكون من باب المنافسة بين الأقران، رغم أن الشافعي كان من تلاميذ مطرف ودرس على يديه ، وفي نص الرواية ما يوحي بشيء من الغيرة التي ربما شعر بها مطرف تجاه الشافعي، وذلك لكثرة الجالسين له، وبروز شخصيته بشكل جعل طلاب العلم يميلون إليه فيما يبدو حيث يقول الشافعي " فلما صرنا إلى اليمن وجالسنا الناس كتب مطرف بن مازن إلى هارون الرشيد "[٨] . أما الرواية الأخرى فذكرت بصيغة المجهول، ولم تحدد شخصاً بعينه سعى بالشافعي حيث وردت مرة بصيغة "رُفع إلى هارون الرشيد ... "[٩] ، وفي أخرى " ثم أن الحساد سعوا بي إلى هارون الرشيد"[١٠] . ويظهر أن أصحاب هذه الرواية آثروا تجنب الخوض في تحديد المتسبب المباشر في هذه المحنة للإمام الشافعي نظراً لكثرة الروايات المنسوبة إلى الشافعي ذاته والمتضاربة فيما بينها .

---

(١) ابن حجر : توالي التأسيس، ص٥٤ .
(٢) سير أعلام النبلاء، ج١، ص٨٦ .
(٣) ابن حجر : توالي التأسيس، ص١٣١ .
(٤) أبو نعيم : حلية الأولياء، ٩/ ٧٠ .
(٥) سير أعلام النبلاء، ج١٠، ص٨٦ .
(٦) توالي التأسيس، ص١٢٨ .
(٧) تاج الدين السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، ج٢، ص١٢١ ، ١٢٢ .
(٨) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٠، ص٨٦ .
(٩) ابن عبدالبر : الاكتفاء، ص١٥٣ .
(١٠) الفخر الرازي : مناقب الشافعي، ص٣٩ .

أما الرواية الأكثر بروزاً عند المؤرخين وغيرهم فهي التي تجعل المتسبب في ذلك هو والي اليمــن حماد البربري ، فقــد روى البيهقي[١] قول الشافعي " وكان بها – أي اليمن – من قواد هارون رجل يقال له حماد البربري، فكتب إليه يخوفه شأن العلويين ويقول: إن معــه رجــلاً يقال له محمد بــن إدريس، يعمــل بلسانه ما لا يعمل بسيفــه... " . وذكر الحمــوي[٢] رواية ترفع إلى الشافعي قال: "ثم خرجــت إلى اليمن فارتفع لي بها الشأن وكــان بها والٍ مــن قبل الرشيد، وكان ظلوماً غشوماً....فكتــب الوالي إلى الخليفة يقول إن ناساً من العلوية قد تحركوا وإني أخاف أن يخرجوا، وإن ها هنا رجلاً من ولد شافع المطلبــي لا أمر لي معه ولا نهي، قال : فكتب إليه هارون أن احمل هؤلاء واحمل الشافعي معهــم، فقرنت معهم " . كمــا روى ابن حجر[٣] بسند إلى الإمــام الشافعي قوله : "كتب حمــاد البربري إلى الرشيد : إذا كانت لك حاجة قبلنا – يعني باليمن – فاحذر محمد بن إدريس فإنه قد غلب على ما قبلي، ولو أراد الخروج لم يبق أحد إلا اتبعه، قال فحملت إلى الباب، واجتمع عليَّ أصحاب الحديث" . واختلاف النص في هذه الروايات يظهر أن ذلــك الوالي قد كرر الكتابــة إلى الخليفة في شأن الشافعي عدة مرات ، وبصيغ مختلفة ، وكلهــا تتضمــن التحذير منه ، وقوة تأثيره في الناس . وعلى هذا تكون هذه الرواية هي الأبرز والأظهر فيمن كان السبب في اتهام الشافعي وحمله مقيداً من اليمن إلى بغداد .

أمــا عن سبب هــذه الوشاية فقد وردت عــدة روايات تنســب إلى الشافعي تفيد أن ذلــك الوالي كان "ظلومــاً غشوماً، وكنت ربمــا أخذ على يديه وأمنعه مــن الظلم" كما يقــول الشافعــي[٤]، ولعل هذا ما أوغــر صدر ذلك الوالي، وقــرر التخلص من الشافعي من اليمن. وبما أن الإمام الشافعي كان يظهر مودته ومحبته لآل البيت – كما هو منهج الأئمــة – دون غلــو ولا مغــالاة في موالاتهم[٥]، فلعل الوالي – حمــاد البربري – وجد في ذلــك مبرراً يستطيع من خلالــه أن يقنع الخليفة بضرورة إخــراج الشافعي من اليمن، لذلك وجه إليه تهمة موالاة العلويين، والخروج مع الثائر العلوي باليمن .

والــذي يظهر من مجمــل الروايات في هذا الموضوع أن الرغبــة في إخراج الشافعي مــن اليمــن لم تكــن لدى الــوالي فحســب وإنما كانــت أيضاً لــدى بعض الذيــن كرهوا

---

(١) مناقب الشافعي، ص١١٢ .حبذا أن تدرس حياة الإمام الشافعي في نجران واليمن في هيئة كتاب ،أو رسالة علمية، ومن يفعل ذلك فسوف يسدي للمؤرخين والباحثين معروفاً كبيراً. (ابن جريس) .

(٢) معجم الأدباء، ج٦، ص٢٣٩٦ .

(٣) توالي التأسيس، ص١٢٩ .

(٤) ياقوت : معجم الأدباء، ج٦، ص٢٣٩٦، وابن حجر: توالي التأسيس، ص١٢٩ .

(٥) انظر المناقشة المستفيضة التي عقدها الفخر الرازي عن اتهام الشافعي بالتشيع وإبطاله لتلك التهمة بأدلة واضحة (مناقب الإمام الشافعي ص ٣٥-٣٩). للمزيد انظر: ابن جريس، نجران،ج١، ص ١٦٨-١٦٩.

طريقـة ومنهج الشافعـي في القضاء بنجـران، ونتيجة لعدم استجابـة الشافعي لهؤلاء الذيـن أرادوا أن يصانعهـم، وأن يغض الطرف عن بعض تجاوزاتهم، لذلك خرجوا من نجـران واتجهوا إلى مكة، وأخذوا يكيدون للشافعـي ويدبرون له التهم . قال الشافعي : "فخرجوا إلى مكة، وعملوا في أمري حتى رفعت إلى العراق"[(١)] . ولعل مكر وسعي أولئك الناقمـين علـى الشافعي في نجران كـان هو الأشد والأنكى، إذ حرصـوا – فيما يبدوا- علـى إيغار صدر الوالي من حين وصوله ضد الشافعـي ، وأخافوه منه، مما جعل الوالي يكتـب في شأنه إلى الخليفة، حيـث النص في هذا واضح وصريـح، يضاف إلى ذلك أن حمـاداً البربري ولي اليمـن في ذات السنة التي حُمل فيها الشافعي إلى بغداد وهي سنة (١٨٤هـ/٨٠٠م) . مما يجعل العلاقة مع الشافعي قصيرة جداً، بل لقد حدد الطبري[(٢)] الشهر الذي عين فيه الرشيد حماداً على مكة واليمن وهو شهر جمادى الآخرة من سنة (١٨٤هـ) ، بينما حدد الفخر الرازي التاريخ الذي أدخل فيه الشافعي إلى بغداد "بليلة الاثنـين لعشـر خلون من شعبان سنة أربع وثمانين ومائـة "[(٣)]. وبذلك تكون الفترة التي عاصـر فيها الشافعي ولاية حماد على اليمن قصيرة جـداً لا تتجاوز الثلاثة أشهر على أطـول حال، وهذا على افتراض أن حماداً قد توجه إلى اليمن بعد تعيينه والياً على مكة واليمـن مباشـرة دون المكوث في مكـة . وأياً كان المتسبب فقد حمـل الشافعي من اليمن إلى العـراق نتيجـة تلك الوشاية التـي دبرها ضده أعداؤه وحاسـدوه، ليصل إلى بغداد موثقـاً في الحديد، ويمثل أمام الخليفة هارون الرشيـد الذي استجوبه عما اتهم به من تهم، فردها الشافعي بأدلة دامغة جعلت الخليفة لا يعفو عنه فحسب، بل يصله ويكرمه، ويصبح من جلسائه ووعاظه[(٤)].

يذكـر البيهقـي[(٥)] أن الخليفة هارون الرشيد " طلب رجـلاً يقوم بصدقات اليمن، فأشـار عليـه محمد بـن الحسن بالشافعي، وقـال: هو رجل فقيه عـالم، ويجمعه وأمير المؤمنـين عبـد مناف بـن قصي فقـال الرشيد: عليَّ بـه " ، ثم ذكر خروجـه إلى اليمن وإقامتـه بهـا حولاً كاملاً. ويبدأ البيهقي[(٦)] هذه الروايـة بقوله : "أن الرشيد بعدما عفا عـن الشافعـي في الكـرة الأولى طلـب رجلاً ... " وهـذا يشـير إلى أن الشافعي كان قد

---

(١) البيهقي : مناقب الشافعي، ص١٠٧ . السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، ج٢، ص١٢٠ .
(٢) تاريخ الأمم والملوك، ج١٠، ص٧٠ – ٧١. وكانت ولاية حماد من ١٨٤ – ١٩٢هـ .
(٣) الفخر الرازي، مناقب الشافعي، ص٧١ .
(٤) ابـن عبدالـبر : الاكتفـاء، صـ١٥٣ – ١٥٤ ، الفخر الرازي : مناقـب الشافعي، صـ٧١ – ٧٣ . انظر: ابن جريس ، نجران ، ج١، ص ١٦٩ .
(٥) مناقب الشافعي، ج١، ص١٤٢ .
(٦) مناقب الشافعي، ج١، ص١٤٢ .

حدث بينه وبين الرشيد سواءً من قبل وأن الخليفة هارون الرشيد قد عفا عنه في الكرة الأولى" وأعــاده الآن إلى اليمــن جابياً للصدقات من أهــل اليمن . ولم يبين البيهقي في حديثه هذا ما هي الكرة الأولى التي يعنيها بقوله: "قد عفا عنه في الكرة الأولى" ولعله يقصــد بذلك نقل الشافعي إلى الرشيد متهماً بالخــروج مع أحد الثوار العلويين وهو ما اتهــم بــه في المرة الأولى كما سبق بيانــه . ويورد البيهقي[١] هــذه الرواية بصيغة أخرى حيث يقول : " أراد هارون الرشيد أمير المؤمنين أن يوجه جباة أمناء إلى اليمن، فجعلوا يطلبــون أمنــاء صالحين فجمع ستة نفــر، وضممت عليهم وأنا أصغرهــم سناً، فوجهنا إلى اليمــن في جباية خراجهــا، فجعلنا نأخذ من أغنيائها فنرد علــى فقرائها استعمال حديث النبي – صلى الله عليه وسلم – حين بعث معاذاً إلى اليمن". وقد أمضى في تلك المهمــة حولاً كاملاً . وتؤكد الرواية على أن الإمام الشافعي سار في جبايته لخراج اليمن بســيرة معاذ بن جبل حينما بعثه النبي عليه الصلاة والسلام والياً على اليمن[٢]، حيث كان يجمع الخراج مــن الأغنياء ويفرقه على الفقراء، ونظراً لكثرة الفقراء والمحتاجين فكــان الخــراج ينفد في اليمن ولا يتبقى منه شيء يرسل إلى الخلافة في بغداد[٣]. وهذا ما أثار حفيظة بعض المتنفذين في بلاط الخليفة، ومن ثمَّ اتهموا الشافعي ومن معه من الجبــاة بأنهم لا يراعون حــق خزينة الدولة في الخراج، وأنهــم لم ينفذون أمر الخليفة كمــا أمرهم ، وشككــوا في نزاهتهم، وربما استغلوا ذلك في الطعن في ولاء أولئك الجباة للخلافة . " فقيل لأمير المؤمنين: إن الجباة الذين بعثتهم لا يوجهون إلى بيت المال شيئاً فاغتــاظ لذلك، وقال يشخصــون إلينا. فرددنا . فلما رجعت أحسســت بالقتل، أو بأمر عظيــم "[٤]. ولذلك حمل الشافعي ومن معه من اليمن إلى بغداد وعرضوا على الخليفة للتحقيــق معهــم في الأمر . ورجح البيهقي أن السبب في ذلك هــو المال حيث قال : "وأن الغاية به وبأصحابه كانت لأجل المال"[٥] .

وتؤكــد هــذه الرواية أنه كان للشافعــي رحلة أخرى إلى اليمن كعامــل للخليفة على جبايــة الخراج، وإن كانــت الرواية لم تبين متى كانت هذه الرحلــة، إلا أن السياق الذي بــدأ به البيهقــي الرواية يدل على أن هذه الرحلة تالية لرحلة سابقة له إلى اليمن بدليل

---

(١) مناقب الشافعي، ج١، ص١٤٤ – ١٤٥ .

(٢) عــن تعيين معــاذ بن جبل – رضي الله عنه – على اليمن انظر: خليفة بــن خياط، تاريخ خليفة بن خياط، ص٩٧. ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج٢، ص٣٤٧ – ٣٥٠ . ابن هشام : السيرة النبوية، ج٤، ص٥٩٠ – ٥٩١ .

(٣) ابن الديبع : قرة العيون، ص١١٧ – ١١٨ .

(٤) البيهقي : مناقب الشافعي، ج١/ص١٤٢ .

(٥) مناقب الشافعي: ج١، ص١٤٤ .

قولـه "في الكـرة الأولى" . وللجمع بـين الروايات المتباينة في حمـل الشافعي إلى بغداد والتهـم التي وجهت إليه يمكن القـول أن الإمام الشافعي حمل متهماً إلى بغداد مرتين ، أما المرة الأولى فكانت بعد توليه مهمة القضاء في نجران ، وما اتسم به من صلابة وقوة أمـام أهل الأهواء والمصالـح الذين ساوموه على تلك المصالح فلـم يجدوا فيه مطمعاً ، ومن ثمَّ أخذوا يكيدون له بكل ما أوتوا ، وساندهم في ذلك الوالي الذي تعرض هو الآخر لنقـد الشافعـي علناً ومنعـه من الظلم والجـور . وهنا التقت مصلحة هـؤلاء جميعاً في إخراج الشافعي من اليمن، ومن ثمَّ اتهموه بالميل إلى العلويين، وطعنوا في ولائه للخليفة العباسـي هـارون الرشيد، وبذلك حمـل الشافعي في هذه المرة سـواءً كان موطن حمله اليمـن أو كـان قد غادرهـا إلى الحجاز ومكة قبـل أن يصل أمر القبض عليه، ومن ثمَّ قبض عليه وأرسل مكبلاً بالحديد إلى بغداد بتهمة عظيمة جداً كادت أن تؤدي بحياته . ولعل هذه المرة هي التي أشار إليها البيهقي[١] بقوله : "بعدما عفا عن الشافعي في الكرة الأولى" . أمـا المـرة الثانية التي حمل فيها الشافعي مـن اليمن إلى بغداد فقد كانت بعد أن اختـاره الخليفة ليكون ضمن الجباة الذين كلفوا بالخروج إلى اليمن لجباية الخراج من أهلهـا ، وهنا يصطدم الشافعي مرة أخرى بالمتنفذيـن وأصحاب المصالح والأهواء الذين لم يرق لهم منهج الشافعي ومن معه من الجباة في طريقة توزيع الأموال المحصلة مـن الخراج – رغم أنه سعـى في ذلك بالمنهج الذي أمر به النبي ﷺ – إلا أن ذلك لم يوفر لخزينة الدولة ما كانت تتوقعه من خراج اليمن، ومن هنا يبدأ أولئك النفر السعي بالشافعـي من جديـد لدى هارون الرشيد، وتكـون التهمة في هذه المـرة مالية صرفة "وأن الغايـة به وبأصحابه كانت لأجل المال"[٢] ، وإن كان لا يبعد أنها غلفت أيضاً بجانب سياسي، وعلقت على جانب الميل للعلوية هذه التهمة المستفزة للدولة بشكل مثير جداً .

(١) مناقب الشافعي، ج١، ص١٤٢ .

(٢) البيهقي، مناقب الشافعي، ج١، ص١٤٤ .

سادساً: الخاتمة

يتضـح من مجموع الروايات أنه كان للإمام الشافعي ثلاث رحلات إلى اليمن، أمـا الأولى فكانت لطلب العلم حيث طلب خلالها علوم العربية وأشعار العرب كما طلب علـم الفراسة ، حتى جمـع فيه كل ما وجده وأجاد فيه، كما درسـ الحديث والفقه على أيـدي عـدد من علماء اليمن الذيـن سبق ذكرهم من مشايخه باليمـن والذي يظهر أن هـذه الرحلة كانـت في فترة مبكرة من عمـر الإمام الشافعي، وأنهـا كانت قبل خروجه إلى المدينـة المنـورة ، في هذه الرحلة اهتـم بطلب الشعر وعلوم العربيـة وعلم الفراسة . ثـم انتقل من اليمـن إلى المدينة المنورة بصحبة قريبه مصعـب بن عبدالله الزبيري، يؤيد هذه الرواية التي أوردها الحموي[1] من أن مصعب الزبيري خرج إلى اليمن فلقي محمـد بـن إدريس الشافعي. قـال فقلت له إلى كم هذا؟ لو طلبـت الحديث والفقه كان أمثل بك، وانصرفت به معي إلى المدينة فذهبت به إلى مالك بن أنس " .

أمـا الرحلة الثانيـة فقد كانت فراراً من الفقر وطلبـاً للولاية والرزق وعمل خلالها في عدد من الأعمال الديوانية، وإن لم تحدد تلك الأعمال ولا مكانها من اليمن، ثم عمل بعدهـا قاضياً في نجران فحسنت سيرته بها، وظهـر عدله وحرصه على الإنصاف بين المتحاكمين[2] . وإن كان ذلك لم يسر بعض المتنفذين وأضر بمصالحهم، ولذلك سعوا به إلى والي اليمن الذي سعى بدوره عند الخليفة هارون الرشيد حتى حمل الشافعي مقيداً بالحديـد إلى بغـداد بتهمة محاولة الخروج على الدولة وتأييـد الثوار العلويين المناوئين للخلافـة العباسية . وقد ختمت تلك التهمة بالعفو عن الإمام الشافعي من قبل الخليفة حـين بيّن له عدم صحة تلك التهمة ، وكان للإمام محمد بن الحسن الشيباني دور كبير في تصحيح الصورة عن الإمام لدى الخليفة . أما الرحلة الثالثة فكانت في مهمة رسمية بتكليف مباشر من الخليفة ، وذلك حينما أراد الخليفة أن يعين جباة يتولون جمع الخراج مـن اليمن، فكان الإمام الشافعي أحد المختارين لهذه المهمة ، وأحسن السيرة في تنفيذ هـذه المهمة ، حيث سار فيها وفق مـا رسمه المصطفى (ﷺ) لمعاذ بن جبل (رضي الله عنـه) . غـير أن ذلك استنفد كل أمـوال الخراج، وبالتالي لم يقيضـ لهم ما يمدون به خزينـة الدولة مما جعل الوشاة يتهمون الإمام الشافعي ومن معه بعدم موالاتهم للدولة وميلهـم عنهـا إلى أعدائها من العلوية، لذلك حمل الشافعي مـرة أخرى من اليمن إلى بغداد بتهمة التقصير في جمع الخراج وعدم الوفاء للخزينة بما كانت تنتظره من أموال

---

(١) معجم الأدباء ج٦، ص٢٣٩٤ .

(٢) الفخر الرازي، مناقب الإمام الشافعي، ص٣٩ . انظر: ابن جريس ، نجران،ج١، ص١٦٨-١٦٩.

اليمـن، ثـم قرنت بميله إلى العلويين ضـد الدولة، تلك التهمة التـي كانت تثير حفيظة الخليفة بشكل كبير والتي ذهب في أتونها الكثير .

ويتضح من مجمل الروايات أن الشافعي كما طلب العلم في اليمن وجلس في حلقات العلماء والمشايخ الذين تتلمذ على أيديهم في اليمن، فهو أيضاً كان يجلس للناس، ويلقي الدروس والمواعظ، و مال إليه الناس وأحبوه، وكثرت الجموع حوله . إلا أن الأمر الغريب أن المصادر التي تمكنت من الاطلاع عليها لم تذكر أحداً من تلاميذ الشافعي في اليمن، كمـا لم تشـر إلى أي من المؤلفات التي يمكن أن يكـون قد كتبها خلال هذه الفترة، ولعل ذلـك يدعو إلى القول أن الشافعي في هذه المرحلـة لا زال في بداية طلبه للعلم، ولم يكن قـد بلـغ مرحلة التأليـف، رغم أن المصـادر تذكـر أن الشافعي أفتى بمكـة وهو في سن صغـيرة. وربمـا يكون لتركيز الشافعـي أثناء وجوده في اليمن في رحلـة طلبه للعلم على تعلم علوم الفراسة والنجوم ثم رجوعه عن ذلك وإتلافه لما جمعه من كتبها – كما ذكر البعضـ – دور في ذلـك الإعراض للمصادر . وأشارت المصـادر أيضاً إلى أن الشافعي قـدم مـن اليمن وهو يحمل مبالغ مالية كبيرة، عشـرة آلاف إلى عشرين ألف دينار[١] ، وكان ذلك في مرات مختلفة، وبما أن الأعمال الرسمية التي كلف بها الشافعي في اليمن مثـل: الديوان ، والقضاء ، ليست مظنـة جمع مثل هذه المبالغ الكبيرة، وإلى جانب ذلك أكـدت المصـادر أن الشافعي كان قليل المال بل كان فقيراً معدما ، كما كان سخياً معطاءً إذا توفـر المـال عنده، فإن هذا يدعو للتساؤل هل كان للشافعي مصدراً آخر للدخل، هل كـان مثـلاً يعمل في التجارة خاصة وأنه قد ورد عن الشافعـي قوله : " أفلست في عمري ثلاث إفلاسات، فكنت أبيع قليلي وكثيري، حتى حليَّ ابنتي وزوجتي، ولم أرهن قط"[٢] . وروى صاحـب الحليـة[٣] عن الشافعي قوله " أفلست في دهري ثلاث مرات، وربما أكلت التمـر بالسمـك" . ووردت لـدى الذهبي[٤] رواية نصها " كـان الشافعي أسمح الناس، يشـتري الجاريـة الصَّناع التـي تطبخ وتعمل الحلواء ... الخ " . ولعـل في هذا إيحاء أنه كـان له مصدر رزق يعتمد عليه غير الوظائف والهبات، فالإفلاس لا يكون للفقير . غير أن المصـادر لم تشر بشكل مباشر إلى شيء مـن هذا وبالتالي لا نستطيع الجزم بذلك. إلا أن ذلـك لا يمنع مـن القول أن الشافعي ربما قرن خروجـه إلى اليمن لطلب العلم أو الولاية والعمل بأهداف أخرى تخصه .

---

(١) ابن أبي حاتم الرازي : آداب الشافعي ومناقبه، ص٩٤ .

(٢) ابن أبي حاتم : آداب الشافعي ومناقبه، ص٩٤ .

(٣) أبو نعيم، ج٩، ص١٣٢ .

(٤) سير أعلام النبلاء، ج١٠، ص٣٩ .

سابعاً : قائمة المصادر والمراجع :

(*) **المصادر :**

١- البيهقــي : أبــو بكر أحمد بــن الحسين (ت ٤٥٨ هــ) . **مناقب الشــافعي** .تحقيق السيد أحمد صقر (مكتبة دار التراث ، القاهرة ، د.ت).
٢- الجعــدي : عمر بن علي بن سمــرة الجعدي (بعد ٥٨٦) . **طبقـات فقهاء اليمن**. تحقيق فؤاد سيد (دار القلم ، بيروت ، د.ت) .
٣- الجنــدي: أبو عبدالله محمد بن يوسف بن يعقوب الكندي (ت ٧٣٢ هـ) .**الســلوك في طبقـات العلماء والملـوك**، تحقيق محمد بن علي الاكوع (ط١ ، مكتبة الإرشاد، صنعاء، ١٤١٤ هـ / ١٩٩٣ م) .
٤- ابن الجوزي : جمال الدين أبو الفرج (٥٩٧ هـ) . **صفة الصفوة** . تحقيق: محمد أبو خوري و محمد رواس قلعه جي (دار المعارف حلب ١٩٧٠ م)
٥- ابــن حجر: الحافظ أبــو الفضل احمد بن علي العسقــلاني (ت ٨٥٢ هـ) . **تهذيب التهذيــب**. باعتنــاء إبراهيم الزئبــق وعادل مرشد (مؤسســة الرسالة ، بيروت ، د.ت)،
٦- ابــن حجر: الحافــظ أبو الفضــل أحمد بن علــي العسقــلاني (ت٨٥٢هـ) **توالي التأسـيس لمعالي محمد بن إدريس** ، تحقيق: أبو الفداء عبدالله القاضي (ط١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦ م) .
٧- ابــن حــزم: محمد بن علي بن احمــد بن سعيد الأندلســي (ت ٤٥٦ هـ) ، **جمهرة أنساب العرب** .دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١٨ هـ / ١٩٨٨ م) .
٨- الحمــوي : ياقــوت بن عبــد الله الحمــوي الرومي (ت ٦٢٦هــ) . **معجـم الأدباء** .تحقيق: إحسان عباس ، (دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٣م) .
٩- الحموي ، ياقوت. **معجم البلدان**(دار صادر ، بيروت، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م) .
١٠- الحمــيري: محمد بن عبدالمنعم الحمــيري (ت ٧٢٧ هـ) . **الروض المعطار في خبر الأقطار**.تحقيق حسين العباس (ط٢ ، مكتبة لبنان ، بيروت ، ١٩٨٤ م) .
١١- الخزرجــي: شمس الدين أبــو الحسن علي بن الحسن الخزرجــي (ت ٨١٢ هـ) . **العسجد المسبوك فيمن ولي اليمن من الملوك** . (طبعة ثابتة مصورة من المخطوط (١٤٠١ هـ/ ١٩٨١ م) .
١٢- الخطيب البغدادي : أبو بكر أحمد بن علي (ت ٤٦٣ هـ) . **تاريخ بغداد أو مدينة السلام** (دار الكتب العلمية ، بيروت ، د.ت) .
١٣- ابــن خلكان:أبو العبــاس شمس الدين أحمد بن محمد بــن أبي بكر (ت ٦٨١ هـ).

وفيات الأعيان و أنباء أبناء الزمان .تحقيق إحسان عباس (دار صادر ، بيروت، ١٣٩٧ هـ ، ١٩٧٧ م) .

١٤- ابـن خيـاط: أبو عمر خليفة بن خيـاط بن أبي هبيرة الليثـي (ت ٢٤٠هـ) . **تاريخ خليفـة بـن خياط** .تحقيـق أكرم ضيـاء العمري (بـيروت ، مؤسسـة الرسالة ، ١٣٩٧ هـ، ١٩٧٧ م) .

١٥- ابن الديبع : أبو الضياء عبدالرحمن بن علي الديبع الشيباني الزبيدي (ت٩٤٤) . **قـرة العيـون بأخبـار اليمن الميمون** .تحقيـق : محمد علي الأكـوع (ط١ ، مكتبة الإرشاد ، صنعاء ، ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦ م) .

١٦- الذهبـي: أبـو عبدالله محمـد بن أحمد بـن عثمان (٧٨٤ هــ) . **تاريخ الإسـلام ووفيـات المشـاهيروالأعلام** . تحقيـق: بشار عـواد (ط ١، دار الغرب الاسلامي، ١٤٢٤/ ٢٠٠٣م.)

١٧- الذهبي، أبو عبد الله. **سـيرأعلام النبلاء** .تحقيق: محمد نديم العرقوسي(ط ٨ مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢ م) .

١٨- الذهبـي ، أبو عبـد الله. **ميزان الاعتـدال في نقد الرجـال** .تحقيق: علي محمد البجاوي (دار المعرفة، بيروت، ١٣٨٢هـ/ ١٩٦٣ م) .

١٩- الـرازي : أبو محمـد عبدالرحمن بن أبي حاتم الرازي (ت ٣٢٧) .**آداب الشـافعي ومناقبه**، تحقيق: عبدالغني عبدالخالق (ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٤ هـ/٢٠٠٣م).

٢٠- الفخـر الرازي: فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين (ت ٦٠٦) . **مناقب الإمام الشافعي**. (ط١ ، القاهرة ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م) .

٢١- السبكـي : تاج الديـن عبدالوهاب بن علي بن عبدالكـافي (ت ٧٧١ هـ) . **طبقات الشافعية الكبرى** ، تحقيق : عبدالفتاح الحلو ، محمود محمد الطناحي) .

٢٢- ابن سعد: محمد بن سعد (ت ٢٣٠ هـ) . **الطبقات الكبرى** (دار صادر، بيروت، د.ت) .

٢٣- السيوطـي: جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر (ت ٩١١ هـ) . **طبقات الحفاظ**. (ط١، دار الكتب العلمية، بيروت ، ١٤٠٣هـ ١٩٨٣ م)

٢٤- الشيرازي: أبو إسحاق إبراهيم بن علي بن يوسف الشافعي (ت ٤٦٧ هـ) . **طبقات الفقهاء**. تحقيق: إحسان عباس (دار الرائد العربي ، بيروت د.ت)

٢٥- الطـبري : محمـد بن جريـر (ت ٣١٠ هـ) . **تاريخ الامم و الملـوك** .(دار الفكر ، ١٣٩٩ هـ ، ١٩٧٩ م) .

٢٦- الصفدي : صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي (ت ٧٦٤ هـ) . **الوافي بالوفيات**. تحقيـق أحمد الأرناووط وتركي مصطفى(ط١ ، دار احياء التراث العربي،١٤٢٠ هـ / ٢٠٠٠ م) .

٢٧- ابن الصلاح : أبو عمرو بن عبدالرحمن الشهرزوري (ت ٦٤٣ هـ) . **علوم الحديث المعروف بمقدمة ابن الصلاح** ، تحقيق: نور الدين عتر (دار الفكر ، دمشق، ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٠ م) .

٢٨- ابـن عبد البر: أبـو عمر يوسف بـن عبد الـبر الأندلسي (٤٣٦هــ). **الانتقاء في فضـائل الأئمـة الثلاثـة الفقهـاء**، اعتنـى به: عبـد الفتاح أبو غـدة، ط١(دار البشائر الإسلامية ، بيروت ، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.) .

٢٩- ابـن عساكر: الحافـظ أبو القاسم علي بن الحسن ابن هبـة الله الشافعي (ت ٥٧ هـ) . **تاريـخ مدينـة دمشـق** ، تحقيـق : عمر بن غرامـة العمـروي .(ط١ دار الفكر، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧ م) .

٣٠- . عياض : القاضي أبو الفضل عياض بن موسى اليحصبي (ت ٥٤٤ هـ) .**ترتيب المدارك و تقريب المسالك لمعرفة أعيان مذهب مالك** .تحقيق : أحمد بكير محمد ج١ (دار مكتبة الحياة ، بيروت د.ت)

٣١- ابن فرحون : ابراهيم بن نور الدين المالكي (٧٩٩هـ) . **الديباج المذهب في معرفة علمـاء المذهـب** .دراسة وتحقيق : مأمـون محي الدين الجنـان،(ط١، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م.)

٣٢- القفطي: أبو الحسن جمال الدين علي بن يوسف (ت٦٤٦هـ) . **المحمدون من الشعراء و أشعارهم**(تحقيق حسن معمري، مراجعة حمد الجاسر(١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م).

٣٣- ابن قيم الجوزية: شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أبي بكر (ت ٧٥١) .**مفتاح دار السـعادة و منشـور ولاية أهل العلم و الإرادة** .تقديم و ضبط : علي بن حسن بـن علي الأثري مراجعة : بكر بن عبدالله أبـو زيد (ط١، دار ابن عفان، الخبر ، ١٤١٦هـ / ١٩٩٦ م)

٣٤- أبو نعيـم: الحافظ أبو نعيم احمد بن عبدالله الأصفهاني (ت ٤٣٠) . **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء** .(ط١، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٠٩ هـ/ ١٩٨٨ م)

٣٥- النووي: أبو زكريا يحي الدين بن شرف (ت ٦٧٦ هـ) . **تهذيب الأسـماء و اللغات**. (دار الكتب العلمية ، بيروت ، د.ت)

٣٦- ابن هشام: أبو محمد عبدالملك بن هشام الحميري (ت ٢١٨ هـ) . **السيرة النبوية**.

تحقيـق مصطفى السقا و ابراهيـم الابياري و عبدالحفيظ شلبـي (مؤسسة دار القران، بيروت ، د.ت)

٣٧- الهمـداني : الحسـن بن أحمـد بن يعقوب الهمـداني (٣٤٤ هـ) . **صـفة جزيرة العرب**. تحقيق محمد بن علي الأكوع (دار اليمامة، ١٣٩٧هـ، ١٩٧٧م).

٣٨- ابـن أبي يعلى: أبو الحسين محمـد بن أبي يعلى البغدادي الحنبلي (ت ٥٢٦ هـ) . **طبقـات الحنابلة**. تحقيق: عبدالرحمن سليمان العتيبي (مكة المكرمة، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م) .

٣٩- الكِبْسـي: محمد بن إسماعيل (ت ١٣٠٨هـ) **اللطائف السـنية في أخبار الممالك اليَمنيـة**. تحقيـق: خالد أبا زيد الأذرعي (ط١ ،مكتبـة الجيل الجديد ، صنعاء ، ١٤٠٦هـ/ ٢٠٠٥ م) .

٤٠- ابن كثير: أبو الفداء الحافظ بن كثير الدمشقي (ت ٧٧٤ هـ). **البداية و النهاية**، تحقيـق: أحمد أبـو ملحم ، علي نجيب عطـوى ، فؤاد السيد مهـدي ناصر الدين (ط١ ، دار الريان للذات ، القاهرة ، ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨م)

٤١- الكلبـي: أبـو المنذر هشام بن محمـد بن السائب الكلبي ت (٢٠٤ هـ). **نسـب معد واليمـن الكبـير**.تحقيـق : ناجي حسـن (ط١ ، بيروت ، عالم الكتـب ، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨ م)

(*) المراجع

١- ابـن جريسـ: غيثان بن علي . **دراسـات في تاريخ تهامة والسـراة خـلال القرون الإسـلامية المبكـرة والوسـيطة** (ق١ـ ق١٠هــ/ق٧ـ ق١٦م) (الرياضـ: مطابـع الحميضي،١٤٣٢ـ٣١هـ/٢٠١٠ـ ٢٠١١م) (الجزء الثاني).

٢- ابـن جريسـ، غيثـان. **نجران: دراسـة تاريخيـة حضـارية (ق١ـ ق٤هــ/ق٧ـ ق١٠م)**. (الرياضـ : مطابـع الحميضـي ، ١٤٣٤هـ/٢٠١٣م) (الطبعـة الثانية) (الجزء الأول).

٣- ابـن جريس ، غيثان بن علي . **منطقة نجران : دراسـات ، وإضـافات ، وتعليقات (مـن قبـل الإسـلام - ق ١٥هــ / ق١ - ق٢١م)** ، (الرياضـ : مطابع الحميضي ، ١٤٤١هـ / ٢٠١٩م) (الجزء الأول) .

٤- حيدر : أسد . **الامام الصـادق و المذاهب الاربعة** .(ط١، دار الكتاب الاسلامي، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤ م).

٥- الدقر: عبدالغني . **الإمام الشافعي فقيه السنة الأكبر** .(ط٦، دار القلم، دمشق، ١٤١٧هـ / ١٩٩٦ م) .

٦- الزركلـي : خـير الدين الزركلي . **الأعـلام** .(ط٦ ،دار العلـم للملايين ، بيروت ، ١٩٨٤ م)

٧- أبـو زهـرة : محمد .**الشـافعي حياته و عصـره** ، آراؤه وفقهــه .(ط٢ ،دار الفكر العربي ،القاهرة ، ١٣٦٧هـ/١٩٤٨ م)

٨- عبدالمتعـالي : محمد بن علي. **دليل الاسـماء القديمة للقـرى و الهجر والأماكن العامة المتعارف عليها تاريخيا في منطقة عسير**. (أبها ١٤٣٣ هـ) .

٩- يوسـف: حسين عبـد الأمير.. **نشـأة المذهب الشـافعي وتطـوره تاريخيا**. (المركز العلمي العراقي، بغداد، د.ت) .



الدراسة العاشرة

بلاد نجران

(لغة ، وأدب ، وصور من التراث)

بقلم . د. حمدون كباشي حمدان



الدراسة العاشرة

بلاد نجران (لغة ، وأدب ، وصور من التراث).

بقلم . د. حمدون كباشي حمدان [١]

١ـ المقدمة :

إن اللغة هي وسيلة الاتصال الفعّالة لنقل خبرات البشر وتجاربهم عبر الأجيال، بل هي القدرة الكامنة في نفس الإنسان لتمكنه من التواصل مع أفراد مجتمعه. وقد برع اللغوي[٢] أبو الفتح ابن جني في طرح مفهوم شامل للغة بشكلها المنطوق والمكتوب إذ يقول: "اللغة هي أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم". وهذا يدحض المفهوم الخاطئ -في نظري- بأن اللغة في جوهرها ظاهرة مكتوبة. ومن ثَم وردت كلمة "لغة" بمعني لهجة خاصة لقبيلة عربية أو بيئة عربية في مؤلفات بعض السلف من علماء العربية، ومن هؤلاء سيبويه[٣] إذ يقول في شروحه: لغة هذيل ولغة العالية. ولكن الثابت

(١) الدكتور حمدون كباشي سوداني الجنسية ، نال تعليمه المبكر والجامعي في السودان ، وحصل على درجة الدكتوراه من جامعة كردفان عام (١٤٣١هـ/٢٠١١م) . عمل مترجماً للغتين العربية والإنجليزية بقسم العلاقات الخارجية في بنك الادخار السوداني . حصل على العديد من الدورات ، وهو عضو في بعض الجمعيات العلمية والثقافية ، وله العديد من المقالات المنشورة في بعض الجرائد والمجلات السعودية ، له العديد من المؤلفات المطبوعة وغير المطبوعة ، مثل: (١) مجموعة قصص قصيرة بعنوان (أم شوايل) . (٢) البناء اللغوي للهجة العامية لقبيلة الحمر في بادية غرب السودان . (٣) أثر لهجات الجزيرة العربية في اللغة العامية لقبيلة المسيرية . (٤) نجران (اللغة والأدب وقبس من التراث). (٥) القيم الإنسانية . والنسيج اللغوي في سورة يوسف . (ابن جريس) .

(٢) الخصائص – ابن جني ٣٣/١ – دار الكتب المصرية – القاهرة.

(٣) الكتاب- سيبويه ٢٢/١- ت عبد السلام هارون .

أنّ هـذه اللغات مهما تباينت زمانـاً ومكاناً هي أضابير معجميـة وأوعية منزعة بفيض الفصحى. وإذا نكشنا خباياها ونبشنا أغوارها لعثرنا علي الكنوز واللآلئ . وأنا في رأيي أن اللهجـات العربيـة على اختلافهـا قديماً وحديثاً تُعد من ذخائـر التراث التي يتحتم علينـا توثيقها لما تواجهه من تحديـات خطيرة تتمثل في مظاهر العولمـة اللغوية وأمواج الزحف الحضاري التي شرعت في درس معالم البداوة والحياة الريفية. وذلك لأن اللغة كائـن حي يتجدد على مر الزمـن في حلل تتباين أشكالها وألوانهـا وفقاً لقوانين ترتبط بظـروف التغيرُ. ومصداق قولي هذا ما ورد في تقرير علماء اللسانيات بأنّ لغات العالم تُقـدر بسـت آلاف لغة أضحت تتضـاءل بسبب عوامل العولمة والمـدّ الحضاري وتنقرض سنويـاً بمعدل ثلاثمائة لغة فحريٌّ بنا أن نوثّق تراثنـا بشتى أنواعه وكذلك لهجاتنا لأن كل ذلك مرآة لماضينا التليد[1].

ويهـدف هذا البحث للاستفـادة من الإمكانات المتاحة لدراسـة اللهجة العامية في منطقـة نجـران وسبرِما تتميـز به من خواص صوتية وصرفية ونحويـة والاطلاع على نماذج من الأدب، إضافة إلى تناول بعض الملامح التراثية. ورفد المكتبة العربية بحصيلة مـن لهجة قبيلة يام، إضافـة إلى توثيق بعض أنواع التراث وتبيـان مظاهر هذه اللهجة بقدر المستطاع، وتحفيـز الباحثين لاقتفاء هذا النهج وإيلاء دراسة اللهجات مزيداً من الاهتمام واتباع أسدّ الوسائل في إيضاح كل آصرة لها بالفصحى.

ونجران مهد حضارة عريـق يزخر بتراث حضاريّ ولغويّ وافر ممّا يعطي الباحث مجـالا للاستقصاء والتحليل والمقارنة بين الظواهر اللغوية المتباينة وإجراء الملاحظات فيهـا. ونحـن في مسيس الحاجة للتنقيب في تـراث المشافهة لأهل الوبـر والهجر وذلك لنـدرة الدراسـات في هـذا المجال وعزوف الباحثـين عنه. وما أدرجـه النحاة لا يتعدى نمـاذج من لغـة بلحارث بن كعـب للاستدلال بهـا في الاختلافات النحويـة . بالإضافة إلى ذلـك فإنّ البعض لا يأبه بهذه اللهجات اعتقـاداً منهم بأنها رديئة أو تقادم عهدها وأصابها البلى وقد أغفلوا انبثاقها وتشعبها من الفصحى.

ويقتصـر هذا البحث على دراسة لهجة قبيلة يام في بلدة نجران وأريافها وبواديها في العصـر الحديث. وسوف يتبـع البحث المنهج الوصفي التحليلي المقارن. أمّا الوصف فلأنـه منهـج أولي لعرض المادة والغوص في أغوارها واستجلاء فحواهـا. أمّا التحليل فأهميتـه في بيـان الملاحظـات اللغوية فضلاً عـن عقد أوجـه التقابل بمـا يماثلها من الفصحـى. ومـن الدراسات السابقة عن بلاد نجران كتاب: هـذه بلادنا: تأليف صالح بـن محمد بن جابـر آل مريح. وهي دراسة تاريخية جغرافية اجتهد المؤلف في صياغتها

---

(١) أشكـرك يـا دكتـور حمدون على هذا النـداء والتوصية ، والواجـب علينا معاشر الباحثـين وعلى أقسامنا العلمية أن تعمل جاهدة على حفظ موروثنا اللغوي الذي هو جزء من عروبتنا وأصالتنا . (ابن جريس) .

وتصنيفهـا. وكتاب نجران: تأليف: أ.د. غيثان بن علي بن جريس. وهي دراسة تاريخية حضاريـة مفصلة. وكتاب : حركة الشعر في نجران في الجاهلية وصدر الإسلام: تأليف فايـزة عزيز رداد العتيبي. وهي دراسة أدبية تحليليـة ضافية. والدراسة تدور في ثلاثة محـاور رئيسية هي: (١) المحور الصوتـي والصرفي والتركيبي. (٢) نماذج من الشعر النبطـي وضروب من الفن الغنائيّ. (٣) أنماط تراثية: الآنية والأوعية والأدوات ووسم النَّعم والدواب وأنواعه . (٤) بعض النتائج والتوصيات ، ومصادر ومراجع البحث . [١]

٢. المحور الصوتيّ والصرفيّ والتركيبي:

أود أنّ أوضـح في مستهـل هذا المبحث، بأن قول بعض اللغويين[٢] "بلحارث" لبني الحـارث من سكان منطقة نجران، يُعد من شواذ التخفيف، لأن النون واللام متقاربان في المخرج، فلمَّا لم يمكنهم الإدغام لسكون اللام، نطقوه على النحو المذكور آنفاً. وجرى نطقهم هذا على القبائل التي تظهر فيها لام المعرفة فيُقال في بني العنبر "بلعنبر" .

ولهجـة منطقـة نجـران لا يشيع فيها النـبر – أي الهمز – إلا في أحـوال قليلة فيقولون: قريـت، مليت، صليت، فديت، ونظائرها في الفصحـى: قرأت، ملأت، توضأت، أخذت، والنهج عينـه يجرى على ألسنتهم في الهمزة الوسيطة في الأسماء . فينطقون كثيراً من الأسماء بالتسهيل مثل: راس، بير، ذيب خلافاً للأصل، فنلاحظ أنهم يسقطون الهمزة "التـي هي جزء مـن مقطع مغلـق" في بادئة الصفـات الدالة على الألـوان مع تحريك الصوتين اللذين بعدها بالفتح مثل: حمر، خضر، وممَّا يماثل هذا النطق اسم لموقع بين بلـدة نجران وظهران الجنوب يسمى "هجرة الحاجب الحمر" وأصل الصفتين الأحمر والأخضـر، أمـا بقية الصفات فتبقـى على حالها دون حـذف مثل أبيض، أصفر ونهج الحـذف المذكور يطبقونه مطلقاً على الصفات التي تبدأ بحروف الحلق مثل: عرج وعور أي أعـرج وأعور وكذلك بعض جموع التكسير مثل الخَوال في الأخـوال مع تفخيم الخاء في أول الكلمـة[٣] وهذه الظاهرة النطقية سائدة لدى بدو صحراء سيناء. ونستشف مما سبق أن ظاهرة حذف الهمزة من أصوات الحلق صارت مألوفة لدى قبائل يام وكثير من قبائل جنوب المملكة العربية السعودية وهذا الحذف مستساغ صوتياً وقد بسط فيه القول

---

(١) أشكـرك يـا دكتور حمدون على طـرح هذا الموضوع. وأقـول إن بلاد نجران غنيـة في تاريخها وحضارتها وموروثها التراثي عبر عصور التاريخ . وآمل من جامعة نجران أن تستشعر هذه الأهمية وتفتح تخصصات علميـة وتؤسـس مراكـز متخصصة تعكـف على دراسة هذه البـلاد في شتى الجوانب . كمـا أن الباحثين وبخاصـة طالبـات وطلاب الدراسات العليـا في جامعاتنا العربية ، عليهم أيضـاً مسؤولية كبرى فيدرسوا بلـدان وحواضـر شبه الجزيـرة العربية ومنطقة نجران تأتـي في مقدمة هذه الأوطـان الجديرة بالبحث والتوثيق. (ابن جريس) .

(٢) معجـم القبائل العربية، عمر رضا كحالـة، ج٢، ص٥٨٣. بيروت ط ١٩٦٨م. المقتبس من اللهجات العربية والقرآنية – د. محمد سالم محيسن، ص١٤٢، مؤسسة شباب الجامعة ١٩٨٦م.

(٣) لهجة البدو في الساحل الشمالي ٧٩- د. عبد العزيز مطر – القاهرة.

اللغوي البارع ابن جني في كتابه[١] "سر صناعة الإعراب" واستحسنه. وهذا النهج كثيراً ما يرد في ألسنة العرب تخفيفاً فيقال ساس وخدود ونموذج في أساس وأخدود وأنموذج.

ويقولون في المثل استخفافاً بمَنْ لا يحذق العمل أو بدر منه تصرف غير محمود: إلطول طول نخلة والعقل عقل صُخْلة . والشاهد هي "صخَلة" والسخلة شاة المعيز فقلبت السين صاداً. وظاهرة التفخيم هذه لها نظائر عديدة في لهجات العرب فقد رُوي عن[٢] بني العنبر من تميم أنهم كان ينطقون كلمة "الساق" بقلب السين "صاداً" ومن لغة تميم أيضا ممَّا ورد في لسان العرب قولهم "صماخ" في "سماخ" أي خرق الأذن الذي يفضي إلى الرأس. والتفسير الصوتي لظاهرة تفخيم السين بقلبها صاداً "إذا وقعت بعد حروف الاستعلاء: الطاء والقاف والغين والخاء" ، أن مؤخر اللسان ينحو معها صوب الاستعلاء تحت قانون المماثلة[٣] المعروف. إذ يتأثر أحد الصوتين المتجاورين المختلفين في الصفة بما يجاوره تأثيرا يؤدي إلى الانسجام الصوتي بينهما، وحينئذ تُضخّم السين وتنقلب إلى نظيرها المطبق وهو الصاد. وذلك لأن كليهما من مخرج واحد وصفة كلٌ منهما: صوت صفيري رخو مهموس . وتبدل قبيلة يام الفاء في كلمة "فم" ثاءً، فيقال "ثم"[٤]. وإذا أمعنا النظر في صوت الفاء فهو شفوي أسناني رخو مهموس ينطق بأن تتصل الشفة السفلى بالأسنان العليا اتصالاً يسمح للهواء أن يمر بينهما فيحتك بهما مع ارتفاع الطبق لسد التجويف الأنفي . أما الصوت البديل "الثا" فهو لثوي أسناني رخو مهموس مرقق ينطق بوضع طرف اللسان بين أطراف الثنايا فيتشكل منفذ ضيق للهواء ويستوي جسم اللسان ليسد المجري الأنفي بالتصاقه بالحائط الخلفي للحلق.

ومن خلال البسط السابق والمقارنة نستنبط المبرر الصوتي لهذا النوع من الإبدال. والجدير بالذكر أنَّ هذا الضرب من التبادل الصوتي بين الحرفين المذكورين قد ورد في القران الكريم في سورة البقرة[٥] ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَـٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ۖ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ ۚ﴾ . والشاهد هنا انقلاب الثاء إلي فاء يبرر النطق الذي يدور على ألسنة قُطان وادي نجران وذلك لتماثل هذين الصوتين في الهمس والرخاوة والترقيق. ولربما كانت هذه التأدية أيسر لديهم وفقاً لنظرية "السهولة والاقتصادية" التي يُراعى فيها الحدُ الأدنى من الجهد العضلي والتي رصدها المحدثون في التطور الصوتي الذي

---

(١) سر صناعة الإعراب – ابن جني ٧٥/١ القاهرة – ط ١٩٥٤م.
(٢) اللهجات العربية في التراث – أحمد علم الدين الجندي ٤٤٦/٢–٤٤٧.
(٣) البنية الصوتية للصرف العربي – د. عبد الصبور شاهين- ص١٦٩- مؤسسة الرسالة ١٩٨٠م- بيروت.
(٤) اللهجات العربية في التراث ٤١٩/٢.
(٥) سورة البقرة الآية ٦١.

ينشأ من تجاور صوتين في السياق[١] وانتقال أحدهما إلى مخرج الآخر وورد في كلام العرب هذا النوع من الإبدال فقالوا: جَدث وجدف للقبر وأثافي[٢] ، وأثافي للحجارة التي يُوضع عليها المرجل. قال الفراء سمعت بعض العرب يقول[٣]: ثم في فم .وهنالك صفة لهجية شاعت لدي قبائل أسد وبكر ومُضر وربيعة عُرفت بالكشكشة[٤] وهي قلب كاف المؤنثة عند الخطاب شيناً في حالة الوقف. وأردف البعض أن هذه الشين لا تحل محل كاف المؤنثة، وإنما تلحق بها. ومثال لذلك قولهم: منش لغة في منك وعليش لغةً في عليك. وحكي أن أعرابية نبّهتِ جارتها قائلة: ارجعي وراءش فإنّ مولاشَ يناديش. وهذا النمط من التخاطب مازال سارياً في جنوب الحجاز ولاسيما عسير ونجران ومناطق متفرقة من بلاد اليمن. ومن العبارات التي التقطتها أذني خلال تجوالي لاستقصاء المعلومات في سوق الحريم بنجران ما قالته بائعة لإحدى صاحباتها : كيف حَالش يا زينة. وقرأ بعضهم: ﴿ فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾ ﴾[٥] والتفسير الصوتي لهذه الظاهرة أنّ الكاف سبقت بصوت لين. الكسرة وهي تجذب الكاف إلى الإمام فتخرج من وسط اللسان الحنك بدلاً من الخروج إلي أقصاه ومخرج وسط الحنك هو مخرج الجيم والشين. أي الحروف الغارية. وبهذا تندرج هذه الظاهرة تحت قانون الأصوات الحنكية.

ومما احتفظت به لهجة يام لفظ "ثنتان" بحذف همزة الوصل، وهي ملحقة بالمثنى في إعرابه، بيد أنها تنطق لديهم "ثنتين" رفعاً ونصباً وجراً وجارت بذلك قبيلة تميم التي تميل إلى السهولة والسرعة في الأداء النطقي لأنها تعيش في بيئة بدوية محضة . تتسم بخفة الحركة والانتقال، لهذا آثرت الحذف خلافاً للهجة الحجاز الحضرية التي تحقق الهمز نطقاً بتمام وكمال. وكثيراً ما يستعمل النجراني عبارة "سرينا" بمعنى أدلجنا أي سرنا ليلاً. بل المعنى لديهم أيضا يعني السير والانطلاق من غير تحديد لوقت فقد ورد[٦] في لسان العرب أنّ أصل الكلمة أسرى وفقاً للغة الحجاز. وقد زيدت فيها الهمزة، ونلاحظ أن زيادة المبني تندرج في طياتها تقوية المعنى. أما سرى بحذف الهمز لغة غيرهم. وقرئ باللهجتين في القرآن الكريم في قوله تعالى (واللَّيل إذا يسر)[٧] فهو

---

(١) اللهجات العربية في التراث ٤١٩/٢.

(٢) اللهجات العربية في التراث ٤١٩/١.

(٣) الأمالي لأبي علي القالي ٣٤/٢.

(٤) في اللهجات العربية – د. إبراهيم أنيس ١٢١-١٢٥ المكتبة الانجلو المصرية القاهرة – ط٥ ١٩٩٢م.

(٥) سورة مريم الآية ٢٤. معجم القراءات – د عبد اللطيف الخطيب ٣٥٤/٥ دار سعد الدين ، دمشق ، (٢٠٠٢م) .

(٦) لسان العرب- ابن منظور مادة سرى ٢٨١/١٤.

(٧) سورة الفجر الآية ٤.

مـن سرى ولو كـان من أسرى لكان يسري. وقد أشار إلى ذلـك صاحب خزانة الأدب عندما قارن بين الصيغتين "وفي الكيل أوفاه" فزنة أفعل أبلغ وأرق في التعبير من فعل.

ومـن الصفات الصوتية السائـدة لدي قبيلة يام، الميل إلى حروف الإطباق والجهر بقصـد رفع درجة الإسماع . فقد سمعت من بعض عشرائي خلطا في النطق بين لفظي "بقَى" و" بَقي "[١] وقد ورد في كلام العرب: محا، يمحو ويمحِي ويمحَا واستخدام صيغة الانسجـام الصوتي هـذه لهجتْ بها ألسن قبائـل بدوية قديماً منها تميـم وأسد وقيس عيـلان. ولاحظـت أنهم يثبتـون واو الفعل المثال المعتـل بالواو مثل وعـد ووصل فيقولون يوعـد ويوصـل خلافاً للنطق الفصيح بحـذف الواو والذي يخلصنا مـن ثنائية الحركة فتكـون الكلمة ميسورة النطق . وينطقون بعض الأسماء بما يشبه تلتلة بهراء في كسرها للمضـارع مثل: "تِعْلمون" فيقول النجراني مثلاً: علي صديق إخي وإبي، وأنا اتفق مع[٢] الأستـاذ آل معيـوف فيما ساقه من تعليل لذلك بأنّ هـذا النهج النطقي يحمل في ثناياه سمائيـة التواضع إذ سرعان ما تعود هـذه الكلمات إلي أصولها الصرفية والتركيبية في العبـارة إذا استدعـى الموقف فخراً فيقـول ذلك النجراني مثلاً: "أنـا أخو الجيران في السـراء والضراء" ويقولون: وِجع بالكسـر كأنهم يجارون[٣] بني تميم في جعل مضارعه "ييجع لأن الواو الساكنة إذا انكسر ما قبلها صارت ياء.

ويميـل أعراب بادية نجران إلي نطـق الإشارات[٤] مصغرة للمفرد المذكر والمفردة المؤنثة فيقال "ذيا" عوضاً عن ذا و "تيا" عوضاً عن "تي" وتنطق بصوت مفخم ممدود قوي النبر. وذلك في نظري طابع معهود لدى البداة لزيادة الإسماع لأقصي درجة في تلك البقاع المترامية. وينطقون[٥] أمر الفعل الثلاثي "أدعُ" من دعا بكسر إذ يقولون "ادعِي" – وهـذه لغـة بني عامـر قديمـاً إذ جعلتها مـن ذوات الياء "دعـا – يدعي" ولاحظت عزوفهـم عن حـذف اللام والألف مِنْ "علـى حرف الجر" إذا وليهـا ساكن مثلما كان ينطقهـا بنو الحارث الأولون إذ يقولون مثلاً ركبت علفرس أي على الفرس. وبينما كنت أتجـول قبيل الأصيل بين معارض السيـارات سمعت مشادة عبر مكبر الصوت وأحدهم يتشـدّق بصـوت عالٍ "لا نقبل تحسف" مكـرراً هذه العبارة فاستفسـرت عن فحوى ما

---

(١) اللهجات العربية في التراث ٢/ ٥٧٣.

(٢) الأستاذ ناجي مهدي آل معيوف – مدير قناة الوادي.

(٣) اللهجات العربية في التراث ٢/ ٥٧٧.

(٤) نقاش مع الأستاذ ناجي آل معيوف.

(٥) اللهجات العربية في التراث ٢/ ٥٧٥.

قالـه فأدركـت انه لا يقبل التراجـع في البيع من الشاري. ولكن حسـف في اللغة[١] تعني قشـر كقولنا حسف التمر أزال قشرته، وحسافة التمر: بقيـة قشوره وأقماعه[٢] وكسره وما تناثر من الفاسد منه وتحسف جلد الحية: تقشر، وتقول العرب أيضا تحسفَ[٣] وبر البعير إذا تمعط. ومما سبق نستنبط أن استخدام صاحب المعرض يدخل في الكناية.

والصيصـ لديهـم التمر إذا لبن يأكله الحيـوان ولا يأكله الإنسـان. قال[٤] الأموي هـي لغـة بلحرث بن كعب. وأصلها في اللغة عامة شيصـ. شاص ويشوص الولد في بطن أمه إذا ارتكض. والشيص والشيصاء ردئ التمر قال[٥] الأصمعي: صَأصَأت النخلة إذا أخرجـت شيصاً وأهل المدينة يسمون الشيصـ السخل. ومعلوم لدينا أن الجوشن[٦] في اللغـة هو الـدرع ومن معانيه الصدر بصفة عامة وهـذا المعنى شائع في منطقة نجران، وكذلك يطلق على موقع لمنجم ذهب شمال بلدة نجران. وسمعتهم يطلقون لفظ الجرف على ذرا الجبال الوعرة والمعني في اللغة[٧]: عرض الجبل الأملس وتعني أيضا ما جرفته السيـول. وسمعـت من بعض بداة نجران كلمة الرِّعام بمعنـي المخاط وذلك من فصيح كلام العرب[٨] إذ تعني مخاط الخيل والشاء والإبل، وجمعه أرعمة ويقال رَعمتْ رعاماً. وفي الحديـث[٩] "صلوا في مراح الغنم وامسحوا رعامها". أي ما يسيل من أنوفها. ومن سـداد[١٠] القـول تخصيصهم "النخامة" لما يسيـل من خيشوم البشر مـن نخم نخماً وتنخم وسمعت من أشار إلى الفرش بقوله لابنه "اطرح البجاد" وفي اللغة جمعه "بجد" والبجـاد[١١] كسـاء مخطط من أكسية الأعـراب ومنه لقـب "ذو البجادين" وهو دليل النبـي - ﷺ - وهو عنبسـة بن نهيم. وقيل أنه لقب بهذا لأنـه يلبس كساءين في سفره أمّا أروق[١٢] وروقاء نعتان في تلك اللهجة لمن يظهر له ميلان بينَ في سواد العين ولاسيما عندما يُسلّط الضوء عليهما. ولكن هذا الاستعمال لم يرد صريحا في كلام العرب ولكن

(١) لسان العرب ٤٦/٩ مادة "حسف".

(٢) المرجع السابق ٤٦/٩.

(٣) المرجع السابق ٤٦/٩.

(٤) في اللهجات العربية- إبراهيم أنيس ٢٤٧.

(٥) لسان العرب ٥١/٧ "شيص".

(٦) القاموس المحيط ١٥٣١ مادة جرف - مؤسسة دار الرسالة - ط٢- بيروت ١٩٨٧م.

(٧) المرجع السابق ١٥٣١ (جرف).

(٨) تاج العروس ٣١٤/٨ (رعم).

(٩) المرجع السابق ٣١٤/٨ (رعم).

(١٠) المرجع السابق ٧٣/٩ (نخم).

(١١) لسان العرب ٧٧/٣ (بجد).

(١٢) الأستاذ مسفر صالح آل قريش.

ربما صاغه النجرانيّ مستمداً المعني من قولهم[١] روّق الليل إذا امتدّ على أرجاء البسيطة ومال على الآفاق باسطاً ظلامه الحالك.

والجدير بالذكر أنّ الروق هو أول كل شيء ورَوّق الرجل باكورة شبابه. والروق القرن كقرن الثور وتعني الداهية، وأيضا تعني الصف كأرواق السحب. وعبر هؤلاء القوم[٢] عن طول وارتخاء الأذنين بقولهم: تيس أهطل وعنز هطلاء، على زنة أفعل وفعلاء وبعد بحث لم أعثر على معنى يطابق هذين اللفظين وأرجّح أنهم اشتقوا أهطل من الهطل وهو تتابع القطر. وذكر محدثي الأستاذ[٣] مسفر بأنّ كلمة "قوراء" في لهجة نجران صفة للشاة التي يعلو عينيها خط بني اللون. والكلمة جذرها قار[٤] وقوّر الشيء أي قطعة من وسطه. وتقوّر الجُب بمعني انهال التراب من وسطه بغزارة ودفن عمقه. ودار قوراء واسعة الجوف. وفي رأيي أن النجراني شبه الخط البني الذي يمتد بين العينين فاصلاً اللون المتجانس بالشق الغائر الذي يفصل حواشي الجُبّ. وأضاف أنّهم يطلقون على شاة الضائن أو المعيز التي يجللها السواد بأكملها بأنها "شاة غضفاء" وكذلك يقولون خروف أغضف وفي اللغة غضفت العود إذا كسرته[٥] وغَضِفت الأذن: استرخت ومالت للخلف[٦] والغضفاء من المعز: المخطة أطراف الأذنين لطولهما[٧]. ويقال نخلة مُغضف ومُغضفة إذا كانت كثيرة السعف سيئة الثمر. بيد أن العرب تقول[٨]: أغضف الليلَ إذا أظلم واشتد سواده. بل "الأغضف" في لغتهم هو الليل. قال الشاعر[٩]: (في ظل أغضف يدعو هامة البوم) ونستخلص مما سبق أن نعت النجراني للشاة بأنها غضفاء أي حالكة سواد الإهاب بأكمله يُعد من فصيح البيان.

وممّا ورد على زِنه أفعل لديهم كلمة "أقطم" وسمعتُ مرة أحدهم يصيح بأعلى صوته في ملعب كرة القدم "سَدّد يا أقطم" أي انّه ينعت اللاعب بأنه ضئيل الحجم كما فهمتٌ عقب استفساري . والعبارة صائبة من حيث التركيب، لكن في المعني نظر لأن الأقطم

---

(١) لسان العرب ١٠/ ١٣٤ (روق).
(٢) الأستاذ مسفر صالح آل قريش.
(٣) الأستاذ مسفر صالح آل قريش.
(٤) لسان العرب ٥/١٢١-١٢٢ "قور".
(٥) المرجع السابق ٩/٢٦٧.- ٢ ← "غضف".
(٦) المرجع السابق ٩/٢٦٧-٢٦٨ "غضف".
(٧) المرجع السابق ٩/٢٦٧-٢٦٨ " غضف".
(٨) المرجع السابق ٩/٢٦٧-٢٦٨ "غضف".
(٩) المرجع السابق ٩/٢٦٧-٢٦٨ "غضف".

تعني[١] الذي اشتدّ اشتهاؤه للحم وكذلك اغتلامه. أمّا إذا أمعنّا التفكر في عبارة الراعي النجراني الذي يحث رفيقه لإدخال الجمال في الحظيرة قائلاً: "ارقع البعران" لوجدنا أنّ ما يقوله عين الصواب لأن[٢] الرقع يكون بالعصا أو السوط لكن توظيفهم لكلمة "صقع" لتؤدي المعني المذكور سابقاً، يُعدُّ لهجة يمنية شائعة في نجران بحكم متاخمتها لتلك الديار، لأن الصقع في اللغة[٣] معناه الضرب[٤] باليد أي الضرب ببسط الكفّ. والصقع ضرب الشيء اليابس بمثله كالحجر بالحجر قال العجاج[٥]: (صقعاً إذا أصاب اليآفيخ احتفر) .

ومنه اشتق لفظ الصقيع الذي يسقط من السماء بالليل شبيه البرد وصقع تعني كذلك أكل الثريد من صوقعته أي أعلاه. ومن طريف ما يُحكي أن ضيفاً نزل بأعرابي شحيح، فقدم له الثريدة قائلاً: لا تصقعها ولا تشرمها ولا تقعرها فاحتج الضيف قائلاً: رباه أفمِنْ أين آكل لا أبا لك. والعرب تسمّي الهائم الذي يحوس الآفاق ليلاً مرفرفاً بجناحيه يلتقط الحشرات "الوطواط" أو "الخفاش" وعرب اليمن والشام يسمونه "السّروع"[٦] لفرط خفته وسرعته في الانطلاق والروغان. أمّا أهل نجران فيطلقون عليه لفظ "أبو شطيف"[٧] وشطف من معانيها العامية الشائعة[٨] غسل الثوب ممّا علق به من القذارة والدرن. وفي القاموس ذهب وتباعد. وربما استوحى قاطنو منطقة نجران هذا الاسم من براعة الخفاش في الروغان والابتعاد عن الأجسام مهما صَغُرتْ إذ حباه المولي عَزَّ وجلَّ جهازاً دقيقاً يشبه الرادار ينذره مبكراً بتفادي الاصطدام بالعقبات في كل وجهة ينحو لها. وأمّا أهل منطقة عسير فيسمونه "خفقة" والجمع منه خفق أي اسم جنس جمعي كشجر جمع لشجرة وفي رأيي أن هذه التسمية نبعت من اشتقاق لغوي صائب فالخفق[٩] هو الاضطراب ولذا تسمي الأعلام خوافق وخافقات وريح[١٠] خيفق أي سريعة والخفقان: اضطراب الجناح والخفقة في اللغة تعني أيضا المفازة ذات الآل أي الصحراء الشاسعة ذات السراب.

---

(١) تاج العروس- محمد مرتضي الزبيدي- دار مكتبة الحياة ٩/ ٣٠ "قطم".
(٢) لسان العرب ٨/ ١٣٢ "رقع".
(٣) المرجع السابق ٨/ ٢٠٣-٢٠٤ "صقع".
(٤) المرجع السابق ٨/ ٢٠٣-٢٠٤ "صقع".
(٥) المرجع السابق ٨/ ٢٠٣-٢٠٤ "صقع".
(٦) عبد الرحمن سعيد بارود.
(٧) الأستاذ عايض عبد الله القهس
(٨) معجم الألفاظ العامية ذات الأصول العربية- د. عبد المنعم سيد عبد العال ٣١٣ مكتبة الخانجي – القاهرة.
(٩) لسان العرب ١٠/ ٨٠-٨١-٨٢-٨٣.
(١٠) المرجع السابق ١٠/ ٨٠-٨١-٨٢-٨٣.

وممّـا ورد في لهجـة يام على وزن "فعلة" قولهم: "حِلقـة" ويعنون بها حزمة البرسيم الصغـيرة وجمعها حِلق وحِـلاق[١]، وهي لغة بني الحارث بن كعب قديماً. و"الفِلْعة" لديهم القطعة من خبز أو بر وأصلها من فلع الشيء إذا شقه كقولنا فلع الرأس بالسيف أو بالحجر، وتلّفحـتْ قدمه من البرد أي تَفَلَّعت من الفلـوع. ولفظة "شِقْفة" يُراد بها في تلك اللهجة ما انشطـر من التمرة، وذكر صاحب اللسان بأنها ما انكسر من مادة الخزف وما شابه ذلك. أمـا وزن "فَعْلـة" فمن أضرابه في لغـة نجران "رَعْوة" وهي النير الـذي يُحترث به أي من أداتـه الخشبـة التي توضع على عنق دابـة الحرث. قال اللغوي أبو عمـرو هي "الأرعوة"[٢] وهـي لغة أزد شنوءة. ومِنْ هذه الزنة "دجـوة" اسم للفافة الصوف والخيوط الثخينة التي يُستعـان بهـا في رفـو الكساء وخياطة الـبرد أو البساط. وهي مشتقة مـن دجا الليل بمعنى ستر الأرض بظلامه والعرب تقول[٣] عنز دجواء أي سابغة الشعر. ولديهم أيضا "الشكوة" علـى زِنـة فِعْلة وهـي ضرب مـن القِرب يستخـدم لمخض اللـبن واستخلاص وجيزته من السمن الصافي.

وخاطبنـي مَضيفـي النجراني مرةً قائلاً: المطْهر أمامك تهيـأ للصلاة يعني بذلك المرحاض. والكلمـة علي وزن "مِفْعَـل" و"مفْعَلة" أي مطهرة وهي المكـان الذي يُتَطَهُر فيه[٤]. والمَطْهرة الاناء المستخدم لذلك الغرض وعلى صيغة "مِفعل" لدى سكان نجران أيضـا "مِبْخَـر" ويصنع من الطين الـلازب أو الحجر ويُضرم فيـه البخور ليفوح شذاه معطـراً الأرجـاء. و"مِرْفَع" وهو ضرب مـن الطبول الكبيرة يُقرع بعـود قصير يُسمي "المضـراب". وأيضـاً "المِدْهَن" ضرب مـن الأقداح يوضع فيه الطعـام من خبز ومرق ولحـم. وتختلـف أحجامـه إذ يُشكَل من الحجـر الهش وفقـاً لخبرة الصانـع وتفننه. و"المِجمـر" وعـاء له قاعدة كبـيرة يوضع فيه الجمـر ليسري الدفء داخـل الخيمة أو الدار أوان الشتاء. أمّا "المِسْرجة" فتتألف من وعاء حجري يحوى مادة الإيقاد الدهنية التـي تغذي الذُّبالة أي الفتيلـة التي تشتعل فينتشر الضيـاء. وللمِسْرجة غطاء ومقبض وقـد أضحت من الأوعية الأثريـة في المتاحف والعرب تقول مِسْرجـة وسراج، فالشمس سراج الكون والهدى سراج المؤمن. وسِقاء الجلد الذي يملأ ماء ويحمل عادة على ظهور الدواب أو يطرح علي الأرض ليستقى منه يُسمى في بلاد يام "المِشراب" وصنع "مِفْعَل" ومِفْعَلـة ومفعال كلها زنات صحيحة لاسـم الآلة. وأشار رفيقي الذي كان يصحبني مرة

---

(١) لسان العرب ٦١/١٠ "حلق".

(٢) المرجع السابق ٣٢٧/١٤.

(٣) القاموس المحيط ١٦٥٤ "دجا".

(٤) تاج العروس ٣٦٣/٣.

بـين المـروج إلي "الحَدْرة" ليعرّفني بها وهي موضع في لُـبّ الزرع أو أطرافه وتجُمع فيه حِزم القصب. وأصلها في اللغة من حدرت[١] العين بمعني اجتمع فيها الدمع حتى فاض.

ويقـول الجوهري: رجل حادِر مجُتمع الخلق، والنجراني وظّف هذا المعني علي زنة "فَعْلة" فالحَدْرة كومة القصب. وممّا ورد على زنة "فَعْلة وفعْلة" كلمة "حذوة" والكلمة مشتقـة مـن "الحِـذاء[٢]" أي الإزاء، إذ تقول العـرب:- "داري حِـذوة داره" بالكسرة مشتقة من الازاء. لأنَّ تلك الحيود تُرص حول جُدار الدار لحمايتها من السيول الدافقة والسوائـم الهائمة وغـير ذلك. وممّا جاء على زنة "فَعْلة" كلمـة "عَجْمة" لنواة التمر. ولكـن شاع في كلام العرب أن تطلق كلمة "عَجْمَـة" على النخلة التي[٣] تنبت من النواة وعلـي الصخـرة الصلبة وختاماً فإنَ كلمة "درفة" علـى زنة "فَعْلة" والتي هي جزء من بـاب بين الطـين لديهم لم أجد لهـا أصلا بل تُعَـدّ في رأيي استعمالاً لهجيـاً خاصاً. قد أسعفنـي الرفيق[٤] ناجي آل معيوف بغيض مـن فيض اللغة من لهجة نجران. من ذلك كلمة وضـم. والبعض ينطقها بالظاء وذلك أيضا من لغات العرب خشبة القصاب التي يقطـع عليهـا اللحم، وفي القاموس: مـا وقيت به اللحم عن الأرض مـن حجر أو مدر أو غيره قال الشاعر مزهواً بمواجهة الأخطار وسير الليل وركوب الخيل[٥]:

هـذا أوان الشـدّ فاشـتدي زيم ... قـد لفهـا الـليـل بـسـوّاق حُطم
لـيـس بـراعـي إبـــل ولا غـنـم ... ولا بـجــزارٍ عـلـى ظـهـرِ وضـم

والأطلس[٦] لديهم صفة للسواد تمازجه غبرة وينعتون به الشخص الرذيل ذا الفعلة الشنعـاء. وقد وردت في قريض الفرزدق حينما نزل بمكان اسمه "الغَريين"، فعراه علي ناره ذئب يخالط سواد غبرة. فأبصره الشاعر وقد أقعى يصيئ ويشتم الشاة المسلوخة فرمى إليه بيدها فالتهمها ثم اتبعه جنبها حتى شبع وولى. فأنشد:

ولـيـلـة بـتـنـا بـالـغـريـين ضـافـنـا ... على الـزاد ممشوق الذراعين أطلس

ويطلقون علي كل ساحة ليس فيها بناء "عَرْصة" وقد أنشد امرؤ القيس عندما مر برسم دارسٍ لمنازل أثيرة إلي نفسه فجاش فؤآده بذكريات الأحباء[٧]:

---

(١) لسان العرب – المرجع السابق ١٧٢/٤ "حدر".
(٢) الصحاح ١٢٩/٢٨/١٢/٣ "حدر".
(٣) القاموس المحيط ١١٣٥ "عجم".
(٤) مدير قناة الوادي التلفزيونية.
(٥) فصل المقال في شرح كتاب: الأمثال . أبوعبيد البكري ٤٠٤/١ – دار الرسالة بيروت ١٩٨٣م.
(٦) ديوان الفرزدق ٥٠٣– دار الجيل بيروت.
(٧) شرح المعلقات العشر ٧٧ – دار العلوم العربية – بيروت.

تــرى بعـر الآرام في عَرصاتها وقيعانها كأنه حبُّ فُلفل

قال الشاعر النجراني في معرض المدح لأحد الشبان "لا خابت أمه ولا أفلس مَنْ بزاه" ويقصد بكلمة بزاه رباه ورعاه حتى اشتد ساعده ولكن بزا تعني[١] قهر وغلب، مثل قولنا بزونا العدو أي دحرناه. وقال الشاعر النابغة الجعدي[٢]:

فما بزيت من عصبة عامرية شهدنا لها حتى تفوز وتغلبا

يعني ما غُلبت . ومن الأفعال التي اعتادوا استخدامها بمعني "أصمت" فعل الأمر "البخ" وجذره الثلاثي لبخ، وله معانٍ عديدة منها: ضرب وأخذ وفتل واحتال للأخذ وتطيّب ومنه قول الشاعر[٣]:

هداني إليها ريح مِسك تلبّختْ به في دخان المِنْدَليّ المِقَصَّدِ

ومما سبق يتضح لنا أنّ هذا الفعل أُسبغت عليه دلالة معنوية جديدة في تلك البيئة وأهل تلك البقاع يطلقون كلمة "الدَّرْب" على البيت الذي شُيد من اللَّبِن الذي تتكون عجينته من طين لازب قوى متماسك، بل يُمكن أنْ يُناف البناء منه إلى عدة طوابق غير أن كلمة[٤] "الدرب" تعني في الفصحى باب السكة الواسع وكذلك الباب الكبير وأيضا المضيق بين الجبال[٥] والموضع الذي يوضع فيه التمر وهذا النوع من الأبنية التي وصفتها إذا ران عليه البِلى وآلتْ دعائمه على الانهيار، يصفه سكان نجران بأنه "تهايم" أي تداعى وتساقط. ويسمونه "خَرْب" والخَرْب من الخراب وهو نقيض العمران ولم أجد لكلمتي "دَرْب" و"تهايم" مطابقة للمعاني التي تُردد في واحة نجران في المعاجم وما يقصد بهما يعد من ضروب التطور الدلالي. وبما أنّ إقليم نجران تحدّه اليمن من الجنوب وتقع مكة إلى الشمال منه سمّي أولئك القوم جهة الجنوب "يمن" والشمال "قِبلة" لأنه صوب الكعبة المشرفة. وذلك على سبيل الاصطلاح. وسمَّى[٦] أولئك القوم جهة الشرق حَادر وذلك من فصيح الكلام بالنظر إلي طبيعة الأرض في بلادهم. قال الأزهري: الحَدْر[٧] من كل شيء تَحْدُّره من عُلْو إلي سُفْل. فمن قمم جبال نجران الشاهقة رعوم وأبي همدان وما خلفها وإزائها تنحدر الأرض بتدرجٍ صوب الشرق إلى أن تتداخل مع فلوات الربع الخالي المنبسطة. ومن

---

(١) لسان العرب ٧٣/١٤.
(٢) المرجع السابق ٧٣/١٤.
(٣) المرجع السابق ٥٠/٣.
(٤) لسان العرب ٣٧٤/١ "درب"
(٥) المرجع السابق ٣٧٤/١ "درب".
(٦) مهدي محمد غضيف.
(٧) لسان العرب، ١٧٢/٤.

هـذه الأماكن الهابطـة إذا سرنا في الاتجـاه المعاكس. أي صوب بلاد نجـران فإننا قَصَدنا السَّند: أي ما ارتفع من الأرض في قُبُل الجبل أو الوادي والجمع أسناد[١].

قال الجوهري: السَّنَدُ: ما قابلك من الجبل وعلا من السفح. فإذا قال النجرانيّ رأيت رجالاً يُسَنِدونَ ونساءً يُسَنِدن بمعني الاتجاه غرباً فذلك من سداد القول[٢]. ويستخدم أهل نجـران صيغـة الأمر من "زهل" إذ يقولـون ازهل في أسلوب الخطـاب بمعني اعتمد هذا الأمر وأنا سأتكفّل به. والعرب تقول: زَهِل زَهلاً، فالزهل هو[٣] "امَليساسُ الشئ وبياضه. والزّهلـول تعنـي الأملس الظهر. وقد ورد هـذا الوصف في بردة[٤] كعب بـن زهير عندما وصف ناقته بأن القراد حينما يدبُّ علي لبانها وخواصرها ينزلق أرضاً من فرط بدانتها.

يمشـي الـقـراد عليها ثـم يـزلـقـه عـنـهـا لـبـانُ وأقــرابُ زهـالـيـلُ

والزاهل في اللغة هو المتباعد عن الشر، المطمئن القلب. والمعني عينه يطابق العبارة التـي ترد كثـيراً علي ألسن أهل نجران: "ازهل يا رجـل" أي "اطمئن لما أتعهد به" أما قولهـم "أصَقرَ هَنْتنا" يعني أزعجتنـا غاية الإزعاج. فالعبارة أسلوب يُكَنىّ به عن شِدة الضوضـاء التي يسببها الشخص المخاطب، فكأنه استخدم[٥] صاقوراً أي فأساً عظيمة ذات رأس واحد تُخصص لتحطيـم الحجارة. وللصَّقر لغة: ضـرب الحجارة بالمعول. وتركيـب الكـلام يحسب الأصل كالآتي: "ها أنت أصقرتنـا" على وزن "أَفْعَلْتنا" ونظير ذلـك كقولك "أكرمتنا" فالنجـراني قدّم الفعل "أصَقَر" ثـم أعقبه بلاحقة دمج فيها "هـا التنبيـه" من غير مد مع ضمـير المخاطب البارز "أنت" بعد حـذف همزة القطع منـه ثـم وصله شذوذاً عن القاعدة ، بناء الفاعلـين، وهي ضمير في محل نصب مفعول به وهكذا صار تركيب الكلام: "أصَقَر + هَنتنا". وتجري على ألسنة قُطّان نجران كلمة "أنْقَـح" بمعنى اطرد كقولهم: "انقح الطير من المزرعة كي لا يلقط حب السنابل" كأن يرميـه المخاطـب بحجر حتى يرفرف مبتعـداً عن الحقل. لكن نقح نقحـاً في فصيح[٦] الكـلام تعني تشذيب جذوع الشجر وتهذيـب الشعر الكث واستخراج المخ من[٧] العظم. وأنْقَحَ تأتي أيضا بمعني خلع حِلية سيفه أو بغيره وباع ذلك ليستعين به في قضاء حوائجه في أوان الجـدب والقحط. ومن ثمّ فالاستعمـال النجراني لكلمة "انقح" فيما أري. يُعدُّ

(١) لسان العرب ٤/١٧٢ "حدر".
(٢) المرجع السابق ٣/٢٢٠ "سند".
(٣) لسان العرب ١١/٣١٣.
(٤) المرجع السابق ١١/٣١٣.
(٥) لسان العرب ٤/٤٦٦.
(٦) لسان العرب ٢/٦٢٤-٦٢٥.
(٧) لسان العرب ٢/٦٢٤-٦٢٥.

ضربـاً من أساليب الكناية ويُشـار به إلي الإبعاد. وعبارة "تعـال يا جِفر" بمعني صبي يشيـع استعمالها لـدي قبيلة يام. والعربي قديماً يعني[١] بهـا الصبي الذي انتفخ لحمُه وبـرزت كرشـه والأنثى "جفرة" ويقال استجفر وتجفّر بَيْـدَ أنَّ كلمة "جِفْر" في الغالب الأعم يعبر بها عن جدي الشاء إذا عَظُم واستكرش[٢].

قـال أبـو عبيـد[٣]: إذا بلغ ولد المعزى أربعـة أشهر جفر أي انتفخ جنبـاه، وفُصل عن أمـه وأخـذ في الرعي فهو "جِفر" وعلى كل حال فاستخدام هؤلاء القول لكلمة العرب. وقد ورد[٤] في حديث السيدة حليمة السّعدية ظئر النبي ـ صلي الله عليه وسلم ـ إذ وصفته قائلةً "كان يَشُبُّ شباباً لا يَشُبُّه الغلمان، فلم يبلغ سنتيه حتى كان غلاماً "جِفراً" والجَفْر في لغة اليمـن يُراد بها السرعـة في المشي. وفي الدعاء على غيرهم إذا بـدر منه ما يشين قولهم: "جعلـك الغضار" فالغُضار طين لازب اخضر والغضـرة[٥] والغضراء هي الأرض الطينية العلكِـة الخضـراء، وفي الدعاء[٦] علـى الغير تقول العرب: أبـاد الله غضراءهم. أي ازال نعمتهـم وبهجتهم وسعة عيشهم . وعلى كل حـال فالعبارة تحوي في ثناياها دعوة سوء بأن يغوص الشخص المدعو عليه في أرض طينية عَلكة كالفخ تماماً، تعجز الفريسة من الفكاك منه فتظل حبيسةً عالقةً في ذلك الوحل حتى تلاقي حتفها. وهذا الموقف مألوف في البادية إذ تغوص الـدواب عادة في هـذه الأوحال التي ينحسـر عنها ماء الأوديـة ـ فتجف، وتنفق الـدواب الغاطسـة فيها إنْ لم تجد منقـذاً. وهذه العبارة "جعلك الغضـار" لها ما يماثلها لدى العرب الأقدمين[٧]: "أباد الله غضراءهم" بمعني أزاح عنهم النعمة وكدّر عيشهم.

ويصفون السير وقت المقيل بعبارة "مشينا قوهارة" تعبير عن اشتداد الغيظ. وهم اشتقـوا صيغـة "فوعالة" من جذر كلمة قَهـر، تقول العرب[٨] قَهِر اللحـم إذا أنضجته ومنْ ثَـمَّ استعار النجراني المعني كفلح الهجير عندما تتوسط الشمس كبد السماء. وفي رأيـي أنّ أصـل كلمة "قوهارة"[٩] مـن الوَهِر وهو توهج الشمس علـى الأرض حتى يُرى

(١) المرجع السابق ٤/١٤٢.

(٢) أشكـرك يـا دكتور حمدون على هذا الرصـد اللغوي الذي قد يفتح مجالات أوسـع وبحوثاً أطول وأعمق في لغات ولهجات بلاد السروات الممتدة من نجران إلى الطائف .(ابن جريس).

(٣) المرجع السابق ٤/١٤٢.

(٤) الرحيق المختوم- صفي الرحمن المباركفوري ٦٢- دار الوفاء المنصورة – ط٧.

(٥) لسان العرب ٥/٢٣ "غضر".

(٦) المرجع السابق ٥/٢٣ "غضر".

(٧) لسان العرب ٥/٢٣.

(٨) لسان العرب ٥/١٢٠-١٢١.

(٩) اللهجات العربية – د.ابراهيم شمس أنيس ٢٧٤.

لـه اضطـراب كبخار الماء وهي. كما ورد في كتب الـتراث. لغة يمانية. واستعارتها لهجة نجران بحكـم الجوار، وتحقيقاً للاتساق النطقي قلبت الـواو قافاً فصارتْ "قوهارة". ونعتهـم لربة الدار "هــذه كُحَيْلة" فالكحَيْلة في عرف قاطنــي منطقة نجران هي المرأة المدبـرة التــي تدير بيتها بحذق ومهـارة، وتنطق هذه الكلمة بإمالــة خفيفة في اللاحقة تطابـق كلمة (hay) الانجليزية في مقطعها. والتي تعني العشب، وهذه الكلمة في نظري مشتقــة مــن كحل بمعنى وضع في العين مــا يُشتفي به أو يجليها كذلـك المرأة النجرانية تــدأب في إعــداد الطعام الشهي ونظافة الــدار وتربيتها حتى تبدو بهيــة تبهج ساكنيها وزائريهــا. وفي نظـري أنّ النجــراني نحا في صياغته هــذه الكلمة منحــى عامة العرب في كلمــة "كُمَيــت"[١] التي لا تــرد إلا علي وزن "فُعيل" والكلمة هــذه صفة للحمرة التي يخالطهــا سواد. ويري اللغويــان[٢] الخليل بن أحمد وسيبويه أنها صُغِّرت لأنها أصلا لم تخلص لحمرة ولا لسواد. وقد صاغها شعراً امرؤ القيس في وصفه لحصانه[٣].

كُمَيْت يـزلُّ اللبد عن حال متنه   كمَـا زَلّـتْ الصـفـواء بـالمُـتَـنَّـزلِ

وخلاصــة القـول أنّ النجرانيّ صاغ كلمــة "كحيلة" على النهج الـذي سلف ذكره، مراعــاةً لمقاصد التصغير في[٤] التعبير عن التدليل وإظهار الإعجاب والفخر. والجدير بالذكر أنّ مما أُثر في لغات العرب القديمة[٥]. ولاسيما في منطقة نجران. إثبات الألف في المثنــي ويجعلونه كالاسم المقصور تماماً. أي تكـون الحركات فيه مقدرة. فيقال على تلك اللغة: قَدِم الضيفان وأكرمت الضيفان وورد علي هذه اللغة قول الشاعر[٦]:

تــزوّد مِــنّــا بــين أذنـــاه طعـنـةً   دعــتــه إلي هــابــي الــتراب عقيم

والشاهد في كلمة "أذناه" فلو أنّ الشاعر جرى على لغة الجمهور لقال أذنيه. وعلى هذا يتخرج قوله تعالى (إِنْ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ)[٧] ويعزى هذا الاستعمال اللهجي لبني الحارث بن كعب وبني العنبر وبني[٨] الهجيم. وورد ذلك أيضا على ألسنة قوم من خثعم وزبيد وكنانة. وقد أشار صاحب الهمع إلى الشاعر الذي نحا في قريضه إلى هذا الاستخدام إذ يقول:

---

(١) لسان العرب / ابن منظور ٢/٨١-٨٢.

(٢) المرجع السابق ٢/٨١-٨٢.

(٣) ديوان امرئ القيس ٥٣-دار بيروت ١٩٧٢م.

(٤) التصريح علي التوضيح للازهري ٢/٥٥٩ – دار الكتب العلمية – بيروت – ط١٤٢١هـ.

(٥) معجم لغات القبائل والامصار، جميل سعيد، ص٥١-٥٢-٢٩ – ج١ – المجمع العلمي العراقي ١٩٧٨.

(٦) الاشموني ١/٧٩.

(٧) الهمع ١/٤.

(٨) المرجع السابق ١/٤.

إنّ أباها وأبا أباها قد بلغا في المجد غايتاها

ونُسبَ إلى عشيرة بلحارث بن كعب[١] قولهم: أخذت الدرهمان واشتريت الثوبان وفي التحية: السلام علاكم وتفسير ذلك أنّ انفتاح ما قبل الياء الساكنة أدى إلى قلبها ألفاً. لكن هذا الاستعمال اندثر في لهجتهم الحديثة ويلتزمون الصيغة اليائية للمثنى. نحو "ولدين" . في جميع الأحوال[٢]. وكثيراً ما يعبر هؤلاء القوم عن السنة التالية بقولهم "القابلة ازرع قرب الوادي" القابلة قد تعني "غداً" وفقاً لما يدور بين المتكلم والمخاطب من حديث. وعموماً فالمعني مفهوم من السياق، وذلك بحذف الموصوف وإثبات الصفة له والتعبير فصيح، وقد ورد في الحوار الذي دار بين المسلمين وقوم من قريش عقب غزوة[٣] أحد حينما قال أبو سفيان: "موعدنا بدراً عاماً قابلاً" فردَّ المسلمون عليه بإيعاز من النبي . صلي الله عليه وسلم . "نعم، إنّ موعدنا معك العام القابل". وكم سمعت ترددادهم للقابلة بمعني صبيحة اليوم المقبل في عبارة "القابلة عندنا عرس".

ويستعملون كلمة "خوّش" بمعني انتقص من أمر ما بسبب ما رَانَ عليه من الارتباك. والمعني صحيح. وقد بسط فيه القول اللغوي الفيروز أبادي[٤]. والتقطت أذناي كثيراً من العبارات إبان جولاتي العديدة في أسواق النّعم المسماة "بالمجلابة" فكان أحد الباعة يردد لزميله قائلاً: قد خدعوني الرجاجيل في ثمن الشاة الصمعاء السمينة. فالملاحظ أنّه أسند واو الجماعة للفعل خدعوني على صياغة لغة "أكلوني البراغيث" أمّا[٥] "الرجاجيل" كما ترد في عاميات الجزيرة العربية فهي جمع "لراجل" أي مَنْ يسير على قدميه. ورجال جمع رَجُل المذكر من جنس البشر. وأيضا[٦] رجال جمع راجل وقد وردت في حديث الخوف: فان كان الخوف هو أشد فصلوا رجالاً وركباناً. وإذا قلنا هؤلاء قوم رِجال فهي صفة تعني ذوو شدة وشهامة وهؤلاء نساء رِجال أي ماشيات غير راكبات والمفرد من ذلك امرأة رَجْلى. والصمعاء الصغيرة الأذن ومذكرها أصمع وذلك من صواب كلام العرب. ورد في الحديث أنّ ابن عباس لا يرى بأساً بأنْ يُضحى بالصمعاء. والصمع صغر الأذنين أو لصقوهما بالرأس[٧]، خلافاً للسّك[٨] ويقال السكك بفك الإدغام يعني الصمم وكذلك صغر الأذنين ولزوقهما بالرأس وقله اشرافهما أي

---

(١) الهمع ١/٤.
(٢) النوادر أبو زيد الأنصاري ٥٨.
(٣) لسان العرب ١١/٥٣٦-٥٤٦ "قبل".
(٤) القاموس المحيط ٧٦٥ "خوش".
(٥) لسان العرب ٣/١٤٢ "رجل".
(٦) المرجع السابق ٣/١٤٢-١٤٣ "رجل".
(٧) الصحاح ٣/١٢٤٥ "صمع".
(٨)) لسان العرب ١٠/٤٣٥-٤٤٠ "سكك".

بروزهمـا. وأورد بعض اللغويين أن سكـاء مرادف لصمعاء، لكن الشائع أن السكاء لها ضيق في فتحة الصماخ، أي فتحة سمعية تسري الأصوات من خلالها من غير أذن.

ومـن ثمَّ استنبط حكمـاء العرب الأقدمون قاعدة علميـة مهمة في عبارة مسجوعة وجيزة بليغة في قولهم: "كل سكّاء بيوض وكل شرقاء ولود". أي ذوات الآذان كالسنانير واليرابيع والسباع وغيرها تلد وذوات الفتحات السمعية كالطيور والزواحف والحشرات تبيض. ولذا صنفـوا الخفاش من الثدييات رغم تباهيه بسرعـة الطيران والروغان في حندس الليل ومغارات الكهوف الدامسة. وفي إحدى الحظائر لاحظت راعياً ممسكاً بفم الناقـة وهي ترغو ويجرّعهـا العقار عنوةً. فأجابني عنـد السؤال:-"هذه البكرة تخلج" وخلـج واختلج تعني[١] اضطرب كقولنا: اختلج صـدره بالمشاعر واختلج جفن عينيه إذا رفَّ وتحـرّك. وسحب[٢] خلوج يحركها الهواء وتسح الماء مدراراً وتقدح البرق الخاطف. وناقـة خلوج أيضا من ألفـاظ الأضداد بمعني غزيرة اللبن وأيضـا اختلج عنها حوارها قلـت رضاعتـه وقَلَّ درّهـا[٣]. وخلـوج تعني تسـرع في سيرها. ومن خلال هـذا البسط نستخلـص أنّ عبارة الراعي النجراني[٤] سليمة التركيـب فصيحة التعبير. وتدور على ألسنهم عبارة "لك الروع" والروع هو الخوف وتعني احذر هذا الأمر[٥].

٣ـ نماذج من الشعر النبطي، وصور من الفن الغنائي :

تنتظـم منطقـة نجـران نهضـة حضارية شاملـة تتمثـل في: التخطيـط العمراني والبنيـان الراقـي، والخدمات الاجتماعيـة الميسّـرة، وجامعتها المزدهـرة، وقناة البث الإعلامـي "الـوادي"، والمطابع الحديثـة ودور الصحف السيـارة والانفتاح عبر وسائل التواصـل المتنوعـة. بالإضافة إلى الـدور البارز لنادي نجران الأدبـي الصاعد في دعم الأنشطـة الثقافيـة المختلفـة وحفز النشء للعطاء المثمـر. وقد انخـرط كثير منهم في الكتابة الإبداعية لمختلف الأجناس الأدبية.

---

(١)) لسان العرب ٢٥٩/٢ "خلج"..
(٢)) المرجع السابق ٢٥٩/٢ "خلج".
(٣)) المرجع السابق ٢٥٩/٢ "خلج".
(٤)) أبان الشرح الأستاذ عبد الله آل مستنير.
(٥) نشكـرك يـا دكتـور حمدون على هـذه النماذج الصرفيـة والتراكيب اللغويـة عند أهل نجـران، وما ذكرته فقـط أمثلة قليلـة جداً ومن يتجول في بلـدان تهامة والسراة فإنـه سوف يجد كماً هائـلاً من الاصطلاحات والمفـردات واللهجـات والتراكيـب اللغوية المتنوعة في معانيهـا، وأصواتها، وتصريفاتهـا. بل من يطلع على الوثائـق التاريخية المحلية خلال القرون الماضية المتأخرة فإنه يجد فيها مخزوناً لغوياً ومعرفياً كبيراً، وآمل مـن أساتذة اللغـة العربية في جامعات الجنوب السعودي أن يلتفتوا إلى هـذا الميدان فيدرسونه في بحوثهم، ويوجهون طلابهم في الدراسات العليا لدراسة مثل هذه الميادين البحثية الجديدة في أبوابها. (ابن جريس).

(أ) نماذج من الشعر النبطي :

وبما أنّ البحث يستهدف اللغة على المستوي اللهجيّ أيضا، فقد اخترت بعض النماذج الشائعة من الشعر النبطيّ في واحة نجران وتتسم بحُسن السبك وسلاسة الأسلوب وذلك للاطلاع على مكنونها[1].

١. قصيدة ابن مهذل الصقور:

من شعراء يام المرموقين: محمد بن مهدى بن ظافر آل مهذل الصقور ووالده مهدي وكذلك الشيخ بنيان ومحمد بن صالح وسعيد بن مهدي ويحي بن حمد وعلي بن مهدي وكلهم من آل مهذل ولهم إصدارة شعرية بعنوان "ديوان آل مهذل". وقد نالت الحظوة لدى الملك سلمان بن عبد العزيز إثر مقابلته للشاعر محمد بن مهدي وإنشاده بحضرته، فتكفّل جلالته وقتذاك بطباعة المؤلّف. والكتاب موسوعة حوى قريض زمرة من آل مهذل الصقور وهم من شيوخ يام ذوي المواهب والعطاء الأدبي الثّر. وقد تناولت بالشرح والتحليل القصيدة الوصفية التالية التي بسط فيها الشاعر بعض التوجيهات السديدة والقيم النبيلة. هذه القصيدة قالها الشيخ/ بنيان بن علي بن مهذل في فرسه الأصيلة[2].

---

(١) هنالك ثلة من شباب نجران وشيبها شاركت في إثراء النهضة الأدبية والثقافية بالمنطقة. وفئة منهم ساهمت بفعالية في طرح الأفكار النيرة في مواقع التواصل. ومن هؤلاء علي سبيل المثال لا الحصر: د. فيصل منصور آل فاضل، د. يحيى حسين الشريف أبوطالب، د. عوض مناحي، عبدالله مهدي سدران، محمد مهدي سدران، مسفر صالح آل قريش، صالح عبد الله آل زمانان، ناجي مهدي آل معيوف، د. محمدناجي آل سعد، صالح عامر، إبراهيم سنان، صالح سدران، عبد الله سدران، سعد حسن آل سالم، صالح بن عايض آل مخلّص، سالم مرعي اليامّي، محمد هادي آل هتيله، مانع دواس، مشعل آل قراد، إبراهيم سنان، ناصر الصقور، صالح سالم عرفج آل سنان، مسرع آل دبيش، سعد بن صياد، سعيد آل مرضمة، عبد الرحمن آل دبيش، صالح اليامي، علي الدغيشي، راجح العجمي، قناص أحمد آل سوار، محمد المكاييل، فلاح المحامض، علي بن فنيس، محمد بن قنيفذ، هادي الرزقي، خرصان اليامي، محمد منصور آل فاضل، وبران آل كليب، ومن شعراء نجران البارزين أيضا: علي بن بلال، محمد آل مهذل، بنيان آل مهذل، محمد بن ذيب المهان، ابن دوغار، مهدي بن سمرة، مهدي بن سدّاح، ناجي آل مطلق، يحي بن سدران، أبوجبهة حمد آل سدران، مهدي بن سميطان، محمد بن غضيف، حمدان آل غضيف، حمد آل عامر، سالم آل غضيف، سالم المحيريق، حمدان أل مجيريق، يحي حمدان آل مجيريق، عويضه حمزان آل منصور، مانع بن جلاب، مانع حمد نتاش، مهذل الصقور، وشاعر المساجلات والمنافسات سعيد اليامي. ومن الرواة: محمد حمد الفحص ومحمد صالح محمد الشيبة آل سدران. (حمدون كباشي) . أشكرك يا دكتور حمدون على ذكر هؤلاء الأعلام ، ومازال هناك أعلام كثيرون في منطقة نجران يستحقون الذكر والإشادة . (ابن جريس) .

(٢) ديوان آل مهذل الصقور/ محمد بن مهدي آل مهذل الصقور- ط٢ نجران ١٤٢٨هـ.(حمدون كباشي) . صاحب هذا البحث أشار في مقدمة المحور المذكور أعلاه إلى بعض صور التطور الحضاري الذي وصل إلى بلاد نجران منذ نهاية القرن الهجري الماضي حتى وقتنا الحاضر. وكوني اعرف نجران جيدا ، وأصدرت العديد من الكتب والبحوث عن هذه البلاد العربية الأصيلة ، أقول إن منطقة نجران تستحق العناية والخدمة العلمية والبحثية فهي مجال واسع في شتى الميادين . وإذا ركزنا على تاريخها وحضارتها منذ خمسينيات القرن (١٤هـ/٢٠م) حتى اليوم فإنها حظيت بالكثير من الازدهار والتطور والتنمية الحضارية الحديثة والمعاصرة ، وهذه الجهود المبذولة في هذا الميدان تستحق أن توثق في عشرات المجلدات ، وآمل من جامعة نجران أن تنشئ مركز بحوث يختص بتاريخ وحضارة وتراث وموروث البلاد النجرانية فهي جديرة بذلك . (ابن جريس) .

يا راكب من فوق رسلا القراني	أسبق من اللي ينقل الخط مكتوب
تنصى حمد يا شوق مجلي الثماني	قد ريت أنا في تالي الحد مقلوب
ريت الثعل يلعب مع الكيرواني	والشور يجرا به مع كل خبخوب
يا نحمد الله يوم ربي عطاني	بنت الكحيلة جات لي عقب مطلوب
المعرفة كنها حرير اليماني	مهذوبة الساقين والعنق مسلوب
والعين عين امجرّب صيرماني	عَدَى وهو يطلب من الحق ما جوب
والغارب اللي كَنْه قصر المباني	وإلا الوثن بين أعرب عقب مشبوب
لي صاح صياح وعلمه لفاني	من أسفل الوادي قد المال منهوب
تلحق بزانتها وكنها الشطاني	تلحق بزانتها قد الريق بيروب
تلحق بعود فارس هيبداني	لي حمي سوق الموت والعمر مجلوب
تلحق برمحٍ مستطيل السناني	وتلحَق بسيف مرهف الحد مشطوب

حفلت القصيدة بصور بيانية عديدة أسبغت على المعنى قوة ورصانة، فبدأ الشاعر بأسلوب النداء مبدياً إعجابه بالفارس الذي يعتلي صهوة هذه الفرس. ووصفها بأنها (رسلا القراني)، وأصل العبارة "رسلاء القرانِ" وحذف الهمزة تيسيراً للأداء الصوتي. والترسّل تعني التوجّه، والقران والقرن حبل الدابة. يقول الشاعر أنّ هذه الفرس تعدو منطلقة طوع أمر فارسها أينما يوجهها ما دام مرخياً لها اللجام. بل تفوق سرعتها مطية ساعي البريد الذي يحمل رسائل مهمة في طياتها خبر جلل. وفي البيت الثاني يقول الشاعر: "تنصى حمد" أي أوجه[1] حديثي إلي أخي حمد ذلك الشاب الوسيم الذي هو محط اعجاب لكل غادة ذات حسنى يتلألأ برق الثنايا من ثغرها وينبهه بتغير الظروف. دَبجّ الشاعر تشبيه تمثيل رائع إذ أبدي استغرابه عن انقلاب الأمور وتغير الأحوال مع كرور الأزمان. فها هو الثعلب ذو الدهاء يلهو مع طيور الكروان .وهي من ضمن طرائده. وكأنها تأمن مكره . فهذا الموقف يماثل لتلك العشيرة التي تركن إلى استشارة "الخبخوب" أي الشخص ضعيف الرأي كليل البصيرة وذلك إذا أحسّتْ بخطر محدق. وفي البيت الرابع عبّر الشاعر عن فرحته الغامرة بامتلاك تلك الفرس الأصيلة التي أهداها إياه صديق أثير لبّى طلبه من أول وهلة، وهي من السلالات الأصيلة لديهم : الكحيلة والصقلاوية ، ومصداق ذلك أنَّ أهداب عرفها تنسدل كحرير ناعم جُلِبَ من بلاد اليمن، وهي ذات سوق نحيفة وعنق دقيق، وتلك صفات التخاية. أمَّا غاربها. وهو مؤخر العنق. فهو ضخم متين كأنه قاعدة لقصر مشيد من حيود ولا يقل صلابة عن الوثن الذي يوضع على حدود الأرض ليفصل بينها.

---

(١) راوي الواقعة التاريخية أستاذ محسن آل مهذل.

ويحكي الشاعر عن واقعة انطلاق صرخة استغاثة داوية من أسفل وادي نجران، ولما تيقـن من الحدث بقوله "علمه لفاني" وخَبِرَ اعتـداء اللصوص على مال القبيلة، سارع للنجـدة دون تـردد أو وجل ليسعف ربعــه في صَدّ الغارة. برز الشاعــر وقد تدجج بلأمة الحــرب على متن فرسه التي شبههــا في السرعة بأشطان دلاء يرمي بها قوم عِطاش في لُـب البئر وما هي إلا لحظات معدودة – قبـل أن يبتلع المرء ريقه – حتى أدركَ الفارس أولئك اللصوص وردّ مع ثلته المال المغصوب. أنّه "عود أحمد" لهذا الفارس "الهيبداني" المقـدام الذي لا يُحجم الخُطا إذا اشتد وطيس العراك، بل يخوض عِمار الوغى بسنانه الطويل وسيفه الصقيل وهذا الفارس يتحلى بحميد الخلال دأبه بذلَ العون لربعه، فما إنْ يقضى دين بعضهم حتى تطرق بابه فئة أخري تنشد كشف الضائقة عنها.

كمــا حوت هذه القصيدة معاني شتى إضافة إلى وصــف الشاعر لفرسه الرسلاء. فقـد نَبّه قبيلته متمثلةً في إسناد الخطاب لأخيه الوسيم "حمد" بتوخي اليقظة والحذر من تقلب صروف الدهر مستدلاً بوجوه البيان المعبرة التي أوردها في البيت الثالث. وقد استعمـل كلمة "خبخوب" ولها وقع في إصابــة المعنى الذي يرومه فهي مشتقة من الفعل "تخبخــب" وتعني الشخصــ الذي أنهكه الهزال حتــى لا يكاد يُسمع صوتــه، وهو ينفّرَ بذلـك عصبته من شور العيــي الضعيف- وكلمة "الكحيلة" ربما يعنــي بها وفقاً للهجَة أهل نجران تشبيه الفرس بربة البيت الحاذقة التي تضفي البهجة الغامرة على ساكنيه ترتيباً وطهواً وحسن معاملة. ولجأ الشاعر إلى أسلوب الكناية في رأيي باستخدامه كلمة "صيرمان" فالرجل الذي يقتات[1] الصيرم هو الذي يعتمد في طعامه على وجبة واحدة آناء الليل والنهار وكنّى بذلك للدلالة على الشجاعة ورباط الجأش.

وأورد الشاعــر كلمــة "الوثـن" والعرب تقـول: وَثَنَ بمعنــي أقام، والواثــن: المقيم الراكد. واستوثنتِ الإبل: نشأت وبُعرانها معها. وشبه غَارب فرسه بالأوثان أي الجلاميد الضخمة التي تطرح لبيان حدود البلاد. ووثّن الأرض أبان حدودها[2]. ووصفه للفارس بكلمــة "هيبداني" يعني بها القوي المقـدام. فالكلمة قد تكون مشتقة من "الهبيد" وهو خبط الإبل الأرض بإخفافها أثناء عدوها. أو استوحي المعنى من "الهبيد" وهو الحنظل ذو المـذاق المر، ولذا فهـذا الفارس يتحاشاه المقاتلون ولاشك أنّ الشاعر أحسن الوصف لسرعــة الفرســ مشبهاً ذلك بشطن الدلــو- أي الرشاء- الذي ينقطــع من الثقل ليطيح في جــوف الجــب. بل لعله يعني انطلاق أشطان الدلاء التــي ينتشلها قوم عِطاش، فكأنّه يجارى عنترة بن شداد في وصفه حصانه الأدهم والرِماح تنوشه من كل صَوب كأشطان مرسلة داخل الرس.

---

(١) لسان العرب ٣٣٩/١٢.

(٢) المرجع السابق ٤٤٢/١٣.

يدعون عنتر والرماحُ كأنها أشطان بئرٍ في لبان الأدهم[١]

وزخرت القصيدة بقيم نبيلة منها: الكرم وحماية الذمار والتروي والشور عند اتخاذ القرار[٢] .

٢ـ قصيدة علي بن بلال:

ترعرع الشاعر علي بن بلال في ظواهر منطقة نجران وعلق وديانها الغناء وشعابها العفراء في نواحي حبونا والحصينية وثار وأبا الرخم ويدمه وغيرها من تلك البقاع التي ولجها في غابر الزمان أعشى قيس وعبد يغوث الحارثي وقُس بن ساعدة الإيادي، فمجدّها هؤلاء الأدباء الألباء بأحرف من نضار في صحائف الأدب العربي[٣]. وشاعرنا علي بن بلال جاءت قريحته بفيض من القريض منه خريدته اليتيمة التي برع فيها في وصف الإبل[٤]، ولا غرو في ذلك فهي سفن الصحراء، قاطرات البيداء، قوت وزاد وغطاء، ومهر عرس في السراء، وفي الأتراح ديات للنفوس وفداء، ومطية العربي إذا حزب الأمر ودوي النداء، فحرىّ بها أن تشحذ قرائح الشعراء.[٥] وهنا بسط لقطوف دانية انتقيتها من قصيدة الشاعر على بن بلال الشهيرة في وصف هذه النَّعم وقد ناقشته في مضمونها عند زيارتي له في داره الرحيبة بمدينة الرياض، والجدير بالذكر أنّ هذه القصيدة حازت جوائز في مهرجانات الإبل وكذلك من الديوان الملكي. ومما قال في هذه القصيدة:

ومع ظلام الليل أدل من القطاء سفن الصحاري والذكا بأذهانها
وأرجع إلي عسفي ووصفي للذلول أركب ظهرها ثم أعلمّها الدّلول
حتى تجي كنها تقل لي ويش تقول خدمة هنوفاً ما تمد لسانها
أغير وأطمر وإن حذفت لها الخطام تقف وقوف العسكري حسب النظام

---

(١) شرح المعلقات العشر د.مفيد قميحة ٢٦٨- دار العلوم العربية – بيروت ١٩٨٩م.

(٢) هذه القصيدة التي وردت في هذا البحث نموذج صغير من الأشعار النبطية عند أهل نجران أو عموم بلاد السروات. ومن يطالع هذا النوع من الأدب الشعبي خلال القرون الثلاثة المتأخرة الماضية فإنه سيجد كماً هائلاً من الموروث التاريخي والحضاري الذي يعكس صوراً من حياة سكان هذه البلاد، ولهذا أقول إن الشعر الشعبي من مصادر التاريخ المهمة ، لكن لابد أن يكون المؤرخ حذراً في استخدامه مصدراً من مصادره ، لأن الشعراء يبالغون في تصوير ما يقولون ويروون.(ابن جريس).

(٣) هؤلاء الأعلام يستحقون أن يصدر عنهم مئات الصفحات ، فتوثق أشعارهم وأمجادهم التاريخية والحضارية في أرض نجران وخارجها . (ابن جريس) .

(٤) كان يجب على صاحب البحث أن يدون ترجمة لهذا الشاعر الشعبي ، ويذكر بعض إسهاماته في الحياة الأدبية والشعرية . (ابن جريس) .

(٥) هناك عشرات الكتب والبحوث التي فصلت الحديث عن الإبل ، وأنواعها ، وأهميتها ، وما ذكر فيها من الموروث التاريخي والأدبي . (ابن جريس) .

لو من بعيد أخ أبركي تبرك اشمام ... مثل الرهينة في طلب رهانها
خلود أسد وعيونها مثل الخلاص ... وكنها ليا قامت على كهرب وماص
وإن دبّرت معاد يلحقها الرصاص ... وإن لمستها العرقوب جن اجنابها
إن أربعت تقول زاروقاً سريع ... علي طمان الموج والموج الرفيع
إلا أنها فيها من الذئب الجويع ... خوّه وباعه وحركة بيعانها
أصيل ومعدى زمان مع زمان ... بشدادها مس الحقب هو والبطان
وعذارها اللي من وراء مقطع الأذان ... واختم صريمتها تحت لحيانها
وابتد من أخلاق الصريمة بالخطام ... قوسه ثلاث أمتار من ريش النعام
شدّه ومدّه لا تهدّه يالهمام ... والوه علي كرزاً علو أمتانها
فجّا نحر حدْبا ظهر قطما خفاف ... والعنق من عنق النعامة والزراف
كن الشجر من قدمها يحذف إخلاف ... من طويها البيداء ومن ذرعانها

وإذا أمعنّا النظر في البيت الأول والثاني نلاحظ أن الشاعر يوضح فيهما بأن الإبل من نعم الله التي لا تُحصى، إذ خصها الإله بالمقدرة على عبور البراري واختراق غياهب المفاوز الجرداء الشاسعة، فلا تضل الطريق لأنها خبيرة بدروب الصحاري المُرْبِكة، وخبرتها في تمييز معالم الفلاة تضاهي معرفة طائر القطا الحاذق الذي اعتاد العيش في تلك الفيافي الموحشة. ولا غرو في ذلك. وهذه الناقة النجيبة ذات ذكاء ثاقب ونباهه فقد استوعبت ما غرسه فيها الشاعر من خصال طيبة إبان ترويضها وتطبيعها وهذا ما أشار إليه بكلمة عسفي ويرمي بها إلى تلقّي الأمر بمشقة لأن العسف هو الظلم . والعسف أيضا السير في الفلوات بغير هدى. وها هو الشاعر كعب بن زهير يورد في قصيدته البردة وصفاً مشابهاً لذلك إذ يقول معبراً عن الأصقاع التي يروم الوصول إليها[1]:

ولن يبلغها إلا عذافرة ... فيها على الأين إرقال وتبغيل
من كُلِّ نضاحة الذّفرى إذا عَرقت ... عرضتها طامس الأعلام مجهول
ترمي الغيوب لعيني مفردٍ لَهِق ... إذا توقّدتَ الحُزّاز والمِيلُ

والشاعر هنا يصف ناقته بأنها عُذافرة أي قوية صلبه ولها مقدرة على المشقة، فإذا تعبت تخفف عدوها إلي نوعين من الانطلاق الخفيف هما: الإرقال والتبغيل وعرقها - وهو ما عناه بالذفرى - يتصبب من النقرتين اللتين خلف الأذنين كناية عن اشتداد السير. ولها مقدرة فائقة على استكشاف الطرق الوعرة التي اندرست أعلامها بل هي كالمفرد اللَّهِق أي الثور الوحشي الأبيض الذي يتصف بحدة النظر. وفي رأيي أن هذه الصورة البلاغية تفنن

(١) ديوان كعب بن زهير ٨٦.

فيهـا الشاعر علـي بن بلال بأسلوب رائع حينما شبه ناقتـه بطائر القطا في استبصاره الدقيـق في تمييز معـالم البيئة الصحراويـة المتشابهة. ولاشـك أنّ ذات الجناح تتفوق علـى الدواب في التماس الأثر، إذ تعينهـا براعتها في الطيران على الاهتداء إلى طامس الأعـلام والمتشعـب من الطرق فـلا تضل أبـداً. ويضيف علي بن بـلال قائلاً في وصف الذلول:

دبجـة عبسـهـا فـارقـاً عـن كـل طيب   باكم شفت من رأس عمساً لا يطيب

وكلمـة "عَبَس" يعني بها ما يبس من العرق خلـف أذني الناقة. و"عمَس" يريد بها اشتـداد صداع الرأس. والمعنى صائب وعَمَس في اللغة اشتد وأظلم. فالعرق الذي ينضح بغزارة من ناقة الشاعر ابن بلال لا يقتصر على دلالة النشاط والاجتهاد في العدو فحسب بـل هو عقار ناجع يُشتفي به من أوجاع الرأس المزمنة، وفوق ذلك فان رائحة هذا العرق طيبة أن كثيراً ما يحرص على علف ناقته بأفنان غضة النوّر والورق. ويعرب الشاعر بأنّه يجهـد نفسه في تربية هذه الناقة وترويضها لتكون مطيـةً مستفاداً منها وهذا ما قصده بكلمة "عسفي". فالعسف هو الشدة والظلم بل الشاعر يغالي في الوصف حينما قال أنّه إذا استنطقها لردت "بنعم" كالهنوف أي الزوجة المخلصة التي تلبّي كل ما يطلبه بعلها دون أن تنبس شفتاها بكلمة اعتراض . وعبارتي "أغير وأطمر" تدلان على أنّ هذه الذلول سلسة القياد . فالشاعر قابضٌ علي خطامها يوجهها أنّى شاء سيراً وإيخاداً وارقالاً. قال اللّغوي السيرافي في "أطمر"[1]: الطّمر: مشتق من الطمور، وهو الوثب وإنما يعني بذلك "الحركة". ويُرْدِف الشاعر بأنه لو نطَق إخالة الصوت "إخ" المعهودة للإناخة ولو همساً لوطئـت هذه الناَقة الأرض بكلكلها على الفـور. وهذاما يقصده بكلمـة "اشمام" وهي فصيحـة. وأجاد التصويـر البلاغي عندما شبّه سرعة امتثالهـا لأمره طائعة باستجابة الرهينة المستضعفة - التي تعاني من الخور والإذلال - لما يوجهه إليها الراهن المعتدي من أوامر. ولعل الشاعر ابن بلال استوحى بعض معانيه من عنترة حين قال[2]:

يـنْبَـاع مِـنْ ذِفـري غَضُـوب جسْـرةٍ   زَيّـافَــةٍ مـثـل الـفَـنـيـقِ المُـكْـدَمِ

ينبـاع نطقهـا الشاعر على سبيل الإشباع أي يَنْبَع بمعنـى يسيل العرق من ذفريها، مـن موضعي خروج العـرق خلف الأذنين . وهي غضوب أي متحفـزة وجَسْرة ذات طول وضخامة زيّافة كالسَّهم في السرعة إضافة إلى كونها مثل الفنيق المُكْدم أي الفحل القوي

(١)) لسان العرب ٤/٥٠٣-٥٠٤.

(٢) ديوان عنترة، ت خليل شرف الدين ٦١ – دار الهلال بيروت.

الجسيم. ووصف عنترة ناقته أيضا قائلاً[(١)]:

خـطّـارةٌ غِـبَّ الـسُّـرى زَيـافـةٌ　　　تَـطِـسُ الإكـام بـوخْـد خُـف مِـيـثَـمِ

خَطّارة يريد بها أنَّ هذه الناقة النجيبة تنطلق بقوائم ذات خفة وتخطر في سيرها بذنبها تلوح به وتَطس التلال وطساً بأرجلها أي تضربها ضرباً قوياً وهي تجتازها مسرعة حتى يكون لآثارها ميثماً أي كسراً على صفحة الأرض. وناقة الشاعر اليامي من فرط سرعتها كأنها تفرُّ مذعورةً من صياح بدر من جمعِ حاشد وهي تَهُزّ الأرض هَزّا بوقع أرجلها. وفي رأيي أنّ طرفة البكريّ قد فاق رفيقه في وصف ناقته الشقراء ذات الظهر الصلب والوخد المتتابع فتمور قوائمها موراً في حركة دائبة لا تنقطع[(٢)]:

صـهـابـيـة الـعُـثـنـون مُـوجـدة الـقـرا　　　بـعـيـدة وَخْـد الـرّجـل مَـوّارة الـيـدِ

واسترسل الشاعر في البيت السادس من الأبيات المدرجة معجباً بهدوء طبع ناقته عندما تخلد للاستجمام في المراح، فهي حينئذ كضرغام رابض في عرينه وعيناها تشعان صُفاءً كنَخْب تمر الخلاص النقي. وكم راعه إسراعها واندفاعها: إقبالاً فهي أعجل من تيار كهربائي صاقع، وإدباراً لا يدركها عيار ناري. وقد برع الشاعر في صياغة تشبيه التمثيل لهذه الناقة العادية هبوطاً وصعوداً بين النجاد والوهاد عندما قارنها بزورق يمخر في جو عاصف تتقاذفه الأمواج العاتية في ارتفاعها وانخفاضها. وهذه الذلول تماثل في ضمورها ذئب الفلاة الذي طواه الطوى وأضناه الهزال . فإذا انتصبت نهوضاً فقوامها قوامه. ولكن طرفة بن العبد يتحفنا بصورة أخرى تأسر اللُّب، إذ شبه عيني ناقته بمرآتين صافيتين. وممّا حواه البيت التالي تشبيه للعين واستدارة عظم الحاجب حولها بنقرة ماءٍ في قنة الجبل .

وعـيـنـان كـالمـاويـتـين اسـتـكـنّـتـا[(٣)]　　　بكهفي حجاجي صخرةٍ قَلْتِ مـوْرد

والشاعر على بن بلال مُولع بإسباغ الأوصاف علي ناقته إذ يقول:

فجّا نَحر حدْبا ظهر قطما حِقاف　　　والـعـنـق مـن عـنـق الـنـعـامـة والـزراف

فهي لا تقلُ نجابةً عن إبل مهرة بن حيدان الشهيرة، فنعتها بأنها واسعة النحر حدْباء الظهر قطماء الخفاف، وهذه من أبرز ميزات عتاق الإبل، علاوة علي ذلك فهي مديدة العنق كأوابد النعام والزراف التي تسابق الريح عدواً. وهذا البيت بما يحويه من موسيقى آسرة وجرس شجي فكأنّي بشاعرنا هذا يجاري صاحب البردة حينما

---

(١) المرجع السابق ٥٩.

(٢) شرح المعلقات السبع – الزوزني ٧١ – دار القلم بيروت.

(٣) شرح المعلقات السبع للزوزني ٧٤، ديوان طرفة ٢٣، دار الكتب العلمة بيروت.

أنشد: مفتونا بناقته الغلباء العلكوم العظيمة الشديدة ذات الوجنتين الواسعتين والدف العريض - أي الجنب - والخطو الواسع وأشار إلى ذلك بالميل وفيها شدة الفحل

غلباء وجناء علكومٌ مذكرةٌ ... في دَفّها سِعةٌ قُدامها مِيلُ [1]

ويحس علي بن بلال بأنّ ناقته من فرط سرعتها لكأنّما الشجر المنتثر إزاءه في البيداء يسايره يمنة ويسرة. والشعراء بصفة عامة كل له مذهبه فأعشى قيس وصف ناقته بقوله[2]:

عَرَنْدسهٍ لا ينقص السير غرْضها ... كأحقب بالوفراء جأب مُكدَّمِ

أي هذه الناقة شديدة لا يضنيها المسير والجري فيضمر بطنها ويرتخي (غرْضُها) بطانها من جراء ذلك بل هي شديدة سريعة كالأحقب أي حمار الوحش المخطط الذي يعدو في وفراء خصيبة غليظة الأرض. فالشاعر جمع بين القوة والسرعة لكن علي بن بلال أسبغ صفات النجابة مقرونة بخفة العدو على راحلته ويسترسل الشاعر في وصفه في الأبيات التالية:

صكا الفخوذ البتُر والذيل القصير ... أفهق عصاها من عصاها لا تطير
أديب لا تزغم قليل ولا كثير ... حمر الشُنوف اتسوقها زيلانها
ويسوقها صوت المغنىّ والطبوع ... فزازةً فيها من الأدمي رموع
حسكاء ووافية الفقارة والكتوف ... سرعة قوائمها كما رقص البلوف
وان دبرت هي والنعامة شوف ... ساق النعامة كنه من سيقانها

فناقته صكاء بدينة مكتنزة الأفخاذ قصيرة الذيل. حسكاء أي وبرها قصير كشوك الحسك فإنْ أومأ راكبها بالعصا تطير به منطلقة عبر الأفق. وإذا أرخى الليل سدوله تتهادى تلك الناقة في اتساق مع نغمات حادي الركب الذي يشجيها. وقوائمها في تتابعها تفوق سرعة أجزاء المحرك التي تقدح الطاقة. وهي نشطة لايطالها عطب كالمركبات الحديثة التي كثيراً ما تجنح معطلة على قارعة الطريق. وختام المسك أبيات ضمنها الشاعر ذكريات رسخت في وجدانه.

راي المجرّب ما يعارضه الطبيب ... والصدق أمانه ما نجح من خانها
مرباعها ربعاً بعيد عن الجبل ... أقرب علي ريداء وقرب أم العبل
ويبرين وهي أقرب مواريد السهل ... وإن سنَّدت نذكر بعض قُلبانها

---

(١) شرح قصيدة كعب بن زهير لابن هشام ٢٠٦.

(٢) ديوان الأعشى ١٨٠ – دار بيروت ١٩٨٠م.

تــارد عـلـى الأطــواء وقـريــةً يـدمـة — وتــرْد الحصْـينيّـة بـأخبـاش إقـلـمـه
قـلـمـةً لـيـصـار لـلـقـيـض أكـتـمـه — كـم داجــت المجـهـم عـلـي معطانـهـا
تـــارد مـشـيـنـقـه عـلَـى عــــدّاً لـهـا — وتـــارد شـــروراء مـشـربـاً شـفّـاً لـهـا
وجــال الـوديـعـة فـيـه حـيـضـان لـهـا — عـزب المضـامـي شـرق مـن ضلعانهـا
ودمــخ ومـنْـوخ مــن حـسـاب اعـدوًدهـا — يــامــا ويـامــا مـــن قــديم اتـــرودَهـــا
مــــــوارداً كـــمْ رحَّـــبـــت بــورُودهـــا — لـيـا قـامـت الـوَرقـا تجُـر ألحـانـهـا
وإن أشـمـلـتْ مـنـهـا لـهـا كـمْ منهلي — عـلـى تمـــانـي ورْدهــــا والمـنْـخُـلـي
وَتـشـمـل إلي حـمـراء نـثـيـل وتـدهـلـي — مـظـامـيـاً مـتَـسـعـة حـدًانــهــا
ولـهـا مَـوارد شـرق مـنَ حـمـراء نثيل — شـوّالـه الـلـي مــاوردهًــاَ إلادلـيــل
ثــم الـعـبـيْـلـه ومـعـمـوره يـاجـزيـل — أنـــثـر عـلـيـهـمـا مـرهـشـات أمـزانـهـا
وان أشملت من رُبعها الخالي قصاد — خـريْـص ورمـــاح لـهـا غـايـة مــراد
هـذي مــواردهــا الـقـديمـات الجـداد — مـنــاهـــلاً لـــلإبـــل ولـــرعـيـانـهـا
ولـهـا مـن أعـلـي نجـد لـلرقـعي وعَـرق — سـهـل سـهـل ومـقـسـمـات فــرق فــرق
سُهـول شـبـه المستطيلـه غـرب شـرق — دمْـــثـــات وكـــثـــيراً حـفـاً قـيـعـانـهـا
مــداهـلاً تجـمـع مـن الـبـل لـون لـون — ألــــوان حُـجـاجـاً لمكـه يـقـدمــون[1]

فهـذه الإبـل التي ترد هذه المداهـل والمناهل تتباين أنواعهـا وألوانها ونستنبط من زخم الوصف الذي جرى أنَّ شاعرنا علي بن بلال وناقته النجيبة توأمان تهزهما تباريح الشـوق لمواضع أثيرة إليهما. وتنتشر فيها المرابع والمصائـف والمشاتي المعهودة للرعاة، فيحسـ الشاعر ومطيته بحنين جارف دفاق لمناهلها ومراتعها وهذه البقاع منها شروره والوديعة في أقصى جنوب الربع الخالي، ودونهما المنخلي وفي حنايا الصحراء الشاسعة شوالة والعبيلة، وفي أعلاها يبرين. ويلهج لسانه بذكر مشارب وإعدادٍ أخرى يؤمها لماماً منها: دَمخ ومنوخ ومشينقة وتدهلي وحمراء نثيل ثم ويدمه وغيرها.

٣ـ قصيدة ابن سدران :

هنالـك ثلـة من شعراء آل سـدران من يام لهم دور بارز في الساحـة الأدبية للشعر النبطـيّ ومن هؤلاء الشاعر حمد بن علي آل سدران المكنيّ بـ(أبي جبهة)[2] وهو كفيف البصـر، بيـد أنه متوقد القريحة نابة نابغ. وتوفي قبل ثلاثة عقود تقريباً. وقد استمعت إلى بعض قريضة في مجالس يام، وقد كان قوي البيان حسن الديباجة بارعاً في الوصف

(١) كـم نحـن في حاجة إلى جمع تراثنا الأدبـي والشعري واللغوي في منطقة نجـران وغيرها من بلدان جنوب المملكة العربية السعودية. (ابن جريس).

(٢) الراوي الأديب: محمد حمد القحص.

الحسيّ ولعله يذكرّ سامعيه بالشاعر بشار بن برد. ومن أميز هؤلاء الشعراء أيضا يحي بـن صالح[١] بـن محمد آل سدران. وتوفي قبـل عقدين . وقد اقتطفـت أبياتاً من صدر قصيدتـه الطويلـة التي وصف في مجملهـا الجبال والتلال والقنص والسلاح والفيافي والقفـار وضمنها نفثات وُد والهة وليدة عاطفـة دفاقة، إضافة القيم والنصائح الثمينة والخِلال النبيلة التي زخر بها النَّص.

قال ابن سدران يحيى بادياً عالي ويخيل	بيض الحجل ترعى ملاوية
في يده فرنجيه تسيوفها غالي فيد	لجـدّانـا مـا هـي بمشرية
حدباً ظهرها لما جل بخضابي	الحنش داعس فيها بثارية
أنا وحيد وكن الجمع يبراني	ما دام مشحونة وذبالها حية
يا بندقي مالها وصف ولا مثالي	ولا نقل وصفها جمع العريضة
تلفى بصيد الخلا من كل مصلالي	وإلا النابي الحبر والغفر وروية
يا بندقي شبه عَـذْرَ قلبها سالي	تضحك بغر الثنايا للعريضية
ياما حلاها على املح قلبها سالي	في ساقة البدو ترعى بنت وسميه
ياغظ الأنهاد حُبِش باري حالي	من رأسها إلى القدم بالزين محلية
لبوسها ثوب هندي غالي	غض النهد لابسه من فوق مزوية
يا سعد منْ هولها في الحل رجالي	يلوي عليها الحجب لي هب شتويه
ما بلجت بيتها تبغي التطلالي	ولا شهب عقلها جفر الرويلية
هم خضرة القلب زينات التعزوالي	مثل الجبا ليضرب الأرض السناوية

ينشد الشاعر يحي بن سدران معتلياً قمم الجبال، ويعكس لنا مناظر رائعة يطالعها من علٍ في تلك الوهاد وعلى امتداد ضفاف الوادي، وهناك أسراب طيور الحجل تلتقط ثمار بـذور النباتات البرية. ثم عدل فجأة عن الوصف إلى الاعتداد بنفسه وعشيرته. ففي حوزته بندقية جيدة الصنع جُلبتّ من بلاد الفرنجة، وقد غنمها أجداده في معركة حامية الوطيس مع العدو ولم تُشر من السوق. وهي حدباء بها عطفة لونها يضرب للحمرة كأنها جُللت بالخضاب وتزينها نقوش وزخارف مشكلة الألوان تبدو لرائيها كإهاب الأفعى الرقطاء. وإن وضع يده علي زنادها تحاشاه العدا، إنّها سلاح فتاك لا مثيل له ، يثير الرعب في النفس، ويحتار في وضعه "العريضية" أي الجمع الحاشد من الناس. ويستعين به الشاعر في قنص صيد الخلاء من الحبارى وغيرها من الطرائد في تلك البقاع. ومن فرط إعجابه ببندقيته شبهها بالخريدة العذراء التي تغمرها السعادة، فيفتر ثغرها عن أسنان براقة. تلك الفتاة الناهدة تزينها الثياب الهندية التي شُدت إلي

(١) عبد الله مهدي سدران .

جسمها فتظهر محاسنها الفاتنة. ما أسعد حليلها الذي تُزف إليه في ليلة شاتية. وفوق ذلك كله فهي حسناء عفيفة رزان مصونة حبيسة الخدر لا تتطلع إلى الشباب. ويردف قائلاً: إنّ النساء هن زينة الحياة بل كالمطر الذي يصيب الأرض الجرداء ليحيلها جنةً غنّاء.

نلاحظ أنَّ القصيدة تعوزها وحدة الموضوع. فالشاعر من وصفه للمناظر من تلك السفوح ينتقل للاعتزاز بسلاحه، ثم يصف المجالدة والصيد وينتهي بالغزل. فالقصيدة يغلب عليها طابع البداوة. لكن الشاعر برع في ايضاحه لطريقة امتلاك السلاح عنوة بالسيوف فالعرب تقول: تسايف القوم تسايفاً ، لذا قال الشاعر "تسيوفها"[١] أي تسايوفهم. واستخدم الشاعر المصادر الصناعية مثل "العريضية، السناوية" بالصاق الياء المشددة مع التاء المربوطة، لأنها تدل على حقيقة الشيء وما يحيط به بالإضافة لما يتطلبه الوزن الشعريّ. والعريضية وردت في النص بمعنيين: الأول لهجي محض وهو الجمع من الناس، والثاني - في رأيي الأسنان بين الثنايا والاضراس وربما وقع خطأ في الرواية أو النقل وأصل الكلام كما أرى: "الثنايا والعريضية" أي العوارض وقد وردت في قريض كعب بن زهير:

تجلو عوارض ذي ظلم إذا ابتسمت كأنه مَنْهلٌ بالراح معلول[٢]

أجاد الشاعر في توظيف الأساليب اللغوية، ومنها النداء "يا بندقي" "يا سعد منْ هولها" وكذلك التعجب "ما حلاها" إضافة إلي التشبيهات المعبرة مثل "مشحونة بذبالها حية" فشبه ذخيرة البندقية بذبال السراح الذي يمكن أنْ يندلع منه حريق هائل. أمّا كلمة "السناوية" أصلها: السنة ولها معنى آخر غير الفترة الزمنية المعروفة إذ تعني القحط والجدب[٣] بيد أن الشاعر صاغها مصدراً صناعياً كما أسلفت . وفحوى الكلام في النص "الأرض ذات المحل والجدب". اشتمل النص على كلمات فصيحة معبرة من ذلك: بلّج بمعنى تباعد ، وجفر المراد بها الصبي المغتلم وأيضا ذبال والحيا. حوى النص أيضا كلمات لها استعمال لهجي خاص مثل: الرويلية بمعنى الحضر والعريضية أي الجمع من الناس والتعزوالي المراد بها رمز الاعتزاز وفقاً لما قاله الراوي[٤].

---

(١) أسقط الشاعر ألف المد مراعاة للضرورة الشعرية من "تسايوفهم".

(٢) ديوان كعب بن زهير ٨٤.

(٣) لسان العرب ١٤/١٠٥.

(٤) الراوي: الشيخ محمد بن صالح بن محمد الشبيه آل سدران. (حمدون كباشي) . أشكرك يا دكتور حمدون على هذا الرصد اللغوي ، وأرجو منك أن تتوسع في دراسة مثل هذه الموضوعات الجيدة ، وبخاصة أنك مكثت سنوات كثيرة تعيش في قرى ومدن وأرياف جنوبية سعودية . ومن المؤكد أنك أدركت الثراء الحضاري والتراثي الذي يوجد في أوطان السروات الممتدة من نجران إلى الطائف . (ابن جريس) .

(ب) صور من الفــن الغنــائيّ :

الفــن الغنائــي في منطقة نجران لــه ألوان متعددة أبرزها "الزامــل" ويؤدى بلحن طــروب. وتسع حلبة الزامل أعداداً قد تفــوق المائة. وتترنم ميسرة الصف مثلاً بمقاطع شعريــة معــبرة، وعلى الفور تتجاوب معهــا الميمنة في انسجام وتناغــم بأهازيج شجية. ويتخلل ذلك دخول بعض المشاركين بهرولة وثبات متناسقة شاهرين خناجرهم البراقة إلى أعلــى. وجــرت العادة أنْ تتوجه ثلة من قُطان الحــي أو أفراد العشيرة إلى مجموعة أخرى بعد أعلامها والتنسيق معها للتفاكر في بعض الشؤون . وقد يكون الهدف من ذلك ترتيــب لعقد زيجة أو إكمال مراسمها. وقد يسعــى أولئك القوم "لعقد منضد". والمراد بذلــك رأب الصدع وبذل الجهود في التوفيق بين مــنْ وقع بينهم أمر مُشكل كالشجار أو النــزاع في الأرض وغير ذلك مــن القضايا الاجتماعية والجنائيــة وعندما يتقدم الوفد معلنــاً وصوله بترداد مقاطع الزامل، تهب للقائه فئة المضيفين باستقبال مهيب. ويمكن أنْ يقــال أيضــا بأنَّ الزامل فن استهــلالي رائع يعبر بكلماته الآســرة عن الحرص على وشائــج التلاحم وإبانة مقاصد اللقاء. ويتضح لنا فحوى مــا ذكرته آنفاً باستقراء هذا المقطع القصير الذي يحمل المعنى الكثير.

يــا ســلام علــى مــنْ نصــانـــا عــِد مــاهــل المطــر مــن ســمــاه [1]

لا دعــــانــا الخـــــوي عنـيـنـــالــه

والسامــع هنا يحس في أعماقه بــدفء الاحتفاء والتقدير وكثافــة الترحيب التي تفوق قطــرات الغيث في انهمالــه مدراراً من السمــاء . وكلمة "نصانا" معناهــا "رافعين الأمر" وهذا من فصيح كلام العرب، لأنّ "نصّ" معناها رفع ومنْ ذلك منصة العروس التي تجلس عليهــا يوم جلوتها. واستخــدم المنشد كلمة "لا" أي إذا اَستنجد بَنا الرفيق بادرنا دون توانٍ لتلبيــة طلبهِ[2] . والعبارة السابقة تركيب لغــوي شائع في لهجة منطقة نجران. وممّا يتواءمَ في المعنى مع السرد السابق تلك الأرجوزة التي دبجها الشاعر قيصر بن هميم إذَ يقول[3]:

يــا ســلامــي عليكم يــا هــل الــنــالــه يــا ســنــام الــفــخــر والــعــز والــطــيــبــه

الــخـــوي لا دعــانـــا ثــم عنيـنــالــه نــحــتــظــي لــــه ونــاقــف في مــواجــيــبــه

ونلاحــظ أن الشاعر حذف همزة القطع تخفيفاً في كلمة "هل" أي أهل النالة ذوي العطاء الوافي والجود والكرم. وزاد ألف مد في الفعل "نقف" فقال "ناقف" بغية تحقيق الانسجــام الصوتــي. وكل ما ذُكر جائــز في سبك القريض للضــرورة الشعرية الشائعة

---

(١) المنشد قدري حرمال.

(٢) القاموس المحيط . مادة "نصص" ٨١٦.

(٣) قيصر بن هميم شبكة الانترنت.

والسنــام قمــة ظهر البعير وهذا تشبيــه يدل على علو المقام. وقـد تحتوي "مقطوعات" الزامل على زخات من الفخر والحماس، وها هو الشاعر يعبر جازماً بأنه لا يهاب الردى عند اشتداد الضـراب بالأسنة والقنا وعبارة "صكات[1] القنا" توحى باحتدام العراك لأن الصكات في اللغة معناها الضربات الموجعة ، فيقول:

يا ظروف الوقت والله ما حن بجبنا[2] ما نخاف إلا من الرب علام الغيوب
نحتزم بالموت لي جات صكات القنا ونتواعد في قبور الفنا وقت الحروب

وفي قولـه "نحتزم الموت" فالاحتزام بالشيء الالتصاق به وفحوى العبارة "إحرص علي الموت توهب لك الحياة". ويجزم الشاعر بأنّه يدافع عن الوطن دفاعاً مستميتاً مع ربعه وهم مدججين بالسلاح وعلى صهوات الخيول العِتاق:

مـا نســاوم بعـزك يـا وطـنـا[3] وأنــت نــورك بــروح الله يـبـات
مجـدنـا والـفـخـر تـاريـخ أهـلـنـا بـالـقــنـا في ظـهـور المـسـرجـات

والشاعر عبد الله دكام يلتاع حنيناً إلى وادي العُرض الذي وصفه بأنه يمتد محاذياً واحـة نجران الفيحاء صوب الجنوب داعياً المولى أن ينزل الغوادي والسواري من المزن على بطاحه، فقال:

يـا وادي الـعُـرض الـيـمـاني[4] جـعـلـك مـــراويــح الـســحـــابِ
حِـــن لــك عــلــى مــرّ الـزمـــانِ حــبــك لــنــا زاد وشـــرابِ

أمّا الرازف فهو ضرب من الرقص الشعبي أيضا، وغالباً ما يؤدى في حفلات الأعياد والزواج. ويعتمد إيقاعه على خبطات القدمين المتتالية لكل راقص من غير دفوف وطبول. فألحــان الراقصين العذبــة، وضربات أرجلهم المتتابعة، وحركـات أجسامهم المنتظمة، تشـكل في مجملها لوحة ذات أداء بارع يذهل الألبـاب، ولاسيما عندما يبدأ الصفان في التباعـد والتقارب بطريقة تتسق مع النغمـات وصدى الضربات وتتزامن مع ولوج بعض المشاركـين الحلبة وهم يلوحـون بالمُدى والأسياف الصقيلة ويُسمـى هذا بالسعب. ومن نماذج الرازف قصيدة ترنم بها المنشدون في عدة مناسبات أرسلها إلى الأستاذ الباحث ناصر الصقور وصاغها الأديب المبدع محمد بن مهدي آل مهذل الصقور ، فقال:

---

(١) لسان العرب "مادة صكك" ٤٥٦/١٠-٤٥٧,٠

(٢) قدري حرمال.

(٣) انشدها قدري حرمال.

(٤) الشاعـر عبـد الله دكام، شبكة الانترنـت ويسمي وادي نجران بوادي العُرض وينسـاب من اليفاع والنجاد ليصب في الربع الخالي.

قـدرة الله يمضّيها على مـنْ بغاه   يـعـجـزون الخـلايـق مـا يـردونـهـا
كل ما قـدّر المـولى على العبد جاه   والـنـوايـا الـرديـة لا تـظنـونـهـا
مـن كتب لـه نصيب في حياته لقاه   لكن الـنفس مـا سـارت على هونها
وأنـت يا شاكي حاله على مـنْ لقاه   عـزْ نفسك على قـوم يهينونـها
تفتكرهم صديق وكلهم لك عداه   غَايـتـك لا تـوضـحـهـا يعـرفونـها
صاحب ما يسرك ما يضرك رداه   نـيـة الخـيـر عـنـد الـلـي يحبونـها
صاحب ما يعزك كيف تطرد وراه   نفسك الزم عليك أولى بك تصونها
اتـرك المنهل الـلـي نـازح عنك ماه   شجرته فوق حاله يبست غصونها
مـن ورد ماه ما طغى لهايب ظماه   يـخـبـرك بـالمـنـاهـل نـاس يـردونـهـا
ليت بعض العرب يظهر على مستواه   كـل واحـد مـقـاييسه تشوفونها
الزمان اختلف والوضع فيه اشتباه   والخلايف تشوف الضيم بعيونها
فاعل الخير عند الله يحصّل جزاه   لـلـكـرامـة رجـال يستحقونها[1]

وإذا أمعنّـا النظر في الأبيات نلاحظ أنّها نّسجتّ على النسق الفني البديع المعروف بالتفويـف . وفي اللغة ثوب مفـوف أي مزركش تخلله خيوط بيضاء وهو من برود اليمن. والفـوف: الجبة البيضـاء، ولب النـواة الأبيضـ. والتفويف في الشعر يـدل على مهارة الشاعـر الفائقة في سبـك الكلام بألفاظ سهلـة ممتعة وبأسلوب سلسـ المخارج عذب القـوافي . ومن ألوان التفويف ما يورد فيـه الشاعر تجانساً في القافية والمعنى بين شطر البيـت الأول مع شطـر البيت الثاني أو مـا يليهما. وقد تطرق لهذا الفـن شاعر المهجر الموهوب الياس فرحات عندما كان يناجي الورقاء:

يا عروس الروض يا ذات الجناح   يــــــا حــمــــامــــه
سافري مصحوبة عند الصباح   بـــالـــســــــلامـــــه
واحملي شوق فـؤادي ذي الجراح   وهُـــيـــامـــــه

والشاعر الموهوب محمد بن مهدي أتحفنا بأبيات هائية مفوفة تنسجم شطورها الأولى مضموناً وصوتاً "عناه، الحياه، منتهاه... الخ" . وفي الأبيات الثلاثة الأولى يقرُّ الشاعر بأن قدر المرء مسطر من الخالق ولا يرُدّ ولا يُغير مهما حاول المرء ذلك. فكأنه يجاري كعب بن زهير عندما رسخ الإيمان في وجدانه وشدّ الرحال ليقابل الرسول الكريم.

فقلت خلوا سبيلي لا أبا لكمو   فكل ما قـدّر الرحمن مفعول

---

(١) يـا حبـذا أن نرى من طالباتنا وطلابنا في أقسام اللغة العربية وآدابها من يجمعون موروث بلاد السروات وبخاصة في اللغة والأدب ، ومن يفعل ذلك سوف يطلعنا على موروث تاريخي وحضاري جيد وجميل . (ابن جريس) .

والمهـذل في قولـه: وأنت يا شاكـي حاله على منْ لقـاه: يسدي النصـح يتفادى بث المعانـاة وما يكـدر الصفو للآخريـن درءاً للشماتةِ وحرصاً على عـزة النفس. ويوجهنا الشاعـر إلى التمسـك بالصحبة الرشيدة واصطفاء خيار النـاس بمعايير دقيقة فكأنه يبصرنا بما أنشده الطغرائي:

أعْـدى عـدوك أدْنــى مـنْ وثـقـت بـه فـحـاذر الـنـاس واصحبـهـم على دخل

ووصّــى بــألا يكون المرء ملحاحــاً في الطلب من رفيقه حفاظاً علـى الكبرياء وصون الكرامة فهو يؤكد قول الآخر:

صن النفس واحملها على ما يزينها تعش سـالمـاً والـقـول فيك جـمـيـل[١]

وفي الختــام كنّى عـن الرفيق الغادر بالمنهل الذي جَفـتّ حواشيه الخضراء نَضبت الدفاقة فلا يطفئ الظمأ ونبهنا إلى تقلب أحوال الزمان وحضنا على فعل الخير ولسان حاله يعبر عما قاله الحطيئة :

مـن يعمل المعـروف لا يعـدم جوازيـه لا يـذهـب الـعـرف بـين الله والـنـاس

حـوت القصيـدة ألفاظا لها وقـع في النفس ومنهـا: رداه، أي الـردى وهو الهلاك والظمـأ، والمفاهل. وهكذا يبدو لنــا أنّ الجوهر الجمالي للقصيدة يتمثل لنا في انسجام المعـاني ودلالات الألفاظ المنتقاة والجرس الموسيقي الآسـر لأصوات الحروف . وأختتم برقصــة الطبول التـي تتألف من صفين مـن الراقصين. صف يقـرع الدفوف والصف الآخر يحمل المرافع. وبين الصفين راقصون تتصف حركاتهم بالخفة في الأداء والمرونة والوثب في الهواء. وينعكس في هذه الرقصة الإبداع متمثلاً في انسجام الحركات الخفيفة والأصـوات الشجية والطبول الداوية . ومن أراحيز هذه العَرْضة: أبيات لها قصة تردد صداها في رقصــة الطبول تعبر عن الشهامة والشجاعة ورد الجميل، وفحواها أن شاباً اعتدى على رجل في ساحة السوق وجبأه بالخنجر وفرّ هارباً مستجيراً برجل يُدعى ابن مبخوت. وهبَّ رهط من ربعه لاقتفاء الأثر ولما اهتدوا لابن مبخوت استقبلهم بالترحاب والمصانعــة، وأشار بطرف خفي للمستجـير "فارس" بأن يثب من النافدة ويعتلي فرسه ويهرب. وقد تم ذلك. انتشى "شِله"[٢] والد "فارس" لهذا الحدث وأنشد قائلاً:

مـا قــالـه "شـلـه" بــدأ "عنْش" وعــر متـقـلـل عــالى ذراه
يسقيك يا مرَقبه سيل المطر من قنيف رأيـخ خـرب حصاه
أنـا مـادح فـارس جـرو الظفر لا خابت أمه ولا أفلس منْ بزاه

---

(١) دراسة فنية في شعر الشافعي – حكمت صالح ٢٧٥– عالم الكتب – بيروت.
(٢) شلة : اسم والد الشاب فارس الهارب من منزل ابن مبخوت .

ما هو بخطوى قموح منتغر يشيب رأسه ودينه ما قضاه
خطره على العرْب حسكات الوبر ولا على المشرقي يقطف شباه
ونعم بابن مبخوَت في الضيق استتر اللي ينجي دخيله يوم جاه دلاه
مع البايجة ثم اطمر، ثم ركبه فوق نابية القطاه
كن ذيلها يوم لقت بالدبر معصب عروس ينتشر طواه
شفت الرجاجيل دانيهم سعر مثل الحيايا تلوت بالعظاه
يا بني له البيض لي سيف البحر يا بني له البيض واثني جزاه[١]

ونلاحظ أن "شله" الذي اتخذه برجاً للمراقبة والاستطلاع داعياً المولى أن ينزل "القنيف" أي المطرَ الغزير الذي تصحبه الرياح ويخرق الحصا من فرط هطله على الذُّرا الوعرة لذلك الجبل. وشبه ابنه بجرو السبع الشجاع . وحق لأمه ولمن رباه بأن يبتهج. وأعجبني تشبيه الذيل المنتفش للمهرة التي فرّ بها بعصابة العروس ذات الشعر الأثيث وأجاد وصف الحسرة التي سرت في نفوس الغرماء الذين يتربصون للفتك به إذ شبههم بالكلاب المسعورة وتارة بالحيات التي تختبئ في أشجار العظاه من سلم وسمر واستشعرت الخطر ففغرت أفواهها ذات الأنياب المرعبة. واختتم واعداً بأن يبني مجسماً هرمياً من حجر المرو الأبيض على السفح ويُرى من الهضاب والسواحل عرفاناً لابن مبخوت الذي انقذ نجله.

٤ـ أنماط تراثية (الآنية ، والأوعية ، والأدوات ، ووسم النعم والدواب وأنواعه) .

(أ) الآنية والأوعية والأدوات:

نجران واحة فيحاء تزدهر فيها أشجار النخيل الباذخة. وأهل نجران يسمون تأبير النخيل "فخاط" حيث يقوم فلاح متخصص بمزاولة هذا العمل. ويسمونه[٢] "الطبّان"، إذ يضع غبار طلع ذكور النخل في أكمام الإناث لتخصيب تلك الازهار المؤنثة كي ينعقد الثمر. وخلال الاستفادة من النخل في الغذاء، فللناس مآرب أخري كثيرة فيها، فجريدها الجاف وجذوعها اليابسة يعتمد عليها السكان قديماً في الوقود ويطلقون كلمة "ضو" على النار المشتعلة. أمّا الليف الذي يُستخلص من النخل فإنّه يُنقع في الماء ليكون ليناً مرناً ويُشد حتى يستقيم اعوجاجه ثم تفتل منها حبال مجدولة لتوثق به الدواب وتُزمّل بها الرّحال وترُتق منها السُرر والارائك . ومن جدائل النخيل تُصنع أداة تُسمي "الميضاف" تُستخدم لإبعاد الطيور من إلحاق الضرر بسنابل الحقول. فيُرضح سعف النخيل "بالميحمة" وهي أداة أسطوانية الشكل لها مقبض ومنحوتة من فرع ثخين من الدوح وتُكسى بالقماش .

---

(١) يقصد يبني .
(٢) ناصر محمد عبد الله آل كفاية.

والميضـاف له طرفـان، ويضع المزارع حجراً في أحدهما ويلوح بقـوة تجاه العصافير التي تحلق مرفرفة في الحقل لتلتقط الحب، ثم يُفك الطرف الذي يحوي الحجر فينفلت ذلك المقذوف صوب الطيور ليصيب بعضها ويرهب جلّها فتفرّ مذعورة من الحقل.

والمقراح[١] أداة أخرى تؤدي الغرض عينه بيد أنّها تكون في هيئة السوط وقوامها من ليـف النخيـل يعلوه كساء رخو، وهي تشبه عقال البعير لكنها أطول منه كثيراً، ويلّوح بها الفـلاح بطريقة معينة فتصدر صوتاً كأزيـز اليعاسيب فتنفر من جراء ذلك العصافير التي تهجم علي جرن الغلال أو تلك التي تعتلي السنابل الغضة لتمتص رحيقها. والكلمة صائبـة من حيث الزنـة أي "مِفْعال" وجذرهـا قرح[٢] بمعني أحـدث جُرحاً في البدن، والقرح[٣] ألم الجراحات، وربما اشتق اسم الآلة منها لما تسببه من فزع للطرائد . ومن الأدوات المستخدمـة في منطقة نجـران "المخبزة" وتُصّنع من سعـف النخيل إذ ينُسج متناسقـاً ويُبطن بالقماشـ كيما يضع فيه الخباز العجين في هيئـة قرص ثم يّضرب به جانـب التنور المحـتر لينضج ويصير رغيفـاً. والكلمة صحيحة من حيـث الاشتقاق لأن الخَبّـز هو الضـرب باليدين والخبـزة هي الثريـدة الضخمة إلا انَّ الصـواب في الزنة الصرفية أنْ يُقال "مِخْبزة" اسماً للآلة على وزن "مفعله".

ومن خوص النخيل تُصنع أوعية أخري منها "المَنْسف" ويشمل ضروباً من الأطباق مختلفـة في أحجامها، وتخصص الكبيرة منها للخبز والـذرة والصغيرة للتمر، ومنها المطّـرح ويتميز بألوانـه الزاهية المنمقة وغطائـه المحكم، وكبير الحجـم منها يسمونه "دّرجـة" وتزيـن أسفلـه قاعدة يرتكـز عليها ويستخـدم الكبير لحفـظ الخبز محتراً والصغـير للحبوب والمكسـرات وصواب الصياغة الصرفية في الآنيـة المذكورة أن تكون علـى وزن "مفْعَلـة". أمّا المهَفّة فهـي أداة تُنسج من السعف الثخـين مسطحة مستطيلة الشـكل ولهاَ مقبض، وأحيانَاً يتفنن فيهـا الصانع ويزخرفها بألوان جذابة وتُحرك يمنة ويسـرة صوب الوجه فيندفـع نحوه تيار الهواء البـارد. وورد في اللسان أنّ العرب تقول: ريـح هفهافة أي شديـدة المَرّ. ويقال هفّت[٤] الريـح تهِف هفّاً وهفيفـاً إذا سُمع صوت هبوبها. ومن هنا كان الاشتقاق والمعني عينه طرقه سيدنا علي كرّم الله وجهه في حديث له عن تفسير السكينة إذ يقول: -"هي ريح هفافة".

ومـن الأوعية التـي تُضفر من خوص النخيل "الجُونة" وهـي وعاء مزخرف بألوان بهيـة وتحُفظ فيـه رقائق الخبز حتى تكن طريـة وسائغة للأكل، ولهـا غطاء مخروطي

(١) ناصر محمد سعيد آل كفاية ٦/٥ / ١٤٣٨هـ.
(٢) لسان العرب ٥٥٧/٢ (قرح).
(٣) المرجع السابق ٥٥٧/٢ (قرح).
(٤) لسان العرب ٣٤٨/٩ "هفف".

الشكل وقد وردت هذه الكلمة في المعاجم بضم أولها إذ يُقال "جُونة" وهي الوعاء الذي يُحفظ فيه الطيب في سالف العصور. وربما استُوحى اسم هذا الوعاء من لونه القاتم. والجَون من كلمات الأضداد عند العرب، فهي تعني الأسود[١] اليحمومي والأنثى جَونة، وقيل الجَوْن الأسود المشرّب بالحمرة. والجون أيضا الأحمر الخالص وكذلك الأبيض الخالص، والجونة الشمس، وقد سمعتها بضم فاء الكلمة وفتحه، وقد نعتها صاحب اللسان في قوله[٢] "سُليلة مستديرة مُغشاة أدماً تكون مع العطارين".

والروى بألف مقصورة كما ينطقه أهل نجران هو حبل من قطن أو صوف تشدُّ به المرأة النفساء حقوها ـ أي معقد الإزار ـ كي تضمر بطنها ولا تتهدل أنسجة الرحم وما يحيط به من البطن – عقب الإنجاب – بل تعود إلى سيرتها الأولي. والكلمة فصيحة بيد أنها ترد في اللغة بالخفض في أولها والمدّ في آخرها فأصلها "الرواء"[٣] وهو حبلُ يُشدّ به المتاع على البعير، والجمع أروية. والعرب تقول: رويت أخي على البعير إذا شددته على ظهر البعير لئلا يسقط من غلبة النُعاس. ورويت على أهلي إذا أتيتهم بالماء. ورويتُ الحديث إذا سقته وسردته واشتقاق الكلمة هذه يدخل في باب المشترك اللفظي. وفي أثناء تجوالي في عرصات السوق الشعبي في بلاد يام وجدت لفائف يُطلق عليها "الغرو" وهو عقال رفيع من صوف أو قطن أو ليف يُلف حول عصابة الرأس وغطائه بصفة عامة. وجذور الكلمة من غرا يغرو غرواً أي ألصق الشيء بمادة "الغراء" بالمد أو القصر "الغِرا". تفنن النجراني[٤] في تشكيل الأوعية التي تُصنع من أهُب النَّعم التي تبرز مقدرته على الابتكار والحرص على حفظ المواد من الفساد ونتن الرائحة وإتلاف الحشرات، بل وإكساب هذه المواد نكهات مستساغة للطاعمين . ومن الأوعية الشائعة الاستخدام المزادة، وسميت كذلك لزيادة سعة حجمها، إذ يخرز الصانع جلدين ثم يزيدهما اتساعاً بأنْ يضيف قطعة أخري ، والمزادة قطعة واسعة من الأدم يُجنى فيها نخب التمر. وفي بقاع أخرى تخصص لتبريد الماء خاصة آناء الليل، ويطلق على الماء القراح الذي تحويه عندما ينبلج الإصباح "الماء البيوت". وظاهر الأمر أن هذا الظرف كان يُستخدم في الحِلّ والترحال وقد ذكره امرؤ القيس حينما أنشد[٥]

كأنّهما مّزادتا مُتعجلٍ … فِريّان لما تسلقا بدِهان

---

(١) تهذيب اللغة/ لأبي منصور الأزهري ١٣٩/٦ (جون) .

(٢) لسان العرب ١٠٣/١٣ (جون).

(٣) القاموس المحيط ١٦٦٥ "روى".

(٤) يقول ابن سيده في المخصص ٢١٨/١١ "ومن عندهم – أي أهل نجران – يُجلب الأدم والنعال المشعرة والانطاع"، ونجران مثل صعدة وأكثر ما ترى من الأدم فمن هذه المدن.

(٥) ديوان امرؤ القيس ٥٠٧.

وأوردها أيضا لبيد العامريّ في قريضه[١]:

جـــاءت عــلــى قــتــب وعِـــدْلِ مــزادة   وأرحــتــمــوهــا مــن عـــلاج الأيــصــر

أمّــا الزنّة الصرفية لمزادة فهــي مَفْعَلة من تزوّد الزاد. والزاد طعام السفر والحضر. ومــن أوعية الأدم الضخمــة، الزمالة وتعلق على إحدى صفحتــي البعير عند الارتحال من موقــع إلى آخر. وبعض أهل نجران يسمونهــا "العيبة" عياب ويحفظ فيهــا المتاع والآنية والــبرود والغــلال والأطعمة من تمر وبر وغيره . والكلمــة في رأيي اشتقت من زمّل، بمعني لفّ وفي الذكر الحكيم (يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّل)[٢] إشارة إلى النبي ﷺ – عندما التفّ بدثاره بُعَيد نزول الوحي عليه[٣]، وسمي هذا الوعاء زِمالة لأنه يُعطف ويُلف ثم يُخرز وربما صيغت هذه الكلمة من الزّمل بالكسر وهو الحمل. بيدَ أنّ أهل العراق يسمونها "مزّملة" ويستغلونها في تبريد الماء خاصة وسمعت البعض يطلق على الزمالة كلمة "ظرف". وإذا دققنا النظر في كلمــة "عِياب" نجد أنّ العرب تكنّى بها الصــدور والقلوب لأنها تحفظ كثيراً من الأسرار وكذلــك الأمور المعيبة التــي لا يروم المرء شيوعها حتى لا يوصم بها فسميت الصدور عِياباً مــن بــاب التشبيه لأن العياب تحفظ أخص متاع المرء من برود وعطور وقلانس إذا كانَ في حلّ أو سفر. وقد وردت كلمة "العياب" في شعر امرئ[٤] القيس وقد شبه انتشار الغثاء الذي يحملــه سيل الوادي الجارف عندما يضعــف تياره لدى الصحــراء بالبضائع التي بسطها أرضاً التاجر اليماني من عيابه الممتلئة توطئة للبيع والمقايضة .

وألــقــى بــصــحــراء الــغــبــيــط بــعــاعــهُ   نُــزول الــيــمــاني ذِي الــعِــيــاب الُمحــمــل

والكلمــة أيضــا وردت في شعر الصحابــي حسان بن[٥] ثابــت الأنصاري في قدحه لكفار قريش:-

بـــأن جـــلادنـــا يـــوم الـــتـــقـــيـــنـــا   بــمــكــة بــيــعــكــم حُــمْــرَ الــعِــيَــابِ

والعُصْــم من الأوعية الأثيرة لدى قُطّان بادية وريف منطقة نجران، ويزدان بسيور في جوانبــه تنســدل في تناســق يضفي عليــه مسحة جماليــة وهذا الوعــاء تطلق العرب عليــه اسم "الظبيــة" لأنه يصنع من جلد الظبــاء بل بعضها يُخرز ويعالــج بدون إزالة الشعــر وتتفاوت أحجام الظبية وفقــاً لسعة مساحة الإهاب وتــرد صيغة التصغير منها علــى وزن فعيلــة أي "ظُبيّة" والجمــع منها "ظباء". والظبية بصفــة عامة يختزن فيها

---

(١) ديوان لبيد العامري ٢٢٧.
(٢)) سورة المزمل الآية ١.
(٣) لسان العرب ١١/٣١١ "زمل".
(٤)) ديوان امرئ القيس – ج١/ ٢٩٢-٢٩٣.
(٥) شرح ديوان حسان بن ثابت ٦٢ – دار الكتب العلمية – بيروت – ط٢ – ١٩٩٤م.

الطيب والحلى والنقود ونفائس الحرز. والنوع النجراني منها أي العُصم، لاحظت أنّه يخصص لحفظ الطحين وجريش الحبوب والتمر بأنواعه ويُلف أعلاه بسير جلد أو سبب رفيع والكلمة مشتقة من "العِصمة" وهي الحفظ أياً كان نوعه ويستبين لنا هذا المعنى في الذكر الحكيم من حوار نبي الله نوح عليه السلام مع ابنه الذي سِفه رأيه وقال: (سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ...)[1].

والجدير بالذكر أنّ هنالك وعاءً يماثل العُصم لكنه أكبر حجماً وسعة ومن غير أهداب جلدية يُسمي القُطف توضع فيه عدة حوائج كالقهوة والهيل والزنجبيل والتمر والزبيب وقلية البن والقديد، وربما سمي هذا الوعاء كذلك لأن القُطف وما يماثلها من الأطعمة الجافة تُحفظ فيه، والقُطف جمع قطيفة وهي طعام شهي يُطهى من الدقيق والمرق. والمهجان في بلاد نجران يعنون به جلد مستدير تُرص فوقه أطباق المائدة ويتحلق القوم حوله لتناول الطعام. وزنه الكلمة "مفعال" فصيحة غير أني لم أجد الكلمة أصلاً في الاشتقاق يتعلق بالمعنى بل ما يرادفها عندَ جُلّ العرب كلمة "سُفرة" وشاع استخدامها في العصر الأموي[2]، وتتميز بشكلها الدائري وتُنظم في طرفها حلقة دائرية ، أي معصم لتعليقها عند الفراغ. والسُّفرة في الأصل هي طعام المسافر وبه سُمّى ذلك الجلد الذي يُبسط ليجلس حوله الأضياف وأفراد الأسرة وفي[3] حديث عائشة صنعنا لرسول الله – صلي الله عليه وسلم- ولأبي بكر سفرة في جراب أي طعاماً لما هاجر هو وأبوبكر. وهكذا نقل اسم طعام الزاد إلى ذلك الوعاء. وبناءً على هذا الطرح يتضح لنا أن لفظة "مهجان" من قبيل الاستعمال اللهجي المحض ومثلها "الشّت" وهووعاء من السعف له علاقة وتودع فيه أشياء شتى أي متفرقة كالبخور والمفاتيح والحِلى والكلمة في رأيي اشتقت من الشتيت[4] أي المتفرق.

والمَغرّب من الأوعية الجلدية التي تُخرز من جلود الاغنام والعجول أحيانا. وقد ألفيت أنواعاً منه تختلف في أحجامها معلقة للعرض على جدران المتاجر الشعبية بمنطقة "أبي السعود النجرانية" وُبسط في الأرض مُترعاً بالماء أو يُعلق على المشاجب أو الأفنان فيرشح الماء من ثقوبه الدقيقة شَبِماً بارداً طوال الوقت، ويُستفاد منه في الحلّ والترحال والمراعي والحقول وغيرها من مواقع العمل ويطلق عليه أهل[5] نجران أيضاً "المِشراب" على زنة مفعال. والغَرّب في[6] اللّغة انهمال الدمع من العين ومِنْ ثم أطلقته

---

(١) سورة هود الآية ٤٣.

(٢) الحياة الاجتماعية في مكة منذ ظهور الإسلام حتى نهاية العصر الأموي- إلهام أحمد البابطين ٢٨٦- ط١ – الرياض ١٩٩٨م.

(٣) كتاب الدارة ج٨- أسماء الأوعية الجلدية – ص١٠٥- د. محمد عبد الرحمن الثنيان.

(٤) لسان العرب ٤٨/٢ مادة (شتت).

(٥) سعيد فرج آل بشر.

(٦) لسان العرب ٦٣٨/١-٦٣٩-٦٤٢.

العـرب على الدلو العظيمة التي تُتخذ من جلد الثور[١] وإذا فُتحت الراء أي الغرب صار المعنى:-الماء السائل إثْر انحداره بين البئر والحوض.

وإذا بسطنـا القـول في الأزياء التقليدية فمن أشهر الثيـاب النجرانية المزندة المذيّل. وكلاهما من الطراز القديم. والمزندة ثوب قطني يُلبس تحت المذيّل. وهو أضيق منه قليلاً. والمزند عند[٢] العرب القدماء ثوب قليل العرض. أمّا المذيّل فهو كساء طويل سابل الأكمام وتفصيله يريح مَنْ يرتديه فلا يقيد حركة الساعدين واليدين بل يساعد على تهوية البدن، وتكتمـل زينة الرجل بوضع عصابة الرأسـ والتمنطق بالخنجر ذي الغلاف المزين. واللون الأبيضـ هـو الأكثر شيوعاً في الملبوسـات الرجالية، ولا غرو في ذلك، فـيروى أن الرسول-صلي اللّه عليه وسلم-قال: "البسوا[٣] من ثيابكم البياض فإنها من خير ثيابكم. استحسنه الإمـام الشافعـي[٤] إذ يقول: "وأحبُّ ما يلبس إليّ البياض". وقد برع قاطنو إقليم نجران مـن سالف الزمان في نسج الثياب والبرود بأنواعهـا المختلفة. ويروي[٥] يحي بن بكير عن مالك بن إسحاق بن عبد اللّه عن أنس بن مالك: "كنت أمشي مع النبي وعليه بُرد نجراني غليظ الحاشية وفي رواية[٦] أنّ النبي-صلي اللّه عليه وسلم-كُفِن في ريطتين وبرد نجراني.

وأزيـاء النسـاء تتألف مـن المكمم والخيط. وهنالـك غطاء أسود تلفـه المرأة حول رأسهـا يسمــي القطابة ومن أميز مصممــي أزياء النساء في نجـران منذ خمسة عقود خَلَـتْ، الخيـاط محمـد[٧] عبـد اللّه بن سـروان في سوق بلـدة نجران القديمـة. ويؤم متجـره جمهـور غفـير لإعـداد ملابسـ الختـان للصبية. وذكـر الباحـث الأستـاذ صالح آل زمانان بأن بن سروان ذاع صيته حتى أُطلِق على نماذج أعماله رفوه "[٨]دقة بن سروان". ويهتـم الناس قديماً بتفصيل ثياب الختان عند هـذا الخياط الماهر، وتسمى الحفلات التي تقـام لهـذه المناسبة[٩] "الهود" من هـاد وربما يقصد بها تاب ورجـع أي طَهُر بعد الختان، وثـوب العروس يتألف في مجمله من "طاقة وأدوالها" ويحتوي على الثوب المصبوغ والأدوال. وتخاط من قماش يُسمي[١٠] "أبو غريبه" ويطلق عليه أيضا "البز السواحلي" وذكر لي أيضا

---

(١) المرجع السابق ٦٣٨/١-٦٣٩-٦٤٢.
(٢) لسان العرب ١٩٦/٣ زند.
(٣) ابن سعد ١-١٤/٢.
(٤) مسند الشافعي ٢٠٧/١- دار الكتب العلمية – بيروت ١٤٠٠هـ.
(٥) صحيح البخاري، لباس ١٨، ادب ٦٨ محمد بن إسماعيل البخاري – دار طوق النجاة ١٤٢٢هـ.
(٦) صبح الاعشى للقلقشندي ١١٤/٩- دار الكتب العلمية – بيروت.
(٧) محمد عبد اللّه بن سروان – سوق نجران ابا السعود.
(٨) الأستاذ صالح عبد اللّه آل زمانان.
(٩) لسان العرب مادة "هود".
(١٠) الأستاذ صالح عبد اللّه آل زمانان.

عضو لجان التراث ناصر[١] آل كفاية أن حُلة الزفاف قد تتسم بالبساطة واليسر أحيانا فتتكون من قطعتين، إحداهما بيضاء وترتدي صِداراً والأخرى سوداء وتُلبس ازاراً ويزين الخصر حزام من جلد الغنم. وتعتجر العروس بخِرقة في الرأس يعلوها الخيط الذي يُنسج من الحرير وفي أطرافه يتدلى حلق فضّي بعدد أصابع اليد تقريباً. وتكتمل زينة العروس بالحلي كالمرداع والأساور وقلائد الجيد مثل "اللبة" و"اللازم" و"السمط" الذي تتدلى أهداجه بأشكال مختلفة. ومهنة غزْل الخيوط كانت في الماضي مقصورة على النساء وتجُلب الأصباغ المختلفة من بلاد اليمن والهند. ويشترك الرجال والنساء في النسج على النول[٢].

(ب) وسم النَّعم والدواب وأنواعه :

في القرن العشرين. عصر الطفرة الحضارية. ابتكر الإنسان وسائل مطوّرة وفعالة لمتابعة الحيوانات والطيور الآبدة والأليفة. ومن ذلك الشفرة الإلكترونية التي تغرز في الجسد، وعبرها يمكن التعرف على الحالة الصحية للحيوان أو الطائر ورصد سلوكه في الحركة والسكون وتحديد موقعه أينما ولىّ وحلّ. ولكن هنالك طرق تقليدية درج أسلافنا على اتباعها لتمييز ممتلكاتهم من النَّعم والدواب للتعرف عليها إذا فقدت أو سطا عليها اللصوص. والوسم مظهر تراثي اشتهرت به الجزيرة العربية يعين على إثبات الملكية. والتعرّف على البهائم التائهة أو تلك التي امتدت إليها أيدي السُّراق. وبالرغم من قلة الباحثين في هذا المجال إلا أنّ بعضهم أبان أنّ وسومّ[٣] الإبل مستوحاة من غابر الزمان من الأبجديات العربية القديمة الثمودية والصفوية والنبطية واللحيانية. وأنا أرجح هذا المنحى، لأننا إذا ركزنا في الوسوم ملياً، نستشف أنها تشابه لدرجة كبيرة من النقوش الأثرية التي خلّفها الأقدمون على صفحات الصخور وجدران البنيان الراسخ. ورموز الوسم عند أولئك القوم بمثابة الحروف التي تُدّمج مع الأرقام لتؤلّف علامات فارقة دقيقة كالتي تُسجل على لوحات المركبات في عصرنا هذا ورموز الوسم كأنمّا اصطلحت عليها القبائل والبطون من قديم الزمان ثم شاعت في البلاد العربية قاطنة شرقاً وغرباً بعد انتشار الإسلام ووسم العوامرة[٤] والعوازم وجّلّ وسوم بني عطية في الجزيرة العربية مطابقة تماماً لوسم بطونها التي هاجرتِ لبلاد السودان. ووجدت أنا أيضا خلال جولاتي الميدانية للبحث والاستقصاء أن وسم قبيلة الحمر في بادية غرب السودان لا يختلف عن[٥]

---

(١) يا دكتور حمدون ما ذكرته نماذج قليلة من الصناعات والحرف التقليدية التي عرفها ومارسها النجرانيون خلال عصور التاريخ. وموضوع الحياة الاقتصادية والاجتماعية في هذه البلاد جديرة أن تدرس في عشرات الكتب والرسائل العلمية منذ عصر ما قبل الإسلام وعبر عصور الإسلام المختلفة . ونأمل أن يلتفت الباحثون والمؤرخون لهذه الموضوعات الحضارية فيدرسونها في بحوث علمية موثقة . (ابن جريس) .

(٢) لسان العرب مادة "هود".

(٣) الباحث وليد سعيد العطيشان- بحث بعنوان "ارفعوا رؤوسكم" تقديم د. عيد اليحيا.

(٤) شبكة الانترنت: وسوم الإبل للقبائل المذكورة.

(٥) شبكة الانترنت: (www.mzayan.com)

وسم قبيلتي بني ثور والخمشان بالجزيرة العربية وكذلك كل بدو السودان يسمون أنعامهم برمـوز الوســم العربية المعهـودة. ومن هـذه القبائل على سبيـل المثال: كنانـة والمناصير والحويطات والحوازمة والجبارات والقواسمة والرشايدة وبني كاهل والوايلية.

والوســم أثر الكَي والجمع وسوم وتقول العرب وسمــه يسمه وسماً [١]. والمِيَسم بكسر الميــم المكواة أي الحديدة التي يكوى بها ، أصل الكلمة مِوْسم فقلبت الواو ياء لكسرة الميم والسمة كل علامة توضع على الدابة بالكي أو بكل ما يختضب به. وسمعت بعض الظرفاء في البَاديــة يقول: الوســم رسم قلمه المحْــور [٢] ودواته المِجْمر [٣]. والعــرب فصحاء بلغاء فسموا أول عين المطر "الوسمي" لأن الأرض تنصو أديمهاَ الأغبر وتتحلى ببجاد سندسي. وبحكم نشأتي في ربوع البادية لاحظت أنّ الرعاة يسمون الإبل ضيفاً عند بزوغ نجم سهيل، ويقــول بدو السودان "سهيل ما يعقبها سيــل" لأن تلك الفترة تعين على شفاء الجروح ولا تكــون عرضة للالتهــاب وقيل [٤] في الأمثــال العامية: تتغير الرسوم ولا تتغــير الوسوم أي تندرس آثار الآطام والدور وتظل الوسوم ذات مدلولٍ عالقٍ بالأذهان على مدة الأزمان.

وهذه بعض مفــردات الوسوم ورموزها الشهيرة لدى القبائــل العربية **(١) الكلوب** [٥]: حديدة طويلة لها خطاف حاد ويبدو انه يرمز للقوة. **(٢) الباكورة** [٦]: عصا لها رأس مقوس علــى هيئة نصف دائــرة تُدمغ كوســم صغير في العنــق. **(٣) المحجـان** [٧]: وينطقها البعض المحجــن أو المحجل وهو عصا لها مقبضان طويل وقصير في هيئَة رأس طائر أو منجل. **(٤) المطـرق** [٨]: ويسميه البعض السوط. والمطرق هو ما تطرق به الدابة لتجد في السير والمطرق دائمــاً يكون أقصر من العمود لأن العمــود طويل ويكون على الفخذ. **(٥) الشـاهد** [٩]: وسم يضاف للوسم الرئيسي داخل القبيلة وسمي كذلك لأنه يشهد للمالك بأحقية تملك النَّعم.

(٦) السـطاع [١٠]: هما عمود بيت الشعر وهــو سمة في العنق بالطول والهلال وسم مشهور في الميمنة أو في الميسرة ويوحي بالسمو والظفر. **(٧) المخباط** [١١]: وسم تنطبق

---

(١) لسان العرب ١٢/٦٣٦.
(٢) صالح الصنبوح- الشبهان.
(٣) المحور: حديدة الكي، والمجمر: وعاء الجمر المتقد.
(٤) عبد الله آل مستنير.
(٥) رموز الوسوم عند العرب، راشد بن فضل الدوسري العدد ٦ شبكة الانترنت.
(٦) مجلة العرب ص٣/ ١٤١٥هـ/١٩٩٥م.
(٧) لسان العرب ١٣/١٠٨ (حجن).
(٨) المرجع السابق ١٠/٢١٥-٢١٦ (طرق).
(٩) رموز الوسوم عند العرب- راشد بن فضل الدوسري العدد ٦ شبكة الانترنت.
(١٠) الاشتقاق: ابن دريد محمد بن الحسن ص٢٠- ت: عبد السلام هارون مكتبة الخانجي.
(١١) أخلاق الرولة وعاداتهم ص١٥٣- موزل – ترجمة محمد السديس- مكتبة التوبة الرياض – ١٤١٧هـ.

صفتـه على المطرق بيد أنه يُوضع بالعرضـ على الوجه والفخذ. **(٨) الخُطاف:** قضيب حديديّ معقوف في نهايته يشبه مخالب السبع ويرمز للشجاعة والقوة.

(٩) الحلقة[١] : دائـرة مغلقـة ترسـم على الخـد والفخـذ والعضـد والعنق. **(١٠) البرُثـن**[٢] : والبعض يسميه رجل الطائر أو الوضراء وهو على هيئة مطرق عمودي تتفرع من نهايته ثلاثة خطوط متساوية فكأنّه مخلب الصقر ومن أسماء سيوف العرب الشهيرة "برثـن الأسد"[٣]، ويدل علي الشجاعة ويعتقد البعضـ أنّ هذا الوسم يرمز إلى الشوك. **(١١) الريشـية:** حلقة لها مطرقان صغيران متضادان في الاتجاه ومتساويان في الطول. **(١٢) المغزل:** مطرقان متعامدان يُرسمان في الفخذ والرقبة. **(١٣) الباب:** وسم يرسم على شكل مستطيل مكتمل أو ينقص منه. **(١٤) الرقمتان:** نقطتان متقاربتان.

(ج) نماذج من ضروب الوسم :

هذه نماذج من[٤] ضروب الوسم لبعض الفروع والبطون والأفخاذ القبلية في منطقة نجران. **(١) وسـم آل خريم:** يتألف من الحلقة وإزاؤها المطرق في الفخذ الأيمن. **(٢) وسـم آل كليـب:** مطرق رأسـي وفي جانبيه رقمتان. ويكون في وجـه المطية على الجانب الأيسر. **(٣) وسم آل ذيبان:** مطرق ورقمه على الخد. **(٤) وسم آل دويس:** علامة زائد وتحتها الرقمة على الرقبة أي العنق على الجانب الأيمن. **(٥) وسـم آل محامض:** حلقة ومطرق في التربية على الجانب الأيسر للمطية. **(٦) وسـم آل ناشـر:** يرسمون على الفخذ الأيمن هلالاً يتجه إلى أسفل وبجانبه الأيسر مطرق وكلاهما عموديان. **(٧) وسم آل شهي:** كلوب رأسي ينزل تحت العين من الجانب الأيسر للمطية. **(٨) وسـم آل حارث:** مطرقان بينهما كلوب وكلها تكون في وضـع أفقي والكلوب منفتح إلى أعلا من الجانب الأيسر. **(٩) وسـم آل سـالم:** أربع رقمات إذا وصلناهـا ينتـج منها شـكل المعين. **(١٠) وسـم آل فهاد:** حلقة ومطـرق بينهما رقمه وعند إمعان النظر في وسمهم نجده يطابق الرقم ١٠٥. **(١١) وسم آل دمنان الصقور:** مطرق قصير متساوي الساقين كالهلال يتجه مفتوحاً ناحية اليمين. **(١٢) وسـم آل سلامة من قبيلة وايلة:** يتألـف من رقمتين متجاورتـين في عنق المطية وذكر لي أحد أفراد هـذه القبيلة بأنهم يرسمون مطـرق علـى الجانب الأيسـر للمطية. وبطـن آل مفلح من هـؤلاء يسمون المطيـة برسم حرف (H) الانجليـزي علـى الفخـذ الأيسر أي "السلم". أما آل شريـه فلديهم التطبيق السابق لآل المحامضـ ولكن يوضع علـى الجانب الأيمن. ولكن أحد الرعاة أفـادني خلاف ذلك إذ أكدَ لي

---

(١) تاج العروس للزبيدي ٣١٩/٦-٣٢٢ (حلق).

(٢) المرجع السابق ١٣٦/٩ (برثن).

(٣) رموز الوسوم عند العرب – راشد بن فضل الدوسري العدد ٦ – شبكة الاترنت.

(٤) شارك في توثيق أنواع الوسم: مبارك محمد آل شهي، سالم عبد الله آل حيدر، هامل علي الشيخ آل حارث ، الأستاذ عبد الله آل مستنير.

بأنّ بعض آل شريه يسمون المطايا بمطرق أفقي على جانبيه رقمتان على الجانب الأيسر. (١٣) **وسم آل سليم:** كلوب ورقمه على الجانب الأيسر منه. والكلوب رأسي متجه إلي اليسار. (١٤) **وسم آل حسن بن عيسي:** كلوب رأسي على الفخذ الأيسر وتعلوه رقمه. (١٥) **وسم آل منصور:** يتألف من رقمه على الرقبة يليها مباشرة هلال يتجه إلى أسفل يمتد على جانب واحد من الرقبة. (١٦) **وسم آل حيدر:** يتألف من كلوب يواجه مطرق على الفخذ الأيسر وكلاهما في وضع رأسي. (١٧) **وسم آل مشهور بن ضيغم:** مغزل على الجانب الأيمن من العنق.

٥. بعض النتائج والتوصيات:

١- أبان البحث شيوع حذف الهمزة من أصوات الحلق لدى قبيلة يام وكثير من قبائل جنوب المملكة مثل (حَمَرَ وعَوَرَ) وذلك بقصد اليسر والتخفيف والاستساغة الصوتية. أما الحذف في بلحرث وبلعنبر أي بني الحارث وبني العنبر فيعزي ذلك لأثر الحياة البدوية آنذاك التي تجنح إلى السرعة في التحدث مما يؤدي لتساقط الحروف ليخف اللفظ.

٢- أثبت البحث أن ظاهرة الكشكشة مازالت تلهج بها ألسنة قاطني نجران وكثير من بدو وحضر جنوب المملكة وقد كانت سائدة في العصور السابقة لدى قبائل ربيعة ومضر وأسد وبكر.

٣- أوضح البحث أن إبدال قبيلة يام حرف الفاء ثاءً في بعض الكلمات كقولهم ثم في فم لأن الثاء صوت لثوي أسناني رخو مهموس مرقق أوضح في السمع وأيسر في الأداء النطقي ولذلك نظائره في كلام العرب إذ قالوا في: جدف: جدث.

٤- حوى البحث عبارات بليغة وكلمات فصيحة تزخر بها لهجة إقليم نجران وقد كانت سائدة في عصور ازدهار اللغة مثل (فنيق، وضم، وقروم) بيد أن بعض الكلمات قد تطور دلالتها مثل (درب، بزا).

٥- رصد البحث اندثار الكثير من مظاهر لهجة (بني الحارث بن كعب) القديمة ولا يوجد منها إلا نُثار في لهجة يام مثل "صيص" و"عيبة" لكن اللّهجة النجرانية اشتملت على صيغ لغوية عديدة لقبائل تميم وعامر وقيس عيلان وأزد شنوءه.

٦- تناول البحث بعض نماذج الشعر النبطي في منطقة نجران واستنبط بأنها تتسم بحسن السبك وسلاسة الأسلوب والجرس الموسيقي الآسر وسعة الخيال. فبالمقارنة فهو يضاهي خيال شعراء العصر الجاهلي في التصوير الدقيق والوصف المعبر والتفنن في أساليب المجاز ممّا يضفي على القريض رونقاً يسلب الألباب. وقد حازت بعض هذه القصائد على الإعجاب بل قصب السبق والتكريم في المحافل الأدبية على مستوي المملكة.

٧- وثـق البحث كثيراً مــن الأوعية الجلدية والآنية الخزفيــة والحجرية وتلك التي تُنســج من الخوص والسعف إضافة إلى بعض أنـواع الازياء التي مازالت تزين بها جُدر المنازل أو تحفظ في المتاحف.

٨- تطرّق البحــث إلى الوسم ذلك الموروث القبلي ذو العلامات الفارقة التي تُثبت الملكيــة للعشائر . وتأكد للباحــث بأن مفردات الوسم تؤلــف في مجملها رموزاً ذات دلالات عميقة مستوحاة من الأبجديات في أطوارها الأولى.

٩- أبــان البحــث صواب تسميــة أهل نجران للجهــات بالنظــر إلى موقع بلادهم ومراعــاة لتضاريس أرضهم ومن سَداد القول أن يطلق على الشرق حادر وعلى الغرب "ساند" وفقاً لطبيعة الأرض في تلك النواحي.

١٠- أقول إن بلاد نجران مازالت بكراً بموروثها التاريخي والحضاري وهي تستحق أن تدرس في شتى المجالات العلمية والبحثية .

٦. المصادر والمراجع:

١- **معجم القبائل العربية**، عمر رضا كحالة – مؤسسة الرسالة –بيروت.
٢- **المقتبس من اللهجات العربية والقرآنية** – د.محمد سالم محيسن – مؤسسة شباب الجامعة ١٩٨٦م.
٣- **لهجة البدو في الساحل الشمالي** – د. عبد العزيز مطر – القاهرة.
٤- **اللهجــات العربيــة في الــتراث**- أحمــد علم الديــن الجندي – الــدار العربية للكتاب – ليبيا.
٥- **المنهج الصوتي للبنية العربية** – د.عبد الصبور شاهين- مؤسسة الرسالة – بيروت.
٦- **في اللهجات العربية** – د. إبراهيم أنيس- مكتبة الأنجلو المصرية – القاهرة ١٩٩٢م–الطبعة الخامسة.
٧- **القاموس المحيط** – الفيروز ابادي – دار الرسالة، بيروت ١٩٨٧م.
٨- **معجــم الألفــاظ العاميــة ذات الأصــول العربيــة**- د. عبد المنعــم سيد عبد العال-مكتبة الخانجي – القاهرة.
٩- **تاج العروس**، للزبيدي- دار مكتبة الحياة – بيروت.
١٠- **الصحاح**، الجوهري، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٨٤م.
١١- **ديوان الفرزدق** ، دار الجيل بيروت.
١٢- **ديوان امرئ القيس**، دار بيروت ١٩٧٢م.
١٣- **ديوان كعب بن زهير**، دار صادر، بيروت ١٩٩٥م.
١٤- **الرحيق المختوم**، صفي الرحمن المباركفوري، دار الوفاء، المنصورة – الطبعة السابعة.

١٥- **التصريح علي التوضيح للأزهري**، دار الكتب العلمية، بيروت.
١٦- **معجـم لغـات القبائل والأمصـار**، د.جميـل سعيد داود سلـوم، مطبعة المجمع العلمي العراقي ١٩٧٨م.
١٧- **النـوادر في اللغـة**، لأبـي زيد سعيد بـن أوس بن ثابت الأنصـاري، دار الكتاب العربي، ١٩٦٧م.
١٨- **ديوان أل مهذل الصقور**- محمد بن مهدي الصقور، نجران ١٤٢٨هـ، الطبعة الثانية.
١٩- **ديوان عنترة**، دار الهلال، بيروت.
٢٠- **شرح المعلقات السبع**، للزوزني، دار القلم، بيروت.
٢١- **ديوان طرفه بن العبد**، دار الكتب العلمية، بيروت.
٢٢- **ديوان الأعشي**، دار بيروت ١٩٨٠م.
٢٣- **تهذيب اللغة**، دار الكتب العلمية، بيروت ٢٠٠٤م .
٢٤- **المخصص**، ابن سيدة، دار أحياء التراث العربي، بيروت.
٢٥- **الأمالي** لأبي علي القالي- دار الأفاق الجديدة – بيروت ١٩٨٠م.
٢٦- **معجـم القـراءات** – د .عبـد اللطيف الخطيب- دار سعـد الدين – بدمشق ، الطبعة الأولي ٢٠٠٢م.
٢٧- **الحياة الاجتماعية في مكة منذ ظهور الإسلام حتى نهاية العصـر الأموي**، الهام أحمد بابطين – الطبعة الأولي- الرياض ١٩٩٨م.
٢٨- **المعلقات العشر**- مفيد قميحه- دار العلوم العربية – بيروت ١٩٨٩م.
٢٩- **مسند الشافعي**- محمد بن إدريس الشافعي- دار الكتب العلمية-بيروت ١٤٠٠هـ .
٣٠- **صحيح البخاري**- محمد بن إسماعيل البخاري- دار طوق النجاة ١٤٢٢هـ.
٣١- **صُبح الأعشي**: أحمد بن علي القلقشندي- دار الكتب العلمية بيروت.
٣٢- **شرح ديوان حسان بن ثابت**- دار الكتب العلمية. بيروت.
٣٣- **الطبقات الكبرى**- محمد بن سعد بن منيع الهاشمي- دار صادر –بيروت.
٣٤- **شـرح قصـيدة كعب بن زهير**-جمال الدين بن هشام – مؤسسة علوم القران- دمشق – الطبعة الثانية ١٩٨٢م.
٣٥- **أخـلاق الرولـة وعاداتهم** – مـورل- ترجمة محمد السديسـ- مكتبة التوبة الرياض ١٤١٧هـ.
٣٦- **الاشتقاق بن دريد**- تحقيق عبد السلام هارون –مكتبة الخانجي .
٣٧- **الكتاب** – سيبويه- ت: عبد السلام هارون –عالم الكتب – بيروت.
٣٨- **سر صناعة الإعراب**-أبو الفتح عثمان ابن جنيّ-القاهرة ١٩٥٤م- .
٣٩- **دراسة فنية في شعر الشافعي** – حكمت صالح – عالم الكتب بيروت.
٤٠- **نجران (ق١ - ق٤هـ/ق٧ - ١٠م)** (الجزء الأول) (١٤٣٤هـ/ ٢٠١٣م) .



الدراسة الحادية عشرة

صفحات من تاريخ نجران الحديث في كتابيّ الرحالتين فيلبي وفيليب ليبنز (دراسة تاريخية مقارنة)

بقلم . د. زهير بن عبدالله بن عبدالكريم الشهري



الدراسة الحادية عشرة

صفحات من تاريخ نجران الحديث في كتابيّ الرحالتين فيلبي وفيليب ليبنز (دراسة تاريخية مقارنة)[(١)]. بقلم . د. زهير بن عبدالله بن عبدالكريم الشهري[(٢)]

(١) معظم هذه الدراسة نشرت في **مجلة الجمعية التاريخية السعودية** عدد (٣٦) السنة (١٨) (١٤٣٩هـ/٢٠١٨م) ص١٣١-١٩٢. ثم تم مراجعتها مرة أخرى وتصويب بعض الجزئيات فيها ، وإضافة تفصيلات أخرى عليها ، مع تدوين سيرة ذاتية مختصرة لصاحب البحث . (ابن جريس) .

(٢) الدكتور زهير الشهري من مواليد (١٣٩٢هـ/١٩٧٢م) في قرية أروى ببلاد قريش في محافظة تنومة بسروات بني شهر في منطقة عسير . أنجز تعليمه المبكر من المرحلة الابتدائية إلى الثانوية في تنومة . ثم حصل على درجة البكالوريوس في التاريخ من فرع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في أبها ، والماجستير من كلية العلوم الإنسانية في جامعة الملك خالد ، والدكتوراه من كلية الآداب في جامعة الملك سعود بالرياض عام (١٤٣٣هـ/٢٠١٢م) . عمل في التعليم العام سنوات عدية ، ثم انتقل إلى التعليم العالي بقسم التاريخ في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في الرياض ، وهو حالياً (١٤٤٢هـ/٢٠٢٠م) يعمل في كلية العلوم الاجتماعية بالجامعة . وهو على درجة أستاذ مشارك في التاريخ الحديث . شارك في العديد من المؤتمرات والندوات واللقاءات العلمية الداخلية والخارجية . كما يعمل مستشاراً ، أو متعاوناً ، وأحياناً رئيساً في عدد من المؤسسات الأكاديمية والعلمية والمعرفية في مدينة الرياض . أشرف على عدد من الرسائل العلمية ، وناقش أخرى في جامعته وجامعات محلية أخرى . له عدد من الكتب المطبوعة والمنشورة ، مثل: (١) **التجارة في متصرفية عسير (١٢٨٩-١٣٣٧هـ/١٨٧٢-١٩١٨م) (١٤٣٢هـ)** . (٢) **الجوانب الإنسانية والاجتماعية في رسائل الملك عبدالعزيز إلى بعض الشخصيات والإدارات في عسير(١٣٣٨-١٣٧٣هـ/١٩٢٠-١٩٥٣م)**. (٣) **مالية أبها في عهد الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل . (دراسة وثائقية في الأوضاع الاقتصادية والتنظيمات المالية في جنوب المملكة العربية السعودية (١٣٣٨-١٣٨٣هـ/١٩٢٠-١٩٥٣م)**. (٤) **سياسة الملك عبدالعزيز في حل مشكلات ساحل البحر الأحمر الأمنية (١٣٤٤-١٣٧٣هـ/١٩٢٥-١٩٥٣م)** (١٤٤٢هـ) . كما نشر حوالي عشرة بحوث علمية أخرى في عدد من المجلات العلمية المحكمة . والدكتور زهير من طلابي النابهين الجادين العصاميين عرفته منذ عقدين من الزمان . كما أنه رجل جاد ومتعاون ولطيف المعشر وصاحب خلق حميد مع أصحابه وأصدقائه وكل من يتعامل معه . ونسأل الله لنا وله التوفيق والإخلاص في جميع الأعمال والأقوال . (ابن جريس) .

أولاً : مقدمة :

كان لنــدرة المصادر المحلية وبُعد نجران المكاني عـن المناطق الحضارية الكبرى دور في قصــور الكتابات في تاريـخ نجران السياسي، والاجتماعــي، والاقتصادي، من العصور الإسلامية حتى العصر الحديث ، شأنها في ذلك شأن مناطق أخرى في الجزيرة العربية[(١)] .

وتشكل كتابات الرحالة الاوربيين مصدراً مهماً من مصادر تاريخ المنطقة الحديث ؛ نظراً لما دونوه خلال مشاهداتهم في البلاد من معلومات دينية، واجتماعية، واقتصادية، وسياسيــة حيــث وجدت البلاد اهتماماً جيــداً من بعض أولئك الرحالــة[(٢)]؛ لما تتمتع به نجــران مــن إرث تاريخي واسع ومن كنــوز أثرية عريقة، فتتابعت زيــارات بعضهم منذ القــرن الثامن عشر وحتى مطلع القرن العشرين، حيث وجــدوا فيها ضالتهم وما يشبع نهمهــم، كمناطق رحبــة للمغامرة، والاكتشــاف، والكتابة، إلى جانــب تحقيق أهدافهم السياسية، والدينية، والاقتصادية[(٣)] .

---

(١) بلاد نجران أحسن من غيرها من حيث ذكرها في المصادر المحلية وبخاصة اليمنية . ولو قارنا نجران مع بلدان أخرى في السروات وتهامة لوجدناها مذكورة بشكل أفضل من غيرها . (ابن جريس) .

(٢) للمزيد عن ذكر نجران وغيرها من بلدان السروات وتهامة عند الجغرافيين والرحالة المتقدمين والمتأخرين انظــر أجــزاء عديدة من كتــاب : **القول المكتـوب في تاريخ الجنـوب** ، لغيثان بن جريــس (طبعتان) (٢٣) مجلــداً. كمــا انظر محمد بــن أحمد مُعَبّر. **الرحـلات والرحالة في الجنـوب السـعودي (في مؤلفات غيثان بـن علـي بن جريس)** (الرياض: مطابـع الحميضي ، ١٤٤٠هـ/٢٠١٨م) . مجلدان (١١٠٠صفحة) . (ابن جريس) .

(٣) حبذا يا زهير أن تدرس بلاد نجران عند الرحالين الغربيين خلال القرن (١٢هـ/١٨م) . (ابن جريس) .

ومنها هاتان الرحلتان رحلة جون فيلبي سنة (١٣٥٥هـ/١٩٣٦م) توسعت في الحديث عن تاريخ وحضارة المنطقة التي تضمنها كتابه الموسوم : بـ "**مرتفعات الجزيرة العربية**"[١]، حيث تمثل هذه الكتابة نموذجاً متميزاً ساعده على ذلك: قيام دولة موحدة حققت الأمن والاستقرار في ربوعها الواسعة ، وعلاقته القوية مع الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل ـ رحمه الله ـ ، وتجاربه الواسعة في الكتابة عن مناطق شبه الجزيرة العربية ، وإلمامه بالكتابات السابقة عن المنطقة، ومعرفته بأساليب التعامل مع السكان ، فنجح في تقديم نتاج علمي غزير في هذا المؤلف عن نجران بشكل خاص ، وعن كافة المناطق الجنوبية الغربية للمملكة العربية السعودية بشكل عام[٢].

أما الرحلة الثانية فكانت للرحالة البلجيكي "فيليب ليبنز" الذي ألف كتابه: "**رحلة استكشافية في الجزيرة العربية**"، حيث عُرف هذا المؤلف بالمثابرة والاهتمام بالتاريخ، وتوثيق المعالم العمرانية والأثرية بالصور، كما تميز بالسهولة والبساطة في كتاباته يدعم ذلك حسه المعرفي العالي وقوة ملاحظته لما يدور حوله[٣].

(*) ويمكن تحديد أهداف هذه الدراسة فيما يأتي :

١- إلقاء الضوء على كتابات فيلبي وفيليب ليبنز عن نجران التي شملت المجالات الجغرافية ، والدينية ، والاجتماعية، والاقتصادية، والعمرانية، والتاريخ والآثار، خلال فترة مهمة من تاريخ المملكة العربية السعودية الحديث بشكل كشف لنا زوايا تاريخية جديدة ومهمة يمكن الاستفادة منها والبناء عليها ، بحيث تسهم في نمو المعرفة والوعي بتاريخ بلاد نجران بشكل خاص وتاريخنا الوطني السعودي بشكل عام.

٢- تحليل كتابات فيلبي وفيليب ليبنز عن نجران من حيث مجالاتها وأساليبها ودلالاتها العلمية والتاريخية وغاياتها ، وجوانب القصور فيها.

٣- المقارنة بين كتابات فيلبي وفيليب ليبنز من حيث المادة العلمية وأسلوبهما في الكتابة ، والعوامل المؤثرة في ما قدماه من كتابات عن نجران.

---

(١) قامت مكتبة العبيكان مشكورة بترجمة هذا الكتاب ، وراجع النسخة العربية وكتب تقديمها الدكتور غيثان بن علي بن جريس، وصدر الكتاب في مجلدين (١٤٤٩صفحة) (من القطع المتوسط) . (ابن جريس) .

(٢) يعد كتاب (مرتفعات الجزيرة العربية) من أفضل الكتب التي أرخت لبلدان السروات وتهامة خلال العصر الحديث . (ابن جريس) .

(٣) للمزيد عن فيليب ليبنز وكتابه انظر غيثان بن جريس " بلاد عسير في كتابات فيلبي وفيليب ليبنز " بحث منشور في اللقاء الثالث لجمعية التاريخ والآثار بدول مجلس التعاون لدول الخليج عام (١٤٢٢هـ/٢٠٠٠م)، نشر في مداولات اللقاء ، ص ٥٢٣ـ ٥٩٤. كما نشر في كتاب للمؤلف بعنوان : **صفحات من تاريخ عسير** (الرياض: مطابع الحميضي ، ٣٤ـ ١٤٣٥هـ/٢٠١٣ـ ٢٠١٤م) . الجزءان الأول والثاني ، ص ٢٧٥ـ ٣٤٨. انظر أيضاً محمد بن معبر . الرحلات والرحالة في الجنوب السعودي، ج٢، ص ٥٠٩ـ ٥٥٥ . (ابن جريس).

ثانياً : الموقع الجغرافي لنجران :

تقـع نجـران في الجزء الجنوبي من إقليم الهضـاب الداخلية التابعة لجنوب غرب المملكـة، وتقـع إلى الشمـال مباشـرة من خط الحـدود بين المملكـة العربيـة السعودية والجمهوريـة اليمنية عند خط عرض(٢٠-١٧) شمـالاً ، وتمتد حتى خط عرض (١٠-١٨ش)، مسافة تقرب من (١٥٠كم) (شمال-جنوب) ، وذلك إلى الشرق من مرتفعات قحطـان ووادعـة وشمال اليمن عنـد خط طولٍ (٣٠-٤٣) شرقـاً ، إلى أن تصل هضبة الوجيـد الواقعة على حافة الربع الخالي شرقاً مسافـة تقرب من (١٥٠) كم (شرق – غرب) أيضاً وتبلغ مساحتها أكثر من (٢٠٠٠٠) كلم٢ [(١)].

تجمـع الكثـير من المصادر على أن أصـل التسمية يعود إلى نجران بـن زيدان ـ وقيل زيد - بن يشجب بن يعرب بن قحطان؛ لأنه كان أول من نزلها وعمَّرها ، وقيل لأنه رأى رؤيا هالته وأفزعته حتى انتهى إلى هذا الوادي ونزل به فسمي نجران به إلى يومنا هذا) [(٢)].

تقـع نجران في منبسط من الأرض تحيط به مجموعة مـن السلاسل الجبلية من جهاتـه الثلاث عدا الجهة الشرقية المنبسطة نحـو رمال الربع الخالي، حيث ترتفع عن سطـح البحر قرابة ثمانية آلاف قدم، ويأتي الوادي ليخترق قراها من جهة الغرب حتى تصـب مسايلـه شرقاً تجاه الربـع الخالي[(٣)]. واشتهـرت المنطقة منذ القـدم بخصوبة

---

(١) عبدالرحمـن صـادق الشريـف ، **جغرافيـة المملكـة العربيـة السعوديـة "إقليـم جنـوب غـرب المملكة"** ، (الرياض ، دار المريخ للنشر ، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م) ، ج٢ ، ص٣٩١. (زهير) . وبلاد نجران وما جاورها من أرض السروات وبخاصة أوطان وادعة وقحطان مازالت بحاجة كبـيرة إلى دراسات علمية مطولة ودقيقة وعميقة . (ابن جريس) .

(٢) ابـن خرداذبـة ، عبيدالله ، **المسـالك والممالـك** ، (دار صادر ، بـيروت ، (د،ت)) ، ص١٣٣ ؛ الأصطخري ، إبراهيـم بـن محمد ، **مسـالك الممالـك** ، (دار صادر ، بيروت ، (د.ت)) ، صـ٢٣ ؛ ابن حوقل ، أبو القاسم محمـد ، صـورة الأرض ، (بـيروت ، مكتبة الحيـاة ، ١٩٩٢م) ، ص٤٣ ؛ البكري ، عبـدالله بن عبدالعزيز ، **معجـم مـا استعجم** ، (بيروت ، عالم الكتـاب ، ١٤٠٣هـ/١٢٩٩م) ؛ الحموي، ياقـوت بن عبدالله ، معجم البلـدان ، (بـيروت، دار الفكر ، (د، ت)) ، ج٥ ، صـ٢٦٦ ، القزويني ، زكريا محمد ، **آثـار البلاد وأخبار العبـاد** ، (دار صـادر ، بيروت (د.ت)) ، ص١٢٦ . انظر أيضاً غيثان بن جريس . **نجران (دراسـة تاريخية حضـارية (ق١ـ ق٤هـ/ق٧ـ ق١٠م) (طبعتـان)** (الرياض: مطابع الحميضـي ، (١٤٢٥هـ) و (١٤٣٤هـ) (الجزء الأول) ٠

(٣) حمـزة ، فـؤاد ، في بلاد عسير ، (الرياض ، مكتبة النصـر الحديثة ، ط٢ ، ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م) ، ص١٨١ ؛ الأكـوع ، محمد بن علي ، اليمن الخضـراء مهد الحضارة ، (صنعاء ، إصدارات وزارة الثقافة والسياحة ، ٢٠٠٤م) ، صـ١٣٤ ؛ مريـح ، صالح بن محمد ، نجران (سلسـلة هذه بلادنا) ، (الرياض، الرئاسة العامة لرعاية الشباب ، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م) ، ص١٣ ؛ جريس ، غيثان بن علي ، نجران دراسة تاريخية حضارية ، (ق١ – ق٤هـ/ق٧) ، (١٤٢٥هــ/ ٢٠٠٤م) ، ج١ ، صـ٢٥ ؛ العمري ، هادي صالح ، **طريق البخور القديم مـن نجـران إلى البـتراء وآثار اليمن الاقتصـادية عليه** ، (صنعاء ، إصـدارات وزارة الثقافة والسياحة ، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٥م) ، ص٥٧ ٠

أرضها الزراعية فتكاثـرت القرى التي ذكرتها المصادر القديمة على ضفتي الوادي[١]. وقديمـاً كانـت نجران تمثـل حلقة وصل مهمة بـين أقطار الجزيرة العربيـة : الحجاز، واليمن، ونجد، إضافة إلى وقوعها على مفترق طرق التجارة القديمة مما أعطاها بُعداً استراتيجيـاً بالغ الأهمية حيـث كانت إحدى المحطات الكبرى لقوافـل التجارة المتجهة للحجـاز ونجد والعراق[٢]؛ وهذا ما وفر للرحالة مادة علمية متنوعة ذات إرث حضاري متنوع ومتراكم.

ثالثاً : دخول نجران تحت الحكم السعودي :

لا تختلـف نجران كثـيراً في أوضاعهـا السياسيـة والاقتصاديـة والاجتماعية عن مناطـق أخرى ساد فيها الحكم القبلي بأعرافه وتقاليـده ، حيث كانت تتمتع باستقلال داخلـي تـام في العهد العثمـاني ولم تتدخل الحكومات العربية الجديـدة في شأنها حتى عهـد الملـك عبدالعزيـز بـن عبدالرحمـن الفيصـل[٣] ، ولم تكن بمنأى عـن الأحداث المحيطـة بها فوصلـت اليها قوات الملك عبدالعزيز بن عبد الرحمن الفيصل أواخر عام (١٣٣٨هـ/١٩٢٠م) ، ولكنهـا لم تتمكن من الاستيلاء عليهـا[٤] ، ثم ما لبثت أن غزتها جيوش الامـام يحي حميد الديـن عام (١٣٥٢هـ/١٩٣٣م) بقيادة ابنـه الإمام أحمد وتمكنت من احتلالها بعـد مقاومة عنيفة[٥]. وبناء قلعة عسكرية على جبل رعوم لتكون مقـراً للجيش الغـازي[٦] . وفي ظل هذه الظروف العصيبة استنجـد أهل نجران بالملك

---

(١) الهمـداني ، الحسـن بـن أحمد ، صفـة جزيرة العـرب ، تحقيق ، محمد علـي الأكوع ، (صنعـاء ، مكتبة الارشاد، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م) ، ص٢٨٣.

(٢) الهمـداني ، **صـفة جزيـرة العرب** ، ص٢٨٣ وما بعدها ، العلـوي ، علي بن محمد ، سيرة الهادي إلى الحق يحـي بـن الحسين ، تحقيق : سهيـل زكار، (دار الفكـر ، ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م) ، ص٦٨ ومـا بعدها ؛ الأكوع ، اليمن الخضراء ، ص١٣٤ ؛ البلادي ، عاتق بن غيث ، **بين مكة وحضرموت ، رحلات ومشاهدات** ، (مكة المكرمة، دار مكة للنشر والتوزيع) ، ١٤٠٢هـ ، ص١٩١.

(٣) الشعفي ، محمد سعيد ، **العلاقات السعودية اليمنية في سني ١٣٥١-١٣٥٣هـ/١٩٣٣/١٩٣٤م (من خلال ما نشر في جريدة المقطم المصرية** (الرياض ، مطابع الشريف ، ١٤١٤هـ) ، ص١٧١.

(٤) حمزة ، في بلاد عسير ، ص١٧٥ ؛ آل زلفة ، محمد بن عبدالله ، **عسـير في عهد الملك عبدالعزيز : دورها السياسـي والاقتصـادي، والعسـكري في بنـاء الدولة السـعودية الحديثة** ، (الرياض ، مطابع الفرزدق ، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م) ، ص١١٩.

(٥) حمـزة ، **في بـلاد عسـير** ، صـ ١١ ؛ الماحي ، سيد ، نجران : **الأرض والانسـان والتاريـخ** ، المطابع الأهلية للأوفست ، الرياض ، (د.ت) ، ص١٢ ؛ الشماحي ، عبدالله بن عبدالوهاب ، اليمن : **الانسان والحضارة**، (بـيروت ، منشـورات المدينة ، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م) ، ط٣ ، ص١٩٤ ؛ الخترش، فتوح عبدالمحسن ، **تاريخ العلاقات السعودية اليمنية** ، (الكويت ، منشورات ذات السلاسل ، ١٩٨٣م) ، ص١٦٢ ؛ الأكوع ، إسماعيل ابن علي ، **هجر العلم ومعاقله في اليمن** ، (دمشق ، دار الفكر ، (١٤١٦هـ/١٩٩٥م) ، ج٣ ، ص١٧١٧.

(٦) قلعـة رعـوم : قلعة صخرية تاريخية تقع علـى قمة جبل رعوم الذي يتوسط قريـة (الحضَن) في نجران ،

عبدالعزيــز فأرسلــوا اثنين من أعيــان رجال يام جابر بن مانع أبــو ساق[١] ، وحسن بن سلطان بن منيف[٢] ؛ لمقابلة الملك عبدالعزيز وطلب مساعدته[٣].

في هــذه الفــترة كان التوتر في العلاقات السعودية اليمنيــة في ذروته بسبب اتصال أهــل نجران بالملــك عبدالعزيز ، واحتــلال جيوش امام اليمن لمناطــق في تهامة جازان الخاضعة لنفوذ الملك السعودي، ورغم محاولات عقد الصلح بين الطرفين، ومراسلات الملك عبدالعزيز لإمام اليمن وتجديد رغبته في حل الأزمة سلمياً إلا أن كل تلك الجهود لم يكتــب لهــا النجاح فجهز الملــك عبدالعزيز جيشــين كبيرين أحدهمــا بقيادة الأمير سعود واتجه إلى نجران حيث تمكنت القوات السعودية بقيادته من طرد الجيش اليمني

وقــد بنى الجيش اليمني هذه القلعة عندما غزا نجران سنة (١٣٥٢/١٩٣م) لاستخدامها كنقطة مراقبة واستكشاف ، وتم اختيار جبل رعوم لموقعه الاستراتيجي وصعوبة الوصول اليه حيث يبلغ ارتفاعه (٤٥٠م) تقريبــاً ، وظلت هذه القلعة حتــى انتصر الجيش السعودي بقيادة الأمير سعــود على القوات اليمنية وعقد معاهــدة الطائف بعد ذلك عام (١٣٥٣هـ) بين المملكة العربية السعودية واليمن وانتهت الاعتداءات وساد السلــم بين الطرفــين ، وتحولت القلعــة الى نقطة مراقبة أمنيــة للدوريات السعودية حتــى عام (١٣٧٢ه) لتتحــول بعدهــا الى معلم سياحي وأثــري ، والقلعة مبنية من الحجر والطين وتحتــوي على غرفتين وخزان ميــاه منحــوت في الصخر والقلعة مسقوفة بخشب النخيل والسدر ويــؤدي لها طريق واحد على شكل درج ، وهــي محاطة بسور خارجــي كبير مشيد من الحجارة المربعــة ويزينه من أعلاه شرفــات دفاعية وبداخله خمس غرف مبنية من الطين والحجارة والجص وسقفها من خشب النخيل والأثل والسدر ولا تزال واضحة المعــالم حتــى الآن. للمزيــد : صحيفة الشرق الأوســط : العدد ١١٤٤١ ،(٩ ربيع ثــاني ١٤٣١ه / ٢٦ مارس ٢٠١٠م) ؛ صحيفــة اليوم ، العــدد ١٥٢٤٨ ، (٢٤ جمادى الأولى ١٤٣٦هـ/١٥ مارس ٢٠١٥م) ؛ ومقابلة شخصية مــع الشيــخ ســالم بن محمد بن فلاح الشدقاء شيخ شمــل قبيلة الوعلة يام ، من مواليد عــام (١٣٦٠هـ) في هجرة الفــلاح بــوادي الصحن بمحافظة يدمة ، له العديــد من المهام والمسؤوليات في منطقة نجــران منها عضوية لجنة اصلاح ذات البين في امارة منطقة نجران ، وهو من المهتمين بتاريخ وانساب المنطقة. تاريخ ومكان المقابلة ، مدينة الرياض (١٤٣٨/٣/١٧هـ).

(١) جابــر بــن حسين أبو ساق : شيخ شمل قبائــل آل فاطمة يام إحدى البطون الكبــيرة لقبيلة يام التي تتفرع في الأصــل إلى ثــلاث قبائل هي (آل فاطمة ، ومواجد ، وجشــم) ، ولد في قرية صاغر بمنطقة نجران في شهــر محرم من عــام (١٢٨٦هـ) ، وكانت علاقة أسرتــه مع آل سعود منذ عهد الدولــة السعودية الأولى ، واشتهــر بهــذا اللقب (أبو ساق) الذي أطلقه عليه الملك عبدالعزيز . نشــأ في أسرة تحظى بزعامة قبلية ، وكان مبادراً لدعوة الملك عبدالعزيز لتوحيد أرجاء المملكة ، وكانت وفاته في شهر رمضان عام (١٣٨٦هـ). وللمزيد عن شخصيته انظر : السبيت ، عبدالرحمن وآخرون ، **كنت مع عبدالعزيز (مقابلة شخصية مع الشيــخ محمــد بــن زعير)** ، (الرياض ، مطبوعات الحرس الوطني ، ١٩٨٨م) ، صــ٢٣٧-٢٣٩ ؛ آل زلفة ، **عســير في عهــد الملــك عبدالعزيــز** ، ص١٧٤ ؛ صحيفة الرياض ، العــدد ٩٣٨١ ، ٣٠ شوال ، ١٤١٥هـ / ٣٠ مارس ١٩٩٥م.

(٢) حســن بــن سلطان بن منيــف : شيخ قبائل جشــم يام يعد مــن الشخصيات المعروفة التــي لها الكثير من المواقف في نجران قبيل عهد الملك عبدالعزيز ، للمزيد : انظر ، طحنون ، محمد ، **نجران : تاريخ وانسان**، (بيروت، لبنان ،مؤسسة الرحاب الحديثة للطباعة والنشر والتوزيع) ، ٢٠١٥م ، ص٢٢٥-٢٣٣.

(٣) حمزة ، في بلاد عسير ، ص ١١ ؛ الماحي ، نجران ، ص١٢ ؛ الخترش ، العلاقات السعودية اليمنية ، ص١٨٦ ؛ آل زلفة ، **عسير في عهد الملك عبدالعزيز** ، ص ؛ الأكوع ، **هجر العلم ومعاقله في اليمن** ، ص١٧١٧.

مـن نجران وقد واجهت تلك القوات صعوبة شديـدة في التقدم في المواقع المرتفعة حول صعـدة بسبب صعوبتها وتعذر تموين القوات فيها، والجيش الثاني بقيادة الأمير فيصل الذي حقق انتصارات كبيرة في تهامة واحتل الشريط الساحلي على البحر الأحمر حتى الحديـدة[١]، وهـو ما أجبر الامـام يحي على الرضـوخ للصلح فوقع الطرفـان اتفاقية الطائف عام (١٣٥٣هـ/ ١٩٣٦م) [٢].

مما سبق يمكن القول أن رغبة أهل نجران في الحكم السعودي كانت نتيجة لمظاهر الاستبداد الذي كانت تعيشه المنطقة خلال فترة خضوعها للحكم الإمامي؛ مما أدى إلى نفور الأهالي من تعامل السلطات الامامية ورغبتهم الجادة في التمتع بحكم قوي مستقر يوفر لهم أسباب العدالة والأمن والرخاء كما هو الحال في المناطق المجاورة لنجران.

رابعاً: التعريف بالمؤلفين الرحالين :

١ـ سانت جون فيلبي :

ينتمي سانت جون فيلبي إلى أسرة انجليزية أرثوذكسية من إقليم إيسكس (ESSEX) في شرقي لندن وفي الجنوب الشرقي من بريطانيا[٣]. ولد عام (١٣٠٢هـ/١٨٨٥م)، من أسرة انجليزية محافظة في مصحة سانت جون[٤] في جزيرة سيلان (سيرلانكا حالياً) وبعد عودته إلى بلاده إنجلترا التحق بمدرسة "وستمنستر" متدرجاً في مراحل التعليم حتـى تخرجـه من جامعـة كمـبردج عـام (١٣٢٥هـ/١٩٠٧م)[٥].وكغيره مـن خريجي الجامعـة توجه فيلبي بطلب الالتحاق بخدمة التـاج البريطاني عن طريق حكومة الهند

---

(١) المانع، محمد، **توحيد المملكة العربية السعودية**، ترجمة: عبدالله العثيمين، (الدمام، مطابع المطوع، ١٤٠٢ه)، ص٢١٣؛ حمزة، في بلاد عسير، ص ١١؛ الشماحي، اليمن، ص١٩٤؛ الماحي، نجران، ص١٢؛ الأكوع، **هجر العلم ومعاقله في اليمن**، ص١٧١٨؛ سعيد أمين، **اليمن وتاريخه السياسي منذ استقلاله في القرن الثالث الهجري**، (**سلسلة كتب تاريخ العرب الحديث** (٩)، ١٣٧٨ه/١٩٥٩م)، ص٩٦.

(٢) حمـزة، في بـلاد عسـير، صـ ١١؛ الشماحـي، اليمـن، صـ١٩٤؛ الماحي، نجـران، صـ١٢؛ الأكوع، هجـر العلم ومعاقله في اليمن، ص١٧١٨؛ وانظر نص معاهدة الطائف في: الخترش، العلاقات السعودية اليمنية، ص٣٠٧-٣١٩.

(3) ELIZABETH M MONROE , PHILBY OF ARABIA FIRST PUB LISHED BY FABER AND TABER , LONDON , 1973 , PP , 11,12.

(٤) يبـدو أن فيلبـي قد أضاف إلى اسمه هـذا اللقب الشريف سانت جـون (ST.JOHN) من اسم المصحة التي ولـد بهـا. فيلبي، سانت جون، **بعثة إلى نجـد ١٣٣٦-١٣٣٧هـ/١٩١٧-١٩١٨م**، ترجمه وعلق عليه عبدالله الصالح العثيمين، ط١، الرياض، ١٤١٨هـ، ص٥٣.

(٥) حمـاد، خـيري، **عبـدالله فلبـي قطعة من تاريـخ العرب الحديـث**، منشورات المكتـب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر، بيروت، أبريل، ١٩٦١م)، ص٢٩، ٣٠.

البريطانيـة حيث اجتـاز الامتحانات المطلوبة للعمـل[١]. واستكمـالاً لمتطلباته درس في جامعة كمبردج اللغتين الفارسية والهندية لعام واحد[٢].

توجه فيلبي عام (١٣٢٦هـ/١٩٠٨م) إلى الهند للعمل فيها ووجدها فرصة لمواصلة طموحاته العلمية والعملية حيث تعلم بها اللغة البنجابية والأردية ثم العربية وتعلم أيضاً القـرآن الكريم، كما تـدرج بكفاءة عالية في عدد من الوظائـف الإدارية والإعلامية[٣]. وبعـد اندلاع الحرب العالميـة الأولى عام (١٣٣٢هـ/ ١٩١٤م) وتطور الأوضاع في الشرق، واعتماداً على مواهب فيلبي ومعارفه الدينية واللغوية والتراثية كلف بالتوجه إلى العراق للمساعـدة في إدارة الشـؤون البريطانيـة بها بعد انسحـاب العثمانيـين منها[٤]،كانت العـراق تحت إدارة السير بيرسـي كوكس[٥] أحد الرجالات البارزيـن في إدارة الشؤون البريطانية في الشرق[٦].

مـن العراق بدأت صلات فيلبـي بالجزيرة العربية بشكل عـام وبالملك عبدالعزيز بشكل خاص، وقد شارك في اللقاء الأول الذي عقد بين الملك عبدالعزيز وبيرسي كوكس في العقير في أواخر عام (١٣٣٤هـ/ ١٩١٥م) [٧]. وعندما أرادت بريطانيا القيام بجولة مباحثات مع عدد من الزعامات العربية في الجزيرة العربية وتقريب وجهات النظر بما يخدم المصالح البريطانية فيها وقع اختيار كوكس لرئاسة البعثة على مساعده الشخصي فيلبي[٨]، فكانت هذه البداية الحقيقية لرحلاته ومؤلفاته عن الجزيرة العربية.

---

(١) العُمـري ، عمـر بـن صالح ، عبـدالله فلبي : حياتـه وآثاره ، **مجلـة دارة الملـك عبدالعزيـز** ، ع٣ ، س٢٥ ، ١٤٢٠هـ، ص٦.

(2) , op , cit , pp 14-17. ELIZABETH

(٣) العُمري ، المرجع السابق ، ص٧.

(٤) حماد ، **عبدالله فيلبي** ، ص٣٠-٣١.

(٥) بيرسـي كوكس (١٨٨٤-١٩٣٧م) سياسي بريطاني شارك في رسم السياسية البريطانية في البلاد العربية بعـد نهاية الدولة العثمانيـة حيث شارك قوات الثورة العربية الكبرى في محاربـة قوات الدولة العثمانية ، وتولى منصب المقيم السياسي البريطاني في الخليج العربي.
Tripp , Charles , A History of Iraq , 3rd ed , New yourk , Cambridge up , 2007 , p44؛
للمزيد عن حياة كوكس انظر:
The Life of Sir Percy Cox by Philip Graves , Second Im Pression , Hutchinson , CO , London.

(٦) العُمري ، المرجع السابق ، ص٧.

(٧) الزركلـي ، خير الدين ، **شـبه الجزيرة العربية في عهد الملك عبدالعزيـز** ،(بيروت ، دار العلم للملايين ، بيروت ،١٩٩٢م) ، ط٥،ج١ ، ٢٨٤ .

(٨) للمزيـد عن هـذه البعثة انظر التقرير الخاص بالبعثة الذي كتبه فيلبي وقـام د عبدالله الصالح العثيمين بالتقديم له وترجمته. انظر : فيلبي ، بعثه إلى نجد ، ص٧٣-٢٢٣.

تقلد فيلبي بعدها عدداً من الوظائف في الحكومة البريطانية، وكان معاصراً لأحداث الحربين العالميتين ، ثم قدم إلى الجزيرة العربية في تشرين الأول عام (١٣٣٥هـ/١٩١٧م) قادماً من البصرة فاتجه إلى الأحساء ، ومنها إلى الرياض حيث كان لقائه الأول بالملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل وصار من المقربين له، ثم التحق في خدمته وأعلن اسلامه في عام (١٣٤٩هـ/١٩٣٠م) وتسمى بالحاج عبدالله فيلبي[١]. أمضى هذا الرجل في جزيرة العرب ما ينوف عن الأربعين عاماً من حياته متنقلا في أرجائها؛ مما جعله متعمقا في تاريخها وحضارتها ملماً بتقاليد أهلها وعاداتهم، ومعاصرا لفترة مهمة من تاريخ هذه البلاد التي شهدت متغيرات حضارية كبيرة وقفزات تنموية هائلة، وتوفي في بيروت عن عمر يناهز الخامسة والسبعين عاماً[٢].

للرحالة فيلبي إنتاج غزير من المؤلفات يزيد عددها على خمسة عشر كتاباً ، إضافة على عدد من المقالات المتنوعة وجميعها كتبت بلغته الأم التي يتحدثها وهي الإنجليزية، وهو ما أشاد به عدد من النقاد والمؤرخين الذين وصفوه بصاحب الإنتاج الغزير والريادة في الكتابة التاريخية عن المملكة العربية السعودية، يؤكد هذا الأمر الشيخ حمد الجاسر بقوله عنه: " أسدى للجزيرة يداً قصر عن مدها إليها من سواه"[٣]، كما ذكر المؤرخ الأمريكي (جورج رنتز)[٤]، عن فيلبي: "أنه أكثر الغربيين إنتاجاً في تاريخ هذه البلاد"[٥] .

---

(١) المانع ، **توحيد المملكة العربية السعودية** ، ص٢٧٦.

(٢) فيلبي ، جون ، **مرتفعات الجزيرة العربية** ، ط١ ، مكتبة العبيكان ، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م ، ج١ ، ص٦٢٠. (زهير). الرحالة فيلبي يستحق أن تدرس رحلاته وأعماله في عدد من الكتب والرسائل العلمية . وقد أسدى لبلاد شبه الجزيرة العربية أفضالاً وجهوداً كبيرة تفوق غيره ممن كتب ووثق شيئاً من تاريخ وحضارة هذه البلاد . (ابن جريس) .

(٣) الجاسر ، حمد ، فيلبي : رحلاته في البلاد العربية ، مجلة العرب ، (١٤١٩هـ/١٩٩٨م) ، مج٢٤ ، ص١٠٥ ؛ العُمري ، المرجع السابق، ص٢٩-٥٣.

(٤) رنتز : مؤرخ أمريكي ولد في بنسلفانيا سنة (١٩١٢م) ، مكث في الفلبين عامين منذ (١٩٣٠م) ، ثم انتقل للتدريس في حلب ثلاث سنوات تعلم خلالها اللغة العربية وحصل على الماجستير من جامعة كاليفورنيا ، وكان عنوان رسالته (المماليك في القرن الرابع عشر) ثم انتقل وعمل بالقاهرة ، وأكمل دراسته فكانت اطروحته للدكتوراه تحت عنوان (محمد بن عبدالوهاب ١٧٠٣-١٧٩٣م وبداية امبراطورية التوحيد) ، عمل كذلك في شركة (ارامكو) سبعة عشر عاماً وأنشأ قسم البحوث والترجمة المتخصص في تاريخ الجزيرة العربية ، وقد جمع الكثير من المعلومات عن الجزيرة العربية. رنتز، جورج ، فيلبي مؤرخاً للمملكة العربية السعودية ، ترجمة وتعليق ، د حسين بن محمد الغامدي ، مجلة الدرعية ، السنة الأولى ، العدد الثاني ، ربيع الآخر ١٤١٩ه/أغسطس ١٩٩٨م ، ص٦١-٦٥.

(٥) رنتز ، المرجع السابق ، ص٦١.

٢ـ فيليب ليبنز :

ضابـط بلجيكي مغامر عمـل ملاحظاً لـلأمم المتحدة في فلسطـين[١] ثم قدم إلى الجزيرة العربية في عهد الملك عبدالعزيز ـ رحمه الله ـ ومارس مهنة الطب في أحيان كثيرة[٢]، وكان ضمن فريق من الرحالة المستكشفين بقيادة جون فلبي إلى مناطق واسعة في وسـط وجنوب، وجنوب غرب الجزيرة العربية أوفدها الملك عبدالعزيز بهدف رصد ودراسـة العديد من الجوانب الجغرافية والبقايـا الأثرية والنقوش القديمة، وكان ذلك في عـام (١٣٧١هـ/١٩٥١م)[٣]. وقد تميز هـذا الرحالة بحب المغامرة، كما كان مهتماً بقـراءة التاريـخ متخصصـاً بتصوير ما يمـر في طريقه من المعـالم العمرانية والبقايا الأثريـة والنقوش القديمـة، إلى جانب أنه قـد أجاد اللغتين الفرنسيـة والانجليزية مع معرفته الجيدة باللغة العربية والتي اكتسبها خلال إقامته في البلاد العربية[٤].

خامساً : التعريف بكتابي الرحالتين :

١ـ كتاب فيلبي (مرتفعات الجزيرة العربية) :

تناول كتـاب فيلبي "**مرتفعات الجزيـرة العربيـة**" المناطق الجنوبية للمملكة العربية السعوديـة ، إلى جانب خـط سير المؤلف من الربع الخالي حتى مكـة المكرمة عبر الطريق الداخلي ، وتم وصف رحلة العودة من جنوب المملكة إلى مكة عبر الطريق الساحلي فشملت بذلـك مرتفعات تهامة وسهولها. والكتاب يتكون من مقدمة وثلاثة وثلاثين فصلاً مقسمة على ستة أبواب خصص لكل باب منطقة جغرافية، ولكل فصل مدينة أو قرية أو جزءٌ صغيرٌ من معالم جنوب غرب الجزيرة العربية ، واحتوى الكتاب على عدد من الصور ، والرسوم ، والخرائط ، والجداول ، والكشافات في صفحات يبلغ عددها (١٤٤٩) صفحة[٥].

---

(١) ليبنز ، فيليب ، **رحلة استكشافية في وسط الجزيرة العربية** ، ترجمة : محمد حناش ، راجعها وعلق عليها ، فهد بن عبدالله السماري ، (دارة الملك عبدالعزيز ، الرياض ، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م) ، ص١٥.

(٢) ذكر هذا في أكثر من موضع من كتابه.

(٣) انظر : خطاب تكليف البعثة في كتاب : ليبنز : رحلة استكشافية ، ص١٨.

(٤) جريس ، غيثان ، **صفحات من تاريخ عسير** ، (جدة ، دار البلاد للطباعة والنشر ، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م) ، ط١، ص٢٩٣ ؛ ليبنز ، رحلة استكشافية ، ص٧.

(٥) انظر دارسة علمية تفصيلية موثقة لغيثان بن علي بن جريس "جنوب السعودية في كتاب : مرتفعات الجزيرة العربية لهاري سانت جون فيلبي" قدمت في ندوة اتحاد المؤرخين العرب بالقاهرة من (١١ـ ١٢/١٠/١٤٢٥هـ الموافق ٢٤ـ ٢٥/١١/ ٢٠٠٤م)، ونشرت في كتاب مداولات الندوة بعنوان : **العالم العربي في الكتابات التاريخية المعاصرة . حصاد** (١٢) القاهرة (١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م) ، ص ٢٤١ـ ٢٧٦ . كما نشر البحث في كتاب لابن جريس بعنوان : **دراسات في تاريخ إفريقيا والجزيرة العربية خلال العصور الإسلامية** (نادي جازان الأدبي، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م) ص ١٤١ـ ١٨٨ . (ابن جريس) .

بـدأت كتابـات فيلبي عن نجران من الباب الثالث الذي خصص له عنوان "بلاد يام" لوصـف زيارته لنجران وجغرافية المنطقة وسكانهـا وتاريخها ومعالمها ابتداءً من الفصل الحادي عشر حتى السادس عشر، ثم تحدث في الباب الرابع عن "النجد المرتفع" للحديث عن حبونا[١]، وسكانها وآثارها والكتابة كذلك عن المكارمة[٢]، وتاريخهم ابتداءً مـن الفصل السابع عشر حتى الفصل الثالث والعشـرون. ومن الرصد المعلوماتي المهم الـذي تضمنه كتاب فيلبـي: أسماء العلامـات الحدودية بين المملكـة العربية السعودية واليمن مع بيان ارتفاع كل عمود عن مستوى سطح البحر ، والمسافات بين المدن والقرى المختلفـة ، إلى جانـب شجرة نسب دعـاة المكارمة من طائفـة الإسماعيلية في نجران ، إضافة إلى قائمة غير مكتملة بأسماء القرى والقبائل في المنطقة[٣].

كتاب فيليب ليبنز : (رحلة استكشافية في وسط الجزيرة العربية) :

تحـدث لينبنز في كتابه"**رحلة استكشـافية**" عن زيارته لعـدة مناطق في الجزيرة العربيـة ومنها نجران، كتبه في الأصـل باللغة الفرنسية ، ثم ترجمـه إلى اللغة العربية د محمـد الحناشـ، وراجعه د فهـد السماري ، وقامت دارة الملـك عبدالعزيز بطباعته ونشـره بمناسبـة مرور مائة عام على تأسيس المملكة العربيـة السعودية. احتوى الكتاب علـى تقديمٍ خـادم الحرمين الشريفين الملـك سلمان بن عبدالعزيـز حفظه الله عندما كـان أميراً لمنطقـة الرياض ، ومقدمة لمراجع الكتاب وأهميته ومـا احتواه من معلومات قيمة ، ومراحل الحصول على نسخة الكتاب الأصلية وترجمته حتى إخراجه للقراء[٤].

---

(١) حبونا : ترد في معاجم الجغرافيا العربية بلفظ حبونن بفتح أوله وثانيه وإسكان الواو وقد ذكرها البكري في القـرن الرابـع الهجري على أنها ديار مذحج لكن الهمداني قبله يعددها ضمن مساكن يام ، أما اليوم فهي مـن ديار يام وتسكنهـا قبيلة لسلوم احدى بطون مواجد يام ، وقد شملتهـا اليوم مظاهر التطور والعمران حتى أصبحت حبونا احدى المحافظات الرئيسية في منطقة نجران. للمزيد عن حبونا في الماضي والحاضر انظر : الهمداني ، **صـفة جزيرة العرب** ، ص١٦٤ ، ٢٢٨ ؛ البكري ، **معجم ما استعجم** ، ص٤٢١ ؛ ياقوت ، **معجـم البلـدان** ، ج٢ ، صـ٢١٥ ؛ حمـزة ، في بـلاد عسير، صـ١٨٥ ؛ البلادي، **بين مكة وحضـرموت** ، ص١٩٩-٢٠٦؛ ابن مريح ، نجران ، ص٧٦ .

(٢) عندمـا تغلـب الأئمة الزيدية علـى الاسماعيليين في اليمن بعد عدة قرون اضطـر بعض الإسماعيليين الى الهجرة الى أماكن مختلفة ، واستقر بعضهم في نجران التي أصبح المكارمة زعماءها الدينيين ، بقيت هذه الزعامة لهم حتى دخلت نجران تحت الحكم السعودي . العثيمين ، عبدالله الصالح، تاريخ المملكة العربية السعوديـة ، (الرياض، مكتبة العبيكان، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م) ، ط١٢، ج١، صـ٢٨؛ وللمزيد انظر: الحسين ، يحيـى ، **غايـة الأماني في أخبار القطـر اليماني** ، تحقيق سعيد عاشور ، (القاهـرة، ١٣٨٨هـ) ؛ الواسعي، عبدالواسـع بـن يحي، **تاريخ اليمن المسمى فرجة الهمـوم والحزن في حوادث وتاريـخ اليمن** ، (صنعاء ، الدار اليمنية للنشر والتوزيع ، ١٤١٤هـ/١٩٨٤م).

(٣) كما ذكرت سابقاً ، كتاب **فيلبي (مرتفعات الجزيرة العربية)** ومؤلفات أخرى له تستحق أن يجرى عليها دراسات علمية تحليلية (ابن جريس) .

(٤) ليبنز ، **رحلة استكشافية** ، ص٧.

كما تضمن الكتاب تقديماً من جون فيلبي للنسخة الأصلية تحدث فيها عن الفكرة التي انطلقـت منها الرحلة والدعم السخي الذي لقيه من الحكومة السعودية – وهو ما يثبته الخطـاب المرفـق بالكتاب من ديوان الملـك عبدالعزيز للحاج فيلبــي[١] ملخصاً في هذا الكتاب التخطيط للرحلة ودوافعها ومراحلها مع بقية أعضاء البعثة[٢]. وللنسخة الأصل مقدمــة أخرى لكونزاك رايكمان أستاذ اللغــات الشرقية بجامعة لوفان تحدث فيها عن انطباعاته في تلك الرحله[٣].

سادساً: رحلات (فيلبي، وفيليب ليبنز في نجران :

زار فيلبي نجران مرتين كانت الزيارة الأولى عام (١٣٥٥هـ/١٩٣٦هـ) وسجل أحداث تلـك الفترة في كتابه (Arabia Highlands) باللغة الإنجليزية وقد طبع في جامعة " كورنل أثاكـا " بالولايـات المتحـدة الامريكية عام (١٣٩٦هــ/١٩٧٦م) ، ثم ترجـم أخيراً باللغة العربيــة بعنوان: "**مرتفعـات الجزيرة العربيــة** "وقامت مكتبة العبيكـان بطباعته ونشره عــام (١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م) . وقـد اعتمدت هذه الدراسة على هــذه النسخة التي ترجمها د حســن مصطفى حســن ، وقام بالمراجعــة العلمية والتدقيق للترجمــة الدكتور عبدالله بن عبدالرحمــن آل عبدالجبـار، وراجعه وكتب تقديمه وعلق عليــه الدكتور غيثان بن علي بن جريس . أما رحلته الثانية فقد كانت بصحبة بعثة استكشافية كتب تفاصيلها أحد أعضاءها وهو البلجيكي فيليب ليبنز في كتابه : "**رحلة استكشافية في الجزيرة العربية**".

وصل فيلبي إلى وادي حمى[٤]. في (٦ ربيع الآخر١٣٣٦ه الموافق٢٥/يونيو١٩٣٦م) ــ ماه شعيب الحمى ــ قادماً من تثليث[٥] في بلاد قحطان ، ثم مر بشعيب نعوان وقِطن

---

(١) المرجع نفسه ، ص١٨.

(٢) المرجع نفسه ، ص١١.

(٣) المرجع نفسه ، ص١٥.(زهير) . الرحالة الغربيين قدموا لنا معاشر الباحثين في بلاد السراة وتهامة مادة عليمــة يصعب أن تجدها في أي مصدر آخـر انظر كتاب محمد بن معبر . **الرحلات والرحالة في الجنوب السعودي** (الجزء الأول) .(ابن جريس) .

(٤) وادي حمى : من الأودية المهمة الممتدة في محافظات ثار ويدمة وحبونا وبه مركز حمى ، ويزخر بعدد من المواقع التاريخية من أهمها آبار حمى التاريخية. **مقابلة شخصية مع الشيخ سالم بن محمد بن فلاح الشدقاء**.

(٥) تثليث: المحافظة السادسة من محافظات منطقة عسير وتبعد عن مدينة أبها باتجاه الشرق مسافة (٢٣٥) كلم ، وهي أقدم حواضر قبيلة قحطان ، يتبعها عدد من المدن والقرى والهجر وتمثل محافظة تثليث (٣٠٪) مــن محافظــة منطقة عسير حيث تمتد من محافظة خميس مشيــط وسراة عبيدة في الجنوب الى محافظة رنيــة في الشمــال وشرقيهــا في محافظــة وادي الدواسر وإمارة نجــران وغربيها محافظــات طريب وبيشة وخميس مشيط ، سميت تثليث نسبة الى واديها العملاق الذي يبلغ طوله (٤٥٠) كلم. الحربي علي ، **المعجم الجغرافي في البلاد السعودية (منطقــة عسـير)** ، (بـيروت ، مطابع الخليفة، ١٤١٧هــ/١٩٩٧م) ، ج١ ، ص٢٩٦-٣٠٥ .

حتـى وصـل بئر الحصينية علـى الضفة اليسرى لـوادي حبونا[١]· وبعـد أن مكث يوماً واصـل سيره جنوباً حتـى وصل إل قمة جبل تصلال شرقي نجران ، وبعد أن تجول فيها بعض الوقت ووصف موقع كعبة نجران[٢] · اتجـه إلى نجران ماراً بهضبة الشعثاء[٣] ، وبئـر العريسة[٤]·وشعيب دخول وهضبـة منار[٥]· وشعيب الأثايبـة[٦] ، حتى وصل إلى أول القـرى النجرانيـة التي واجهته في طريقه وهي قرية آل منجم[٧] لكنه اكتفى بالمرور بهـذه القرية وتجاوزهـا إلى قرية زبيد حيث أمضى بها أول ليلة له في نجران في ضيافة مركز للشرطة السعودية[٨]·وفي صبيحة اليوم التالي ـــ الجمعة ـ أخذ طريقه بمحاذاة الـوادي حتـى وصل إلى قصر الامارة في أبـي السعود[٩] ، حيث أعد لـه استقبال رسمي وأعـد له جنـاح مستقل كان مقر إقامته طـوال وجوده في المنطقـة[١٠]· زار معظم قرى وبلـدات نجران فمـرة نجده في الحَضَن وأخـرى يزور آثار نجران قـرب قرية القابل ،

---

(١) فيلبي ، **مرتفعات الجزيرة العربية** ، ج١ ، ص٤٠٣ .

(٢) كعبة نجران : عندما استولى بنو الحارث بن كعب المذحجيين على نجران قبل ظهور الإسلام بقرون ظهرت فيهم أسرة آل عبدالمدان بن الديان الحارثي ، وهم من سادات بني الحارث بن كعب فتولوا السلطة في نجران ؛ ولمـا تمتعـوا به من شجاعة وفروسية ذاع صيتهم واتسعت شهرتهـم ، وبلغ بهم الاعتداد بأنفسهم أن شيدوا كعبـة سموها "كعبـة نجران" بناها عبدالمدان ابـن الديان الحارثي على شكل مربـع متساو الأضلاع وكان الغرض من بنائهـا منافسة الكعبة الشريفة بمكـة المكرمة. للمزيد انظر: ابن هشـام ، ابومحمد عبدالملك، **السيرة النبوية** ، تحقيـق مصطفـى السقا وآخريـن ، بيروت ، دار القلـم ، د.ت ،ج٢ ، صـ٦٠٣ ؛ الحموي ، **معجم البلدان** ، ج٥ ، صـ٢٦٩ ؛ الهمـداني ، **صفة جزيـرة العـرب** ، ص٢٦٨ ؛ جريـس ، غيثان ، **نجران (دراسـة تاريخيـة حضارية ق١-ق٥٤/ق٧-ق١٠م)** ، (١٤٣٤هـ/٢٠١٣م) ، ط٢، صـ٥٦-٦٠. (زهير) وفي اتصال هاتفي مع أ. محمد آل هتيلة في (١٦/١١/١٤٤٢هـ) ذكر أنه بعد وقوفه على جبل تصلال لم يجد أي أثـر لكعبـة نجران هناك ، كما ذكر فيلبي ويعتقد أن المراد بكعبة نجـران هو معبد الكآية في الأخدود. (ابن جريس) ·

(٣) الشعثاء : تقع حالياً قرب مطار نجران. **مقابلة شخصية مع الشيخ سالم بن محمد بن فلاح الشدقاء** ·

(٤) فيلبي ، مرتفعات الجزيرة العربية ، ج١ ، ص٤٢٣ ؛ والعريّسة أحد الأحياء العمرانية الناهضة شرق مدينة نجران. **مقابلة شخصية مع الشيخ سالم بن محمد بن فلاح الشدقاء** ، مقابلة سبق ذكرها.

(٥) فيلبي ، **مرتفعات الجزيرة العربية** ، ج١ ، ص٤٢٤.

(٦) مجـرى الأثايبـة : أحد الروافـد الرئيسية لوادي نجـران ولا يزال يعرف باسمه حتى اليـوم ، ويضم قرى ومزارع عامرة اشتهرت بجودة منتوجاتها ، وقد أمتد اليه النطاق العمراني لنجران الحديثة اليوم. **مقابلة شخصية مع الشيخ سالم بن محمد بن فلاح الشدقاء** ·

(٧) آل منجـم في قريـة عامـرة وحي متطور تسكنه عشـيرة آل منجم من يام. انظر : حمزة، **في بلاد عسـير** ، ص١٨٥.

(٨) فيلبي ، **مرتفعات الجزيرة العربية** ، ج١ ، ص٤٢٥.

(٩) قصـر أبـو السعـود : قصر طيني كبير تم بنـاؤه في بداية الحكـم السعودي لنجران ، وكـان مقراً للحاكم الإداري وبقية الأجهزة الحكومية في ذلك الوقت، وهو اليوم معلم أثري وسياحي بارز ووجهة مهمة للسياح وزوار المنطقة. انظر : آل مريح ، نجران ، ص٢٨.

(١٠) فيلبي ، **مرتفعات الجزيرة العربية** ، ج١ ، ص٤٢٨.

ومــن ثم تجاوزها إلى بلدة رجــلا ، وفي يوم آخر يتجه إلى الموفجــة[١] وخشيوة[٢] وقرية العان[٣]. بعدهــا اتجــه عبر رجــلا وآل منجم حتى وصل بئر الخضــراء ومنها بدأ رحلة طويلة في الجزء الجنوبي من اليمن[٤].

لم يمكــث فيلبــي في نجــران مدة طويلــة بعد عودته مــن شبوة فقد اتخــذ له دليلاً جديــداً للتوجــه إلى القسم الجبلي مــن بلادٍ يام في بلدتي بــدر[٥]. وحبونا ، التي أطلق عليهــا مسمى " النجــد المرتفع " ، وكان محقاً كونها مناطــق جبلية مرتفعة ضمن نطاق سلسلة جبال السروات. وقد بدأ رحلته بالمرور أعلى مجرى الأثايبة ، ثم اخترق عدداً من السلاســل الجبلية الوعرة حتى الوصــول إلى شعيب الرغام[٦] . ثم واصل طريقه ليعبر مسالــك أخرى عددها المؤلــف في كتابه مثل : سلسلة الصخــي[٧]. وشعيب عرقان[٨]. حتــى وصــل إلى مجــرى وادي حبونــا متوقفاً في محطات كثــيرة إما للراحــة ، أو لجمع الرسومات ، أو النقوشــ الحميرية[٩] والثمودية[١٠]. التي صادفها بكثرة، وسجل لنا كل

---

(١) الموفجــة : قرية زراعية جميلة غزيــرة المياه كثيرة البساتين تقع في حلق وادي نجران بعد السد. البلادي ، بين مكة وحضرموت ، ص١٩١.

(٢) خشيوة : قرية تقع الى الجنوب من وادي نجران ، وتدعى حالياً حي المنصورة. **مقابلة شخصية مع الشيخ سالم بن محمد بن فلاح الشدقاء** . سبق ذكرها .

(٣) العان : من أشهر الجبال في منطقة نجران يقع جنوب غرب مدينة نجران قرب الحدود السعودية اليمنية. **مقابلة شخصية مع الشيخ سالم بن محمد بن فلاح الشدقاء** ، مقابلة سبق ذكرها.

(٤) فيلبي ، مرتفعات الجزيرة العربية ، ج١ ، ص٤٣٨ ؛ وعن هذه الرحلة انظر لنفس المؤلف : بنات سبأ ، مكتبة العبيكان ، الرياض ، ط١ ، ١٤٢٢هـ ، ٢٠٠١م ، ص٢٣ وما بعدها.

(٥) بدر : محافظة تقع وادي حبونا شمال شرق نجران على الحدود الإدارية لمنطقة عسير . انظر : البلادي : المرجع السابق ، ص ٢٠٤ ؛ الشريف ، **جغرافية المملكة العربية السعودية** ، ج٢، ص٤٠٩

(٦) شعيــب الرغــام : مجرى واد مليء بأشجار السدر والطلح يخترق سلاسل جبلية وعرة إلى الشمال من نجران بالقرب من الطريق المؤدي من نجرًان إلى خميس مشيط. **مقابلة شخصية مع الشيخ سالم بن محمد بن فلاح الشدقاء** .

(٧) سلسلــة الصخــي : جبــال ممتدة بشعــاب وأودية من غرب نجران باتجــاه النقعاء وحبونــا وباتجاه الجهة الشمالية الغربية. **مقابلة شخصية مع الشيخ سالم بن محمد بن فلاح الشدقاء** .

(٨) شعيب عرقان : من الأودية الكبيرة التي تمتد بعد سلسلة وادي صخي. مقابلة شخصية مع الشيخ سالم بن محمد بن فلاح الشدقاء .

(٩) تعــد النقوشــ الحميريــة من أهم نقوشــ المسند القديمــة ومن أهــم النقوش الحميرية في نجــرانٍ موقع الأخــدود الأثــري الــذي يقع في قريــة القابل جنــوب وادي نجــران ، الذي يشمــل مباني وأنقاضــا أثرية تحمــل نقوشــا معينيــة وسبئية ، بلغ عــدد النقوش العربية الجنوبيــة القديمة التــي تم حصرها في الموسم الأول للمســح والتنقيــب في الأخــدود حوالي (٣٧) نقشــا حجرياً إلى جانب ثلاثة نقوشــ حميرية سطرها أقيــال الملــك الحمــيري (يوسف أسار يثــأر) عندمــا أقدموا على غزو نجــران مع ملــك الجيش الحبشي بظفــار وهــذه النقوشــ الثلاثــة مؤرخــة جميعهــا بعــام (٦٣٣م) حمــيري أي حــوالي عــام (٥١٨م). للمزيد انظر : **وزارة المعارف (وكالة الآثار والمتاحف) ، سلسلة آثار المملكة العربية السعودية** ، (الرياض ، مطابع دار الهلال للأوفست) ، ص٨٨.

(١٠) بلــغ مجموع النصوص الثمودية التي أمكن حصرها من منطقة نجران نحو (٣٠٠) نقش وعلى الرغم من

تفاصيلها[١]. ومن هناك توجه إلى وادي ثار[٢]. بهدف الوقوف على ما قيل له عن كثرة النقوش والرسوم المنتشرة بهذا المكان[٣]. ثم أخذ طريقه إلى حبونا بعدد من الأودية والجبال حتى وصل شعيب سليم[٤]. حتى وصل إلى ماء ثميلة ، وهو أحد موارد البدو المشهورة في المنطقة[٥]. ، ثم اتجه عبر شعيب قفلة حتى عودته إلى معسكر في وادي تريمة[٦]. في حبونا[٧]. وفي صبيحة اليوم التالي كانت وجهته عبر دلتا الحبابة حتى وصوله واحة حبونا[٨].

وفي حبونا أمضى بعض الوقت في ضيافة أميرها المحلي محمد بن ناصر[٩]. متجولاً بين قراها ومزارعها عدة أيام، ثم أخذ طريقه عبر منحنيات وادي حبونا متجهاً إلى بلدة المجمع[١٠]. ماراً بقرى النقعاء[١١]. والمروة ، ومسعودة ، والحصن، وشعيب صحيان[١٢]. والحرشف[١٣]. وحزقة ، ودوح، والسليمة ، والعزم ، والجفة[١٤]. ثم أخذ

كثرتها فإنها قصيرة ومعظمها أسماء أعلام، إلى جانب ورود أسماء بعض المعبودات كما ترد كثيراً كلمة (ودد) بمعنى أحب ، أو (ود) ومن أهم المواقع في منطقة نجران التي عثر فيها على نقوش ثمودية هي : جبال ثغر المسماة جبل أم رقيبة ، جبل عان النعام ، جبل واسط ، نجد سهي ، النظيم ، جبال الكوكب ، جبال قارة. للمزيد انظر : **وزارة المعارف ، سلسلة آثار المملكة** ، ص٨٦.

(١) للمزيد انظر : فيلبي ، مرتفعات الجزيرة العربية ، ج٢ ، ص٦٢٤-٦٣١.

(٢) وادي ثار : يبدأ من الجبال الغربية بموازاة وادي حبونا من الشمال ، وله عدة روافد ويتجه الى الجنوب الشرقي حتى يلتقي بوادي حبونا شرق عمود الرحبة. جريس ، **القول المكتوب في تاريخ الجنوب (عسير ونجران)** ، (الرياض ، مطابع الحميضي ، ١٤٣٢- ١٤٣٣هـ/٢٠١١-٢٠١٢م) ، ج٣، ص٢٦٢.

(٣) فيلبي ، **مرتفعات الجزيرة العربية** ، ج٢ ، ص٦٣٣.

(٤) ربما يقصد فيلبي موطن قبيلة آل سليم من يام الذين يقطنون عدة أماكن في حبونا. **مقابلة شخصية مع الشيخ سالم بن محمد بن فلاح الشدقاء .**

(٥) فيلبي ، **مرتفعات الجزيرة العربية** ، ج٢ ، ص٦٣٣.

(٦) وادي تريمة : أحد الأودية العظيمة في منطقة نجران ينحدر من الرحاب في محافظة بدر الجنوب ويصب في محافظة حبونا. مقابلة شخصية مع الشيخ سالم بن محمد بن فلاح الشدقاء .

(٧) فيلبي ، **مرتفعات الجزيرة العربية** ، ج٢ ، ص٦٣٣.

(٨) المرجع نفسه ، ج٢ ، ص٦٣٣.

(٩) فيلبي ، مرتفعات الجزيرة العربية ، ج٢ ، ص٦٣٣.

(١٠) المجمع : أحد روافد حبونا وهي اليوم بلدة عامرة بالسكان. انظر : البلادي ، بين مكة وحضرموت ، ص٢٠٥.

(١١) النقعاء : قرية تقع الى الشرق من محافظة حبونا بمسافة تقارب (٥٠) كلم. **مقابلة شخصية مع الشيخ سالم بن محمد بن فلاح الشدقاء .**

(١٢) شعيب صيحان : جبل ضخم يحد محافظة حبونا من الشمال ويتفرع منه العديد من الشعاب والأودية. **مقابلة شخصية مع الشيخ سالم بن محمد بن فلاح الشدقاء .**

(١٣) الحرشف : جبل ضخم يقع الى الشمال من جبل صيحان. مقابلة شخصية مع الشيخ سالم بن محمد بن فلاح الشدقاء .

(١٤) الجفة : قرية تقع الى الغرب من محافظة حبونا. مقابلة شخصية مع الشيخ سالم بن محمد بن فلاح الشدقاء .

طريقــه عبر مجموعة من السلاسل الجبلية الوعرة ومسايـل المياه حتى وصل الى قريةٍ الخضــيرة التابعة لحبونا[١] . فعسكر هناك بعض الوقت ، ثم سار عبر وادي حبونا ماراً بقرية الخانق[٢]٠ حتى وصل إلى ظهران[٣]٠ التابعة لمنطقة عسير[٤]٠

بعـد أن أمضــى بعض الوقت في ظهران غادرها متجهـاً إلى بلدة بدر التي كانت في ذلـك الوقت مركزاً لدعـاة الإسماعيلية من المكارمة التــي أسماها وطن السفاحين[٥]٠ فأقـام في ضيافـة أميرهــا ابراهيم النشمــي[٦]٠ عدةٍ أيــام[٧]٠ ليتعرف علــى أحوالها الاقتصاديــة والسكانيــة والعمرانية ، ثم غادرها منهياً رحلتــه إلى منطقة نجران آخذاً طريقه إلى بلاد قحطان مرة أخرى[٨]٠

أمــا فيليب ليبنز فقد استعرض في كتابه مراحل زيارته لنجران برفقة فيلبي وعالمي الآثــار: جــاك رايكمان وكنــزاك رايكمان، واتخــذت رحلتهم الطريق نفســه الذي سلكه فيلبــي في زيارته السابقة لنجــران عبر بلاد قحطان حتى وصولهــم إلى يدمة[٩] ثم إلى بئــر الحصينية[١٠] فأسفل وادي حبونا[١١] ثم السير حتــى الوصول إلى جبل تصلال[١٢] ثم آبــار الخضراء[١٣]حتى استقرارهم أخيراً في نجــران. دون ليبنــز أهمية نجران التي

---

(١) فيلبي ، مرتفعات الجزيرة العربية ، ج٢ ، ص٦٦٤.

(٢) الخانــق : أحــد مراكز محافظة حبونا الواقعة في الجهة الغربية منها. مقابلة شخصية مع الشيخ سالم بن محمد بن فلاح الشدقاء ٠

(٣) ظهران الجنوب : يقع في الجنوب الشرقي لمنطقة عسير على الحدود اليمنية ويبعد عن أبها مسافة (١٦٠) كم ويحدها من الغرب منطقة جازان ومن الشمال محافظة سراة عبيده ومن الجنوب الجمهورية اليمنية. الحربي ، علي ، **المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية (منطقة عسير)** ، (بيروت مطابع الخليفة ، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م) ، ج٢ ، ص١٠٥٢.

(٤) فيلبي ، **مرتفعات الجزيرة العربية** ، ج٢ ، ص٦٦٨.

(٥) المرجع نفسه ، ج٢ ، ص٦٧٣.

(٦) إبراهيم النشمي : ولد في شقراء بالوشم سنة (١٣١٢هـ) من رجال الملك عبدالعزيز المعروفين ، شارك في كثير من حملات الملك عبدالعزيز مثل حصار المدينة وفتحها عام (١٣٤٤هـ) وكلف بمهمات عسكرية على الحـدود الشمالية وأخرى في الجنوب، كما تولى إلى جانب امارة نجران إمارات ينبع والعلا وتربة والخرج ومات عام (١٣٩٨هـ) . للمزيد عن حياته. الحميد ، عبداللطيف بن محمد ، **إبراهيم عبدالرحمن النشمي (١٣١٣-١٣٩٨هـ حياته وأعماله** ، (د.ن ، ١٤٣٢هـ/٢٠٠٢م).

(٧) فيلبي ، مرتفعات الجزيرة العربية ، ج٢ ، ص٦٧٧.

(٨) المرجع نفسه ، ج٢ ، ص٦٩٣.

(٩) ليبنز : **رحلة استكشافية** ، ص١٢٢ ٠

(١٠) المرجع نفسه ، ص١٢٤.

(١١) المرجع نفسه ، ص١٢٤.

(١٢) المرجع نفسه ، ص١٢٦.

(١٣) المرجع نفسه ، ص١٢٧.

اعتبرها "مركزاً اقتصادياً وإدارياً مهماً لقبيلة يام"[١] ، وذكر أن عرضها (٤٠) كيلو متراً، وعدد سكانها قرابة (٨٠٠٠) نسمة حسب تقديره الشخصي[٢] ووصف فيليب ليبنز كل ما صادفه في طريقه من جوانب الحياة المختلفة في نجران فأشار إلى الغطاء النباتي وأنواع الأشجار التي تصادفه في رحلته كالسمر، والأراك[٣] ـ الراك ـ باللهجة المحلية[٤].

سابعاً : المقارنة بين رحلتي فيلبي وفيليب ليبنز :

١- التضاريس والبيئة :

أعطى فيلبي للتضاريس والبيئية اهتماماً كبيراً ودقة بالغة فوصف كل ما شاهده في طريقه من سهول، وجبال ، وتلال ، وأودية ، يؤكد هذا الأمر عندما يصف رحلته ويحدد بدقة كبيرة درجة ارتفاع تلك التضاريس عن سطح البحر أو موقعها بالنسبة لخطوط الطول ودوائر العرض ، فعند اختراقه لشعيب نعوان[٥] وصف السهل الذي عبره قائلاً " وانطلقنا بسرعة جيدة فوق سهل رملي رائع ، منقط هنا وهناك بكتل من صخر رملي مكسر ، يتآكل ببطء ولكنه بكل تأكيد يذوب داخل رمال الصحراء ...."[٦]. وفي موقع آخر يصف وقوفه على قمة جبل أبو همدان[٧] قائلاً : "شمخت قمة أبو همدان إلى (١٢٠٠) قدم فوق مستوى وادي نهوقة[٨] الذي تقع أسفلها" ، إلى أن يقول: "كان التل

---

(١) المرجع نفسه ، ص١٢٩.

(٢) المرجع نفسه ، ص ١٢٩ . (زهير) .هذا التقرير الذي ذكره فيليب ليبنز ليس دقيقاً ، وقرأت عن رحالة أجانب جاءوا إلى بلاد السروات وتهامة في القرنين (١٣ـ١٤هـ/١٩ـ٢٠م) وذكروا إحصائيات غير دقيقة عن سكان البلاد التي مروا عليها . (ابن جريس) .

(٣) الأراك : شجرة أوراقها تظهر طعماً طيباً برائحة زكية عند تذوقه وتمتد جذوره تحت الأرض ، وزهوره صفراء صغيرة يمتد في الصيف على شكل عناقيد كعناقيد العنب وثمره ولونه أحمر يشبه ثمر العوسج والغرقد وعند نضجه يصبح لونه أسود ترعى الأبل أغصانه ، وتأكل البشر والطيور من ثمره ، ويسمى الكباث ، كما يكتسب حليب الماشية التي تأكلها رائحة زكية ، ويعد الأراك من أفضل الأشجار التي يتخذ منها السواك. ابن البيطار ، أبو محمد بن عبد الله ، **الجامع لمفردات الأدوية والأغذية** ، (بيروت ، دار الكتب العلمية) ، المجلد الأول ، ص٢٨ ؛ الحموي ، **معجم البلدان** ، ج٢ ، ص٦٣.

(٤) ليبنز ، **رحلة استكشافية** ، ص١٢٢ ، وللمزيد عن جغرافية نجران انظر : ملحق الخرائط.

(٥) نعوان : واد صغير يقع في الجنوب الغربي لوادي حمى. **مقابلة شخصية مع الشيخ سالم بن محمد بن فلاح الشدقاء** .

(٦) فيلبي ، **مرتفعات الجزيرة العربية** ، ج١، ص٥٣٣.

(٧) جبل أبو همدان : قمة جبلية ضخمة تطل على القرى الجنوبية لوادي نجران. آل مريع ، نجران ، ص٦٤.

(٨) نهوقة : واد متسع أول ما يلي نجران من جهة السراة بينها وبين جبل رير الضخم الذي يشرف على مدينة الأخدود ، في أعلاه الى اليمن تقع جنوبي نجران. البلادي ، بين مكة وحضرموت ، ص١٩٢.

والسلسلـة التي وقف عليهـا من جرانيت مع مساحات متكررة من (مواترز) ، على عكس جلاميـد وادي نهوقـة إلى الخلـف ..." [١] ، ثـم يصف إحدى القمم الجبليـة المشهورة : "رافقنـي هـذا الزائر إلى السهل إلى حيث تقع مقبرة قديمـة خالية من النقوش ، وربما يعـود تاريخهـا إلى العصور الوسطى ، إلى عند قمة جبل السـودة ، وإلى جوارها سلسلةً الجبـل الأحمر ذات القمم المتعددة التي تسد الوادي من هذه الناحية وتكّون جرفاً عالياً ينحدر من ورائه وادي سقام الواسع عبر خليجٍ عريضٍ في الجبال ليصل إلى وادي نجران عنـد رجـلا ....." [٢] ٠ويصف أيضاً تجمعـاً غريباً لصخور جرانيتية علـى حد تعبيره : "يحتـوي التجمـع عند طرفه الشمالي على ثلاثة جلاميد (X) ، (X ١) ، (X ٢) ، تمتد على زاوية (١١٠) درجة من عند (X) لمسافة (١١) خطوة ، أو قل ٢٧,٥ قدم" [٣] ٠

في الجـزء الثاني مـن كتاب: **(مرتفعـات الجزيـرة العربيـة)** يقدم وصفـاً دقيقاً لمجـرى وادي حبونا في قوله "كان سطح الـوادي رملياً ومكسواً بغابات كثيفة من أشجار وشجـيرات خفيفـة ... كان سيـل الـوادي ٢٠٠ ياردة" [٤] ، ثـم يتحـدث بالتفصيل عن الصورة التي شاهدها لواحة حبونا التي كانت "على هيئة كتلة كثيفة من أشجار النخيل بامتداد متوسطٍ إلى جانب ما يقدر بست من القرى الصغيرة المنتشرة بين المزارع" [٥] ، مستطـرداً في وصـف قراها وحصونها ومسايلها ، وما يحيط بها من قمم جبلية شاهقة أكسبتهـا طبيعة تضاريسية وعرة عبر عنها فيلبي وهــو يتسلق تلك القمم الضخمة مثل جبل أم خرق [٦] ، وسلسلة شرقان [٧] ، وقمة قلعة العان [٨] ٠

اتبـع هذا الرحالـة منهجاً ثابتـاً في وصف جغرافية بلاد نجران مـن قرى ومزارع بشـكل موسع ودقيـق يجعل القارئ يتصور تلك الرحلة وهو مـا يتجلى عند وصفه لقرى الضفـة الغربية لوادي نجران : كالحضن ، والبديـع ، والقابل ، ورجلا وغيرها [٩] ، ومن أمثلـة وصفـه مـا يتحدث به في موضـع آخر عن منظـر رآه لقرية زور وادعـة فيقول: "

---

(١) فيلبي ، **مرتفعات الجزيرة العربية** ، ج١ ، ص٤٣٥.
(٢) المرجع نفسه ، ج١ ، ص٤٧٦.
(٣) المرجع نفسه ، ج١ ، ص٤٠١.
(٤) فيلبي ، **مرتفعات الجزيرة العربية** ، ج٢ ، ص٦٣١.
(٥) المرجع نفسه ، ج٢ ، ص٦٤٩.
(٦) المرجع نفسه ، ج٢ ، ص٦٥٠.
(٧) المرجع نفسه ، ج٢، ص ٦٥٢
(٨) وهي غير عان نجران الجبل المشهور. وللمزيد عن مشاهداته في حبونا. انظر ، فيلبي ، **مرتفعات الجزيرة العربية** ، ص٦٤٩-٦٥٣.
(٩) فيلبي ، **مرتفعات الجزيرة العربية** ، ج١ ، ص٥٤٢.

تسيطر هضبة بارزة على سفح أبي همدان على منظر رائع لهذه الواحة الجميلة والتي تباهت ذات يوم بقلعة جميلة وهي الآن مدمرة ..." [١]. كان فيلبي حريصاً أكثر على أن يذكر سكان كل قرية يمر بها أو يصفها مع ربطها بالقبيلة الأم التي تنتمي اليها [٢]، بل نجده يقدم للقارئ في نهاية القسم الأول قائمة مصنفة بأسماء قرى نجران : " لكل المزارع و الآبار والوحدات ذات الأسماء التي تكون واحة نجران" [٣] .

ويدون وصفاً دقيقاً لبلدة حبونا متحدثاً عن أهم قراها ومزارعها مثل شط الخضرة، وقابل منيف ، الحصن الأعلى التي تسكنها اليوم بطون قبيلة لسلوم إحدى فروع قبيلة مواجد يام [٤] ، ثم ينتقل للحديث عن واحة المجمع في وادي حبونا ليعدد قراها، ويحدد مواقعها ، ويصف مزارعها [٥]. لم يغفل فيلبي أحوال الطقس اليومية قال:" ساء الطقس في وقت متأخر من العصر وغطت الأجواء غيوم كثيفة غريبة إلى الوادي يحملها نسيم جنوبي غربي لطيف هجمت علينا العاصفة ، وكانت محملة بالرمال ..." [٦]، وفي يوم آخر يصف وضع الطقس عند زيارته للأخدود : " ذهبت رياح قوية لمدة ساعة ، وذلك قبل غروب الشمس ، وكانت السماء ممتلئة بالسحب عند قدوم المساء ، غير أن المطر كان حينها بعض قطرات .." [٧] .

وفي مواطن كثيرة نجد هذا الرحال يورد تفاصيل كثيرة عن الغطاء النباتي ، ذاكراً أنواعاً من النباتات التي تنمو في الجبال والسهول مثل نباتات النجعة [٨]، والأراك -الراك [٩]، والسمر ، والسلم [١٠]، أو تلك التي تعيش على ضفاف وادي نجران مثل

---

(١) المرجع نفسه ، ج١ ، ص٥٤٩.

(٢) المرجع نفسه ، ج١، ص٥٤٣-٥٥٠.

(٣) المرجع نفسه ، ج١، ص٦٠٨-٦١٢.

(٤) فيلبي ، مرتفعات الجزيرة العربية ، ج٢، ص٦٥١. وتتكون هذه القبيلة من عدة بطون وفروع ، انظر : حمزة، في بلاد عسير ، ص١٧٨ ؛ البلادي ، بين مكة وحضرموت ، ص١٢٧.

(٥) فيلبي ، مرتفعات الجزيرة العربية ، ج٢، ص٦٥٧.

(٦) المرجع نفسه ، ج١، ص٤٦٤.

(٧) المرجع نفسه ، ج١ ، ص٤٦٨.

(٨) المرجع نفسه ، ج١ ، ص٤٠٠.

(٩) المرجع نفسه ، ج١ ، ص٤١٣.

(١٠) المرجع نفسه ، ج١ ، ص٤٢١.

الحلفاء[١]، والقصب[٢]، والأثـل[٣]، والطرفاء[٤]،والزعتر ، والنعناع البري وغيرها[٥].
وفي مجال آخر نجده ينتقل إلى وصف الكائنات الحية التي تعيش في المنطقة من زواحف، وطيور، وحشرات، وحيوانات، ولعل ولعه بصيد تلك الأحياء وتربيتها، وإرسالها إلى المتاحف المتخصصة في بريطانيا ، أكبر دافع لاهتمامه هذا ، ومن هذا قوله عند مروره في وادي نعوان " تحصلنا على زوج من غزال الآدمي في هذا الوادي أثناء عبورنا، كما جمعت قرناً لغزال ميت"[٦]، إلى جانب حيوان الوبر الذي كان يقطن الصخور الجراتينية في وادي ثار[٧] ٠ وعند زيارته لآل منجم وهو يتحدث عن بعض الأطفال الذين احضروا لـه بعض أصناف الحيوانات والزواحف: "ليعودوا ومعهم ضفادع ، وسحالي ، وثعابين"[٨]
ويذكر أنه خلال خمسة أشهر شحن (١٧) صندوقاً من العينات النباتية، والحيوانية ، والطيور ، والحشرات ، والصخور حتى تودع في المتحف البريطاني[٩].

أما فيليب ليبنز فوصف بشكل موجز الكثير مما واجهه ولفت نظره من معالم طبيعية في نجران، ففي طريقه من أبها إلى نجران وصف الهضاب مثل هضاب عشارية[١٠] والأودية مثل وادي نجران ووادي نهوقة[١١]، والجبال مثل جبل نهوقة[١٢]وجبل عراير[١٣]، وأشار إلى بعض المنحدرات والرمال والشعبان مثل : شعيب السلم[١٤]،كما ذكر بعض

(١) المرجع نفسه ، ج١ ، ص٤٢٨.
(٢) المرجع نفسه ، ج١ ، ص٤٣٦.
(٣) المرجع نفسه ، ج١ ، ص٤١٢.
(٤) المرجع نفسه ، ج١ ، ص٥٤٤.
(٥) المرجع نفسه ، ج١ ، ص٥٤٩.
(٦) فيلبي ، **مرتفعات الجزيرة العربية** ، ج١ ، ص٤٠٠.
(٧) المرجع نفسه ، ج٢ ، ص٦٣٨.
(٨) المرجع نفسه ، ج١ ، ص٤٢٧.
(٩) كما ذكر فيلبي أن أحد مرافقي الرحالة هاليفي قام بنشر كتاب عام ١٣١١هـ/١٨٩٣م عن رحلته لجنوب الجزيرة لجنوب شبه الجزيرة احتوى مقاطع مهمة عن نجران وان كانت غير دقيقة ، ومن نجران شحن إلى جدة (١٤) صندوقا من العينات ليتم إرسالها إلى المتحف البريطاني وهي حصيلة عدة أشهر من الجمع الدؤوب. المرجع نفسه ، ج١ ، ص٣١٤-٣١٩ ؛ ويمكن الاطلاع على شهادة المتخصصين عن أهمية اكتشافات فلبي في تحديد طبيعة المنطقة وذلك خلال تكريمه. انظر :
philby , john , The Land of Sheba , Geographical Journal .107-132 , 1-12 , (1938) 92 ,
(١٠) ليبنز ، **رحلة استكشافية** ، ص١٢٢.
(١١) المرجع نفسه ، ص ١٣٧ ٠
(١٢) المرجع نفسه ، ص١٣٧.
(١٣) المرجع نفسه ، ص١٣٨.
(١٤) المرجع نفسه ، ص١٢٢.

الأشجار التي شاهدها ولفتت نظره خاصة الشوكية منها[١]، ووصف طبيعة الأرض وتكويناتها وأشكالها، وأسهب في الحديث عن صحراء الربع الخالي عند المرور في بعض أجزائها [٢].

٢- التاريخ والآثار :

يُعد اهتمام فيلبي بالتاريخ القديم محوراً مهماً في جميع كتاباته التاريخية مما يدل على استيعابه لتاريخ المنطقة القديم وتركيزه على تتبع آثاره ونقوشه ، فقد ألف في عام ١٩٤٧م كتاب (The Background of islam) وذكر بعض الأحداث والتطورات التي شهدتها الجزيرة العربية قبل ظهور الرسول ﷺ إلى جانب مجموعة أخرى من الكتب والمقالات التي نشرها وتعد مصدراً أولياً مهماً لتاريخ الجزيرة العربية القديم[٣]٠ومثّل غنى نجران بالآثار التاريخية مصدر إلهام لهذا الرجل الموسوعي وحافزاً له لأن يقدم في مجال البحث التاريخي أو الدراسات الأثرية إضافة جديدة واكتشافات نوعية يحقق بها الريادة على من سبقوه ، ساعده في ذلك المامه الجيد بتاريخ المنطقة منذ العصور القديمة وهو ما أفرد له مساحة كبيرة استعرض من خلالها تاريخ نجران ، عزز هذا الأمر الدعم الذي وجده من الحكومة السعودية.

حرص فيلبي منذ خطواته الأولى في نجران الاتجاه فوراً إلى الموقع التاريخي الذي احتضن ما عرف من مصادر التراث الإسلامي بكعبة نجران[٤]، وخصص فصلاً كاملاً للحديث عن هذا المعلم التاريخي ، وذكر زيارته لجبل تصلال حيث قيل أن كعبة نجران كانت قائمة في احدى سفوحه، وقدم وصفاً دقيقاً لمقبرة قديمة وأضرحة مبنية من الحجارة الجرانيتيه[٥]ثم انتقل إلى الحديث بإسهاب عن ما أسماه بـ "الطريق الموكبي"[٦]، ومفسراً وجود "مساحة مستطيلة طولها ثلاث خطوات ونصف على خط اتجاه شرق – غرب، وخمس خطوات تجاه شمال – جنوب ، كانت محاطة

---

(١) المرجع نفسه ، ص١٤٤.

(٢) المرجع نفسه ، ص١٥٣. ٢وما بعدها ٠

(٣) آل عبدالجبار ، عبدالله بن عبدالرحمن ، دراسة تحليلية لكتاب (مرتفعات جزيرة العرب) لجون فيلبي ، **بحوث ندوة الرحلات إلى شبه الجزيرة العربية المنعقدة في الرياض ٢٤-٢٧ رجب ١٤٢١هـ الموافق ٢١-٢٤ أكتوبر ٢٠٠٠م** ، دارة الملك عبدالعزيز ، ج٢ ، ص٩٥٠.

(٤) فيلبي ، **مرتفعات الجزيرة العربية** ، ج١، ص٤١١.

(٥) المرجع نفسه ،ج١، ص٤١٤. (زهير). موقع كعبة نجران مازال مدار جدل عند بعض الباحثين المتأخرين . آمل أن تصدر دراسة أثرية تفصل الحديث في هذا الموضوع. (ابن جريس) ٠

(٦) أو الطريق الدائري كما وصفه في هامش الكتاب (ج١، ص٤١٥) وهي مصطلحات نصرانية دينية تعودها المؤلفون الأوربيون ولا يمكن الركون إليها كحقائق تاريخية ثابتة ٠

ببلوكـات حجرية"[١] ، أي أنه قد يكـون معبداً[٢] ، والملاحظ أن فلبـي في نهاية بحثه هذا قـد جزم باكتشافه كعبة نجران: "لم يعد لديّ أي شكوك بأنني حقيقة قد اكتشفت كعبة نجران المفقودة منذ القدم، وبها نصف المطاف"[٣] ،واستنتاج تاريخي مخالف للروايات والدلائل التاريخية التي اختلفت في ماهية هذا البناء بين قائل أن الغرض منه كان للعبادة ، وآخـر يرى أنه مجرد بناء كبير غرضه إقامة الاحتفالات والاستقبالات التي يقيمها بنو عبد المدان زعماء نجران ، والأخير رجحه ابن الكلبي[٤] ،وهو الرأي الأقرب للصحة كون بنـي عبدالمدان سادة بني الحارث بن كعب كانوا على الوثنيـة وليست النصرانية حسب اعتقاد البعض ، فكيف لهم أن يبنوا كنيسة للنصارى وليسوا على هذه الديانة أصلاً[٥] .

أمـا المعلم الثـاني الأكثر أهمية فيتعلـق بأطلال الأخدود الأثريـة وقد خصص لها المؤلـف فصلاً مستقــلاً ، أسهب فيه بالحديـث عن جغرافية طريق الأخـدود ، والقرى والمزارع الواقعة عليه[٦] ، ثـم استعرض نتائج زيارته للأخدود فبدأ بالحديث عن القلعة الضخمة التي رجح أن يعود تاريخ بنائها إلى الأيام الأولى لتاريخ دولة معين[٧] ، وتساءل عـن سبب انهيار جدرانها ورجح أن يكون للـزلازل والكوارث الطبيعية دور كبير في هذا الخـراب الكبـير أكثر من الحملات العسكريـة[٨] ،واستطرد بإسهـاب في وصف شكلها المستطيل ونتوءات جدرانها وأطوالها ومدخلها الرئيسي[٩] ،وتتبع محتوياتها في النقوش الحميرية ــ المسند ــ الزخارف ، ورسومات الجمل والحصان والثعابين وغيرها[١٠] .

---

(١) فيلبي ، **مرتفعات الجزيرة العربية** ، ج١ ، ص٤١٥.

(٢) المرجع نفسه ، ج١ ، ص٤١٥.

(٣) المرجع نفسه ، ج١ ، ص٤١٦.

(٤) انظر : الكلبي ، هشام بن محمد ، **كتاب الأصنام** ، تحقيق أحمد زكي باشا ، دار الكتب المصرية ، القاهرة، ط٢ ، ١٢٤٣هـ ، ١٩٢٤م ، ص٤٥.

(٥) طـرح الأستاذ عبداللطيف علاقي عدداً من التسـاؤلات المهمة حول حقيقة كعبة نجران التي رجح فيها أن يكـون هذا البناء مجرد غرفة لاجتماعات القوم. للمزيد عـن هذه التساؤلات انظر : علاقي ، عبداللطيف طاهر ، **نجران : الواحة والإنسان** ، (جدة ، مطبعة الصلاح ، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م) ، ص٦٧.

(٦) فيلبي ، **مرتفعات الجزيرة العربية** ، ج١ ، ص٤٥٩ وما بعدها.

(٧) يقصـد بذلـك أيام الملك المعيني – كرب إيل وتر – عام ٦٩٠ ق.م التي خلفت الكثير من مظاهر التدمير في الأخـدود. للمزيد انظر : الانصـاري ، عبدالرحمن وصالح آل مريح ، **نجران منطلـق القوافل** ، (الرياض ، دار القوافـل للنشـر والتوزيـع ، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م ، ص١٣ ؛ فيلبي ، **مرتفعـات الجزيـرة العربية** ، ج١ ، ص٥١٢.

(٨) فيلبي ، **مرتفعات الجزيرة العربية** ، ج١ ، ص٥١٢.

(٩) المرجع نفسه ، ج١ ، ص٥١٢.

(١٠) المرجع نفسه ، ج١ ، ص٥١٣.

وتحدث المؤلف عن مجموعتين من المباني الفخمة داخل القلعة أرضيتها مبلطة بألواح كبيرة ، ورجح أن تكون ضمنها كاتدرائية مسيحية أو معبد وثنى على حد تعبيره[١] ، وبينها مساحة ضخمة رجح أن تكون ساحة للسوق المحلي[٢] ، وذكر حجارة الرحى الحجرية الشهرية التي تم اكتشافها في الزاوية الشمالية للمدينة[٣] ،ودون وصفاً مفصلاً لامتداد المدينة غير المنتظم والسور المحيط بها[٤] ، والمواد التي استخدمت في بنائه كالحجارة المشذبة واللبن والطوب المحروق[٥] ، وحاول الوصول الى دلائل أكثر وضوحاً في نظام الري القديم وتخزين المياه[٦] ، وزار ضمن المواقع التاريخية بئراً قديمة "بئر قبيات"[٧] ، وبقايا ضريح عبدالله بن الثامر[٨] ، والذي ذكر المؤلف أنه كان مزاراً لأصحاب البدع والخرافات قبل أن تزيله السلطات السعودية[٩] .

ويذكر هذا الرحالة أنه جمع في رحلته تلك ما لايقل عن (١٣٢) مجموعة من النقوش[١٠] ، وقطع أثرية "تشتمل على رأس من البرونز وكف حيوان وقطعة من ميزاب معبد ...."[١١] ، ومن نتائج دراساته تلك الخريطة التي وضعها المؤلف لمدينة الأخدود[١٢] ، والتي قدر مساحتها بـــ(٧٥) هكتار[١٣] ، إضافة لما جمعه من نقوش حميرية وثمودية وعربية وعبرية من مواقع مختلفة من نجران كالأخدود وحبونا وجبال العان وبوهمدان والسودة وشعيب بران ووادي نهوقة وبئر الخضراء وغيرها[١٤] .

---

(١) المرجع نفسه ، ج١ ، ص٥٢٤.
(٢) المرجع نفسه ، ج١ ، ص٥٢٤.
(٣) المرجع نفسه ، ج١ ، ص٥١١.
(٤) المرجع نفسه ، ج١ ، ص٥١١.
(٥) المرجع نفسه ، ج١ ، ص٥١٦ ، ص٥٢٣.
(٦) المرجع نفسه ، ج١ ، ص٥١٢.
(٧) المرجع نفسه ، ج١ ، ص٥١٦.
(٨) للمزيد عن هذه الشخصية المرتبطة بحادثة الأخدود المشهورة .انظر : ابن هشام ، محمد عبدالملك ، السيرة النبوية ، تحقيق مصطفى السقا وآخرين ، بيروت ، دار القلم ، د.ت ، ج١ ، ص٣٤-٣٧.
(٩) فيلبي ، **مرتفعات الجزيرة العربية** ، ج١ ، ص٥١٧.
(١٠) وقد نشرها في مؤلفه الذي كتبه بالإنجليزية بعنوان النقوش في نجران الذي طبع في لندن سنة ١٩٤٤م. انظر : فيلبي ، **مرتفعات الجزيرة العربية** ، ج١ ، ص٥٢٠.
(١١) فيلبي ، مرتفعات الجزيرة العربية ، ج١ ، ص٥١٨.
(١٢) المرجع نفسه ، ج١ ، ص٥١٥. انظر الخريطة التي رسمها فيلبي للأخدود في ملحق الخرائط.
(١٣) المرجع نفسه ، ج١ ، ص٥١٩.
(١٤) انظر فيلبي : **بنات سبأ** ، ص٤٣ ، فيلبي ، **مرتفعات الجزيرة العربية** ، ج١ ، ص٥١٢ ، ص٥٢٧ ، ص٥٧٠ ؛ ج٢ ، ص٦٢٤ ، ٦٢٥

امتـدت زيارات فيلبي إلى مواقع أخرى لم يسبقه اليه أحد فزار قصر العان ــ قلعة المكارمـة ــ كما أسماهـا[١]، وزار مجموعة آبار قديمة قرب قرى الحضن جنوب نجران ورجـح وجـود قرية أثرية تعود إلى العصـور الوسطى[٢]. وفي زيارته لـوادي ثار (١٢٠) كيـلاً شمال نجران، شاهد مجموعة كبيرة من النقوشـ الثمودية المدونة على الصخور السـوداء التي وصفهـا بـــ "الرائعة" ، واستغرق في تسجيلهـا في مذكراته ساعتين من الزمن[٣]، وتضمنت مشاهداته صوراً صخرية للأبقار والجمال والضأن ، ومجموعة من المقابر والآبار القديمة ، وأكوام من الحجارة تدل على بقايا أثرية قديمة[٤] .

اهتـم فيلبــي بالتاريخ الحديث لبلاد نجـران وأهم أحداثه فـأورد بعض الروايات المتعلقـة بالحـرب الحدودية بين السعوديـة واليمن عـام (١٣٥٢هـ/١٩٣٤م) والاحتلال اليمنــي لنجـران قبل طردهم مـن قبل القـوات السعودية وجهود الأمـير سعود والأمير فيصـل ــ رحمهما الله ــ ابني عبد العزيز بن عبدالرحمن آل سعود في تحرير الأراضي السعوديـة ، كمـا تتبع حملة الأمير سعـود في المناطق الداخلية وأوضـح صعوبات التنقل والامـداد التي واجهت تقدم جيشه ؛ بسبب وعورة الطرق والتضاريس الجبلية الصعبة، وحـدد المواقـع الجبلية التي عبرهـا الجيش السعـودي وآثار المعسكـرات والسيارات في المعابـر الجبليـة مثل ممر شطبة ، إلى جانب الأشخاص الذين أسهموا في نجاح الحملة والقبائل التي ساندتها والقرى اليمنية التي سيطر عليها الجيش السعودي[٥] .

أمـا ليبنز فقد كان من أبرز المهام التي قدمت مـن أجلها البعثة الاستكشافية إلى نجـران زيارة مدينة الأخدود الأثرية الواقعة على الضفة الجنوبية لوادي نجران ، ومن أجـل ذلك تحدث المؤلف بإسهاب عن تفاصيل زيارتـه وزملائه لهذه المنطقة التاريخية منـذ اتخاذهـم معسكـراً بالقرب مـن أسوارهـا حتى رحيلهـم باتجاه الربـع الخالي. وأمضــى "ليبنز" ورفاقه رايكمان وجاك وفيلبي ما بـين أربعة وخمسة أيام بين أنقاض

---

(١) فيلبي ، **مرتفعات الجزيرة العربية** ، ج١ ، ص٥٤٧.

(٢) المرجع نفسه ، ج١ ، ص٥٨٠.

(٣) المرجع نفسه ، ج٢ ، ص٦٣٦.

(٤) المرجـع نفســه ، ج٢ ، صـ٦٣٧-٦٤٧ ، والذي نفهمه من كتابـات فلبي عند زيارته للمنطقـة الممتدة من ثار إلى حبونـا أنهـا كانت مليئـة بالنقوش والرسـوم القديمة التي حرص علـى جمع أكبر قدر ممكـن منها ونسخه في مذكراته.

(٥) فيلبـي ، المرجـع السابـق ، ج٢ ، ص٦٢٩ ؛ وللمزيد عـن الحرب السعودية اليمنية انظـر : آل زلفة ، المرجع السابـق ؛ ابـن سعـود ، مشاري ، **العلاقـات بين المملكـة العربية السـعودية والمملكـة المتوكليـة اليمنيـة** ، (الرياض، جامعة الملك سعود ، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م).

الأخدود[١]،التـي وصفهـا بالمدينـة السبئيـة الغربية[٢]،فقد حدد موقعهـا على الضفة الجنوبية لوادي نجران "في منتصف الطريق بين مجرى الوادي الرملي ومرتفعات صخور الجبال الممتدة نحو اليمن[٣]، واستعرض أحداثا مهمة مرت بها هذه المدينة منذ تعرضها لحملة الملك الحميري ذو نواس حتى مقدم الأحباش إلى اليمن بسبب محرقتها[٤]٠

قـدر ليبنـز مساحة المدينة بتسعة هكتارات داخل المدينـة التي يبلغ طول أسوارها (٣٠٠م) تقريبـا ، وخمسـين هكتـاراً إلى خارجهـا حيث توجد بعض آثـار المساكن[٥]، واعـترف بمحدوديـة إمكانية بعثته التي لم تكن لتستطيع القيـام بحفريات أثرية كبيرة لكشـف أطلال المدينة التي اكتفى هو ورفاقه بدراسـة سطحية لمحتوياتها[٦]، ودون هذا الرحالـة عدداً من مشاهداتـه ومكتشفاته من البقايا الأثرية لمدينـة الأخدود قائلاً : " فقد كنا نسير فوق المجهول من القبور والكنوز الأثرية والأحجار الطبيعية وقطع الخزف التـي كانـت تتحطم أو تتكسر تحت وطء الأقدام.."[٧]٠ ومـن أهم مكتشفاته تلك لوحاً مـن الجرانيت يتجـاوز عرضه الثلاثة أمتـار وعمقه المتر الواحـد[٨]،وقطعاً أخرى من المرمر والفخار وكؤوس الزجاج التي يعود بعضها إلى العصر السبئي حسب قوله[٩]٠

أمـا آثـار المدينـة الثابتة فقد وصـف أسوار المدينـة بالقوية:" في تتابـع دقيق على شـكل أسنان ذات زوايا مستقيمة[١٠]، تساءل عـن منازل المدينة التي قدر ارتفاع بيوتها لأكـثر من طابق وسيطـرة اللبن الطيني والحجارة المحليـة أو الطين المحروق على مادة بنائها[١١]، كما تحدث عن زيارته مع رفاقه لما تبقى من آثار قنوات الري المتصلة بمدينة الأخدود التي قدر مساحتها بعشرة هكتارات[١٢] ٠

---

(١) ليبنز ، رحلة استكشافية ، ص١٣٢.
(٢) المرجع نفسه ، ص١٣١.
(٣) المرجع نفسه ، ١٣٤ .
(٤) المرجع نفسه ، ص١٣٣.
(٥) المرجع نفسه ، ص١٣٣.
(٦) المرجع نفسه ، ص١٣٤.
(٧) المرجع نفسه ، ص١٣٤.
(٨) المرجع نفسه ، ص١٣٥.
(٩) المرجع نفسه ، ص١٣٧.
(١٠)المرجع نفسه ، ص١٣٥.
(١١)المرجع نفسه ، ص١٣٥.
(١٢) المرجع نفسه ، ص١٤٣.

كان هذ الرحال كثير الاهتمام بالنقوش التي وجدها في أماكن متفرقة في طريقة مثل يدمة[١] ، وتصلال[٢] ، ونهوقة[٣] ، وكـان معظمها بالخط المسند ــ الحميري حسب وصفه ــ والثمودي[٤] ، والكوفي[٥] ، غير أنه وجد بعضها باليوناني قرب يدمه[٦] ، وقدر ليبنز عدد النقوش التي عثر عليها مع رفاقه في منطقة الأخدود وحدها بعشرين نقشاً خطت بالكتابة السبئية ــ الخط المسند ــ وعدد قليل من الرسوم من بينها رسمة لثعبان وأخرى لحصان وثالثـة ليد ورجل[٧] ، وتضمنت كتاباته جانباً توثيقياً مهماً يبرز لنا جوانب من تلك الفترة التاريخيـة يتمثـل في الصـور الوثائقية النـادرة التي التقطهـا أثناء زيارتـه لنجران وقد خصهـا بسبع صور مميـزة بعضها لمعالم عمرانية مثل قصر الامـارة في البلد[٨] ، وقصر شيـخ مواجد يـام يحيى بن نصيـب[٩] ، وأخرى لبقايـا أثرية مثل صورتـين للأخدود[١٠] ، وصورة منظر عام لوادي نجران التقطها من إحدى القمم الجبلية الشاهقة[١١] .

٣- الأوضاع الإدارية :

زار فيلبي نجران عام (١٣٥٥هـ/١٩٣٦م) ، واستقبله أميرها إبراهيم النشمي وقدم لـه كل التسهيـلات الممكنة لإنجاح رحلته كونه قدم إلى المنطقـة بدعم رسمي من الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل ، وأشاد فيلبي بهذا الرجل وبحسن إدارته للمنطقة في مواضع كثيرة من كتابه" ، و"بنات سبأ"[١٢] .

وأشار إلى الأمن الذي ساد المنطقة في عهد ابن سعود فقال: ".. وكانت صدمة لي أن يلاحـظ المرء أن الناس هنا ، على عكس أولئك في حضرموت وفي الصحراء يسيرون بحرية وأمان دون سلاح"[١٣] ، وفي موقع آخر يكتب وهو في وادي نهوقة فيقول "... دهشت

(١) المرجع نفسه ، ص١٢٢.
(٢) المرجع نفسه ، ص١٢٧.
(٣) المرجع نفسه ، ص١٣٨.
(٤) المرجع نفسه ، ص١٢٢.
(٥) المرجع نفسه ، ص١٣٨.
(٦) المرجع نفسه ، ص١٢٣.
(٧) ليبنز ، رحلة استكشافية ، ص ١٣٦ .
(٨) المرجع نفسه ، ص١٢٧.
(٩) المرجع نفسه ، ص١٥١.
(١٠) المرجع نفسه ، ص١٣٢.
(١١) المرجع نفسه ، ص١٣٩.
(١٢) فيلبي ، بنات سبأ ، ص٣٧.
(١٣) فيلبي ، مرتفعات الجزيرة العربية ، ج١، ص٤٧٤.

حينما علمت أن هـؤلاء المعسكرين في أجمل مواقع الـوادي وأكثرها ظلاً ، وبجوار نقطة الشرطة، لم يكونوا من أهل نجران ولكنهم كانوا من المهاجرين القادمين من أرض وعيلة اليمنية ، قدموا إلى هنا للاستمتاع بالسلم والأمان الذي جلبه النظام السعودي[١] ٠

وأعطـى فيلبي معلومـات دقيقة عن مراكز الشرطة المكلفـة بإقرار الأمن ، وعددها ستة مراكز متناثرة في قرى : آل منجم ، وزبيد ، ورجلا ، والاخدود ، والحضن ، ونهوقة، والموفجـة ، وشعـب بـران[٢] ، إضافة إلى قصر الإمـارة في البلد – أبـا السعود – الذي يضـم حامية عسكرية مـن (١٠٠) فرد[٣] وذكـر بعضاً من المهام التـي يمارسها الأمير مثل إشرافه على أيام السوق ، وجلوسه طيلة فترة الصباح للاستماع لشكاوى المواطنين، وتعيـين الأمراء المحليـين في مراكز حبونا وبدر وغيرهما[٤] ٠ وأشـار إلى بعض الأوضاع الماديـة والاجتماعية لموظفـي الحكومة العاملين في مراكز الشرطـة والامارة حيث كانت رواتب بعضهم تتأخر أربعة أشهر[٥] ٠ وعدد بالاسم بعض الإدارات الحكومية القائمة وقت مجيئه لنجران مثل إدارة المالية[٦] ، واللاسلكي[٧] ، الامارة[٨] والشرطة، والقضاء[٩] ٠

---

(١) المرجع نفسه ، ج١، ص٤٨٢.

(٢) المرجع نفسه ، ج١، ص٤٢٦.

(٣) المرجع نفسه ، ج١، ص٤٢٥.

(٤) المرجع نفسه ، ج٢، ص٦٥١.

(٥) المرجع نفسه ، ج١، ص٤٣٧.

(٦) تأسست مالية نجران عام (١٣٥٢هـ) ، وكان مقرها في القصر الحكومي أبا السعود بباب صنعاء بالبلد وسط نجـران وكان هذا المقر في بدايته عبارة عـن مكتبين وثلاثة موظفين وترتبط إدارياً ومالياً بمالية أبها. وزارة المالية والاقتصاد الوطني ، وزارة المالية والاقتصاد الوطني ومراحل تطور النظام المالي في المملكة ، الرياض ، ١٤٢٦هـ ، ص٥٦ ؛ الشهري ، زهير بن عبدالله ، **مالية أبها في عهد الملك عبدالعزيز (١٣٣٨-١٣٧٣هـ/ ١٩٢٠-١٩٥٣م) "دراسة وثائقية عن الأوضاع الاقتصادية والتنظيمات المالية في جنوب المملكة العربية السعودية** ، (الرياض ، الجمعية التاريخية السعودية ، الإصدار الحادي عشر ١٤٣٤هـ/٢٠١٣م) ، ص٢٠٣.

(٧) منذ نشأة الدولة اهتم الملك عبدالعزيز باللاسلكي لتيسير التواصل الإداري حيث شملت في بدايتها المناطق الكبـيرة وفي مطلع الخمسينات الهجرية دخلت هـذه الاتصالات مرحلتها الثانية ليشمل اللاسلكي والبريد أغلب مناطـق المملكة فأبرمت الدولة عقوداً للأجهزة السلكية مـن صنع "ماركوني" البريطانية ثم شركة "سيمنـز" الألمانيــة و "آر.سي. إيه R.C.A و"لوكنز" الامريكتـين ، وقد بلغ عدد محطات اللاسلكي في عام ١٣٦٩هـ/١٩٤٩م مئة محطـة شملت أبهـا والقنفذة وجازان ونجـران وبيشة.حمزة ، البـلاد السعودية ، ص١١٤ ؛ النجعـي ، علي ، **الاتصالات السعودية في العصـر الأول ، من بحـوث مؤتمر المملكة العربية السعودية في مائة عام بدارة الملك عبدالعزيز** ، (٧-١١شوال ١٤١٩هـ/٢٤-٢٨ يناير ١٩٩٩م) ، ص١٦ ؛ النجعي ، علي ، القوة الثالثة ، ط١ ، مكتبة العبيكان ، الرياض ، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م ، ص١٢٧.

(٨) كانـت منطقـة نجران ترتبط من الناحية الإدارية للنائب العـام في الحجاز الأمير فيصل بن عبدالعزيز آل سعود منذ عام (١٣٥٢هـ/١٩٣٣م) ، ثم رُبطت بوزارة الداخلية عند إعادة تشكيلها عام (١٣٧٣هـ/١٩٥٣م) ، وتتكـون إمـارة نجـران في عـام (١٣٦١هـ/١٩٤١م) من امـارات : بدر الجنـوب، وحبونـا، والحصينية ، والخضراء ، والموفجة. للمزيد انظر : جريس ، **القول المكتوب في تاريخ الجنوب** ، ج٣، ص١٨٥-١٨٦.

(٩) فيلبي ، مرتفعات الجزيرة العربية ، ج١، ص٤٧٠.

ان ليبنـز كثير الإشـارة إلى جوانب الحكـم الإداري في المنطقة فتحدث عن زيارته مـع رفاقه في أكثر من مـرة لأمير المنطقة حينها تركي بن ماضـي[١] ، وحضوره لإحدى جلسـات استقباله للمواطنين وكيفية تعاطيه مع شكاواهم اليومية كما أشار إلى مراكز الشرطة والجمارك الحدودية التي كانت منازل من الخيام[٢] .

٤- الأوضاع الاجتماعية :

دون فيلبـي تفاصيـل كثيرة عن الحياة الاجتماعيـة فقد كان مهتماً بتدويـن أسماء العشائر وأماكنها وأنشطتها[٣] ، كما أبدى اهتماما بتسلسل أنسابها وهو ما خصص له عددا من الصفحات عندما أسهب في ذكر أنساب بطون يام الرئيسية معتمدا على ما أخذه من كبار شيوخ القبائل[٤] .

ذكـر التركيبة السكانية والعناصر المكونة للمجتمع في نجران فكتب عن الأسر اليهودية، التـي ارتبـط بصداقة مع أحـد رجالاتهم وقام بزيارتـه وقبل ضيافته واستعرض بعضا من عاداتهـم وتقاليدهـم وأنشطتهـم الحرفيـة مثـل : صناعة الفضـة ، والسـلاح ، والحدادة، والبيطـرة وغيرهـا[٥] ، وحدد أماكـن إقامتهم في قرى نجـران[٦] . كما أشـاد بالمعاملة التي يجدونهـا من المحيط الذي يعيشـون فيه[٧] ، يؤكد هذا الأمر ما تذكـره الروايات الشفوية أن اليهـود ظلوا يعيشـون في نجران كذميين لا يتـم إيذاؤهم أو التحرش بهم بـل كانوا جزءً من النسيـج الاجتماعـي بـكل تفاصيله وتنوعه وثرائـه ، وكان من أشهرهم "هـارون" الذي كان ماهـراً في صناعـة السيوف والجنابي، كما عُـرف بكونه" مصرفاً محليـاً" حيث كان يوصي

---

(١) تركـي بن ماضـي : ولد في روضة سدير عام (١٣٢٢هـ) ، وفي عام (١٣٤٢هــ) صدر أمر الملك عبدالعزيز بتعيينـه كاتبـاً بإمارة عسير ، ثم صدر أمر الملـك عبدالعزيز تسلم القنفذة عـام (١٣٤٣هـ) وما بين عام (١٣٤٥-١٣٥١هــ)كان ضمـن الوفود الرسمية التي ذهبت إلى اليمن من أجـل التوصل إلى حلول المشكلة الحدوديـة بـين المملكـة واليمن ، وفي عـام (١٣٥٢هـ) صـدر الأمر الملكـي بتعيينه أميراً لغامـد وزهران، وفي عـام (١٣٥٦هــ) تم تعيينـه أميراً لنجران ثـم أميراً لعسير عـام (١٣٧١هـ) واستمـر حتى مات عام (١٣٨٥هـ). وللمزيد انظر : الماضي ، تركي ، **من مذكرات تركي الماضي عن العلاقات السعودية اليمنية، (١٣٤٢-١٣٧١هـ/١٩٢٤-١٩٥٤م)** ، (الرياض ، دار الشبل للنشر والتوزيع والطباعة ، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م) ، ط١ ؛ الماضي ، فوزان ، بنو تميم عبر التاريخ ، (الرياض ، مطابع الحميضي ، ١٤٢٢ه)..

(٢) ليبنز ، المرجع السابق ، ص١٤٩.

(٣) فيلبي ، مرتفعات الجزيرة العربية ، ج١ ، ص٤٢٢ ؛ ج٢، ص٦٥١.

(٤) المرجع نفسه ، ج١ ، ص٤٦٩ ؛ ج٢، ص٤٧٤.

(٥) المرجع نفسه ، ج١، ص٥٣٨.

(٦) مثـل عوكلـة وآل منجم ، وقد أورد معلومـة في غاية الأهمية تتضمن أن المجتمع في نجـران لا يسمح لليهود بتملك الأرض. فيلبي ، مرتفعات الجزيرة العربية ، ج١، ص٥٣٧.

(٧) فيلبي ، **مرتفعات الجزيرة العربية** ، ج١ ، ص٤٦٤ ؛ ج١، ص٤٣٦.

الآباء أبناءهم الذاهبين للعمل في نجران بإعطاء اليهودي هارون أموالهم ليحفظها لهم خوفاً من السرقة أو الضياع في ظل الحياة البسيطة في تلك الفترة وعدم وجود المصارف[١] .

توسع في الحديث عن سلسلة أنساب عدد من الأسر اليهودية التي قدم بعضها من مناطق حراز، وصعدة ، ووادي الفرع باليمن[٢] والبعض الآخر من العراق حسب زعم فيلبي[٣] وختم حديثه عنهم بتقدير عدد اليهود في نجران بـ (٨٠) نسمة[٤] وتطرق للحديث عن رغبتهم في الهجرة إلى فلسطين في ظل دخول الموقف في فلسطين مرحلة خطيرة ؛ إلى جانب التراجع النسبي في الطلب على صناعاتهم في ظل سيادة الأمن تحت الحكم السعودي فقد تحولت السيوف على سبيل المثال إلى شفرات محاريث وأصبحت المحاريث المحلية تصنع من الخشب[٥] .

من الواضح أن هذه الجالية قد خرجت من اليمن ؛ نتيجة أن الغالبية الساحقة منهم من أصول يمنية فجدهم الأكبر هارون من مواطني حراز في اليمن الذي انتقل بعد ذلك إلى أملح في بلاد الوعلة في جنوب وادي الفرع ثم تناسل وتكاثر أبناؤه الخمسة منهم سعيد وسالم اللذين وصلا نجران ، كما أن هناك مجموعة يمنية تعرف باسم العوعوي[٦] ويؤيد هذا الأمر الروايات الشفوية التي تذكر أنه بعد زيادة التوتر في العلاقات العربية الإسرائيلية والضغوط الشعبية العربية على الحكومات وجد اليهود في نجران أنفسهم مثل كل الجاليات اليهودية في العالم العربي في موقف صعب بين المضي قدماً في حياتهم أو الانسحاب والهجرة إلى أماكن أخرى إذ قدم كبيرهم إلى أمير نجران وقتها واستأذن في الخروج مع أهله إلى صعدة في اليمن حيث بقية أهلهم وأبناء عمومتهم مؤكداً أنهم لم يتعرضوا للأذى أو المضايقة ؛ لكنهم قرروا الابتعاد حتى لا يحرجوا الدولة التي يقطنون بها منذ مئات السنين خاصة بعدما صدموا من تصرفات إسرائيل ضد الفلسطينيين حينها[٧] .

---

(١) صحيفة الحياة ، الأربعاء ٢٢صفر ١٤٣٥ه / ٢٥ ديسمبر كانون الأول ٢٠١٣م.
(٢) فيلبي ، مرتفعات الجزيرة العربية ، ج١، ص٥٣٩ ، ص٥٤٠.
(٣) المرجع نفسه ، ج١، ص٥٤١.
(٤) المرجع نفسه ، ج١، ص٥٤١.
(٥) المرجع نفسه ، ج١، ص٥٣٦.
(٦) المرجع نفسه ، ج١، ص٥٣٨ ، ص٥٤٠.
(٧) صحيفة الحياة ، الأربعاء ٢٢صفر ١٤٣٥ه/٢٥ ديسمبر كانون الأول ٢٠١٣م.

خرج غالبية اليهود من اليمن إلى فلسطين[١] ، وبناءً على مقومات اللغة والكثير من العادات والتقاليد ؛ والرغبة في العيش حياة كريمة آمنة ، والمحافظة على أملاكهم ومصالحهم فإننا نرجح وبشكل كبير أن عدداً محدوداً من هذه الجالية اعتنقوا الإسلام وانصهروا مع المجتمع بشكل طبيعي.

وفي زيارة فيلبي لبلدة بدر تعرف على عدد من أبناء أسرة المكارمة ؛ مما سهل له الحصول على معلومات كثيرة حول أوضاعهم الاجتماعية والاقتصادية فنجده ينقل معلومات دقيقة حول عدد أسرهم وأفرادهم[٢] ومخصصاتهم المالية[٣] ومكانتهم الدينية ، وتاريخهم المذهبي حتى استقرارهم في بدر وانتقالهم الى نجران[٤] وعلاقاتهم السياسية مع القوى السياسية المجاورة لهم قبل الحكم السعودي[٥] .

كما اهتم بالكتابة عن العمران في نجران كما هو الحال عندما وصف ما شاهده من قصور طينية من حيث ارتفاعاتها وطوابقها[٦] وبلغت درجة اعجابه بالبناء النجراني أن شبهه بـ "القلعة الرهيبة"[٧] ولفتت نظره القصور الطينية في وادي حبونا فقال:

---

(١) قامت الحركة الصهيونية بتقصي أحوال اليهود في اليمن من خلال ارسال أشخاص يقومون بتتبع ورصد حياة اليهود فيها ، تمهيداً لتهجيرهم ، وقد بدأت الهجرة اليهودية من اليمن في عام (١٨٨١م) واستمرت حتى عام (١٩٦٧م) واتخذت عدة مراحل تفاوتت فيها أعداد اليهود المهاجرين ، وقد اشتهرت عمليات التهجير تلك بما عرف باسم "البساط السحري" حيث تم فيها تجميع اليهود من مختلف المناطق اليمنية في معسكرات أنشأت خصيصاً لاستقبالهم في مدينة عدن وبعد ذلك تم ترحيلهم بواسطة الطائرات إلى فلسطين. للمزيد انظر : ماكرو ، إريك ، اليمن والغرب ١٥٧١–(١٩٦٢م) ، نقله إلى العربية وعلق عليه د حسن عبدالله العمري ، دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر ، دمشق، (١٤٠٧هـ/١٩٨٧م) ، ط٢ ، ص١٧٥؛ أحمد ، بدور محمد ناصر ، **اليمن والقضية الفلسطينية (١٩١٨–١٩٦٢م)** ، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر ، الجمهورية اليمنية ، جامعة صنعاء ، كلية الآداب ، قسم التاريخ ، (١٤٣٥هـ/٢٠١٤م) ، ص٦١.

(٢) فيلبي ، **مرتفعات الجزيرة العربية** ، ج٢، ص٦٨٠.

(٣) المرجع نفسه ، ج٢، ص٦٧٩ ؛ كانت تصرف هذه المخصصات من مالية أبها ومالية نجران فمخصصات شيخ شمل قبائل يام نجران جابر أبو ساق بعد صدور الأمر الملكي عن طريق امارة نجران ، فكان يصرف له أربعمائة ريال من مالية أبها ومائتا ريال من مالية نجران ، إلى جانب مبلغ مستقل بلغ خمسة وعشرين ريالاً بشكل سنوي ، كما صدر الأمر الملكي المبلغ لمالية نجران برقم ١ في (١٣٦٤/٣/٢٩هـ ١٩٤٥/٣/٤م) بصرف مبلغ مائتي ريال عربي لكل من سالم بن سلطان بن منيف شيخ شمل قبائل جشم يام ، وجابر بن حسن بن نصيب شيخ شمل قبائل مواجد يام كمبالغ إضافية على رواتبهم السنوية من زكاة المواشي ، إلى جانب أن وزارة المالية كانت حريصة على صرف براوي المكارمة ومشايخ نجران وتعميد مالية أبها بذلك. الشهري ، **مالية أبها في عهد الملك عبدالعزيز (١٣٣٨–١٣٧٣هـ/١٩٢٠–١٩٥٣م)** ، ص٣٥٢–٣٥٣.

(٤) فيلبي ، **مرتفعات الجزيرة العربية** ، ج٢، ص٦٨٢ – ٦٨٧

(٥) المرجع نفسه ، ج٢، ص٦٧٨.

(٦) المرجع نفسه ، ج١ ، ٤٢٦ ، ص٤٧٢.

(٧) المرجع نفسه ، ج١، ص٤٢٧.

" ... كانت بعض المساكن البرجية شديدة الجاذبية في هذه الواحة وساحرة المنظر ... "[١] ، كما أشار إلى مساكن أخرى عاش فيها أهل نجران مثل الخيام أو العشش المبنية من شجر الأراك بعيداً عن مزارع النخيل لتحاشي أمراض الحمى التي تنتشر في ضفاف الوادي أثناء مواسم السيول والأمطار[٢] .

أشار هذا الرحالة إلى نواحي اجتماعية أخرى مثل أنواع الطعام المعروف في نجران في ذلك الوقت مثل : لحم الضأن والأرز[٣] ،وأطباق الخضروات التي شاهدها على مائدة الأمير[٤] وطبق العنب المفضل كثيراً لفيلبي[٥] والعصيدة (المعصوب)[٦] ، والحساء (المرق)[٧] ، والتمر والبلح[٨] وعصيدة القمح المملوءة بالسمن[٩] ، وذكر بعض الأواني المستخدمة حينها كالحصير ، والقحف، وسلة اللحم[١٠] ، والصحن وغيرها[١١] .

وذكر الكرم النجراني عندما وصف وجبة الإفطار التي قدمها له أمير حبونا من الأرز ولحم الضأن بالإفطار الممتاز[١٢] ، بينما وصف وجبة "العصيدة والمرق" المحلية بـ"غير المثير للشهية" ، وأنها الحد الأدنى من الكرم على حد تعبيره[١٣] وكان دقيق

---

(١) المرجع نفسه ، ج٢، ص٦٦٦.

(٢) المرجع نفسه ، ج١ ، ص٤٢٨.

(٣) المرجع نفسه ، ج١، ص٤٣٠ ، ٥٣٨ ؛ ج٢ ، ص٦٥٢.

(٤) المرجع نفسه ، ج١، ص٤٣٠.

(٥) المرجع نفسه ، ج١، ص٤٧٠.

(٦) العصيدة : وجبة معروفة ومنتشرة في المناطق الجنوبية ومنها نجران ، وغالباً ما تتكون من طحين الذرة حيث يتم وضعه في قدر من الماء ويغلى ويحرك بقطعة خشبية تسمى "المسوط" أو "المحراك" حتى تستوي ثم تقدم مع السمن أو المرق أو اللبن. الماحي ، نجران ، ص١٢٥ ؛ جريس ، **القول المكتوب في تاريخ الجنوب**، ج٣ ، ص٣١٢.

(٧) فيلبي ، مرتفعات الجزيرة العربية ، ج١، ص٥٦٦.

(٨) المرجع نفسه ، ج١، ص٤٣٣.

(٩) المرجع نفسه ، ج٢، ص٦٥٣ ؛ وقد تعد كذلك من الذرة حيث توضع بعد خبزها في التنور في إناء خاص وتهرس حتى تصبح لينة ثم يصب فوقها "المرق" وتقدم بشكل أكبر في المناسبات. آل مريح ، نجران ، ص١٠٩.

(١٠) سلة اللحم : وتُعرف بعدة أسماء منها الدّرجة وتصنع من سعف النخيل المتداخل ولها قاعدة دائرية وتتسع فوهتها كلما اتجه صانعها إلى أعلى ، وهي تستعمل لحفظ المواد الغذائية ولحمل الأمتعة فوق الرأس ، وعُرف كذلك المطرح وهو يشبه الدّرجة لكنه أصغر منه في الحجم ويستخدم لوضع الأطعمة وبخاصة الخبز. آل مريح ، المرجع السابق ، ص٩٩.

(١١) فيلبي ، مرتفعات الجزيرة العربية ، ج١، ص٤٧٠.

(١٢) المرجع نفسه ، ج٢، ص٦٥٢.

(١٣) المرجع نفسه ، ج١، ص٤٧٠.

الوصف حينما تحدث عن طريقة تحضير الوليمة وطريقة تناول الناس للطعام ، وحرص المضيف على أن يضع أفضل الطعام عند ضيفه كدليل عملي على اهتمامه بإكرامه[١] .

وحظيت النساء باهتمام في كتابات فيلبي فوصف زيهن المحلي[٢] ولاحظ أن للنساء الكبيرات في السن ألبسة خاصة تميزهن عن النساء الشابات[٣] وتطرق بإعجاب كبير لطريقة تسريحهن لشعورهن[٤] ، كما أورد وصفاً عاماً للنساء اللاتي شاهدهن في السوق[٥] .

أما فيليب ليبنز فقد أعطى اهتماماً بالغاً بالنواحي الاجتماعية للمجتمع النجراني فتحدث عن حياة البدو : "الذين كانوا يتحركون بين قطعان الماعز والغنم والجمال"[٦] ووصف عاداتهم في سقيا مواشيهم وطريقتهم في جلب الماء فقد "كان الرجال والنساء يتقاطعون حول البئر ، رافعين قربهم ومنشدين أغاني قصيرة أوصائحين بصوت عال من حناجرهم"[٧] ولباس نسائهم الذي يغلب عليه اللون الأسود أحياناً[٨] أو الثياب: "ذات اللون الأزرق والداكن والبرتقالي"[٩] ، وأزياء الفتيات اللاتي كن: "يلبسن بذلات جميلة ذات خطوط عمودية صفراء وسوداء"[١٠] ، إضافة إلى الحلي وأدوات الزينة المصنوعة من الفضة[١١]

---

(١) المرجع نفسه ، ج١ ، ص٤٧١.

(٢) المرجع نفسه ، ج١ ، ص٤٣٧ ؛ وقد تنوعت الحلي في نجران فشملت القلائد المصنوعة من الخرز مثل الظفار والعقيق الأبيض والأسود والأحمر وكذلك اللؤلؤ والزجاج والجزع ، وتشكل الحلي المصنوعة من الفضة الغالبية العظمى من زينة المرأة في نجران ومنها ما يوضع حول العنق مثل اللبة واللازم والصمط والتي تطلى بالذهب أحياناً أو تطعم بالفصوص ، ومنها ما يوضع على الراس مثل الدنعة ، الى جانب الخرصان ، كما تحلى الأيدي بالحداود والمطال التي تصنع على شكل أساور تحيط بالمعصم كما تحلى الأصابع بالخواتم والأرجل بالخلاخل كما يتم ارتداء الحزام حول الخصر. للمزيد انظر : وزارة المعارف ، سلسلة آثار المملكة ، ص١٤٤.

(٣) فيلبي ، **مرتفعات الجزيرة العربية** ، ج١ ، ص ٥٣١ .

(٤) المرجع نفسه ، ج١ ، ص٥٣١ ؛ ج١ ، ص٥٩٨.

(٥) المرجع نفسه ، ج١ ، ص٥٣٢ .

(٦) ليبنز ، **رحلة استكشافية** ، ص١٢٥.

(٧) المرجع نفسه ، ص١٢٦.

(٨) المرجع نفسه ، ص١٢٣.

(٩) المرجع نفسه ، ص١٢٦.

(١٠) المرجع نفسه ، ص١٤٦.

(١١) المرجع نفسه ، ص١٢٦.

أشار إلى المساكن التي يقيمها بعضهم في وسط المزارع والمصنوعة من أعواد النخل[١] ثم انتقل إلى الحديث عن مقر سكن الشيخ يحيي بن نصيب - وقد أسماه نسيب - لمعالجته من مرض ألم به فوصف مقر سكنه المكون من برجين محاطين بسور من اللبن جميعها مبنية من اللبن والحجر حسب قوله[٢] أحدهما دخله شخصياً ووصف الممر الذي دخله، ومفتاح القصر المصنوع من الخشب ، وذكر أنه يتكون من سبعة طوابق و(٩٨) درجاً ويبلغ ارتفاعه قرابة الـ (٢٠) متراً [٣] كما تحدث عن استخدامات غرف وطوابق القصر فقد كان: " لكل طابق استخدامه المحدد ، فالمخزن لتجميع المحصول، والشقق للنساء والأطفال، وفي القمة يوجد الديوان المفروش بالسجاد المؤدي الى السطح المحاط بسور قصير"[٤] ،كما وصف مشاهداته حول الحرف اليدوية التي امتهنها بعض النسوة النجرانيات ومنها : "سك الذهب المرصع فوق سجاد أخضر ..." [٥] .

لم يغفل هذا الرحالة استعراض صور من معاناة الناس في ذلك العصر مثل الحديث عن بعض الأمراض والأوبئة التي كان يعاني منها المجتمع في نجران وفي مقدمتها ما كان يسمى بـ "حمى الواحة" والمعروفة في العصر الحديث بالملاريا ، كانت مرضاً منتشراً في المناطق القريبة من الوادي[٦] أو تلك التي يعاني منها بعض أفراد ذلك المجتمع مثل أمراض البواسير وألم الأسنان[٧] والجذام[٨] ، أو الجرب[٩] .

وكان هذا الرحالة يذكر بعض الجوانب الاجتماعية التي شاهدها مثل الأطعمة التي تناولها كلحم الخروف، والأرز[١٠]و: "قطع الحامض، والبصل، والخل، وقشدة الحليب المعطر، وقطع اللحم"[١١] ، وأشار إلى طريقة استقبال الضيوف في نجران التي وصفها بالبروتوكولية[١٢] .

---

(١) المرجع نفسه ، ص١٣٠.
(٢) المرجع نفسه ، ص١٥٠.
(٣) المرجع نفسه ، ص١٥٠.
(٤) المرجع نفسه ، ص١٥٠.
(٥) المرجع نفسه ، ص١٣١.
(٦) المرجع نفسه ، ص١٤٢.
(٧) المرجع نفسه ، ص١٤٢.
(٨) المرجع نفسه ، ص١٣٩.
(٩) المرجع نفسه ، ص١٣٧.
(١٠) المرجع نفسه ، ص١٤٤،١٤٣ .
(١١) المرجع نفسه ، ص١٤٩.
(١٢) المرجع نفسه ، ص١٤٣.

٥- بعض الأوضاع الاقتصادية :

دون فيلبــي الكثير من المعلومات المتعلقة بالموارد الاقتصادية ، والأسواق ، والعملات، والسلع وغيرها ، وقال عن محصول الذرة : "وتزداد سيقان الذرة متانة أثناء النمو وتطول ، وقد يتجاوز ارتفاعها من (١٢-١٥) قدماً ... "(١) واستعرض أهم المنتجات الزراعية التي تم حصادهــا أثنــاء زيارته للمنطقة فيقول: "... انتهى حصــاد التمر الذي كنا قد تركناه في بدايــة نموه عندما غادرنا نجران في شهر يوليو الماضي ، كما أفسحت العناب البيضاء الصيفيــة المجال إلى الأعناب الســوداء الوفية الآن في كل من الفــرع وصعدة ، وأصبحت محاصيل الذرة التي كانت في بداية نموها في شهر يوليو جاهزة للحصاد الآن..."(٢)

وفي حبونــا يقــول: "... كانت قريتها الرئيسية عند مركــز الدائرة خلف أشجار النخيل ووســط حقول كبيرة للــذرة ... "(٣) وفي المجمع يقول: "... كانــت معظم حقول الدخن قد تم حصادهــا وتم نقل المحصول إلى موقع مركزي لأجــل غربلته ... "(٤) وأورد معلومات دقيقة عن محصول الزكاة من التمر أثناء زيارته لنجران فقدره بــ (١٥٠٠) فرق(٥) أي (٣٦٠٠٠) صاع وهو ما يعادل (١٤٤٠،٠٠٠) كجم(٦) ، وذكر أن أمير بلدة بدر أحضر زكاة بدو منطقته البالغ (١٦٠٠) ريال ، وبين مشاركة شيوخ القبائل المحليين في جمع الزكاة(٧) .

وأعطــى وصفــاً مثيراً لمكان الســوق الأسبوعي الرئيسي في نجــران الذي كان يقام كل يــوم خميــس فيقول : "... أرض الاستعراض الكبيرة المكشوفة أو الساحة المخصصة للمعسكــرات والتي تمتــد من عند الجدار الجنوبي لقصر أبــا السعود إلى حيث الحافة العريضة للغطاء النباتي ... "(٨) ووصف طريقة إقامة التجار للدكاكين أو المتاجر فمنها مــا يبنى باللبن ، وأخرى مؤقتة مبنية من الخيام.(٩) وعدد أصنافاً متنوعة من البضائع المســتوردة من بلدان عربية كاليمن ، ومصر ، أو أجنبية مثل : روسيا ، وفرنسا ، واليابان

---

(١) فيلبي ، **مرتفعات الجزيرة العربية** ، ج١ ، ص٤٠١.

(٢) المرجع نفسه ، ج١ ، ص٥٦٩ .

(٣) المرجع نفسه ، ج٢ ، ص٦٥٠.

(٤) المرجع نفسه ، ج٢ ، ص٦٦١ .

(٥) الفرق : يساوي ثلاثة أصواع أو اثني عشر مداً ، عسيري ، علي بن أحمد ، **عسير من (١٢٤٩-١٢٨٩هـ/١٨٣٣-١٨٧٢م) "دراسة تاريخية"** ، (د.ط) ، (الرياض ، شركة العبيكان للطباعة والنشر ، إصدارات نادي أبها الأدبي ، ١٤٠٧ه/١٩٨٧م) ، ص٤١٠.

(٦) فيلبي ، **مرتفعات الجزيرة العربية** ، ج١ ، ص٤٠٠ .

(٧) المرجع نفسه ، ج١ ، ص٤٣٣.

(٨) المرجع نفسه ، ج١ ، ص٤٣٦.

(٩) المرجع نفسه ، ج١ ، ص٤٣٦.

فكان من ضمن مشاهداته: التبـغ ، والصابون، والكبريت، والمراهم، والأقمشة، وبعض الأواني الفخاريـة[١] ، وأدوات الزينـة، وأنواع متعددة من السـلاح أهمها : الخناجر[٢]، إضافـة إلى المنتجات الغذائيـة التي تملأ السوق مثل: الحبوب، والبُن، والقشر، والمواشي وغيرها[٣] ، وذكر أن عملية المقايضة العينية هي السمة السائدة لعملية البيع والشراء في السوق: " فمثلاً المد[٤] (صاعان) من الدخن يباع بمقابل أو مقايضة فنجان مملوء بالبن أو أي أشياء أخرى .... "[٥] وأورد معلومات مهمة كذلك عن النشاط التجاري المتبادل بين نجـران والبلدات اليمنية المجاورة لها من الجنوب وأقربها بلدة الفرع حيث كانت تنشط معها تجارة الفواكه لاسيما العنب ، والحبوب ، والبُن ، والأواني المنزلية وغيرها[٦] .

كمـا تحدث عـن إمكانية قيام بعض الصناعات مثـل استخـراج (البوكسيت) أو خـام الألمنيوم بكميات تجاريـة كبيرة قدرها بحوالي (٧٠٠٠) مليـون طن من حبونا[٧] وكتـب عن التطورات التي طـرأت على تداول العملة المعدنية في نجران حيث كان الناس يعتمـدون على الريال العربي قبـل مجيئه بعشرة أعوام[٨]، ثم حـدث تغير آخر بدخول

---

(١) من أكثر الصناعات تميزاً منذ القدم ، ورغم أن صناعة الفخار في نجران خلال العصر الإسلامي المبكر كانت ضمـن السمات العامة لفخار خضـارة جنوب الجزيرة العربية وامتدادا لفخار الفـترة البيزنطية فقد كان لها طابعها الخاص بعناصرها ومميزاتها المستقلة ، فقد تم العثور في نجران على كميات من الفخار الملون والمزجج والخـزف الـذي يحمل سمات العصرين الأموي والعباسي ، ولا يزال يصنع في وقتنا الحاضر في نجران العديد مـن الأواني الفخاريـة ومنهـا : البرمة : قدر الطبـخ ، التنور : فرن للخبز ، والزير : وعـاء لتبريد وحفظ الماء ، المدهن : وعاء لتقديم الكل ، الجمنة : وعاء لإعداد القهوة. وزارة المعارف ، سلسلة آثار المملكة ، ص١٣٥-١٣٦.

(٢) تعد من أهم وأبرز الصناعات في نجران حتى وقتنا الحاضر بصفتها رمزاً للأصالة ومصدراً للفخر وزياً للمناسبـات ، وعلى الأرجـح أن هذه الصناعة عُرفـت منذ فترة سابقة لحضارة جنـوب الجزيرة العربية ، وهـذا مـا تؤيده الرسـوم الصخرية في منطقـة بئر حما وبدمة حيـث يظهر الكثير مـن الأشخاص وهم يتقلـدون الخناجـر والسيوف . وقد كانـت الخناجر قديماً رمزاً للشجاعة والرجولـة ، وسلاحاً يتم الدفاع بهـا عـن النفـس ، ويصنع الخنجر من الحديـد بمقبض يصنع من قـرون بعض الحيوانـات ويحلى بقطعة فضيـة أو ذهبيـة ، ويصنـع الغمـد من الخشـب المغطى بالجلـد أو بصفائح من الفضـة أو بهما معـاً .وفي نجران حاليـاً سوق تختص بصناعة وصيانـة وبيع وشراء الخناجر. وزارة المعارف ، سلسلـة آثار المملكة ، ص١٣٩-١٤٠. (زهير) للمزيد عن صناعة الخناجر في نجران انظر غيثان بن جريس . **القول المكتوب في تاريخ الجنوب** (١٤٤٢هـ/٢٠٢١م) ، ج٢١، ص ٦٥-٨٧ (ابن جريس) .

(٣) فيلبي ، **مرتفعات الجزيرة العربية** ، ج١، ص٥٣٠ .

(٤) المـد : يسـاوي ثلاثة أقق ، والأقة تساوي ٢٫٧٥ رطل. عسـيري ، المرجع السابق ، ص٤١٠ ؛ المعبدي ، مبارك ، **بعض ملامح الأسواق في تهامة عسير خلال الحكم العثماني الثاني (١٢٦٥-١٣٣٥هـ/١٨٤٠-١٩١٦م)** ، (د.م.ن) ، ص٣٢.

(٥) فيلبي ، **مرتفعات الجزيرة العربية** ، ج١، ص٥٧٤.

(٦) المرجع نفسه ، ج١، ص٤٦٢ ؛ ج١ ، ص٥٣٠ ؛ ج١ ، ص٥٦٤

(٧) المرجع نفسه ، ج٢، ص٧٣٠.

(٨) المرجع نفسه ، ج١، ص٥٧٦ .

الريــال السعودي على مدير مالية نجران في ذلك الوقت[١]؛ غير أنه لم يجد القبول من التجــار والمواطنين ؛ بسبب الاختلاف في سعر الصرف مما اضطر السلطات الحكومية إعــادة النظر مجدداً في سعر صــرف العملة الجديدة مقابل القديمة[٢]، لكنه في موضع آخــر من كتابه يتحــدث عن امتلاك بعض التجــار لعملة الماريا تريــزا الشهيرة وهو ما يعطي انطباعاً واضحاً على أنها من العملات التي كانت تتداول في زمنه رغم التطورات التــي طرأت على العملة السعوديــة في تلك الفترة[٣] . وذكر أنواعــاً أخرى من العملات المعدنية التي كانت شائعة في المنطقة آنذاك من عملات النيكل أو الــ(٢٢) قرش نيكلي والقرش الميري[٤] وعملات يمنية أخرى كالبقشة ، والشامي[٥].

وقــدم فيلبــي سرداً دقيقاً للموازيــن والمقاييس السائدة في المنطقــة فيقول "... أن معيار المقاييس هو الصاع ويقسم إلى ثلاثة أسداس وستة أشطار (جمع شطر) أو(١٢) ربعــة يكون الصاعان مداً واحداً ويكون لك (١٢) مداً فرقاً واحداً ، يكون الوزن السائد هو الرطــل (تقريباً رطل واحد) ويزن حوالي(٢٠) ريــالاً وتكون رطلان ونصف الرطل أقة واحدة (أكثر من الكيلو جرام بقليل) ..."[٦] .

تحدث ليبنز عن جوانب مهمة من حياة الحاضرة في وادي نجران فأشار إلى إنتاجهم الزراعــي الذي تركــز على غابات النخيل وحقــول الــذرة البيضاء[٧]وطريقتهم في حرث وسقيــا مزارعهم التي كانت تعتمد على تركيب قطعة من الحديد على ظهور الثيران[٨] أو الجمال أحياناً أخرى[٩] وحماية حقولهم المليئة بالذرة البيضاء بالمقلاع :"وهي أداة تشبه المنجنيــق"[١٠]. وأعطى ليبنز معلومــات مهمة عن النشاط التجــاري المتبادل بين نجران باعتبارهــا منطقة سعودية حدودية مع المناطق اليمنية المجاورة، فذكر أن منافذ التجارة

---

(١) المرجع نفسه ، ج١، ص٥٦١ .
(٢) المرجع نفسه ، ج١، ص٥٧١ .
(٣) المرجع نفسه ، ج١، ص٥٧٦ .
(٤) المرجع نفسه ، ج١، ص٥٦٢ ، ص٥٧١ .
(٥) المرجع نفسه ، ج١، ص٥٧٢ .
(٦) المرجع نفسه ، ج١، ص٥٩٨ .
(٧) ليبنز ، **رحلة استكشافية** ، ص١٣٠.
(٨) المحــراث : قطعة خشبية يربــط بها المحراث الحديدي وتجرها البقر لحرث المــزارع. مقابلة شخصية مع الشيخ سالم بن محمد بن فلاح الشدقاء .
(٩) ليبنز ، **رحلة استكشافية** ، ص١٣١.
(١٠) المرجع نفسه ، ص١٥٢.

مـع اليمن كانت أربعة أحدها في نهوقة[١] تمر بها بضائع متنوعة كالقهوة والعنب المجفف – الزبيب – والفحم الخشبي : " لكن دون أن تفلت من دفع رسوم مركز الجمارك الذي يتألـف من خيمتين كبيرتـين داخل الأشجار"[٢] وقدم تقريراً مفصـلاً لإحدى مشاهداته اليومية لسوق نجـران الأسبوعي في البلد فتوجه إلى: "مكان تتكاثر فيه الجمال والحمير المحملة بالأكياس والعلف والقِرب[٣]وحزم الخشب (الحطب) ...."[٤] .

وأشـار إلى أصنـاف البضائع المعروضـة في السوق كالحيوانـات الداجنة[٥] فيقول : "... حـزم الخشـب وأنـواع الحبـوب وخاصـة الأرز، والخضـروات ، والطماطـم ، والباذنجـان ، والتوابـل ، والفحم الخشبي ، وأعواد الكبريـت ، والأقمشة القطنية ..."[٦] ، إضافة إلى: "القماش، والأحذية الصيفية، والدخان، والخوخ (الكليفورني) المعلب، بالإضافة الى الأسلحة المنقوشة بعناية ..."[٧] مستشهداً في الوقت نفسه بطريقة التبادل التجـاري التـي اعتمدت بشكل رئيس على عملـة الريال الفضي العربـي ، وأحياناً عملة الماريـا تريـزا[٨] وكلهـا عمـلات نقديـة كـان النـاس يحملونهـا في: "كيـس صغـير من القماش"[٩] .

٦- المنطقة الحدودية : [١٠]

ذكـر فيلبي أن الغرض الرئيسي لزيارته المنطقة كان رسم نقاط الحدود السياسية بـين المملكة العربية السعودية واليمن وذلك بتكليـف الملك المؤسس عبدالعزيز آل سعود رحمـه الله الـذي وثق في قـدرات فيلبـي العلمية والمعرفيـة الواسعـة. ودون تفصيلات كثيرة لمهمته تلك[١١] ، وحدد بالاسم ومقادير الارتفاع عن سطح البحر مواقع كانت محل

(١) المرجع نفسه ، ص١٤٤.
(٢) المرجع نفسه ، ص١٤٤.
(٣) قـرَب : أوعيـة لحمل المياه وعادة ما تصنع من الجلود. مقابلة شخصية مع الشيخ سالم بن محمد بن فلاح الَشدقاء ، مقابلة سبق ذكرها.
(٤) ليبنز ، **رحلة استكشافية** ، ص١٤٨.
(٥) المرجع نفسه ، ص١٤٨.
(٦) المرجع نفسه ، ص١٤٨-١٤٩.
(٧) المرجع نفسه ، ص١٤٩.
(٨) المرجع نفسه ، ص١٤٩.
(٩) المرجع نفسه ، ص١٤٨.
(١٠) للمزيد عن هذه المهمة انظر فيلبي ، **مرتفعات الجزيرة العربية** ، ج١ ، ص٤٦٧ وما بعدها.
(١١) فيلبي ، **مرتفعات الجزيرة العربية** ، ج١ ، ص٥٢٢ - ٥٩٩.

خـلاف سعودي يمني تم حلها عند الترسيـم السابق للحدود ، مثل الخلاف على مقبرة صغـيرة على الجانـب الأيمن لشعب مـروان[١] ، وأخرى وضعت فيهـا علامات حدودية فاصلة مثل تلـك العلامة التي أقيمت من كومة أحجار في بطن شعيب مروان[٢]،وأخرى في مضيـق الدغمـاء[٣]، وعلامـات أخرى رسمهـا المؤلـف وذكرها مثل : تـلال أسعر، والضـرك ، وفـرد[٤]، ومسيل الـراك[٥]، وقمة زبـرة المطلة علـى وادي نهوقة[٦]،وراس غربـة[٧]، وشحاط الغميرة ومقاشع ومقبرة آل ثعلة وكلها تحتوي أعمدة حدودية تفصل بين المملكة العربية السعودية والجمهورية اليمنية[٨] .

ذكر هذا الرحالة أنه استعان في مهمته بعدد من المعاونين والخبراء بعضهم من أبناء المنطقة وآخرين من موظفي الحكومة وهو ما نلمسه في مواضع متعددة من كتابه[٩]وقد كـان لهؤلاء المساعدين أثر بلا شك علـى الدقة التي تميز بها فيلبي في تحديد مسميات المواضـع التـي غرست بهـا العلامـات الحدودية ، وتحديـد مواقعها بالنسبـة لمحيطها الجغرافي أو لجهاتها الأصلية ، علاوة على ما تميز به من مهارة فائقة في تحديد مقدار الارتفـاع عـن سطح البحـر أو المواقـع المحيطة بها، ومـن ذلك قوله حينمـا صعد إلى: " قمـة زبرة التي ترتفع إلى حـوالي(٤٠٠) قدم فوق سطـح الهضبة، وحوالي(٦٥٠٠) قدم فوق مستوى سطح البحر.... "[١٠].

ومـن الواضح أن فيلبي كان أمينـاً في مهمة مسح العلامات الحدودية وتثبيتها على الخرائط بدليل أنه لم يهمل تاريخ عمل اللجان المختلفة في ترسيم الحدود ودور القبائل

---

(١) هكذا ذكره لكن الشائع عند أهل نجران أن أسمه شعيب بران وليس مروان كما ذكره فلبي ، وهو أحد روافد وادي نجران الجنوبية معظمه في اليمن ضمن الحيز السعودي. انظر : فلبي ، المرجع نفسه ، ج١ ، ص٥٥٢ ؛ البلادي ، **بين مكة وحضرموت** ، ص١٩٧.

(٢) فيلبي ، **مرتفعات الجزيرة العربية** ، ج١ ، ص٥٥٢.

(٣) المرجع نفسه ، ج١ ، ص٥٥٣.

(٤) المرجع نفسه ، ج١ ، ص٥٥٤ . والمواقع السابق ذكرها في المتن تشكل اليوم معالم حدودية فاصلة بين المملكة العربية السعودية والجمهورية اليمنية في الجبال الواقعة إلى الجنوب الغربي من وادي نجران.

(٥) لم يعـرف مكـان بهذا الاسم وإنما عـرف جبل فريض الراكة. القبـاع ، **العلاقات السعودية اليمنية** ؛ آل زلفة، **عسير في عهد الملك عبدالعزيز** . انظر : فيلبي ، المرجع نفسه ، ج١ ، ص ٥٥٥.

(٦) والصحيح رأس عربة كما ورد في : القباع ، **العلاقات السعودية اليمنية** ؛ آل زلفة ، **عسير في عهد الملك عبدالعزيز** ؛ **فيلبي ، مرتفعات الجزيرة العربية** ، ج١ ، ص٥٥٦.

(٧) فيلبي ، **مرتفعات الجزيرة العربية** ، ج١ ، ص٥٥٧.

(٨) المرجع نفسه ، ج١، ص٥٥٧.

(٩) المرجع نفسه ، ج١ ، ص٥٥٢-٥٥٩.

(١٠) المرجع نفسه ، ج١، ص ٥٥٦ .

في ذلك ، إلى جانب أنه استقى معلوماته من بعض شيوخ القبائل والمرشدين الذين قاموا بالمشاركة في أعمال اللجان تنفيذاً لتعليمات الملك عبدالعزيز ، وانتقد أعمال اللجنة الخاصة بوضع العلامات الحدودية التي ذكر مرشدوه عدم ذهاب أعضاء اللجنة إلى المناطق المرتفعة واكتفائهم بالإشراف على وضع العلامات عن بُعد، ودلل على قصور أداء بعض أعضائها في عدم وضع العلامات في أماكنها بوضع أحد الأعمدة الحدودية في جيب سترته للذكرى(١) .

ثامناً : تقييم كتابات فيلبي وفيليب ليبنز عن نجران :

عندما نقارن الرحالة فيلبي بغيره من الرحالة والمؤلفين سواءً من سبقوه أو من أتى بعده سنجده صاحب الريادة بين هؤلاء جميعاً ، فهو أكثرهم خبرة وأغزرهم إنتاجاً وأطولهم بقاءً في أراضي المملكة العربية السعودية ، وهو ما جعله صاحب خبرات ومعارف متنوعة ومتعددة يدعم هذه الريادة إجادته للعربية ، كما أن المدة التي قضاها في المنطقة ساعده على التعرف على عادات مجتمعها وتقاليده ، إلى جانب نضج ثقافته العلمية الواسعة وخاصة في النواحي التاريخية والجغرافية وهو ما نلمسه من خلال كتاباته التي تحتوي على تفاصيل مثيرة ودقيقة حتى في أبسط جوانب الحياة اليومية. أما ليبنز فهو لا يختلف عن غيره من الرحالة الأوربيين الذين زاروا المنطقة العربية ، غير أنه تميز بروح المغامرة ، وسرعة فهم ما يدور حوله، إلى جانب خبرات معرفية جيدة ساعدته على إخراج كتاباته بشكل جميل تميز ببساطة الأسلوب ، وسلاسة العرض، وسهولة الاطلاع.

(*) وفيما يلي ومن خلال التحليل والمقارنة ومن عدة جهات نحاول الوصول إلى نتائج دقيقة نستطيع من خلالها الحكم على كتابات الرحالتين:

١- اعتمد المؤلفان في جمع مادتيهما العلمية على المشاهدات الشخصية والرواية الشفهية التي استقياها من محاورتهما للسكان المحليين ، إلى جانب ثقافتهما المتنوعة خاصة في مجال التاريخ والآثار. وقد ساعد دعم حكومة الملك عبدالعزيز لهؤلاء الرحالة ، وتعاون مسئولي الدولة وشيوخ وأعيان القبائل في نجران في تسهيل مهام رحلاتهم ، وجمع أكبر قدر من المادة العلمية ؛ مما ساعد على إخراج كتاباتهما بشكل مكتمل وغير مسبوق.

٢- كان لكل من الرحالتين طريقته في الكتابة بناءً على المقومات والاستعدادات الخاصة لكل منهما ، وفي هذا الشأن تميز فيلبي في كتاباته بسعة الاطلاع وتنوع

---

(١) المرجع نفسه ،ج١ ، ص٥٥٤ـ ٥٥٩.

المعارف ، وعمق التحليل ، وتنوع الخبرات ، ودقة الملاحظة ، وهو ما يتضح من خــلال قراءة مؤلفاته التي يخوض فيها في جزئيات وتفاصيــل دقيقة لا تتأتى لباحثين آخرين ، كما تميز أسلوب فلبي بالدقة في جمع المعلومات الجغرافية أو التعـرف على النواحي الاجتماعية، وهذا لا يتأتى له إلا من خلال جمع المعلومة مــن الأهالي المحليين ومــن أكثر من مصدر ، كما تميــز أسلوبه في الكتابة عن رحلتــه في نجـران بالعمــق في التحليـل والاسترســال في الوصــف ، والاهتمام بالتفاصيــل الدقيقة فيدون كل ما يصادفه من معــالم ومواقف. أما ليبنز فقد تميز أسلوبه بالرشاقة والبساطة في الوصف مما يسهل مهمة القارئ العادي في فهم محتوى كتابته ، ومما يميزه أيضاً حسه المعرفي العالي ، وقوة ملاحظته لما يــدور حوله مما انعكس بشكل إيجابي على تسجيله لبعض العادات الاجتماعية والأنشطة الاقتصادية التي كان يمارسها المجتمع النجراني في تلك الفترة.

٣- وحتى تبرز المقارنة بشكل واضح ودقيق فمن الناحية الجغرافية: واضح حرص المؤلفان فيلبي وليبنز على منح الجوانب الجغرافية في رحلتيهما اهتماماً واسعاً ، إلا أن فيلبــي بــز نظيره ليبنــز بناءً على خبراتــه الواسعة في هــذا الجانب ، ومهارته المتنوعة في علم الجغرافيا والرحلات فنجده يورد بدقة متناهية وصف تضاريس ومسميات المناطق والأودية والجبال التي يزورها وتحديد ارتفاعاتها عــن سطــح البحــر مستفيداً مما يوفر له مــن تقنيات حديثة في هــذا المجال ، وهــو جانب لم يمنحه ليبنــز اهتماماً كبيراً. وعند وصفــه لطريق الرحلة نجد أن فيلبــي يسهب كثيراً في وصف جغرافيا الطرق التي يسلكها من وإلى نجران مستفيــداً من مرشديــه، بعكس ليبنز الذي قدم وصفــاً مقتضباً لطريق رحلته دون الخوض في تفاصيل واسعة في هذا المجال. أما أحوال الطقس والمناخ فإن ليبنــز تميز بالإيجاز على عكس فيلبي الذي كان كثير الحديث عن ما يصادفه مــن تقلبات الطقس، أو في الحديث عن الأحــوال المناخية للمناطق التي زارها في حدود منطقة نجران.

وامتــد اهتمام ليبنز بالغطاء النباتــي والثروة الحيوانية في نجران فنجده يشير في أكثر من موضع في كتابه إلى أنواع متعددة من النباتات التي تعيش في البيئة النجرانية ، أما فيلبي فإنه كعادته كان كثير الإسهاب حتى في هذا المجال نظراً لاهتمامه الشخصي بجمــع أنــواع متعددة من هذه الكائنــات وإرسالها إلى المتاحــف البريطانية. أما الحياة

الاجتماعية فقد أولياها فيلبي وليبنز اهتماماً بالغاً من خلال تناول العديد من جوانبها ، إلى جانب تفاصيل مثيرة في هذا المجال ، فتحدث فيلبي في أكثر من موضع عن عناصر سكان نجران مثل اهتمامه بأنساب قبائل يام التي تسكن مساحات واسعة من نجران ، وعن أسرة المكارمة دعاة المذهب الإسماعيلي في نجران ، إلى جانب اهتمامه بالحديث عن الطائفة اليهودية التي سكنت المنطقة ، ويشترك فيلبي وليبنز في وصف صور متنوعة من عادات وتقاليد المجتمع النجراني مثل عادة إكرام الضيف وأنواع الأطباق الغذائية المنتشرة في هذا المجتمع ، الى جانب طريقة البادية في سقيا مواشيهم على الآبار غير أن ليبنز يتفوق على فيلبي في عدم اصدار أحكام مسبقة على تلك العادات والتقاليد التي تختلف عن ما تعوداه في المجتمعات الأوربية.

كما نجد الرحالتين يشتركان في وصف المنازل النجرانية التي شاهدها أثناء زيارتهما لنجران أو حبونا وذكر أنواع بعضها لا زال موجوداً كالقصور الطينية والحجرية أو ما اندثر مثل تلك المبنية من الأشجار. واهتم المؤلفان بالمجال الاقتصادي في نجران ومنحاه مساحة واسعة من كتاباتهما ، فهما دائماً الحديث عن حرفتي الرعي والزراعة الأبرز بين سكان المجتمع النجراني في ذلك الوقت ، وهو ما نقرأه عند ذكرهما للأصناف والمزروعات أو أنواع الحيوانات الداجنة التي اهتم أهل نجران بتربيتها. كما توافقا في الكتابة عن النشاط التجاري خاصة في مجال التبادل التجاري بين نجران والمناطق اليمنية المجاورة لها فقد أوردا معلومات غاية في الأهمية في هذا المجال تتصل بنقاط العبور المشتركة وأصناف البضائع المتبادلة. واشترك الرحالان في إيراد معلومات وافرة عن سوق نجران الرئيس في البلد ، كالحديث عن أنواع السلع والبضائع والعملات المتداولة بين مرتادي السوق من تجار ومستهلكين. ومن الواضح أن فيلبي قدم الكثير من المعلومات في هذا الجانب من خلال تقديمه معلومات أكثر شملت المكاييل والموازين ورصد المتغيرات والحوادث التي طرأت على العملة في نجران.

وفي المجال الإداري أعطى فيلبي معلومات دقيقة وقيمة عنها في منطقة نجران كالإشارة إلى أبرز الإدارات الحكومية القائمة في نجران عند مجيئه ، وذكر أهم مهام الأمير وأنشطته اليومية أو الحديث عن مراكز الشرطة المنتشرة في قرى نجران والتطرق لعدد موظفيها وأبرز مهامهم الأمنية. بل امتدت كتاباته في هذا الجانب إلى تناول احدى أبرز مهام موظفي الدولة المتعلقة بجني محصول الزكاة ، كما تطرق لأحوال الموظفين من الناحيتين الاجتماعية والاقتصادية. وفي المقابل نجد معلومات ليبنز في هذا المجال

مقتضبــة غــير أنها كانت في غاية الأهمية كالإشارة إلى مهام أمير المنطقة ، إضافة الى عرض بعض المهام الرسمية لمراكز الشرطة والجمارك الحدودية.

حظي مجال التاريخ والآثار بمساحات واسعة من كتابات فيلبي وفيليب ليبنز ، فقد اشتركا في زيارة منطقة الأخدود الأثرية ووصف معالمها وذكر أبرز آثارها المتبقية ، وإن كــان قد تميز ليبنز بعمق تحليله ودقة وصفه في هــذا الجانب ؛ نظراً لكونه وقف بنفسه علــى دراسة أجزاء مهمــة من تلك البقايا الأثرية ، إضافــة إلى اهتمامه بجمع النقوش وفك رموزها ، وتصنيف أنواعها ، على عكس فيلبي الذي ركز في رحلته الأولى على جمع ونسخ أكبر قدر يجده من النقوش.

وفي الموضوع نفسه يبرز تميز فيلبي من خلال توسعه في الكتابة عن الآثار بحيث لم يقتصر على قرية الأخدود وحسب ، بل نجده يحرص على زيارة معالم أخرى ذات أهمية تاريخيــة مثل كعبة نجران ، وقصر العــان وغيرها مستلهماً ذلك كله من ثقافة تاريخية واسعــة عن تاريخ نجران ، وهو ما يذكره هذا الرحالة من خلال عرضه التاريخي لأهم الحملات العسكرية التي تعرضت لها مدينة الأخدود منذ عهد معين وحتى الطور الأخير لمملكة حمير.

تاسعاً : الخاتمة :

(*) من خلال دراسة نجران في كتابات جون فيلبي وفيليب ليبنز بالتحليل والمقارنة خرجت الدراسة بالنتائج والتوصيات التالية :

أهميــة كتابات فيلبي وليبنز في تاريــخ المملكة العربية السعودية بشكل عام ومنطقة نجــران بشكل خاص فقد قدما خدمــة جليلة للباحثين في فترة تاريخية مهمة من خلال توثيــق معلومات قيمــة متنوعة عن منطقة لهــا بعدها التاريخــي والسياسي في عصرنا الحديث عزز هذه القيمة ما يأتي :

١- قيام دولة موحدة حققت الأمن والاستقرار في الجزيرة العربية.

٢- أهمية الفترة التاريخية التي دونت فيها هذه الكتابات وهي فترة تأسيس المملكة العربيــة السعودية ومرورها بتحولات سياســة واقتصادية واجتماعية وثقافية كثيرة رصدت هذه الكتابات الكثير منها.

٣- دعم الملك عبدالعزيز لهذين الرحالتين بكل ما يساعد على نجاح مهمتيهما.

٤- تنوع المجالات التي تناولتها كتابات فيلبي وليبنز بين الجغرافية ، والبيئية ، والإدارية ، والاقتصادية ، والاجتماعية ، والسياسية ، إلى جانب تاريخ وآثار منطقة نجران ، وهذا ما يزيد أهميتها وقيمتها.

٥- أن المقارنة بين كتابات الباحثين يكشف لنا الكثير من المعلومات عن منطقة نجران والعوامل التي ساعدت على كتابتها في تلك الفترة.

٦- إن كتابات فيلبي وليبنز تفتح آفاقاً أوسع للدراسة والبحث في تاريخ نجران الحديث لا ينقصها سوى الجرأة والحرص على تقديم الجديد في تاريخ هذه المنطقة ، فعلى الرغم من الجهود التي قام بها هؤلاء الرحالة والنتائج الجيدة التي حققوها من خلال دراسة تاريخها وحضارتها وجمع نقوشها ، غير أن تلك الجهود مقارنة بضخامة إرث وآثار المنطقة لا تزال في بدايتها ، ولا تزال الحاجة ماسة في دراسات نوعية ترصد وتستقصي تاريخ وحضارة المنطقة وتحولاتها ، إلى جانب الحاجة إلى تبني مشروع بحثي ضخم يفك طلاسم تلك الكنوز الأثرية التي تكسو معظمها الرمال.

٧- آمل أن نرى جامعة نجران تؤسس مركز بحوث متخصص مدعوم مادياً وإدارياً ومعرفياً ، يقوم بدراسة تاريخ وآثار وحضارة بلاد نجران منذ عصور ما قبل الإسلام حتى وقتنا الحاضر.

٨- مازال هناك مصادر ومراجع عديدة مكتوبة بلغات أجنبية قديمة وحديثة، وتحتوي على مواد تاريخية وحضارية عن نجران ، وهي جديرة بالترجمة والتحليل والتعليق . وهذه مسؤوليات الكليات والأقسام العلمية المتخصصة .

عاشراً : مصادر البحث ومراجعه :

أولاً : المراجع العربية :

١- الأصطخري ، إبراهيم بن محمد ، **مسالك الممالك** ، (بيروت ، دار صادر ، (د.ت)).

٢- الأكوع ، إسماعيل بن علي ، **هجر العلم ومعاقله في اليمن** ، (دمشق ، دار الفكر، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م) ، ج٣.

٣- الأكوع ، محمد بن علي ، **اليمن الخضراء مهد الحضارة** ، (صنعاء ، وزارة الثقافة والسياحة ، ٢٠٠٤م).

٤- البكري ، عبدالله بن عبدالعزيز ، **معجم ما استعجم** ، (بيروت ، عالم الكتاب ، ١٤٠٣هـ/١٢٩٩م).

٥- البلادي ، عاتق بن غيث ، **بين مكة وحضرموت : رحلات ومشاهدات** ، (مكة المكرمة ، دار مكة للنشر والتوزيع ، ط١ ، ١٤٠٢هـ).

٦- ابن البيطار، أبو محمد بن عبدالله ، **الجامع لمفردات الأدوية والأغذية** ، بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية ، د.ت) ، المجلد الأول.

٧- الحسين ، يحيى ، **غاية الأماني في أخبار القطر اليماني** ، تحقيق سعيد عبدالفتاح عاشور ، (القاهرة ، ١٣٨٨هـ).

٨- ابن جريس ، غيثان ، **القول المكتوب في تاريخ الجنوب: عسير ونجران** ، (الرياض، مطابع الحميضي ، ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م) (الجزء الثالث) ط٢(١٤٤٢هـ/٢٠٢٠م).

٩- ابن جريس ، غيثان ، **صفحات من تاريخ عسير** ، (جدة ، دار البلاد للطباعة والنشر ، ١٤١٣ه/١٩٩٣م) ، ط١.

١٠- ابن جريس ، غيثان بن علي ، **نجران دراسة تاريخية حضارية ، (ق١ – ق٤ه / ق٧ – ق١٠م)** ، (الرياض ، ط١ ، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م) ، ج١.

١١- حماد، خيري، **عبدالله فيلبي قطعة من تاريخ العرب الحديث**، (بيروت، منشورات المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر ، أبريل ، ١٩٦١م) .

١٢- حمزة ، فؤاد ، **في بلاد عسير** ، (الرياض ، مكتبة النصر الحديثة ، ط٢ ، ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م) .

١٣- الحموي ، ياقوت بن عبدالله ، **معجم البلدان** ، (بيروت ، دار الفكر ، (د، ت) ، ج٥.

١٤- ابن حوقل ، أبو القاسم محمد ، **صورة الأرض** ، (بيروت ، مكتبة الحياة ، ١٩٩٢م) .

١٥- الحربي، علي، **المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية(منطقة عسير)**،(بيروت، مطابع الخليفة،١٤١٧هـ/١٩٩٧م)، ج١ ، ج٢.

١٦- الحميد ، عبداللطيف بن محمد ، **إبراهيم بن عبدالرحمن النشمي(١٣١٣-١٣٩٨هـ) حياته أعماله** ، (د.ن ، ١٤٣٢هـ/٢٠٠٢م) .

١٧- الخترش، فتوح عبدالمحسن، **تاريخ العلاقات السعودية اليمنية**، (الكويت، منشورات ذات السلاسل، الكويت، ط١ ، ١٩٨٣م) .

١٨- ابن خرداذبة ، عبيدالله ، **المسالك والممالك** ، (بيروت ، دار صادر ، (د ، ت) .

١٩- السبيت، عبدالرحمن وآخرون، **كنت مع عبدالعزيز (مقابلة شخصية مع الشيخ محمد بن زعير)**، (الرياض ،مطبوعات الحرس الوطني ، ١٩٨٨م) .

٢٠- ابن سعود، مشاري، **العلاقات بين المملكة العربية السعودية والمملكة المتوكلية اليمنية**، (الرياض، جامعة الملك سعود،١٤١٩هـ/١٩٩٩م) .

٢١- سعيد، أمين ، **اليمن وتاريخه السياسي منذ استقلاله في القرن الثالث الهجري، (سلسلة كتب تاريخ العرب** الحديث (٩) ، (١٣٧٨هـ/١٩٥٩م) .

٢٢- الشريف، عبدالرحمن صادق، **جغرافية المملكة العربية السعودية "إقليم جنوب غرب المملكة"**، (الرياض، دار المريخ للنشر ، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م) ، ج٢.

٢٣- الشماحي، عبدالله بن عبدالوهاب، **اليمن، الانسان والحضارة**،(بيروت، منشورات المدينة، ط٣،١٤٠٦هـ/١٩٨٦م) .

٢٤- الشعفي، محمد سعيد، **العلاقات السعودية اليمنية في سني ١٣٥١-١٣٥٣هـ /١٩٣٣/١٩٣٤م** (من خلال ما نشر في جريدة المقطم المصرية) ، (الرياض، مطابع الشريف ، ط١ ، ١٤١٤هـ) .

٢٥- الشهـري، زهـير بـن عبـدالله ، **مالية أبها في عهد الملك عبدالعزيز ١٣٣٨-١٣٧٣هـ/١٩٢٠-١٩٥٣م "دراسة وثائقية عن الأوضاع الاقتصادية والتنظيمات المالية في جنوب المملكة العربية السعودية**، الجمعيـة التاريخية السعودية، (الرياض ، الإصدار الحادي عشر ١٤٣٤هـ/٢٠١٣م).

٢٦- الزركلـي، خير الدين، شبه الجزيرة العربية في عهد الملك عبدالعزيز، (بيروت، دار العلم للملايين،١٩٩٢م)، ط٥، ج١.

٢٧- آل زلفة، محمد بن عبدالله ، **عسير في عهد الملك عبدالعزيز: دورها السياسي والاقتصادي، والعسكري في بناء الدولة السعودية الحديثة** ، (الرياض ، مطابع الفرزدق ، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م).

٢٨- العثيمـين ، عبدالله الصالح، تاريخ المملكة العربيـة السعودية، (الرياض، مكتبة العبيكان، ١٤٢٤ه/٢٠٠٣م)، ط١٢، ج١.

٢٩- علاقي ، عبداللطيف طاهر، **نجران : الواحة والإنسان**، (جدة ، مطبعة الصلاح ، ط١، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م).

٣٠- العلـوي، علـي بن محمد، **سيرة الهـادي إلى الحق يحـي بن الحسـين** ، تحقيق: سهيل زكار ، (دار الفكر، ط١٣٩٢،١هـ/ ١٩٧٢م).

٣١- عسـيري ، علـي بـن أحمـد ، **عسير مـن ١٢٤٩-١٢٨٩ه/١٨٣٣-١٨٧٢م "دراسة تاريخيـة"** ، (الرياض ، إصدارات نـادي أبها الأدبي ، شركة العبيكان للطباعة والنشر ، ، ١٤٠٧ه/١٩٨٧م).

٣٢- العمـري ، هـادي صالح ، **طريق البخور القديم من نجران إلى البـتراء وآثار اليمـن الاقتصادية عليـه**، (صنعـاء، إصـدارات وزارة الثقافـة والسياحـة ، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٥م).

٣٣- فلبـي، جون ، **بعثـه إلى نجـد ، ١٣٣٦-١٣٣٧ه/١٩١٧-١٩١٨م** ، ترجمه وعلق عليه عبدالله الصالح العثيمين ، (ط١ ، الرياض ، ١٤١٨ه).

٣٤- فلبي ، جون ، **بنات سبأ** ، مكتبة العبيكان ، (الرياض ، ط١ ، ١٤٢٢هـ ، ٢٠٠١م).

٣٥- فلبـي ، جـون ، **مرتفعـات الجزيـرة العربيـة** ، (الرياض ، مكتبـة العبيكـان ، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م) ، ط١ ، ج١.

٣٦- الماحـي ، سيد ، **نجران الأرض والانسـان والتاريـخ** ، (الرياض ، المطابع الأهلية للأوفست ، (د.ت)).

٣٧- ماكـرو، إريـك، **اليمـن والغـرب ١٥٧١-١٩٦٢م**، نقلـه إلى العربية وعلـق عليه د حسـين عبـدالله العمـري، (دمشـق، دار الفكـر للطباعـة والتوزيـع والنشر ، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م) ، ط٢.

٣٨- الماضـي، تركـي، **مـن مذكـرات تركـي الماضـي عـن العلاقـات السـعودية اليمنية،(١٣٤٢-١٣٧١هـ/١٩٢٤- ١٩٥٤م)** (الرياض ، دار الشبل للنشر والتوزيع والطباعة ، ١٤١٧ه/١٩٩٧م) ، ط١.

٣٩- الماضـي ، فـوزان ، **بنو تميم عبر التاريـخ** ، (الرياض ، مطابع الحميضي ، ط١ ، ١٤٢٢ه).

٤٠- المانـع ، محمـد ، **توحيـد المملكـة العربية السـعودية** ، ترجمة عبـدالله الصالح العثيمين ، ط١ ، (الدمام ، ١٤٠٢هـ).

٤١- مريـح، صالـح بن محمد، **نجـران (سلسـلة هذه بلادنـا)،** (الرياض، الرئاسة العامة لرعاية الشباب،١٤١٢هـ/١٩٩٢م).

٤٢- المعبدي، مبارك، **بعض ملامح الأسواق في تهامة عسير خلال الحكم العثماني الثاني ١٢٦٥- ١٣٣٥هـ/١٨٤٠- ١٩١٦م** ، (د.م.ن).

٤٣- القزوينـي ، زكريـا محمد ، **آثار البـلاد وأخبـار العباد** ، (بـيروت ، دار صادر ، (د.ت).

٤٤- ليبنـز ، فيليب ، **رحلة استكشـافية في وسـط الجزيرة العربيـة** ، ترجمة : محمد حناش ، راجعها وعلق عليها ، فهد بن عبدالله السماري ، (الرياض ، دارة الملك عبدالعزيز ، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م).

٤٥- ابـن هشـام ، محمد بن عبدالملـك ، **السـيرة النبوية** ، تحقيـق مصطفى السقا وآخرين، (بيروت ، دار القلم ، د.ت) ، ج١.

٤٦- الهمـداني، الحسن بن أحمد، **صـفة جزيرة العـرب**، تحقيق، محمد علي الأكوع، (صنعاء، مكتبة الارشاد، صنعاء ط١، ١٤١٠هـ /١٩٩٠م).

٤٧- طحنــون، محمد ، **نجـران: تاريخ وإنســان**، (بيروت، مؤسسـة الرحاب الحديثة للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠١٥م).

٤٨- الواسعــي، عبدالواسـع بن يحيــي، **تاريخ اليمن المسـمى فرجة الهمـوم والحزن في حـوادث وتاريـخ اليمـن**، (صنعـاء ، الـدار اليمنيـة للنشـر والتوزيـع ، ١٤١٤هـ/١٩٨٤م).

٤٩- وزارة المعــارف (وكالة الآثـار والمتاحف) ، سلسلة آثار المملكـة العربية السعودية (آثار منطقة نجران) ، (الرياض ، مطابع دار الهلال للأوفست).

٥٠- الانصــاري، عبدالرحمن وصالح آل مريح، **نجران منطلق القوافل**، (الرياض، دار القوافل للنشر والتوزيع، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م).

ثانياً: البحوث العلمية :

٥١- الجاسر ، حمد ، فلبي: رحلاته في البلاد العربية ، **مجلة العرب** ، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م ، مج٢٤.

٥٢- رنتــز ، جورج ، فيلبي مؤرخاً للمملكة العربيــة السعودية، ترجمة وتعليق، د حسين بــن محمد الغامدي، **مجلة الدرعيــة** ، السنة الأولى ، العدد الثاني ، ربيع الآخر ١٤١٩هـ/أغسطس ١٩٩٨م.

٥٣- آل عبدالجبار، عبدالله بن عبدالرحمن، دراسة تحليلية لكتاب (مرتفعات جزيرة العرب) لجون فلبي، **بحوث ندوة الرحلات إلى شبه الجزيرة العربية المنعقدة في الرياض (٢٤-٢٧ رجب/١٤٢١هـ الموافق ٢١-٢٤ أكتوبـر/٢٠٠٠م)** ، دارة الملك عبدالعزيز ، ج٢.

٥٤- العُمري، عمر بن صالح، عبدالله فلبي: حياته وآثاره، **مجلة دارة الملك عبدالعزيز**، ع٣، س١٤٢٠،٢٥هـ.

٥٥- النجعي، علي، الاتصالات السعودية في العصر الأول ، **من بحوث مؤتمر المملكة العربية السـعودية في مائة عام**، دارة الملك عبدالعزيز ، الرياض ، ٧-١١شوال ١٤١٩هـ/٢٤-٢٨ يناير ١٩٩٩م .

٥٦- النجعي ، علي ، **القوة الثالثة** ، (الرياض ، مكتبة العبيكان ، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م).

ثالثاً : المراجع الأجنبية :

57- ELIZABETH M MONROE , PHILBY OF ARABIA FIRST PUB LISHED BY FABER AND FABER , LONDON , 1973

58- The Life of Sir Percy Cox by Philip Graves , Second Im Pression, Hutchinson , Co , London.philby , john , The Land of Sheba , Geographical Journal , 92 (1938).

59- Tripp , Charles , A History of Iraq , 3rd ed , New yourk , Cambridge up , 2007

رابعاً : الرسائل العلمية :

٦٠- أحمد، بدور محمد ناصر، **اليمن والقضية الفلسطينية (١٩١-١٩٦٢م)**، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، الجمهورية اليمنية، جامعة صنعاء، كلية الآداب، قسم التاريخ، (١٤٣٥هـ/٢٠١٤م).

خامساً : الصحف :

٦١- **صحيفة الرياض** ، العدد ٩٣٨١ ، (٣٠ شوال، ١٤١٥هـ /٣٠ مارس ١٩٩٥م).

٦٢- **صحيفة الشرق الأوسط** ، العدد ١١٤٤١ ، ٩ ربيع ثاني ١٤٣١هـ / ٢٦ مارس ٢٠١٠م.

٦٣- **صحيفة الحياة** ، الأربعاء ٢٥ ديسمبر كانون الأول ٢٠١٣م / ٢٢ صفر ١٤٣٥ه.

٦٤- **صحيفة اليوم** ، العدد ١٥٢٤٨ ، ٢٤ جمادى الأولى ١٤٣٦هـ / ١٥ مارس ٢٠١٥م.

سادساً : المقابلات الشخصية :

٦٥- مقابلة شخصية مع الشيخ سالم بن محمد بن فلاح الشدقاء. تاريخ ومكان المقابلة ، مدينة الرياض ١٤٣٨/٣/١٧هـ.



الدراسة الثانية عشرة

صفحات محدودة من تاريخ نجران الحضاري
(الجنابي والخناجر وسوقهما أنموذجا)

بقلم : أ. محمد بن هادي آل هتيلة



الدراسة الثانية عشرة

صفحات محدودة من تاريخ نجران الحضاري (الجنابي والخناجر وسوقهما أنموذجا). بقلم . أ. محمد بن هادي آل هتيلة[1]

---

(١) محمـد بن هادي آل هتيلة من مواليد نجران عام (١٣٨٨هـ/١٩٦٨م) من مثقفي منطقة نجران. عضو في عـدد من الجمعيـات واللجان العلمية والعملية في منطقةٍ نجران وخارجهـا. شارك في العديد من الندوات واللقـاءات العلمية والثقافية، والاجتماعية، وقدم عدداً من المحاضرات في بعض اللقاءات بمنطقة نجران وساهم ببعض المقالات في عدد من الصحف المحلية. أصدر عدداً من البحوث والمؤلفات مثل: (١) نجران والنصرانيـة الأولى. (٢) نجـران جدلية المكان والشخوص (دراسـة إنثروبولوجية). (٣) رجمت . (ابن جريس).

١. مقدمة :

يـرى خبراء الآثـار أن للجنبية تاريخـاً عريقاً إذ وجدت منـذ (٦) آلاف سنة، وأن النقوش والصور تظهر ملوك سبأ وحمير كشمر يهرعش وتبع وغيرهم متزينين بالجنابي. موضحـين بان المرحلـة الأولى لصناعة الجنابي بدأت حسـب الشواهد باستخدام قرن الخرتيت (وحيد القرن) كمقبض للسيوف والخناجر قبل أن يتحول إلى الجنبية في عهد الملك أسعد الكامل. بينما يذهب آخرون للاعتقاد بأن شكل الجنبية الحالي، وهو يجسد شـكل "الهلال"، يعـود إلى طقوس دينية كان اليمانيون الأوائل يمارسونها خلال فترات زمنيـة غابرة، إذ كانوا يعبـدون إله القمر وهو إله الحب عنـد اليونان. وشكل الجنبية، يأخـذ شكل الهـلال، ويتضح ذلك في انحناء الرأس (القرن) مـن جانبيه وامتداده من الأعلـى إلى أسفل ما يعرف ب "المبسم" الذي يتوج الجسم (النصل) ويلتحم به بمادة "اللـك"، ويذكـر أن بدايـة ظهور الخنجر الجنبيـة يعود إلى القـرن السابع قبل الميلاد بدليـل مـا يكشف عنه تمثال الملك معـدي كرب الذي يظهر عليـه تجسيد مصغر لشكل الجنبيـة في صورتهـا الأولي التي كانت تشبـه السيف في تصميمهـا أو الخنجر اليمني ومروره بمراحل عدة في الدولة المعينية عام (١١٢٠ق م)، والدولة الحضرمية (٦٥ق م)، والدولـة القتبانية (٨٦٥ ق م) ثم الدولة السبئية (١٢٠ق م)، فالدولة الحميرية (١١٥م ـ٦٢٨م) ثم عصر الإسلام وصولاً إلى العصر الحديث [١].

٢. الجنبية والخنجر في التاريخ الاسلامي :

تشكل الخناجر الإسلامية مجموعة كبيرة متنوعة في أشكالها وطرازها وزخرفتها، وتتميز الخناجر التي صنعت في العصر الإسلامي باستقامة نصالها وزخرفة مقابضها وإن كـان يصعب معرفة تاريخها على وجه الدقـة ومنها مجموعة كبيرة محتفظ بها في المتاحـف العالمية المختلفة. ويلاحظ علـى بعض نصالها نقوش قليلـة جهة حد الخنجر ومنها نوع مشهور يعرف باسم (ال كارد) نصاله مصنوعة من الفولاذ ومقابضها من العاج المزخرفة وزخارف نباتية وهندسية متنوعة.

وتتميـز الخناجر التي صنعت في العصر الإسلامـي بأن نصالها في بعض الأحيان تصنـع مـن الأحجار الصلبة والحادة وفي هذه الحالة يكـون النصل والمقبض من المادة نفسها وهي عادة من البلور الصخري ومن حجر اليشم [٢]. من مختلف الألوان والأشكال.

---

(١) حبـذا يـا أستـاذ محمد أن تكون فصلت أكثر عن هـذا النوع من السلاح وغيره مـن الأسلحة في نجران أو سروات اليمن في عصور ما قبل الإسلام، آمل أن يكون أحد مواضيع أبحاثك المستقبلية. (ابن جريس).

(٢) اليشـم أو اليشم (بالإنجليزيـة: Jade) هو من الأحجار الكريمة ويتخذ للزينـة وجلب الحظ. عادةً يكون

٣. طبيعة نجران الجاذبة :

ارتبطت عمليــة التعدين واستخراج المعادن بالمناطق التــي يستقر بها السكان، لأن مهنــة التعدين تحتاج إلى وقت طويل وأيــد عاملة للوصول إلى المعدن، واشتهرت نجران كباقي مناطق جنوب الجزيرة العربيــة، بالتعدين واستخراج المعادن، فمن هذه المعادن الحديــد الذي قيل أنــه يوجد في بعض جبال بنجــران ويستخرج منــه[١] . وكانت عملية استخراجه من منجمه ثم يوضع في حفر ومعه الخشب والأغصان وتوقد لإذابة المعدن، واستخلاص الخام منه والتخلص من المواد العالقة به، وتعاد الكرّة عليه إذا أريد حديد صــاف خالٍ مــن الشوائب؛ وتصنع منــه السيوف الجيدة[٢] . والسيــوف ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالتعدين ووفرة المعادن الجيدة لاسيما الحديد، وقد عرفت نجران بجودة سيوفها وأهدي سيف من تلــك السيوف النجرانية للرسول محمد ﷺ[٣] . وكانت الدروع تصنع مــن الحديــد في نجران، بين ذلــك أحد كتب رســول الله (ﷺ) لنصــارى نجران[٤] . والكثــير مــن أدوات الــري والآلات الزراعــة في وادي نجران تصنع محليــاً من الحديد المستخــرج من جبالها وحرفة التعدين وتصنيع الحديد معروفة في النشاط الاقتصادي لأهل نجران يوم ذاك[٥] .

لونه أخضر ويوجد بجميع الألوان ماعدا الأزرق. ويكثر استعماله في الصين حيث تُعتبر الأيقونات والتمائم والحلي المصنوعة منه جالبةً للحظ والسعادة. يوجد من اليشم نوعان أساسيان مختلفان من حيث التكوين الــذري ولكنهمــا يشتركان في نظام بلوري واحــد لتوزيع الذرات، وهما: الجاديت وهــو الأكثر غلاءً وجمالاً ويتكــون من سيليكــات الألمنيوم والصوديــوم. النفريت الذي يتكون مــن سيليكات الكالسيــوم والمغنيزيوم والحديــد. تعتبر ميانمار المنطقة الرئيسية في العالم لاستخــراج اليشم من نوع الجاديت، تليها غواتيمالا في أميركا اللاتينية. أما النوع الثاني، النيفريت، فيوجد في العديد من البلدان كنيوزيلندا والصين وتايوان وكندا والولايات المتحدة وروسيا. انظر: ويكبيديا الموسوعة الحرة على الرابط:
https://ar.wikipedia.org/wiki/%D9%8A%D8%B4%D9%85

(١) ســالم، د. سيــد عبدالعزيــز، تاريــخ الدولة العربية تاريــخ العرب منذ عصر الجاهلية حتــى سقوط الدولة الأموية، دار النهضة العربية للطباعة، (بيروت، ١٩٨٦م) ص٣٤-٣٥، العباسي، أريج أحمد، الثروة المعدنية في اليمــن والحجاز قبــل الإسلام وأهميتهــا الاقتصادية، رسالــة ماجستير (غــير منشورة)كلية التربية، جامعة بغداد، (٢٠٠٤م)، ص٦٠.

(٢) جواد علي، المفصل، ج١٤، ص ٢٥٦، ٢٥٨.

(٣) البخــاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخــاري (ت : ٢٥٦هـ) ، التاريخ الكبير، تحقيق: السيد هاشم الندوي، دار الفكر، (بلا ت)، ج٤، ص ٤٨، الحاكم النيسابوري، المستدرك، ج٣، ص ١٢٧.

(٤) أبو يوسف، الخراج، ص ١٩٢.

(٥) ابــن أبــي شيبة، المصنــف، ج ٧، ص ٤٢٦، البيهقي، ســنن البيهقي الكبرى، ج٦، صــ١٣٥، ابن حجر، فتح الباري، ج٥، ص١٢.

وسوق الجنابي الحديث بنجران يقع في السوق الشعبي في منطقة أبي السعود (البلد)[١] ويشكل بدكاكينه ومحلاته وممراته متحفاً كبيراً يختزل تراث نجران وموروثها الشعبي من الأدوات والحرف والصناعات القديمة وبعض المنتجات الزراعية[٢]. وسوق الجنابي (الخناجر)، يعد واحداً من ثلاثة أسواق كأكبر الأسواق للجنابي في الجزيرة العربية (سوق عمان، سوق صنعاء، سوق نجران)، تغنى بها الشعراء، ولقيت حفاوة من شتى شرائح المجتمع، علاوة على ما يصاحبها من تجديد في أشكال صناعتها ونماذجها، وكذلك فنون تزيينها، وعُرفت الجنبية منذ العصور القديمة في الجزيرة العربية وفي معظم الحضارات والبلدان على مستوى العالم مثل دول الخليج والشام ومصر ومنغوليا والصين وبلاد فارس، وتعد من الأسلحة الصغيرة، السهلة الحمل والاستخدام، وضمن الصناعات التقليدية وعند التصنيف يلحق الخنجر بالسيف بوجه عام[٣].

٤ ـ أسواق نجران القديمة:

تنشأ الأسواق التجارية نتيجة العوامل التي ساهمت في قيام التجارة، وعرفت الأسواق عند العرب قبل البعثة النبوية وذكرت جملة من أسواق العرب القديمة كسوق نجران وبعض أسواق بطون همدان مثل سوق همل وهي من أسواق بلد حاشد في الجاهلية، وسوق بلد بكيل في النصف بين رحبة وصنعاء ونجران[٤]. ويفهم من هذه

---

(١) أبو السعود أرض فضاء على امتداد قرى بني سلمان من الشرق إلى الغرب، يتوسط مدينة نجران، كان يعرف بالباطن. وتناقلت الأجيال عن تسميته أبي السعود أنه نسبة إلى أحد أمراء الدولة السعودية الثانية (الأمير سعود بن فيصل)، وعند دخول الأمير سعود بن عبدالعزيز الفيصل إلى نجران عام (١٣٥٢هـ) سأل عن هذا المكان فأجابه أحد مشائخ يام بقوله هذا (أبا السعود) فقال سموه حينها (أجل أبا السعود لابن سعود)، وأمر بإنشاء المباني الحكومية فيه وأصبح المقر الرئيسي للحكم في نجران. انظر دراسة للأستاذ حسين بن معدي بن معشي آل هتيلة في كتاب: القول المكتوب في تاريخ الجنوب (الرياض: مطابع الحميضي، ٣٢-١٤٣٣هـ/ ٢٠٢٠-٢٠١١م)، والطبعة الثانية، (مطبوعات جامعة الملك خالد/١٤٤٢هـ/٢٠٢٠م)، ج٣،ص٢٢٠، ٢٢٢وانظر أيضاً غيثان بن جريس. منطقة نجران: دراسات، وإضافات، وتعليقات(من قبل الإسلام-ق١٥هـ/ ق١-ق ٢١م) (الرياض: مطابع الحميضي١٤١١هـ/٢٠١٩م)، ج١،ص٤٨١-٤٩٠. (ابن جريس).

(٢) حبذا أن نرى باحثاً جاداً يدرس تاريخ السوق الشعبي في نجران خلال القرنين (١٣-١٤هـ/١٩-٢٠م)، ومازال هناك العديد من المصادر والوثائق غير المنشورة التي تصب في خدمة هذا الموضوع. (ابن جريس).

(٣) نعم الخنجر (الخناجر) المصنوعة في الجزيرة العربية موجودة في كثير من دول العالم، وقد شاهدت نماذج منها في بعض المتاحف التاريخية بالدول الأوربية، وفي كندا وأمريكا الشمالية، وأمريكا الجنوبية. كما شاهدت نماذج أخرى في بعض دول الشرق مثل إندونيسيا، وماليزيا، وبعض دول آسيا الوسطى. (ابن جريس).

(٤) انظر الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص ٢٢٣، ٢٩٦. سعيد الأفغاني أسواق العرب في الجاهلية والإسلام (دمشق، ١٩٦٠م)، ط٢، ص، ٢١٩. حمدان الكبيسي. أسواق العرب التجارية (بغداد، ١٩٨٩م)، ص٥، ٢٥.

الإشـارات أن في نجران أسـواق تجارية قديمة وكان لقبائل نجـران أسواقاً خاصة تقع ضمـن الرقع الجغرافية التي تسكنهـا كل قبيلة أو عشيرة، وربما وجدت فيها بسبب بعد الأسـواق الرئيسية عنها كسوق نجران. وأشار أحد المؤرخين المعاصرين أن لكل القبائل العربيـة عـادات قديمة في إقامة أسـواق أسبوعيه في مواقع شتى مـن البلاد المتجاورة، وكثـيراً ما يطلق على المكان اسم اليوم الـذي يعقد فيه السوق، والسوق مجتمع أسبوعي لأجـل تبادل السلـع والحاصلات الصناعية والتجارية، وفي تلـك الأسواق تقضى الأمور والدعـاوى، وتحل النزاعـات، وتجبى الرسوم الحكومية، وتبلـغ الإعلانات العامة، ومن عـادات أهل السوق أن يكونوا آمنين ما داموا فيه، والدخول يكون تحت حماية زعيم من الزعمـاء الذين يسمى السـوق باسمهم (في وجهه)، حيث كل سـوق له وثيقة خاصة به توضـع فيها ضوابط السوق والتعاملات فيه والحماية[١]. واشتهر في نجران عدة أسواق منها: (١) سوق الأحد وموقعه دحضه ويحميه الشيخ ابن منيف. (٢) سوق الاثنين عند بني سلمان ويحميه الشيخ ابن منيف. (٣) سوق الثلاثاء في بدر ويحميه الشيخ أبوساق. (٤) سوق الأربعاء قرب العان ويحميه الشيخ ابن نصيب. (٥) سوق الخميس في القابل ويحميه الشيخ ابن منيف. (٦) سوق الجمعة في صاغر ويحميه الشيخ أبو ساق[٢].

(*) الأسواق الشعبية :

تشتهر نجران بأسواقها الشعبية التي تضم كافة السلع والمنتجات الأثرية والتراثية ومـن هـذه الأسـواق: **(١) السـوق الشـعبي (الأدوات الشـعبية والفخاريـة) :** سوق متخصص ببيع المنتجات التقليدية والشعبية التي تشتهر بها منطقة نجران، يقع شرقي قصر الإمارة التاريخي، وهو مجموعة من المحلات التجارية. **(٢) سوق الجنابي:** سوق مبني بالمواد الأسمنتية، وسقوفه من المواد المسبقة الصنع كالحديد ونحوه. ويعد السوق الوحيد في المنطقة المتخصص لبيع الخناجر المصنوعة محلياً ويقع غربي قصر الإمارة

(١) انظـر سعيد الأفغـاني، أسواق العرب في الجاهلية والإسلام، ص٢١٦. (آل هتيلة). وأثناء تجوالي في بلاد السـروات وتهامـة من بـلاد نجران وظهـران الجنوب وجازان جنوبـاً إلى مكة والطائـف شمالاً حصرت عشرات الأسواق الأسبوعية التي يعود تاريخ بعضها إلى عصور ما قبل الإسلام، وخلال العصور الإسلامية المبكـرة والوسيطـة والحديثـة والمعاصرة. كمـا جمعت مئات الوثائـق الحديثة التي يعود تاريـخ بعضها إلى القرنين (٩-١٠هـ/١٥-١٦م)، ومادتها تشير إلى أسماء الأسواق في أماكن عديدة من جنوب شبه الجزيرة العربيـة، والقبائـل التي كانت تشـرف عليها، وبنود وشروط عديدة تصب في خدمـة السوق وحمايته. ومنذ خمـس سنـوات تجولت في عمـوم السروات من نجـران إلى الطائف ووقفت على أمكنة بعض تلك الأسـواق القديمـة فوجـدت معظمها اندثرت، وأصبح الناس لا يعرفون عنها شيئاً، وربمـا تغيرت أسماؤها وأماكنها. (ابن جريس).

(٢) للمزيـد انظـر دراسـة حسين بن معـدي آل هتيلة الآنف ذكرهـا، غيثان بن جريس. منطقـة نجران، ج١، ص٤٨٥-٤٨٦. وهذه الأسواق الأسبوعية تستحق أن يصدر عنها دراسة تفصيلية موثقة. (ابن جريس).

التاريخي. **(٣) سوق النساء:** سوق تقليدي قديم مغطى بألواح الزنك مخصص لبيع المنتجات النسائية ويقع الى الجهة الجنوبية من قصر الإمارة التاريخي [١].

٥ـ الصناعات الحرفية التقليدية :

تم الاعتماد والوصف على استخدامي ومشاهداتي لمعظم هذه الأدوات بشكل مباشر في حياتي اليومية خلال مراحل الطفولة وما بعدها، وهي : **(١) الصناعات الفخارية :** لا تزال صناعة العديد من الأواني الفخارية في نجران رائجة حتى الوقت الحاضر ومن أشهرها:

م	الاسم	الوصف
١ـ	البُرمة	وعاء للطبخ مصنوعة من الحجر أو الفخار.
٢ـ	التنور	فرن للخبز مغروس في الارض وتوقد النار داخله أثناء إعداد الخبز.
٣ـ	الزير	وعاء لتبريد وحفظ الماء يصنع من الفخار
٤ـ	المدهن	وعاء لتقديم الأكل مصنوع من الحجر أو الفخار.
٥ـ	الجِمَنَة	وعاء لإعداد القهوة مصنوع من الحديد الممزوج مع النحاس.

(٢) صناعة الحجر الصابوني: يعد المدهن من أهم مصنوعات الحجر الصابوني، ولا يزال يستخدم على نطاق واسع من قبل أهالي نجران حتى الآن وتختلف أشكاله وأحجامه واستخداماته وزخارفه المختلفة. **(٣) الصناعات الخشبية :** مازال الكثير من هذه المصنوعات تستخدم في نجران مثل: الأقداح، والمكاييل، والصحاف، والصناديق، والسرر، وغيرها، ويتم تزيين العديد منها بالزخارف الهندسية، والكتابات، والقطع المعدنية[٢]. **(٤) صناعة الخناجر والجنابي:** تمثل صناعة الخناجر أبرز الصناعات التي مازالت معروفة في نجران، لما تمثله لدى أهالي المنطقة من أهمية بصفتها زياً تقليدياً يحظى باهتمام كبير، وصناعة الخنجر اليوم من أبرز الصناعات التقليدية القائمة في البلاد النجرانية. **(٥) صناعة الحلي:** تشكل الحلي المصنوعة من الفضة

---

(١) يا محمد هذه الأسواق التي ذكرتها هي الأسواق الشعبية الموجودة في كل مكان من جنوب المملكة العربية السعودية. وقد شاهدت الكثير منها في مدن الطائف، والباحة، والنماص، وأبها، وخميس مشيط. وهذه الأسواق تعكس صوراً من التاريخ الحضاري الذي تعيشه المملكة العربية السعودية منذ ثمانينيات القرن الرابع عشر الهجري (٢٠م)، وهي جديرة بالدراسة والتوثيق. (ابن جريس).

(٢) عنوان ورقتك التي وصلتني عن الجنابي والخناجر في نجران،وهذا موضوع جيد وجديد يستحق أن يصدر عنه دراسة علمية توثيقية.وهنا تذكر حرفاً وصناعات تقليدية أخرى في نجران، وكان الأفضل أن تفصل الحديث عنها في دراسة أخرى، أو تذكر هذه المادة المنشورة هنا في الحواشي وليس في المتن. وهي أيضاً موضوعات جديدة تستحق أن تبسط في عدد من البحوث العلمية. (ابن جريس).

الغالبيـة العظمـى من زينة المرأة، ومنها ما يوضع حول العنق على شكل قلائد مثل اللبة واللازم والصمط التي تحتوي على أهداب بأشكال مختلفة حسب ذوق الصانع، وتطلى بالذهب أحيانا، أو تطعم بفصوص بعض الأحجار الكريمة، ومنها ما يوضع على الرأس مثـل الدنعـة والحلق، بينما تتـدلى الخرصان بجـوار الآذان، وتحلى الأيـدي بالحداود والمطـال التي تصنع على شكل أساور تحيط بالمعصم، في حين تحلى الأصابع بالخواتم، والأرجـل بالخلاخل التي تحتوي أحياناً على أهـداب تحدث رنينا في أثناء الحركة، كما يلبس الحزام حول الخصر. والفضة هي المادة الرئيسية لصنع معظم هذه الحلي. (٦)

صناعة النسيج والحياكة: صناعة النسيج تراجعت كثيرا في منطقة نجران عما كانت عليـه في عصور الإسلام المبكـرة والوسيطة، لكن مازالت تنتـج أنواعاً من المفروشات، والأدوات، وبيـوت الشعـر، ويشيع استعمالهـا في بادية المنطقة، ويقتصـر استعمالها في الحواضـر كنماذج لـتراث المنطقة، وتزين المصنوعـات الصوفيـة المعاصرة بزخارف متعـارف عليه، ومنهـا: (الصبر، والحامـي، والحاجب، ونترة صغـيرة، ونترة كبيرة، وبتحـة، وفـرخ، وغيرها) وهـذه تصنع من الصـوف بأنواعه وشعر الماعـز والوبر ومن المنسوجات الصوفية التي ما زالت قائمة، بعض النماذج مثل: [١].

م	الإسم	الوصف
١-	الخرج	حاوية لحمل الأمتعة على ظهور الدواب.
٢-	المجرة	فراش صغير.
٣-	بساط	غالبا ما يكون أسود.
٤-	العذر	للإبل.
٥-	قلائد	للخيول.
٦-	رداعه	فراش صغير.
٧-	الساحة	فراش.
٨-	الهدر	فراش طويل وعريض.
٩-	البطانة	لتبطين بيوت الشعر.

(١) يـا أستاذ محمـد المفروض ألا تنشر هذه المادة هنـا، وحديثي يدور حول المنهج العلمـي، فالموضوع المرسل لي عـن الخنجـر والجنبية. لكن الذي جعلني أترك هـذه المادة في مكانها الذي وصلتنـي عليه أنها تحتوي علـى عـدد من الجوانب المهمة الجديـرة بالدراسة والبحث. فهي تتحدث عـن مصنوعات وحرف مارسها النجرانيـون قديماً ومازال يمارس بعضها على نطاق محدود حتى اليـوم. والميزة الأخرى أنها تشتمل على أسمـاء ومفـردات تتعلق بهذه المصنوعات ونحـن في أمسّ الحاجة إلى صدور معاجـم لغوية تحفظ أسماء الأدوات والمهـن القديمـة، فقد ضاع الكثير منها، وسوف تأتي الأجيال القادمـة ولا تعرف عن هذا التاريخ الحضـاري أي شـيء، أرجو من جامعة نجران أن تنشئ مراكز بحـوث متخصصة في دارسة تاريخ وتراث وموروث ولهجات وفنون منطقة نجران، فهي جديرة بالاهتمام والخدمة العلمية التوثيقية. (ابن جريس).

٧- **صناعة الجلود:** تبرز الصناعة الجلدية في منطقة نجران أحد الجوانب الفنية التي مارسهـا سكانها منذ عصورها القديمة، واستخدمت جلـود البقر والجمال والغنم والماعز بعد دباغتها وتجهيزها، ومن أبرز الصناعات الجلدية التي مازالت قائمة حتى الآن:

م	الاسم	الوصف
١-	المَسَب	جراب لحمل الغذاء، ويحمل على الكتف بواسطة سير من الجلد.
٢-	الزمالة	حاوية كبيرة تستعمل لحفظ الأشياء الخاصة.
٣-	الميزب	أداة تستعمل لحمل الطفل الرضيع، وتحمل على الكتف عند الحاجة، وتتم صناعتها بأساليب مختلفة، كما أنها مزودة بزخارف جميلة.
٤-	المسبت	حزام من الجلد يحيط بالخصر، ويتفرع من الخلف إلى جزأين يوضعان على الكتفين.
٥-	القطف	جراب أصغر من العصم، وتحفظ به القهوة.
٦-	العصم	جراب من الجلد صغير الحجم، له فتحة تقفل بسير من الجلد.

وقد وصف فلبي سوق نجران فذكر أنه يوجد بجوار القصرٍ السوق الشعبي في منطقة أبا السعود (البلد) ويشكل بدكاكينه ومحلاته وممراته متحفاً كبيراً يختزل تراث نجران وموروثها الشعبي من الأدوات والحرف والصناعات القديمة والمنتجات الزراعية، حيث يضم سوقاً للجنابي (الخناجر)، وسوقاً للنساء (تبيع فيه السيدات بضائع متنوعة منذ عقـود)[(١)] وفي هذا مؤشر على قوة المـرأة النجرانية ومقدرتها على العمل والمساهمة في القوامـة على بيتها وأسرتها متـى ما دفعتها الحاجة إلى ذلك، مدعومة بثقافة نجرانية أصيلة تؤمن بكفاءة المرأة وقدراتها الفكرية والمهنية ودورها الحيوي في بناء المجتمع[(٢)]. كمـا يضم السوق محـلات للحدادة وأخرى لصناعـة الأواني الفخارية، وأخرى لدباغة الجلـودٍ وصناعة المستلزمات الجلدية القديمة التي مـازال البعض يستخدمها إلى الآن وخاصـة سكّان البادية كالميزب والمـزادة والقطف...، ومحلات لبيـع الفضة، ودكاٍكين لبيـع الحبوب (البر والشعير والـذرة)، والتوابل والبهارات بأنواعهـا، ويضم عدداً من العطّـارات، ومحـلات للحياكة، وأخرى للصناعات الخوصيّة وهـي تلك التي تصنع من سعف النخيل كالمطارح والمكانس والمهفات والزنابيل.

---

(١) انظـر هاري سانت جون فلبي. مرتفعات الجزيـرة العربية، راجعه وعلق عليه غيثان بن جريس(الرياض: مكتبة العبيكان١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م)، ج١، ص (٥٣٠-٥٣١) .

(٢) الرحالـة والرحالون الأجانب والعرب حفظوا الكثير من تراثنا خلال العصر الحديث ، وليس فلبي الوحيد الـذي جاء إلى نجران ، وإنما هناك رحالـة آخرون عرب ومسلمون وغير مسلمين زاروا نجران ، أو سمعوا بعضـ أخبارها وتراثهـا ودون عنها الشيء الكثير في مدوناتهم الأجنبية، وبعضها ترجم إلى اللغة العربية. وبـلاد نجران مذكـورة في الكثير من المصادر اللاتينيـة والسريانية والحبشية وغيرهـا. والمدون عنها في تلك المصـادر الكلاسيكية جديرة بالترجمة والتعليقات ثم الطباعة والنشر. للمزيد انظر دراسات عديدة عـن نجـران قبل الإسلام وبعده ، وفي كتب الرحالة المتقدمين والمتأخريـن، وفي بعض المصادر الأجنبية في (موسوعة القول المكتوب في تاريخ الجنوب)، الأجزاء (١٥، ١٨، ٢٠، ٢١) . (ابن جريس) .

ومقر السوق الأسبوعي (يقام يومي الاثنين والخميس) ، يقام سوق الاثنين في أرض واسعة مجاورة للقصر، مخصصة للمعسكرات وتمتد من محاذاة الجدار الجنوبي للقصر الى الحافة العريضة للمزارع، وبها صف من الدكاكين ذات الدور الواحد المبنية من اللبن (بنتها الحكومة وتؤجرها على التجار)، ويقوم بعضهم بتخزين بضائعهم، أما البقية من البائعين فينصبون الخيام بشكل موقت حول المتاجر والأكشاك، بعضهم يشتري والبعض يتجاذبون الحديث مع بعضهم البعض، والآخرون يراقبون عملياتٍ البيع والشراء. وكان عدد المحلات التي تعمل بشكل دوري واحداً وعشرين محلاً أنشأتها الحكومة وكان إيجارها قرابة عشرين ريالاً، حيث يوجد في السوق مكان كبير للمناداة[1]. كان يجمع من عليها الزكاة وخصوصاً زكاة التمر، والمميز أن هذا السوق يتردد عليه جميع أفراد القبائل والمشايخ. وعملية البيع والشراء تتم بالمقايضة (وهو أسلوب قديم منتشر في أرجاء الجزيرة العربية) حيث المد (يساوي صاعين)[2] من الدخن" وهو مائل الى الصفرة بعد الطحن وهو غير الذرة" يباع مقابل فنجان مملوء بالبن، أو أي سلعة أخرى. كذلك يتم التعامل بالإنجليزي جورج أيمن ويساوي عشرين فرانسي، جورج أيسر ويساوي سبعة عشر فرانسي (يقال فرانسي باللهجة المحلية)، وهو الريال الفرانسي يساوي أربعين بقشة (عملة يمنية) والبقشة قطعة ذات عشر بقش (ربع فرانسي) وقطعة ذات خمس بقش (ثمن فرانسي) وقطعة ذات أربع بقش(عشر فرانسي) معمولة من النيكل الأبيض، كذلك قطعة ذات بقشة واحدة، وقطعة ذاتٍ نصف بقشة، وقطعة ذات ربع بقشة، وهذه الثلاث معمولة من النحاس الأحمر. علماً بأن الكيلو جرام يساوي وزن خمس وثلاثين أوقية، وهذه العملة المتداولة، وإلا فمعظم الأشياء يتبادلون بعضه ببعض (مقايضة)[3].

٦. سوق الجنابي والخناجر في نجران.

سوق الجنابي في نجران رمز لا يقل أهمية عن المعالم الأخرى المنتشرة في منطقة نجران بين الأثرية والسياحية، باعتباره الأشهر ليس على مستوى أسواق نجران، بل على مستوى الأسواق الشعبية في المملكة، نظرا لحجم مبيعاته، وحركة البيع والشراء

(١) سوق نجران القديم يستحق أن يفرد له كتاب أو رسالة علمية ، وهناك الكثير من الوثائق غير المنشورة التي تفيد في دارسة وتوثيق تاريخ هذا السوق الحضاري. والمناداة: مكان مرتفع في السوق تعلن من عليه الأخبار المتنوعة، ويعرف أيضاً باسم (الراية) أو (المبدأ). انظر: فلبي، مرتفعات الجزيرة العربية، ج١، ص٥٣٢. حاشية رقم (١). (ابن جريس) .

(٢) الصاع الواحد يساوي أربعة أمداد ، أو (٢،٦) كجم .

(٣) انظر فلبي، مرتفعات الجزيرة العربية، ج١، ص٥٧٤ . (آل هتيلة). للمزيد عن فلبي وغيره من الرحالة الذين كتبوا عن نجران من القرن الثاني الهجري حتى عصرنا الحديث انظر: دراسة بعنوان: " نجران عند بعض الجغرافيين والرحالين والمؤرخين المتقدمين والمتأخرين". منشورة في: موسوعة القول المكتوب في تاريخ الجنوب (الرياض: مطابع الحميضي، ١٤٤٠هـ/٢٠١٩م). (الطبعة الأولى)، ج١٥، ٩،١٠٩-١٨٤. (الطبعة الثانية : مطبوعات جامعة الملك خالد ، ١٤٤٢هـ/٢٠٢٠م)، ص١٠٩ . (ابن جريس) .

فيـه، ومن الصعـب أن يقاوم كل مـن قادته قَدَمَاه سـواء كان سائحـاً أو زائرا جاذبية هـذا السوق الشعبـي العتيق حيث تعكس صناعـة الجنابي والخناجر ذوقـاً فنيا وتراثاً عريقاً للمنطقة[١]. ويقع السوق في حي "أبا السعود" التاريخي (يعتبر من أشهر المواقع التاريخيـة في نجران وهو العاصمة الادارية القديمـة لنجران كان بها قصر الحكم[٢]. ولازال مشيداً إلى الآن والمدرسة الأميرية بجواره والمستوصف وجميع الأسواق[٣]، ويقف شامخـاً في وجه التحديث، خاصةً أنه يستمد وجـوده وشهرته من تمسك أهالي نجران وتميزهـم بالجنبيـة[٤]. يقول أمير نجران السابـق تركي الماضي عن سـوق أبا السعود "بعـد قدومنا لنجران وجدنا عـدد الدكاكين لا تتجاوز الثلاثين فطورناها حتى تجاوزت الستـين دكانـاً "[٥]. وتصنع الجنابي مـن الحديد بمقبض من قـرون بعض الحيوانات ويُحلّـى بقطـع فضية أو ذهبية ويُصنع الغمد من الخشب المغطى بالجلد أو بصفائح من الفضـة ويثبـتُ الغمدُ في حزامٍ من الجلدَ. والجنابي متعـددة أشكالها وأصنافها منها : المحلية وتشمل (أمَ تسعة أو أم فصوص) والمشطف، وهناك نوع آخر من الجنابي يسمى (بالمكعب) و (الدرما)[٦].

ورأس الجنبية أو الخنجر المعروف بـ (المقبَض) هو ما يميز جودتها ومنها (الزَراف) يميـل إلى اللـون الأصفر والأحمر الخفيف غَالي الثمن ويعـد أفضل الأنواع، وهناك نوع آخـر لونـه أبيض يميـل إلى الاصفـرار، والنوع الثالث القَـرن، وتكسو أشكـال المقابض الذهـب أو الفضة، ثم يأتي الطَوق يليه الصَدر وهو صفائح وأسلاك دقيقة وحلقات من الفضة،ثـم القطاعة وتمثـل الجَسد أو الغمد وغالباً تتكون مـن صفائح فضية أو ذهبية مزخرفـة بنقوش بديعة، ويُغطّى الجـزء الَخلفي من الخنجر بالمخمـل أو الصوف، أما

---

(١) قابلت مع الشخص المسؤول عن السوق صالح ياسين وأفاد بحجم الإقبال على السوق وبالذات قبل الأعياد وفي العطل الرسمية .

(٢) يعـد نموذجـاً للعمارة التقليديـة بالمنطقة حيث استخدم قديمـاً مقراً للإمارة وبعض الإدارات الحكومية الأخرى، والمبنى يتكون من طابقين على شكل قلعة ذات أسوار عالية أقيمت في أركانه الأربعة أبراج دائرية للمراقبـة ويضـم حوالي ستين غرفة وبئـراً قديمة مطوية بالحجارة ومسجـداً. (آل هتيلة) . انظر دراسة حسين بن معدي آل هتيلة السابق ذكرها . (ابن جريس) .

(٣) يمكـن الرجـوع إلى مرتفعات الجزيـرة العربية، ج١، ص٤٣٦ هـاري سانت جون فلبـي، راجعه وعلق عليه غيثـان بن علـي بن جريس، مكتبة العبيكـان ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م) وذلك لمزيد من المعلومـات عن أبا السعود والأسواق المحيطة به وقصر ابن ماضي انظر: سيد الماحي، نجران الحديثة ص ١١٨، فؤاد حمزة٠ في بلاد عسير. ط ١٣٨٨، ٢٠/١٩٦٨م .الناشر/ مكتبة النصر الحديث ، الرياض، ص١٧٦ .

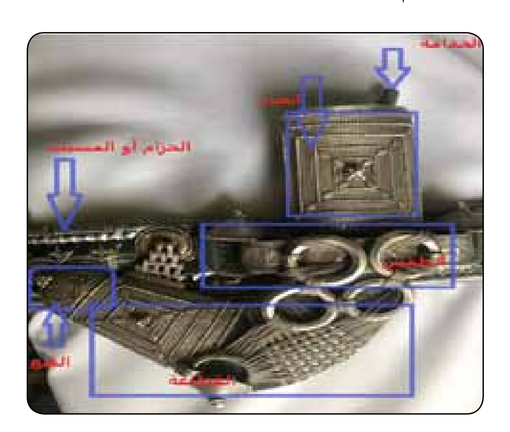
(٤) استراتيجية التنمية السياحية بمنطقة نجران ، الهيئة العامة للسياحة والآثار ، ص٨٨ .

(٥) من مذكرات تركي الماضي عن العلاقات السعودية اليمنية ، ١٣٤٢ـ١٣٧١هـ/١٩٢٤ـ١٩٥٤م) ط١، ١٤١٧هـ، طبع على نفقة الأمير سلمان بن عبدالعزيز .

(٦) حبذا لو أوردت تعريفات لهذه الأنواع من الجنابي . (ابن جريس) .

(السلة) فلها أشكال متعددة وأبرزها المسمار الهندي والحضرمي.

والخنجـر يلحق بالسيف لأنـه من نوعه، وكان المحارب يحمـل الخنجر في منطقته (حزامـه) أو تحـت ثيابه فـإذا التحم بعدوه طعنـه بها خلسة، وكانت بعض النساء في العصور الأولي يحملن الخنجر في الغزوات المختلفة تحت ثيابهن للدفاع الشخصي. وتم العثـور مؤخراً في منطقة بئر حمى ويَدَمة بنجران على نقوش ورسوم صخرية لأشخاص يتقلـدون الخناجـر والسيوف والسكاكـين والنِبال التـي كانت تُستخـدم في الدفاع عن النفس. والجنابي أنواع: نجـراني، وصنعانـي، وأَرحبي، وكلٌ له ميزة. الصنعاني رأسها مُقَـرّن وسلتها عريضـة، والأرحبي رأسها طويل وسلتها طويلـة، والنجراني رأسها أدرم وسلتها رهيفة. والجنبية أكبر من الخنجر وأصغر من السيف طولها قرابة الذراع، وهي سلاح قبائل جنوب المملكة واليمن وعمان والامارات في قديم الزمان ومازالوا يتفاخرون بهـا الى الوقت الحالي. ونجد الاساطير في الثقافات الاخرى عن فرسانهم و أسلحتهم ونجدهم يفتخرون بهذه الثقافة مثل اساطير هرقل و أساطير الساموراي وغيرهم وعن سيوفهم الاسطورية .





الخدامة سكين صغيرة توضع خلف الخنجر أو الجنبية
وسميت بالخدامة لأنها تنوب عن الخنجر في تقطيع اللحم وخلافه

٧ـ مكونات الجنبية :

أـ الرأس :

الرأسـ (المقبض) وهو الجـزء الذي تتوقف عليـه قيمة الجنبية فهو أهـم أجزائها، والجنبية والخنجر من السلاح الأبيض، إلا أن الخنجر يتميز بمقبضه الفضي، أما الجنبية فيصنـع رأسها من قرون وحيـد القرن وقرون الوعل وسن الفيل أومـن المواد البلاستيكية

والخشـب، علمـا بأن هناك العديد مـن التسميات لـ أنواع الرؤوسـ (المقبض): مثل: **(١) الصَـيفاني (الـزراف):** ويـتراوح عمـر الجنبيـة التي تحمـل رأسـا صيفانيا بـين (٤٠٠ إلى١٥٠٠) عـام، وهي لا تقدر بثمـن وسمي صيفاني لشدة صفائه ورونقـه. ويُسمى أيضا القلب لأنه يؤخذ من لب قرن وحيد القرن ويميل لونه إلى الاصفرار المشوب بحمره خفيفة، وشفـاف نوعا ما، وهو أغلى الرؤوس فقد يصل سعـره إلى مبالغ خيالية، ومع مرور الوقت وكثرة اللمس والاستخدام للمقبض الصيفاني يكتسب جمالا وقيمة لأن اللمس يضفي عليه المزيـد مـن البهاء والنعومـة إذ يتغير لونه من قـاتم إلى فاتح إلى شفـاف كالزجاج، ومن أسبـاب ارتفاع ثمن هذا النوع في الآونة الأخيرة قـرار منظمة حماية حقوق الحيوان الذي منع استيراد قرون وحيد القرن خوفا عليه من الانقراض. **(٢) الأسعدي:** (يأتي في الدرجة الثانيـة) وقيل بأنه يرجع إلى أحد ملوك اليمن القدماء وهو الحاكم أسعد الكامل[١]. **(٣) العاجـي:** المصنـوع من عاج سن الفيل يأتي من الهند ولونـه أبيض والبعض منه يميل إلى الاصفـرار الخفيف وثمنه مرتفع إلى حد ما. **(٤) الكرك:** يصنع من قرون البقر وهو أقل الرؤوس ثمنا. **(٥) البلاستك والفيبر والخشب** وهو الأقل في السعر.

كما أن القرون والعظام لا تتغير أحوالها بمرور الزمن بل تزداد جمالا وبهاء، وجرت العـادة على استخدام الذهـب والفضة في تزيين مقبض الجنبيـة، ويتم استيراد قرون وحيـد القرن مـن كينيا ودول القـرن الإفريقي والهند أما قرون البقـر فمتوفرة محليا. ويصنع رأس الجنبية بطريقة يدوية وبآلات بسيطة حيث يقوم الحرَفيّ بتقطيع القرن أو السن أو الخشب ونحته وصَنفرته، وصناعته على الشكل المطلوب. وتمر صناعة الجنبية بمراحـل معروفة لدى صانعي الجنابي، تبدأ من رأسها بقَطع القرن إلى أحجام محددة مابين(١٠ــ١٢سم) وعرض (٤سم) يليها نشر الرأس المقطوع بالقدوم،ثم برده بمبرد، يلي ذلك زراعة الرأس وكي قشرته الخارجية بالنار، ثم تركيب النصل والحروف.

أمـا الرؤوس البلاستيكية (الفايبر) فتُصب في قوالـب بعد صهرها، بعد ذلك يتم تزيـين رأس الجنبية بقطعتين من الذهب أو الفضة يُسميان بالزهرتين وهما على شكل جنيهـات ذهبيـة دائرية الشكل تثبت مـن الخلف بقضيب أو مسمار مـن النحاس، وقد تكـون هـذه الزَهَرات من الحديد أو الفضة المصبوغ باللـون الأصفر أو الأحمر الباهت، ويُنحت عليها رسومات وأشكال مختلفة، ويحيط بأسفل رأس الجنبية ما يسمى بالمَبسَم وهو إطار معدني مستطيل الشكل يصنع غالبا من الذهب والفضة أو كليهما أو المعدن[٢].

---

(١) سمعت هذه المعلومات عند معظم تجار السوق ، ولم أجد مصدراً يؤكد هذا القول أو ينفيه .

(٢) أفـاد العـم محمد وهو أحـد الصناع في السوق بالمعلومـات المشار إليها بالأعلى وقـد تم تصوير بعض هذه الخطوات أثناء العمل. انظر عبدالعزيز منسي، آثار منطقة نجران ، ص١٣٨ .



الصور أعلاه توضح مراحل صناعة بعض أجزاء الجنبية

ب ـ النصلة (السلة)

قطعة معدنية حديدية بالغة الحدة (كالموسى أو أشد) في كلا الوجهين، وفي وسطها خط مجوف إلى الأعلى يسمى (العاير أو المعيرة)، وهذا العاير يسمح بدخول الهواء في جرح المطعون بالجنبية، ويؤدي إلى إصابة الجرح بالتسمم. ومن أهم أنواع النصال (السلال): الحضرمي والعدني والزنك والمِبرد والهندوان والبتار وأفضلها الحضرمي والهنَدوان. وتلعب النصلة دوراً كبيراً في تحديد قيمة الجنبية ماديا، ومن ناحية الاستخدام فبعضها مسنونة جدا بشكل مريع وتحتفظ بهذه الحدة ولا تفقدها، لذلك تتفاوت الأسعار حسب نوع الحديد المصنوعة منه ويتم صناعتها بطريقة يدوية، ويجري توسيع النصلة عن طريق الطَرق لتصبح رقيقة جداً، وبعد ذلك يتم صَنفرتها وصقلها وتلميعها وتجهيزها لعملية الإلصاق برأس الجنبية، ثم يُصب اللّحام الذي يتكون من اللبان (نوع من اللّحام) والرماد والزيت في مبسم الجنبية من أجل تثبيتها بإحكام شديد وإعطائها المنظر الجميل. كانت السلة تأتي من حضرموت من نيازك تسقط على وادي برهوت (بحضرموت)، ونُسجت حولها الكثير من الحكايات المعتمدة على الميثولوجيا، يجلبونها الحضارم إلى نجران، ويقال سلتها حضرمي، كانت تصنعها الجالية اليهودية التي تقطن نجران قديما ورؤوسها من القرن، وبعضها زراف وصيفاني صنعاني، وهي

قليله اليوم، ودخل عليها بعض التحسينات ولا زالت رمزاً أصيلاً [(١)].




صور تبين مراحل صقل سلة الجنبية وبردها وتلميعها

ج- العَسيب :

الجزء الخشبي الذي توضع بداخله الجنبية (الغمد)، يصنع من الخشب الخفيف مثـل خشب البرقـوق أو العشـار (وهو الشائـع حالياً)، يتـم نحته وتجهيزه ثـم تغليفه "بالجلـد" وخيـوط الخيـزران أو تغليفـه بالزنك المطعـم بالذهب والفضـة والنقوش. والأغمـدة نوعان: **(١) الحاشـدي:** أكـثر انتشاراً ويتميز بصغر زاويـة انحناء مؤخرة الغمـد وشكله يشبه حرف اللام وهو الأكثر استخداماً في الوقت الحالي. **(٢) البَكيلي:** وهو على شكل حرف الراء وهو يشبه غمد السيف.

(د) الحزام :

يثبت فيـه العسيب (غمد الجنبيـة) في منتصفه، وبواسطة هـذا الحزام يستطيع الرجـل ارتداء الجنبيـة بتثبيتها أسفل بطنـه، ويتم لف الحزام علـى الخصر، وهناك عدد كبير من صانعي الأحزمة في هذا المكان. ونجد صناعة الأحزمة الخاصة بالجنابي لها طابعهـا الخاص وفنونها المتميزة، وتطرز الأحزمـة بواسطة "الخيوط"، والتطريز الجيـد هو الذي يتـم يدويا فيأخذ عـدة ألوان ورسومـات متناسقة وجميلـة، ومن أنوع هـذه الأحزمة: **(١) المفضلي:** أفضلها سمي بهذا الاسم نسبة إلى بيت المفضل المشهور

(١) انظر ويكبيديا (تاريخ اخذ الرابط ٢٠١٩/٨/١٨م)
https://ar.wikipedia.org/wiki/%D988%%D8%A7%D8%AF%D98%A_%D8%A8%D8%B1%D987%%D988%%D8%AA
ابلغني عدد من كبار السن "من الذين تجاوزت أعمارهم السبعين عاماً" بتلك المعلومة ومنهم العم محمد القحص والعم مانع مدان وغيرهم .

بصنع هذا النوع (في اليمن). **(٢) المتوكلي:** ترجع تسمية هذا الحزام للإمام المتوكل. والكبسي. والطيري. والمركزي. والمرهبي: وهو الأرخص ثمناً. وتتفاوت الأحزمة تبعاً لتفاوت واختلاف أنواع الخيوط المستخدمة في تطريزه. وتطرز غالبية الأحزمة بالخيوط الذهبية التي تسمى (بالسيم)، والسيم نوعان الأصلي والعادي، ويطرز الحزام بالرسم الأولي للحزام على قطعة من القماش، يتم تطريزها بالنقوش والصور، أما الأحزمة التي تفصل باستخدام آلات الخياطة الحديثة فليس لها أي قيمة معنوية تذكر وهي رخيصة الثمن.





صور بعض أنواع أحزمة الجنبية أو الخناجر في سوق نجران الشعبي

٨ ـ استخداماتها :

تكمن أهمية استخدام الجنابي كسلاح قاطع كما هو حال السيوف والسكاكين والخناجر. أما مجتمع جنوب الجزيرة العربية إجمالاً فتعد الجنبية والخنجر في الواقع سلاحا يستخدم في المناسبات الشعبية أثناء الاحتفالات والرقص، ويلاحظ استخدامها لإضفاء صفة الرجولة على مستخدميها في الوطن العربي. ومن أنواع الجنابي حسب أماكن توفرها، هي: **(١) الجنبية الصَيفانية:** أغلاها على الإطلاق. **(٢) الجنبية الحاشدية:** نسبة إلى قبيلة حاشد الهمدانية. **(٣) الجنبية البكيلية:** نسبة إلى قبيلة بكيل الهمدانية. **(٤) الجنبية الحضرمية:** نسبة إلى حضرموت. **(٥) الجنبية التوزة:** التي تتميز بحزام عريض ووضعها يكون مائلا على خصر من يلبسها. **(٦) جنبية البرق:** وهي مصنوعة من حديد من نوع خاص يسمى حديد البرقة ويُؤخذ هذا الحديد من اصطدام البرق عند نزوله من السماء بصخور فيتكون حديد ذو قوة كبيرة، وهذه الجنبية تستطيع أن تقطع الحديد ويتم سنها بالهواء لها توازن غريب لا تُصدر أصوات، ربما يستغرب الجميع من هذا الكلام سوف يدهش وربما يكذب أويضحك لما يقرأه ولكن هذه الحقيقة التي لا يعلم عنها سوى

من يملكها فقط (وقد يدخل جانب الميثولوجيا في هذا الجانب). وللجنبية مقياس تقاس به وجاهة الأشخاص ومكانتهم الاجتماعية وهي هكذا حتى اليوم.

(*) الجنبية الحضرمية :

أربعة أنواع، هي: **(أ): الجنبية القديمي:** من الحديد الهندوان يجلب عادة من مناجم الحديد في الهند، وهو أقرب إلى الفولاذ، حديد معالج يتعرض إلى درجات حرارة عالية وصقل بارع لظهور اللمعة، والجنبية القديمي تكون قصيرة نوعاً ما ويميل ثلثاها الأسفل إلى الانحدار والانحناء السريع، وليست عريضة. **(ب) الجنبية القصبي:** أطول من القديمي وأعرض بشيء بسيط. **(ج) الجنبية الحسيني:** يقال إنها أقصر من القصبي وليست عريضة، وعموماً فقد انقرضت هذه الجنبية من الصنع والاستعمال. **(د) الجنبية القبلي:** جنابي طويلة نوعاً ما وعريضة وهي من أجمل الجنابي صنعاً وحديداً وصقلاً مرغوبة عند قبائل القبلة في حضرموت وقبائل اليمن وقبائل المنطقة الجنوبية بالمملكة العربية السعودية ومنها غامد وزهران وخثعم وبلقرن وبني عمرو وهي أغلى الجنابي وأثمنها على الإطلاق.

٩. أنواع الجنابي في نجران:

في سوق نجران العديد من الجنابي المحّلية مثل : **(١) الذرور:** بدون فصوص وتشبه الخنجر. **(٢) شطفة :** عادي بدون تجميل وبدون فصوص. **(٣) مفصص:** منها ما يكون بتسعة فصوص ، وستة فصوص ، وخمسة فصوص ، وفص واحد. **(٤) الدرما:** يقول الشاعر :

أخـــــوك لمـــا غـــاب أخـــوك   درم الســلب لاتسـلح سـواها

(٥) المكعب: يكون رأسها مكعب الشكل، أما الخناجر فمنها السعودي، ويكون مركوزاً أثناء اللبس. والعماني: وفيها ميلان حين لبسها.

١٠. التأثير الاقتصادي والاجتماعي للجنبية في منطقة نجران :

يشتهر أهالي منطقة نجران بارتداء الجنبية،وهي من الخناجر العربية تربط بحزام يلف حول خاصرة الرجل وتعطيه ثقة أكثر بنفسه، كان الناس قديما يلبسونها تحسبا لأي طارئ دفاعا عن النفس، ومن المواقف الطريفة التي شاهدتها بنفسي قبل أكثر من (٣٠) سنة تنازع شخصان أمامي وقبل الاشتباك رمى كلٌ منهم خنجره في موقف بطولي ينم عن شجاعة وذلك من أجل أن لا يعيب كل منهم الآخر، وتُستخدم

حالياً لزينة الرجل وتلبس في المناسبات كرمز للأصالة ومصدر للفخر، ولها قيمة اجتماعية عالية يتفاخر بها الناس فيما بينهم إلى درجة أنها تعتبر أغلى هدية يقدمها النجراني إلى من يحب، وماتزال صناعة الخنجر من أبرز الصناعات التقليدية القائمة في منطقة نجران يتوارثها الناس جيلاً بعد جيل، وتكون من نصيب الابن البكر بعد وفاة والده كنوع من الكبارة (أي أكبر الأخوة سناً) ، ويجوز أن يحدد الإهداء من قبل الوالد لأحد الأبناء أو الأحفاد. وتستخدم في المناسبات الرسمية والاجتماعية مثل الأعياد والزواجات والمنصد القبلي وفي معظم جوانب الحياة الاجتماعية، بل هنالك أناس لاتفارق (الجنابي أو الخناجر) جنوبهم إلا وقت النوم.

والجميل هو محافظة الشباب والأجيال الصاعدة على هذا الإرث وحرصهم على اقتنائها في المناسبات وحرصهم على زيارة سوق الجنابي لاقتناء المميز منها وتعديل بعض الجنابي التي تحتاج إلى تعديل أو تزيين. الملفت للنظر هو حجم المبيعات لهذا السوق حيث يوجد أكثر من (٨٠) محلاً متخصصاً للبيع خلاف من يبيع في الممرات ويعتبر زبائنه من مختلف مناطق المملكة وبعض دول الخليج واليمن، وكذلك السياح القادمون لمنطقة نجران، ويبلغ متوسط البيع والشراء السنوي للسوق سنويا تقريبا (بما يفوق خمسة عشر مليون ريال)[١].

وفي هذا السوق الذي يختص بصناعة وصيانة وبيع وشراء الخناجر برزت الجنابي والخناجر النجرانية الصنع التي لاتزال قائمة في منطقة نجران ولها أهميتها الكبيرة لأهالي المنطقة بصفتها زياً تقليدياً هاماً حيث تعد الجنابي رمزاً للشجاعة وتستخدم سلاحاً للدفاع عن النفس واستمرت حتى الآن رمزاً للأصالة ومصدراً للفخر وزياً للمناسبات، ومازالت صناعة الخنجر من أبرز الصناعات التقليدية القائمة في منطقة نجران.

(١) من النقاش مع ملاك السوق والعاملين فيه تم رصد حركة البيع والشراء السنوي في السوق بالمبلغ المقدر بالأعلى (وهو رقم تقريبي يزيد وينقص حسب الحركة). رابط الخبر عن بيع جنبية بمليون ريال (تاريخ اخذ الرابط ٢٠١٩/٨/٥م) .

https://makkahnewspaper.com/article/17964

خبر آخر عن الجنبية واقبال الزوار عليها في مهرجان الجنادرية (تاريخ أخذ الرابط ٢٠١٩/٨/٥م)

https://makkahnewspaper.com/article131014

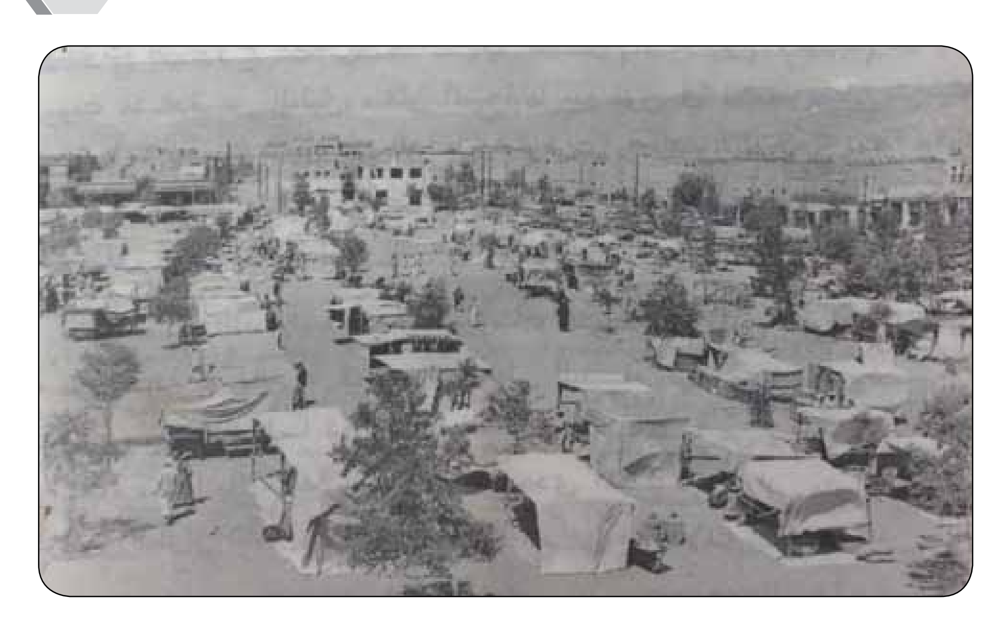
خبر آخر لازدهار سوق الجنابي في نجران في مواسم الأعياد (تاريخ أخذ الرابط ٢٠١٩/٨/٥م)



الخنجر يتميز بمقبضه الفضي (والرأس من الزراف الصافي)



جنبية صنع رأسها من قرون وحيد القرن وقرون الوعل وهي مزينة بفصوص الذهب والسلة حضرمي (وهذه الجنبية هي إهداء من والدي رحمه الله قبل وفاته قبل خمسين عاماً لي ولازلت محتفظاً بها لأهميتها)



صورة للسوق الشعبي بأبا السعود بنجران (انظر سيد الماحي، نجران الحديثة،ص١١٧)



قصر الإمارة في ابا السعود(بعد تجديده من قبل هيئه السياحة والتراث الوطني)

الخاتمة:

تعـد الجنابـي والخناجر من الصناعـات المهمة في منطقة نجـران، ولعلنا نرى في القريـب العاجل العمل على إدراجها ضمن الـتراث العالمي، لما تمثله من أهمية تاريخية واقتصادية وثقافية ليست لنجران وحدها بل لعدد كبير من السكان في الجزيرة العربية. وقـد استفـدت شخصياً مـن خلال الزيـارات الميدانيـة ومقابلة كبار السنِ عن بعض التفاصيـل المهمـة عن الخنجر والجنبية رغم أنى كنت أتوقـع أني كنت ملماً بالتفاصيل والمعلومـات عنها، لكن اتضح مـدى تواضع معلوماتي بعد ما سمعتـه من الأهالي وكبار السن في سوق الجنابي والخناجر في نجران. يضاف الى ذلك المردود الاقتصادي العالي لمـن يعملون في هذه المهنة، والأهم هو مشاهدتي ارتياد الشباب وكبار السن للسوق وهم متمنطقون بالجنابي أو الخناجر وتفاخرهم بذلك وارتدائها في المناسبات المختلفة.

صناعة الجنابي والخناجر بنجران يكاد يكون الأشهر فقد أصبح مزاراً للسياح والزوار، ومصدر دخل جيد لعدد كبير من المواطنين، كما وجدت أن صناعة الجنبية النجرانية تمر بعـدة مراحل وهي: (١) الرأس وأنواعه النوع الأول والثمـين هو (الزراف)، والنوع الثاني (العـاج)، والثالث (القرن)، والنوع الرابع (الوتر)، والنوع الخامس (البلاستيك)، وكلها تأتـي نوعـاً خاماً بشكل مكعـب وتحك حسب الرأسـ وكبره حسب الشـكل المرغوب. (٢) السلـة عدة أنواع وأجودها (الحضرمي). (٣) الخطمـة فاصل بين الرأس والسلة ومادته مـن الفضة والحديـد والنحاس. (٤) الزهر في وجـه الرأس ومادته مـن الذهب والفضة والنحاسـ. (٥) الجفـل أو الغلاف لـه عدة مراحل البدايـة من الخشب أشجـار العشر، وتغلف بالجلد بعد حكها على مقاس الجنبية، تغلف بالجلد ثم ينقش ويطرز بشكل جمالي. (٦) الحزام عدة أنواع من الجلد والبلاستيك وتكون جاهزة للعرض واللبس.

وعـدد المحـلات تقريبـاً ثمانون محـلاً في مختلف صناعـات الجنبيـة، وكل محل مخصصـ بصناعة نـوع من أنواع تأسيس الجنبية كالرأسـ والسلة والخطمه والغلاف والحـزام والزهـر، ويبلـغ عدد العاملـين فيه بشكل يومـي فـوق (٢٠٠) شخص، ورغم حرفيتهـم وإبداعهم وابتكارهم في استخـدام التقنيات عبر الأزمنة في صناعة الجنبية والخنجر فإنهم يحتاجون إلى المزيد من التأهيل لكي تعزز الهوية الوطنية من خلال هذا المنتـج (الجنبية). وأرى أن يتم تعزيز هذه الصناعـة بتوعية المجتمع بأهمية المحافظة علـى هذا التراث الصناعـي لأهميتها وعمقهـا التاريخي والحضـاري والثقافي وأثرها الاجتماعي والاقتصادي ليس بين السكان المحليين فقط بل سكان الجزيرة العربية كافة من خلال وضع المملكة على خريطة التراث الصناعي العالمي.

١٢.رأي ووجهة نظر:

هذا المبحث يدل على عمق التاريخ والحضارة التي تمتاز به بلاد نجران، والباحث في آثارها ونقوشها وما كتب عنها في كتب التراث العربي والإسلامي، وفي المصادر من المخطوطات والمراجع الأجنبية فإنه يتأكد له عراقة هذه البلاد، والواجب على جامعة نجران أن تنشئ مراكز بحوث متخصصة لتاريخ وموروث منطقة نجران عبر أطوار التاريخ، وأعتقد أن هذا من الواجبات الرئيسية التي يجب على الجامعة الاجتهاد في تحقيقه، ثم دعمه وتشجيعه.

١٣.المصادر والمراجع :

١- ابن المجاور: صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز المسماة تاريخ المستبصر، جزءان،راجعه ووضع هوامشه: ممدوح حسن محمد، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة ١٤٣١هـ/٢٠١٠م

٢- أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري، المستدرك على الصحيحين، ج٣.

٣- أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم: الخراج، الناشر: دار المعرفة، بيروت، لبنان، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م

٤- أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر البيهقي، ، سنن البيهقي الكبرى، ج٦

٥- أحمد بن علي بن حجر العسقلاني: ت ٥٨٢ ه: فتح الباري بشرح صحيح الإمام البخاري، تحقيق وتعليق: عبدالقادر شيبة الحمد، الطبعة الأولى، الرياض ١٤٢١ هـ/٢٠٠١م

٦- أريج احمد العباسي، الثروة المعدنية في اليمن والحجاز قبل الإسلام وأهميتها الاقتصادية، رسالة ماجستير (غير منشورة) كلية التربية،ابن رشد، جامعة بغداد، (٢٠٠٤م) .

٧- استراتيجية التنمية السياحية بمنطقة نجران، الهيئة العامة للسياحة والآثار.

٨- جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، الطبعة الأولى، مكتبة جرير،١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م .

٩- الحافظ أبو بكر ابن ابي شيبة،مصنف ابن أبي شيبة، حققه أسامة بن إبراهيم بن محمد الطبعة الأولى .

١٠- السيد الماحي :نجران الحديثة. (معلومات النشر غير معروفة) .

١١- عبد العزيز منسي، آثار منطقة نجران. (معلومات النشر غير معروفة) .

١٢- عثمان صبري، الجزية في عهد الرسول دراسة تاريخية، رسالة ماجستير، جامعة النجاح، نابلس-فلسطين٢٠٠٩م،

١٣- سالم، سيد عبد العزيز، تاريخ الدولة العربية. تاريخ العرب منذ عصر الجاهلية حتى سقوط الدولة الأموية، دار النهضة العربية للطباعة، (بيروت، ١٩٨٦م) ص٣٤-٣٥.
١٤- عوض علي الزهـراني وآخـرون: "تقرير مبدئي عـن حفرية الأخـدود بمنطقة نجـران الموسـم الثاني – ١٤١٧ هــ/ ١٩٩٦ م"، أطلال، العـدد السادس عشر، وكالة الآثار والمتاحف، الرياض ١٤٢١ هـ/ ٢٠٠١ م.
١٥- حفريـة الأخدود بمنطقـة نجران الموسـم الرابع"،أطلال، العـدد الثامن عشر، وكالة الآثار والمتاحف، الرياض١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥ م.
١٦- فاطمـة بنت ضيف الله بن حسين العبـدلي :الحياة الاقتصادية في نجران خلال القرن الأول الهجري السابع الميلادي: رسالة ماجستير: ، جامعة الملك خالد، كلية العلوم الانسانية، قسم التاريخ،١٤٣٥هـ/٢٠١٤م.
١٧- فـؤاد حمزة: في بلاد عسير،ط١٣٨٨،٢/١٩٦٨م،الناشر/ مكتبة النصر الحديث لصاحبها /، الرياض.ط٢، (١٣٨٨هـ/١٩٦٨م).
١٨- محمـد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري (ت ٢٥٦هــ)، التاريخ الكبير، تحقيق: السيد هاشم الندوي،دار الفكر، (بلا.ت)، ج٤، .
١٩- من مذكرات تركي الماضي عن العلاقات السعودية اليمنية،(١٣٤٢-١٣٧١هـ/١٩٢٤-١٩٥٤م)،ط١، (١٤١٧هـ)، طبع على نفقة الأمير سلمان بن عبد العزيز
٢٠- نوره عبدالله النعيم: الوضع الاقتصادي في الجزيرة العربية في الفترة من القرن الثالث قبل الميلاد حتى القرن الثالث الميلادي، دار الشواف، الرياض ١٤١٢ هـ/ ١٩٩٢ م.
٢١- هاري سانت جون فلبي، مرتفعات الجزيرة العربية، ج١، راجعة وعلق عليه/ ا.د. غيثان بن علي جريس، مكتب العبيكان١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.
٢٢- الهمـداني (الحسن بـن أحمد بن يعقوب: كتاب :الجوهرتـين العتيقتين المائعتين مـن الصفراء والبيضاء(الذهب والفضة).أبي، تحقيق ودراسة/ أ.د.أحمد فؤاد باشا، دار الكتب القومية بالقاهرة،١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م)
٣٢. -------------------:صفـة جزيرة العرب، تحقيق محمد بن علي الأكوع الحوالي، مكتبة الإرشاد،صنعاء،ط١، ١٤١٠هـ /١٩٩٠م

(*) المواقع الإلكترونية:

١. صحيفة عكاظ.
٢. صحيفة مكة
٣. عاجل الاخباري على الشبكة العنكبوتية
٤. ويكيبيديا، الموسوعة الحرة



ثالثاً

الخاتمـــــة

نتائج وتوصيات

ثالثاً : الخاتمــــة : نتائج وتوصيات

يتضـح للقـارئ الكـريم أن منطقـة نجـران ذات تاريخ قـديم ، ولم يوثـق تاريخها وحضارتهـا فقـط في المصـادر والمراجـع العربيـة. وإنمـا المصـادر الأجنبيـة القديمة اشتملـت على مواد علمية قيمة عـن الإنسان والأراضي النجرانية . وهذا ما تم رصده في الدراسات الخمس الأولى في هذا المجلد من إعداد الأستاذ الدكتور عبدالعزيز بن محمد رمضـان[١] . وأشـار الدكتور عوض بـن ناحي إلى دراسات أخرى عديـدة عن لمحات من التاريخ الحضاري النجراني القديم والإسلامي المبكر، وبعض مصادره موارد كلاسيكية قديمة بلغات عديدة. والأستاذان عبدالعزيز رمضان وابن ناحي ساهما في إطلاعنا على مـادة علمية جيدة عن تراث بلاد نجـران. أرجو أن تكون دراساتهما لبنات أولية لبحوث علمية أطول وأعمق عن منطقة نجران، وعن عموم بلاد تهامة والسراة[٢] .

والبحوث الأخرى الموثقة في هذا الجزء تدور في فلك العصور الإسلامية ، وأصحابها أساتـذة متخصصون في التاريـخ الإسلامي الوسيط والحديث. وهـذه الأعمال العلمية وثقـت صفحات من تاريـخ وحضارة البـلاد النجرانية، وقد يجد فيهـا بعض الباحثين

(١) هنـاك بعض البحـوث والدراسات الأجنبية التي صدرت عن تاريخ وحضـارة نجران خلال العقود الماضية المتأخرة . ومعظم هذه الأعمال العلمية مازالت مكتوبة بلغاتها الأجنبية الرئيسية . وهناك مصادر بيزنطية مسيحيـة ، ومصـادر أخرى بلغات يونانية ، وإنجليزيـة، وإيطالية، وفرنسية، وألمانيـة وغيرها أشارت إلى صفحـات من تاريخ العقائد النصرانيـة واليهودية في نجران وبلدان أخرى يمانيـة . والدكتور عبدالعزيز رمضان مشكوراً قدم بعض النماذج من تلك الترجمات وأجرى عليها بعض التعليقات. وهذه البحوث التي درسهـا أو ترجمها الدكتور رمضان مازالت محـدودة وقليلة ، وقد تفتح بعض الميادين الواسعة التي تدرس وتوثـق جزئيات كبيرة من تاريخ بلاد نجران وما جاورها مـن أوطان اليمن والسروات. أرجو أن نرى ذلك عملاً ملموساً في جامعاتنا المحلية، وبخاصة جامعة نجران .

(٢) بـلاد السـروات وتهامـة ، الواقعة بين حواضر اليمـن والحجاز الكبرى ، ذات تاريخ قـديم جداً ، لكن هذا التاريخ ، للأسف، ضاع واندثر، ولا نجد في مصادرنا العربية والإسلامية إلا نتفاً محدودة ومتناثرة وقليلة. والأصعـب أننا لا نعـرف شيئاً مكتوباً عن حضارتهـا وتاريخها في العصور السابقة لعصـر الإسلام ، وإذا كانت بعض كتب التراث العربي وثقت شذرات من ذلك ، لكنها لا ترسم لنا صورة واضحة عن تاريخ الأرض والناس في تلك الأزمان. ومازال عندنا بعض الأمل فنعثر على بعض الإشارات أو الصفحات عن تاريخ هذه الأوطان في المصادر الأجنبية القديمة. أرجو أن نرى في قادم الأيام باحثين وطلاب علم جادين يبحثون في تلك المصادر التي مازال جميعها مكتوباً بلغاتها الأساسية، ومن يفعل ذلك فقد يطلعنا على شيء من تاريخ هـذه البـلاد. وبلاد نجران حظيت باهتمام بعض النصارى الغربيين الباحثين، لأنها كانت من أهم مراكز النصرانية في شبه الجزيرة العربية في عصور ما قبل الإسلام .

وطالبـات وطـلاب الدراسات العليا مـادة تخدمهم في رسائلهم وبحوثهـم العلمية ، ولا يستبعـد أن تـدل بعض الدارسين إلى موضوعات وعناويـن جديدة في منطقة نجران أو غيرهـا مـن بلدان السروات وتهامة فتكـون أعمالاً علمية أطـول وأفضل تصدر في هيئة كتب أو رسائل جامعية أو بحوث علمية محكمة [١] .

أهـم نتيجـة في أبحاث هذا المجلـد أنها وثقت مادة علمية حسنـة عن تراث وتاريخ نجـران قبل الإسـلام وبعده، وفي موضوعات متعددة . مع أن مـا تم نشره قد يكون دون الاستيفـاء والكمال، وهكذا عمل الإنسـان، لكن حسبنا أننا اجتهدنـا في الإتيان ببعض الشيء عن هـذه الديار العربية الغزيرة بموروثها وتاريخها وحضارتها، وتحتاج إلى من يخدمها في هذا الميدان الرفيع السامي .

(*) وهناك بعض الاقتراحات والتوصيات التي أسجلها في عدد من النقاط، وهي على النحو الآتي :

١. نحمـد الله أن عجلـة العلـم والتعليم في بلادنا بـدأت صغيرة ومحـدودة منذ منتصـف القرن (١٤هـ/٢٠م)، ثـم نمت وتطورت حتى صـار هناك جامعات وكليات وأقسام ومراكز علمية تقوم على مسيرة التعليم في كل مكان. وخرج من رحـم هذه المؤسسات طالبات وطلاب علـم ، وأساتذة، وأدباء، وعلماء في شتى المجالات . بل جُلب للعمل في هذه الجامعات أساتذة وأعلام علمية غير سعودية فساهموا في بناء الأرض والإنسان. وهذا الأستاذ الدكتور عبدالعزيز رمضان، مصري الجنسية ، من أولئك العلماء الوافدين إلى بلادنا، الذين قدموا العديد من الإنجازات العلمية التي تعود بالنفع على أرضنا وإنسانها[٢] .

---

(١) يوجـد في بلادنـا من نجران وجازان إلى الطائف ومكة المكرمة (سـراة وتهامة) ثروة عظيمة من التاريخ والـتراث والحضـارة عـبر أطوار التاريـخ . وتحتاج إلى جهـود إداريـة وعلمية ومالية كبـيرة يكون هدفها دراسـة وتوثيق تاريخ وتراث إنسان هذه الأوطـان منذ العصور الحجرية إلى وقتنا الحاضر . وهناك اليوم (١٤٤٣هــ/٢٠٢٢م) العديـد من الجامعات والمؤسسـات الأكاديمية في أرجاء هذه البـلاد ، لكنها مازالت مقصرة في خدمة البحث العلمي الرصين، ولن يتم ذلك إلا بالدعم والتشجيع الإداري والعلمي والمالي الذي يجب أن تقوم به إدارات هذه الجامعات ممثلة في مجالسها الرئيسية ، وكلياتها وأقسامها العلمية .

(٢) منـذ خمسـين عاماً ، وأنا أشاهـد شريحة المعلمات والمعلمـين ، والأساتذة غير السعوديـين الذين جاءوا إلى بلـدان السـروات وتهامة ، وبذلوا جهوداً كبيرة في تنوير وتعليم بناتنـا وأبنائنا حتى صاروا متعلمين صالحين يقـودون مسـيرة التنمية في أرجاء الوطـن. وأولئك الأعلام الوافـدون لهم الكثير من الأعمـال والإسهامات الإيجابيـة ، كل في مجالـه وتخصصـه. والمحـزن أن جهودهم في خدمـة بلادنا لم تكتب وتوثـق ، مع أن تلك الجهود والأعمال جزء من تاريخ البلاد في العصر الحديث والمعاصر. وقد شاهدت بعض الأعلام والأساتذة في الكليـات والأقسام الجامعية في تهامـة والسروات من تسعينيات القرن (١٤هـ/٢٠م) إلى عشرينيات هذا القـرن (١٥هــ/٢١م) ، وكانـوا وأيم الله أساتذة مميزين مبدعـين قديرين متفانـين في أداء أعمالهم على

٢. أرجو من جامعات الجنوب السعودي ممثلة في عمادات البحث العلمي، وأقسام التاريـخ والآثـار، ومراكز وكراسـي البحوث العلمية أن تحرص على استقدام أساتـذة متخصصـين في علـوم التاريخ والآثـار والتراث يجيـدون العديد من اللغـات الأجنبية[1]، ثم تجلب لهم الكتب من المصـادر والمراجع الأجنبية التي تحتوي على علوم تختص ببلدان تهامة والسراة وبخاصة في عصورها القديمة فتترجم وتصوب ويعلق عليها ثم تطبع وتنشر[2].

٣. مـن المادة المنشورة في الدراسات المطبوعة بهذا السفر نجد أن نجران حظيت بنصيب جيـد في مصادر ومراجع الأجانب. والذي أرجوه أن تُضاعف الجهود والاجتهـاد في البحـث عـن ذكر وتاريـخ بلدان سرويـة وتهامة أخـرى في تلك المصـادر واللغات الأجنبيـة، وإن سلكنا هذا المنهج فقـد نعثر على تراث مهم عن تاريخها وحضارتها، ولا يستبعد أن نجد شيئاً من ذلك. وبخاصة عن مدن وموانئ وحواضر أخرى كالطائف، وبيشة، وتبالة، وجرش، وجازان، والبرك، والقنفذة وغيرها[3].

٤. ما تم عرضه في هذا المجلد جهد متواضع اشتركت فيه مع أصحاب الدراسات حتـى يطبع وينشر، ولا ندعي فيه الكمـال والتمام، لكننا نعتقد أنه لا يخلو من فائـدة وجديد. آمل أن يأتي بعدنا مـن يصوبنا في ما أخطأنا فيه، أو يستكمل

أكمـل وجـه، بل منهم من كان مدرسة مميزة في علمه، وأخلاقـه، وإسهامات. حبذا أن نرى بعض الباحثين والمؤرخين الجادين والمنصفين فيدرسون ويوثقون صفحات من تاريخ أولئك الأعلام، فهم والله يستحقون.

(١) هنـاك الكثير من العلمـاء العرب والأجانب المتخصصـين والمبدعين في جامعات العـالم، وجلب المميزين منهـم قد يساهم في خدمـة المسيرة العلمية والبحثية في بلادنا العربيـة والإسلامية. وأصبح عندنا بعض الأساتـذة السعوديين المبدعـين الذين يعملون في جامعاتنا وكلياتها، لكنهـم لم يجدوا الدعم والتشجيع في ميدان البحث العلمي وخدمة البلاد من خلال دراساتهم وتخصصاتهم العلمية.

(٢) هذه التوصية مازالت حبراً على ورق، ولو وجدت من يطبقها على الواقع، فإننا بدون شك سوف نصل إلى معـارف وتـراث وعلوم لها علاقة بتاريخنا وحضارتها عبر العصـور، وإن بحثنا عن هذه العلوم في موروثنا العربي فلن نجدها، والاطلاع على موروث وتراث الآخرين من المناقب التي حث عليها الإسلام، والحكمة ضالة المؤمن في أي مكان وجدها أخذها.

(٣) إن الباحـث في مصادر الحضارات القديمة كالإغريقيـة، والرومانية، والفرعونية، والآشورية، والهندية، والصينيـة، والفارسية وغيرها يجد فيها إشارات عـن أمكنة عديدة في شبه الجزيرة العربية، وبعض تلك المواضـع في الحجاز، وساحل البحـر الأحمر، وبلاد اليمن وغيرها. أما المناطـق السروية الجبلية الممتدة مـن بـلاد نجران وظهران الجنوب إلى الطائف فلا نجد لها ذكراً واضحاً، ربما لصعوبة أرضها وانعزالها عن الأمم الأخرى في عصور ما قبل الإسلام، وبالتالي ضاع تاريخها، ولا نجد المصادر العربية التقليدية تحتـوي علـى شيء كبير من ذلك. ومازالت الآثار السطحيـة والمدفونة هي الأمل الذي من خلالها قد نطلع على صفحات من تاريخ هذه البلاد في عهود ما قبل الإسلام.

مـــا لم نستطــع رصده وتوثيقــه ، أو يظهر من يقتدي بنا ويســير على خطانا في دراســة أمكنة أو موضوعات جديـدة، وتكون المصادر الأجنبية الكلاسيكية من الاهتمامات الأولية التي من خلالها تصدر دراسات علمية عميقة ورصينة[١] ٠

(١) لا تخلو كل كتبي ودراساتي منذ أكثر من ثلاثين عاماً من اقتراحات وآراء ووجهات نظر وتوصيات تصب في خدمــة إثراء البحث العلمي وبخاصة عن بلاد مازالت تحتاج الكثير من الجهود والأعمال العلمية التوثيقية والتحليليــة . إنها عموم السروات وتهامة التي أصابهــا الكثير من التجاهل والنسيان ، واليوم بدأت تحظى ببعض الاهتمامــات الفردية والمؤسسيــة ، أرجو أن تثمر في خدمة التراث والتاريـخ والموروث بحثاً ودراسة وتوثيقاً ٠ . (ابن جريس) ٠



رابعاً

ملحــق الوثائــق

ملحق رقم (١) : رسالتان [١] : الأولى من خالد بن الوليد إلى الرسول ﷺ يخبره بإسلام بنـي الحـارث بنجران بدون قتال . والثانية من الرسـول ﷺ إلى خالد بن الوليد في نجران يخبره بوصول خطابه إليه ويأمره أن يعود إلى المدينة ويأتي معه وفد من أهل نجران .

الرسالة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم [١]

لمحمد النبي رسول الله ، من خالد بن الوليد :

السـلام عليك يـا رسول الله ورحمـة الله وبركاته . فإني أحمـد إليك الله الذي لا إلـه إلا هـو . أما بعدُ يا رسـول الله : فإنك بعثتني إلى بني الحارث بـن كعب ، وأمرتني إذا أتيتهـم أن لا أقاتلهم ثلاثـة أيام ، وأدعوهم إلى الإسلام ، فإن أسلموا قَبلتُ منهم ، وعلّمتهـم معالم الإسلام ، وكتـابَ الله وسنةَ نبيّه ، وإن لم يُسْلموا قاتلتهم . وإنّي قدمتُ إليهم فدعوتهم إلى الإسلام ثلاثة أيام كما أمرني رسول الله ﷺ ، وبعثتُ فيهم رُكباناً : يـا بنـي الحارث أسلموا تسلمـوا . فأسلموا ولم يقاتلوا ، وأنا مقيم بين أظهرهم ، آمرهم بما أمَرَهم الله به ، وأنهاهم عمّا نهاهم الله عنه .

الرسالة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد النبي رسول الله ، إلى خالد بن الوليد :

سلام عليكَ ، فإنني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو . أما بعدُ :

فإنّ كتابك جاءَني مع رسولك ، يخبرني أنّ بني الحارث بن كعب قد أسلموا قبل أن تقاتلهـم ، وأجابوا إلى ما دعوتهم مـن الإسلام ، وشهدوا أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً عبـده ورسولـه ، وأن قد هداهـم الله بهُداه . فبشّرهـم وأنذِرْهم ، وأقبِـل وليُقْبِل معك وفدُهم .

والسلام عليك ورحمة الله وبركاته .

(١) انظـر نص الرسالتـين فـي : ابن خياط ، ص ٩٤ ، ابن هشـام ، جـ ٤ ، ص ٢٣٩ ، الطبري ، جـ ٣ ، ص ١٢٦ – ١٢٧ ، ابن خلدون ، تاريخ ، جـ ٢ ، ص ٤٧٣ .

ملحق رقم (٢): كتاب من رسول الله ﷺ موجه إلى الناس كافة ، يوضح فيه الميثاق الذي كتبـه لنصارى نجران ، وجميع من في ملتهم من النصارى في مشارق الأرض ومغاربها . وقد بيّن فيه ﷺ ما التزم به لهم على المسلمين حتى تقوم الساعة ، وما المواثيق والعهود التي يجب عليهم (النصارى) الالتزام بها في تعاملاتهم مع المسلمين [١]

بسم الله الرحمن الرحيم[١] .

هــذا كتاب محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ، رسول الله إلى الناس كافةً ، بشيراً ونذيراً ، ومؤتمناً علي وديعة الله في خلقة ، ولئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل والبيان ، وكان عزيزاً حكيماً .

للسيـد ابن الحـارث بن كعب ، ولأهل ملته ، ولجميع من ينتحل دعوة النصرانية في شرق الأرض وغربها ، قريبها وبعيدها ، فصيحها وأعجمها ، معروفها ومجهولها ، كتاباً لهـم عهداً مرعياً ، وسجلاً منشوراً ، سنـة منه وعدلاً ، وذمة محفوظة : من رعاها كان بالإسـلام متمسكـاً ، ولما فيه من الخير مستأهلاً . ومن ضيعها ونكث العهد الذي فيها ، وخالفـه إلى غيره، وتعدى فيـه ما أمرت ، كان لعهد الله ناكثاً ، ولميثاقه ناقضاً ، وبذمته مستهينـاً ، وللعنتـه مستوجبـاً ، سلطاناً كـان أو غيره ، بإعطاء العهـد على نفسي ، بما أعطيهم عهد الله وميثاقه ، وذمة أنبيائه وأصفيائه وأوليائه من المؤمنين والمسلمين ، في الأولـين والآخريـن ، ذمتي وميثاقي وأشدَّ ما أخذ الله على بني إسرائيل من حق الطاعة وإيثـار الفريضـة ، والوفـاء بعهد الله ، أن أحفـظ أقاصيهم في ثغـوري بخيلي ورَجلي ، وسلاحي وقوّتي ، وأتباعي من المسلمين ، في ناحية من نواحي العدوّ ، بعيداً كان أو قريباً ، سلمـاً كـان أو حرباً ، وأن أحمي جانبهـم ، وأذب عنهم ، وعن كنائسهم وبيعهم وبيوت صلواتهم ، ومواضع الرهبان ، ومواطن السّياح ، حيث كانوا من جبل ، أو واد ، أو مغار، أو عمـران ، أو سهـل ، أو رمـل . وأن أحرس دينهم أو ملتهم أيـن كانوا ، من بَرٍّ أو بحر ، شرقـاً وغربـاً ، بما أحفظ به نفسي وخاصتي ، وأهل الإسلام من ملتي ، وأن أدخلهم في ذمتـي وميثاقي وأمـاني ، من كل أذى مكروه، أو مؤونه ، أو تبعة . وأن أكون من ورائهم ،

---

(١) انظـر حميـد الله ، ص ١٨٦ – ١٨٩ . وهناك كتاب آخر مطول لأهل نجـران ومن على ملتهم من نصارى الأرض ، وضـح فيه ما يجب على المسلمين من المعاملة والوفاء تجاه النصارى الملتزمين بالعهود والمواثيق . انظـر المرجـع نفسه ، ص ١٨٠ – ١٨٥ . وهذان الكتابـان ربما كتبهما الرسول ﷺ لنصارى نجران الذين وفـدوا عليه بالمدينة بناءً على طلبهم وحتى يكون بمثابة دستـور وعهد لهم وعلى جميع النصارى الموجوين بالأراضي الإسلامية .

ذابـاً عنهم كل عـدو ، يُريدني وإياهم بسوء ، بنفسي ، وأعواني ، وأتباعي ، وأهل ملتي . وأنـا ذو السلطنـة عليهم ، ولذلك يجب عليَّ رعايتهم وحفظهم من كل مكروه . ولا يصل ذلك إليهم ، حتى يصل إليَّ وأصحابي الذابّين عن بيضة الإسلام معي . وأن أعزل عنهم الأذى في المـؤن التي يحملها أهل الجهـاد من الغارة والخراج ، إلا ما طابتْ به أنفسهم. وليـس عليهـم إجبار ولا إكراه على شـيء من ذلك، ولا تغيير أسقف عـن أسقفيته ، ولا راهـب عـن رهبانيته ، ولا سائح عن سياحته ، ولا هدم بيت من بيوت بيّعهم ، ولا إدخال شـيء من بنائهم في شيء من أبنية المساجـد ، ولا منازل المسلمين . فمن فعل ذلك فقد نكث عهد الله ، وخالف رسوله ، وحال عن ذمّة الله . وأن لا يحمل الرهبان والأساقفة ، ولا من تعبّد منهم ، أو لبس الصوف ، أو توحَد في الجبال والمواضع المعتزلة من الأمصار شياً من الجزية أو الخراج ، وأن يقتصر على غيرهم من النصارى ، ممن ليس بمتعبّد ولا راهب ولا سائح على أربعة دراهم في كل سنة ، أو ثوب حبرة ، أو عصب اليمن ، إعانة للمسلمـين وقـوةً في بيت المال . وإن لم يسهـل الثوب عليهم طلب منهـم ثمنه ، ولا يقوّم ذلـك عليهـم إلا بما تطيب به أنفسهم . ولا تتجاوز جزيـة أصحاب الخراج ، والعقارات والتجـارات العظيمة في البحر والأرض ، واستخراج معـادن الجوهر والذهب والفضة ، وذوي الأمـوال الفاشية والقوة ممن ينتحل دين النصرانية ، اكثر من اثني عشر درهماً من الجمهور في كل عامٍ ، إذا كانوا للمواضع قاطنين وفيها مقيمين . ولا يطلب ذلك من عابـر سبيـل ليس من قطّان البلد، ولا أهل الاجتياز ممـن لا تُعرَف مواضعه . ولا خراج ولا جزيـة إلا [على] من يكـون في يده ميراث من ميراث الأرض ، ممن يجب عليه فيه للسلطـان حـق ، فيؤدّي ذلك على ما يؤدّيه مثله . ولا يجـار عليه ، ولا يحملٍ منه إلا قدر طاقتـه وقوته على عمل الأرض وعمارتها وإقبـال ثمرتها . ولا يكلف شططاً ، ولا يُتجاوز بـه حـدّ أصحاب الخراج مـن نظرائه . ولا يكلف أحد من أهـل الذمة منهم الخروج مع المسلمـين إلى عدوهم ، لملاقـاة الحروب ومكاشفة الأقران ، فإنـه ليس على أهل الذمة مباشـرة القتـال . وإنما أعطوا الذمة عليّ، على أن لا يكلّفـوا ذلك . وأن يكون المسلمون ذبّابـاً ، وجواراً من دونهم . ولا يكرهوا على تجهيز أحد من المسلمين إلى الحرب الذين يلقـون فيـه عدوهم ، بقوة وسلاح أو خيل ، إلاّ أن يتبرعوا من تلقاء أنفسهم . فيكون من فعل ذلك منهم وتبرع به ، حمدٌ عليه وعرفٌ له ، وكوفئ به .

ولا يُجـبر أحـد ممن كان على ملة النصرانية كرهاً على الإسلام . ولا تجادلوا [أهـل الكتـاب] إلا بالتي هي أحسن " . ويُخفض لهم جنـاح الرحمة ويُكفّ عنهم أذى المكروه حيث كانوا ، وأين كانوا من البلاد .

وإن أجرم أحدٌ من النصارى ، أو جُني جناية ، فعلى المسلمين نصره ، والمنع والذب عنه ، والغرم عن جريرته ، والدخول في الصلح بينه وبين من جني عليه . فإما مُنَّ عليه ، أو يفـادى بـه . ولا يرفضوا ، ولا يخذلوا ، ولا يتركوا هملاً ، لأني أعطيتهم عهد الله على أنّ لهـم ما للمسلمـين ، وعليهم ما على المسلمين . وعلى المسلمين ما عليهم بالعهد الذي استوجبوا حق الذمام ، والذبّ عن الحرمة ، واستوجبوا أن يُذبّ عنهم كل مكروه ، حتى يكونوا للمسلمين شركاء فيما لهم ، وفيما عليهم .

ولا يحملوا من النكاح شططاً لا يريدونه ، ولا يُكره أهل البنت على تزويج المسلمين، ولا يضـارّوا في ذلك إن منعـوا خاطباً وأبوا تزويجاً ، لأنّ ذلك لا يكون إلاّ بطيبة قلوبهم، ومسامحــة أهوائهم ، إن أحبـوّه ورضوا به . إذا صارت النصرانيــة عند المسلم ، فعليه أن يرضــى بنصرانيتهــا ، ويتبع هواها في الاقتداء برؤسائها ، والأخذ بمعالم دينها ، ولا يمنعها ذلك . فمن خالف ذلك وأكرهها على شيء من أمر دينها ، فقد خالف عهد الله وعصى ميثاق رسوله ، وهو عند الله من الكاذبين .

ولهم إن احتاجوا في مرمّة بيَعهم وصوامعهم ، أو شيء من مصالح أُمورهم ودِينهم، إلى رفد من المسلمين وتقوية لهم على مرمّتها ، أن يُرفدوا على ذلك ويعاونوا ، ولا يكون ذلك ديناً عليهم ، بل تقويةً لهم على مصلحة دينهم ، ووفاءً بعهد رسول الله موهبة لهم، ومنّة الله ورسوله عليهم .

ولهم أن لا يلزم أحد منهم ، بأن يكون في الحرب بين المسلمين وعدوهم ، رسولاً، أو دليـلاً ، أو عونـاً ، أو متخبراً ، ولا شيئاً ممــا يُساس به الحرب . فمن فعل ذلك بأحد منهـم ، كـان ظالماً لله ولرسوله عاصياً ، من ذمته متخلياً . ولا يَسَعه في إيمانه إلا الوفاء بهـذه الشرائـط التي شرطهـا محمدٌ بن عبـد الله ، رسول الله لأهل ملّـة النصرانية . واشترط عليهم أموراً يجب عليهم في دينهم التمسك والوفاء بما عاهدهم عليه . منها: ألا يكـون أحـد منهم عيناً ولا رقيباً لأحد من أهل الحرب على أحد من المسلمين في سره وعلانيتـه ، ولا يأوي منازلهم عدوّ للمسلمين ، يريـدون به أخذ الفرصة وانتهاز الوثبة ، ولا ينزلـوا أوطانهـم ولا ضياعهم ولا في شيء من مساكـن عبادتهم ولا غيرهم من أهل الملـة ، ولا يوفـدوا أحـداً من أهل الحرب علـى المسلمين بتقوية لهم بســلاح ولا خيل ولا رجـال ولا غيرهـم ، ولا يصانعوهم . وأن يَقْرُوا مَن نـزل عليهم من المسلمين ثلاثة أيام بلياليهـا في أنفسهـم ودوابّهـم ، حيث كانوا وحيث مالوا ، يبذلون لهـم القرى الذي منه يأكلـون ، ولا يكلّفـوا سوى ذلك ، فيحملوا الأذى عليهم والمكـروه . وإن احتَاج إلى إخفاء أحد من المسلمين عندهم ، وعند منازلهم ، ومواطن عباداتهم ، أن يأووهم ويرفدوهم

ويواسوهم فيما يعيشوا بهِ ما كانوا مجتمعين ، وأن يكتموا عليهم ، ولا يظهروا العدوَّ على عوراتهم ، ولا يخلوا شيئاً من الواجب عليهم .

فمن نكث شيئاً من هذه الشرائط وتِعدَّاها إلى .غيرها فقد برئ من ذمّة اللّه وذمّة رسولِه . وعليهـم العهود والمواثيق التي أُخذت عن الرهبـان وأخذتها ، ومَا أخذ كل نَبي علـى أُمتـه مـن الأمان والوفاء لهـم وحفظهم بـه ، ولا ينقض ذلك ولا يغـيّر حتى تقوم الساعة إن شاء اللّه .

وشهـد هـذا الكتـاب الذي كتبه مُحمـد بن عبـد اللّه ، بينه وبين النصـارى الذين اشترط عليهم ، وكتب هذا العهد لهم : عتيقُ بن أبي قحافة ، عمر بن الخطاب ، عثمان بـن عفـان ، علي بن أبي طالب ، أبو ذر ، أبو الدرداء ، أبو هريرة ، عبد اللّه بن مسعود ، العباسـ ابن عبد المطلب ، الفضل بنِ العباس ، الزبير بن العوام ، طلحة بن عبيد اللّه، سعـد بـن معـاذ ، سعد بن عبادة ، ثُمامةِ بن قيس ، زيد بـن ثابت ، ولده عبد اللّه [؟]، حرقوص بـن زهـير ، زيد بن أرقـم ، أُسامة بن زيد ، عمار بن مظعـون ، مصعب بن جبير ، أو الغالية (كذا) ، عبد اللّه بن عمرو بن العاص ، أبو حذيفة ، خوات بن جبير ، هاشـم بـن عتبة ، عبد اللّه بن خُفاف ، كعب بن مالك ، حسان بن ثايت ، جعفر بن أبي طالب ، وكتب معاويةُ بن أبي سفيان .

ملحق رقم (٣): صيغة الصلح الذي عقده الامام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين مع أهل الذمة من نصارى نجران عام (٢٨٤ هـ / ٨٩٧ م) على أن يملكوا ما تحت أيديهم من الأملاك والعقار ، وعليهم دفع التسع مما يملكون صلحاً ليس عشراً [(١)]

وهذه نسخة كتاب الصلح

بسم الله الرحمن الرحيم[(١)]

هذا كتاب كتبه الهادي إلى الحق أمير المؤمنين يحيى بن الحسين بن رسول [(٢)] الله ﷺ بينه وبين أهل الذمة من أهل نجران وغيرهم من أهل الذمة ممن رضي بما رضي بـه أهل الذمـة بنجران ، فكان أول ما ابتدأ به من ذلـك أن قال [(٣)] : الحمد لله الذي لا إلـه غيره ولا شريك معـه ، إله الأولين والآخرين ، وفاطر السمـاوات والأرضين الذي لا تـراه أعين الناظرين ولا تحيط به أفكار المتفكريـن ، ولا يصفه بتحديد الواصفون ، ولا ينطـق فيه بوصـف جارحة الناطقون ، وأشهد أن لا إلـه إلا الله وحده لا شريك له الذي رفع السماء فبناها وسطح الأرض فطحاها ، ((ولا يؤده حفظهما وهو العلي العظيم)) ، وأشهـد أن محمداً عبده ورسولـه المرتضى وأمينه المصطفى أرسله برسالته فبلغ رسالة ربه ، ونصح لأمته ، وعبد ربه حتى أتاه اليقين ﷺ، وعلى آله الطيبين الأخيار .

وبعد أيها الناس : فإن الله جل جلاله وتقدسة أسماؤه خلق خلقه بلا حاجة تلاحيه إليهم، ولا منفعة تناله منهم ، بل خلقهم لأنفسهم ، ودلهم على رشدهم ، وزجرهم عن غيهـم ، وأسبغ عليهـم بمنّه أرزاقه ، وأنالهم بِرحمته أرفاقـه، ومَلّكهم الآفاق، فتبارك الله العليـم الخـلاق، ثم جعل لأرزاقهم أسبابا ، فجعلها تجـري بهم على مشيئته وينال حلالها من أناله إياها بقدرته سياسة من الخالق إلى المخلوق ومنّاً منه سبحانه بالرزق ، فجعـل للفقـراء في أموال الأغنياء جزءاً نصف عشر يجـري عليهم ، وعشراً على قدر سقـي الأرضـين ، وما منّ الله به علـى العالمين ثم سمّى ذلـك في كتابه جل جلاله فقال لنبيه ﷺ : ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ﴾ [(٤)]. فأوجب

(١) انظر العلوي ، سيرة الامام الهادي ، ص ٧٢ وما بعدها ، للمزيد انظر البلادي ، بين مكة وحضرموت ، ص ٢٤١ – ٢٤٧ .

(٢) هذا قول يتجوز فيه العلويون ، وقد قدمنا نسب السيد يحيى ، انظر ص (١١٠) في هذا الكتاب .

(٣) أي أن كل ما قيل (قال) ليس من إملاء الهادي ، إنما هو مديح من الراوي .

(٤) سورة التوبة آية (١٠٣) .

عليـه أخـذ ذلك منهم وأوجـب عليهم إخـراج ذلك إليه مـن أيديهم بقولـه عز وجل : ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ﴾ [(١)] . ثم أمر نبيه برد ذلك على من سمّى من الثمانية الأصنـاف : ﴿ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ ﴾ [(٢)] . فجعلها معونـة للمؤمنين على الجهاد في سبيل رب العالمين ، ومعونة ورزقاً للمساكين .

فاجـترأ على كثير مـن أموال المسلمين أهـل الأموال من الذميـين ، فاشتروها من أيـدي المسلمـين ، فملكوا جزءاً عظيماً من البلاد ، وحازوا منافعه من العباد ، فصار ما ملكوه من ذلك طلقاً من الأعشار التي كانت تجري عليهم في أيدي المسلمين، لأنه لا زكاة علـى الذميـين في ناض[(٣)] . ولا غرض لتجارة ، ولا في أرض جاهليـة في أيديهم ، ولا في غنـم ولا ابل ولا بقر ، ولأن الزكاة تطهـرة للمؤمنين ، حكم بذلك رب العالمين دون غيره مـن الذميـين ، وفي ذلك ما يقول أكرم الأكرمين لنبيه محمـد خاتم النبيين : ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا ﴾ فلما اشتراهـا أهل الذمة من أيدي المسلمين أزاحـوا بذلك ما جعل الله فيها من المعونة لعباده المؤمنين ، فكسروا بذلك على المؤمنين أموالهم وجباياتهم ، فأذهبوا ما كان لهم من منافعهم التي جعلها الله لهم فيها فرضاً وحكم به على المسلمين حكماً .

فرأيت عند ذلك أن تركها في أيدي من لا زكاة عليه لا يجوز ، ولا يسعنا لما في ذلك مـن الضرر على الإسـلام وإضعاف دين محمـد عليه وعلى آله السـلام ، فدعوت أهل الذمـة وألقيـت ذلك إليهم ، وأوقفتهـم عليه ، وأعلمتهم أنه لا يجـوز تركها في أيديهم، فإنـه لا يجوز لهـم أن يكسروا بشراء أموال المسلمين الخـراج الذي جعله الله تقوية في الديـن ، ومعونـة في جهاد الفاسقين ، ومعونة للفقراء المؤمنـين ، فضجوا من ردها على المسلمين والخروج منها إلى المؤمنين ، وقالوا خُذ منا ما يجب على المسلمين في أموالهم، فأعلمتهم أن ذلك لا يجوز لنا فيهم .

ثم رأيت عند ذلك أن أخيرهم بين التنحي عنها ، والتخلي منها ، أو أن أجري بينهم وبـين المسلمـين صلحاً في ذلـك يرجع بمنفعته عليهـم ، ويجوز بإجرائـه للذميين شراء أمـوال المسلمين، والدخول فيما أحتووا من أرضـ المؤمنين ، والإقامة على ما في أيديهم ممـا اشـتروه منهم ، وملكوه من أرضهم دونهم ، فخشيـت إن أنا صالحتهم على العشر

---

(١) سورة المزمل آية (٢٠)
(٢) سورة التوبة آية (٦٠)
(٣) النقود من دنانير ودراهم وما شابه به ذلك .

أن يتوهـم أهل الجهالات من المتكمهين [١] في العمايات ، أنا عشرنا الذميين كما عشرنا المسلمـين ، وأنا جهلنا أنـه لا صدقة على الذميين ، فأوقعنا بـين المسلمين وبين الذميين صلحاً بائناً من اللبس والشبه ، يملكون به ما شاءوا ، ويقيمون على ما أرادوا من أموال المسلمين ، ويجب لأموالهم به الحياطة على المؤمنين، وهو التسع فيما سُقي سيحاً أو بماء السمـاء ، ونصـف التسع فيما سُقي بالدوالي والحظارات والسـواني [٢] ، فرضي بذلك الذميـون واختـاروه ، وحسن موقعه منهم ، فأقررنا على هذا الصلح في أيديهم ما كانوا تَشَـرّوه من أمـوال المسلمين ، وأجزنا لهم شراء ما أحبوا مـن أموال المؤمنين على تأدية هذا التُسع، مما سقي سيحاً أو بماء السماء، ونصف التسع مما سقي بالسواني والحظارات والـدوالي ، وجعلنا لهم من بعد أداء ما سمينا من هذا الصلح على الحروث في النخيل والفواكه والقضوب وغير ذلك مما تجب فيه الزكاة على المؤمنين قليل ذلك وكثيره سواء ، يؤخـذ منه على قدر سقي أرضـه من كل ما سُقي بماء السماء التسع كان ذلك فرقاً أو فرقـين ، أو عشـرة أو عشرين ، ففي كل ما خرج مـن أموالهم قل ذلك أو كثر من الثمار تُسع مما سقت السماء ، ونصف التسع مما سقي بالسواني وغير ذلك من الأشياء .

وأجزنا لهم شراء ما أحبوا من جميع الأموال يؤدون عن ذلك ما سمينا من الصلح بينهم وبين المسلمين في هذا الكتاب ، فإذا أدوا ذلك إلى المسلمين ، فلعنة الله وسخطه، ولعنة اللاعنين ، ولعنة الملائكة والناس أجمعين على من ازداد عليهم درهماً واحداً ، أو جار عليهم من خرص أموالهم [٣] ، أو كيلها ، أو قيمتها ، أو غير ذلك من أمرها ، من الـولاة في حياتـي أو بعـد وفاتي ، أو أخذ منهم غير ذلك ، أو ضـرب عليهم ضريبة ، أو كلفهم كلفة ، أو جعل عليهم مؤونة ، أو جشمهم معونة .

وللذميـين على المؤمنين إذا أدوا إليهم ما جعل الله سبحانه وتعالى من الجزية عن رؤوس رجالهـم الأحرار دون نسائهـم ، ومماليكهم وصبيانهم - تـؤدّي ملوكهم ثمانية وأربعـين درهمـاً قَفْلة علـى كل رجل منهـم ، ويـؤدي أوساطهم أربعـة وعشرين درهما قَفْلـة [٤] ، ومتعيشتهـم إثنـي عشر درهماً قَفْلة ، فـإذا أدوا الجزية عـن رؤوسهم ، وأدى من كان في يده شراء من أموال المسلمين ما صولح عليه من هذا الصلح المسمى في هذا الكتـاب – فقد حقنـوا دماءهم بالجزية وحرَّمـوا أموالهم على من آمـن بالله ، ونالوا بـأداء هذا الصلح المسمى في هذا الكتاب شراء ما أحبوا من أموال المسلمين، وقد وجب

(١) المتكمهين من يركب رأسه لا يدري أين يتوجه " القاموس " .
(٢) هذه كانت أدوات استخراج الماء بالدلاء أو الغروب ، بأيدي الناس أو البقر أو الجمال ونحوها .
(٣) الخَرْص : حَزْر الثمار وهي في أصولها .
(٤) عملة كانت سائدة في اليمن ، والقفلة : عرض أصبع اليد .

لهم على من آمن بالله أن لا يُخرج ما في أيديهم عنهم ، ولا يمنعهم من شراء غير ذلك ، وقد وجبت لهم الحياطة على ولاة المسلمين ورعيتهم . ولا يجوز لأحد ظلمهم ولا التحامل في غـير ذلـك الحق عليهـم ، فمن طلب منهم غير ذلك فبرئ مـن الله ، وبرئ الله منه وصالح المؤمنين والملائكة والناس أجمعين .

وأشهد لهم الهادي إلى الحق أمير المؤمنين ، يحيى بن الحسين بن رسول الله عليه وعلى أهل بيته الطيبين الأخيار ، الله سبحانه وملائكته بذلك ، وأشهده وملائكته وجميع من حضر من المؤمنين عليهم بما في هذا الكتاب ، فرضي جميع أهل الذمة بنجران بهذا الصلـح الذي جرى بينه وبينهم ، وقرئ هذا الكتـاب عليهم وعلى المسلمين وفهمه الكل ووقف عليه وشهد على رضا الهادي إلى الحق أمير المؤمنين يحيى بن الحسين بن رسول الله ﷺ وعلـى أهـل بيته وسلم ، ومن حضره من أهل الذمة ممن له مال بنجران بهذا الصلـح الـذي بين الهادي إلى الحق أمير المؤمنين يحيى بن الحسين بن رسول الله ﷺ وبـين أهـل الذمة من أرباب الأموال بنجران [١] ، وهـذا الصلح جائز بين المسلمين وبين من رضي به من جميع أهل الذمة بسائر البلدان ، لا يمنعهم من قبوله مسلم ، ولا يحول بينهم وبينه إلا آثم .

---

(١) (٢) تكرار هذه الجمل من عمل الراوي ، وقد أدخل الركاكة على النص .

ملحق رقم (٤)
رساله من الإمام القاسم بن علي العيَّاني إلى أهل نجران

" بسم الله الرحمن الرحيم . هذا كتاب كتبه القاسم بن علي إلى كافة أهل نجران ومن بحالهم من الجيران[١] : سلام عليكم ، فإنا نَحمد الله إليكم مَن يلزمنا حمده ، ويجلّ عليه الثناء كما هو أهله ، أما بعد : فإنه لا خطأ بعد تذكرة ، ولا ذمامة بعد معذرة، وقد قبلت عُذر من اعتذر ، وتجاوزت عن خطيئة من قصَّر ، فتعوضوا من سيئاتكم إحسانا ، ومن زللكم استمكانا .

واعلموا أن من رجع من سيئته كأن لم يُسئ ، ومن عاود من غيه بَخُس وغَوي ، وقد عرَّفتكم جميعا أنه لا معذرة لمن عصى الله حتى يرجع عن معصيته ، ولا توبة لتائب حتى يندم على خطيئته ، وقد أظهرتم جميلا شُكرتم عليه ، فحوطوا قولكم بالتمام ، واحفظوا أموالكم وأنفسكم بالإسلام. واعلموا أن للإسلام حرمة تُرعى ، وللديانة أوامر لا تعصى ، ومن قصَّر عن بعض ما أمره الله به ، كمن أضاع جميع أمره ونهيه ، والله يقول وقوله الحق : (الَّذينَ ءَامَنُواْ وَلَم يَلبسُواْ إيمَنَهُم بظُلم أوْلَئكَ لَهُمُ الأمنُ وَهُم مُّهتَدُونَ) [٢] ، فاعملوا –رحمكم الله – عملا صالحا تنجونَّ به من خالقكم ، وتزدادون به الآن في أرزاقكم ، وردوا عليكم فوت الأناة ، وغلول الزكاة ، بأداء ما غللتم منها ، فإن الله يقول وقوله الحق : (وَمَا كَانَ لنَبيّ أن يغُلَّ وَمَن يَغلُل يَأت بمَا غَلَّ يَومَ القيمَة ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفس مَّا كَسَبَت وَهُم لاَ يُظلَمُونَ)[٣] ، فرحم الله عبدا لم يُفوّت حظه من الآخرة ، وأدى ماً أوجب الله عليه من قبل أن لا تكون رُجعة ، ولا تقال عثرة[٤] ولا يؤخذ من نفس فدية ، ولا تقبل منها معذرة ، ولا تنفعها شفاعة ، ولو يعلم من غل زكاته أنه عند الله من الهالكين ، ومسمى بفعله بأفعال المشركين ، لعسر ذلك عليه ، ولسمج ما استحسن لديه ، لكنه لم يعلم بقول الله سبحانه وتعالى : (وَوَيلُ للمُشرَكينَ الَّذينَ لا يُؤتُونَ الزَّكَوةَ وهُم بالأَخرَة هُم كَفرُونَ) [٥] ، أجل لو علم بذلك من يؤمن بالله واليوم

---

(١) للمزيد انظر ، يعقوب ، سيرة الإمام المنصور (العيَّاني) ، ص٢٧.
(٢) سورة الأنعام ، آية (٨٢) .
(٣) سورة آل عمران ، آية (١٦١) .
(٤) في الأصل : " ولا تقال عثرة زكاته " .
(٥) سورة فصلت ، الآيتان (٦،٧) .

الآخر لما تعرض لهذا الإثم الهالك عند الله وعند البرية من تسمى به، وقد بعثت بكتابي هــذا خادمي سعيد بن سراج[١] ليقرأه على من بقي عنده لنا بقية تؤدّى لإنفاذ الأمر في منشورنا هذا ، فليقم معه جميع السعاة الذين كانوا لنا في خدمة ، ولهم بواجبنا معرفة ، ومن أدى واجبه عرف وكتب اسمه ، ومن لم يود شيئا مما لنا عليه عرَّفنا به ، ولم يَلُمْ بعد ذلك إلا نفسه ، وقد أعذر من أنذر ، فأقسم بالله صادقا لئن فعل ذلك أحد من أهل طاعتي لأنفذن عليه حكم الله ، وحكم رسوله ، صلى الله عليه وآله وسلم ، وحكمي .

فرحـم الله عبدا صـان نفسه ، وصان قومه ، ولم يُبد لي وجهـه ، والله يقول وقوله الحـق : (لاَ تُقَاتِلُونَ قَوْماً نَّكَثُواْ أَيْمَانَهُـمْ وَهَمُّواْ بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُـم بَدَؤُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّة أَتَخْشَوْنَهُـمْ فَاللَّه أَحَـقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنـِيـنَ) [٢] ، ولنا سيرة قد أمرنا أن يسار بهــا ، تعلمـون جميعـا أني قد أثبتَ كلا الواليـيَن على ولايته ، وهمــا إبراهيم بن محمد بــن المختــار، وعبد الله بــن يحي [٣] ، فاستمعـوا للشريفين ، وأطيعوهمــا ما أطاعا الله والرسـول وأطاعاني ، وولاية بني الحارث كافة ويام والأحلاف كافة [٤] ،وولاية عبد الله بــن يحي على ساكن وادعة وثقيـف[٥] ، والقاضي الذي وليته على سائر من في الولايتين جميعا سليمان بن النساخ [٦] ، وولايتي على قبض الخراج علي بن أحمد بن أبي حبيب ، وسليمان بن الربيع ، وسليمان بن علي [٧] من قرقر[٨] ، يتصرف هؤلاء السعاة الأمناء فيمــا أقمتهـم فيه ، فإذا قبضوا من إنسان واجب مــا عليه عرفوا الوالي بذلك وأخذوا منه براءة بخطه لمن قبضوا منه واجبه وتكون البراءة على هذه النسخة بعينها : " بسم

---

(١) سعيـد بـن سراج : أحد رجالات الإمام العيَّاني ، والذي كان يرسله في مهام عديدة لإبلاغ أوامره وقراراته إلى بعض الأماكن والجهات التابعة للإمام أثناء حكمه لليمن

(٢) سورة التوبة ، الآية (١٣) .

(٣) إبراهيـم بـن المختار ، وعبد الله بن يحيى من رجال الإمـام العيَّاني الذين حكموا بعض النواحي في اليمن للعيـاني ، وقـد حكما بلاد نجـران لبعض الوقت ، لكن النجرانيين كانوا غير راضـين عنهما ، ويسعون إلى محاربتهما والثورة ضدهما من حين لآخر .

(٤) بنو الحارث ، ويام ، والأحلاف من القبائل الرئيسة المستوطنة لنجران منذ عهود سابقة للإسلام ، ولازال بعضهم يسكن نجران حتى اليوم (مشاهدات الباحث في نجران خلال عام (١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م) .

(٥) وأدعة وبعض رجالات ثقيف مع بعض مواليهم استوطنوا نجران منذ عهود سابقة للإسلام . للمزيد انظر، يعقوب، سيرة الإمام المنصور (العيَّاني)، ص٢٨، الهمداني، صفة ، ص٣١٧، ٣١٨.

(٦) لم نجـد ترجمـة للقاضي :- سليمان بـن النساخ ، ولكن يبدو أنه من رجالات الإمـام العيَّاني ، ومن الذين عملوا معه أثناء حكمه لبلاد اليمن .

(٧) هـؤلاء الرجـال : علي بن حبيب ، وسليمان الربيع ، وسليمان بن علي ممن عملوا على جمع الزكاة ، للإمام العيَّاني في نجران وغيرها . وربما كانوا من رجال اليمن المقربين إلى الإمام ، والموثوق بهم عنده .

(٨) قرقر :- بلد من أوطان بلحارث في نجران . الهمداني ، صفة ، ص٣١٨.

الله الرحمــن الرحيــم ،يقول فلان وفــلان بأسمائهما [(١)] أننا قــد قبضنا من فلان ابن فــلان واجبــه ، وهو كذا وكذا مكيالا أو درهما أو دينارا ، ثم يمضون بالبراءة إلى الوالي فيقرؤوهــا وينسخوهــا في ديوان الخراج ،ويوقــع فيها صح مع قبضـ السعاة لما في هذا الكتــاب ، وأبرأتهــم من الدرك في ذلــك ، وممن قبضوا واجبــه ، وكتب فلان ابن فلان بخطــه يوم كذا من شهر كذا في سنــة كذا. ويكون عند السعاة دفتر بمعرفة ما يقبضون ،ويكــون مثــل ذلك عند الــولاة ، ويكون الــبراءة التي يكتبونها لصاحــب الواجب في يده ،فــإذا طالبتــه بها وجدتها عنده ، وإن لم أجدها عنده أخذتــه بأداء الزكاة التي أجدها في الدواويــن مثبتة عليه، فلينظر كل من عليه واجب لنفسه ، ولا يسلم واجبه الذي عليه حتــى يعطيه السعاة خطوطهم ، وتوقيع الوالي مــع ما يقبض مما على المخِّرج للواجب ، فــإذا سلَّموا خطا بذلك سُلم إليهم الخراج ،فعلى هذا النعت فليسلم إليهم الواجب من وجــب عليــه أداؤه ، ومن أقمتــه في قبض الواجبات مقامي ، وخزنــه في مخزاني فلينفذ أمــر الواليين فيما يوردان بــه خطي ، ويأخذون بذلك منهما خطوطهما ، وكذلك ما ورد مــن خطوطــي بتسليم فليأخذوا تلك الخطوط وقبض من يدفعون إليه بها ، ويستوثق كل إنســان مــن وال ومولى عليه لنفسه ، ولا يعد من التفريط في مثل ما كان فيه من أمسه ، ولم أجعــل على أيدي هذين الواليين رزقا ولا رسما ، فلا يطالبهما أحد بطلابة، لم يأت بها أمري .

وليعلــم جميع العشــيرة أنني لا أعطي أحدا درهما إلا من خدمني ، وبانت نصيحته لي ، واتصلــت بخدمتــه بين يدي ،فإذا كان ذلك فعطية من ذكرت من تحت يدي، لا من خــراج بلد بعينــه ، ولا من واجب يجب عليه، فليتقرر هــذا القول عند جميع من يطلب مني شيئا بلا تكلف أعرفه به .

وممــا أمرت به الــولاة أن يأمروا به السعاة أن يفصلوا بــين الأسماء اسم من عليه الخراج وبين أسماء من ليس عليه خراج ، فلا أجد في الديوان الذي يقبض فيه الخراج اسمين أحدهما ملتبس بالآخر ، ولكن يجعل لكل رجل مكتب باسمه ،ثم يضاف إلى اسمه واجبه من حيث كان مجتمعا أو مفترقا ، حتى يؤخذ ما عليه معا مجتمعا في مكتب واحد مُفــردا ، أو في دفــتر مفصــول ، وإذا قَبضَ خَزنَ خراج (بني الحــارث) كافة في مدينة المهجــر[(٢)] ، وخزن خراج (يام) كافة في حصن الأحلاف ، وخزن خراج أعلى الوادي في

(١) ورد في الأصل :- بأسمائهم ، والصحيح ما أثبتناه .

(٢) المهجــر : لم نجــد تعريف لهــذا المكان ، وإنمــا وجدنا أسماء ومواقــع أخرى مثل : (الهجــر) و(الهجرة) و(الهجيرة)و(المهجم) ، وكلها تقع خارج بلاد نجران . ونفهم من نص الرسالة أن مدينة المهجر المذكورة مــن ضمــن قرى ومدن نجران . للمزيد انظر . الهمــداني ، صفة ، ص١٨٢ ، يعقوب ، سيرة الإمام المنصور

مخـزان واحـد أو اثنين بحسب ما يراه الخازن ، ويولي هـؤلاء الأمناء في كل بشر[١] من يثقـون بـه لقبض واجب ، أو إقامة حبسه بمعروف ، ومـن تولى مجلس الزكاة فلا يأخذ الزكاة من طعام قد زُكي بعد البينة ، ولا يأخذ زكاة بضاعة قد زكيت بعد البينة ، ولا من بضاعة لا تجب الزكاة في مثلها إذا لم تُضف إلى بضاعة ، ولا من بَدوي ولا من حضري اشـترى مـيرّة ليأكلها ، ولا يأخذ من الماشية التي ترد السوق كلها زكاة ممن يوردها من أهـل الطاعـة، إلا ماشية تحتكر في بعض البضايع المعروفة للتجـارة ، فيكون سبيل تلك الماشية سبيل التجارة ، ومن ولي مجلس الزكاة كتب دَخْلَ البلاد وخَرْجه ، ويعرف ذلك ويثْبتـه من يكون معـه دفترٌ أيضا حتى يكون نسخا لا واحدة ، وما طالب من ذلك الوالي سُلـم إليـه وأخذ خط منه ، ويوقفون المحتسب في كل يوم علـى ما يقبضون وما يفعلون ، وسيتقصـى في الواجبات كل الاستقصاء، ومن أخذ مـن أحد ما لا يجب عليه ، أو فرَّط في واجـب فعليه لعنـة الله ولعنة اللاعنين ولعنة الناس أجمعـين ، ومن اطلعت منه على خيانة في ما يلي فقد أباح من نفسه ما حرم الله منه ، فلينظر كل من وَليته أمرا لنفسه ، فالسعيد من نظر لها ، وسعى في صيانتها، وحسبنا الله وكفى ، وكُتِبَ بصعدة في شهر صفر من شهور سنة تسع وثمانين وثلاث مائة سنة [٢]."

(العيَّاني) ، ص٣٠، الحجري مجموع بلدان اليمن ، حـ٤، ص٧٢٥، ٧٧٥.

(١) بشر : هكذا وردة في الأصل ، ولعل المقصود بذلك (في كل شيء) .

(٢) يعقوب ، سيرة الإمام المنصور (العيَّاني) ، ص٣٠، مجموع كتب ورسائل الإمام العيَّاني ، ص٢٢١.

ملحـــق رقم (٥)
رساله من الإمام القاسم بن علي العيَّاني إلى أهل نجران

" بســم الله الرحمن الرحيم . إلى كافة نجـران من العشيرة والجيران سلام عليكم ، فإنا نحمد الله إليكم على نعمه التي لا تعد ، ومواهبه التي لا تجحد ، ونسأله أن يصلي على محمد خاتم الأنبياء ، وعلى من طاب من ذريته وزكا .

أما بعد : فلا معذرة لمن طالت عقلته ، ولم تفده صلاحا فكرته ، أجل لو احتال أهل الألباب فكرهم ، لاعتبروا بغيرهم ، وكان في ما مضى دلالة للباقين على الفناء ، وفيمن تصرفـت بـه الدنيا أدل دليل أنها لا تبقى ، فالعجـب كل العجب لمن لا يعتبر ، بدار لا له بهـا مستقر ، وبدنيا لا بقاء له فيهـا ، فيُقَصّر عن الاكتساب من ذوي مكاسبها ، ويمهد لنفسه من قبل النقلة منها ، ويبادر بالتوبة على سيء عمله فيها [١] .

أي أهـل ذي البلـدة التي فتن بعض أهلهـا ببعض وأكل بعضهـم بعضا، وأعقبهم فعلهم العداء والبغضاء ، ألا تشكرون الله على مقامنا فيكم ، وكف المكروه بذلك عنكم، وتلبسـون ثـوب العافية الذي كسبتم ، كي تكونوا كمن ألبسـه الله ثوب العافية على يدي نبيكم ، صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، فقد ذكر الله ذلك في كتابه ، فقال وقوله الحق: (وَاذكُـرُواْ نعمَتَ الله عَلَيكُـم إذ كُنتُم أَعدَاءً فَأَلَّفَ بَينَ قُلُوبكُـم فَأَصبَحتُم بنعمَته إخوَناً وَكُنتُـم عَلَـىَ شَفَا حُفَرَة مِّنَ النَّار فَأَنقَذَكُم منهَـا...) [٢] ، وأنتم رحمكم اَللَّه فَاذَكروا نعمـة الله عليكـم ، وماَ وهب لكم من جميـع عوافيه بكم ، وما لا يـزال دائما يُسدي به إليكم ، فبذلك يجب عليكم شكره .

وقد جمعكم واد لستم لقديمه ولا لحديثه بجاهلين ، ولا بمعرفة ما كان عليه بمنكرين ، وإن أنكـر ذلـك منكر فلا ينكره إلا من لم يحظ بمعرفة مـا تناسخ العلماء من العلم ، والحديـث المأثور عـن نبيهم صلى الله عليه وعلى آله وسلـم ، ومن وراء ذلك ومن بعده لا اختـلاف بـين أحد من علماء أمة نبينا صلى الله عليـه وعلى آله وسلم أن هذا الوادي كـان ملكا للنصارى غير منوط به سواهم[٣] ، وأنه صلـى الله عليه وعلى آله وسلم ألفى

---

(١) يعقوب ، سيرة الإمام المنصور (العيَّاني) ،ص١٢٤.

(٢) سورة آل عمران ، آية (١٠٣) .

(٣) لمزيـد مـن التفصيلات عن تاريخ نجران قبيـل وأثناء ظهور الإسلام ، انظر ، ابـن هشام ، السيرة ، حـ٤، صـ٢٤١، الطـبري ، تاريخ ، حـ٣ ، ص٦٤، جواد علي . المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام (بيروت : دار العلم للملايين ، ١٩٧٨م) حـ٥، ص٣٥٣، ابن جريس ، نجران ، حـ١، ص٥٦ وما بعدها .

العرب بأسرها على دين الشرك خلا المتنصرة من ربيعة الفرس[١] بنجران والجزيرة، وكـلا رَدّه علـى دينه كرها ، خلا هذين الحيين فكلاهما امتنع يومئذ في موضعه ، وقاتل علـى بلده ودينه ، فصالح كلا الحيين عن نفسـه ، وعما في يده . فأما نصارى الجزيرة فترفعـوا عـن الجزية فطلبـوا أن يضاعف الزكـاة عليهم ضعفـين ، فعاملهم صلى الله عليـه وعلـى آله وسلم على ذلك ، وشرط عليهم أن لا يصبغـوا [٢] أولادهم، يريد: أن لا يدخلوهم في دينهم، فلم يقولوا بذلك ، ولم يسألوا عنه على هذه الغاية.[٣]

وأمـا نصـارى نجران فصالحوا على دينهم وبلدهم بأربع مئـة أوقية ذهب ، وأربع مئـة حلـة من وَشْي صنعاء ، ثم أخذ الخلفاء منهم الجزية لما تركوا أداء ما عُوملوا عليه وأجروا معهم إصلَاحا ، من ذلك لما خرجوا من البلد وتبعوه وفارقوا سكناه[٤] ، حتى لم يعـد به إلا من قد ترون ، ثم أعقب من سكنه من العشائر على من انتقلت الأموال إليه ، على حين وناء الإسلام وضعف بسلطنة الخلفاء ، فتجرَّموا ما بأيديهم وأكلوه بالمغصوب والحقـارات ، وما ارتسموا به إلى هذه الغاية، فشمل الوادي الظلم من النصراني الذي عومـل على نفسه ، وما في يده بإخراج البلـد منه ، ومخرجه عنه ، وترك ما عومل عليه فيـه ، ومـن المسلمين الذي دخل بالشراء علـى أرض عامل عليها النبـي صلى الله عليه وعلى آله وسلم لعامة من دخل معه من الأنصار والمهاجرين، وكذلك من دخل من العشر مـع مشـتري هذه الضيـاع بغصب وحقارة ، فقـد دخل بغير واجب ، ولم يَـزَل الإصلاح يجري في هذا الوادي من جميع الدول ، ويُستأجر ذلك لقدر ما ذكرنا مما كان عليه من بـدء الإسلام حتى كان آخر صلح جرى فيه الهادي رضـي الله عنه للنصارى ولشراحه وملاكه بالشراء[٥] ، فلولا معرفته بمخرجه لما صالح النصراني على ما بقي في يده ، وما ارتـد بشرائه من المسلمين بأكثر مما يجب عليه من الجزية ، وكذلك من ألفى الأملاك بيده ، وما أوجب عليهم فيها من أداء الزكاة ، من قليل ما أنبتت الأرض وكثيرها ، فلو لم

---

(١) ربيعـة الفرسـ : هم ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان . انظـر ، التعريف في الأنساب للأشعري (القاهرة ، د.ت) ، ص٩٨.

(٢) في الأصل :- لا يضيعوا ، والصواب ما أثبت .

(٣) يعقوب ، سيرة الإمام المنصور (العيَّاني) ، ص١٣٥.

(٤) للمزيـد عـن تاريخ النصارى في نجران منذ ظهور الإسلام حتى القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي، انظـر ، الطـبري ، تاريخ ، حـ٣ ، ص٣١٨، حـ٤، ص١١٠ ابـن سلام ، الأمـوال ، ١٤٤- ١٤٥، ابن جريس ، نجران ، حـ١ ، ص٩٦-١٠١، ٤٥٠- ٤٥٤.

(٥) للمزيد عن صيغة الصلح الذي عقده الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين (مؤسس الدولة الزيدية في صعدة) مع أهل الذمة من نصارى نجران في نهاية القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي ، انظر. علي بـن محمد بن عبيد الله العباسي . سيرة الهادي إلى الحق . تحقيق سهيل زكار (بيروت ، د.ن، ١٩٨١م) ، صـ٧٢ ومـا بعدها ، عاتـق البلادي . بين مكـة وحضر موت رحـلات مشاهدات (مكة المكرمـة : دار مكة للطباعة والنشر ، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م) ، ٢٤١- ٢٤٧.

يكـن الأمـر على ما ذكرنا لما أخذ الزكاة إلا مما تجب الزكاة في مثله من الكيل المعروف ، ولـتَرك مـا لا يجب الزكاة فيه، وكذلك الشراح لـو لم يكن البلد على ما ذكرنا لما ترك الشـارح فيـه يدا بقليل ما يترك ، ولكان قد نزع القليل الذي أطلق، كما نزع الكثير الذي ألفاه مفاوتا في المعاملة، فاعلموا ذلك [١] .

ثم قد ولينا بلدكم هذه ولاية من يريد لكم الإصلاح ، فلسنا بمخرجيكم عما رسم إمامنا فيكم ما استقامت لنا طاعتكم ، ولم تفارقنا جماعتكم ، إذ نحن ولاة ما ولي نبينا صلى الله عليه وعلى آله وسلـم ، والمصرفـون لما ولي تصريفه في أهل طاعته ، والداخلين في جماعته، وقد بعثت الآن خادمي سعيـد بـن سراج لمـا كنت قد بعثته من إطـلاع العشائر والبلـدان واستخراج الواجـب ، فاستغنموا لطاعتنا ، وتصرفوا بين أمرنا ونهينا ، فبذلك تفوزون عند خالقكم، وإمامكم وابن نبيكم ، وتحسن في كافـة الأمور أحوالكم ، ولن يغيب الصواب عن مثلكم ، والله يرشدكم لذلك ويوفقكم . وقد كنت وليـت عليكم أخي أبا إسماعيل إبراهيم بن محمد بن المختار وأمرتكم له بالسمع والطاعة ما أطاع الله ورسوله ، ومن ولاه عليكم ، وسار بالحق فيكم ، ولم أنزعه من ولايته ، ولا أنزعه ما استقام علي ما أوقعت به الشريطة عليه ، والله يرشدنا ويسددنا أجمعين لما فيه الخيرة [٢].

وقـد رسـم هذا البلـد برسم من رسوم الباطـل ، أمرت برفع ذلك عـن الكافة من الفروق والحصاد وعلوفة الخيل ، فلا يخالف أمرنا برفع أحد فَلامَ إلا نفسه ، ولصاحب الملـك الخيار في ماله إن شحَّ فلا يكلـف إخراج ماله ، وإن سمح عن غير تكليف لم يمنع مـن فعله ، وقد أمرنا بكل مال تبايعه الشـراح بينهم فأصله لمالكه ، ولا يُنزع من يده ولا يؤخذ منه فيه إلا رسم القصَبة ، ما لم يستغرق جملة الخراج أو يدري به ، والواجب من رأس الغلة يلحق القصبة بقدرها ، ويلحق صاحب الملك بقدر ما معه ، ولا بحمل الخراج علـى صاحب الملك من دون الشارح ، بل يخرج الخراج من الرأس ، وثبوت كل منه بقدر مـا يصـير إليه ، وقد جعلت لهذا القائد الشد بـكل من خالف أمري في شيء مما أمرت به ، فمن أتى منه خلاف أمري ،أمر الوالي بحبسه والشد عليه ، فإن لم يفعل الوالي ما يـرى القائد من الصلاح فقد جعلت عنـد ذلك للقائد أن يحبس من يستوجب الحبس ، ويعاقب من يستحق العقوبة ، وذلك بعد البينات ومشاورة من أمرته بمشاورته ، وخروج الأمـر من قبلي من بعـد وصول الكتاب مطلقا على ما يجري من الأحوال في البلد كلها ، وفي البلـد مـن يجري بينه الشَّجَرَة ، فمن أتاه مستعديـا رَفَعه إلى الوالي ، فإن كفاه بعد وجوب الحق لمن يجب له اكتفى بذلك ، وإن لم يكف الوالي عذر على الظالم وحبسه بما يوجب الحكم عليه والسلام "[٣].

---

(١) المصادر والمراجع نفسها ، للمزيد انظر ، يعقوب ، سيرة الإمام المنصور (العيَّاني) ، ص١٣٦.
(٢) المصدر نفسه ، للمزيد انظر ، مجموع كتب ورسائل العيَّاني ، ص٢٩٤-٢٩٥.
(٣) المصدران نفسهما .

ملحـــق رقم (٦)

خطـاب مـن الإمام القاسـم بن علـي العيَّاني في عـام (٣٨٩هـ/٩٩٩م) إلى أهل طاعته في البلاد التي بحوزته يطلب منهم النجدة والانضمام تحت لوائه لمحاربـة الدخامس من بني خيثمة الحارثيين النجرانيين، [1] الذي ثاروا ضـده واعتدوا على بعض رجاله في نجران وقتلهم.

« بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين وصلَّى الله على سيدنا محمد وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين . أمَّا بعد : يا أهل طاعتنا فإنا وإياكم قد جَمَعَنا العهدُ الأكيـد على طاعة الله الواحد المجيد ، والله يقول وقوله الحق (وَأَوْفُواْ بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَـانَ مَسْـؤُولاً) [2] ويقول: (يَـا أَيُّهَا الَّذِيـنَ آمَنُواْ أَوْفُـواْ بِالْعُقُودِ) [3] ويقـول: (وَالَّذِينَ هُـمْ لِأَمَانَاتِهِـمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُـونَ) [4] آيٌ كثيرة لا نأتي لها على عـدة في كتاب الله ، كل ذلـك يحضُ البرية فيه على الوفاء بعهودهـم ويَمْدح في كتابه من وفى بالعَهْد منهم ، ألا واعلمـوا جميعـاً يا أهل الطاعة أنه لم يأت أحد ممّـن بايعنا عذراً ظاهراً وينقض عهده نقضـاً متواتراً إلاَّ الدَّخامس الفاسق فلعنة الله عليه وعلى شركائه في غدره وسوء فعله، تعلمـون رعاكـم الله جميعاً أنه بلغنـي أن عُمَّالي بوادي نجران صـاروا إليه في خمسين رجـلاً لخرص ما قبله من الواجب فَقَدّمهـم إلى منزله وأوطاهم لفراشه وأطعمهم من معاشـه، ثم دعا بأهل بيتـه من بني خيثمة اللعناء السفهاء فقتلـوا العامل إسماعيل بن رزين ورجلاً وائلياً [5]، وخرجوا أكثر الجماعة وقبضوا أسلحتهم ، وأن ذلك لما بلغ أكثر أهل الوادي من بني الحارث وهمدان استعظموا الأمر [6]، فالتقوا وجدّدوا العهود بينهم على الاستقامة في طاعتنا والثَّبات على بَيْعَتنا ، ونهضوا حتى وصلوا إلى النجس الغوي ، فتحصَّـن منهم في حصنه ، وبهذا أتاني كتاب إبراهيم بن محمد بن المختار، ثم إن من

(١) بنـو خيثمة : أحـد عشائر نجران الحارثية وكانت من أشد البطون المعاديـة للأئمة الزيدية في نجران وما حولها . انظر ، يعقوب ، سيرة الإمام المنصور (العيَّاني) ، ص٨٣ وما بعدها .

(٢) سورة الإسراء ، آية (٣٤) .

(٣) سورة المائدة ،آية (١) .

(٤) سورة المؤمنون ، آية (٨) .

(٥) وائليـاً : أي مـن قبيلـة وائلة ، وهي قبيلة تنسـب إلى وائلة بن شاكر مساكنها في صعـدة ونواحيها ، انظر ، الهمداني ، الإكليل ، حـ١٠، ص١٨٩.

(٦) يعقوب ، سيرة الإمام المنصور (العيَّاني) ، ص٨٣.

الواجـب علينا وعليكم مـا فرض الله فيمن فعل فعْل هذا الغادر قـال الله سبحانه آمراً بذلـك من أطاع أمـرَهُ (ألاَ تقاتلون قوماً نكثوا أيمانهم وهموا بإخراج الرسول وهم بدؤكم أول مرّة أتخشونهم فالله أحق أن تخشوه إن كنتم مؤمنين . قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللّهُ بِأَيْدِيكُـمْ وَيُخْزِهِـمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِـمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِـينَ)[١] فرحم الله عبداً ورحـم والديه اتبَـع أمر الله فلم يأمر عبـاده بالقتل والقتال لأولي الضـلال إلاَّ لمصالح يشملهـم نفعهـا في عاجل الدنيا ويثابون بها في الآخرة التـي لا تفنى قال عزّ وجلّ: (إن تَنصُـرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ) .[٢] والله صادق وعده ورسله ولا خلف لوعده، وقـد نَعْلـم يا أهل طاعتنا أننا قد ندعوكم من القيام في سبيل الله إلى أمر يثقل عليكم ، وهـو يعلم الله أشق فروضه عليكم وأحمده عاقبة لكـم في العاجل والآجل . قال الله عزّ وجـلّ : (كُتِـبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُـرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تُحِبُّواْ شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ)[٣] .

أجل لقد نجد في طلب الراحة من المضار مالا نجده في العزّ والامتناع والصبر على محبّـة القتال ، فالله الله عباد الله قومـوا في سبيل الله وانفروا إلى من أراد بكم الفتنة وبغـى لكـم الفرقة ، فما بعد ما جرى من معـذرة في ترك فنترك ، ولا في حلم فنحلُم ، ولا في صَـبر فنَصْـبر ، والله يقـول وقولـه الحـق : (وَالَّذِيـنَ إِذَا أَصَابَهُـمُ الْبَغْـيُ هُـمْ يَنتَصِـرُونَ)[٤] وكونـوا رحمكـم الله من المنتصريـن ، وادخلوا في مدحـة رب العالمين ، تكونـوا عنـده بذلـك من الفائزيـن ، فقد بغى لكم هـذا الغوي الفاسـق الفرقة ، وباع دينـه وعهـده وعرضه بأخبث المـآكل الدنيئة ، وإن أراد بذلـك صدّكم عن المطلب الذي أنتـم بالغـوه من غزاة أخويـه العبدين الفاجريـن بحول الله وقوتـه[٥] ، فمن كان منكم راغبـاً فيمـا رغَّـب الله فيـه البرية مـن بـذل أنفسهـم وأموالهـم في سبيلـه فليقم في هيئـة سفـره وليتزود لنصف شهـر ، وليكن مصيره إلى ليلة الهـلال هلال ذي الحجة ففيهـا تنصـرون، وعلى جميـع أعدائكم تؤيَّـدون ، وفي الغزاة في شهـر ذي الحجة من الأجـل أفضل مـا فيها من الحـج والسَّبيل الأعظم ، فهـو السَّبيل الذي ندبنـا الله إليه وأمرنـا فيـه ببـذل الأموال والأنفس فقال: (مَّثَلُ الَّذِيـنَ يُنفِقُـونَ أَمْوَالَهُـمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ كَمَثَلِ حَبَّـةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِـلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّئَةُ حَبَّـةٍ وَاللّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَاللّهُ

(١) سورة التوبة ، الآيتان (١٣-١٤) .
(٢) سورة محمد ، الآية (٧) .
(٣) سورة البقرة ، آية (٢١٦) .
(٤) سورة الشورى ، آية (٣٩) .
(٥) يقصـد بـ (العبدين الفاجرين) أي حاكمي عثر في تهامة ، واللذين أرسـل إليهما الإمام العيَّاني رسالته المدونة في أول هذه الدراسة .

وَاسِعٌ عَلِيمٌ)[١] وقال وقوله الحق: (وَفَضَّلَ اللّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا . دَرَجَاتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً)[٢] فرحم الله عبداً اغتنَم ما وعد الله مَن التفضيل ، فهنا الفضلَ والتَّفضيلَ ، لا ما يفضل بـه أهل الدنيا بعضهـم بعضاً ، وقـد كنت ندبت من العَسْكر المنصور فيما بين صنعاء والجراف[٣] مائتي فارس معدة ليكونوا يحضرون على الـدوام ، ويتنـاوب أهل الطاعة المقـام وقضاء حوائجهم بالكفاية والـرزق ، ورجوت أن يكون في ذلك عزّ الإسلام مهيبةً وهيبة لمن لا تؤمن بوائقه من الأنام ، وخشيت أن يجري الـذي جـرى والبرية لا يتقـون الله ولا من يرونَ معه ضعفاً ولا يتقـون إلاَّ ما رهبوا ، قال الله عـزّ وجلّ: (وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدْوَّ اللّهِ وَعَدُوَّكُمْ)[٤] فلا تنقص البدنة الآخرة البدنة الأُولَة ، وعليكم يا جميع المسلمين بالعزم القـوي على جهـاد النَّاكثين والاستعداد والمرابطةِ للمارقين . قال الله عزّ وجلّ: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَاتَّقُواْ اللّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ)[٥]

---

(١) سورة البقرة ، آية (٢٦١) .
(٢) سورة النساء ، الآيتان ، (٩٥،٩٦) .
(٣) الجراف هنا : أي جراف حاشد ، للمزيد انظر ، الهمداني ، صفة ، ١٧٠، ٤٠٩.
(٤) سورة الأنفال ، آية (٦٠) .
(٥) سورة آل عمران ، آية (٢٠٠) .

ملحــق رقم (٧)

خطـاب ثـاني من الإمام القاسـم بن علي العيَّاني إلى بعض ولاته في اليمن يحثهم على عدم التقاعس في نصـرته والانضـمام إليـه للذهاب إلى نجران من أجل محاربة المتمردين بها وعلى رأسهم زعيمهم الدخامس الحارثي النجراني.

« بسـم الله الرحمـن الرحيم . كتبت يا إخوتي أحسـن الله رعايتكم وصرف عنكم جميـع الأسواء، وأنا واثق بالله وبكـم ، مستجير على ما نشأ في الكفر والنفاق ، وبعد إن الغـدر والشقاق مع خبيث المواد ، ونجاسـة المحتد أعداء آل محمد المتناسخين لبعضهم ، والمخالفين في كل عصر عليهم ، أولئك بني الحارث الأشقياء، الغَدَرة الأدعياء ، فإلى الله ما حكم الله من قتالهم ، وأوجب من استئصالهم ، ادعوا أولياءه ، واستنصروا على أعدائه ، وأذكرهم من حكمه في الظالمين ما يقوى بفتنهم ، وبسط على المخالفين أيديهم ، قال الله وقوله الحق المبين : (أَلَا تُقَاتِلُونَ قَوماً نَّكَثُواْ أَيمَنَهُم وَهَمُّواْ بِإِخرَاجِ الرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُم أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخشَونَهُم فَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخشَوهُ إِن كُنتُم مُّؤمِنِينَ قَاتِلُوهُم يُعَذِّبهُمُ اللَّهُ بِأَيدِيكُم وَيُخزِهِم وَيَنصُركُم عَلَيهِم وَيَشفِ صُدُورَ قَومٍ مُّؤمِنِينَ وَيُذهِب غَيظَ قُلُوبِهِم)[(١)] فعجـلاً عجلاً إلى اتباع أمـر الله في القومَ الظالمين ، الذين بدلوا نعمة الله كفراً وبطرا وغـدرا ، لا عن يد سيئة وحنث ذلك ،بل دعوتـي في أول الأمر إلى المدخل معهم والولاية لبلدهـم ، من قبل أدعوهم إلى ذلك ، ثم لم تـزل طبائع السوء تستدعيهم إلى السيئة ، ولم ترد منهم سيئة إلا عفوتها وعفوت عنها ، وحتى كان من أعقاب سيئاتهم قتل عمالي واستباحـة ذمتي ، فنصر الله عليهم بأوليائه حتى وصلـوا دارهم ، وقبضوا أسراهم ، فلـم أولهـم في الأسر عتبا ، ولم أدخلهم حبسا ، ولم أحرمهـم طعما ولا مشربا ... [(٢)] ، ومن عرف ذلك أني ما بررت ضيفا ، ولا اعتنيت بنريل زائر كعنايتي بهم ، ثم سلمت من لزمت منهم في أسرع وقت ، وسرحت بأجمل تسريح ، ولم أولهم من القول إلا أجمله ، ولا مـن الفعل إلا أنبله فما استقرت بهـم الأرض حتى أبدوا الخنا ، وتداعوا إلى ما يعوقهم الفنا، ولم يكتفوا لذلك حتى أدخلوا من القرابة من كنت به واثقا ، وعلى وفائه معولا، ولبـث خادمـي ، وكانت أنفسهم إلى قتلـه مطلعة ، وأرى حيفهم بهـم متصلة، ثم هبط رجل من بني عمي الحسينيين فأرادوا قتله فصرف الله مكيدتهم عنه، وكذلك خادمي،

---

(١) سورة التوبة ، الآيات (١٣-١٥) .

(٢) كلمة غير واضحة وقد وردت بهذه الصورة (قدا) .

وكفــى اللّه شرهم ، فانصرف إلى همدان إلى من لــه الولاية الأصلية، والبر والفضيلة، فأوفــى وحامــوا عليه وقاموا عليهم معه ، وبعثت إلى المعــذرة أذكرهم بما عقدوا لي من أنفسهــم، وأعتب عليهم في قبح فعلهم ، وكان منهم غرض الفتنة علي، وإظهار المعصية لي ، والنــداء بــاد إلي ، وصــرف عمــالي وتبديل ســنن آبائي ، وتبديــل دعوتي للدعوة لأعداء اللّه وأعدائي ، وقد جرى بها الأخوة ما قد جرى واستهممتكم له ، وقرعت إليكم مــن حســن الظن بكــم أوضع الرجا في موضعــه منكم ، فحاموا عــن الأصول الكريمة ، والمناصــب القديمة ، واطلبوا بذلــك وجه اللّه والدار الآخــرة ، ولا يكن الكفرة الفجرة علــى باطلهــم أحمى من المسلمين على حقهــم ، واللّه يوفقكم لما فيــه الصلاح ويغنيكم بمنــه وإحسانــه،(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُــرُوا اللَّه يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ)[١] فانصروه ينصركم اللّه واذكروه يذكركم ، واسألوه من فضله يعطيكم، فمن أول عطاياه الجسام التي ينالها هذا السبيل منكم ، ولست أنزع من رجل مغنماً ولا أخشى عليه بعد فعله مأثماً ، ولا أتبعه لوماً ، وكيف لا أبيح من أباح ذمته ، ونكث بيعته ، وأحلّ ماله بحنثه عليــه ، فأبشروا بالغــزو والغنائم وقتل كل غوي ظالم ، فباللّه فاستعينوا ، وعليه فتوكلوا ، وهــو حسبنا وكفى، ونعم الوكيــل ، والموعد على بركة اللّه ، مستهــل جمادى الأخرة إلى عيان على بركة اللّه وعونه « .[٢]

---

(١) سورة محمد ، الآية (٧) .

(٢) للمزيد انظر ، يعقوب ، سيرة الإمام المنصور (العيَّاني) ، ص١٧١- ١٧٢.

ملحق رقم (٨)

قصيدة للحسين بن أحمد بن يعقوب ، مؤلف سيرة الإمام العيَّاني [١]، قالها في المتمردين من أهل نجران عندما ذهب الإمام القاسم بن علي العيَّاني لقتالهم ومعاقبتهم عام (٣٨٩ - ٣٩٠ هـ / ٩٩٩ - ١٠٠٠م) .

سِرْنَا إلى نَجْرَان لجب شزباً ... مِثْلُ السَّعَالي فِي المَسَاجِلُ تَمْرَعُ

فتىً عَليها الأيزَنُونُ مَظَاهِراً ... خِصًّاَ لهَا مِنْهَا المَكَاره تُدْفَعُ

يَحْمِلْنَ كُلَّ فَتىً شُجَاعٍ بَاسِلٍ ... مَاضي العَزِيمَة ضَيْغَم لا يَجْزَعُ

مُنَكِّف حِلَق الحَديدِ مُظَاهِراً ... عِنْدَ اللِقَاء مُصَمِّم لا يَرْجِعُ

مِنْ حَيٍّ هَمْدانَ الذين بِمِثْلِهِمْ ... يَرْضَى الإمام لَدَى النِّزَالِ ويَقْنَعُ

لَمَّا هَبَطْنَا سَهْلَ نَجْرَان الذي ... كَانَتْ جَوَانِبُه حِمَاء يُمْنَعُ

لَمْ يَمْتَنِعْ مِنَّا سِوا مَنْ قالَ قَدْ ... بَلَغَتْ صَنِيعَتَكُمْ فَمُنُّوا أو دَعُو

فَعَفا الإمام وقَالَ حَبْسُ صِنَانَة ... لا بُدَّ مِنْ حَبْسٍ أطيعُوا واسْمَعُوا

فَتَبَادَرُوا طَلَبَ السَّلامَة والبَقا ... حِلَقُ الحَديدِ وَكُلَّ خَلٍ وَدّعُوا

والنَّاكِثُ الغَدَّارُ وَلَّى هَارِبَاً ... والعَيْنُ مِنْ جَزَعِ المَنِيَّةِ تَدْمَعُ

جئنا إلى أرض اللعين وقومه ... والكل في هرب مجدٍ مسرع

قاعاً تركنا دورهم وحصونهم ... بعد الأنيس فهم خلاءٌ بلقع

ونخيلهم أمست دواد بناتها ... جُمَّارها من كل شق ينزع

دارت رحانا بعد ذاك على بني ... آل الحماس وقد نووا أن يمنعوا

درنا بسوجان فلم تك طرفة ... حتى الدخان بجانبيه يصدع

وتلاحق القوم الخفاف هزيمهم ... في شاهق رأس البقاع ممنع

---

(١) القاضي الحسين أحمد بن يعقوب ، من المعاصرين للإمام العياني ، ويعد أحد علماء وفقهاء القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي ، وبخاصة في علوم وفكر وأدب المذهب الزيدي ، وهو المؤلف لسيرة الإمام العيَّاني ، انظر ، السيرة نفسها ، ص٥ وما بعدها .

غنموا طنينهم وظلت بيضهم | من خلفهم مثل الإماء تروع
تسل الرحام لها فتلقى كلما | سالت فتحفظ بالذمام وتمنع
هذا جزاؤهم ببغض المرتضى | وهو المفضل والبطين الأنزع
وبنقضهم عهد الإمام ورفضهم | حق الوصي وما سواه ضيعوا
همدان للمنصور مردات العدى | كل لهم في كل أفق يخضع
فليعلم العبدان أن كتائباً | منهم ستصبح قاع بيش تنبع [1]
وهما غنيمتهم وما قد جمعا | ولغيره كم من عديد يجمع
وهو الخليفة في البلاد لربنا | وهو السفينة للعباد المفزع
وهو المهذب من سلالة هاشم | وهو النجاة لمن يرى أو يسمع
فالله أيد قاسماً لوقائع | يصلى مواسم كتبها من يخنع
حسبي به مولى أدين بدينه | ومشفع يوم القيامة يشفع [2]

(١) يقصد بـ (بيش) هنا : أي بلدة بيش الواقعة ضمن مخلاف عثر والتي يستوطنها العبدين المذكورين في الرسالة التي أرسلها الإمام العيَّاني ، التي ورد نصها في بداية هذه الدراسة .
(٢) للمزيد انظر ، يعقوب ، سيرة الإمام المنصور (العيَّاني) ص١٢٩- ١٣٠.

ملحق رقم (٩): خطاب بتاريخ (١٥/محرم /١٢٧٤هـ) من علي بن الحسن المكرمي إلى أحد ولاة الدولة العثمانية في بلاد اليمن يخبره ببعض الأخبار السياسية في بلاد السراه وتهامة، ويدعو له وللدولة العلية بكل خير وفلاح ، **المصدر : مكتبة د. غيثان بن جريس العلمية، الوثائق العامة (ق١٣هـ/١٩م) ج١، ص ١٦٤.**

الحمد لله

من علي بن الحسن بن محمد المكرمي إلى جناب الملكرم المحترم سعادة افندينا الباشا دام اجلاله وشرفه السلام عليه ورحمة الله وبركا[ته]

والحمد لله المستحق للحمد وصلواته وسلامه على سيدنا محمد وآله وصحبه أهل الشرف العالي والمجد وبعد فصدورها للسلام والمو[اصلة]

المواصلة والاخبار كما قد بلغكم نزول الامير محمد بن عايض [illegible] فالحمد لله والشكر عدد ما ابدع واو[جد]

ولا يخفا ذهنكم ان المحب يميل الى محبة الدولة العليه وارادة البريه وعرب يام لا يخفاكم حالهم ولهم قواعد

وعوايد على حكام تهامه ونحن ما نريد نجي في جانب الدولة ورعاياهم منهم شي منه المخافه ونحن معهم [illegible]

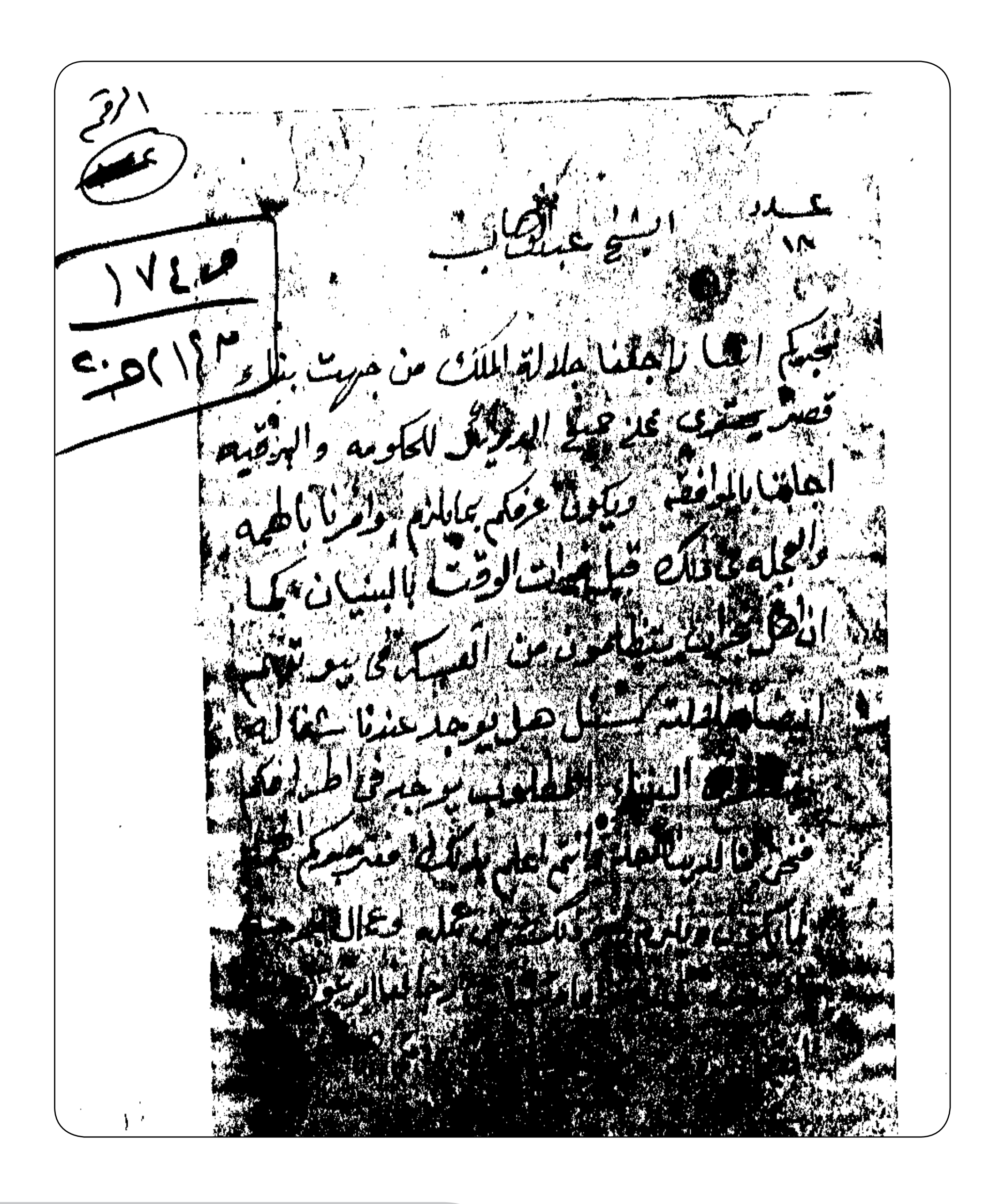
يصلح للبلاد والعباد فعلمكم بفضله وان الفقير محلكما نبلغ الجهد فيما يصلح للدولة العليه ولا زمنا في جنابهم الخير [illegible]

ان شاء الله وقد عرفنا محب الحج عبد الرحمن محافظ باني النفس لابد يطلعكم ان شاء الله عليه ونجابنا [illegible]

وعافيه والسلام حرر له يوم ١٥ محرم سنة ١٢٧٤

(ختم: علي بن [illegible])

ملحق رقم (١٠) : خطاب في عام (١٣٥٢هـ) من أمير نجران عساف العساف إلى عبد الوهاب أبو ملحة يستحثه على الإسراع وإرسال المؤن التي تصب في بناء وتشييد مقر الإمارة في نجران، كما يذكر له أخبار أخرى بخصوص بلاد نجران . **المصدر:** مكتبة د. غيثان بن جريس العلمية (ق١٤هـ/٢٠م)، ج٢٠، ص١٧٤ .



الرقم ١
ص ١٧٤
ج٢٠ (١٤٢

عدد ١٨
الشيخ عبد الوهاب

نخبركم انها راجعنا جلالة الملك من جهة بناء
قصر يحتوي على جميع الدوائر للحكومه والهديه
اجابنا بالموافقه ويكون عزمكم بما يلزم وامرنا بالهمه
والعجله في ذلك قبل ... الوقت بالبنيان كما
ان اهل ... من ... في ...
... هل يوجد عندنا شيئا له
... البناء المطلوب يوجد في ...

ملحـق رقـم (١١): خطـاب بتاريـخ (١٢/٥/١٣٥٢هـ) مـن الملـك عبـد العزيـز بـن عبد الرحمن الفيصـل إلى شـيوخ قبائل يام يعطيهم فيه الأمان ويحثهم عل تحكيم شـرع الله في أوطانهم، **المصـدر: مكتبة د. غيثان بن جريس العلمية . الوثائق العامة (ق١٤هـ/ ٢٠م)، ج٢٥ ، ص١٩٨.**

ص ١٩٨

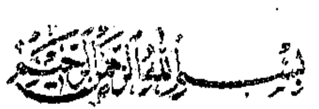
ج ٢٥

من عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل الى جناب الاخوان الكرام الشيخ سلطان بن حسن بن منيف والشيخ جابر بن
حسين بن نصيب والشيخ حمد بن مانع وكافة رجال يام سلمهم الله تعالى السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد ذلك
بارك الله فيكم طلبوا منا جابر بن حسين تبيان ما في خواطرنا من طرفكم وتعرفون ما لنا طماعة في
نجران وان طاعتنا السكون والراحة للمسلمين وانا معطيكم وجهي وامان الله على امور
الاول انا ما نحملكم على محمل يخالف كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وانا لا نطلب
منكم غير تحكيم شريعة محمد صلى الله عليه وسلم وان بلادكم وامراكم وما انتم عليه سابقا انكم عليه
لا نضايقكم ولا عليكم من جميع احد وان لا يجيكم غدر ضد ملاعتاكم عليه وانكم آمنين من جميع الامور
كلها الا انسان يتبين في عداوة المسلمين ولا يجد من يقوم عليه من رفاقته وقبيلته حتى يكف اذاه
ويمشي على الطريق المشروع وغير ذلك عليكم الله وامان الله فيما ذكرنا لكم ومن جميع شيء تحاذرونه
منه هذا ما لزم تعريفه والسلام ١٢ ج ٥

<u>ملحق رقم (١٢) :</u> خطاب بتاريخ (١٣٥٢/١١/١٩هـ) من الأمير سعود بن عبد العزيز إلى عبد الوهاب أبو ملحة يستحثه على الإسراع وإرسال بعض الأغراض والمؤن أثناء سيره إلى منطقة نجران عام (١٣٥٢هـ) . **<u>المصدر : مكتبة د. غيثان بن جريس العلمية . الوثائق العامة (ق١٤هـ/ ٢٠م) ، ج٢٩،ص٢٢٧ .</u>**

ص ٢٢٧

ج ٢٩ / ١٤هـ



ديوان ولي عهد

المملكة العربية السعودية

الأمير سعود

من سعود بن عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل الى جناب الاخ المكرم عبد الوهاب سلمه الله تعالى

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته بعد ذلك الخط المكرم وصل وما عرفتو كان معلوم

من جها ما اشرتوا اليه من طرف الذي يجونكم يبون الامان فانت محل النفس

وما يبن في جميع الامور واشر عليهم ان المسلمين اذا مشو يتبيون كذلك حالا

ترسلون علينا العيش الذي عندكم لاجل هنا خالين ما عندنا شي اليوم على

كل حال وهنا بي عشرين بعير على كل حال اليوم لاجل شد يدنا باكر وقاصد

علينا جمال للمدافع والرشاش وغيرها وهمتكم العليا بالعشا وشايفينها

يبو عبد العزيز وابشرك ان الامور بتظهر على المطلوب انشاء الله

المقصود تحرص على ما ذكرنا اليوم على كل حال وبالله ثم بك كفايه هذا ما

لزم تعريفه والسلام ٥٢

١٩ ذي

ملحق رقم (١٣): خطابان من الأمير سعود بن عبد العزيز الفيصل إلى عبد الوهاب أبو ملحة ، وتاريخهما في شهري ذي القعدة أو ذي الحجة (١ ، ٢٦) عام (١٣٥٢هـ). وفيهما تفصيلات تحث أبو ملحة على القيام بأعمال عديدة من أجل توفير بعض الاستعداد وامداد الجيوش الذاهبة إلى نجران أثناء حربها مع اليمن، **المصدر : مكتبة د. غيثان بن جريس العلمية، الوثائق العامة** (ق١٤هـ/ ٢٠م) ج٢٨، ص ٨٦ - ٩٢.

بسم الله الرحمن الرحيم

ديوان ولي العهد

المملكة العربية السعودية

الأمير سعود

من سعود بن عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل الجناب الأخ الكرم عبد الوهاب بن ابو ملحه سلمه الله
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . بعد ذلك من قبل حنا نوض في السماء
ورجلينا في الأرض . والأمور الذي يتدبر ما صلح لها عمل والرجال
قاضين حدودهم ومسعدين . وحنا في حيص فيط عبد الوهاب
ما ادري ادابك توفي باعصابك اسمي لا تخليني مثل ام طرفين . عندكم ثلاث مسائل لابد منها
اولاً ما ادري ادابك سنعكم وحنا بيجي القابله
وبدني الاهي مسنعه . والثانيه تذهب عسير . والثالثه
ولا يمكن نمشي الا [illegible] ماشيم الابل . واليوم ما عاد يعنا
دراهم هالناس ماهم ماشيين [illegible] مع زهابهم . واليوم ما عاد يعنا
ال الجيحان الذي بنجران وانت على كل حال يدنا ورجلنا ولا
انذاك [illegible] وانجتك ثم انت هذا الذي
لنا في هالموطن احد يعول علينا الا الله ثم انت
عندي وانت احسن بنفسك ودبرني هذا وانتم تدبرهم ولله

تابع ملحق رقم (١٣)

بسم الله الرحمن الرحيم

ص ٨٦

م ٢١/٢ ج ٢٨

ديوان ولي عهد

المملكة العربية السعودية

الأمير سعود

من سعود بن عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل الى الأخ المكرم عبد الوهاب
بن محمد سلمه الله تعالى السلام عليكم ورحمة الله وبركاته الخط المكرم و
صل وما ذكرتوا [?] كان معلوم من طرف البانزين الذي جاب مجري رجال
السديري حالا ادفعوه علينا على ركايب احرص على عجلته من طرف
[illegible] البيارق الذي عندكم ارسلها علينا بحال السرعه لاننا بغا[?]
[illegible]تها من طرف بن الوزير بيقدم على طريق ظهران فاذا وصلكم يكون
[illegible] على بلاد بن عريعر ومنها الى الثويليه ومن الثويليه الى الحصي
واذا وصلوا الحصي يبقون فيه حتى تخبرونا وهذا واصلك خطوط
لابن عجخ [?] وبن ماضي ونحوه اذا انشاء الله تسلمونها لهم هذا ما لزم
تعريفه والسلام ١٣٥٩
٢٦ ذي

ملحق رقم (١٤): خطابان ، الأول : بتاريخ (١٣٥٢/١٢/٢٦هـ) من الأمير سعود بن عبد العزيز إلى أبو ملحة يحثه على الإسراع في توفير وتجهيز عتاد بعض الأمراء المشاركين في حرب نجران . والثاني : بتاريخ (١٣٥٢/١٢/٢٩هـ) من دليم أبو لعثه (شيخ مشائخ قحطان) إلى أبو ملحة يهديه السلام ويذكر له بعض الأخبار عن بعض رجالات اليمن وما صدر منهم، **المصدر: مكتبة د. غيثان بن جريس العلمية، الوثائق العامة (ق١٤هـ/ ٢٠م) ج٣٤،ص١٥٢ ، ٢١٩ .**

بسم الله الرحمن الرحيم

ص ١٥٢
١٤٢٣ ج ٣٤

ديوان ولي عهد

المملكة العربية السعودية

الأمير سعود

من سعود بن عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل الى جناب الاخ المكرم عبد الوهاب
سلمه الله السلام عليكم ورحمة الله وبركاته على الدوام بعد ذلك من
طرف ذهاب فيصل بن سعد وفهد بن سعد وسعود بن سعد
المقرر لهم عندكم تشيلوه من عندكم لهم على طول واحرصوا على سرعته
وبالله ثم بكم كفايه والسلام ١٣٥٢
٢٦ ذي

ص ٢١٩
١٤٢٨ ج ٣٤

بسم الله الرحمن الرحيم

من دليم بن محمد ابو لعثه الى حضرة الاجل الاكمل الاخ المكرم الشيخ الافخم عبد الوهاب بن محمد ابو ملحه حماه الله تعالى
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته على الدوام مع السؤال عن احوالكم الكرام احوالنا بحمد الله من كرم الله جميله ولا نسال الا عنكم نرجو الله انه يجمل لنا ولكم معونه
من خصوص ما انتم بصدده من الاشغال المهمه فعسى الله يعينكم على العمل وان يضاعف الاجر واسال الله يطمنا ما انتم فيه ولاكن
نرجو الله ان العاقبه حميده للجميع وخبر من طرف ابن الوزير ورفقاه فلكما تعرفون انه منهم من المماطله والتمني وعدم الرغبه في الصلح والمفاوضه
ولاكن نشاهد ان يبين الامور الرشيد حررنا هذا المسطور الى جنابكم فقط الاخ فؤاد بك الحمزه وكلك الحقيقه بلسنه كفايه هذا ما لزم
بيانه مع ما يبدو لكم من اللازم الجبته وسلموا على الاخ ابن عبد العزيز واخوانه كما منا محبكم والسلام
١٣٥٢
٢٩ ذي

ملحق رقم (١٥): خطاب بتاريخ (١٣٥٣/٣/٢٢هـ) من الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل إلى عبد الوهاب أبو ملحة يخبره فيه إرسال بعض المؤن لولديه محمد وسعود أثناء حرب نجران . المصدر: مكتبة د. غيثان بن جريس العلمية . الوثائق العامة (ق١٤هـ/ ٢٠م)، ج٢٠ ، ص١٨٦ .

ص ١٨٦
م٢٠/١٤هـ

مستعجل

السيد عبد الوهاب [illegible]

الخميس بأمر على الابن محمد ويرحل من محله الى نجران فاتم حالا
جهزوا له ركاب شهرين علاوة على الركاب الذي قد
[illegible] ركاب شهرين والجميع تكون حالا
عندهم حاضرين في الخميس لاجل لا يتأخر الابن محمد اجعلوا
علمه على بالكم فان رأيتم ان واحد منكم يتوجه لمحمد لعلم
يجد في القوم من يكاري لاجل تشيلون معهم مائتين
[illegible] او ازيد للابن سعود احرصوا على ذلك
واحرصوا على تجهيز ركاب الابن محمد والذي لسعود

عبد العزيز

ملحق رقم (١٦) : رسالة من عبد الوهاب أبو ملحة إلى أمير نجران (الأمير عساف) حول بعض الحقوق لعدد من عساكر المدفعية في نجران ، تاريخ (١٠/٦/١٣٥٣هـ) .
المصدر: مكتبة د. غيثان بن جريس العلمية (ق١٤هـ/ ٢٠م) ، ج١،ص٤.

عدد ١٨٨ و ١٠/٦/٥٣

الأمير عساف نجران

ج ع ٨٩ [illegible]

تذكرون أن عشرة أنفار من عسكر المدفعية ما معهم سلاح فإذا كان قصدكم إعطاهم سلاح فعرفونا ونرسله إليكم وتفيدونا متى أخذوا الأرزاق، وأما طلبهم في المعاشات فقد وصلهم مع صالح الحضرمي معاش شهر ونحن ساعين إن شاء الله في إرسال معاش شهر ثاني، وأما ما يلزم للعسكر في القلعة ولتمسيح السلاح فقد عرفنا محمد سعيد كيف يجراه وتسليمه ذلك، وأما عسكر أهل نجران الذي سلاحهم هطف فلا عندنا منهم خبر تفيدونا عن حقيقتهم ونجري ما يلزم لهم.

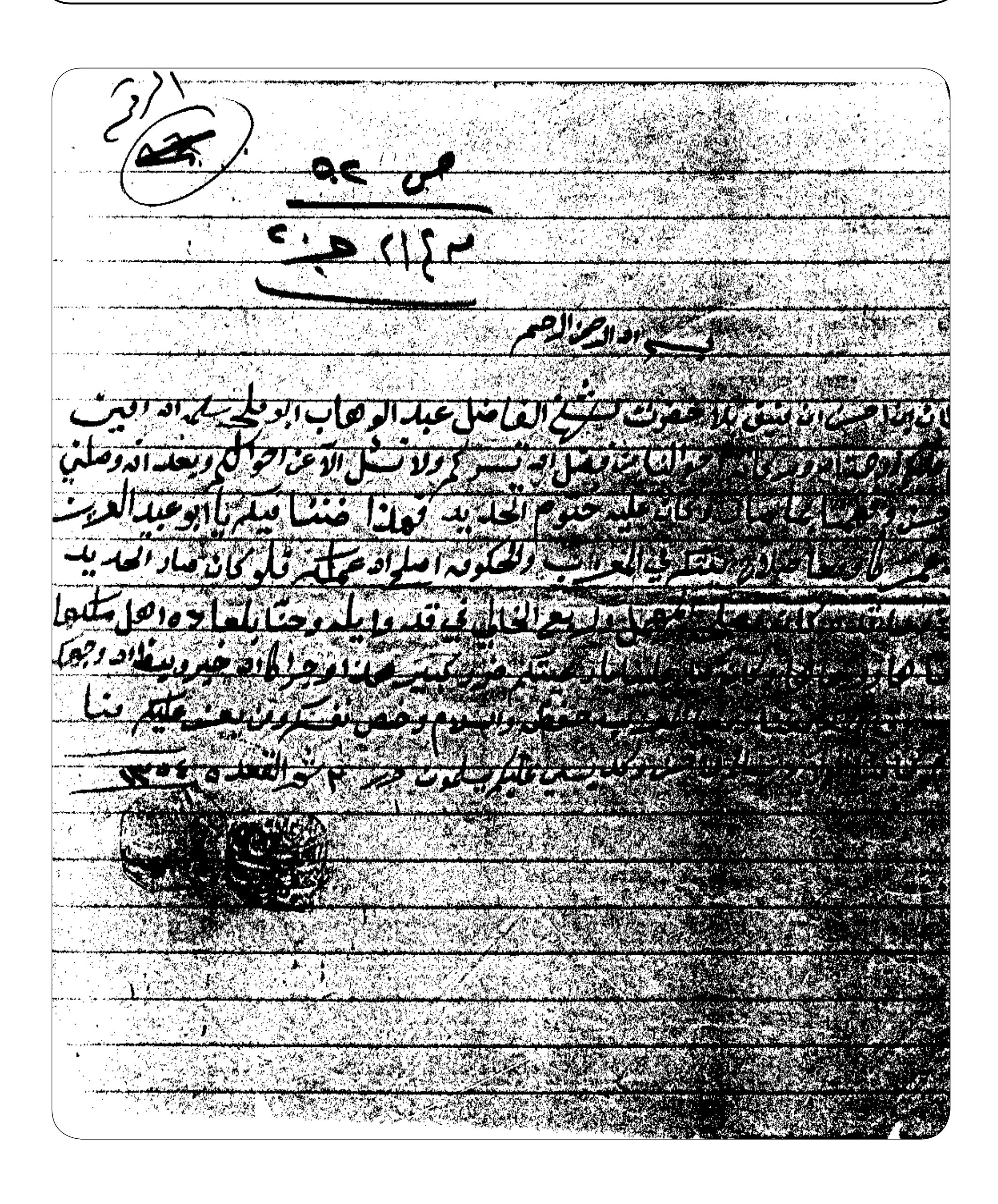
عبد الوهاب

ملحق رقم (١٧) : خطاب بتاريخ (١٣٥٣/١٢/٢هـ) من مأمور مستودعات الأرزاق إلى مدير مالية نجران في عام (١٣٥٣هـ) . **المصدر : مكتبة د. غيثان بن جريس العلمية . الوثائق العامة (ق١٤هـ/ ٢٠م) ، ج٥١، ص٤٨ .**

ص ٤٨
م ١٤٣ ج ٥١

حضرة الأجل الأمجد مدير مالية نجران المحترم

ملحق رقم (١٨): خطاب بتاريخ (١٣٥٤/١١/٣هـ) من أحد أعيان وشيوخ نجران إلى عبد الوهاب أبو ملحة يهديه فيه السلام ويشرح له أحواله وأحوال جماعته ويطلب منه الرعاية والعون فيما يفيدهم في ظروفهم المعيشية . **المصدر: مكتبة د. غيثان بن جريس العلمية (ق١٤هـ/٢٠م)، ج٢٠، ص٥٢ .**



ص ٥٢

بسم الله الرحمن الرحيم

[illegible] حضرت الشيخ الفاضل عبد الوهاب ابو ملحه سلمه الله آمين

[illegible] احوالنا من فضل الله يسركم ولا نسأل الا عن احوالكم وبعد انه وصلني

[illegible] عليه جنوم الحديد فهذا ضمنا فيه يا ابو عبد العزيز

[illegible] في المعازيب والحكومه اصلحه الله [illegible] فلو كان مار الحديد

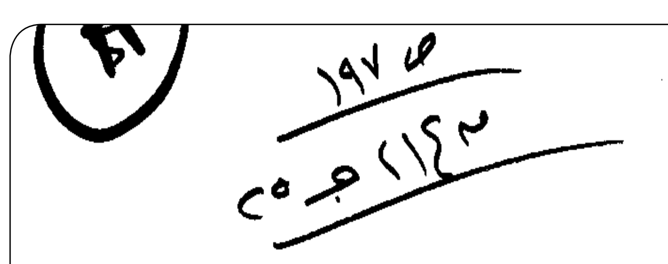
[illegible] في قدو بلد وحنا بالعادة [illegible]

[illegible] خير [illegible] وجهك

[illegible] عليكم منا

[illegible] ٣ ذو القعدة [illegible]

ملحق رقم (١٩): خطاب بتاريخ (١٣٥٥/٤/١٨هـ) من الأمير فيصل بن عبد العزيز إلى الشيخ جابر بن نصيب (أحد شيوخ بلاد نجران) يهديه فيه السلام ويخبره ويوصيه ببعض الأخبار. **المصدر**: مكتبة د. غيثان بن جريس العلمية . الوثائق العامة (ق١٤هـ/٢٠م) ، ج٢٥ ، ص ١٩٧ .



بسم الله الرحمن الرحيم

من فيصل بن عبد العزيز بن عبد الرحمن آل فيصل إلى جناب الأخ المكرم الأفخم جابر بن حسين بن نصيب سلمه الله تعالى
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته على الدوام مع السؤال عن حالكم أحوالنا من كرم الله جميلة كتابكم [illegible]
[illegible] وصلنا وما عرفتونا به من صحتكم وسكون الأحوال طرفكم فنحمد الله على ذلك [illegible]
[illegible] لا زلتم تفيدونا بكل خير أما أخبارنا فهي تسركم من جميع الوجوه ولم يحدث ما نفيدكم به إلا الخير
من طرف [illegible] بن هادي ووضاح بن غانم وصلوا إلينا وما ذكرتم لنا من خصوصهم كان لدينا معلوما
وقد توجهوا إليكم [illegible] إن شاء الله وأنتم جميعا بخير كذلك إن شاء الله تواصلونا مكاتيبكم وتفيدونا
عن أخبار طرفكم بما يلزم هذا ما لزم بيانه مع إبلاغ السلام كافة أولادكم والعز لديكم ومن لدينا يسلمون

والسلام
١٣٥٥
١٨ ربيع ثاني

ملحق رقم (٢٠): خطاب بتاريخ (١٣٥٥/٩/٥هـ) من أمير نجران عساف بن حسين المنصور إلى الشيخ عبد الوهاب أبو ملحة يشكره على ما وصله من حقوق مالية ، ويخبره بسكون الأحوال في ناحيته ، ويدعو له بالتوفيق والسداد ، **المصدر: مكتبة د. غيثان بن جريس العلمية، الوثائق العامة (ق ١٤ هـ / ٢٠ م) جـ١٤ ، ص ١٥٢ .**

ص ١٥٢

٢٠م/١٤ جـ١٤

بسم الله الرحمن الرحيم

جناب الاجل الأفخم حميد المكارم والشيم من هو لنا بمنزلة الولد الشيخ عبد الوهاب بن محمد ابو ملحه المحترم
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته على الدوام ادام الله على المسلمين النعم وصرف عنهم المصائب والنقم ببقاء جلالة
مولاي الملك المعظم وانجاله العظام لا زالوا مؤيدين بالعز والتمكين مستمر في عقبهم الايام الدين وصلى الله على محمد
بيده السيره تناولت كتابكم المكرم رقم ٥-٧-٥٥ وما عرفتم صار لدي محبكم معلوم سرنا علم صحتكم
وعافيتكم ومن خصوص ما اشرتم اليه في محبتكم وجهودكم في سرعة سداد حوالتنا نحن وكاتبنا وخويانا
وانكم سلمتوا لكاتبنا عبد الرحمن ابن يوسف ارسلــ ٩١٧٨ فقد وصلنا الكاتب المذكور صحبت الابن والحواله
وصلت وقد اخبرنا الكاتب المذكور فيما ابديتموه من الاجتهاد كما هي عادتكم الفعل الجميل نسأل الله يجزاكم
احسن الجزا ويكثر من رجال امثالكم ولا سمعنا عنكم الا كل خير ويديرنا وجهك نؤمل ان شاء الله الجماع
في من : الاخبار لم يحدث سوى دوام الخير والعافيه وعدم ضدد جميع الامور ساكنه هذا ما لزم ونعرض انعنا
فيما يلزم والسلام على عبد العزيز واخوانه وعبد الله المسعر ومحمد السليمان السلام و [illegible] مجلسكم العامر
كما منا الاولاد يقبلون اياديكم [illegible] الجماعه يسلمون ودمتم سالمين

١٣٥٥

٥ رمضان

ملحق رقم (٢١): وثيقة بتاريخ (٥/رمضان /١٣٥٥هـ) من أمير نجران إلى عبد الوهاب أبو ملحة يهديه السلام ويشكره على إرسال استحقاقاته وكاتبه ورفاقه في العمل. **المصدر:** مكتبة د. غيثان بن جريس العلمية، الوثائق العامة (ق١٤هـ/ ٢٠م)، ج٣، ص ٥٤ .

ملحق رقم (٢٢): ميزانيات دوائر نجران عام (١٣٥٦هـ).

المصدر: مكتبة د. غيثان بن جريس العلمية (ق١٤هـ/ ٢٠م) ج٢، ص ١٧٩-١٨٤ .

ص ١٨٠

وزارة المالية

ميزانيات دوائر نجران

المكرم مدير مالية نجران

نبعث اليكم رفقه ميزانيات دوائر نجران لعام ١٣٥٦ التي جرى تصديقها من قبل مجلس الوكلاء ومجموعها السنوي كما يلي:

قرش سعودي		شهري
[illegible]	يكون ميزانية الامارة بنجران	٣٧٠٦٤
[illegible]	« « المالية	١١٧٥١
[illegible]	« « القضاء	٢٨٦٠
[illegible]	« « العسكرية	٢٧٧٧
[illegible]	« « القواعد السنوية	٢١٥٢
[illegible]	الجميع	٧٠٦٠٤

لاعتمادها ابلاغ مالية نجران لاعتمادها لديها اعتبارا من تاريخه وصورها والدائرة في ٧-٦-١٣٥٦

وكيل وزارة المالية

الامضاء

صورة طبق الأصل ١٨/٦/١٣٥٦

عدد

بعدم مديرية

تعقيب:

[illegible]

تابع ملحق رقم (٢٢)

صن
ص ١٧٩
٣ / ١٢ / ٢ ج

صورة موازنة دولة نجران لعام ١٣٧٦هـ

سنوي	شهري	الإمارة
غروش سعودي	غروش سعودي	
	١٩٥٠٠	الإمارة راتب ومخصصات
	١١٠٠	مصاريف سرية
	٨٨٠	كاتب الإمارة
	٢١٤٨٠	
	٤٤٠٠	أمير بدر وحسب الموازنة كذلك ١٤٢٠
	١٤٤٠	أمير حبونا
	٢٢٠٠	جنود الأمير بدر عدد ٨ × ٢٧٥
	١١٠٠	〃 〃 حبونا 〃 ٤ × ٢٧٥
	٢٢٠٠	سواقيه عدد ٤ × ٥٥٠ وحسب الموازنة كذلك
	٤٤٠	معاون عدد ١ × ٤٤٠ 〃 〃 〃 ١
٤٥٦٧٦٠	٤٩٧٨٠	
٨٨٠٠٠		خويا الإمارة نجران عدد ٢٠ × ٤٤٠٠ سنوياً
٥٤٤٧٦٠		يكون موازنة الإمارة

(في الهامش: ٢١٤٨٠ / ١٤٢٠ / ١٢٢٠ / ٢٤١٢٠ / ٢٢٠٠ / ١١٠٠ / ٢٧٥٢٠ / ٤٩٥ / ٢٧٥ / ٢٧٥)

١٣٧٦/٥/٢٥هـ

موازنة حسب الأصل ١٣٧٦/٦/٨هـ

وضع عليها حسب الموازنة الحقيقية المرفقة خطاب وزير المالية عدد ١١ / ٢ / ٥٧ ... الوزارة عدد ٢٤٦ ٢٢ / ١ / ٥٧ المرسل منها صورة نجران والإمارة ... بالعلم

شهري	
٦٦٠	معاش الخيالة الكاتب شهرياً
١١٠٠	ترقية ... 〃
١١٤٢٥	يكون الإجمالي

تابع ملحق رقم (٢٢)

ص ٣

ص ١٨١

٢١٤٣ ج ٣

تابع صورة مفردة دوائر نجران لعام ١٣٥٦هـ

سنوي	شهري	المطالب
قرش سعودي	قرش سعودي	
	٤٤٠٠	امير الملحقات
	١٤٤٠	امين صندوق وامين مستودع وقائم باعمال الطوابع
	١٢٤٠	مدير محاسبة وتحريرات
	٨٨٠	مأمور اعشار ورسوم وتحري
	٩٩٥	حرس عدد ٤ × ٢٤٨
	١٢٠	مباشر ومرسل
	١١٠	كيال
	٣٦٥	متفرقه
	٥٥٠	مأمور مال خاص بحبونه
	٥٥٠	" " " ببدر
	٤٨٥	رئيس دورية نجران
	٤٧٥٠	جنود دورية عدد ١٠ × ٤٧٥
١٣٠١٤٠	١٠٨٤٥	
١١٠٠٠		تنقلات وسفريات
١٤١١٤٠		يكون موازنة المطالب

١٤/٥/١٣٥٦

صورة طبق الأصل ١٨/٧/١٣٥٦

تابع ملحق رقم (٢٢)

ص ٤

تابع صورة موازنة دوائر نجران لعام ١٣٥٦

القضاء

ص ١٨٣

م ٢١٤٢ ج ٢

سنوي	شهري	
قروش سعودي	قروش سعودي	
٤٤٠٠	٤٠٠	القاضي
٤٤٤٤٠	١٧٦٠	مطاوعة عدد ٤ × ٤٤٠
٤٩٤٤٠	٤٨٦٠	يكون موازنة القضاء

١٥/٥/٥٦

صورة طبق الأصل ١٨/٦/٥٦

وتم حيد بيك نجران ... ٢٥٧
[illegible]

٨٨٠	[illegible]	٢	٤٤٠
٨٨٠	[illegible]	٢	٤٤٠
٨٨٠	[illegible]	٢	٤٤٠

٢٦٤٠

٢٨٦٠ [illegible]

٥٥٠٠

تابع ملحق رقم (٢٢)

ص ٥

٤ تابع صورة موازنة دوائر نجران سنة [illegible]

سنوي		شهري		
بارة	قروش سعودي	بارة	قروش سعودي	
		..	٨٢٥	قائد المفرزة
		..	٥٥٠	كاتب المفرزة
		..	٦٦٠	ملازم ثاني خيالة
		..	٦٦٠	نائب خيالة عدد ٢ × ٣٣٠
		٢٠	٥٧٧	عرفاء خيالة عدد ٢ × ٢٨٨
		٢٠	٥١٩٧	جنود خيالة عدد ٢١ × ٢٤٧
		..	٦٦٠	نائب مدفعي عدد ٢ × ٣٣٠
		..	١١٥٥	عرفاء مدفعي عدد ٤ × ٢٨٨
		..	٤٩٥٠	جنود مدفعي عدد ٢٠ × ٢٤٧
		٢٠	٥٧٧	عرفاء عدد ٢ × ٢٨٨
		..	٤٤٥٥	جنود مشاة عدد ١٨ × ٢٤٧
		..	٣٣٠	متفرقة
		..	٩٨٠	ما يلحقه [illegible]
	٢٤٩٣٣٠	٢٠	٢٠٧٧٧	يكون
	٢٤٩٣٣٠			يكون موازنة المفرزة

[illegible] ١٣٥٦/٥/٢٥

ص ٢٨٠
م ٢١٢ ج

تابع ملحق رقم (٢٢)

ص٦

ص ٨٦ ج ٢١٢٤

تابع صورة موازنة دوائر نجران لعام ١٣٥٦

قواعد الكمارك

سنوي قروش سعودي	شهري قروش سعودي	
٢٨٧٨٢	.	قواعد مكائن بدر السقيفة القدره وبلهم
٩٦٠٠	.	قاعدة جابر أبو ساق
٨٤٤٠	.	القواعد المتنوعة
٤٦٨٢٢	.	يكون

[illegible] الصحيح [illegible]

٢٥ / ٥ / ١٣٥٦

صورة طبق الأصل [illegible]

ص ٨٥ ج ٢١٢٤

خلاصة موازنة دوائر نجران لعام ١٣٥٦

سنوي قروش سعودي	
٩٩٤٧٦٠	الأمارة
٩٩٠٠٢٠	المالية
٤٩٤٤٢٠	القضاء
٢٩٩٤٤٠	العسكرية
٤٦٨٢٢	القواعد السنوية

٩٠٦٢٥٢ يكون موازنة دوائر نجران

٢٥ / ٥ / ١٣٥٦

صورة طبق الأصل [illegible]

ملحق رقم (٢٣): برقية بتاريخ (١٣٥٨/١٠/١هـ) من الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل إلى شيوخ قبائل يام في نجران (ابن منيف، وأبو ساق، وابن نصيب) يخبرهم فيها ما هو الواجب عليهم من اجل خدمة الصالح العام . **المصدر: مكتبة د. غيثان بن جريس العلمية. الوثائق العامة (ق١٤هـ/٢٠م)، ج٢٥ ، ص٢٠٣ .**

ص٢٠٣

٢٠/١٤٣م ج٢٥

٢٦٦٢

تركي بن ماضي : مستعجل جداً نجران

تبلغ ... هذه لسلطان بن منيف وجابر ابن ساق وجابر بن نصيب تخص :

من طرف الجواب الذي أعطيناكم حنا عليه ولو رضينا أن أحد يفتش عليكم ولكن المظاهر في حضور قدام الناس ما هو بجايز واعمالكم الذي تبي تعملونه ببرتكم هذا اعملوه فقط = لا يصير فيه مظاهر يصير عملكم بينكم وفي برتكم رجل هذا احسن لكم للاتفاق مع = اهل نجد وعدم الاختلاف هذا هو مقصودنا حالاً الجواب الذي أعطيناكم نحن عليه

١٣٥٨/١٠/١

عبدالعزيز

ملحق رقم (٢٤): جدول رواتب جنود الدورية بنجران لشهري المحرم وصفر (١٣٥٩هـ). المصدر: مكتبة د. غيثان بن جريس العلمية (ق١٤هـ/٢٠م)، ج٥٠، ص٨١ .

جدول رواتب جنود الدورية بنجران لشهري محرم وصفر ١٣٥٩

ص ٨١
م ١١٤ ج ٥٠

مقدار الراتب سعودي عمله	الوظيفه	الاسم	التوقيع		
٧٧٠	رئيس	محمد الفرجي الشمري	[ختم]	×	تقيد
٥٥٠	كاتب	محمد محمود	[توقيع]	×	
٥٥٠	جندي	عبدالله ابن حسون	[ختم]	×	
٥٥٠	"	عبدالله السدس	[ختم]	×	
٥٥٠	"	صالح الصيخان	[ختم]	✓	
٥٥٠	"	عمر الليلي	[ختم]	×	
٥٥٠	"	سعد الخلالات	[ختم]	×	
٥٥٠	"	صالح ابو عبيد	[ختم]	×	
٥٥٠	"	عاكن ابن مرزن	[ختم]	×	
٥١٧٠	اليكون				

٤٦٢٠
٥١٧٠

فقط خمسة الاف ومايه وسبعين قرش سعودي لا غير

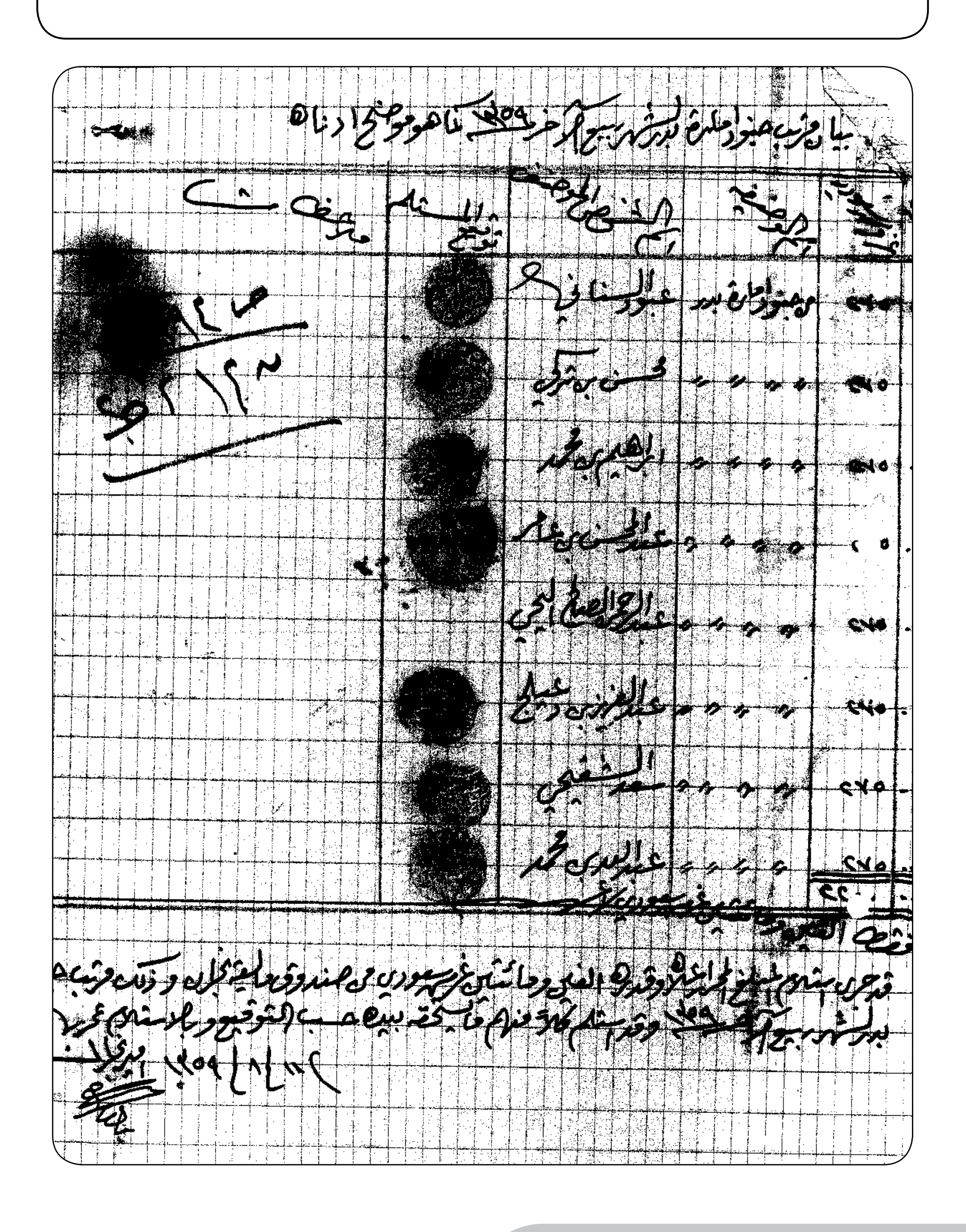
قد استلمنا من صندوق مالية نجران المبلغ المحرر اعلاه وقدره خمسة آلاف ومايه وسبعين قرش سعودي لا غير وذلك رواتب جنود الدوريه بنجران لشهري محرم وصفر ١٣٥٩ واستلم كل منهم راتبه ووضع ختمه مقابل اسمه المحرر اعلاه واشعاراً بالاستلام اعطينا هذا السند ٦ ربيع الاول ١٣٥٩

امير الدوريه

مصدق ٦/٣/١٣٥٩

ملحق رقم (٢٥) : بيان رواتب جنود إمارة بدر لشهر ربيع الآخر (١٣٥٩هـ) .

المصدر : مكتبة د. غيثان بن جريس العلمية (ق١٤هـ/ ٢٠م) ج٢، ص١٩٤ .



بيان رواتب جنود امارة بدر لشهر ربيع آخر ١٣٥٩هـ كما هو موضح ادناه

[illegible]	جهة العمل	اسم الشخص الموظف	توقيع المستلم	ملاحظات
[illegible]	من جنود امارة بدر	عبود السناني		
[illegible]	〃 〃	محسن بن تركي		
[illegible]	〃 〃	ابراهيم بن محمد		
[illegible]	〃 〃	عبد المحسن بن [illegible]		
[illegible]	〃 〃	عبد الرحمن الصالح اليحيى		
[illegible]	〃 〃	عبد العزيز بن [illegible]		
٢٧٥	〃 〃	سعد الشغيبي		
٢٧٥	〃 〃	عبد الله بن محمد		

قد جرى [illegible] بدر لشهر ربيع آخر ١٣٥٩هـ [illegible] حسب التوقيع [illegible]

١٣٥٩/٤/٢٢

امير بدر [illegible]

ملحق رقم (٢٦): بيان برواتب موظفي وجنود قسم المشاة في منطقة نجران لشهري المحرم وصفر عام (١٣٥٩هـ). المصدر: مكتبة د. غيثان بن جريس العلمية. الوثائق العامة (ق١٤هـ/٢٠م)، ج٥٠، ص ٣٠-٣٣

(٤٥)

بيان رواتب موظفي وجنود قسم المشاة في منطقة نجران لشهري محرم وصفر ١٣٥٩

ص ٣١
١٤٣ | ج ٥٠

مقدار الرواتب الشهرية	الوظيفة	الموظف	البلدة	العدد	محل الختم	ملاحظات
٥٧٠ ..	عريف	ابراهيم العبد الله الحريش	بكيرية	١		
٥٧٠ ..	"	عبد المحسن العبد العزيز الشبل	عنيزة	٢		
٤٩٠ ..	جندي	عبد الله ابن بخيت	بكيرية	٣		
٤٩٠ ..	"	ابراهيم الحمد المصيوف	بريدة	٤		
٤٩٠ ..	"	عبد العزيز الحمد الفريح	عنيزة	٥		
٤٩٠ ..	"	علي ابن محمد الحميدي	غامد	٦		
٤٩٠ ..	"	منصور ابن محمد	"	٧		
٤٩٠ ..	"	عبد الله ابن هادي	شراية	٨		
٤٩٠ ..	"	احمد ابن راشد	"	٩		
٤٩٠ ..	"	احمد ابن راجح	غامد	١٠		
٤٩٠ ..	"	محمد الشدي	"	١١		
٤٩٠ ..	"	مسعد ابن سويد	الخرطوم	١٢		
٦٠٤٤ ..		يكون				

تابع ملحق رقم (٢٦)

تابع خلاصة قسم المشاة لشهر ٢ وصفر ٩[illegible]

ص ٣٠

م ١٢٣) ص ٥٠

(٤٦)

مقدار الرواتب الشهرية	الوظيفة	الموظف	البلدة	العدد	محل الختم	ملاحظات
٦٠٤٤ ..		المدورون				
٤٩٠ ..	جندي	علي ودقه	ودقه	١٢		٩
٤٩٠ ..	"	محمد ابن عبدالله	شراره	١٤		٩
٤٩٠ ..	"	احمد ابن صالح	نظاره	١٥		٩
٤٩٠ ..	"	محمد ابن شايع	[illegible]	١٦		٩
٤٩٠ ..	"	يحيى ابن محمد	ودقه	١٧		٩
٤٩٠ ..	"	محمد ابن سعد	قاعد	١٨		٩
٤٩٠ ..	"	عبدالرحمن ابن غيثان	[illegible]	١٩		٩
٤٩٠ ..	"	محمد ابن زيد	شهري	٢٠		٩
٩٩٦٤ ..		يكون				

تابع ملحق رقم (٢٦)

تابع كشف [illegible] لشهر محرم سنة [illegible]

(٤٧)

مقدار الماهية الشهرية	الوظيفة	الموظف	البلدة	العدد	مخالصي	ملاحظات
١٢٢٥٤		نقليات				
٤٩٠	جندي	سعيد بن صالح ابن السهلي	الجرنيلة	٢١		
٤٩٠	"	سعيد بن حسين بن عبدالله	بدر "	٢٦		
٤٩٠	"	محمد بن سعد بن السهلي	الجرب "	٢٧		
٤٩٠	"	صالح بن علي بن جويان	" "	٢٨		
٤٩٠	"	علي بن راشد بن محسن [illegible]	"	٢٩		
٤٩٠	"	صالح بن صالح بن محمد	[illegible] "	٣٠		
٤٩٠	"	علي بن محمد بن دليمة	الجرب "	٣١		
٤٩٠	"	عيضة بن [illegible] بن عسكر [illegible]	"	٣٢		
٤٩٠	"	هادي بن محمد بن دليمة	الجرب "	٣٣		
٤٩٠	"	[illegible]	[illegible] "	٣٤		
٤٩٠	"	صالح بن علي بن جويان	الجرب "	٣٥		
٤٩٠	"	غريب بن [illegible] بن مطلق	[illegible] "	٣٦		
١٨١٤٦		يوضع				

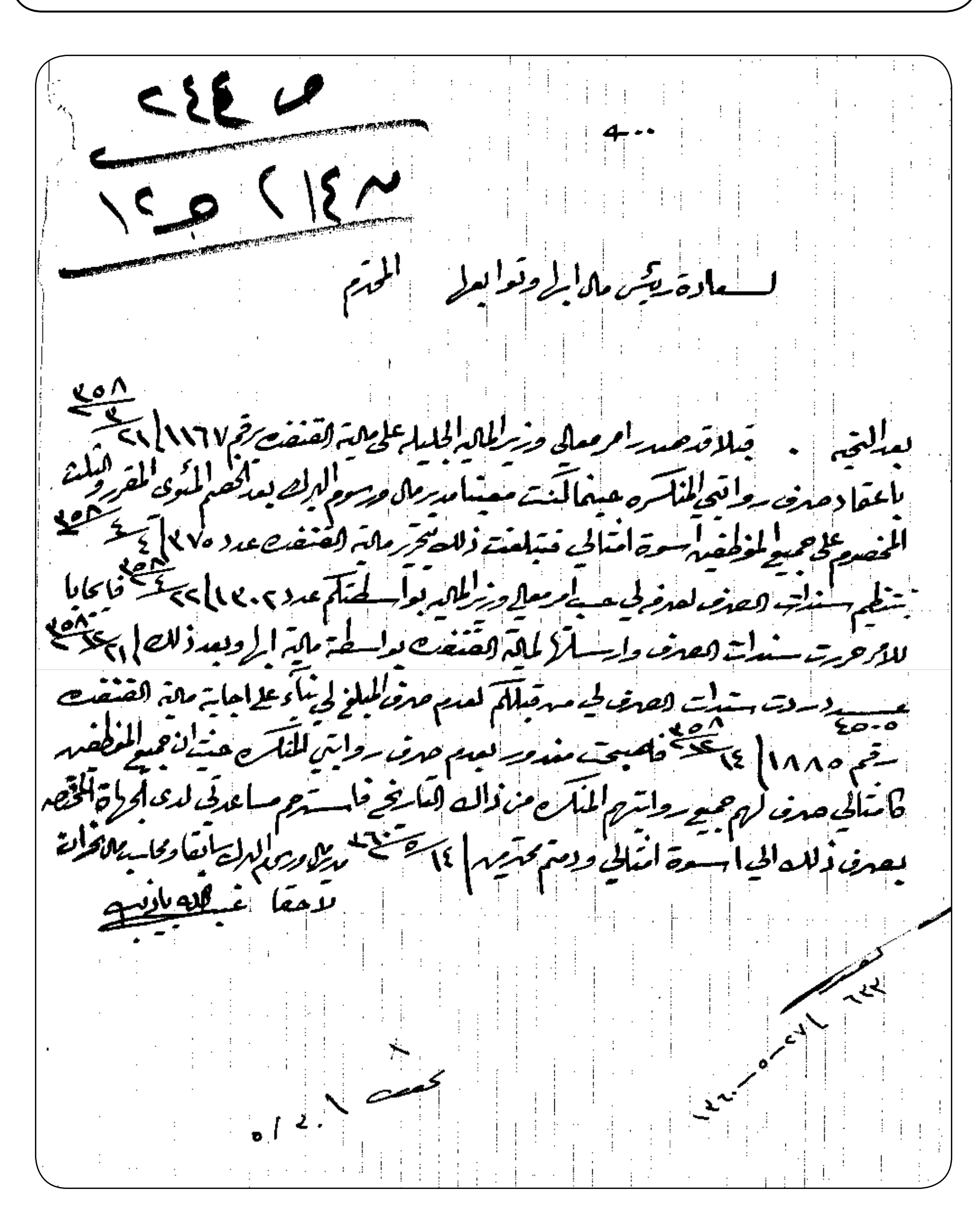
تابع ملحق رقم (٢٦)

تابع جدول عمال الخفر خفراء قبائل شهر محرم وصفر ٦٩

(٤٨)

مخصصات الشهرية	الوظيفة	الموظف	البلد	العدد	محل الختم	ملاحظات
١٨١٢٦ -		نقليات				
٤٩٠ ..	خفير	صادق بن صالح بن شداد	الفيضة	٣٧	[ختم]	ص ٣٢ ١١٤٢م ج٥٠
٤٩٠ -	"	صالح بن صالح بن رضا	الحاشة "	٣٨	[ختم]	
٤٩٠ ..	"	صالح بن [illegible] بن عيبان	رجلا "	٣٩	[ختم]	
٤٩٠ ..	"	علي بن محمد بن صالح	الحاشة "	٤٠	[ختم]	
٤٩٠ ..	"	محمد بن علي بن حميد	دحضة "	٤١	[ختم]	
٤٩٠ ..	"	محمد بن محمد بن حضنان	رجلا "	٤٢	[ختم]	
٤٩٠ ..	"	عائض بن [illegible] بن محمد	[illegible] "	٤٣	[ختم]	
٤٩٠ ..	"	سعد بن سالم بن حسين	"	٤٤	[ختم]	
٢٢٠٥٦ ..		يكون				

ملحق رقم (٢٧) : خطاب بتاريخ (١٤/٥/١٣٦٠هـ) من مدير رسوم البرك سابقاً ومحاسب مال نجران لاحقاً إلى رئيس مال أبها وتوابعها (أبو ملحة) يذكر له عدم استلام بعض حقوقه المالية خلال خدماته السابقة ، ويطلب المساعدة في الحصول على استحقاقاته، **المصدر: مكتبة د. غيثان بن جريس العلمية، الوثائق العامة (ق ١٤ هـ / ٢٠ م) جـ١٢ ، ص ٢٤٤ .**



ص ٢٤٤

ق ١٤ هـ / ٢٠ م جـ ١٢

٤٠٠

لسعادة رئيس مال ابها وتوابعها المحترم

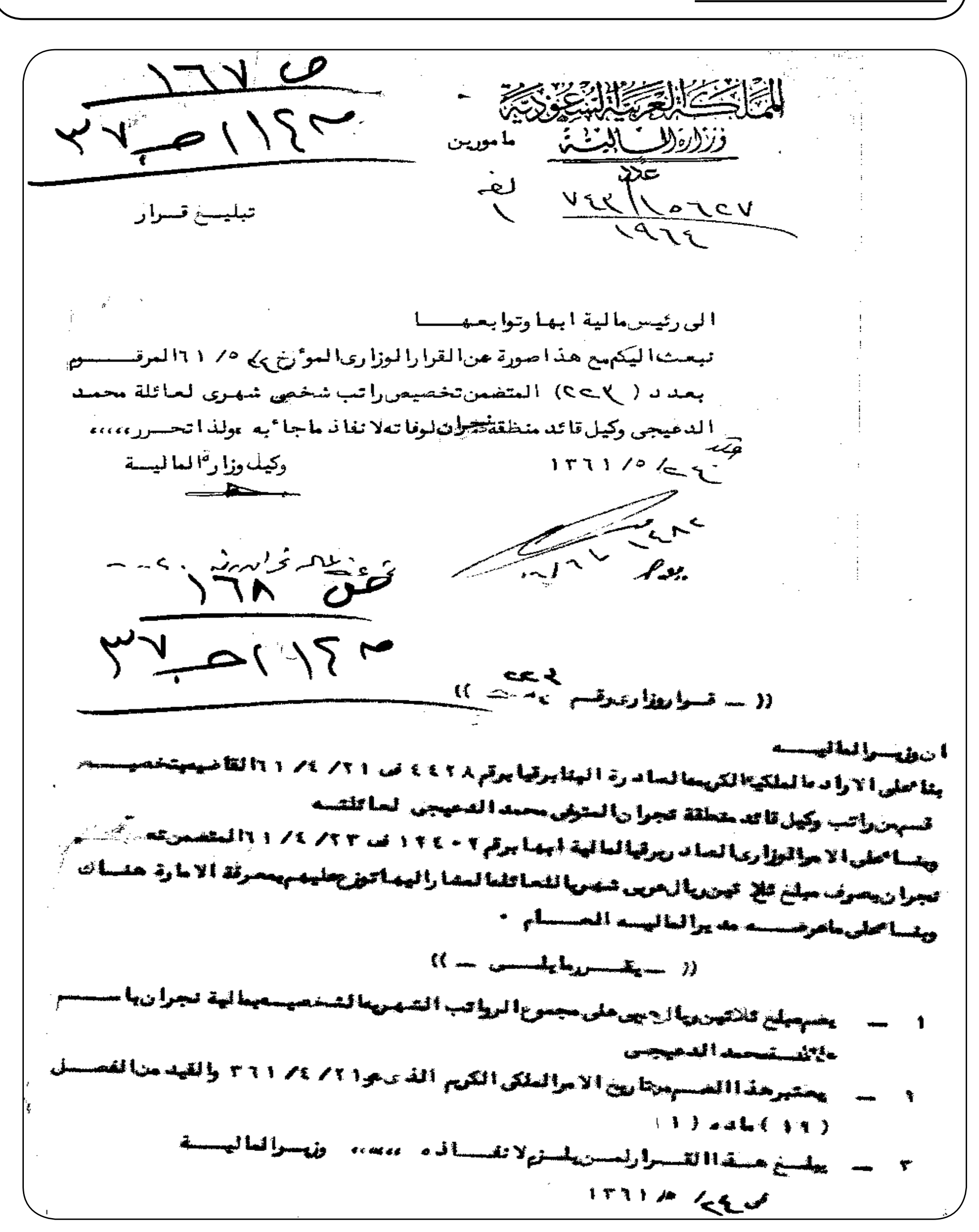
بعد التحية . قبلاً قد صدر امر معالي وزير المالية الجليل على مالية القنفذة رقم ١١٦٧ | ٢١ ح ٢٥٨ باعتماد صرف رواتبي المنكسره حينما كنت محاسب مدير مال ورسوم البرك بعد الخصم المئوي المقرر والثلث المخصوم على جميع الموظفين اسوة امثالي فبلغت ذلك بتحرير مالية القنفذة عدد ٢٧٠ | ٤ ح ٢٥٨ بتنظيم سندات الصرف لصرفها لي حسب امر معالي وزير المالية بواسطتكم عدد ١٢٠٢ | ٢٢ ح ٢٥٨ فايجابا للامر حررت سندات الصرف وارسلتها لمالية القنفذة بواسطة مالية ابها وبعد ذلك | ٢١ ح ٢٥٨ عيدت سندات الصرف لي من قبلكم لعدم صرف المبلغ لي بناء على اجابة مالية القنفذة رقم ١٨٨٥ | ١٤ ح ٢٥٨ فاصبحت متضرر لعدم صرف رواتبي المنكسر حيث ان جميع الموظفين كامثالي صرف لهم جميع رواتبهم المنكسر من ذلك التاريخ فاسترحم مساعدتي لدى الجهة المختصه بصرف ذلك الي اسوة امثالي ودمتم محترمين | ١٤ ح ٢٦٠

مدير رسوم البرك سابقاً ومحاسب مال نجران لاحقاً

عبدالله [illegible]

٢٧-٥-١٣٦٠

ملحق رقم (٢٨): خطاب من رئيس مالية أبها إلى وكيل وزارة المالية بتاريخ (١٣٦١/٥/٢٤هـ) . وقرار من وزير المالية بتاريخ (١٣٦١/٥/٢٤هـ). والقرار والخطاب يدوران حول حقوق مالية للمتوفى محمد الدعيجي ، وكيل قائد منطقة نجران . **المصدر : مكتبة د. غيثان بن جريس العلمية . الوثائق العامة (ق١٤هـ/٢٠م) ، ج٣٧، ص ١٦٧ ـ ١٦٨ .**



ص ١٦٧

٣٧ ص ١١٤٣

المملكة العربية السعودية

وزارة المالية

مأمورين

عدد ٥٦٢٧/٧٤٤

١٩٦٤

لف ١

تبليغ قرار

الى رئيس مالية ابها وتوابعها

نبعث اليكم مع هذا صورة من القرار الوزاري المؤرخ ٢٤/ ٥/ ٦١ المرقوم بعدد (٢٠٤) المتضمن تخصيص راتب شخصي شهري لعائلة محمد الدعيجي وكيل قائد منطقة نجران لوفاته لانفاذ ما جاء به ولذا تحرر،،،،

٢٤/ ٥/ ١٣٦١

وكيل وزارة المالية

ص ١٦٨

٣٧ ص ١١٤٣

((قرار وزاري رقم ٢٠٤))

ان وزير المالية

بناء على الارادة الملكية الكريمة الصادرة الينا برقيا برقم ٤٤٢٨ في ٢١/ ٤/ ٦١ القاضية بتخصيص قسم من راتب وكيل قائد منطقة نجران المتوفى محمد الدعيجي لعائلته

وبناء على الامر الوزاري الصادر برقيا لمالية ابها برقم ١٢٤٠٢ في ٢٣/ ٤/ ٦١ المتضمن ... نجران بصرف مبلغ ثلاثين ريالا عربي شهريا للعائلة المذكورة اليها توزع عليهم بمعرفة الامارة هناك

وبناء على ما عرضه مدير المالية العام .

((يقرر ما يلي))

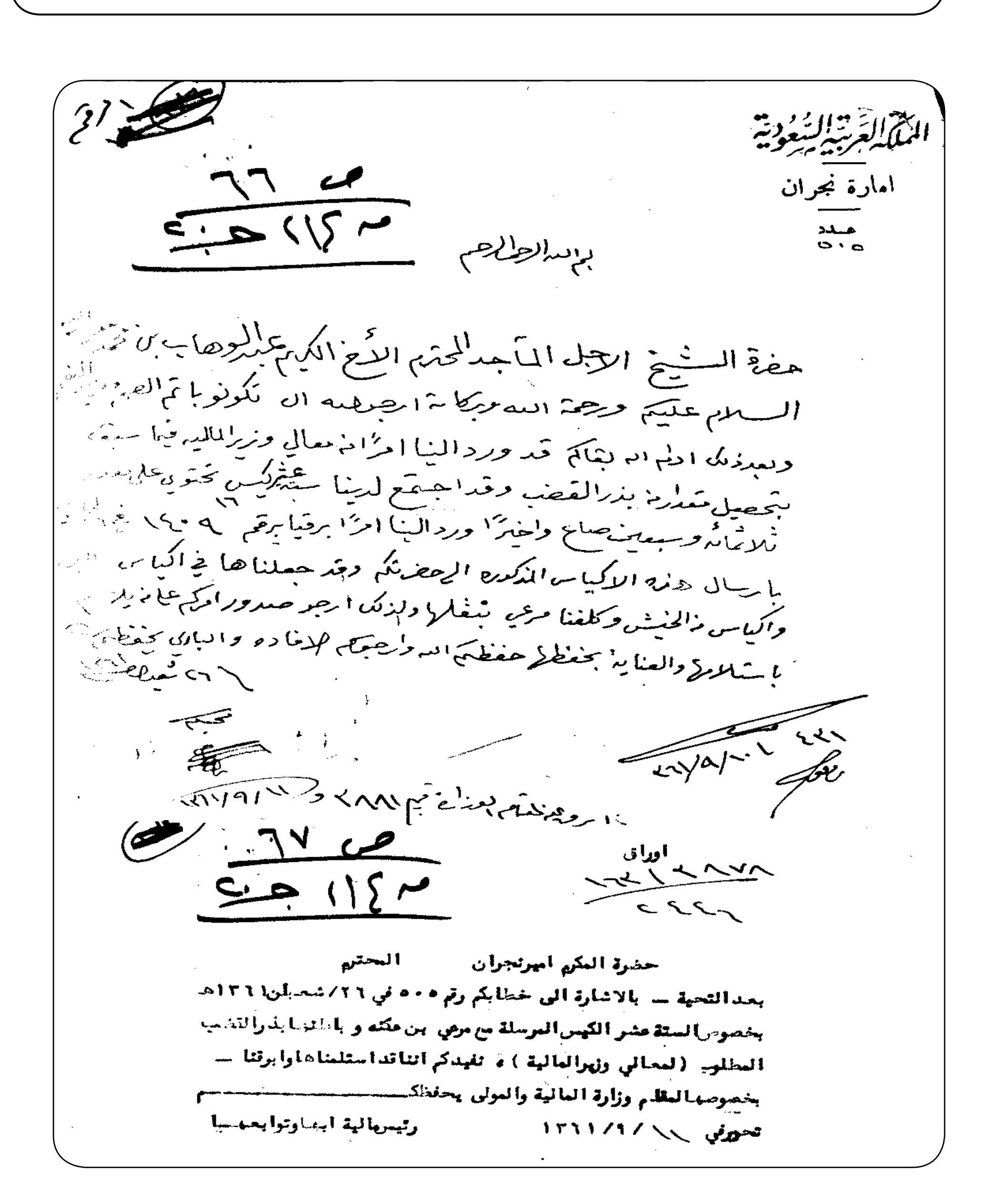
١ — يضم مبلغ ثلاثين ريالا عربي على مجموع الرواتب الشهرية الشخصية بمالية نجران باسم عائلة محمد الدعيجي

٢ — يعتبر هذا الضم من تاريخ الامر الملكي الكريم الذي هو ٢١/ ٤/ ٣٦١ والقيد من الفصل (١٩) مادة (١)

٣ — يبلغ هذا القرار لمن يلزم لانفاذه ،،،،، وزير المالية

٢٤/ ٥/ ١٣٦١

ملحق رقم (٢٩): خطابان الأول بتاريخ (١٣٦١/٨/٢٦هـ) من أمير نجران إلى رئيس مالية أبها وتوابعها . والثاني بتاريخ (١٣٦١/٩/١١هـ) ، رداً على الخطاب السابق . ومضمون الخطابين يدور حول بعض الحبوب التي أرسلت من أمير نجران إلى مالية أبها من أجل استلامها وحفظها. **المصدر: مكتبة د. غيثان بن جريس العلمية . الوثائق العامة (ق١٤هـ/٢٠م) ، ج٢٠، ص٦٦-٦٧ .**



المملكة العربية السعودية
امارة نجران
عدد ٥٠٥

ص ٦٦

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة الشيخ الأجل الماجد المحترم الأخ الكريم عبد الوهاب بن ...
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته أرجو الله أن تكونوا بأتم الصحة
وبعد ذلك أدام الله بقاكم قد ورد إلينا أمر من معالي وزير المالية فيما يتعلق
بتحصيل مقدار من بذر القصب وقد اجتمع لدينا ستة عشر كيس تحتوي على
ثلاثمائة وسبعين صاع وأخيراً ورد إلينا أمراً برقيا برقم ١٤٠٩
بإرسال هذه الأكياس المذكورة إلى حضرتكم وقد جعلناها في أكياس
وأكياس من الخيش وكلفنا مرعي بنقلها ولذلك أرجو صدور أمركم على ...
باستلامها والعناية بحفظها حفظكم الله وأرجو منكم الإفادة والباري يحفظكم
٢٦ شعبان

ص ٦٧

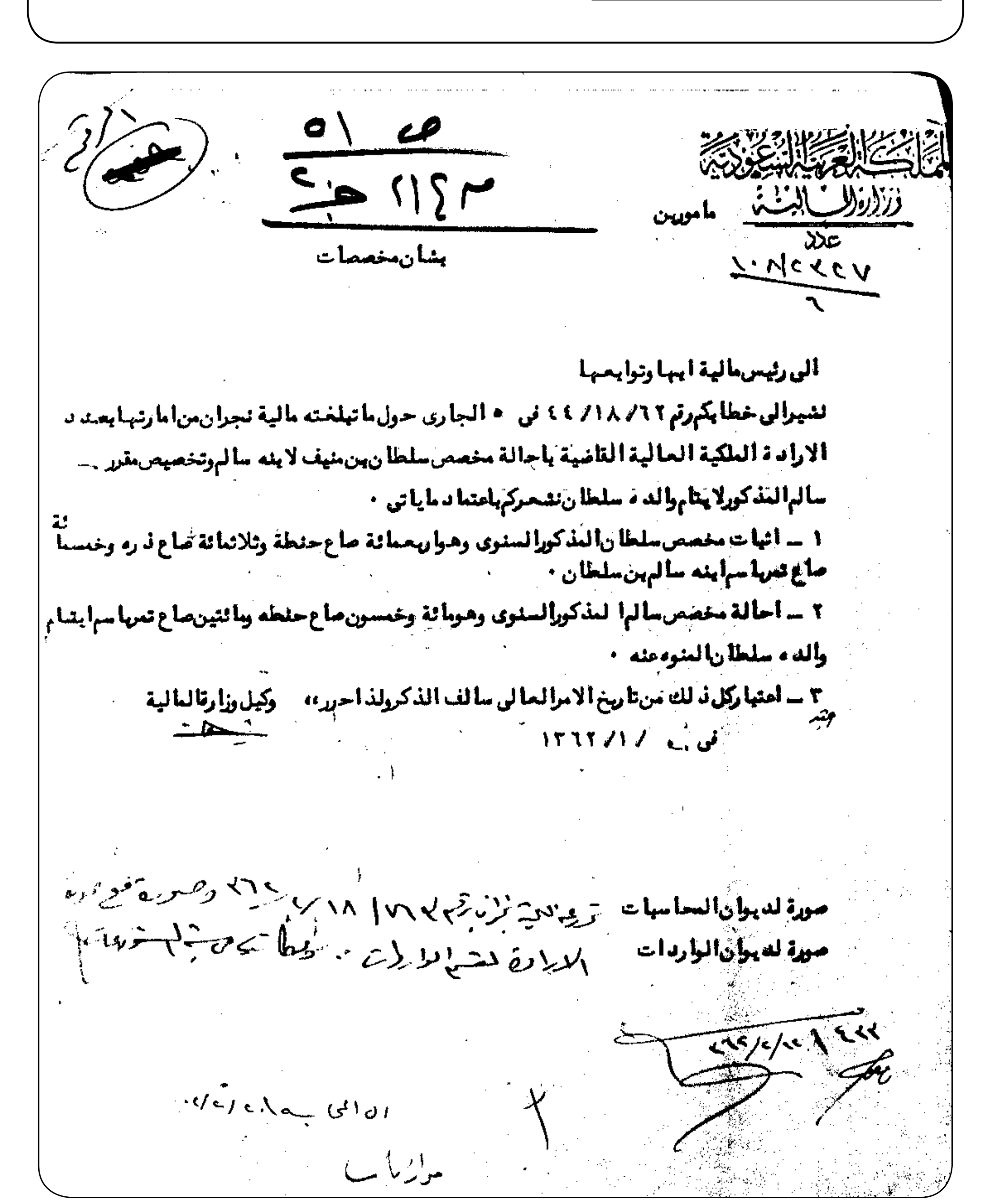
حضرة المكرم اميرنجران المحترم

بعد التحية — بالاشارة الى خطابكم رقم ٥٠٥ في ٢٦/شعبان ١٣٦١هـ بخصوص الستة عشر الكيس المرسلة مع مرعي بن هكته و بداخلها بذر القضب المطلوب (لمعالي وزير المالية) ، نفيدكم اننا قد استلمناها وابرقنا بخصوصها لمقام وزارة المالية والمولى يحفظكم

تحريراً في ١٣٦١/٩/١١

رئيس مالية ابها وتوابعها

ملحق رقم (٣٠): خطاب بتاريخ (١٣٦٢/١/٢٠هـ) من وكيل وزارة المالية إلى رئيس مالية أبها وتوابعها يذكر فيه المخصصات الخاصة بسلطان بن منيف (أحد شيوخ بلاد نجران) وابنه سالم . **المصدر: مكتبة د. غيثان ابن جريس العلمية (ق١٤هـ/ ٢٠م)، ج٢٠، ص٥١.**



المملكة العربية السعودية
وزارة المالية
ماموريه
عدد ١٠١٨/٢٢٢٧
٦

ص ٥١
م ٢١٤٣ هـ

بشأن مخصصات

الى رئيس مالية ابها وتوابعها

نشيرالى خطابكم رقم ٦٢/١٨/٤٤ فى ٥ الجارى حول ما تبلغته مالية نجران من امارتها بعدد الارادة الملكية العالية القاضية باحالة مخصص سلطان بن منيف لابنه سالم وتخصيص مقرر سالم المذكور لايتام والده سلطان نشعركم باعتماد ما ياتى .

١ ـ اثبات مخصص سلطان المذكور السنوى وهو اربعمائة صاع حنطة وثلاثمائة صاع ذره وخمسمائة صاع تمرا باسم ابنه سالم بن سلطان .

٢ ـ احالة مخصص سالم المذكور السنوى وهو مائة وخمسون صاع حنطه ومائتين صاع تمرا باسم ايتام والده سلطان المنوه عنه .

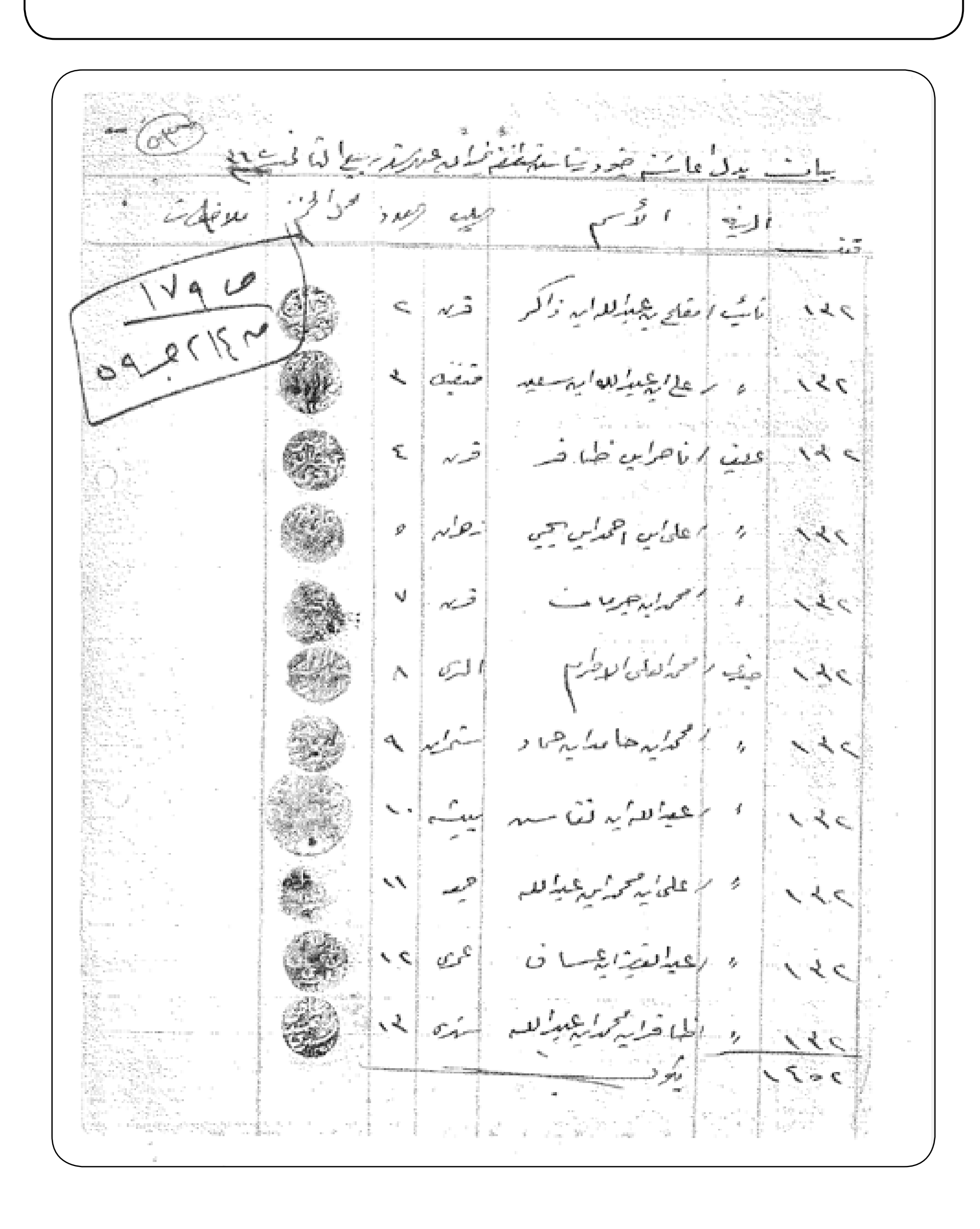
٣ ـ اعتبار كل ذلك من تاريخ الامر العالى السالف الذكر ولذا حرر .

وكيل وزارة المالية

فى / ١ / ١٣٦٢

صورة لديوان المحاسبات
صورة لديوان الواردات

ملحق رقم (٣١): بيان بدل إعاشة جنود رشاس منطقة نجران شهر ربيع الآخر (١٣٦٢هـ) المصدر: مكتبة د. غيثان بن جريس العلمية. الوثائق العامة (ق١٤هـ/٢٠م)، ج٥٩، ص ١٧٩ - ١٨١ .

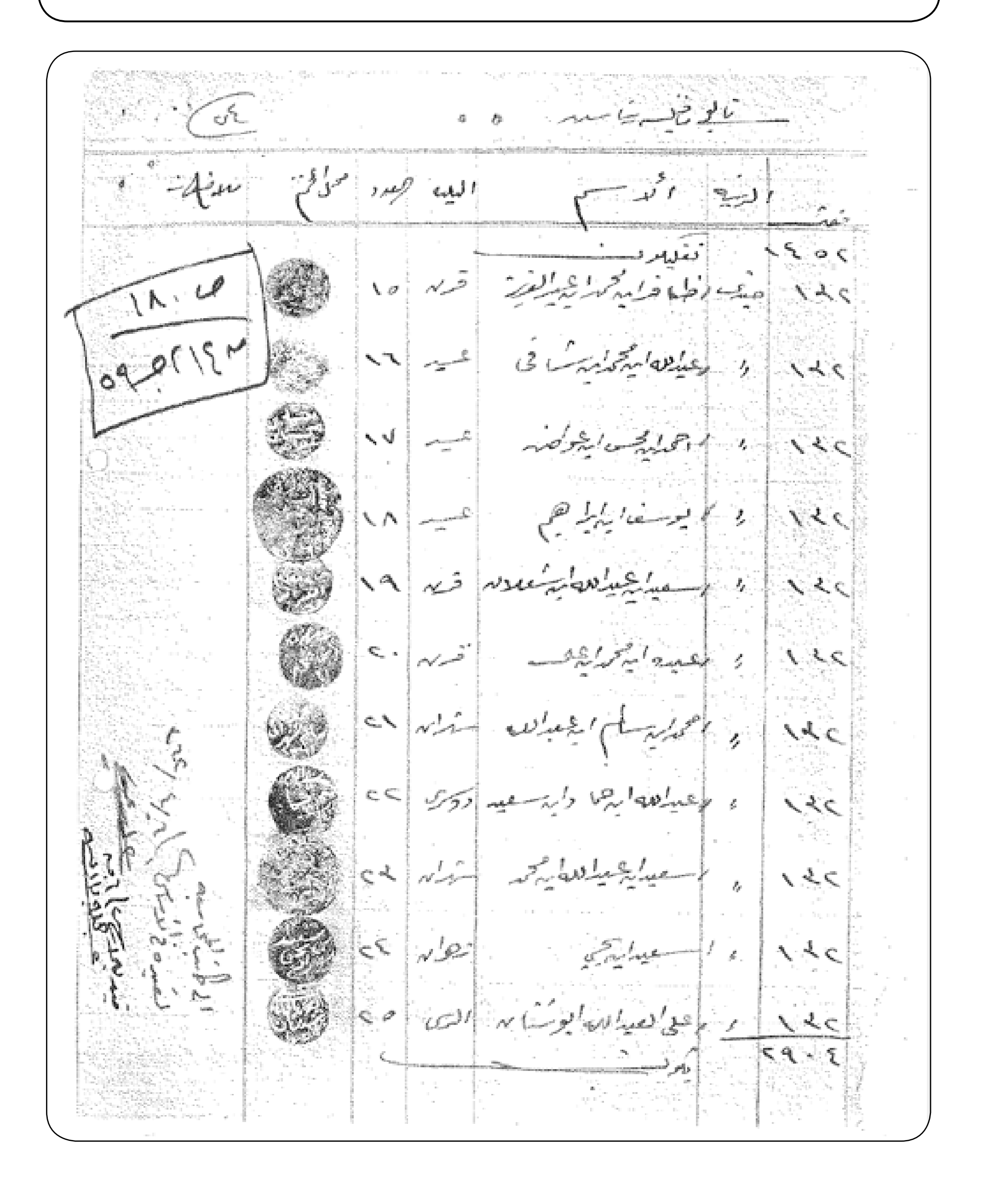


بيان بدل إعاشة جنود [illegible]

المبلغ	الرتبة	الاسم	محل	العدد	محل الختم	ملاحظات
١٢٢	نائب	مفلح بن عبدالله بن ذاكر	قريه	[illegible]		
١٢٢	"	علي بن عبدالله بن سعيد	[illegible]	٢		
١٢٢	عريف	ناصر بن ظافر	قريه	[illegible]		
١٢٢	"	علي بن احمد بن يحيى	[illegible]	٥		
١٢٢	"	محمد بن [illegible]	قريه	٧		
١٢٢	جندي	محمد [illegible] الاطرم	[illegible]	٨		
١٢٢	"	محمد بن حامد بن حماد	[illegible]	٩		
١٢٢	"	عبدالله بن قاسم	بيشه	١٠		
١٢٢	"	علي بن محمد بن عبدالله	[illegible]	١١		
١٢٢	"	عبدالله بن [illegible]	[illegible]	١٢		
١٢٢	"	[illegible] بن محمد بن عبدالله	[illegible]	١٢		
[illegible]	يكون					

ص ١٧٩
٢١٤٣ ج٥٩

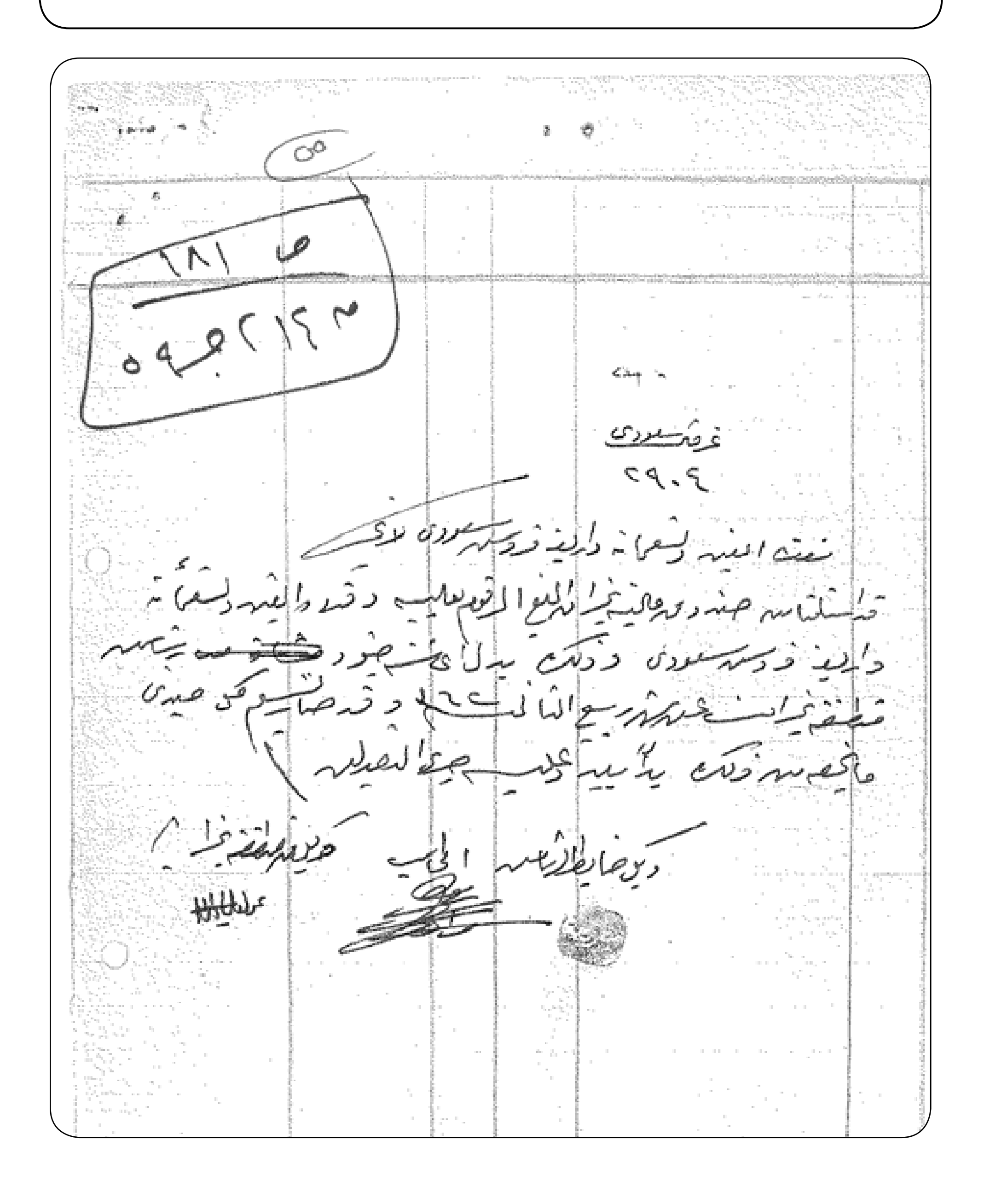
تابع ملحق رقم (٣١)



تابع تخصيص ... ٥ ٥

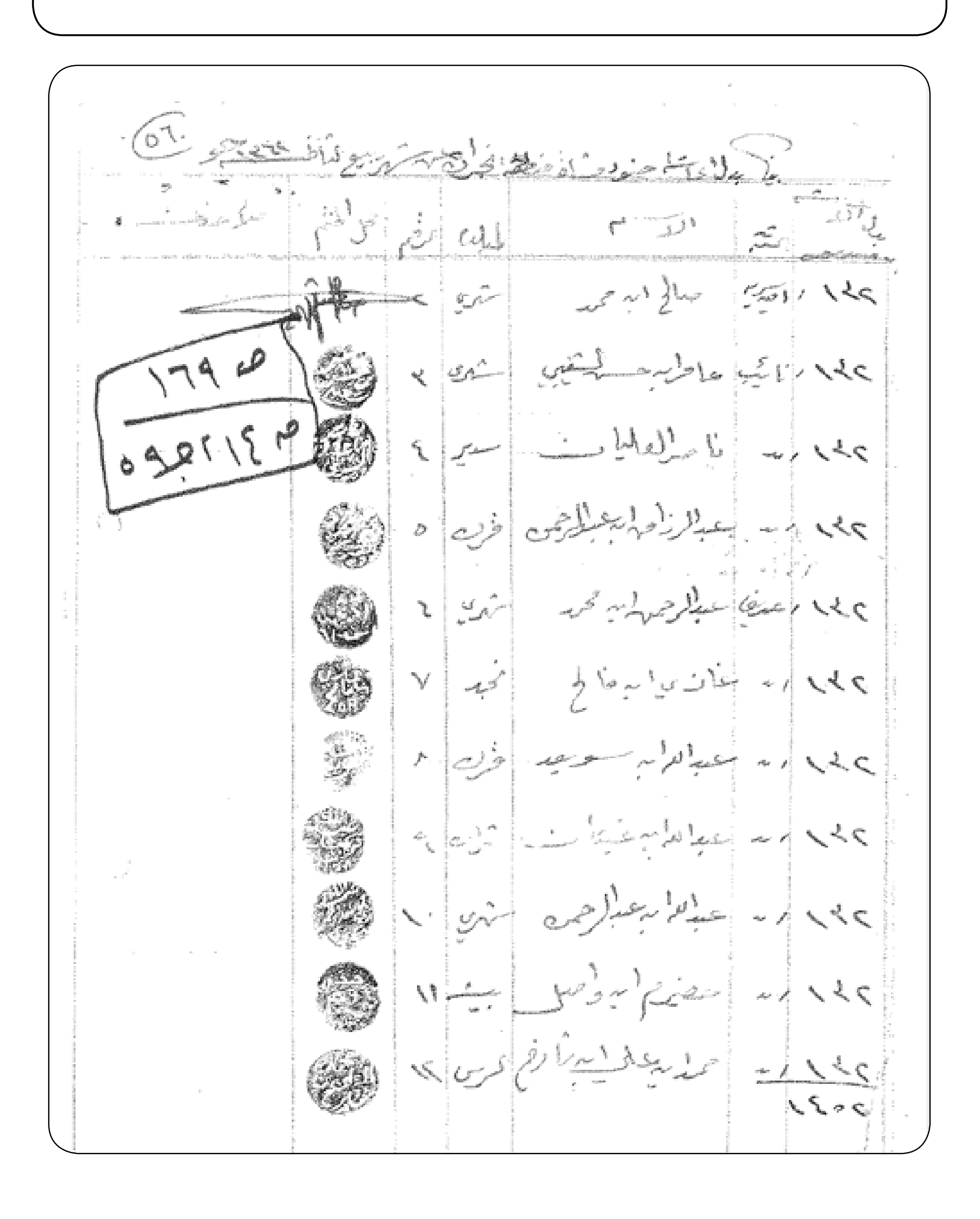
مخصص	الرتبة	الاسم	القبيلة	العدد	صور الختم	ملاحظات
١٢٠٥٢		نقل ما قبله				
١٢٢	جندي	[illegible] ابن محمد ابن عبد العزيز	قحطان	١٥		ص ١٨٠ / ٥٩ ج ٢١٤٣
١٢٢	"	عبدالله ابن محمد ابن شافي	عبيدة	١٦		
١٢٢	"	احمد ابن محسن ابن عوضه	عبيدة	١٧		
١٢٢	"	يوسف ابن ابراهيم	عبيدة	١٨		
١٢٢	"	سعيد ابن عبدالله ابن سعدوه	قحطان	١٩		
١٢٢	"	سعيد ابن محمد ابن عايض	قحطان	٢٠		
١٢٢	"	محمد ابن مسلم ابن عبدالله	شراره	٢١		
١٢٢	"	عبدالله ابن صالح ابن سعيد	دوسري	٢٢		
١٢٢	"	سعيد ابن عبدالله ابن محمد	شراره	٢٣		
١٢٢	"	سعيد ابن يحيى	شراره	٢٤		
١٢٢	"	علي ابن عبدالله ابو شامه	الحكما	٢٥		
٢٩٠٤						

تابع ملحق رقم (٣١)



ملحق رقم (٣٢): بيان بدل إعاشة جنود مشاة منطقة نجران شهر ربيع الآخر (١٣٦٢هـ).

المصدر: مكتبة د.غيثان بن جريس العلمية .الوثائق العامة (ق١٤هـ/٢٠م)، ج٥٩، ص ١٦٩ـ١٧٨ .



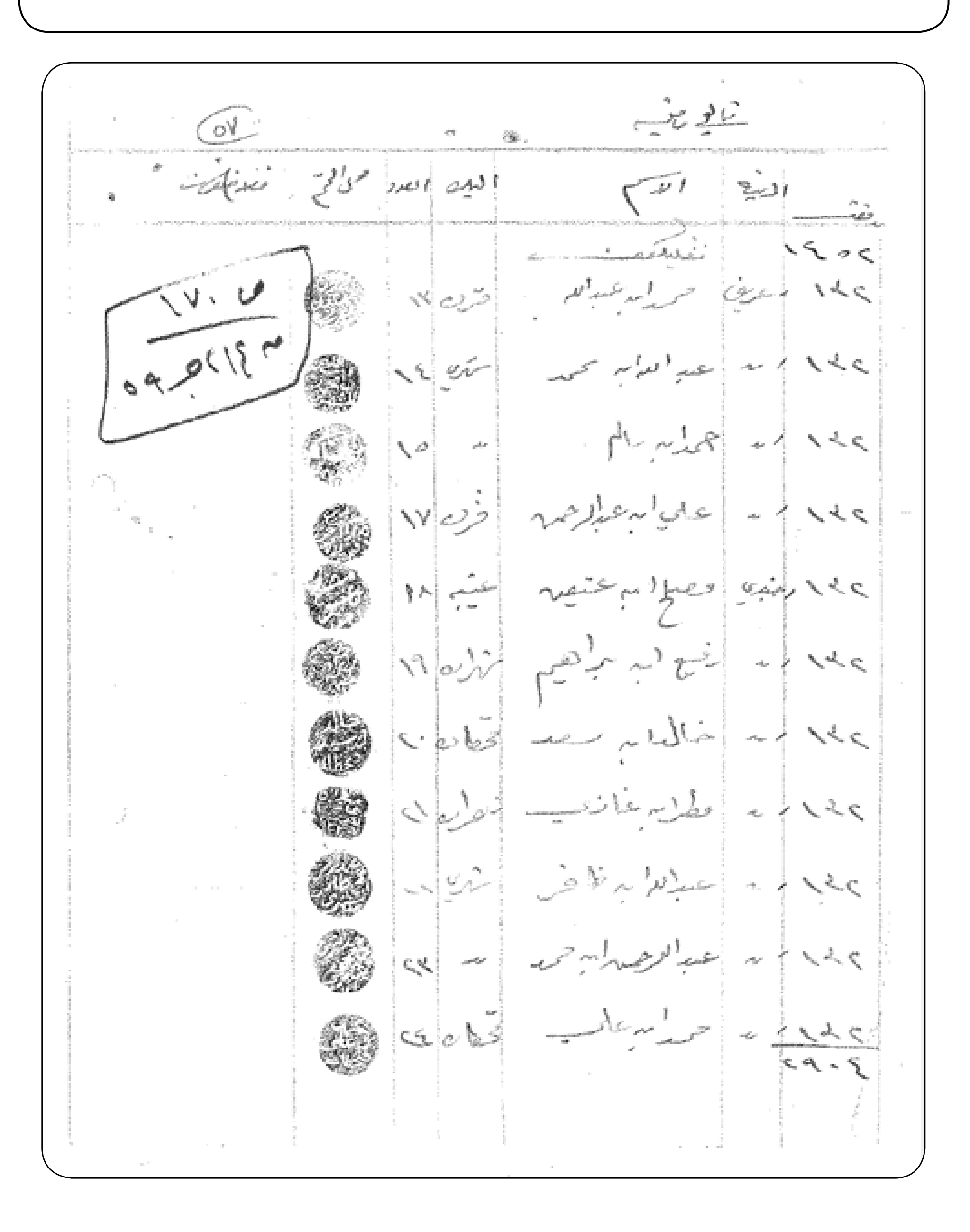
٥٦٠

ص ١٦٩

ص ٢١٤ ج ٥٩

	الاسم	رقم
١٢٢	صالح ابن محمد	
١٢٢	[illegible]	٢
١٢٢	ناصر العليان	٤
١٢٢	عبدالرزاق ابن عبدالرحمن	٥
١٢٢	عبدالرحمن ابن محمد	٦
١٢٢	[illegible]	٧
١٢٢	عبدالله ابن سعيد	٨
١٢٢	[illegible]	٩
١٢٢	عبدالله ابن عبدالرحمن	١٠
١٢٢	[illegible]	١١
١٢٢	[illegible]	١٢
١٤٠٥		

تابع ملحق رقم (٣٢)



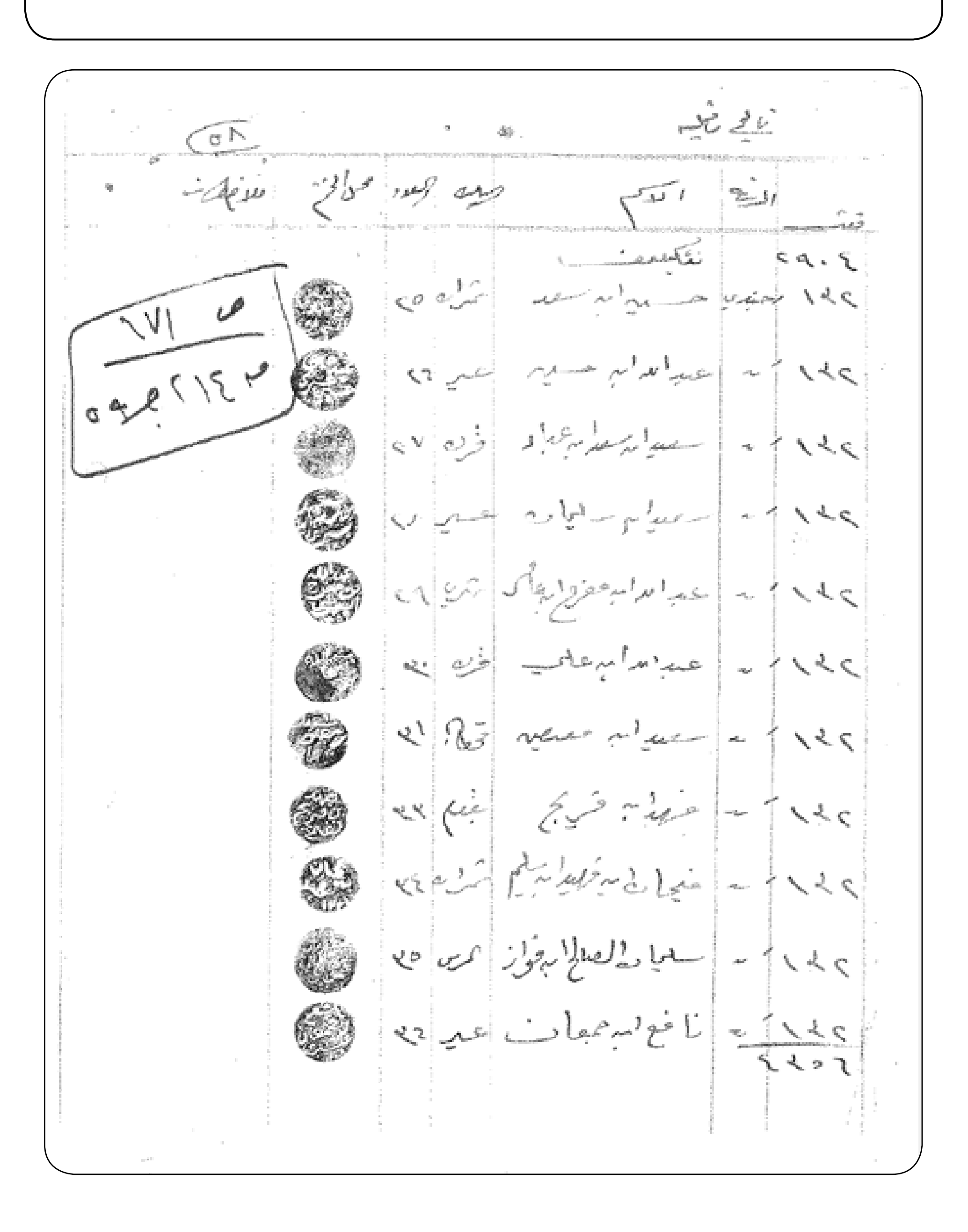
تابع [illegible]

٥٧

نقد	الرتبة	الاسم	القبيلة	العدد	محل الختم	ملاحظات
١٢٥٢		نقلية [illegible]				
١٢٢	[illegible]	حمد ابن عبدالله	[illegible]	١٣	[ختم]	
١٢٢	"	عبدالله ابن محمد	سبيع	١٤	[ختم]	
١٢٢	"	حمد ابن سالم	"	١٥	[ختم]	
١٢٢	"	علي ابن عبدالرحمن	[illegible]	١٧	[ختم]	
١٢٢	[illegible]	مصلح ابن [illegible]	عتيبة	١٨	[ختم]	
١٢٢	"	[illegible] ابن ابراهيم	[illegible]	١٩	[ختم]	
١٢٢	"	خالد ابن سعد	قحطان	٢٠	[ختم]	
١٢٢	"	[illegible] ابن غانم	[illegible]	٢١	[ختم]	
١٢٢	"	عبدالله ابن [illegible]	[illegible]	[illegible]	[ختم]	
١٢٢	"	عبدالرحمن ابن حمد	"	٢٣	[ختم]	
١٢٢	"	حمد ابن علي	قحطان	٢٤	[ختم]	
٢٩٠٤						

١٧٠ ص
٢١٤٣ [illegible] ٥٩

تابع ملحق رقم (٣٢)

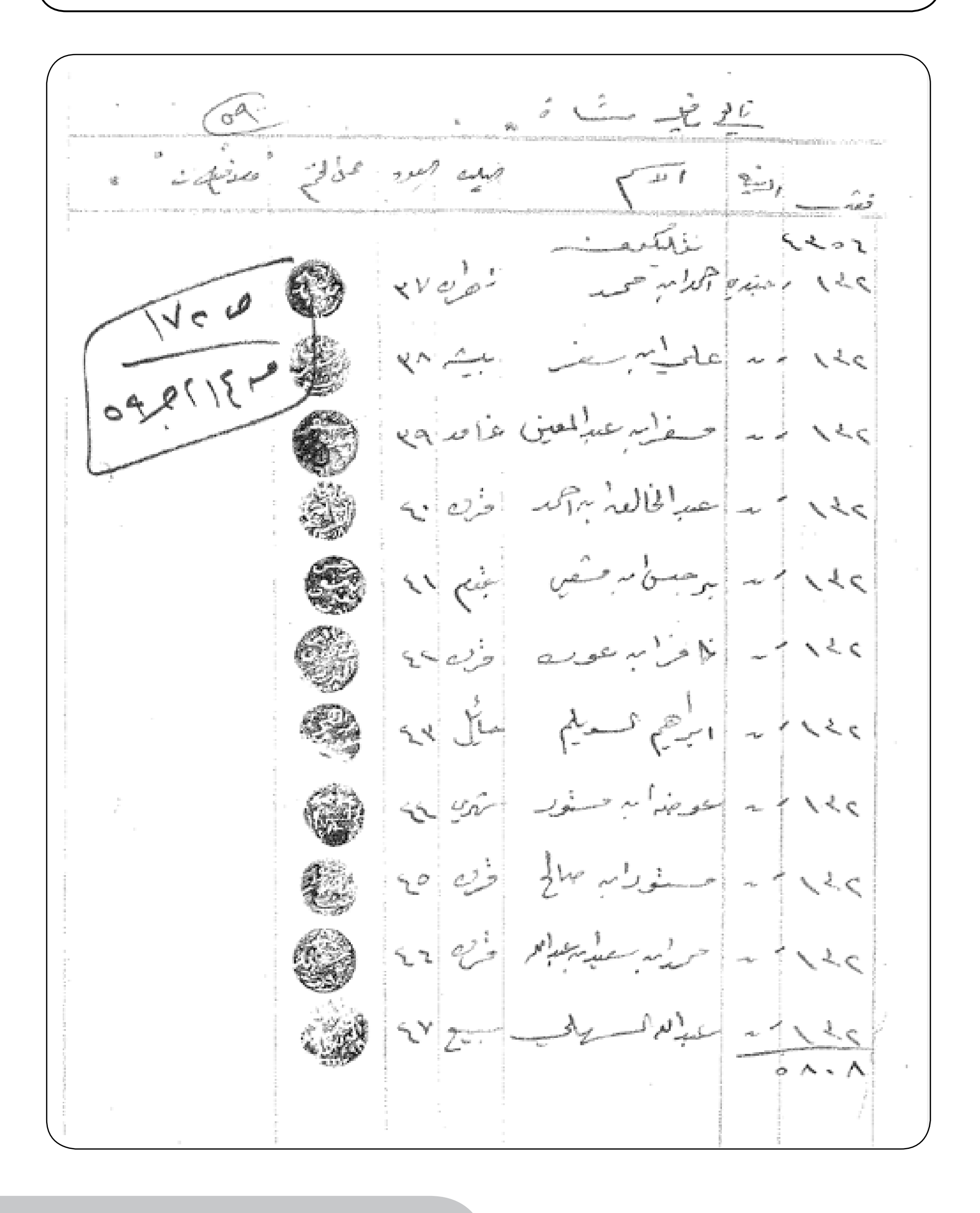


(٥٨)

ص ١٧١
٥ جـ ٢١٤٣

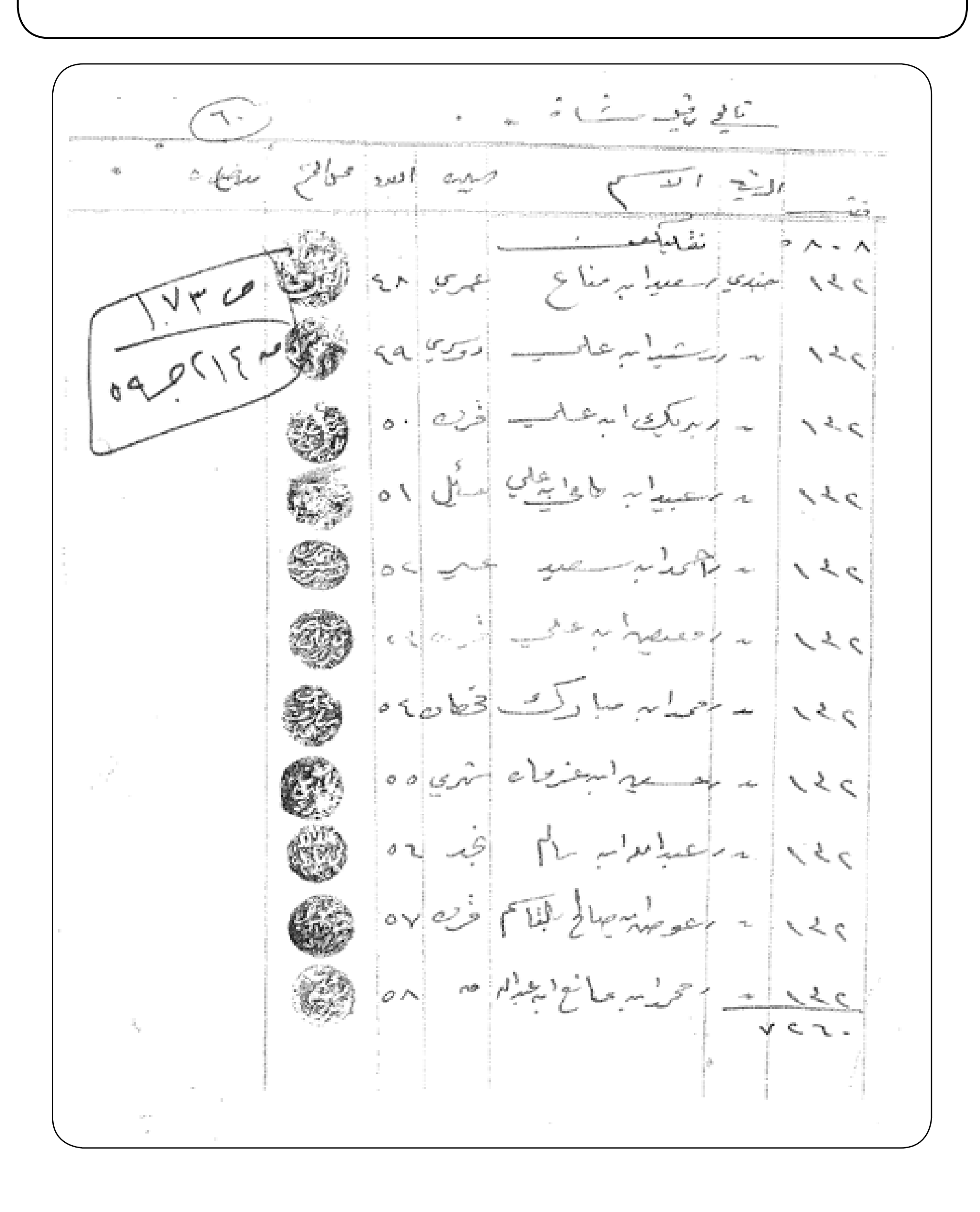
قرش	التاريخ	الاسم	بيت العدد	محل الختم
٢٩٠٤		[illegible]		
١٢٢	[illegible]	[illegible]	[illegible] ٢٥	
١٢٢	"	عبدالله بن حسين	[illegible] ٢٦	
١٢٢	"	سعيد بن سعد بن عباد	[illegible] ٢٧	
١٢٢	"	[illegible]	[illegible] ٢٧	
١٢٢	"	[illegible]	[illegible] ٢٦	
١٢٢	"	عبدالله بن علي	[illegible] ٢٠	
١٢٢	"	[illegible]	[illegible] ٢١	
١٢٢	"	[illegible]	[illegible] ٢٢	
١٢٢	"	[illegible]	[illegible] ٢٤	
١٢٢	"	[illegible]	[illegible] ٢٥	
١٢٢	"	ناصر بن [illegible]	[illegible] ٢٦	
٢٢٥٦				

تابع ملحق رقم (٣٢)



قضاء	رقم	الاسم	القبيلة	العدد	محل الختم	ملاحظات
١٢٥٦		[illegible]				
١٢٢	[illegible]	أحمد ابن محمد	[illegible]	٢٧		
١٢٢	=	علي ابن [illegible]	[illegible]	٢٨		
١٢٢	=	[illegible] ابن عبد المعين	[illegible]	٢٩		
١٢٢	=	عبد الخالق ابن أحمد	[illegible]	٤٠		
١٢٢	=	[illegible]	[illegible]	٤١		
١٢٢	=	[illegible] ابن [illegible]	[illegible]	٤٢		
١٢٢	=	[illegible]	[illegible]	٤٣		
١٢٢	=	[illegible] ابن [illegible]	[illegible]	٤٤		
١٢٢	=	[illegible] ابن صالح	[illegible]	٤٥		
١٢٢	=	[illegible] ابن [illegible]	[illegible]	٤٦		
١٢٢	=	عبد الله [illegible]	[illegible]	٤٧		
٥٨٠٨						

تابع ملحق رقم (٣٢)



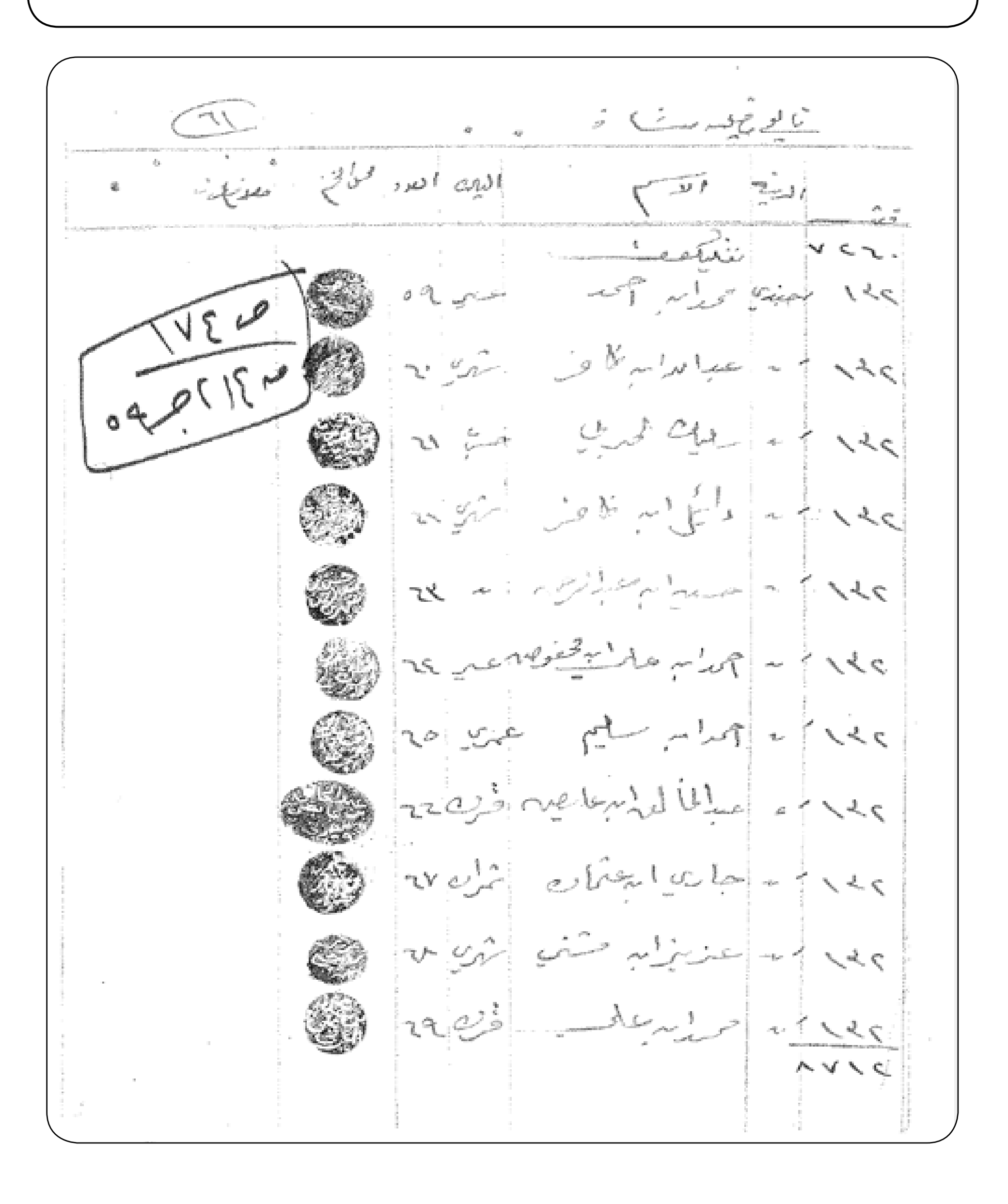
تابع ترتيب ...

(٦٠)

ص ١٧٣
١٢١٤ ج ٥٩

المرتب	الرتبة	الاسم	القبيلة	العدد	مواقع
٨٠٨		نقل ما قبله			
١٢٢	جندي	سعيد ابن مناع	عمري	٤٨	
١٢٢	»	رشيد ابن علي	دويري	٤٩	
١٢٢	»	مبريك ابن علي	قرني	٥٠	
١٢٢	»	سعيد ابن [illegible] علي	عسيلي	٥١	
١٢٢	»	أحمد ابن سعيد	[illegible]	٥٢	
١٢٢	»	عصية ابن علي	[illegible]	[illegible]	
١٢٢	»	محمد ابن مبارك	قحطاني	٥٤	
١٢٢	»	سعيد ابن عرجاء	شهري	٥٥	
١٢٢	»	عبدالله ابن سالم	نجد	٥٦	
١٢٢	»	عوضة ابن صالح القاسم	قرني	٥٧	
١٢٢	»	محمد ابن مانع ابن عبدالله		٥٨	
٧٢٦٠					

تابع ملحق رقم (٣٢)



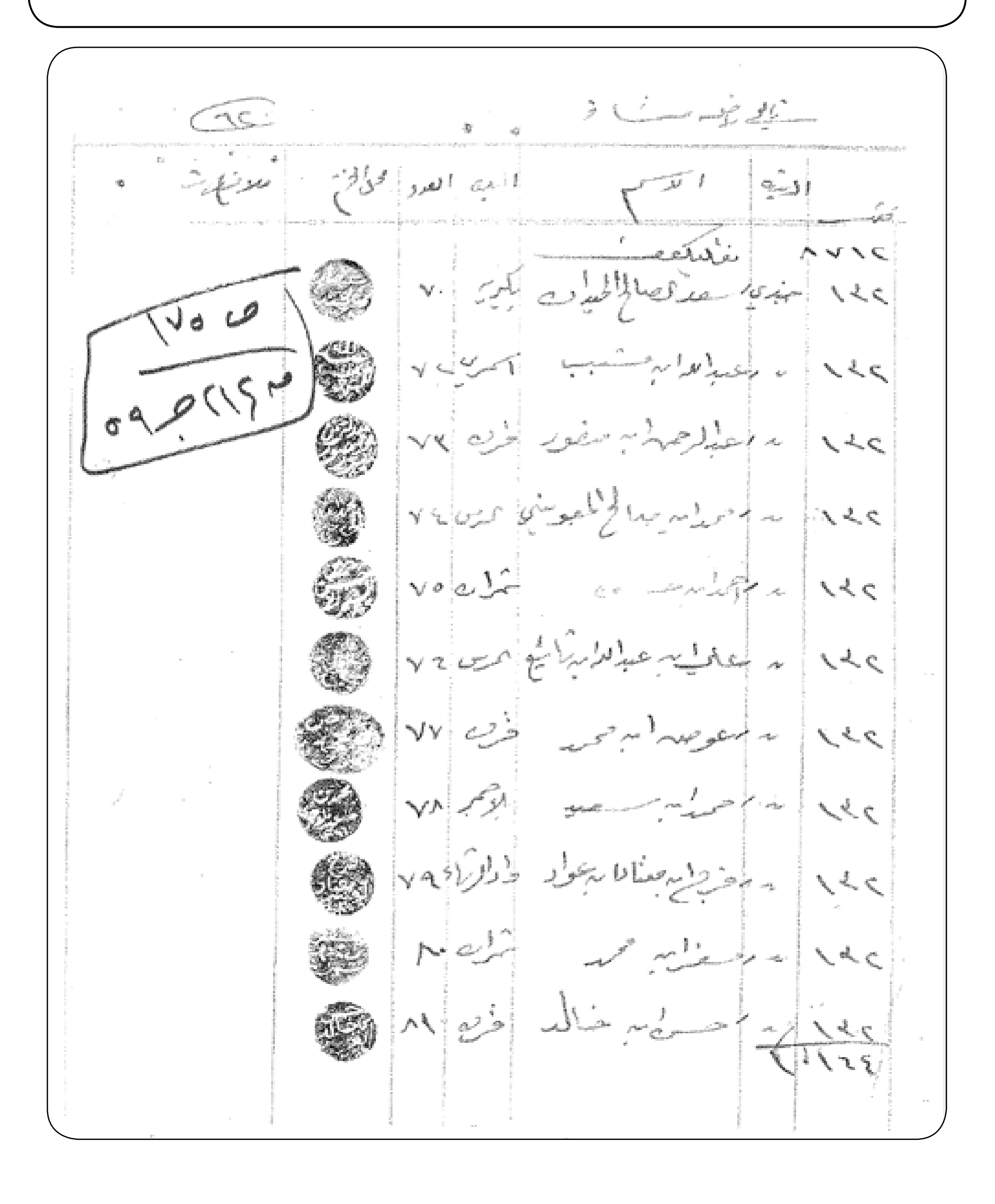
(٦١)

ص ١٧٤

٢١٢ جـ ٥٩

٨٧١٢

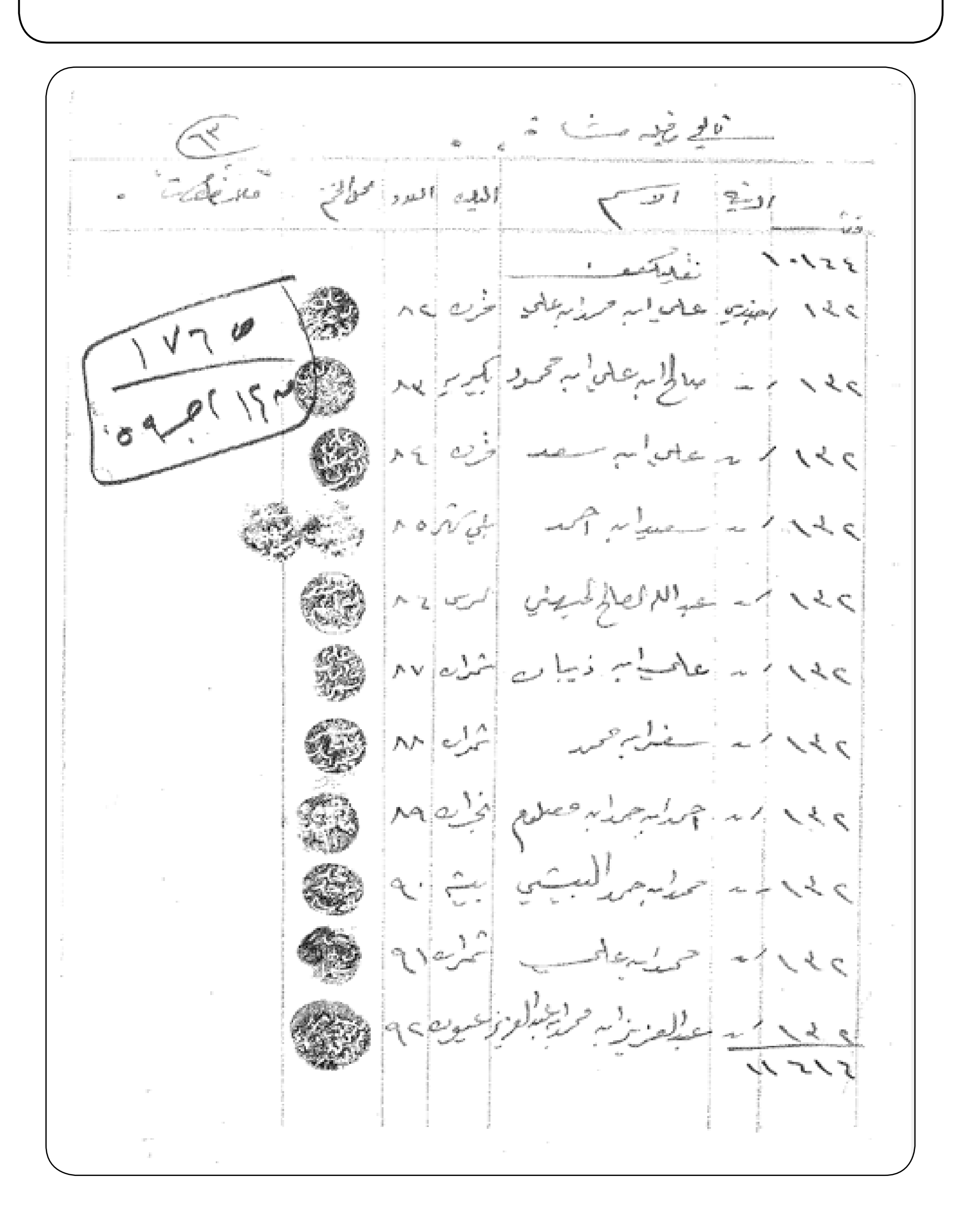
تابع ملحق رقم (٣٢)



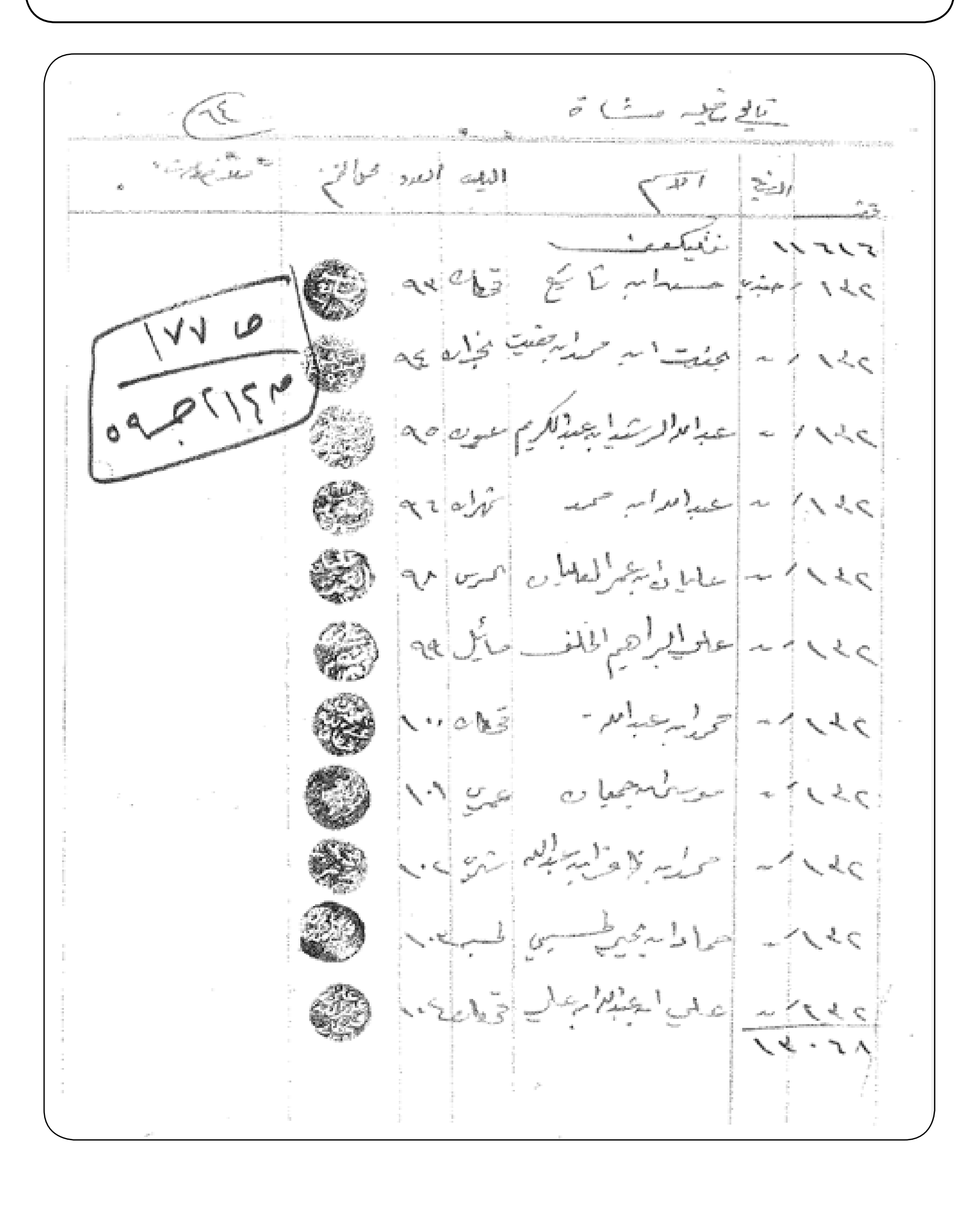
	الشيء	الاسم	اللقب	العدد	محل الختم
	٨٧١٢	[illegible]			
	١٢٢	[illegible]	[illegible]	٧٠	
	١٢٢	[illegible] بن عبدالله مشبب	[illegible]	٧١	
	١٢٢	[illegible]	[illegible]	٧٢	
	١٢٢	[illegible]	[illegible]	٧٤	
	١٢٢	[illegible]	[illegible]	٧٥	
	١٢٢	علي بن عبدالله [illegible]	[illegible]	٧٦	
	١٢٢	[illegible]	[illegible]	٧٧	
	١٢٢	[illegible]	الأحمر	٧٨	
	١٢٢	[illegible]	[illegible]	٧٩	
	١٢٢	[illegible]	[illegible]	٨٠	
	١٢٢	[illegible] بن خالد	[illegible]	٨١	
	١١٢٤				

ص ١٧٥
م ٢١٦٣ ج ٥٩

تابع ملحق رقم (٣٢)



تابع ملحق رقم (٣٢)



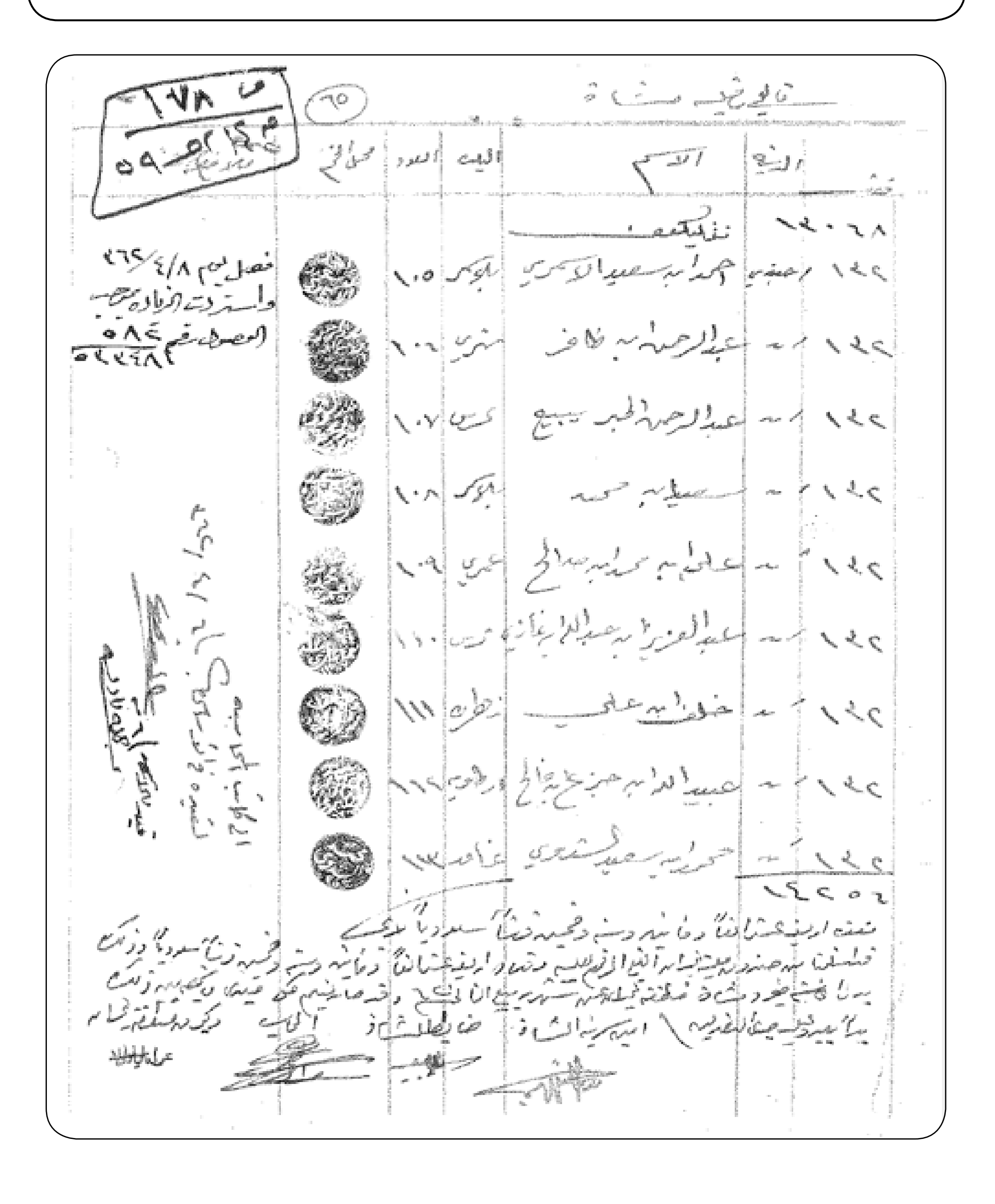
تابع تجنيد مشاة

٦٤

قرش	التاريخ	الاسم	البلد	العدد	الخاتم	ملاحظات
١١٦١٦		[illegible]				
١٢٢	١ محرم	حسن بن [illegible]	قطان	٩٣		
١٢٢	١ / ٠	جفنت بن حمد بن جفنت	نجران	٩٤		
١٢٢	١ / ٠	عبد الرشيد بن عبد الكريم	[illegible]	٩٥		
١٢٢	١ / ٠	عبد الله بن حمد	[illegible]	٩٦		
١٢٢	١ / ٠	[illegible]	[illegible]	٩٨		
١٢٢	١ / ٠	علي ابراهيم الخلف	حائل	٩٩		
١٢٢	١ / ٠	حمد بن عبد الله	قطان	١٠٠		
١٢٢	١ / ٠	موسى بن حيان	عسير	١٠١		
١٢٢	١ / ٠	حمد بن [illegible] بن عبد الله	[illegible]	١٠٢		
١٢٢	١ / ٠	حماد بن [illegible]	[illegible]	١٠٣		
١٢٢	١ / ٠	علي احمد بن علي	قطان	١٠٤		
١٢٠٦٨						

١٧٧ ه
٢١٢٣ ج ٥٩

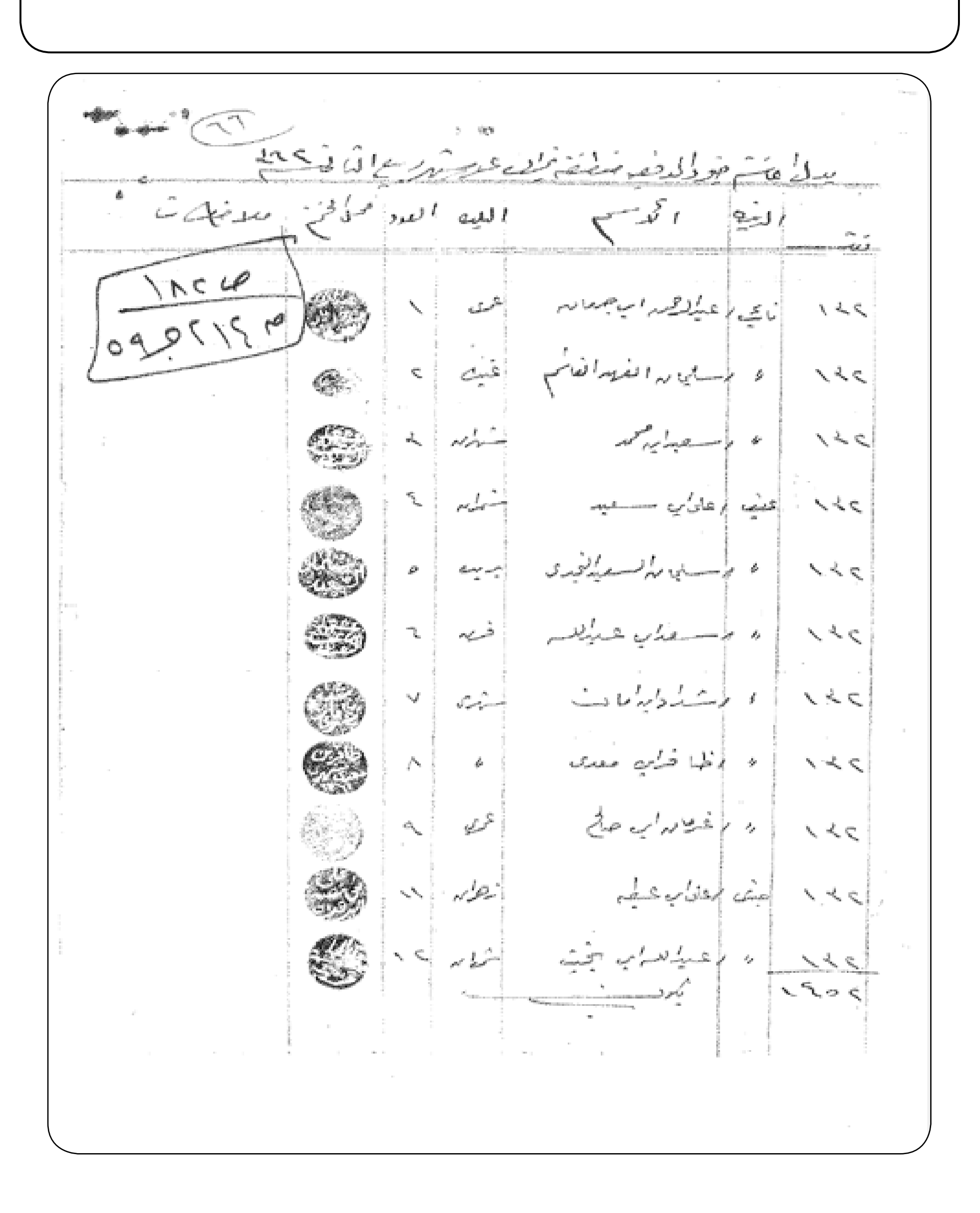
تابع ملحق رقم (٣٢)



الريال	الاسم	البيت	العدد	محل الختم
١٢٠٦٨	نقل [illegible]			
١٢٢	محمد بن سعيد [illegible]	[illegible]	١٠٥	[ختم]
١٢٢	عبدالرحمن بن خلف	[illegible]	١٠٦	[ختم]
١٢٢	عبدالرحمن [illegible]	[illegible]	١٠٧	[ختم]
١٢٢	سعيد بن حسن	[illegible]	١٠٨	[ختم]
١٢٢	علي بن محمد بن صالح	[illegible]	١٠٩	[ختم]
١٢٢	عبدالعزيز بن عبدالله [illegible]	[illegible]	١١٠	[ختم]
١٢٢	خلف بن علي	[illegible]	١١١	[ختم]
١٢٢	عبدالله بن [illegible]	[illegible]	١١٢	[ختم]
١٢٢	محمد بن سعيد [illegible]	[illegible]	١١٣	[ختم]
[illegible]				

فصل يوم ٤/٨/٢٦٩

<u>ملحق رقـم (٣٣):</u> بـدل إعاشـة جنـود المدفعية في منطقة نجـران عن شـهر ربيع الآخر عـام (١٣٦٢هـ) . **<u>المصـدر: مكتبـة د.غيثـان بـن جريـس العلميـة. الوثائـق العامـة (ق١٤هـ/٢٠م) .ج٥٩ ، ص١٨٢ ـ ١٨٥ .</u>**



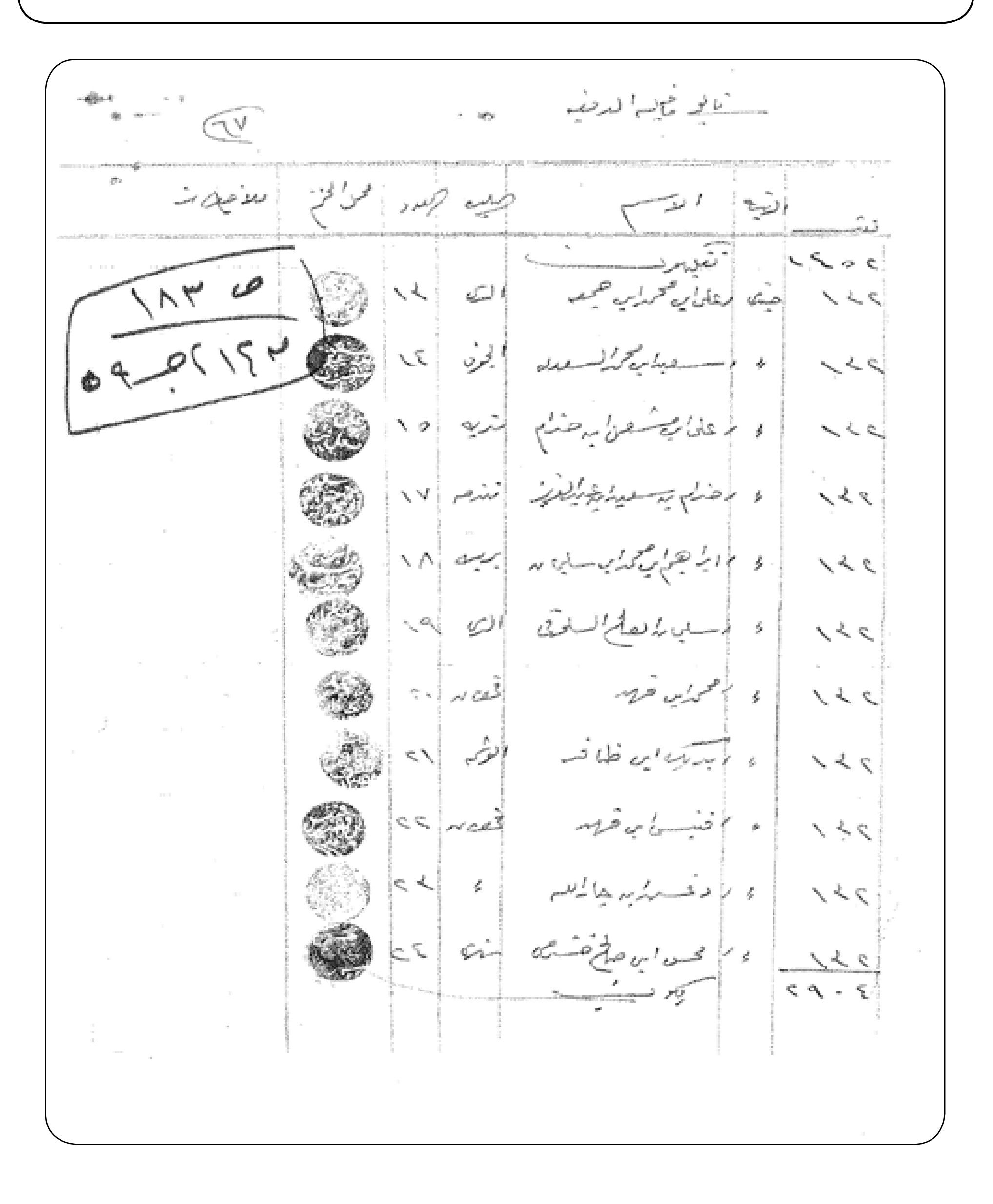
(٦٦)

بدل اعاشة جنود المدفعية منطقة نجران عن شهر ربيع الثاني ١٣٦٢

نمرة	الرتبة	الاسم	القبيلة	العدد	محل الختم	ملاحظات
١٢٢	نائب	عبدالرحمن ابن جمعان	[illegible]	١		
١٢٢	،،	[illegible]	[illegible]	٢		
١٢٢	،،	[illegible] ابن محمد	[illegible]	٣		
١٢٢	عريف	علي ابن سعيد	[illegible]	٤		
١٢٢	،،	[illegible]	[illegible]	٥		
١٢٢	،،	سعد ابن عبدالله	[illegible]	٦		
١٢٢	،،	[illegible]	[illegible]	٧		
١٢٢	،،	[illegible]	،،	٨		
١٢٢	،،	[illegible] ابن صالح	[illegible]	٩		
١٢٢	عريف	[illegible]	[illegible]	١١		
١٢٢	،،	عبدالله ابن [illegible]	[illegible]	١٢		
[illegible]						

ص١٨٢
ص٢١٤ ج٥٩

تابع ملحق رقم (٣٣)

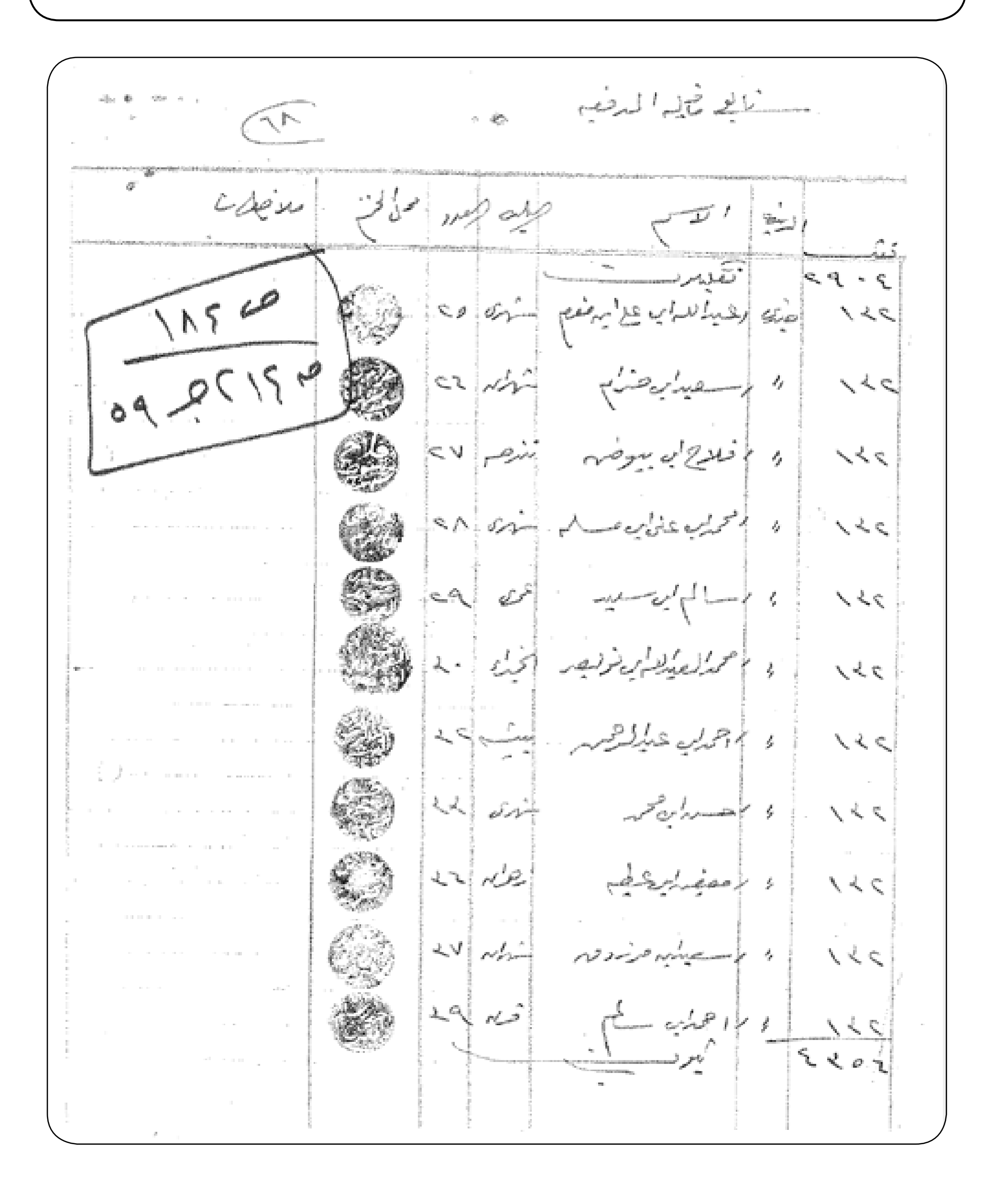


٦٧

ص ١٨٣
١٢٣/ج٥٩

[illegible]	التاريخ	الاسم	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
[illegible]		[illegible]				
١٢٢	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	
١٢٢	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	
١٢٢	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	
١٢٢	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	
١٢٢	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	
١٢٢	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	
١٢٢	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	
١٢٢	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	
١٢٢	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	
١٢٢	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	
١٢٢	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	
[illegible]		[illegible]				

تابع ملحق رقم (٣٣)

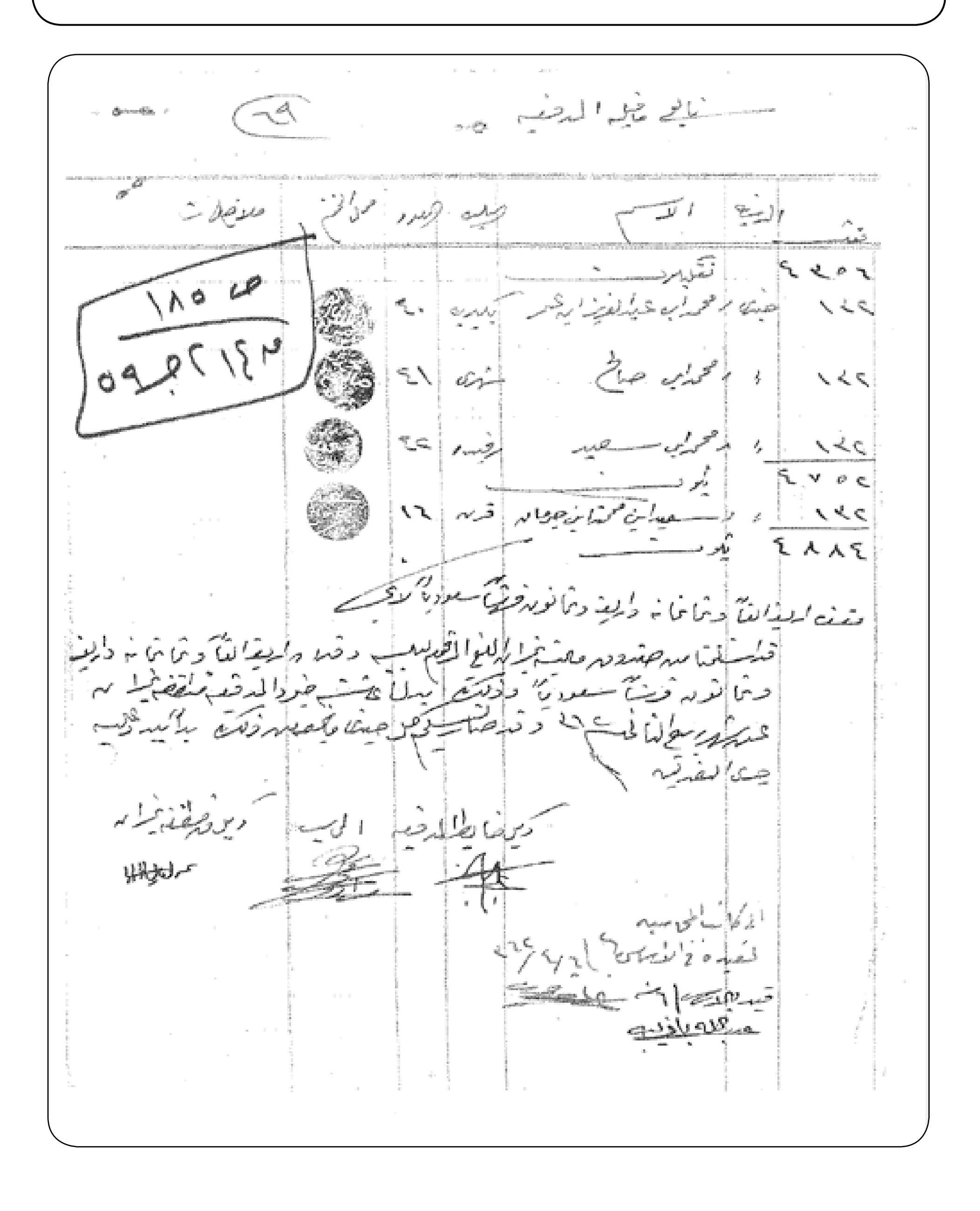


تابع خلية المدفعية

(٦٨)

نقد	التاريخ	الاسم	محله الصدور		محل الختم	ملاحظات
٢٩٠٤		نقليه				
١٢٢	[illegible]	عبدالله ابن علي ابن فهم	[illegible]	٢٥		١٨٤ ص ٥٩ ج ٢١٩ ص
١٢٢	״	سعيد ابن هشام	[illegible]	٢٦		
١٢٢	״	فلاح ابن بيوضه	[illegible]	٢٧		
١٢٢	״	محمد ابن عذى ابن مسلم	[illegible]	٢٨		
١٢٢	״	سالم ابن سعيد	[illegible]	٢٩		
١٢٢	״	محمد العبدالله ابن فرنيص	[illegible]	٣٠		
١٢٢	״	احمد ابن عبدالرحمن	[illegible]	٣٢		
١٢٢	״	حسن ابن محمد	[illegible]	٢٢		
١٢٢	״	مصلح ابن [illegible]	[illegible]	٢٦		
١٢٢	״	سعيد ابن مرشد	[illegible]	٢٧		
١٢٢	״	احمد ابن سالم	[illegible]	٢٩		
٤٢٥٦						

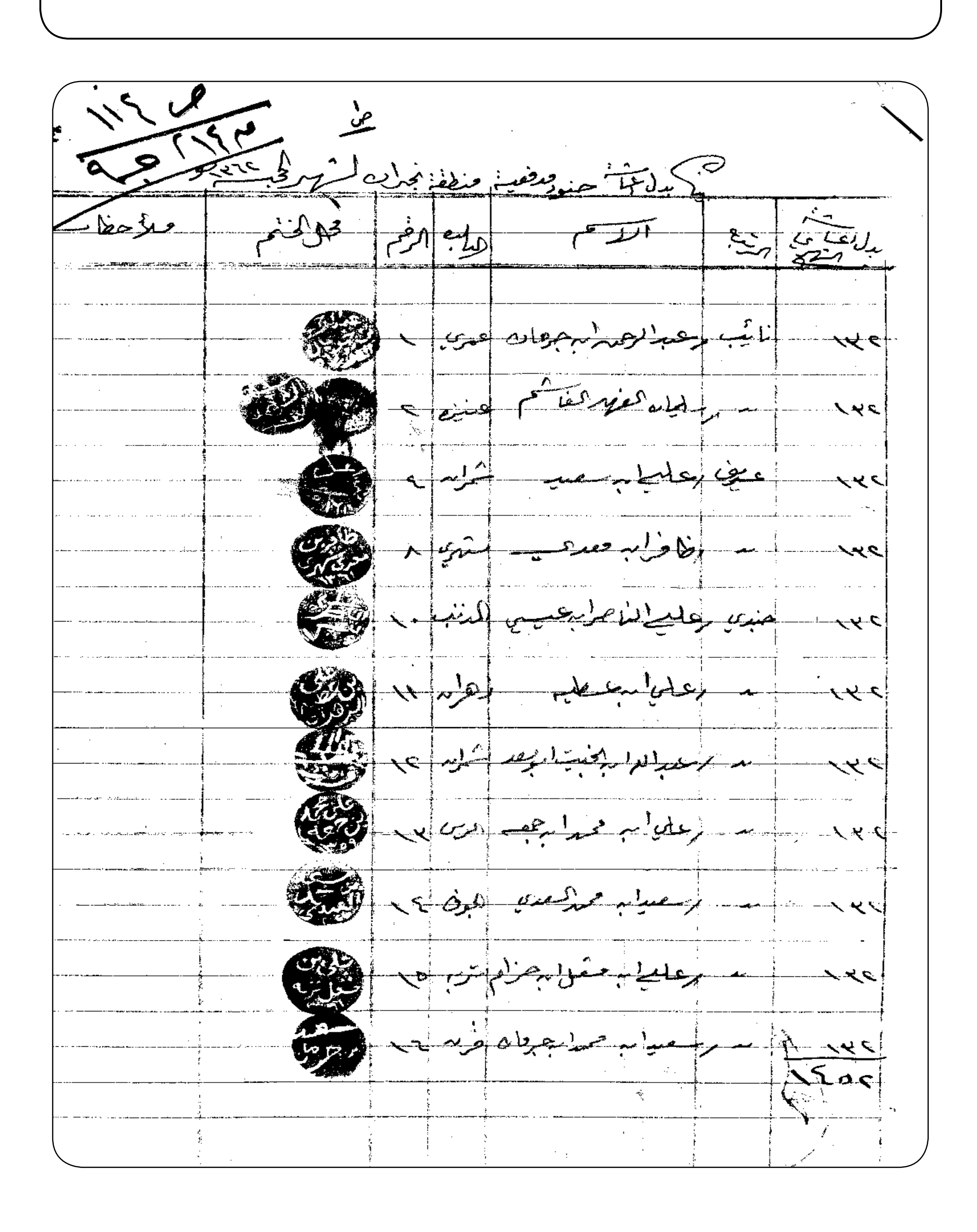
تابع ملحق رقم (٣٣)



١٨٥ ص

٥٩ج٢١٤٢

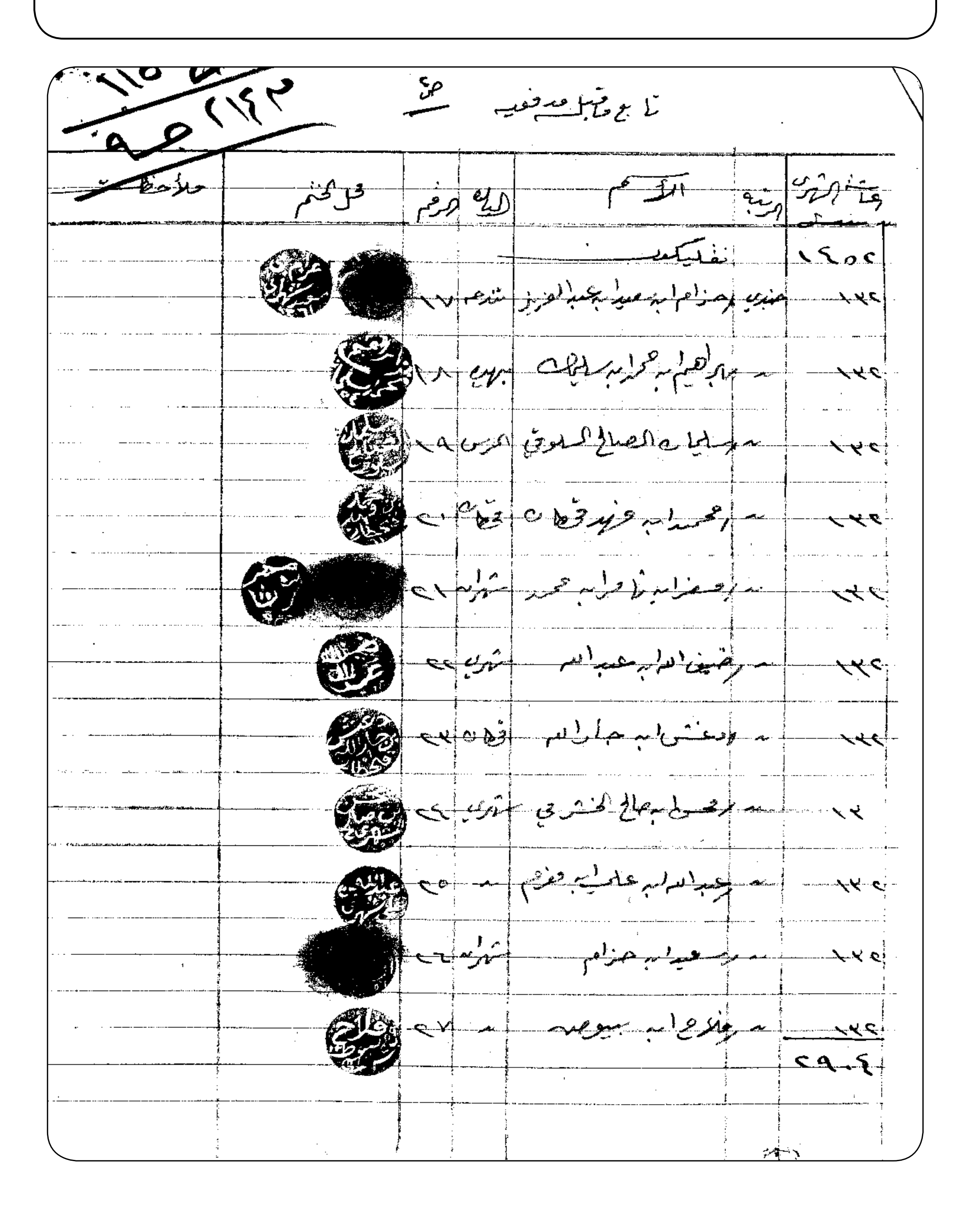
ملحق رقم (٣٤) : بدل إعاشة جنود مدفعية منطقة نجران لشهر ذي الحجة (١٣٦٢هـ).
المصدر: مكتبة د. غيثان بن جريس العلمية (ق١٤هـ/ ٢٠م) ،ج٩، ص١١٤-١١٧.



بدل إعاشة جنود مدفعية منطقة نجران لشهر الحجة

بدل اعاشة الشهر	رتبة	الاسم	القبيلة	الرقم	محل الختم	ملاحظات
١٢٢	نائب	عبد الرحمن بن جوهان	عمري	١		
١٢٢	"	سليمان بن فهيد القاسم	عنزي	٢		
١٢٢	عريف	علي بن سعيد	شرايه	٣		
١٢٢	"	ظافر بن محمد	شهري	٨		
١٢٢	جندي	علي الناصر بن عيسى	المذنب	١٠		
١٢٢	"	علي بن عبد عليم	زهراني	١١		
١٢٢	"	عبد الله بن الخبيت بن سعد	شرايه	١٢		
١٢٢	"	علي بن محمد بن جحب	[illegible]	١٣		
١٢٢	"	سعيد بن محمد السعدي	[illegible]	١٤		
١٢٢	"	علي بن عقيل بن حزام	[illegible]	١٥		
١٢٢	"	سعيد بن محمد بن جرطان	[illegible]	١٦		
[illegible]						

تابع ملحق رقم (٣٤)

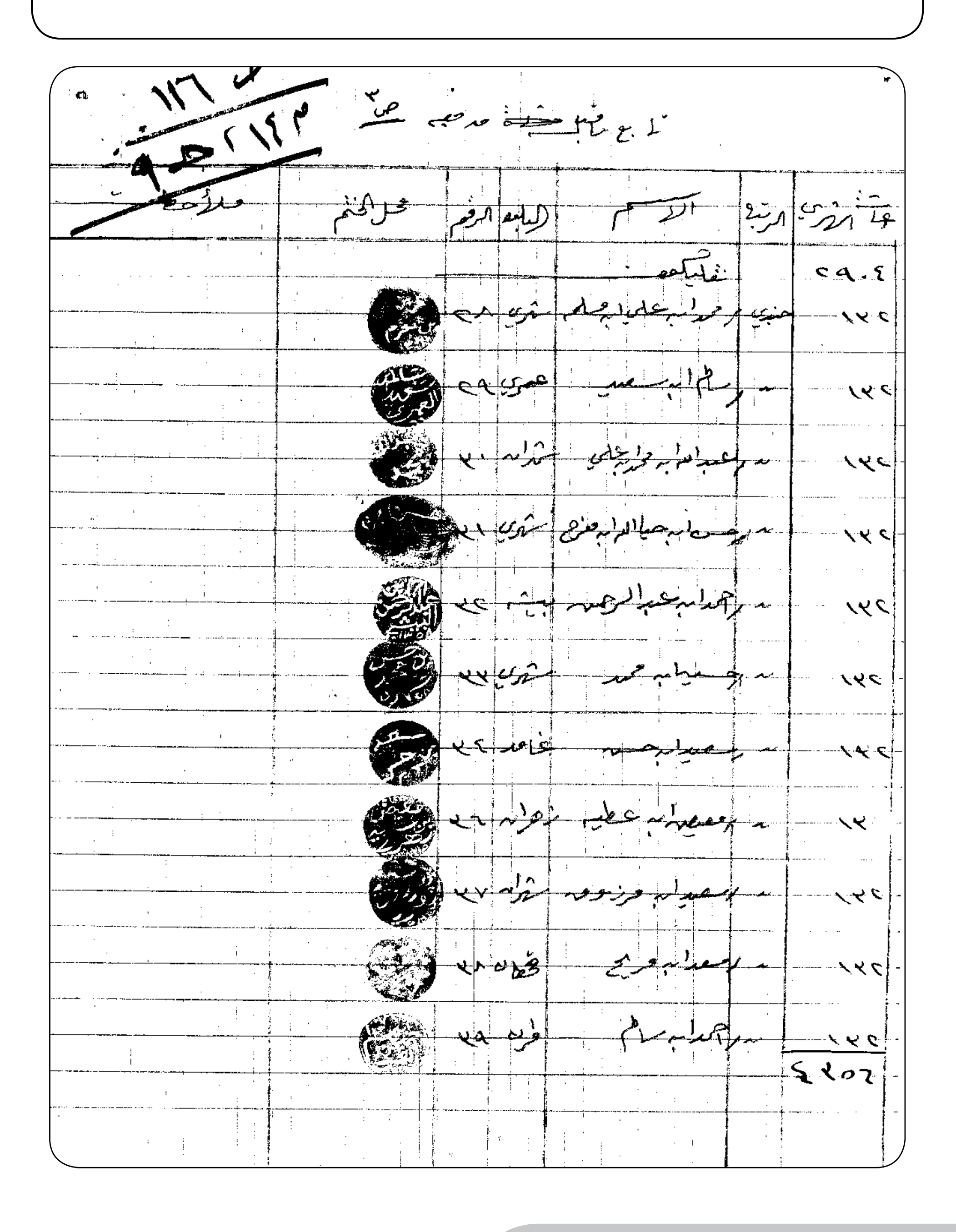


تابع [illegible]

٢١٤٢

عدد الشهري	الرتبة	الاسم	[illegible]	رقم	محل الختم	ملاحظات
١٢٥٠٢		نقل ليكمله				
١٢٢	جندي	حزام ابن عبيد بن عبد العزيز	شدعه	١٧		
١٢٢	"	ابراهيم بن حمزة ابن سليمان	بيهي	١٨		
١٢٢	"	سليمان الصالح السلوقي	المرس	١٩		
١٢٢	"	محمد ابن فهد [illegible]	[illegible]	٢٠		
١٢٢	"	[illegible] ابن ناصر ابن محمد	شهراني	٢١		
١٢٢	"	ضيف الله ابن عبد الله	شهري	٢٢		
١٢٢	"	دعش ابن جار الله	[illegible]	٢٣		
١٢	"	[illegible] بن صالح [illegible]	شهري	٢٤		
١٢٢	"	عبد الله ابن علي بن [illegible]	"	٢٥		
١٢٢	"	سعيد ابن حزام	شهراني	٢٦		
١٢٢	"	فلاح ابن [illegible]	"	٢٧		
٢٩٠٤						

تابع ملحق رقم (٣٤)



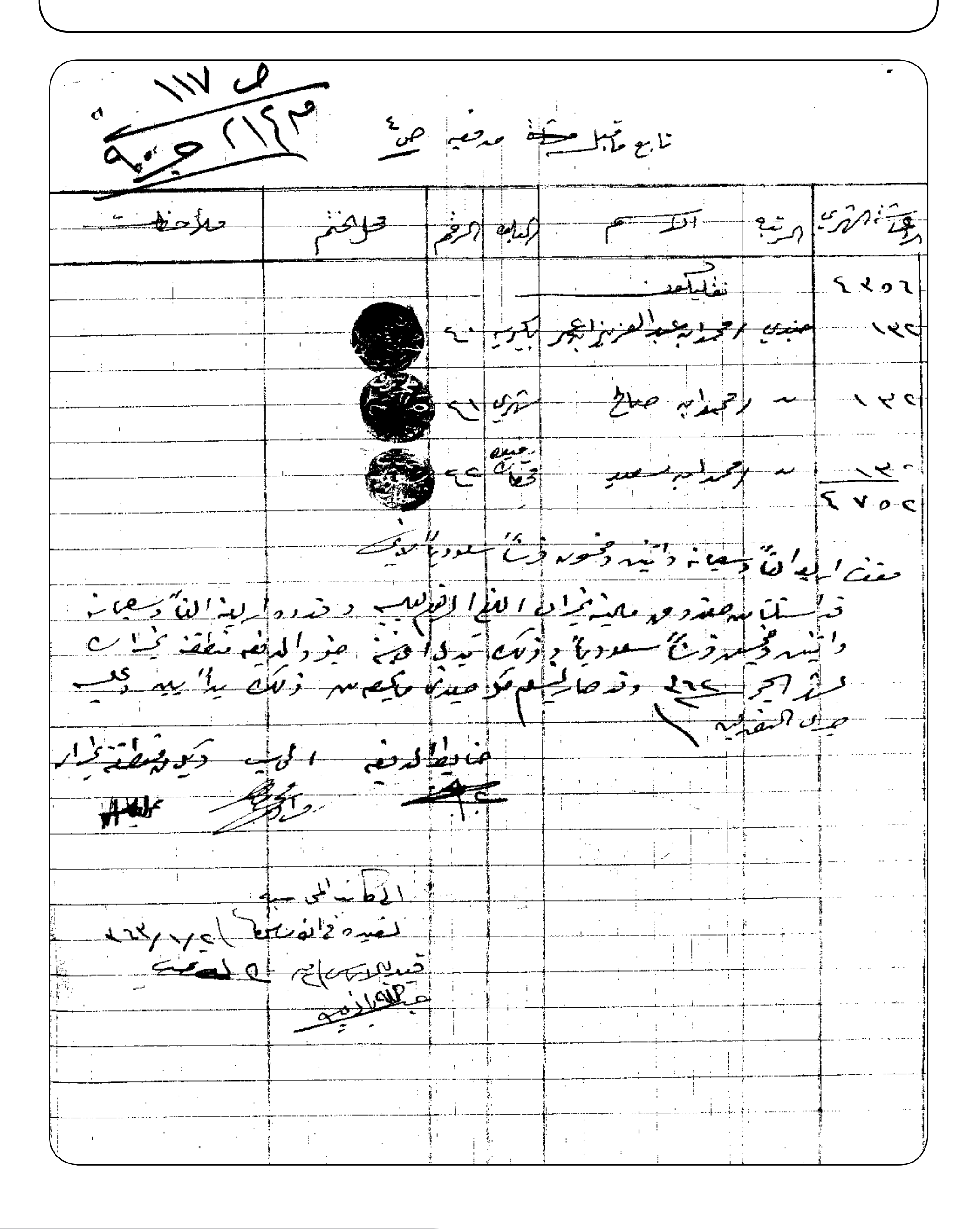
١١٦

٢١٢٢م

تابع شهرية مدرجة ص ٣

المرتب الشهري	الرتبة	الاسم	القبيلة	الرقم	محل الختم	ملاحظات
٢٩٠٤		نقليكم				
١٢٢	جندي	محمد بن علي بن مسلم	شري	٢٨		
١٢٢	〃	سالم بن سعيد	عمري	٢٩		
١٢٢	〃	عبدالله بن محمد الجلي	[illegible]	٢٠		
١٢٢	〃	حسن بن صالح بن عوض	شري	٢١		
١٢٢	〃	محمد بن عبد الرحمن	بيشة	٢٢		
١٢٢	〃	حسين بن محمد	شري	٢٣		
١٢٢	〃	سعيد بن حسن	غامد	٢٤		
١٢	〃	سعيد بن عطية	زهران	٢٦		
١٢٢	〃	سعيد بن مزروع	شهران	٢٧		
١٢٢	〃	سعد بن عريج	قحطان	٢٨		
١٢٢	〃	محمد بن سالم	[illegible]	٢٩		
٤٢٥٦						

تابع ملحق رقم (٣٤)



١١٧ ص
٢١٢٣ جـ ٩

تابع ما قبله ... صفحة ص ٤

ملاحظات	محل الختم	الرقم	البلد	الاسم	الرتبة	مجموع الأنفار
				نقل ما قبله		٢٢٥٦
		٢	بكري	احمد ابن عبد العزيز ابن عمر	جندي	١٢٢
		٢	شهري	احمد ابن صالح	"	١٢٢
		٢٣	قحطاني [illegible]	محمد ابن سعيد	"	١٢٢
						٢٧٥٢

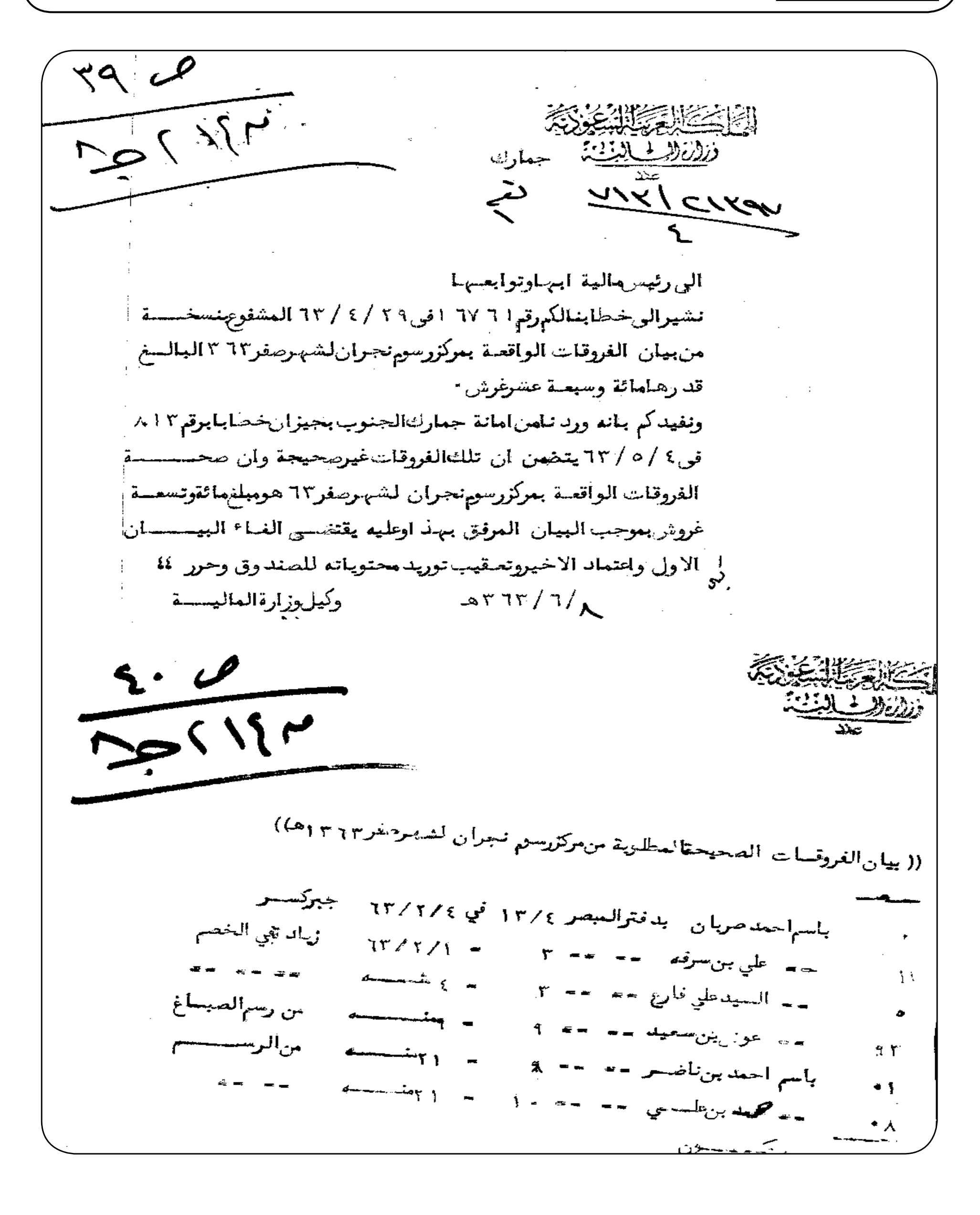
فقط ألفان وسبعمائة واثنين وخمسون ... سعودياً لا غير

قد استلمنا من صندوق مالية نجران المبلغ المذكور أعلاه وقدره ألفين وسبعمائة واثنين وخمسين ... سعودياً وذلك ... [illegible] ... لشهر ... ١٣٦٢ ... [illegible] ... ذلك ... [illegible]

ضابط الدفع — المحاسب — [illegible]

[illegible]
١٣٦٢/١/٢٠
[illegible]

ملحق رقم (٣٥): خطاب بتاريخ (١٣٦٣/٦/٨هـ) من وكيل وزارة المالية إلى رئيس مالية أبها وتوابعها وبرفقه جدول به بعض البيانات. والخطاب ومحتوياته تدور حول الفروقات المالية الصادرة من مركز رسوم نجران والمطلوب تصحيح ما ورد بها من أخطاء.
المصدر: مكتبة د. غيثان ابن جريس العلمية. الوثائق العامة (ق١٤هـ/ ٢٠م)، ج٨، ص ٣٩ - ٤٠.



ص ٣٩

المملكة العربية السعودية
وزارة المالية
جمارك
عدد ٢١٢٩/١٦٧

الى رئيس مالية ابها وتوابعها

نشير الى خطابنا لكم رقم ١٦٦٧ في ٢٩ / ٤ / ٦٣ المشفوع بنسخة من بيان الفروقات الواقعة بمركز رسوم نجران لشهر صفر ٣٦٣ البالغ قدرها مائة وسبعة عشر غرش.

ونفيدكم بانه ورد نامن امانة جمارك الجنوب بجيزان خطابا برقم ٨١٣ في ٤ / ٥ / ٦٣ يتضمن ان تلك الفروقات غير صحيحة وان صحة الفروقات الواقعة بمركز رسوم نجران لشهر صفر ٦٣ هو مبلغ مائة وتسعة غروش بموجب البيان المرفق بهذا وعليه يقتضي الغاء البيان الاول واعتماد الاخير وتعقيب توريد محتوياته للصندوق وحرر ٨ / ٦ / ٣٦٣ هـ

وكيل وزارة المالية

ص ٤٠

المملكة العربية السعودية
وزارة المالية
عدد

((بيان الفروقات الصحيحة المطلوبة من مركز رسوم نجران لشهر صفر ١٣٦٣هـ))

	باسم احمد صربان	بدفتر المبصر ١٣/٤ في ٦٣/٢/٤	جبر كسر
١١	-- علي بن سرقه	-- -- ٣ - ٦٣/٢/١	زياد في الخصم
٥	-- السيد علي فارع	-- -- ٣ - ٤ شــــه	-- -- --
٩٢	-- عون بن سعيد	-- -- ٩ - منـــــه	من رسم الصباغ
٠١	باسم احمد بن ناصر	-- -- ٩ - ٢١ منـــه	من الرســم
٠٨	-- حمد بن علي	-- -- ١٠ - ٢١ منـــه	-- -- --

ملحق رقم (٣٦) : خطاب من أحد شيوخ وأعيان نجران جابر بن مانع أبوساق إلى الشيخ عبد الوهاب أبو ملحة يخبره ببعض الأخبار في ديارهم ويستفسر عن قضايا أخرى عديدة . المصدر : مكتبة د.غيثان بن جريس العلمية . الوثائق العامة (ق١٤هـ/٢٠م) . ج٥٦، ص ٦٠ .

بسم الله الرحمن الرحيم

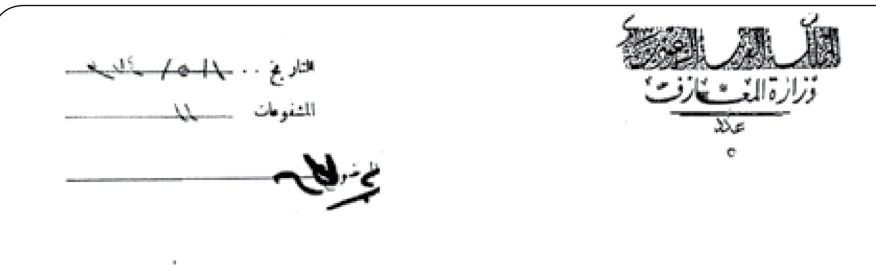
(٤٠) ص ٦٠ / ١١٤٣ ج٥٦

من جابر بن مانع ابوساق الى حضرة المكرم المحترم الشيخ عبد الوهاب [illegible]

[illegible]

بعد السلام عليكم ورحمة الله وبركاته والسؤال عن صحتكم [illegible] لا زالت امور الناس من فضل الله جميله [illegible] نحن من فضل الله كما تحبون . واخبارنا [illegible] الناس [illegible] بالحلال والاشجار طيبه [illegible] اخبارنا احمد فقد انتقل من صعدا متوجه الى [illegible] انه فيه حرابه ولا نعلم هل هي بين اهل البلاد [illegible] عليهم وانشاء الله حين ما نتحقق نرفع الحقيقة [illegible] نحن في حضرة الامير وهو بخير [illegible] والله [illegible] نحن وهم من دولة [illegible] وخادمهم باذل نفسه في خدمة الله ثم في [illegible] ما يصلح للولاية [illegible] من طرف [illegible] الرجال [illegible] له من جلالة سيدي الملك [illegible] منه مثل ما وقع [illegible] خاطر [illegible] الاشتباه [illegible] بالسرية [illegible] عليه [illegible] في هذا [illegible] سلامنا لحضرة الامير [illegible] من طرف العيال الى جابر [illegible]

ملحق رقم (٣٧): خطاب بتاريخ (١٣٧٤/٥/١هـ) من المفتش المركزي في معتمدية عسير إلى وكيل وزارة المعارف يوضح له ضرورة توسيع مدرسة نجران وإضافة بعض الغرف لبناء المدرسة . **المصدر**: مكتبة د. غيثان بن جريس العلمية ، الوثائق العامة (ق١٤هـ/ ٢٠م) ، ج٦٧، ص ١٧٧



المملكة العربية السعودية
وزارة المعارف

التاريخ ١/٥/١٣٧٤

المشفوعات

حضرة صاحب السعادة وكيل وزارة المعارف الأفخم

بعد التحية والاحترام – إجابة لخطاب سعادتكم لي برقم ٤٩٤٠ في ٢٨/٢/٧٤ المرفق به كامل أوراق المسألة المقدم إليكم من وزارة المالية بخطابها رقم [illegible] ١/٢ وتاريخ ٢٧/٢/٧٤ بصدد المناقصة التي أجريت لإضافة خمس غرف إلى دار مدرسة نجران التابعة [illegible] الدولة.

أفيد سعادتكم بأنني اتصلت بالمدرسة المذكورة فوجدتها تتطلب السرعة في إنجاز إضافة هذه الغرف الخمس قبل بداية عام ٧٥ الدراسي. نعم يوجد بها الآن [illegible] غرف غير أن المدرسة وهي تضم ٢٤٠ طالبًا ستحتاج في أول عام ٧٥ الدراسي إلى ما يأتي: أربع غرف لأربعة فصول سوف تتكون منها السنة الأولى والثانية [illegible] غرف أخرى للسنوات الباقية من الثالثة إلى السادسة يضاف إليها ثلاث غرف أخرى هي: إدارة، وغرفة للمدرسين، ومستودع. فيصبح ما تحتاجه المدرسة [illegible] حاجة ضرورية إحدى عشرة غرفة الست الموجودة منها التي تتكون منها المدرسة حاضرًا فقط. أما ما لوحظ على المدرسة من الناحية الإدارية [illegible] نجران [illegible] ضمن التقرير الخاص عن هذه المدرسة في حينه إن شاء الله.

هذا وتفضلوا بقبول وافر الاحترام

المفتش المركزي

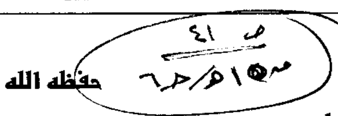
ملحق رقم (٣٨): خطاب في ثلاث صفحات بتاريخ(١٨/٦/١٤٢٤هـ) إلى كل مثقف أو من يستطيع التعاون مع المؤلف في جمع مادة علمية عن تاريخ وحضارة نجران في العصر الحديث والمعاصر .**المصدر**: مكتبة د. **غيثان بن جريس العلمية (ق١٥هـ/ ٢٠-٢١م) ج ٦، ص٤١-٤٣ .**

KING KHALID UNIVERSITY
Prof. GHITHAN A. JRAIS
Professor & Chairman Dept. Of History
Faculty of Arabic, Social and Administrative Sciences



جامعة الملك خالد
أ.د. غيثان بن علي بن جريس
أستاذ ورئيس قسم التاريخ
كلية اللغة العربية والعلوم الاجتماعية والإدارية

Date / / 200 ① التاريخ ١٨ / ٦ / ١٤٢٤ هـ



سعـــــادة الأستاذ الحبيب الفاضل / حفظه الله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد

إنـــــي أعتزم تأليف كتاب عن تاريخ وحضارة منطقة نجران خلال الثلاثة قرون الماضية ،من ١٢هـ حتى ١٥هـ وهذا الكتاب ربما يكون في أكثر مــن جـزء ولحاجتي الماسة لتعاونكم معي ، بالمقولة الشفوية ،أو الكتابة، أو تزويدي بوثيقة أو (وثائق) هامة ، أو صور فوتوغرافية ،أو نقوش، أو رسوم ،أو مخطوطـات ،أو ما يمكن إفادتنا لإخراج هذه الدراسة ٠ وهناك العديد من الأســئلة التــي سـوف أطرحها في السطور التالية ، فإذا كان لديكم أي معلومة ،أو معلومات تفيدني حول هذه النقاط ، أو حول بعضها فأرجو التعاون معي وأسأل الله لنـا ولكـم التوفيـق والنجاح إنه علي كل شئ قدير ٠

أما النقاط التي أرغب الإجابة عنها فهي على النحو التالي :

١-الحدود والتركيبة الجغرافية لمنطقة نجران بشكل عام ،ولمدينة نجران بشـكل خاص ٠

٢-ما يمكن أدراجه عن التاريخ السياسي البحت لهذه المنطقة خلال الثلاثة قـرون الآنفة الذكر٠ القوى السياسة التي امتدت إلى هذه المنطقة ، الأوضاع الإدارية فـي هذه المنطقة من حيث الأمراء، أو من تولى مسؤولية قيادية أو إدارية في المنطقـة

٣-التركيبة القبلية لمنطقة نجران ، أي القبائل الرئيسة من بطون وعشائر وافخـاذ رئيسة ، وأرجو الدقة في إيراد معلومات حول هذه النقطة لحساسيتها ، وخاصة لو وردت معلومات مغلوطة .

٤-التركيبة الاجتماعية لمنطقة نجران من حيث طبقات المجتمع ، الأسرة وأهميتها

المملكة العربية السعودية ـ أبها ـ ص.ب ٩٠٥٠ ـ ت : منزل : ٢٣١٢١٧٣ ـ عمل : ٢٢٩٠٦٨٢ ـ ٢٢٩٢٩٥١ تحويلة : ١٢٠ ـ فاكس : ٢٢٥٠٩٠٤
Saudi Arabia Abha - P.O.Box : 9050 - Tel : Res. 2312173 - Office : 2290682 - 2292951 Ext. 120 - Fax : 2250904 - 2250928

تابع ملحق رقم (٣٨)

جامعة الملك خالد
أ.د. غيثان بن علي بن جريس
أستاذ ورئيس قسم التاريخ
كلية اللغة العربية
والعلوم الاجتماعية والادارية

KING KHALID UNIVERSITY
Prof. GHITHAN A. JRAIS
Professor & Chairman Dept. Of History
Faculty of Arabic, Social and
Administrative Sciences



التاريخ ١٨ / ٦ / ١٤٢٤هـ Date / / 200

(٢)

ص ٤٢
١٥/٦/٦هـ

وتكوينها ، العمارة وطريقة تنفيذها ، ونقصد بالعمارة أي كل ما يمكن عمارته من المباني والمرافق وغيرها ، وبخاصة المنازل والقصور والحصون ، ثم تركيبة وتزيين هذه المباني . أيضاً أرجو إعطاء تفصيلات عن الألبسة بجميع أنواعها ، وكذلك أدوات الزينة عند طبقات المجتمع ، كما أرجو إفادتنا بما يمكن ذكره عن الأطعمة والأشربة ، وكذلك جميع العادات الأخرى ، كالزواج والطلاق ، الجنائز والمأتم ، الختان ، الكرم الشجاع ، توديع المسافر إلى غيرها من العادات التي تتميز بها منطقة نجران كما أرجو إفادتنا بما يمكن ذكره عن الألعاب والفنون الشعبية في منطقة نجران .

٥-التركيبة الاقتصادية ، مثل الصيد ، الرعي، الجمع والالتقاط ، التجارة وروادها وطريقة ممارستها ، وكذلك الزراعة ، والحرف والصناعات التقليدية التي اشتهرت بها بلاد نجران وما حولها .

٦-الحياة العلمية والفكرية والأدبية والتعليمية ، كيفية ظهور المؤسسات التعليمية القديمة في نجران وذلك قبل ظهور التعليم النظامي ، المشاهير في الأدب ، والشعر ، والعلوم المختلفة من شرعية ولغوية وغيرها .كما أرجو تزويدنا بالرواد والمشاهير في التربية والتعليم في منطقة نجران منذ القرن الثاني عشر الهجري .

٧-أرجو تزويدنا بالرواد والمشاهير في المنطقة خلال الفترة المذكورة أعلاه ونقصد بالرواد في أي فكر أو علم من العلوم، مثل : الزراعة، التجارة، الحرف والصناعات ، العلوم بأنواعها ، الحكمة والإصلاح ، أعيان القبائل ....الخ.

المملكة العربية السعودية – أبها – ص.ب ٩٠٥٠ – ت : منزل : ٢٣١٢١٧٣ – عمل : ٢٢٩٠٦٨٢ – ٢٢٩٢٩٥١ تحويلة : ١٢٠ – فاكس : ٢٢٥٠٩٠٤
Saudi Arabia Abha P.O.Box : 9050 Tel : Res. 2312173 Office : 2290682 - 2292951 Ext. 120 – Fax : 2250904 - 2250928

تابع ملحق رقم (٣٨)



KING KHALID UNIVERSITY
Prof. GHITHAN A. JRAIS
Professor & Chairman Dept. Of History
Faculty of Arabic, Social and Administrative Sciences



جامعة الملك خالد
أ.د. غيثان بن علي بن جريس
أستاذ ورئيس قسم التاريخ
كلية اللغة العربية
والعلوم الاجتماعية والإدارية

Date / / 200 — (٣) — التاريخ ١٨ / ٦ / ١٤٢٤هـ

ص ٤٣
١٥/٦/٢٤هـ

٨–الناحية الأثرية مهمة جداً في منطقة نجران أرجو تزويدنا بما يتم معرفته عن المواقع الأثرية ،أنواع الآثار الموجدة ، أهميتها ......الخ

٩–ما يمكن تذكره ولم نذكره في هذه النقاط الرئيسة أرجو تزويدنا به (ولا تحتقر من الأمر أي معلومة مهما كانت بسيطة) واعلم أخي الفاضل أن ما نرغب تدوينه عن هذه المنطقة الهامة في بلادنا هو إظهار الوجه التاريخي الحضاري لهذه البلاد الغالية والعزيزة عل قلوبنا ، وأسال الله التوفيق لنا ولكم كما أسأله أن يجعل أعمالنا وأعمالكم خالصة لوجه الكريم أنه نعم المولى ونعم النصير ..

والله يحفظكم ويرعاكم ،،،،

أخـــوكم ومحبـــكم

أ.د. غيـثان بــن علــي بــن جريس

١٨/٦/١٤٢٤هـ

ابها . ص .ب (٩٠٥٠)
جوال: ٠٥٣٧٣٩٣٧٠
فاكس منزل:٢٣١٤٣٩٢
فاكس عمل :٢٢٦١٤٥٢

المملكة العربية السعودية – أبها – ص.ب ٩٠٥٠ – ت : منزل : ٢٣١٢١٧٣ – عمل : ٢٢٩٠٦٨٢ – ٢٢٩٢٩٥١ تحويلة : ١٢٠ – فاكس : ٢٢٥٠٩٠٤
Saudi Arabia – Abha – P.O.Box : 9050 – Tel : Res. 2312173 Office : 2290682 - 2292951 Ext. 120 – Fax : 2250904 - 2250928

ملحـق رقم (٣٩): خطاب بتاريخ (١٨/٦/١٤٢٤هـ) من المؤلـف إلى وكيل إمارة نجران يطلـب المساعدة في جمـع نبـذ تاريخيـة عـن المؤسسـات الإداريـة في منطقـة نجـران بهـدف نشـرها في كتاب علمي تاريخي. المصـدر: مكتبة د. غيثان بـن جريس العلمية (ق١٥/٢٠/٢١ـ٢٠م) ج٤، ص٣ـ٤.

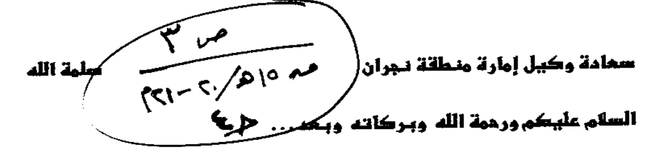
KING KHALID UNIVERSITY
Prof. GHITHAN A. JRAIS
Professor & Chairman Dept. Of History
Faculty of Arabic, Social and Administrative Sciences



جامعة الملك خالد
أ.د. غيثان بن علي بن جريس
أستاذ ورئيس قسم التاريخ
كلية اللغة العربية
والعلوم الاجتماعية والإدارية

Date / / 200

التاريخ ١٨ / ٦ / ١٤٢٤ هـ



سعادة وكيل إمارة منطقة نجران سلمه الله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد...

أرســـــل إلى سعادتكم بهذا الخطاب وفيه أهديكم السلام ، كما أفيدكم أن لدي العزم والرغـبة علـى كـتابة كتاب يصور تاريخ منطقة نجران في الماضي والحاضر وكما تعلمــون بــارك الله فـيكم أن هــناك عقبات عديدة حول معرفة تاريخ نجران الحديث والمعاصــر . وخاصـــة فـيما يتعلق بالنمو الحضاري والتطور الذي مرت به الأجهزة الحكومية بهذه المنطقة ولكي يكون الكتاب شاملاً في منهجه ومعلوماته وددت بل رغبت مــن ســموكم الوقوف إلى جاني والمساعدة في الحصول على معلومات عن الإدارات الحكومــية المــرفقة مع هذا الخطاب وحبذا لو اشتملت المعلومات على كل إدارة على النحو التالي :

١- التاريخ الذي تأسست فيه كل إدارة مع ذكر المكان الذي كانت به عند البداية ثم ذكر الرئيس أو المدير الأول لتلك الإدارة .وعدد العاملين معه يوم الافتتاح .

٢- المراحل التي مرت بها كل إدارة ومن أي مكان كانت تتلقى القرارات والأوامر والتعليمات المباشرة وهل كانت من مكة المكرمة أو من أبها . أو من الرياض مباشرة .

٣- حبذا لو ذكر أسماء المديرين لكل دائرة منذ بدأت حتى ألان مع ذكر تواريخ عملهم في تلك الإدارة في نجران .

٤- إعطاء فكرة عن بدايات الميزانية لكل إدارة ثم كيف تطورت حتى الان .

٥- إعطاء فكرة عن كل إدارة في يومنا الحالي من حيث عدد موظفيها،وميزانيتها وما لديها من مشاريع ، أو إصلاحات إذا كانت من تلك الإدارات المختصة بالخدمات

المملكة العربية السعودية ـ أبها ـ ص.ب ٩٠٥٠ ـ ت : منزل ٢٣١٢١٧٣ ـ عمل ٢٢٩٠٦٨٢ ـ ٢٢٩٢٩٥١ تحويلة ١٢٠ ـ فاكس ٢٢٥٠٩٠٤
Saudi Arabia Abha P.O.Box : 9050 Tel : Res. 2312173 Office : 2290682 2292951 Ext. 120 - Fax : 2250904 - 2250928

تابع ملحق رقم (٣٩)

KING KHALID UNIVERSITY
Prof. GHITHAN A. JRAIS
Professor & Chairman Dept. Of History
Faculty of Arabic, Social and
Administrative Sciences



جامعة الملك خالد
أ.د. غيثان بن علي بن جريس
أستاذ ورئيس قسم التاريخ
كلية اللغة العربية
والعلوم الاجتماعية والإدارية

Date / / 200

التاريخ ١٨ / ٦ / ١٤٢٩ هـ

١٥ص / ١٤٢٩/٦/٢١هـ
٤ ص

ومـا شـابهها ، أو مـا يمكن ذكره عن الإدارة ، ولم نتذكره في هذه النقاط والأمل في سعادتكم العون والمساعدة في الحصول على إجابات لهذه النقاط التي أعتقد أنها مهمة، وأنها سوف تضفي على الكتاب نوعاً من القوة والنقل العلمي ، وان تم ذلك فهذا بفضل الله أولاً ثم بفضل سعادتكم .

وختاماً تقبلوا تحياتي وتقديري ،،،،،،،،،

١٤٢٩/٦/١٨

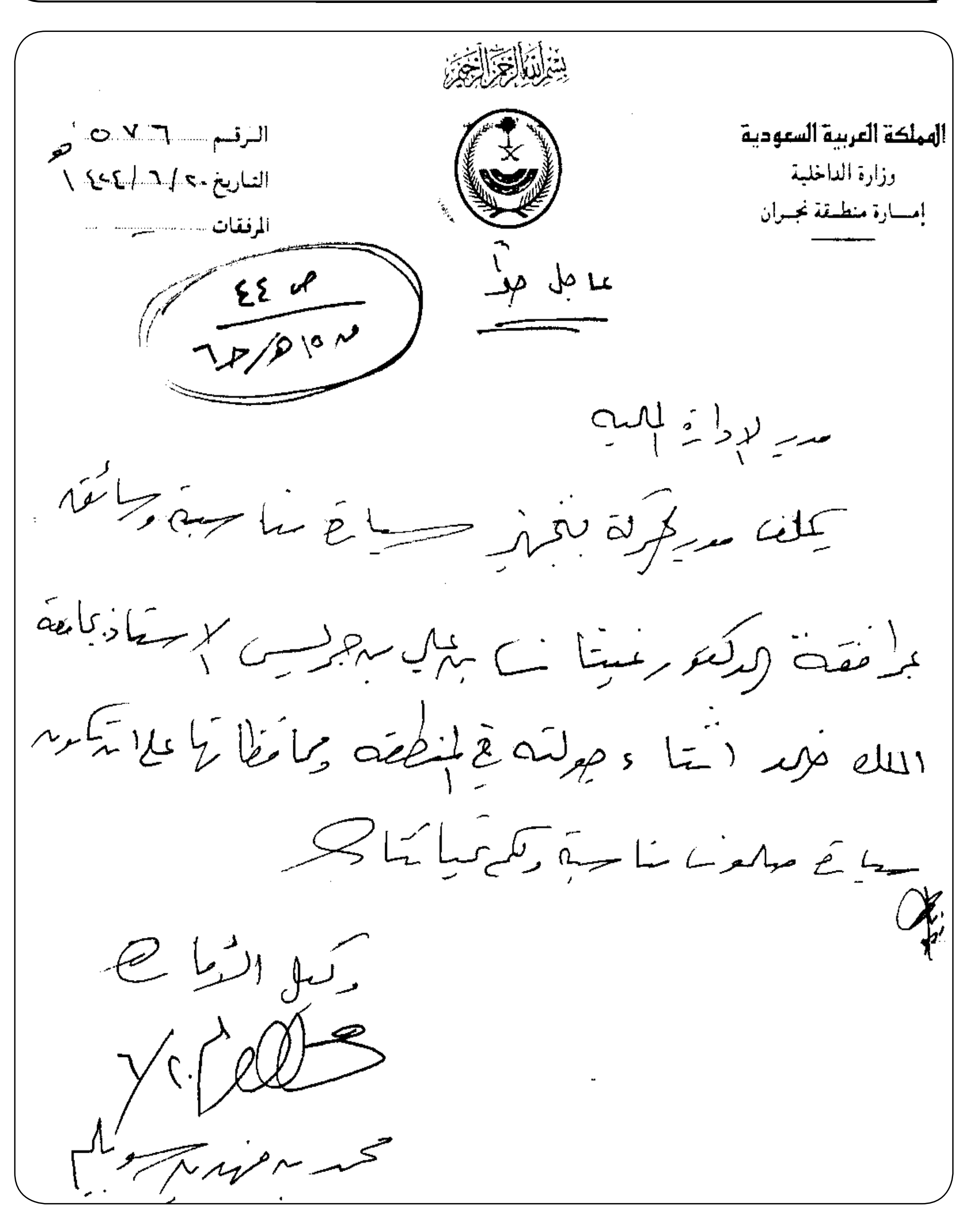
أخوكم ومحبكم

أ.د. غيثـان بـن علـي بـن جريس

أستاذ التاريخ بقسم العلوم الاجتماعية
في كلية اللغة العربية والعلوم الاجتماعية والادارية
جامعة الملك خالد
أبها ص.ب (٩٠٥٠)
جوال: ٠٥٣٧٣٩٣٧٠
فاكس: ٠٧٢٣١٣٤٩٢
٠٧٢٢٦١٤٥٢

المملكة العربية السعودية – أبها – ص.ب ٩٠٥٠ – ت : منزل ٢٣١٢١٧٣ – عمل : ٢٢٩٠٦٨٢ – ٢٢٩٢٩٥١ تحويلة ١٢٠ – فاكس ٢٢٥٠٩٠٤ – ٢٢٥٠٩٢٨
Saudi Arabia Abha P.O.Box : 9050 Tel : Res. 2312173 Office : 2290682 2292951 Ext. 120 Fax : 2250904 - 2250928

ملحق رقـم (٤٠): أربعة خطابات من وكيل إمارة نجران الأسـتاذ محمد بن فهد بن سـويلم وجميعهـا تدور حول تسـهيل مهمة الباحث في جمع مادتـه العلمية عن بعض الجوانـب التاريخية النجرانية . وثلاثة من هـذه الخطابات بتاريخ(٢٠/٦/١٤٢٤هـ)، والخطـاب الرابـع بتاريـخ (١٦/١٢/١٤٢٤هـ) **المصـدر: مكتبـة د. غيثـان بـن جريس العلمية** (ق١٥هـ/٢٠ـ٢١م) ج٤ ، ص١ـ٢، ج٦ ، ص٤٤ـ٤٥ .



بسم الله الرحمن الرحيم

المملكة العربية السعودية
وزارة الداخلية
إمارة منطقة نجران

الرقم ٥٠٧٦
التاريخ ٢٠/٦/١٤٢٤هـ
المرفقات

عاجل جداً

مدير الإدارة المالية

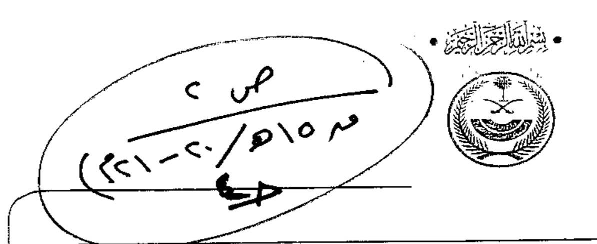
يكلف مدير الحركة بتجهيز سيارة مناسبة وسائقه لمرافقة الدكتور غيثان بن علي بن جريس الأستاذ بجامعة الملك خالد أثناء جولته في المنطقة ومحافظاتها على أن تكون السيارة صالحة مناسبة وكمية تتناسب

وكيل الإمارة

٢٠/٦

محمد بن فهد بن سويلم

تابع ملحق رقم (٤٠)



تعميم عاجل جداً
للإدارات الحكومية بالمنطقة

سعادة /
فضيلة /

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ... وبعد

إشارة لخطاب الأستاذ الدكتور / غيثان بن علي بن جريس استاذ ورئيس قسم التاريخ بجامعة الملك خالد بأبها المؤرخ في ١٤٢٤/٦/١٨هـ المتضمن عزمه على كتابة كتاب يصور تاريخ نجران الحديث والمعاصر.......الخ .

ورغبته في الحصول على معلومات عن الإدارات الحكومية بالمنطقة لمعرفة كل مايتعلق بالنمو الحضاري والتطور الذي مرت به الأجهزة الحكومية بالمنطقة خلال خمسين عاماً .

لذا نود الإطلاع وتزويده بالمعلومات التي يحتاجها حسب الأمكانية والتي تتعلق بإدارتكم وبإمكانكم بعثها إلى عناية الباحث بجامعة الملك خالد على ص ب(٩٠٥٠)أبها.

وإحاطة الإمارة بصورة مما يتخذ ولكم تحياتنا .

وكيل إمارة منطقة نجران

محمد بن فهد بن سويلم

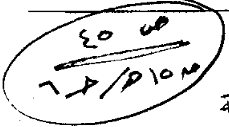
الرقم : .... التاريخ ../ ٦ / ١٤٢٤ هـ المرفقات ....

تابع ملحق رقم (٤٠)

بسم الله الرحمن الرحيم



المملكة العربية السعودية
وزارة الداخليـــــة
أمارة منطقة نجران
الأمانه العامة لمجلس المنطقة



تعميم عاجل جداً
للمحافظات بالمنطقة والمراكز الداخلية

سعادة /

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ... وبعد

إشارة لخطاب الأستاذ الدكتور / غيثان بن علي بن جريس استاذ ورئيس قسم التاريخ بجامعة الملك خالد بأبها المؤرخ في ١٤٢٤/٦/١٨هـ المتضمن عزمه على كتابة كتاب يصور تاريخ نجران الحديث والمعاصر........الخ .

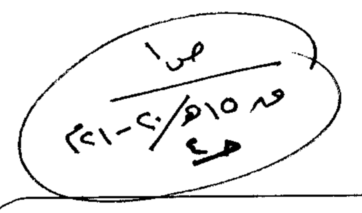
لذا نود الإطلاع وتسهيل مهمته والسماح له بتصوير الأماكن التاريخية والسياحية والمعالم الحضارية والطبيعية ولكم تحياتنا

وكيل إمارة منطقة نجران

محمد بن فهد بن سويلم

الرقم : ١٤٣٩٣ التاريخ ٢٠ / ٦ / ١٤٢٤ هـ المرفقات :

تابع ملحق رقم (٤٠)





المملكة العربية السعودية
وزارة الداخليـــــــــة
أمارة منطقة نجران
الأمانة العامة لمجلس المنطقة

/٥/٠١١

سعادة الأخ الأستاذ الدكتور/ غيثان بن علي بن جريس
أستاذ التاريخ بقسم العلوم الاجتماعية في كلية اللغة العربية والعلوم الاجتماعية والإدارية بجامعة الملك خالد بأبها ص. ب (٩٠٥٠)

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ... وبعد

أشير لخطابكم المؤرخ في ١٤٢٤/٦/١٨هـ حول عزمكم كتابة كتاب يصور تاريخ منطقة نجران في الماضي والحاضر وطلبكم معلومات عن الإدارات الحكومية بالمنطقة... إلخ. تجدون بطيه ما وردنا من إجابات وسيتم متابعة ما تبقى وترسل لكم في حينه.

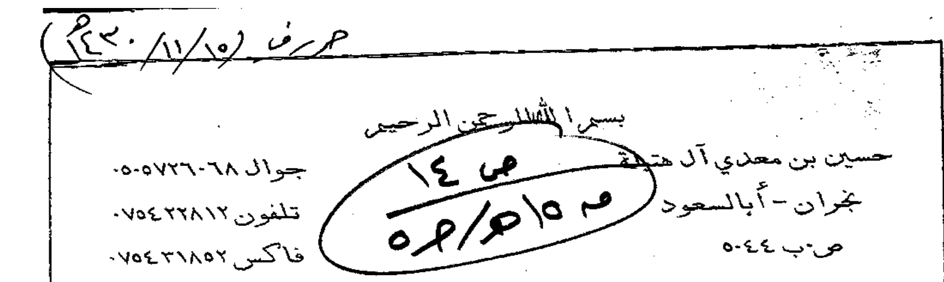
نأمل الإحاطة ولسعادتكم تحياتنا... ح-١٠٢

وكيل أمـــارة منطقة نــــجران

محــمد بن فـــهد بن ســـويلم

الرقم : .... التاريخ ١٦ / ١٢ / ١٤٢٤ هـ المرفقات : ....

ملحق رقم (٤١): خطاب بتاريخ (١٤٣٠/١١/١٥هـ) من حسين بن معدي بن معشي آل هتيلة إلى المؤلف يخبره فيه إرسال بعض المادة العلمية وذلك من خلال تجاربة ومعرفته لبلاده نجران. المصدر: مكتبة د. غيثان بن جريس العلمية (ق ١٥هـ/ ٢٠-٢١م) ج٥، ص ١٤.



جريس ١٤٣٠/١١/١٥

بسم الله الرحمن الرحيم

ص ١٤

م ١٥ / ق ١٥

حسين بن معدي آل هتيلة
نجران - أبا السعود
ص.ب ٥٠٤٤

جوال ٠٥٠٥٧٢٦٠٦٨
تلفون ٠٧٥٤٢٢٨١٢
فاكس ٠٧٥٤٣١٨٥٢

سعادة الأستاذ الدكتور/ غيثان بن علي بن جريس حفظه الله تعالى

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد....

أشير إلى رسالتكم المؤرخة في ١٤٣٠/٩/٢٩هـ حول طلبكم الإفادة عما اعرفه عن تاريخ منطقة نجران الحضاري ، وأحوال الناس فيها خلال السنوات الخمسين الماضية ، لإدراج ذلك ضمن ما تنوون إصداره في المجلدين : الثاني والثالث - من كتابكم الصادر باسم [القول المكتوب في تاريخ الجنوب] ويسرني أن ابعث لحضرتكم ما أسعفتني به الذاكرة والوقت مما سمعت به أوشاهدته راجيا أن يكون في ذلك ما يلبي طلبكم ، وآمل إن لاحظتم شيئا من عدم ترتيب الأولويات أو إكمال الوصف أن تصيغوه بالطريقة التي ترونها مناسبة فأنت الباحث المتجرد والكاتب النبيه - وأنا قارئ ولست كاتب ، وختاما تحياتي وتمنياتي لك بالتوفيق ، كما أرجو أن لا تبخل علينا بالجديد من إصداراتك ، والله يحفظك،،،،

أخوك

حسين بن معدي بن معشي آل هتيله
١٤٣٠/١١/١٥هـ



خامساً

ملحـــق الصـــور



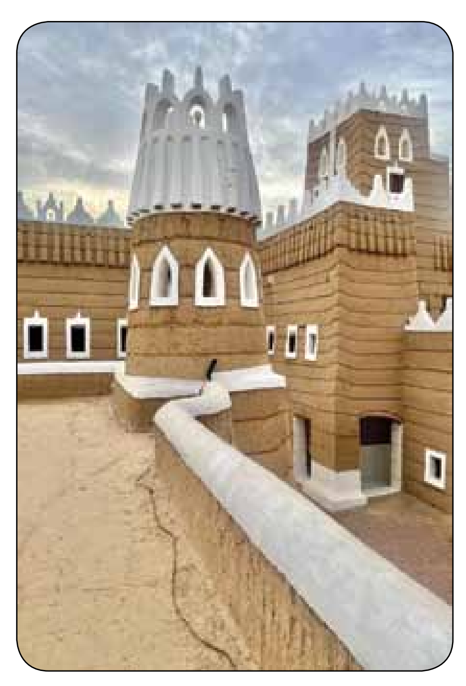
الصورة رقم (١): قصر الأمارة التاريخي في نجران بوسط البلد من الواجهة الامامية



الصورة رقم (٢): مجموعة من بيوت الطين القديمة التي تتوسط إحدى المزارع في مدينة نجران



الصورة رقم (٣): أحد البيوت التراثية القديمة في مدينة نجران



الصورة رقم (٤): قصر الإمارة التاريخي بنجران من الداخل



الصورة رقم (٥): انظر الصورة رقم (٦)



الصورة رقم (٥، ٦): قصر سعدان الواقع على قمة جبل العان بحاضرة نجران الذي بُني عام (١١٠٠هـ) ويسمى أيضاً بـ "قصر العان".



الصورة رقم (٧): واجهة مبنى أمارة منطقة نجران الحالي
عام (١٤٤٣هـ / ٢٠٢٢م)



الصورة رقم (٨): قلعة رعوم التي تقع على قمة جبل رعوم في الجهة الغربية لمدينة نجران



الصورة رقم (٩): إحدى مزارع الحبوب في حاضرة نجران



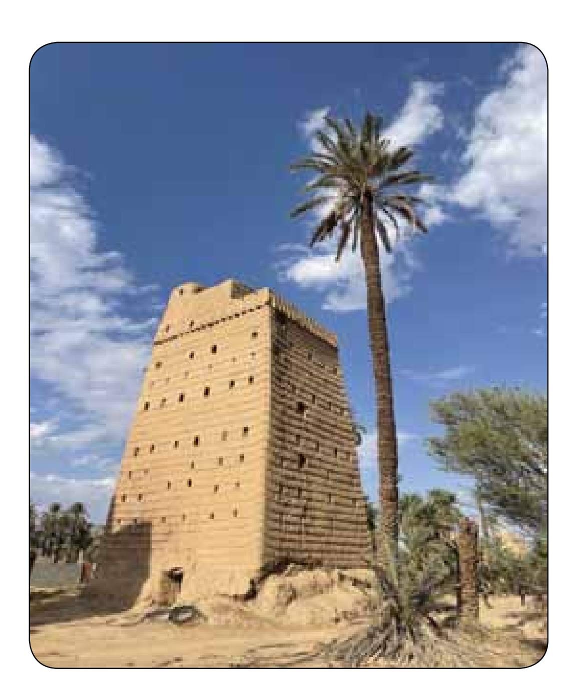
الصورة رقم (١٠): إحدى مزارع الحمضيات في مدينة نجران



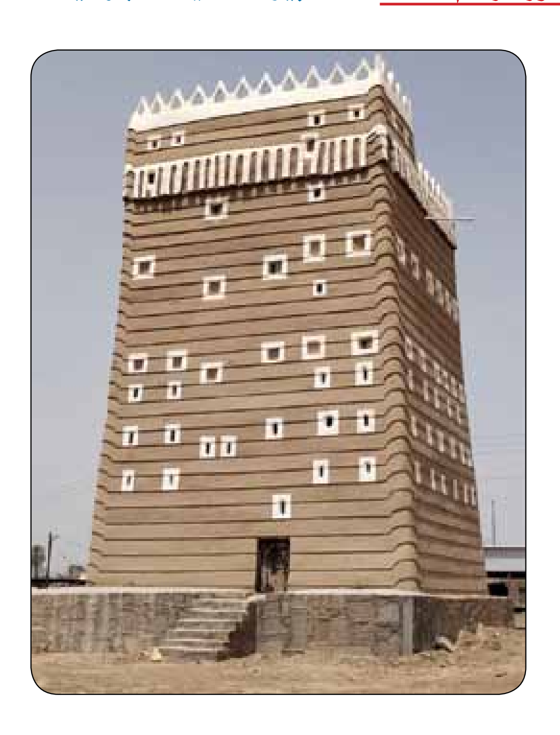
الصورة رقم (١١): بعض منتجات نجران من التمور



الصورة رقم (١٢): نموذج من أبنية منطقة نجران قديماً



الصورة رقم (١٣): أحد بيوت الطين النجرانية القديمة



الصورة رقم (١٤): قصر صاغر في وسط حاضرة نجران



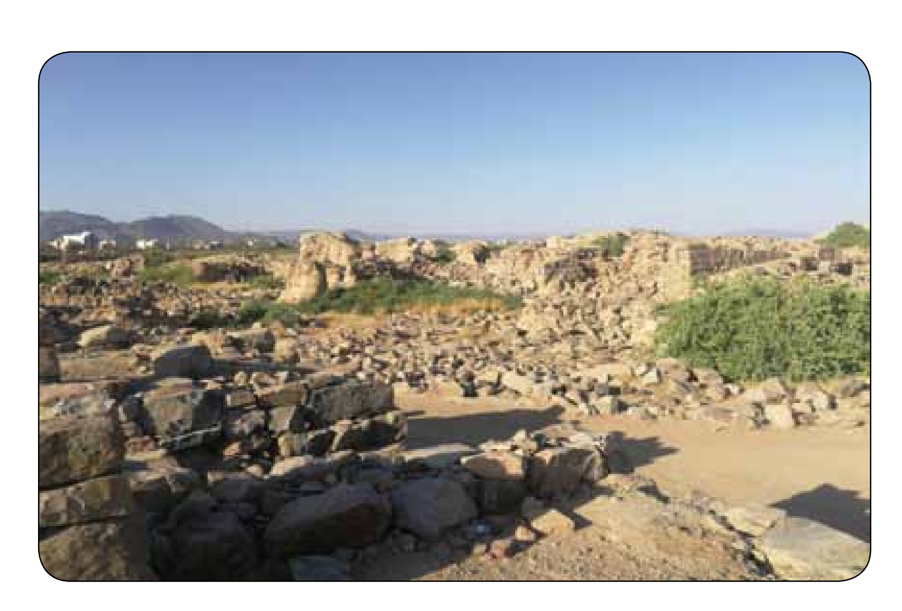
الصورة رقم (١٥): البئر المطوية داخل قصر الأمارة القديم في مدينة نجران



الصورة رقم (١٦): مجموعة من بيوت الطين التراثية بقرى الحضن جنوب غرب نجران



الصورة رقم (١٧): منظر عام لوادي الخانق شمال غرب نجران



الصورة رقم (١٨): إحدى أطلال موقع الأخدود بمدينة نجران



الصورة رقم (١٩): منظر آخر للأخدود في مدينة نجران



الصورة رقم (٢٠): بقايا مبنى أثري بالأخدود في مدينة نجران



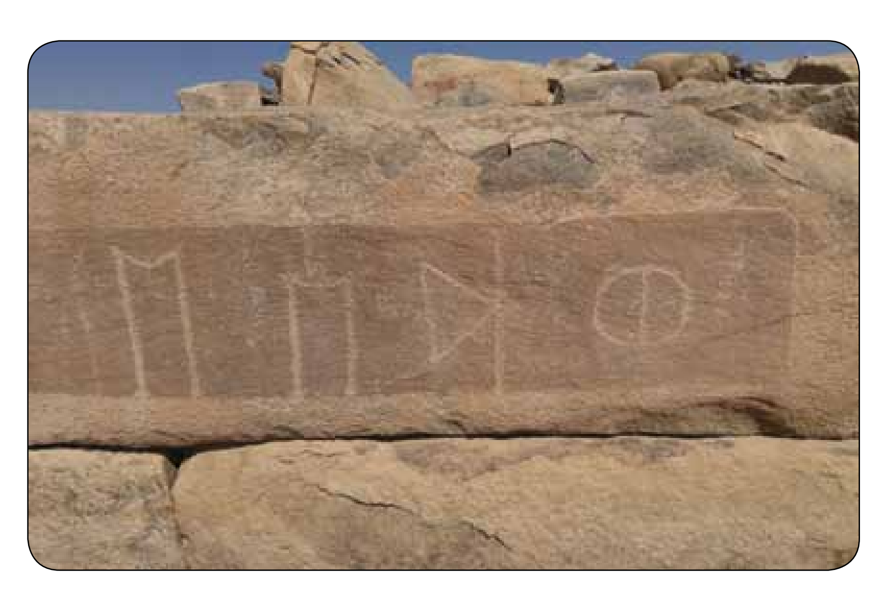
الصورة رقم (٢١): بقايا مبنى ديني يعتقد أنه لكنيسة أو مسجد بموقع الأخدود في مدينة نجران



الصورة رقم (٢٢): رسم لحصان على أحد أسوار منطقة الأخدود في مدينة نجران



الصورة رقم (٢٣): نقش مسندي على إحدى حجارة الأخدود في مدينة نجران



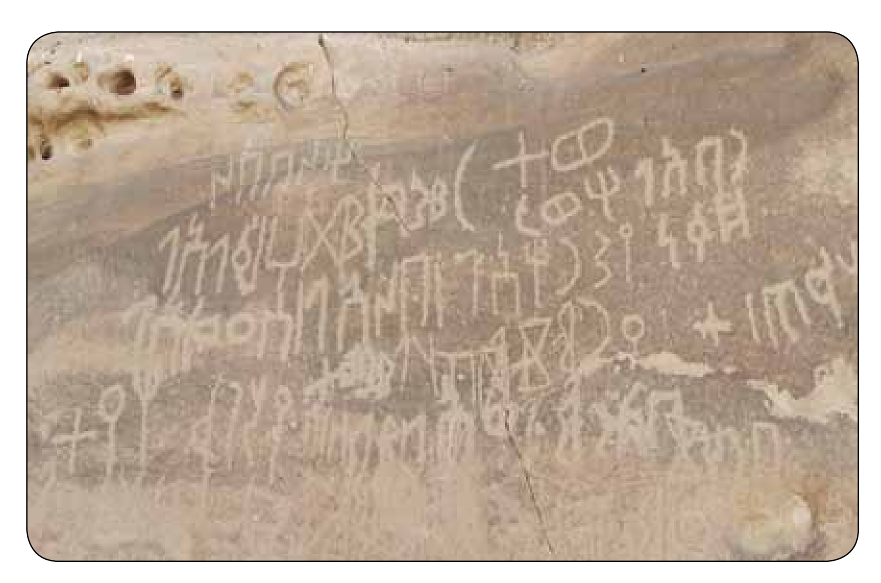
الصورة رقم (٢٤): نقش مسند آخر على إحدى حجارة الأخدود بمدينة نجران



الصورة رقم (٢٥): إحدى الرسومات الصخرية في منطقة حمى ببلاد نجران



الصورة رقم (٢٦): نقش عين النقحة المسمى نقش الراقصة والمعزوفة بحمى في منطقة نجران



الصورة رقم (٢٧): نقش آخر بخط المسند من جبل صمعر بمنطقة حمى في نجران



الصورة رقم (٢٨): نقش مسند آخر من جبل صمعر بمنطقة حمى في نجران



الصورة رقم (٢٩): من موقع الأخدود بنجران



الصورة رقم (٣٠): حجارة رحى في موقع الأخدود في نجران



الصورة رقم (٣١): رسمة جمل على صخرة المواقيع في منطقة حمى بمنطقة نجران



الصورة رقم (٣٢): أحد النقوش بخط المسند بجبل صمعر في منطقة حمى في نجران



الصورة رقم (٣٣): أحد جدران موقع الأخدود من الواجهة الامامية



الصورة رقم (٣٤): - أحد جدران موقع الأخدود في نجران



الصورة رقم (٣٥): بقايا مسجد خالد بن الوليد بموقع عاكفة في نجران والذي يُعتقد أنه بُني في القرن الأول الهجري



الصورة رقم (٣٦): نقش أثري في محراب المسجد نصه كالتالي: " محمد بن عبد .... يشهد بأن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمد عبده ورسوله وأن الساعة حق .... الله". قراءة النقش: صالح آل مريح



الصورة رقم (٣٧): نموذج من البيوت الطينية في نجران ومازالت مسكونة حتى الان (١٤٤٤هـ)



الصورة رقم (٣٨): نموذج من العمران القديم والحديث في نجران عام (١٤٤٤هـ)



الصورة رقم (٣٩): منزل تراثي قديم في محافظة بدر، وهناك بيوت تراثية أخرى كثيرة في أنحاء منطقة نجران



الصورة رقم (٤٠): برج القشلة القديمة في محافظة بدر



الصورة رقم (٤١): من قصور البلده القديمة في مضمار بدر الجنوب



الصورة رقم (٤٢): بعض المباني لقديمة في محافظة بدر الجنوب



الصورة رقم (٤٣): دوار البلدية في محافظة بدر الجنوب



الصورة رقم (٤٤): قصبة الحاشه في محافظة بدر الجنوب وهي من الابراج القديمة



الصورة رقم (٤٥): المدخل الغربي لمحافظة بدر الجنوب بإتجاه عسير



الصورة رقم (٤٦): بعض قصور الحاشة في محافظة بدر الجنوب



الصورة رقم (٤٧): مدخل سوق الجنابي بمدينة نجران



الصورة رقم (٤٨): سوق الجنابي في وسط حاضرة نجران



الصورة رقم (٤٩): بعض الأواني المنزلية التراثية في السوق الشعبي بوسط البلد (أبا السعود) في منطقة نجران



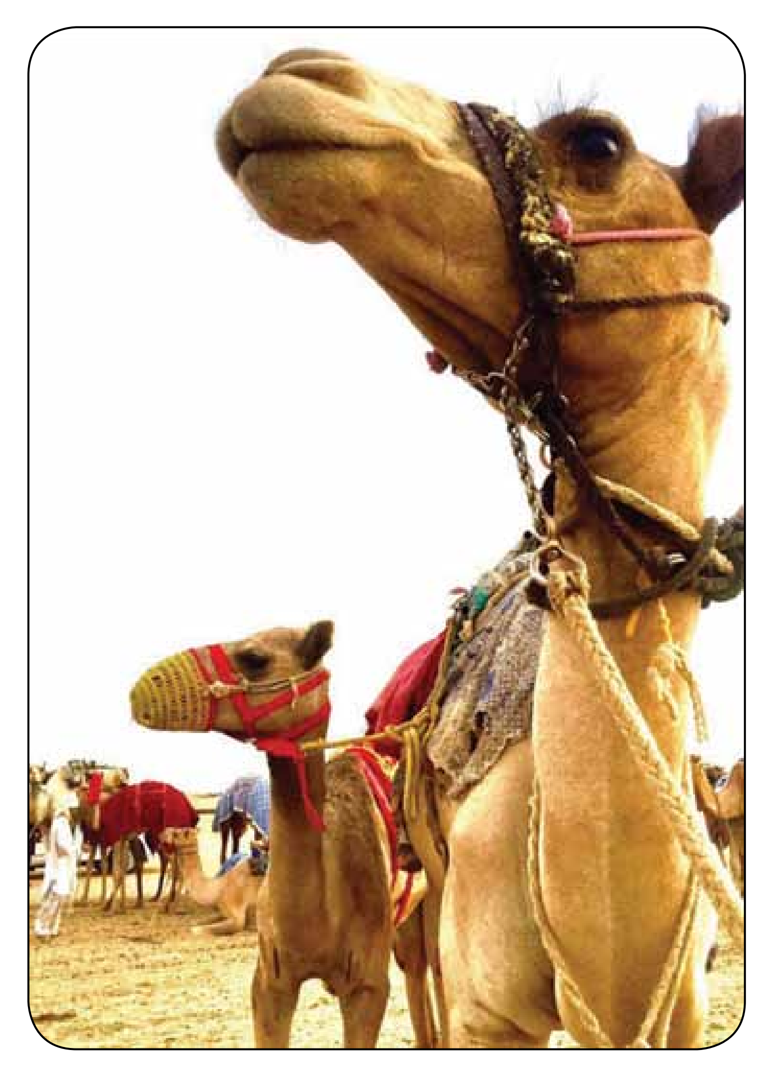
الصورة رقم (٥٠): إحدى معروضات سوق الجنابي في مدينة نجران



الصورة رقم (٥١): أحد المحلات بسوق الجنابي وسط البلد (أبا السعود) في مدينة نجران



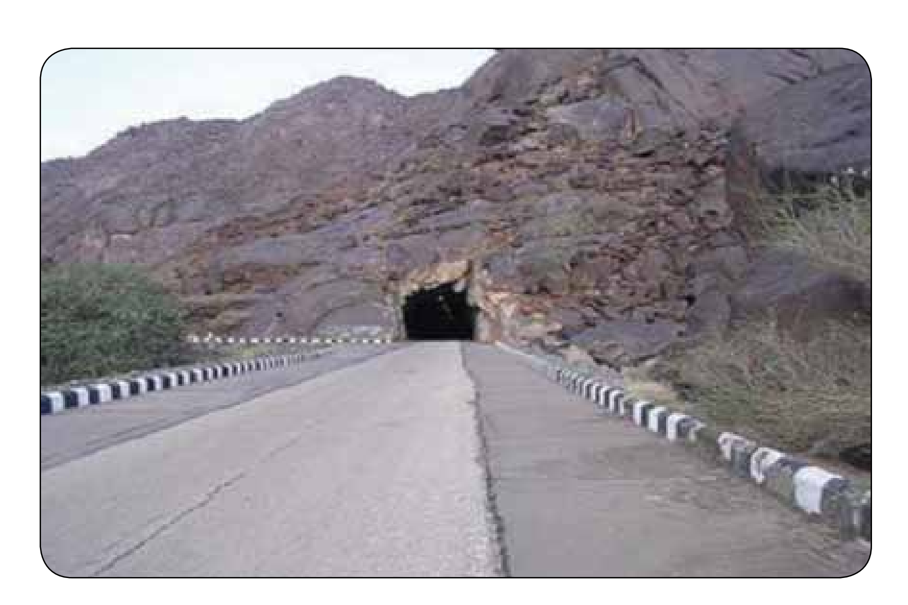
الصورة رقم (٥٢): بعض الخناجر المعروضة في سوق الجنابي بحاضرة نجران



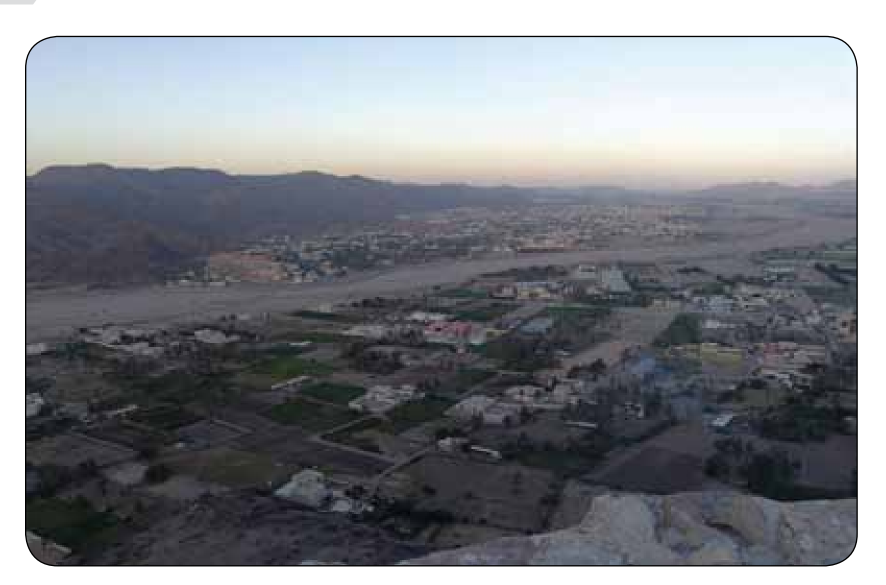
الصورة رقم (٥٣): الإبل جزء مهم من حياة المجتمع النجراني الأصيل



الصورة رقم (٥٤): منظر لجزء من سد وادي نجران



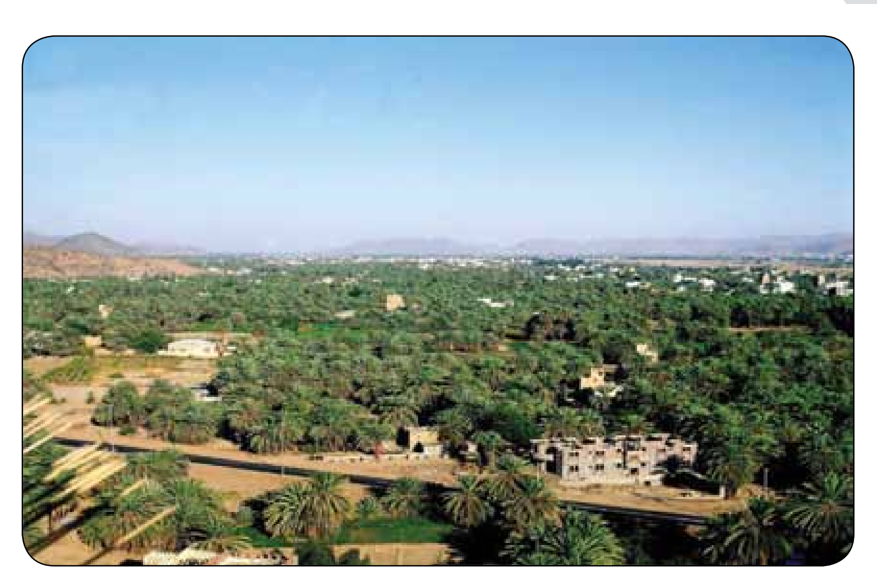
الصورة رقم (٥٥): نفق جبلي في الطريق التي تخرج من وسط مدينة نجران إلى السد



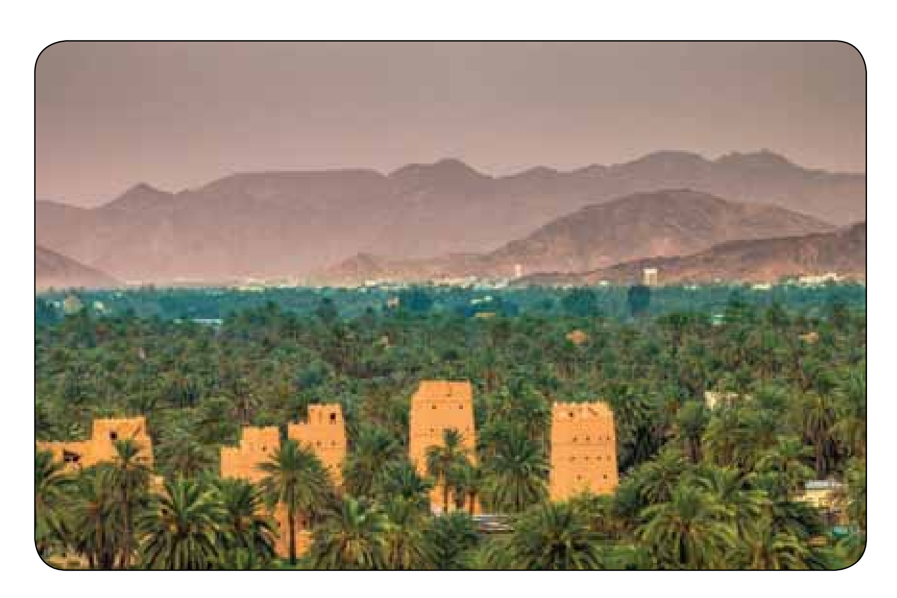
الصورة رقم (٥٦): منظر عام لوادي نجران وضفتيه من قمة جبل رعوم



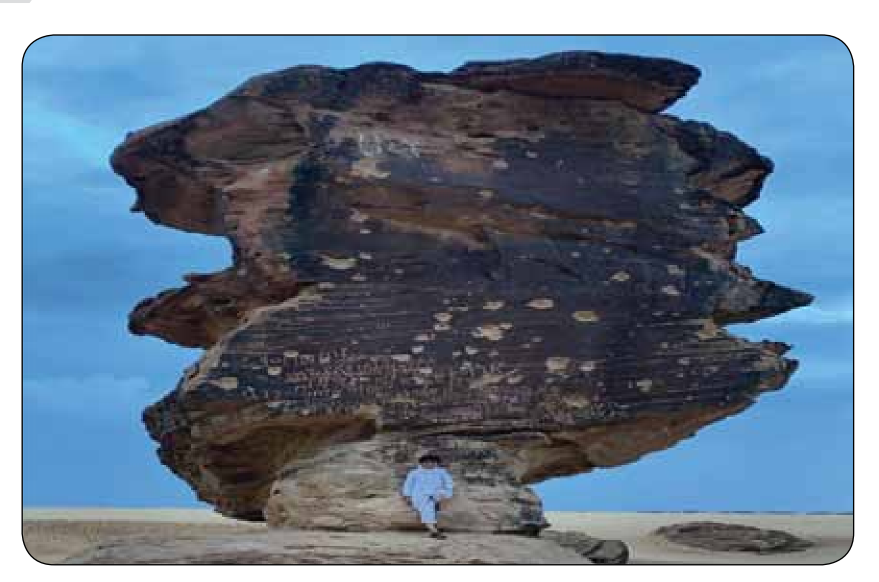
الصورة رقم (٥٧): منظر عام لجريان السيول في وادي نجران



الصورة رقم (٥٨): منظر عام لمزارع النخيل في وادي نجران من إحدى القمم الجبلية المطلة على الوادي



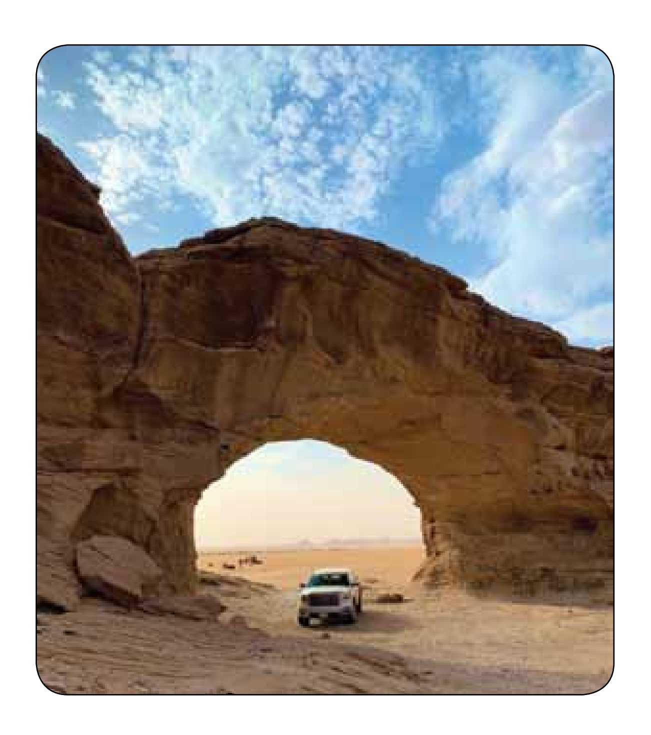
الصورة رقم (٥٩): نموذج من التراث العمراني لمنطقه نجران



الصورة رقم (٦٠): إحدى التكوينات الصخرية بشرق نجران



الصورة رقم (٦١): تكوين صخري بشرق نجران



الصورة رقم (٦٢): تكوين صخري آخر بشرق نجران



الصورة رقم (٦٣): قرية أثرية بموقع عاكفة شمال نجران بـ (٨٠) كيلو



الصورة رقم (٦٤): مدخل مدينة شرورة من جهة الوديعة في منطقة نجران



الصورة رقم (٦٥): دوار الكرة الأرضية أحد المعالم المعمارية بمدينة شرورة بمنطقة نجران



الصورة رقم (٦٦): مدخل شرورة من جهة الوديعة في منطقة نجران



الصورة رقم (٦٧): صورة للدوار الشمالي بمدخل مدينة شرورة من جهة حاضرة نجران



الصورة رقم (٦٨): مبنى البرج الإداري بجامعة نجران



الصورة رقم (٦٩): مبنى الإدارة والمسرح - شطر الطالبات بجامعة نجران



الصورة رقم (٧٠): انظر الصورة رقم (٧١)



الصورة رقم (٧٠ ، ٧١): المبنى الحالي لأمانة منطقة نجران



الصورة رقم (٧٢): واجهة مبنى مكتبة الأمير مشعل بن عبد الله المركزية بجامعة نجران



الصورة رقم (٧٣): خزان نجران العالي أحد أحدث المشاريع الحكومية في مدينة نجران

ساساً : سيرة ذاتية مختصرة



أولا : معلومات عامة

الاسـم :غيثـان بـن علي بن عبداللـه بن جريس الجبيري الشهري

- مـن مواليـد محافظـة النمـاص بـلاد بنـي شهـر عـام (١٣٧٩هـ / ١٩٥٩م).
- تلقـى تعليمـه الابتدائي والمتوسـط والثانـوي في محافظة النماص وحصـل على الثانوية عام (١٣٩٦هـ / ١٩٧٦م).
- تلقى تعليمه الجامعي في مدينة أبها بفرع جامعة الملك سعود، قسم التاريخ، وتخرج في عام (١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م).
- ذهـب إلـى الولايـات المتحـدة الأمريكيـة ودرس درجة الماجسـتير فـي جامعـة أوسـتن تكسـاس (Austin Texas)، ثم انتقل إلـى جـامعـة إنديانا فـي مدينة بلومينجتون (University of Indiana) وتخرج فيها عام (١٤٠٥هـ /١٩٨٥م) .
- ذهـب إلى بريطانيـا وحصـل علـى درجـة الدكتـوراه في التاريـخ الإسـلامي عـام (١٤٠٩هـ - ١٤١٠هـ/ ١٩٨٩ -١٩٩٠م)
- عـاد إلى جامعتـه في أبهـا وعمـل في العديـد مـن الأعمـال الإداريـة والأكاديميـة بالإضافة إلى رئاسة القسم حوالي ثلاثة عشر عاماً.
- حصل على درجة الاستاذية في نهاية عام (١٤١٧هـ / ١٩٩٦م) .

ثانياً: عضوية المجالس والمؤسسات المحلية والعربية والعالمية :

- رئيـس تحريـر مجلة بيادر الصـادرة من نادي أبها الأدبـي في الفترة من عام (١٤١٥هـ - ١٤١٩هـ / ١٩٩٥م - ١٩٩٩م) .
- عضو الجمعية المصرية للدراسات التاريخية .
- عضو اتحاد المؤرخين العرب بالقاهرة .
- عضو الجمعية السعودية التاريخية .
- عضو جمعية التاريخ والآثار بدول مجلس التعاون لدول الخليج العربي.
- أول مشرف لكرسي الملك خالد للبحوث العلمية بجامعة الملك خالد.

تابع سيرة ذاتية مختصرة

ثالثاً : المحاضرات العامة، والمؤتمرات، والندوات، والحوارات المحلية والإقليمية والعالمية ، بالإضافة إلى حصوله على بعض الجوائز والتكريم :

- قدم حوالي (١٦٢) محاضرة عامة ، وشارك وقدم أوراقاً علمية في أكثر من (١٤٤) ندوة ، أو مؤتمر ، أو لقاء علمي .
- حصل على جائزة عبد الحميد شومان على مستوى العالم العربي، في العلوم الإنسانية عام (١٤١٧هـ / ١٩٩٦م) .
- تم تكريمه من قبل نادي أبها الأدبي في (١٤١٨/٢/٥هـ / ١٩٩٧م) بمناسبة حصوله على درجة الأستاذية بتميز .
- تم تكريمه في عدد من الملتقيات مثل ملتقى بني شهر الأول في الرياض عام (١٤٣٣هـ/٢٠١٢م)، وملتقى زهران العاشر عام (١٤٣٥هـ/٢٠١٤م).
- تم تكريمه ضمن شوامخ المؤرخين العرب في مؤتمر اتحاد المؤرخين العرب بالقاهرة عام (٢٠١٣ م)، وتاريخ هذا التكريم كان يوم الأربعاء (٢/ محرم/١٤٣٥ هـ الموافق ٦/نوفمبر/٢٠١٣ م) .
- تم تكريمه من قبل وزارة الثقافة والإعلام السعودي في معرض الكتاب الدولي الثامن بالرياض عام (١٤٣٥هـ/٢٠١٤م). وفاز كتابه : الوجود الاسلامي في أرخبيل الملايو بجائزة الوزارة في ذلك العام (١٤٣٥ هـ)
- حصل على جائزة معالي مدير جامعة الملك خالد في مستودع الأبحاث الرقمية العلمية يوم الثلاثاء (١٤٤٠/٨/١٨هـ الموافق ٢٠١٩/٤/٢٣م) .
- تم تكريمه في نادي أبها الأدبي كأحد رواد البحث العلمي في مجال التاريخ والحضارة العربية والإسلامية يوم الثلاثاء (١٤٤٠/١١/١٩هـ الموافق ٢٠١٩/٧/٢٢م) .
- زيارة وتكريم مجموعة (أبها عطاء ووفاء) لغيثان بن جريس في منزلة بأبها في (١٤٤١/١١/١٧هـ الموافق ٢٠٢٠/٧/٨م) ، وكان برفقتهم رئيس جامعة الملك خالد وبعض المسؤولين في الجامعة .

رابعاً : النتاج العلمي :

١. ألف ونشر أكثر من (٦٥) كتاباً ، أنظرها على الرابط الآتي (prof-ghithan.com)
٢. قام بتحقيق ومراجعة وتقديم العديد من الكتب والمجلات .
٣. نشر حوالي (٣٠٠) بحثاً علمياً في مجلات وكتب علمية ، معظمها باللغة العربية وبعضها باللغة الانجليزية .

Najran Region

Studies, Additions and Comments

(Pre-Islam - 15th H. / 1st - 21st G.)

Vol. 2

Prof. Ghithan bin Ali bin Jrais

King Khalid University

First Edition

(1444 H. - 2022 G.)

Riyadh : Al Homaidhi Press